رَيْحَانَةُ الأَلِبَّا
وَزَهْرَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغفار الخفاجي

المتوفى سنة ١٠٦٩هـ

وضع حواشيه وقدم له

أحمد عناية

١ - ٢

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت

Marfat.com

Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

Marfat.com

Marfat.com

رَيْحَانَةُ الأَلِبَّا
وَزَهْرَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا

تأليف

شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الخَفَاجِيُّ
المتوفى ١٠٦٩ هـ

وَضَعَ حَوَاشِيَهُ وَفَهَارِسَهُ
أَحْمَدُ عِنَايَةُ

١ - ٢

مَنشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

Marfat.com

132398

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon
No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban
Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciares.

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١، ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١، رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا

RAYHANATUL- ALIPA
WA ZAHRATUL- HAYATID-DUNYA

المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي

المحقق: أحمد عناية

الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت

عدد الصفحات: 560

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-4428-6
9 782745 144287 90000 >

Marfat.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ترجمة المصنف

الشِّهَاب الخَفَاجي[1]

(٩٧٧-١٠٦٩هـ = ١٥٦٩-١٦٥٩م)

هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة.

نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءاً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي.

من أشهر كتبه: «ريحانة الألبا» وهو الكتاب الذي بين أيدينا، ترجم به معاصريه على نسق اليتيمة، و«شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل»، و«شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري»، و«طراز المجالس»، و«نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض» أربع مجلدات، و«خبايا الزوايا بما في الرجال من البقايا» مجلد في التراجم، و«ريحانة الندمان»، و«عناية القاضي وكفاية الراضي» حاشية على تفسير البيضاوي، ثماني مجلدات، و«ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب»، و«السوانح» في خزانة أسعد أفندي بالأستانة، رقم ٢٧٣٨ أدب (كما في المختار من المخطوطات العربية بالأستانة ٤٧)، و«قلائد النحور من جواهر البحور» في العروض، ومعه رسالتان له أيضاً، هما «جنة الولدان»، و«الكنس الجواري».

---

(١) انظر الأعلام للزركلي (١/ ٢٣٨).

Marfat.com

Marfat.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

حَمداً لمن سرَّح عيونَ البصائر في رِياض النِّعم، رياض زَهت فيها رياحين العقول، وتفتَّحتْ بنسِيم اللطف أنوار الحِكَم، فاجْتنَت منها أيدي المُنَى فواكه الأرواح، واقتطفت شَقيق الشَّقيق من بين أقاحِي الصَّباح، والنَّدَى طرَّز برد النسيم ببَلالِه، لمَّا رأى مجامِرَ الزَّهْرِ تحت أذياله: [السريع]

مِن قبل أن ترشِف شمسُ الضحى ... ريقَ الغَوادي من ثُغُور الأقاحْ[1]

وأشكره شكراً يطوِّق جيدَ البلاغة نظِيمُ عقوده، وينسِج ببَنان البيان على مِنوال البراعة رقيقُ بُروده، على نِعمٍ لا تَفنى من معادن الوجود جواهرُها، ولا تذْوِي من خمائل الفصاحة أزاهرُها.

ونُهدِي صِلات الصَّلاة لناظم عقد الدين بعد نَثْره، المُؤيَّد بآياتٍ لا يزال يتلوها لِسانُ الدهر ولو طار نَسْر السماء من وَكره، وكَلَّت دونها ألسنةُ أَسِنَّة الطَّاعنين، وحُمِيت حديقتُها بشوكة الإعجاز فلم تلمسْها يدُ أفكار المعارضين، فصار السابقون في حَوْمَة البلاغة، الماهرون في صناعة الصِّياغة، ما بين ساكتٍ أَلْفا، وناطقٍ خَلْفا[2]، ومُشمِّرٍ ذيلَه، ومُدَّرعٍ ليلَه، تسرْبَل سابغةَ دُجى، قَتِيرُها[3] نجومُ ليلٍ دجا، حتى اشتفَتْ نفسُ الإسلام من دائهم، وزال كلَب الكفر بما أُريق من دمائهم، فبيوتُهم خاوية، ونفوسُهم على أثر تلك البيوت قافية.

وعلى آلِهِ الذين تفتَّحت لهم كمائمُ المعاقل عن زَهرة النَّصر، وتحلَّى بعقود عُهودهم جِيدُ كلِّ عصر. [الكامل]

فجَنوا لهم ثمرَ الوقائع يانعاً ... بالْغُرِّ من ورق الحديدِ الأخضرِ

لازالت سُحُب الرَّحمة المُطَنَّبة بالقطر مخيِّمةً على مراقدهم، ولا برحَتْ تَحايا المُزْن مُهينِمة[4] بلسان الرَّعد على معاهدهم، ما سقى غديرُ المجرَّة روضةَ السماء، وزَها نَرجِس النَّجم تحت بنَفْسج الظَّلماء.

---

(١) البيت بلا نسبة في نفحة الريحانة ٢/ ١٥٣ .

(٢) هذا القول فيه إشارة إلى المثل: «سكت ألفاً ونطق خلفاً»، والمثل في مجمع الأمثال ١/ ٣٣٠، وفصل المقال ٥١، والمستقصى ٢/ ١١٩، وجمهرة الأمثال ١/ ٥٠٩ . والخلف هو الرديء من القول.

(٣) القتير: الشيب.

(٤) الهينمة: الكلام الخفي الذي لا يُفهم.

Marfat.com

هذا وإني كنت قبل أن تُشِيب منِّي الخطوبُ الذَوائبَ، وتصبحَ كبدي وأحشائي بلظَى النَّوائب ذوائبَ، والزمان ربيعٌ، ورَوْض الشباب مَرِيع، أعُد الأدبَ عنوانَ صَحائفِ الشَّمائل، وبيْتَ القصيد في ديوان المآثر والفضائل، أُنْفِق نَقْد عمري في اقتنائِه واقتناص شوارده، وأملأُ صدَف المسامع مما يستخرج غوَّاصُ الأفكار من فرائدهِ، وأَشِيم[1] بارقةَ السّحر من نَفثاتِه، وأشُمُّ عبِير السرور من أزدَان[2] نسماتِه، وأرتَشِف من طَبْعي ما يَنِمّ على سرِّ الزُّجاجة، وأشْتَفُّ منه ما أسْأرَتْه[3] الجُدودُ من ذُؤابة خفاجة، صُبابةَ مجدٍ لم يكدِّرها في جامِ المشارب وِزْدُ الخطوب، وازْدِحامُ الشَّوائب. [المتقارب]

فـإنِّـي مـن الـعـرب الأكـرمـيـن وفـي أوَّل الـدهـرِ ضـاع الـكـرمْ[4]

وما زلتُ على هذا الحال، منذ فارقني الحال، لا دأب لي إلا تلقي وفُودِه، لاسْتهداء تُحَفِ الأخبار التي هي ألطفُ من دمع الطَّلِّ في وَجَنات الأزهار. [الطويل]

ومَن يسألِ الرُّكبانَ مَن كان نائيا فـلابُـدَّ أن يـلْـقَـى بـشـيـراً ونـاعِـيَـا

مِن أحاديث يُشتَفى بها الغَليل، ويصِحُّ مِزاج النَّسيم العليل، تنْفتِح منها في رياض المُسَامَرة، مِن أجْفان الكمائِم عيونُ أنوارِها الزَّاهرة، ويحسُو فَم السَّمع منها ماءُ حياة يُطِيل عمرَ المسرَّة، وتكتحِلُ منها المآثرُ بما هو لعيونِها قُرَّة، مِن كل مَن هو لتشْييد المجد أكرمُ بانِي، حتى تكفل الثَّناءُ له بعمر ثاني، يشِيب في وجه السماءِ حاجبُ القمرِ هلالا، ويشتعل رأسُ الشمس شيباً ولم يَرَ له مِثالاً. [الطويل]

إذا ما روَى الإنسانُ أخبارَ مَن مضى فتحسَبُه قد عاش مِن أوَّلِ الدهرِ
وتحسبَه قد عاش آخرَ دهرِه إلى الحشْر إنْ أبْقى الجميلَ مِن الذِّكرِ
فقد عاش كلَّ الدهرِ مَن عاش عالماً كريماً حليماً فاغتنِمْ أطولَ العُمرِ

وسواءٌ تلفُّتُ المريض للطبيب، وفَرحةُ الأديب بلِقَا الأديب، لاسيَّما أهل العَصر، الهاصِري أغصانَ المُنَى ألطفَ هَصْر، القائلين في رياضِها، الواردين نَمِيرَ حياضِها، فقد سرَتْ كلماتُهم مَسْرَى الأرواح في الأجساد، وأُثْنِيَ عليها ثناءَ نسيم الرياض على العُهَّاد، وقد انتصر لكلِّ عصرٍ مَن أحْيَا مَيْتَه، وْعَمَّر من دارس عهودِه بيْتَه، كصاحب «اليتيمة» و«قلائد العِقْيان»، و«الدمية» و«الذخيرة» و«عقود الجُمَان»، وحَمِيَّة المرء لعصرِه، وقيامُه على منابر نصْرِه، من آياتِ الفُتوَّة، التي هي على لسان الحميَّة متلُوَّة، فليس منَّا مَن لم يَغْتَذِ بِدَرِّ المجد في مِهادِه، ولم يفتخِرْ في المحافل بأُستاذِه وإسنادِه، إلا أن الأدبَ في هذه الأعصار، قد هبَّتْ على أطلالِه ريحٌ ذاتُ إعْصار، حتى أَخْلَقتْ عُرَى المحامد، واسترْخَى في جريْهِ عِنانُ القصائد، وتقلصتْ أذيالُ الظِّلال، وخطب البلاءُ على منابر الأطْلال، وعفَا

---

(١) شمت البرق: نظرت إلى سحابته. (٢) الأردان: جمع ردن، وهو طرف الكم.
(٣) السؤر: بقية الشيء، وأسأر منه شيئاً: أبقى.
(٤) البيت بلا نسبة في نفحة الريحانة ٢/ ١٨١، وروايته:
(وإنـي مـن الـعـرب الأقـدمـيـن وقـد مـات مـن قـبـل الـخـلـق الـكـرمْ)

Marfat.com

رَسْمُ الكرام، فعليه منِّي السلام. [المتقارب]

ومـمَّـا أعـان عـلـيَّ الـزمـانَ عَـفـافُ يـدِي وعُـلُـوُّ الـهِـمَـمْ

والرُّؤساء شعراء لا ينظِمون ولا ينثرون، وما فيهم مِن صفاتِ الشُّعراء إلا أنَّهم يقولون ما لا يفعلون، وإذا كذَب مادحٌ أحدَهم اهْتزَّ وطرِب، وجَازَى مِن سَراب وعدِه بكذِب على كذِب، وبالوعد الفَطير لا يخمَّر الخَمِير. [المتقارب]

وبـأخْـسَـنْـتَ لا يُـبـاع الـشَّـعـيـرُ[1]

وبرَغْد الوعد، لا يُسقَى غَرس الحمد. [البسيط]

فـلا تـلـومـوه فـي وَعـدٍ يُـردِّدُه في وقتِ مذْحِي له علَّمْتُه الكذِبَا

ومع هذا، فكم هبَّتْ لهم أنفاسٌ معطَّرةٌ بالنجاح، مُزْرِية في وقتها بأنفَاس الصَّبا في الصَّباح، يهُزّ لها السَّماحُ هِيف معاطِفِه، وينشرُ تحت أقدامِها الزمانُ بِساطَ عواطفِه، تتمسَّك كفُّ الشَّمال بأذْيالها، وتتفيَّأ العشَّاقُ في هجير الأشواق ضَافِيَ ظلالها، وترِدُ صافيَ زُلالِها، مِن كلِّ حديثٍ تَلِيد وطارِف، له وَشْيٌ على كاهل المجدِ ولا كوَشْي المطارِف، تزهُ، به الطُّروس على صفحاتِ الخدود المُحَسَّنات بالسَّوالِف، في كل ورَقةٍ منها خمائل، تسوغُ مياهُ فصاحتِها في لَهَوات الجداول. [الطويل]

تـكـادُ يـدِي تـنْـدَى إذا مـا لـمـسـتُـهـا وينبُتُ في أطْرافِها الورقُ الخُضْرُ[2]

مِن كل مَن ألحق المتأخِّر بالمتقدِّم في تطْبيق مفاصِل معانيهِ، وإخراج مُخَبَّآتِ عِطْره من جُونَة مبانِيه، وإن تأخَّر عصرُه فلا بَاس، في تأخُّرِ النتيجة عن القِياس، والخدمُ تتقدَّم بين يدَي السَّادة، والسُّنَن أُمِر بتقديمها على الفروضِ في العبادة، وتقدُّم الآحاد، يرقى مرتبةَ الأعداد. [الكامل]

أو مَـا تـرى أن الـنـبـيَّ مـحـمـداً فـاقَ الـبـريَّـة وهْـو آخِـرُ مُـرسَـلِ[3]

فيا أدِلاَّء الهُدَى إنِّي آنستُ من جانب الطُّور ناراً بها تَهْتدون، أو آتيكم بِشهاب قبس لعلكم تصْطَلون[4]، فإن لم يترُك الأوَّل شيئاً للآخِر، فخيرٌ مِن الكثير الغائب القليلُ الحاضر، ويا مَن هم في مُحيَّا الأيام حسَنة، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

---

(١) التمثيل والمحاضرة ١٠٧ .

(٢) البيت لأبي صخر الهذلي في ديوانه ٩٥، والظرف والظرفاء ٣٢٩، والعمدة ٦٦٨، والوساطة ٢٦١ .

(٣) البيت بلا نسبة في ديوان الصبابة ١٥، والظرف والظرفاء ١٧١، وروايته:

(أتـشـك فـي أن الـنـبـي مـحـمـداً ســاد الـبـريـة وهـو آخـر مـرسـلِ)

وانظر: التمثيل والمحاضرة ٢١ .

(٤) هذا القول فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

Marfat.com

[الأحزاب: ٢١]، فلا يُزْرِ بالنَّوْر تأخُّرُه عن غِراس أغْصانِه، ولا يُكِلّ مَضاءَ السِّنان كونُه في أطْراف مُرَّانِه[١]، على أنه قد تتساوى الأصائلُ والبُكُر، وتتشابه طُرَرُ العشِيَّات والسَّحر، وليس إلا للحسد رغِبتِ الطَّبائع، عن محاسنَ للعصرِ هي مِلءُ الأفواهِ والمسامِع. [الطويل]

وما شُكْرُهم لِلمَيْتِ إلاَّ لأنَّه ... بما حلَّ في أيديهِمُ غيرُ طامِعِ

وللهِ دَرُّ ابن رَشِيق[٢]، في قوله[٣]: [الخفيف]

أُولِعَ الناسُ بامْتداح القديم ... وبذمِّ الجديدِ غير الذَّميمِ
ليس إلاَّ لأنهمْ حسَدُوا الحيَّ ... فرقُّوا على العظام الرَّميمِ

والحُرُّ وإن حلَّ تيهاً وبَادِية، فستغدُو محاسنُه على رغْم الخمول باديةَ، ولنا في ذِمَّة الدهر ديونٌ بأوقاتها مرهونَة، فإذا جاء إبَّانُها فكَّ الزمانُ رُهُونه.

على أنِّي أستغفر اللهَ مِن دهرٍ كلَّت فيه مُرهَفاتُ الطِّباع، ونَفضت الآمالُ فيه يدها من غُبار الأطماع، وَافيْناه على الهَرَم، وقد قلع ضِرْسَ النَّدم، بعد ما أكل باكورةَ الكرماء، وشابتْ بالصباح لياليه الدَّهْماء، ودبَّ خَرِفاً على عصا الجوْزاء.

وكنت لما ذبُل بالنَّوى عيْشِي النَّضِر، وَلَيْت سِياحةَ الآفاقِ فَصِرت خليفةَ الخَضِر، تهادتْني التَّنائِف[٤]، وقذفَتْنِي الأمانيُّ في لَهَوات المخاوِف، كأنِّي قَذَاة بأجفانِ الدهر، أو سَفَاة[٥] بوجْه نهر، أو كُرَة لاعب، أو سهم محارب، طَوْراً أُشَقِّق قلب الشرق كأنِّي أُفتِّش على الفجْر، وتارةً أُمزِّق كِيس الغرب حتى كأنِّي أُريد أن أُخرِج منه دينار البدْر، أُفلِّي لُمّةَ ليلٍ دجَا، شاب فوقَها فِرْقُ ابنُ جَلا، يُخيَّلُ لي أن البلادَ مَسامع أنا فيها مَرُّ الْملام، أو فكْرَ بليدٍ أنا حَوْله معنىً دقَّ أن تتصوَّره الأوْهام، غريبٌ في عيون الظُّنون، كأنِّي بيت حسَّان بن ثابت[٦] في ديوان سَحْنون[٧]، أو مُصحَفٌ في بيت زِنْدِيق، أو عابد في صَوْمعة بِطْرِيق، أو بِكرُ معنىً سار في مثَل، أو غَضُّ عمرٍ جرى خلفَه رائدُ أجَل، أو خَبر لم يصِحَّ له سنَد، فلم

---

(١) المران: الرماح الصلبة اللدنة.

(٢) ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي (٣٩٠ - ٤٦٣هـ): أديب، نقاد، باحث. ولد في المسيلة بالمغرب، ورحل إلى القيروان سنة ٤٠٦ ومدح ملكها، واشتهر فيها. من كتبه: العمدة، وقراضة الذهب، وأنموذج الزمان، وغيرها. (الأعلام ٢/ ١٩١).

(٣) البيتان لابن شرف القيرواني، ووهم المؤلف ونسبهما إلى ابن رشيق، ولعل سبب الوهم أن كلاً منهما يعرف بالقيرواني. والبيتان في ديوان ابن شرف القيرواني ٩٧، ورسائل الانتقاد ٣٩، وألف باء البلوي ١/ ٥٩-٦٠.

(٤) التنائف: جمع تنوفة، وهي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف.

(٥) السفاة: شوك البهمى والسنبل، وكل شيء له شوك. والسفاة أيضاً: الغبار أو التراب.

(٦) حسان بن ثابت الأنصاري (... - ٥٤هـ): صحابي، شاعر الرسول ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. كان شديد الهجاء، فحل الشعر. (الأعلام ٢/ ١٧٥ - ١٧٦).

(٧) سحنون: عبد السلام بن سعيد بن لبيب التنوخي (١٦٠-٢٤٠ هـ): قاض، فقيه، انتهت إليه رئاسة العلم في المغرب. كان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله. (الأعلام ٤/ ٥)، وهدية العارفين: ١/ ٥٦٩.

Marfat.com

يقبلْهُ من الثِّقات أحد: [الطويل]

كـأنَّ لـه دَيْـنـاً عـلـى كـلِّ مـشـرقٍ مِن الأرض أو ثَاراً لَدَى كلِّ مغربِ

أرِدُ مواردَ الحُوب[١]، مُكدَّرة بغُصَص الخطُوب، فلم أُرِبّ[٢] ببَذْوٍ ولا حضَارة، كأنَّني من الشُّهب السَّيَّارة، وقد قيل تنزِل الألقابُ من السَّما، فلكلٍّ من اسْمه نصيبٌ انْحطَّ أو سَمَا: [الخفيف]

وطني حيثُ حطَّتِ العِيسُ رَحْلِي وذراعِـي الـوِسـادُ وهْـيَ مِـهـادِي

فكل جوْلي بين إبْراقٍ وإزْعاد، وأمانيّ في مَهامِهِ الحيرة بين إتْهام وإنْجاد، والزمانُ يُضمِر سَلْبَ ما أوْلاه بُخْلاً إن جَاد، وألسنةُ أبنائِه عن الإجابة صُمْت، وآذانُهم عن صَرِيخ الاسْتغاثةِ صُمَّت، فقد خَلا من المكارم مَغْناها، وأصبح لا يجاوِب البُومَ إلاَّ صَداها.

لكنني مع أهواله، ودُروس رُسوم السرور في أطْلالِه، وإن توسَّدتُ ذراعَ الهمِّ في دياجيها، وقطعتُ ظُلمةَ الشَّدائد في سَنَا بدْرِ أمانيها، أتعلَّل بأن السيفَ لا يقطعُ في قِرابِه، والليثَ لا يصِل لغرض الفرائس في غابِه، ولولا مُفارقة القوس ما أصاب سهم، ولولا بُعْد الدُّرّ عن الصَّدف لم يَظْفَرْ من الغِيد بأوْفَى سهم، فلذلك أُضَاحِك مباسِمَ الأمانِي، وأُغازِل عيونَ الآمال والتَّهاني، وأُنزِّه طَرْفي في رياضِ الدَّفاتر، ولم أَقِل مع السرور إلا في ظلِّ طائر، فزمان مسرَّاتي أقصرُ مِن عمر الكرام، وفؤادي لم يهْتَدِ إلى طُرُق سَلْوة المُدَام، في أُوَيْقات أثقل من السُّؤَّال، وأطول من عمر الآمال، أشْأمُ مِن وجه خَنَّاس، وأثقلُ من غريمٍ مُلِحٍّ على إفْلاس.

ولم يكْفِ الدَّهْرَ ما ورَّثنِيه من الحِرمان، حتى ابْتلاني بعد الإثْبات بالنَّفْي كأنِّي نِكْتُ أُمَّ الزَّمان، وأنا أستغفر الله جلَّ وعلا، ولا أرْتضي بمعَرَّة أبي العَلا[٣]، في قوله[٤]: [الطويل]

إذا مـا ذكـرْنَـا آدمـاً وفِـعَـالَـه وتزْويجَه لابْنَيْهِ بِنْتيْهِ في الْخَنا

علِمْنَا بأنَّ الخلقَ مِن نسلِ فاجرٍ وأن جميعَ النَّاسِ مِن عُنْصُر الزِّنَا

فإنه كفرٌ مِن وَسْوسة الشياطين، وغُلُوّ مِنه في خَلْعِه رِبْقَةَ الدين، بل أقولُ ما قال ابن عُنَين[٥]: [م. الكامل]

---

(١) الحوب: الهلاك.
(٢) أرِبّ بالمكان: أقام.
(٣) أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي (٣٦٣-٤٤٩ هـ): شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. أصيب بالجدري صغيراً، فعمي في السنة الرابعة من عمره. (الأعلام ١/ ١٥٧).
(٤) البيتان للمعري في خريدة القصر، قسم الشام ٣/ ٢٥٢، ومعاهد التنصيص ١/ ٥١، ونكت الهميان ١٠٦، والنور السافر ٤١٠ .
(٥) ابن عنين: محمد بن نصر الله بن مكارم الأنصاري الدمشقي (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ): أعظم شعراء عصره. مولده ووفاته في دمشق. كان هجّاء، قلّ من سلم من شره في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين الأيوبي. (الأعلام ٧/ ١٢٥). هدية العارفين: ٢/ ١١٣ .

Marfat.com

انْـفُـوا الـمُـؤذِّنَ مِـن بـلادِكُـمُ إن كـان يُـنْـفَـى كـلُّ مَـن صَـدَقَـا[١]

وللحسن بن أبي عُقامة في الردِّ عليه، أي على أبي العلاء: [الطويل]

لَـعَـمْـرِيَ أمَّـا فـيـك فـالـقـولُ صـادقٌ وتكذِبُ في الباقِينَ مَنْ شَطَّ أو دَنَا[٢]

كـذلـك إقـرارُ الـفـتـى لازمٌ لـه وفـي غـيـرِهِ لَـغْـوٌ كـذا جـاء شـرْعُـنَـا

فلا سَمِير لي أجالسه، ولا نديمَ لي أُؤانِسه، سوى أوراقٍ كنت خلعت عن مَنْكِب الإقبال بُرْدَها الخلِيع، وجعلتُها كبَيْت العَرُوض ادِّخارُها للتَّقطِيع، فوجدتُ فيها نُبذاً مِن المحاسن أسرَّها الدهرُ في خاطره، شاهدةً لقوْلِ مَعْدِن الحِكَم: «أُمَّتِي كَالْمَطَر لا يُدْرَى الْخَيْرُ فِي أَوَّلِهِ أَمْ فِي آخِرِهِ»[٣]، ممَّن جَرَّ عليه الزمنُ أذيالَ الفَنَا، وأسكنه تحت أَطْباقِ الثَّرى، فحلَّ مُخَيَّمَ البِلَى، كأنه سِرٌّ في صدرِه، ومِن باقٍ على هامةِ الليالي تعْبَق أنفاسُ الرُّواةِ بذكْرِه، ممَّن ركِبتُ لرُؤْياه مطايَا أُمِّ عمري، أو نابتْ عنِّي في مشاهدتِه أهلُ عصْرِي، فاجتلَوتُ مُحيَّاه، أو رأيتُ مَن رآه، حتى طرِبتُ على الاسْتماع، وعلمتُ أنَّ الذِّكرى طَيفُ الاجتماع، وإذا كان الحِبُّ مَنُوع، فالصَّبّ قَنُوع، يتعلَّل ببارق ثَنيَّة، وتكْفِيه لمْحَةُ إشارةٍ أو تحيَّة. [الطويل]

فإن تمنعُوا ليلي وحُسنَ حديثِها فلن تمنعُوا مِنِّي البُكا والقوافِيَا[٤]

فـهـلاً مـنـعـتُـمْ إذ مـنـعـتـم حـديـثَـهـا خَـيـالاً يُـوافِـيـنـي عـلـى النَّـأي هـاديَـا

فجمعتُ منها ما هو لطَرْف الدَّهر حَوَر، ولِجيد الأدب عِقْد يبْسَم منظومُه هُزْواً بعِقد الدُّرَر، ولكأس الأدب خِتام، ولِعقْد حُبَابه نِظام، تُذكِّر العهودَ والمودَّة، وتطلع في وَجْنة الوفاء وزْدَة، وتندُب من ألْقى للبَلاءِ قِيادَه، وتُلبِس عليه وجْهَ الطُّرس حِدَادَه، وتسِيل في عاتقِ المحاسن غَوالِياً، وترقُّ فلا تَدري ألفظٌ رقَّ أم دمْع ترقْرَق جارياً، وتسجُد الأقلام في محراب طِرسها الذي هو للمحاسن جامِع، ويَودُّ كل عضو إذا تُلِيتْ أحاديثُها لو أنه مسامِع، وهي وإن كانت عِقْداً منتثراً دُرُّه، وأُفُقاً تبدَّد بيد الصباح زُهْرُه، ونَوْراً نشرتْه كفُّ الشَّمال، فانتظم على ترائِب الماءِ السَّلْسال، فلرُبَّما نُثِر العِقْد المُفصَّل، ليعود أحسنَ في النِّظام وأجْمل.

فهذه ذخائرُ من «خبايا الزَّوايا، فيما في الرِّجال من البَقايا» تنفَّس الدهرُ بها عن نفْحةٍ عنبريَّة، وهبَّتْ بها أنفاسُه النَّدِيةُ نَدِيَّة، تنفُّسَ الروض في الأسحار بأفواه العبير عن أفْواهِ

---

(١) ديوان ابن عنين ص٩٤ .

(٢) البيتان للحسن بن أبي عقامة اليمني في فريدة القصر ٣/ ٢٥٣، ومعاهد التنصيص ١/ ٥١، ونكت الهميان ١٠٧، والنور السافر ٤١٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في صحيحه ٢/ ١٤٢، برواية: «مثل أمتي مثل المطر، لا يدري أوله خير أم آخره».

(٤) البيت الأول يشبه بيتاً لمجنون ليلى في ديوانه ٢٩٤، وهو:

فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادها عليّ فلن تحموا عليّ القوافيا

Marfat.com

النَّوْر والأزهار[١]. [الكامل]

يَسْرِي على رَيْحانِها نفَسُ الصَّبَا سَحَراً فيُوهِم أنه ذِكْراهَا

فلذا سمَّيْتُها:

ريحانة الأَلِبَّا، وزهرة الحياة الدنيا

فإني شمَمْت بها روائحَ الشَّباب، ونظرتُ في مِرآتها وُجوهَ الأحباب، وتذكَّرتُ غابِرَ الأيَّام، إذ العيشُ غضٌّ والزمان غُلام، مِن أعلام شُمِّ الأُنوف إن دعى بهم بوّ[٢] الصغار تشمَّخ، في غُرَر أيَّام تُقام بها مواسمُ الدهرِ وتُؤرَّخ.

وجعلتُ مِسْكَ الخِتام، ذكرَ سادةٍ من العلماء الأعلام، فإنَّ بصَبا أنفاسهم ينْقشِع غَمامُ الغُمَّة، وبذِكْرِهم في نادِينا تنزِلُ الرَّحْمَة.

فإن عَذُبت مواردُها، فَلْتُقرَن بالدعاء فرائدُها، فإن عُثِر منها على كَبْوة، فليَبذُل لها اللبيبُ عفوَه: [الطويل]

على أنَّني راضٍ بأن أحملَ الهوَى وأخلُصَ منه لا عَلَيَّ ولا لِيَا

وهأنذا أُمتِع الأسماع، بربيع أحْوَى الظِّلال ألْمَى التِّلاع، فإذا رأيتَ كلاماً لأهل العصر لم تترنَّح أعطافُه لهذا النَّسيم، فتمتَّع من شَمِيم عَرارِ نجدٍ فما بعدَه من شَمِيم[٣]، فليس مِن ليْلِي ولا سَمَره، ولا مما يُهدَى لنا من الأدب باكورةُ ثَمرِه، فكم من أشعار، للبُخل فيها أعذار: [الكامل]

تَاللهِ ما بخِل الكرامُ وإنَّما لِبُرودةِ الأشعارِ قد جَمُد النَّدَى

فما كل مُرتفِع نَجد، ولا كل وادٍ يُنبِت الشِّيحَ والرَّنْدَ[٤]، وما كل سَوْداء تَمْرة، ولا كل صَهْباء خمرَة، ولا كل بيْضاء شَحْمة[٥]، ولا كل حمراء لَحْمة، ولا كل نبْتٍ يعلو بنَمَائِه، ولا كل بَرْقٍ يجود بمائِه.

اللهم بحُرمةِ سيِّد الأنام، كما يسَّرتَ الابتداء يَسِّر الاختتام، صارفاً عنا سُوءَ القضا، ناظراً إلينا بعيْنِ الرِّضا.

---

(١) هذا القول نقله المحبي في نفحة الريحانة ٤/ ٣٩٧ في معرض حديثه عن الخفاجي.

(٢) البوّ: ولد الناقة، أو جلد الحُوار يحشى تبناً أو ثماماً أو حشيشاً لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها، ثم يقرب إلى أم الفصيل لترأمه فتدرّ عليه.

(٣) هذا القول مأخوذ من بيت للعمة القشيري في ديوانه ٧٨:

(تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار)

(٤) الرند: الآس، أو العود الذي يتبخر به، وقيل: شجر من أشجار البادية وهو طيب الرائحة يستاك به.

(٥) من الأمثال قولهم: «ما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء تمرة» والمثل في مجمع الأمثال ٢/ ٢٨١، والمستقصى ٢/ ٣٢٨، والفاخر ١٩٥، وجمهرة الأمثال ٢/ ٢٢٦، ٢٨٧.

Marfat.com

القِسم الأوّل

في محاسن أهل الشَّام ونواحِيها، ومَن بَرَزَ من سُرَّةِ رُبَاهَا وبطن وَادِيها، وتغذَّى بنسيمِها، وتربَّى في حِجْرِ رياض نعيمها وقال في ظلالِ أغصانها المُتعانِقَة هوًى وَوُدّاً، وتعطَّرَ بأنفاس شَمَائِلها التي صارت للنَّدِّ نِدّاً، وطعِم من مائِها العذب، وَرَوِي بِذَوْبِ لؤلؤها الرَّطْب، وهو ماءُ الحياةِ في سائرِ الصِّفات إلا أنه في نور التَّقديس وهو في الظُّلمات.

١- أحمد العِنايَاتِيّ

صديقُ الصِّدق، وخِدْن الصلاح، شقيق النَّدى، وتَرْب السَّماح، رَوض سجيَّته غضٌّ ناضر، لو رآه المُتنَبِّي لقال ما هذا إلا ساحر، خلَب الأسماع بنَفَّاثاتِه، ونسَج على مِنوال الرِّقَّة حُللَ عِناياتِه.

ذو حسَب تَلِيد، وبَاعٍ في المجد طويلٍ مَدِيد، لم يُسطَّر مثل محاسنِه في كتاب الزمان، ولم تُملأ بأَنْفسَ من جواهره حِقاقُ الآذان، فيا لَها جواهر إذا شاهدها مُفتقِر إلى البيان: أغْناه ياقوتُها وجوهرُها، وخَرائد جَمَعت له بين الحُسْن والإحسان منظرها طيِّب ومخبرها، تُغرِّد على قُضُب براعته حمائمها، وتفوح أنوارُ بلاغتِه إذا فَضَّت الطُّروس عنها كمائِمها، طلعت شمسُ الأدب من أُفُق أشعارِه، وتفجَّرت ينابيعُها من خِلال آثارِه.

وهو الآن في جبهة الشام غُرَّة، وفي حدائقها النَّضِرة زهرَة، وفي سماء كمالها الزَّاهية زُهَرَة، وقد حَلَّى بحُلَل الزهد كمالَه، ورأى برأْيِه الصَّائبِ أسْمَالَه أسْمَى لَه، لم يحتفِل بأمر غَد، قانعاً بظلِّ الخُمول نكَداً أم رَغَد، قائِلاً في خمائِله الرِّحاب، عفَّ السَّريرة طاهرَ الأثواب، لم يَشْرَق بسُؤال، ولم يَغَصّ بنَدامة الآمال، ولم يألَف سكَنا، ويتوطَّن مَسْكنا. كما قيل: [الرجز]

ومِن عجيبٍ أن أكونَ شاعراً ... وليس لي في النَّاسِ بيتٌ يُعرَفُ

كما وصف زِيَّه في قصيدته الزَّائيَّة بقوله[1]: [المتقارب]

١- أحمد بن أحمد المكنى بأبي العنايات (٩٣٢ - ١٠١٤هـ): نابلسي الأصل، ولد بمكة، وسكن دمشق، وتوفي فيها. شاعر غزل، وأحد بلغاء عصره، جمع شعره بين جودة السبك وحسن المعنى. (تراجم الأعيان ١/ ١٩٢، وخلاصة الأثر ١/ ١٦٦).

(١) الأبيات عدا البيت الأخير في خلاصة الأثر ١/ ١٦٧ .

Marfat.com

إذا لـــم أعِـــزَّ فـــمـــن ذا يـــعِـــزُّ ... وفَـقْـرِي وقَـنـعِـي كَـنْـزٌ وحـرْزُ
لبِستُ من اليأس في الناسِ ثوباً ... عـلـيـه مـن الـعـقْـل والـفـضْـلِ طَـرْزُ
ولـــســـتُ أرى الـــذُّلَّ إلا إذا كـــا ... ن في الحُبِّ والذلُّ في الحبِّ عِزُّ
ومـثْـلِـيَ حـرٌّ عـبَـاةٌ غِـنَـاهُ ... إذا اسـتـعـبـدَ الـنـاسَ خَـزٌّ وبَـزُّ
وسِـيَّـان مَـن حَـبَّ أو مَـن قَـلَـى ... ومَـن راح يـمـدحُ أو راح يـهْـزُو

ومن غرره قوله: [البسيط]

قلبي على قَدِّك الممشوقِ بالهيَفِ ... طيرٌ على الغصن أم همْزٌ على الألفِ
وهـل سُـوَيْـداه أم خَـالٌ بـخـدِّك أم ... خُـويـدِمٌ أسـودٌ فـي الـرَّوضـةِ الأُنُـفِ
وهـذه غُـرَّةٌ فـي طُـرَّةٍ طـلـعـتْ ... أم بـدرُ تِـمٌّ بَـدَا فـي ظُـلـمـةِ الـسُّـدَفِ
تخْفى النجومُ بنورِ البدر وهو بنُو ... ر الشمس وهْيَ بنُور منك غيرُ خَفِي
يا بدرُ قلبي وطرفي فيك مُنتصِفٌ ... بالوصْل منك وهذا غيرُ مُنتصِفِ
القلبُ واصَلْتَ فيه وَصْلَ مُمتزِجٍ ... والطَّرفُ صَدَّيت عنه صَدَّ مُنحرِفِ
ظَبْيٌ تـألَّفتُ منه غيرَ مُلتَفِتٍ ... غُصنٌ تعطَّفتُ منه غيرَ مُنعطِفِ
شِـفـاءُ حَـرِّ غـلـيـلـي بَـرْدُ رِيـقـتِـهِ ... والبُرْءُ مِن دَنَفي في لَحْظِهِ الدَّنِفِ
وَيْلاهُ من وردِ خدٍّ غير مُقتطَفِ ... مِنْهُ ومن خَمْر ريق غير مُرتشَفِ
عـذلـتُ عـاشـقَ عَـذْلـي فـي مـحـبَّـتِـهِ ... فاعْجَبْ لذي شَغَفٍ يلحِي على الشَّغِفِ
يـظُـنُّ أن سِـواه مـنـهُ لـي خَـلَـفٌ ... أساء في الظَّنِّ هل للروح من خَلَفِ
عُذْريُّ عِشقي عُذْرِي فيه مُتَّضِحٌ ... كوجهِه وهو مثلُ الشمسِ في الشَّرَفِ
فنِيتُ سُقماً بخَضرٍ منه مُختَصَرٌ ... فيه وطَرْفِي ونوْمي جِدُّ مُختلِفِ
يطير قلبي إلى ألحاظِهِ شَغَفاً ... فاعْجَبْ له كيف يرْمي السَّهْمَ بالهدفِ
يا أيها الرَّشَأُ الضَّارِي على مُهَجِ الْـ ... ـآسادِ بالسَّيْفِ مِن جَفْنَيْهِ لم يَخِفِ
بما بحُسنِك مِن تِيهٍ ومن صَلَفٍ ... وما بِعِشْقِيَ من ذُلٍّ ومن كَلَفِ
اللهَ في كَبِدٍ للوجدِ في كَمَدٍ ... إليك أسْرَف فيها الشوقُ في السَّرَفِ
ومُغْرمٍ ما له مَن مُسعِفٍ لعبتْ ... به اللَّواعجُ لِعْب الرِّيح بالسَّعَفِ
أَشْفَى مِحَاق الضَّنَى لما هجرتَ به ... على التّلاف ولو واصلْتَه لشُفِي
يـا بـاخِـلاً بـلِـقـاهُ بـاذلاً لـدمـي ... فالوعدَ يخْلِف منه والوَعيد يَفي
حُزتَ الجمالَ ألا تُولِي الجميلَ فقد ... يُصادَفُ الحُسن بالإحسان في الصَّدَفِ

تتمـــة

اعتُرض على هذا المطلع بأنه لا وجه لتشبيه القلب بالهَمْز.

Marfat.com

وأُجيب بأن له وجهاً؛ لأنه وقع تشبيههُ بالطائر لخفقانه، وهم قد شبَّهوا الطيرَ على الغصن بالهمز، والغصنَ بالألف، ولما شاع هذا شبَّه به القلب، وقدَّ الحبيب، فهذا في باب التشبيه كالمجاز على المجاز، والكناية على الكناية، كما قيل في وصف قصيدة هَمْزيَّة: [الخفيف]

والقوافي إليك حَنَّتْ حنِيني ... فتأمَّلْ فهمْزُها وزْفاءُ

وقوله: «والبُرْءُ مِن دَنَفِي» إلخ، معنى مشهور، كقول ابن مَطْرُوح[1]: [الرمل]

أشتكي سُقْمِي إلى أجْفانِه ... ومتى يُشْفَى سِقامٌ بِسِقَمْ[2]

وقوله: [الكامل]

ورنا إليّ بطَرْفِه فكأنما ... أهْدَى السَّقامَ لمُدنَفٍ من مُدْنَفِ

وقول ظافِر الحدّاد[3]: [الطويل]

مريضُ لحاظِ الطَّرْفِ لولا جُفُونُه ... لما كنتُ أدْرِي السُّقْمَ كيف يكونُ

وأصله قول المتَنَبِّي[4]: [البسيط]

أعارني سُقْمَ عيْنَيْهِ وحمَّلنِي ... مِن الهوَى ثِقْلَ ما تَحْوِي مآزِرُهُ[5]

وقوله: «فاعجب له كيف يرمي السهم بالهدف» نوع من البديع يُسمَّى العكس، بديعٌ في بابه، وهو كقول الذّهَبيّ: [المتقارب]

يطيرُ فؤادي لألْحاظِه ... غراماً وشوقاً وفيها التَّلَفْ

فيا مَن رأى قبْلَها أسهُماً ... يطيرُ اشتياقاً إليها الهدَفْ

ونحوه قول ابن نُبَاتَة المِصْرِيّ[6]: [الكامل]

صيَّرتَ نوميَ مثلَ عِطْفك نافراً ... وتركتَ عزْميَ مثل جَفْنِك فاترَا[7]

---

(١) ابن مطروح: يحيى بن عيسى بن إبراهيم (٥٩٢ - ٦٤٩ هـ): شاعر أديب مصري. خدم الملك الصالح أيوب، وتنقل معه في البلاد. وأعرض عنه خلفاء الصالح، فأقام مخمولاً، إلى أن توفي. (الأعلام ٨/ ١٦٢).

(٢) ديوان ابن مطروح ١٧٥ .

(٣) ظافر الحداد: ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي، أبو نصر الحداد (. . . - ٥٢٩ هـ): شاعر، من أهل الإسكندرية. كان حداداً. له ديوان شعر.

(٤) المتنبي: أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ): الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. (الأعلام ١/ ١١٥)، هدية العارفين: ١/ ٦٤.

(٥) ديوان المتنبي: ١٧٥ .

(٦) ابن نباتة المصري: محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري (٦٨٦ - ٧٦٨هـ): شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميافارقين، ومولده ووفاته في القاهرة. (الأعلام ٧/ ٣٨).

(٧) ديوان ابن نباتة ١٨٩ .

Marfat.com

وسكنْتَ قلباً طار فيك مسَرَّةً أرأيْتَ وكراً قطُّ أصبحَ طائرَا

ومما أنشدتُه له قولَه أيضاً من قصيدة: [الكامل]

يا أيُّها الملأُ المِلاحُ افتُوني مَن ذا أباح لكم دمَ المفتُونِ
مِن كل أسْمرَ سَنَّ قتلَ مُحبِّه بسِنان أخْورِ طَرْفِه المسنُونِ
قمرٌ له في القلب أشرفُ منزلٍ إن المكان مُشرَّفٌ بمكِينِ
روضٌ نضيرٌ لم يرُدْه ناظرٌ إلا ورَدَّ عيونَه بعُيونِ

العيون: جمع عَين بمعنى الباصِرة، وبمعنى الجاسوس.

يحمِي بنَرْجِسِه أقاحِي ثغرِهِ ويصونُ وَرْدَ الخدِّ بالمرسينِ
وحياتهِ وهي اليمينُ وإنها وحياتِهِ عندي أبرُّ يمينِ
ما خنتُه إنِّي وشخصُ جمالِه حيث اتّجهتُ عليَّ مِثلُ أمينِ
قرَن الودادُ له فؤادي بالأسى أكذا يُجازَى وُدُّ كلِّ قَرينِ
فاترُكْ حديثَ شجونِ مَن قتل الهوى قبْلي وخُذ منِّي حديثَ شجوني
قسماً لو ان العامريَّ مُعَمَّرٌ ما جُنَّ إلا مُعجَباً بجنونِي
والعقلُ منِّي ضاع في ثغرٍ له فيه الثَّنايا بين مِيم سينِ
يا ذا الْمَلاحةِ والذي بجَبينِه في كل ليل مَلامةٍ يهذِيني
لا يطرُقنَّ اللَّومُ باب مسامِعي وعليه مِن صُدْغَيْك كالزُّرْفِينِ[1]
يا لائمِي لك في الملامةِ دِينُكَ الْواهِي كما ليَ في الصَّبابة دِينِي
لا يخطُرُ السُّلوانُ عنه بخاطرِي إلا ورُدَّ من الجوَى بكَمِينِ
كم خُضْتُ بَحرَ الموتِ دون وصَالِه الْغالي ولم أكُ قانعاً بالدُّونِ
وشَفَيْتُ حرَّ الوجدِ مِن برْدِ اللَّمَى عِلْماً بأن الماءَ مَا يشْفِينِي
مُتعجِّباً من خدِّه بالماءِ يزْ ويُنِي أساً وبنارِه يُوريني
وبخطِّ عارِضِه أُسَاورُ أرْقماً منه فأقرأُ منه ما يَرْقِينِي
ويظُنُّني حاشاهُ أسلُو حبَّه واللهُ مِن ظنِّ الحبيب يقينِي

وهي عِراض قصِيدة الرئيس أبي منصور عليّ بن الفضل، الكاتب المعروف بصَرّ دُرّ[2]: [الكامل]

أكذا يُجَازَى وُدُّ كلِّ قَرين أم هذه شِيَمُ الظِّباءِ العِينِ[3]

(١) الزرفين: حلقة الباب، وزرفن صدغيه: جعلهما كالزرفين.
(٢) صر در: علي بن الحسن بن علي البغدادي (... - ٤٦٥ هـ): شاعر مجيد، من الكتاب. كان يقال لأبيه صر بَغر لبخله. قال الذهبي: لم يكن في المتأخرين أرق طبعاً منه، مع جزالة وبلاغة. تقنطر به فرسه، فهلك بقرب خراسان. (الأعلام ٤/ ٢٧٢).
(٣) ديوان صر در ٥٣ - ٥٦، وذكر المحبي البيتين (١٨، ٢٠) في نفحة الريحانة ٤/ ٤٠٧ .

Marfat.com

قُصُّوا عليَّ حديثَ مَن قتَل الهوى ... إن الـتَّـأسِّـي رَوْحُ كـل حـزيـنِ
ولئن كتمتُمْ مُشفِقين فقد درَى ... بـمـصـارعِ الـعُـذرِيِّ والـمـجـنـونِ[١]
فـوق الـرُّكـاب ولا أُطِيـل مُـشَـبِّـهـاً ... بـل ثَـمَّ شـهـوةُ أنـفُـسٍ وعـيـونِ
هُـزَّت قـدودُهـم وقـالـت لـلـصَّـبَـا ... هُـزُوْا أعـنـد الـبـان مِـثْـلُ غُـصـونِي
وكـأنـمـا نـقَـلـتْ مـآزِرهـم إلـى الـ ... ـجَدَد الـحـمـى الأنـقـاءَ من يَبْرينِ[٢]
ووراءَ ذيَّـاك الـمُـقـبَّـل مَـوْرِدٌ ... حَـضـبـاؤُه مِـن لُـؤلُـؤ مـكـنُـونِ
إمَّا بيوتُ النَّخْل بين شفاهِهم ... مـنـضُـودةً أو حـانـةُ الـزَّرْجُـونِ[٣]
تـرْمـي بـعـينـيْك الـفِـجـاجَ مُـقـلِّـباً ... ذاتَ الـشِّـمـال بـهـا وذاتَ يـمـيـنِ[٤]
لـو كـنـتَ زَرْقـاء الـيـمـامـة مـا رأتْ ... مـن بـارقٍ حَـيّـاً عـلـى جَـيْـرُونِ[٥]
شـكْـواك مِـن لـيـل الـتِّـمـام وإنَّـمـا ... أرْقَـى بـلـيـلِ ذوائـبٍ وقـرونِ[٦]
ومُـعـنَّـفٍ فـي الـوجْـدِ قـلـتُ لـه اتَّـئِـذْ ... فـالـدَّمـعُ دمْـعِـي والـحَـنـيـن حَـنـيـنـي
مـا نـافِـعـي إنْ كـان لـيـس بـنـافـعـي ... جـاهُ الـصِّـبَـا وشـفـاعـةُ الـعـشـريـنِ
لا تُـطـرُقَـنْ خـجـلاً لـلَـوْمـةِ لائـم ... مـا أنـتَ أولُ حـازمٍ مَـفْـتُـونِ
أأسـومُـهـمْ وهـمُ الأجـانـبُ طـاعـةً ... وهـوايَ بـيـن جـوانِـحـي يَـعْـصِـيـنـي
دَيْـنِـي عـلـى ظَـبْـيـاتِـهـم مَـا يَـنْـقَـضِـي ... فـبـأيِّ حُـكـمٍ يـقـبـضـون رُهـونِـي
وخَـشِـيـتُ مِـن قـلـبـي الـفِـرارَ إلـيـهـمُ ... حـتـى لـقـد طـالـبْـتُـه بـضـمـيـنِ
كـلَّ الـنَّـكـالِ أُطـيـقُ إلاَّ ذِلَّـةً ... إن الـعـزيـز عـذابُـه بـالـهُـونِ
يـا عـيـنُ مـثـلُ قَـذَاكِ رُؤيـةُ مَـغْـشـرٍ ... عـارٍ عـلـى دُنـيـاهـمُ والـدِّيـنِ
لـم يُـشـبِـهـوا الإنـسـان إلا أنـهـمْ ... مُـتـكـوِّنـونَ مـن الْـحـمَـا الـمـسْـنُـونِ

---

(١) العذري: عروة بن حزام العذري، والمجنون هو مجنون ليلى، وكلاهما قضى من العشق.
(٢) الجدد: ما استرق من الرمل. يبرين: من أصقاع البحرين، به منبران، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة، بينه وبين الأحساء وهجر مرحلتان. وقيل: يبرين بأعلى بلاد بني سعد. (معجم البلدان ٥/ ٤٢٧).
(٣) الزرجون: الخمر.
(٤) الفجاج: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين.
(٥) زرقاء اليمامة: من أهل اليمامة، مضرب المثل في حدة النظر وجودة البصر. قالوا: إنها كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام. (ثمار القلوب ١/ ٤٦٥ - ٤٦٦ .
- بارق: ركن من أركان عرض اليمامة وهو جبل. (معجم البلدان ١/ ٣٢٠).
- جيرون: قرية الجبابرة في أرض كنعان. وقيل: جيرون عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود عليه السلام. وقيل: إن أول من بنى دمشقَ جيرونُ بن سعد بن عاد بن إرم، وبه سمي باب جيرون. (معجم البلدان ٢/ ١٩٩).
(٦) ليل التمام: أطول ما يكون من ليالي الشتاء. ويطول ليل التمام حتى تطلع فيه النجوم كلها، وهي ليلة ميلاد عيسى عليه السلام. (لسان العرب ١٢/ ٦٧-٦٨: تمم).

Marfat.com

نجَسُ العيونِ فإن رأتْهُم مُقلتِي ... طهَّرتُها فنزحتُ ماءَ جُفونِي
أنا إن همُ حسبُوا الذَّخائر دُونَهُمْ ... وهمُ إذا عدُّوا الفضائلَ دُونِي
لا يُشمِتِ الحسَّادَ أنَّ مَطَامِعي ... عادتْ إليَّ بصَفْقةِ المغبُونِ
ما يستديرُ البدرُ إلا بعدما ... أبصرْتَه في الضَّمْر كالعُرْجُونِ[1]
هذا الطريقُ اللَّخب زاجرُ ناقتي ... واليمُّ قاذِفُ فُلكيَ المشْحونِ[2]
فإذا عمِيدُ المُلْك حلَّ بربْعِه ... ظَفِرا بفَأْلِ الطائر الْميمونِ

قوله: «أأسومهم وهم الأجانب طاعة» البيت، هو من قول البُحْتُريّ[3]: [البسيط]

ولستُ أعجبُ مِن عِصْيان قلبِك لي ... عمْداً إذا كان قَلبي فيكَ يعْصِيني[4]

وبعده:

مَلِكٌ إذا ما العزمُ حثَّ جِيادَهُ ... مَرِحتْ بأزهرَ شامخِ العِرْنِينِ

ومثله قول الشَّريف الرَّضِيّ[5]: [الطويل]

أرومُ انْتصافِي مِن رجالٍ أباعدٍ ... ونفسِيَ أعْدَى لي مِن النَّاس أجمعا[6]
إذا لم تكنْ نفسُ الفتَى من صديقِه ... فلا يُخدِثَنْ مِن خِلَّة الغيْرِ مَطْمَعَا

وأصلُه مِن قول بَكْر بن حارثة: [السريع]

قلبي إلى ما ضرَّنِي داعِي ... يُكثِرُ أسْقامِي وأوجاعِي[7]
كيف احتراسِي مِن عدوِّي إذا ... كان عدُوِّي بيْن أضْلاعِي

وقوله: «يا عين مثل قذاك رؤية معشر» إلخ، هو معنى بديع، وقد سُبِق إليه، قال

---

(١) العرجون: أصل العِذْق الذي يعوج، وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً. وقال الأزهري: العرجون أصفر عريض شبه الله به الهلال لما عاد دقيقاً فقال: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾. (لسان العرب ١٣/ ٢٨٤: عرجن).

(٢) اللحب: الواضح.

(٣) البحتري: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (٢٠٦-٢٨٤هـ): شاعر كبير، يقال لشعره: سلاسل الذهب. ولد بمنبج - بين حلب والفرات - ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء، أولهم المتوكل العباسي. (الأعلام ٨/ ١٢١).

(٤) ديوان البحتري: ٢/ ٢٩٥ .

(٥) الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن الرضي العلوي الحسيني الموسوي (٣٥٩-٤٠٦ هـ): أشعر الطالبيين على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته في بغداد. انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وخلع عليه بالسواد. الأعلام ٦/ ٩٩، وهدية العارفين: ١/ ٦٠ .

(٦) ديوان الشريف الرضي ١/ ٦٦٤ .

(٧) البيتان لبكرْ بن حارثة في الذخيرة ١: ١/ ٣٦٥، وللعباس بن الأحنف في ديوانه ١٧٨ - ١٧٩، وديوان المعاني ١/ ٢٨٢، وأمالي المرتضى ١/ ٤٦٠ .

Marfat.com

الثَّعَالِبيّ[١]: اتَّفَق لي في زمن الصِّبا معنىً بديع، لم أُسْبَق إليه، وهو[٢]: [م. الرجز]

قلبيَ وجْداً مشتعِلْ وبالهمُومِ مُشتغِلْ
وقَد كستْنِي في الهوَى ملابسَ الصَّبِّ الغَزِلْ
إنْسانةٌ فتَّانةٌ بدرُ الدُّجَى منها خَجِلْ
إذا زنَتْ عينِي بها فبالدُّموعِ تغْتَسِلْ

وقد سبقه ابن هِنْدو[٣]، في قوله[٤]: [الطويل]

يقولون لي ما بالُ عيْنِكَ مُذ رأَتْ محاسنَ هذا الظَّبْيِ أذمُعُها هُطْلُ
فقلتُ زنَتْ عيني بطلْعةِ وجهِهِ فكان لها مِن صَوْبِ أدمُعِها غُسْلُ

قال أبو عليّ الفارِسيّ[٥]: لستُ أعجب من توارُدِه، وإنما أعجب من قولِه: «لم أُسْبَق إليه»، وقد قال أبو الطَّيِّب في الحُمَّى[٦]: [الوافر]

إذا ما فَارَقْتنِي غسَّلْتنِي كأنَّا عاكِفانِ على حَرامِ

وقد سلم من شَناعة ذكر الزِّنا، وما في قُبْح لفظِه من الْخَنا، فمعناه أَصحّ؛ لأنه ذكر في هذا الشعر مِن نفسه وزائرته ذكراً وأنثى، جرى بينهما ما يقتضي الغسلَ.

وإن قيل: إن قوله «عاكفان على حرام» مِن لَغْو الكلام، وهما ذكرا، زِناً بين اثنين، ولو قال: زنى ناظري، أو لحظي، كان أحسن.

قلتُ: هذا كله كلام ناءٍ عن حُسْن الأدب، وهو سُخْف، ولكن: [الطويل]

....أيُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ[٧]

---

(١) الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٣٥٠-٤٢٩ هـ): من أئمة اللغة والأدب. من أهل نيسابور، اشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ وصنف الكتب الكثيرة الممتعة، مثل: ثمار القلوب، ولطائف المعارف، والتمثيل والمحاضرة. (الأعلام ٥/١٦٣-١٦٤).

(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٣٩٥، وتاج العروس (أنس)، وخلاصة الأثر ٤/ ٥٠٢، ونفحة الريحانة ٤/ ٤٠٦-٤٠٧، وعنوان المرقصات والمطربات ٦١، ومن غاب عنه المطرب ١١٣ .

(٣) ابن هندو: علي بن الحسين بن محمد بن هندو (...-٤٢٠هـ): من المتميزين في علوم الحكمة والأدب، وله شعر. نشأ بنيسابور، وكان من كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة. (الأعلام ٤/ ٢٧٨).

(٤) البيتان لابن هندو في يتيمة الدهر ٣/ ٣٩٦، وخلاصة الأثر ٤/ ٥٠٢، ونفحة الريحانة ٤/ ٤٠٧ .

(٥) أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد الفارسي (٢٨٨-٣٧٧هـ): أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا بفارس. صحب عضد الدولة بن بويه، وتقدم عنده، فعلمه النحو، وصنف له كتاب الإيضاح في قواعد العربية. كان متهماً بالاعتزال، وله شعر قليل ومؤلفات كثيرة. (الأعلام ٢/ ١٧٩-١٨٠).

(٦) ديوان المتنبي: ٤٧٧ .

(٧) تمام البيت:

(ولست بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب)

وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ٧٤، وديوان المعاني ١/ ١٦ .

Marfat.com

ومع ذلك فقد وقع هذا في كلام من تقدَّمهم، ومعناه أصح ودِيباجتُه ألطف وأوضح، كقول يزيد بن معاوية[١]: [الطويل]

وكيف تَرَى ليلى بعينٍ ترى بها ... سِواهَا وما طهَّرْتَهَا بالمدامِعِ[٢]
أجِلُّكِ يا ليلى عن العينِ إنَّما ... أراكِ بقلْبٍ خاشعٍ لك خاضَعِ

ثم مشى على أثرهم الناسُ، وولَّدوا معانيَ لا تُحصَر، كقول السِّراج الورَّاق[٣]: [البسيط]

يا نازحَ الدَّارِ مُرْ نومي يُعاوِدُنِي ... فقد بكيْتُ لفَقْدِ الظَّاعنينَ دَمَا[٤]
أوْجَبْتَ غُسْلاً على عينِي بأدْمُعِها ... فكيف وهْيَ التي لم تبلُغِ الحُلُمَا

٢- محمد الصَّالِحِيّ الهِلَاليّ

هُمام بعيد الْهِمَّة، قريب منال مياه الْجَمّة[٥]، له دَرارِيُّ شِيم، هي غُرَّة دُهْم اللَّيالي، وبَناتُ أفكارٍ لم ترتضِعْ غير دَرِّ المعالي، فلا أقسم بربِّ المشارق والمغارب، إنها شموسٌ لم تزل طالعةً مِن سماء المناقب، وهي الآن شامَةٌ في وَجنات الشام، وروضة تفتَّحت أنوارُها بثغُورِ ذاتِ ابْتسام.

ومن سُنَّتِه الاعْتزالُ عن الناس، وتقديمُ الوَحْشة على الاسْتِئْناس، مُنقطعا لاقْتِطَاف زهرات العلوم، يمدُّ لِقِرَى الأسماع موائدَ المنثور والمنظوم، في زهدٍ مُتحَلٍّ بخِلاله، تَدِقّ صفاتُ المدح عن معاني جَلاله، بعزم هو أبو العجَب، لو قُدِح زَنْدُه لَهَبَّ له لَهَب، وخَطٌّ تُسَرّ به النُّفوس، وتُوَشَّى بدِيباجِه الطُّروس. [م. الكامل]

خطٌّ زهَتْ أزهارُه ... والروض يُنْبِتُه السَّحابْ

وشعرُه شَقِيق الرياض، المُطَّرِدة الحِياض، تُسْتَخرج الجواهرُ من بحوره، وتُحَلَّى

---

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٥ - ٦٤ هـ): ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠هـ. في زمنه فتح المغرب وخوارزم وبخارى. كان نزوعاً إلى اللهو، ويروى له شعر رقيق. وإليه ينسب نهر يزيد في دمشق. (الأعلام ٨/ ١٨٩).

(٢) البيتان ليزيد بن معاوية، نفحة الريحانة ٤/ ٤٠٨ .

(٣) السراج الوراق: عمر بن محمد بن حسن أبو حفص، سراج الدين الوراق (٦١٥-٦٩٥هـ): شاعر مصر في عصره. كان كاتباً لواليها الأمير يوسف بن سبا سلار. له ديوان شعر كبير في سبعة مجلدات. (الأعلام ٥/ ٦٣).

(٤) البيتان للسراج الوراق في فوات الوفيات ٢/ ١١١ .

٢- محمد الصالحي الهلالي، محمد بن نجم الدين بن محمد الصالحي الهلالي (٩٥٦-١٠١٢هـ): شاعر، من الكتاب، من أهل دمشق. برع في الفقه والتفسير والأدب. (خلاصة الأثر ٤/ ٢٣٩، والأعلام ٧/ ١٢٣).

(٥) مياه جمة: كثيرة. (لسان العرب: جمم).

Marfat.com

لَبَّات الطُّروس بقلائد سطورِه، لم يضْرِفْه لمدح كريم، ولا تغزَّل بمليح كريم، ولعَمْري إنه قطَع منه مَيداناً لم يصِلْ إليه الكُمَيْت، ونَقَّى ألفاظَه وهذَّب معانيه فلم يقُل فيه «لو» ولا «ليت».

وبالجملة فهو في عصره إمام الأدب المُقتدَى به، والبليغ الذي لا تُثْمِر أغصانُ الأقلام إلا في رياض آدابه.

ولما قدِم القاهرة أفاض عليَّ لباسَ مودة لم تُبْلَ عهودُها، ألا حبَّذا إخْلاقُها وجديدُها، ووَرَقُ الدنيا خَضِر، وعُود الشباب غَضُّ نَضر، والأدب لم يَعْفُ منارُه، ولم تَخْبُ نارُه وأنوارُه، لا كاليوم إذ حام قومٌ حول حِماه، فوقعوا في ظُلماتٍ ليس فيها عينُ الحياة، وهو إذ ذاك أستاذ ومَلاذ، تذوق أفهامُنا من موائد فوائده أنواعَ المَلاَذّ، فأتْحَفني بطُرَف أشعاره، ونزَّه أخْداقَ فكري في حدائق آثارِه، فأسكر سَمْعِي بسُلافةِ أدارتْها كؤوسُ بيانِه، وتقلَّدتُ بمذهب البُحْتُرِيّ في اجْتناء الورد من أغصانِه[1]: [الكامل]

واسْمَعْهُ مِمَّن قالَه تَزْدَدْ بِهِ عجباً فحسْن الوزْدِ في أغْصانِهِ

طالعتُ له فصلاً في ديوانه، الذي سماه «صدح الحمام، في مدح خير الأنام» ذكر فيه نُبذاً من صفاتِه، ومعاهِد أُنْسِه ولَذَّاتِه، ومسارحِ آرام تِربه ولِدَاتِه، وهو[2]: «إني لمَّا نشأتُ بمكة المُشرّفة، والأماكن التي هي بالجَوْزاء مُمَنْطَقة، وبالثُّرَيَّا مُشَنَّفَة، وكساني الزمانُ قَشِيبَ بُرودِه، وطفِقْت أرْفُل ما بين عَقِيقِ الحِمى وزَرُودِه[3]، وغُصن الصِّبا بأيام السعادة مُورِق، وبدْر الشَّباب في سماء الكمال مُشْرِق، لا دَأَب لي إلاَّ توسُّم وفود العلوم في سوق عُكاظِها، ولا شُغْل لي إلا اسْتِكشافِ وسائِم وجوهِ المعاني المُخبَّأة تحت براقع ألفاظِها، ثم لما بطلت حركة الدَّوْر، وتنقَّل الزمانُ من طَوْر إلى طَوْر، أعْمَلْنا حُروف[4] النَّجائب تنُصُّ[5] بنا البَيْداء في سُرَاها، ولطمْنا خَدَّ الأرض بأخْفافِها إلى أن بَرَاها السُّرَى في بُرَاها[6]، فكم جاوَزْنا جنْباً شوامِخ زاحمتْ بمناكِبها أكتاف السَّحائب، وذَرْعنا بأذْرُع النَّاجِيات شُقَّة قَفْر لم تُطْوَ إلاَّ بأيْدِي الرِّكائب، فكم مَن راسلْتُه وراسلنِي برائق شِعْره وسَجْعه، وأدار وأدرْتُ كؤوسَ قوافي شعري على أفواه سمْعِه،

---

(١) ديوان البحتري: ٢/ ٣١٥ .
(٢) هذا الفصل ذكره المحبي في خلاصة الأثر ٤/ ٢٤٠ .
(٣) العقيق: وادٍ عليه أموال أهل المدينة. (معجم البلدان ٤/ ١٣٩).
- زرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. (معجم البلدان ٣/ ١٣٩).
(٤) الحروف: جمع حرف، وهي الناقة النجيبة التي أضنتها الأسفار، شبهت بحرف السيف في مضائها ونجائها ودقتها. (لسان العرب: حرف).
(٥) النص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها. (لسان العرب: نصص).
(٦) البرة: حلقة في أنف البعير. (لسان العرب: بري).

Marfat.com

وزفَفْتُ عليه عرائسَ أفكاري استجلاباً لِوِدَادِه، وتلوْتُ عليه غرائبَ أسْماري استقداحاً لِوَارِي زِنَادِه. [الطويل]

وهُنَّ عَذارَى مهرُها الوُدُّ لا النَّدَى ... وما كُلُّ مَن يُعْزَى إلى الشِّعر يَسْتَجْدِي

انتهى.

وهذه نُبْذة من نِثار نَثره، وسأُقَرِّطُ سمْعَك بجواهرِ شعره.

وكنت كتبتُ له قصيدة تائيَّة، مُلغِزاً من شعر الصِّبا، الذي يحسُد مُهَلْهَلَ بُرْدِه في رِقَّتِه نسيمُ الصَّبا، لا كما قال البَاخَرْزِيّ[١] هو التَّمْر باللِّبَا[٢]. فهو باكورة ثمرات الآداب، بل الرَّوْض الأرِيض[٣]، الذي سُقِيَ من ماء الشَّباب، فأجاب وأجاد، وصَفَّى من قَذَى الكَدَر مواردَ الوِدَاد، وهذه كواكبُها المُشرِقة في دياجي نفسِه، وثمراتها الزَّاهية في رِياض طِرْسِه[٤]: [البسيط]

طالتْ وقد قصُرتْ عنها العباراتُ ... وحازتِ الحُسْنَ هاتِيكَ البَراعاتُ
غرَّاءُ فائقةٌ باللُّطفِ رائقةٌ ... تحلُو الْخَلاعاتُ فيها والصَّباباتُ
أختُ الغزالةِ إشْراقاً ومُلتَفتاً ... لها لَدى السَّمعِ لذَّاتٌ ونَشْآتُ
نسِيبُها أطربَ الأسماعَ مَوقِعُهُ ... ومدحُها مالَه في الحُسْنِ غاياتُ
كأنَّ حُرَّ معانيها ورِقَّتَها ... في لفظِها الخمرُ تجلُوه الزُّجاجاتُ
يحلُو المُكرَّر من ألفاظِها ولَكمْ ... مُلَّ المُكرَّرُ طبْعَا والمُعاداتُ
أتتْ إليَّ وبدرُ الفكرِ مُنخسِفٌ ... ومالَه في سَما الإدْراكِ هالاتُ
وللهمومِ اطِّرادٌ في الفؤادِ كما ... ضَمَّتْ عِتاقَ الْمَذَاكي الجُرْدَ حَلْباتُ
أُسامِرُ النَّجمَ في الليلِ الطويلِ ولا ... أغفُو وكم لعُيونِ النَّجم غَفواتُ
فقمتُ في الحالِ إجلالاً لها وسرَتْ ... عنِّي الهمومُ وزارَتْنِي الَمسرَّاتُ
وظَلْتُ مُنتصِباً لمَّا ارتفعت بها ... وكان عندي بذلُ النَّفسِ كسراتُ[٥]
قبَّلْتُها ألفَ ألفٍ ثم زِدْتُ فلم ... أحسِبْ وكم للكثيرِ العدُّ غَلْطاتُ
وكان أُفْقُ زماني مُظلِماً فبَدا ... فيه شِهابٌ لنا منهُ إناراتُ
شهابُ علم ولكن نورُه أبداً ... بالذَّاتِ ما عرَضتْ فيه الإضاءاتُ

---

(١) الباخرزي: علي بن الحسن بن علي (... - ٤٦٧هـ): أديب من الشعراء الكتاب. من أهل باخرز، بنواحي نيسابور. كان من كتاب الرسائل، وله علم بالفقه والحديث. اشتهر بكتابه «دمية القصر» وهو ذيل ليتيمة الدهر. (الأعلام ٤/ ٢٧٣).

(٢) دمية القصر ١/ ٨٠ . واللبا: أول اللبن.

(٣) روض أريض: كثير العشب، وأرض أريضة: زكية كريمة. (لسان العرب: أرض).

(٤) انظر: خلاصة الأثر ٤/ ٢٤٦ .

(٥) رجل ذو كسرات: يغبن في كل شيء. (لسان العرب: كسر).

Marfat.com

غُذِّي بدَرِّ لِبانِ الفضلِ مُذ زَمنٍ ... فشَبَّ كالنَّارِ لا تعرُوه فَتْراتُ
شيخُ العلومِ ومِفْتاحُ الفُهومِ وغَلاً ... بُ الخصومِ إذا عنَّتْ مُلاحاةُ
باهَتْ به أرضُ مصرٍ وازدهَتْ فلِذَا ... قد كاد أن تحسِدَ الأرضَ السَّمواتُ
قد شاد بيْتَ العُلا فوق السُّهى وله ... مِن فوق ذاك مَقاماتٌ عَلِيّاتُ
تسْتَنُّ أقلامُه في الطِّرسِ من مَرَحٍ ... كأنَّها عند نَفْثِ السُّمِّ حيَّاتُ
فيها النَّقيضانِ مِن نَفْعٍ ومِن ضرَرٍ ... ذاك الأمانِيُّ إذ ذاك المَنِيَّاتُ
مهْمَا اغتدَتْ طَوْعَ باريها مُلازِمةً ... للخَمْس تغدُو لها في الطِّرسِ سَجْداتُ
أشعارُه الغُرُّ مثلُ الدُّرِّ قد نُظِمتْ ... منها عقودٌ ولكن لُؤلُؤيَّاتُ
ما إن حسَا كاسُ سمْعي من سُلافتِها ... إلا اغْتَرتْنِي لفَرْطِ السُّكْر نَشْواتُ
للهِ أحجِيةٌ منه أتت فسرَتْ ... منها إلى السَّمْعِ نَفْحاتٌ زَكِيَّاتُ
وأذْكَرتْني بأن القُدسَ مِن سكَنِي ... وبانَ بالْبَانِ من شَكْوايَ مَيْلاتُ
والوُرْقُ رقَّتْ لِمَا ألقاه ساجعةً ... كأنها فوقَ غُصنِ الْبَانِ قَيْناتُ
وأنت يا أفضلَ العصرِ الذي اجْتمعَتْ ... فيه العلومُ وفي الدَّهْماءِ أشْتاتُ
سامحْ إذا هفوةٌ للذهن قد عرَضتْ ... فكم لِمِثْلِيَ بالتَّقْصير هَفْواتُ
فسيفُ فكريَ لا لاقَيْتُ فيه صَدا ... وكم له عندما أرجوه نَبْواتُ
والجسمُ في غُرْبةٍ والقلبُ في وطنٍ ... لم تُدْنِهِ منه أيامٌ ولَيْلاتُ
والبالُ في قلقٍ والنفسُ في شجَنٍ ... يعتادُهَا لفِراقِ الإلْفِ زَفْراتُ
فأيُّ شخصٍ بهذا الوصْفِ مُتَّصِفٍ ... تُطِيعُه مِن قوافي الشعر أبْياتُ
بقيتَ مُفْرَدَ علمٍ للهُدى عَلماً ... يُجلَى به الجهلُ عنَّا والضَّلالاتُ
ودُمْتَ طَوْدَ حِجًى في الجُودِ بَحْرَ ندًى ... تأتي إليه المعالِي والْكَمالاتُ
ما لاح نَجْمٌ على الْخَضْراءِ مُتَّقِدٌ ... وما رعَتْهُ الجِيادُ الأعْوجِيَّاتُ[1]

سانحة

في قوله: «رعته» استخدام[2]؛ لعَوْدِه إلى النجم، بمعنى الكوكب، على ملاحظة معنى النَّبْت.

---

(١) الأعوجيات: نسبة إلى فرس اسمه أعوج، كان أعوج لكندة، وأخذته بنو سليم في بعض أيامهم، فصار إلى بني هلال. انظر: أنساب الخيل ١٦، ٢١، والاقتضاب ٤٩٣، ٦٢٣، ٧٠٠، والحلبة في أسماء الخيل ٣٩، والمقاصد النحوية ٢/ ٣٥٥ .

(٢) الاستخدام: هو ذكر لفظ مشترك بين معنيين، يراد به أحدهما، ثم يعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما. (جواهر البلاغة ٣٦٤ . وانظر: شرح الكافية البديعية ٢٩٦، وخلاصة الأثر ٤/ ٢٤٦).

132398

Marfat.com

وقد يتعدَّد ذلك، كما في قول ابن الْوَرْدِيّ[١]: [م. الوافر]

ورُبَّ غـــزالـــةٍ طـــلَـــعـــتْ بـــقـــلْـــبِـــي وهْـــوَ مَـــرْعـــاهَـــا[٢]
وقـــالـــتْ لـــي وقـــد صِـــرْنـــا إلـــى عـــيْـــنِ قـــصـــدْنـــاهَـــا
بـــذلْـــتَ الـــعـــيْـــنَ فـــاكْـــحُـــلْـــهـــا بـــطَـــلْـــعـــتِـــهـــا ومـــجْـــراهَـــا

وقد يكون الاسْتِخدام بالضمير، من غير اشتراك أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [فاطر: ١١].

وقد يكون بالضمير المُستتِر في حالٍ ونحوها، كقولك: [م. الوافر]

بـــذلْـــت الـــعـــيـــنَ جـــاريـــةً مُـــكـــحَّـــلـــةً وطـــالـــعـــةً

وقد يكون بالتَّمْييز من غير ضمير، كقوله في هذه القصيدة: [البسيط]

أُخْـتُ الـغـزالـةِ إشـراقـاً ومُـلـتَـفَـتـاً .....

وقد يكون باسْم الإشارة، كقولي: [البسيط]

رأَى الـعـقـيـقَ فـأجْـرَى ذاكَ نـاظِـرُه .....

وقد يكون بالاسْتِثْناءِ كقول الْبَهَاء زُهَيْر[٣]: [م. الكامل]

أبـــداً حـــديـــثـــي لـــيـــس بـــالْـــ مـــنْـــســـوخ إلاَّ فـــي الـــدَّفـــاتِـــرْ[٤]

فذكر النَّسْخ بمعنى الإبطال، واستثنى منه بمعنى الكتابة. وهو استثناء غريب، يحتاج إلى نظرٍ دقيق في إدخاله في أحد نوعيْه.

وله من قصيدة: [الكامل]

وتـجـرَّدَتْ بِـيـضُ الـصِّـفـاحِ وأُلْـبِـسـتْ عَـلَـقَ الـنَّـجِـيـعِ كَـحُـلـةِ حـمْـراءِ
والسُّمْرُ مُذ سقَتِ الدِّماءُ زُجَاجَها أضْـحـتْ ثـمِـاراً أرْؤُسَ الأعْـداءِ

وله من أخرى: [البسيط]

كأنَّما الخيلُ في المَيْدانِ أرْجُلُها صـوالـجٌ ورءُوسُ الـقـوْم كـالأكُـرِ

ومن رسالة لابن عبد الظاهر[٥]:

---

(١) ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر المعري الكندي (٦٩١-٧٤٩هـ): شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان بسورية، وولي قضاء منبج، وتوفي بحلب. كانت بينه وبين صلاح الدين الصفدي مناقضات شعرية لطيفة. (الأعلام ٥/ ٦٧).

(٢) ديوان ابن الوردي: ٢٦٣-٢٦٤ .

(٣) البهاء زهير: زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي (٥٨١-٦٥٦هـ): شاعر، كان من الكتاب، يقول الشعر ويرققه. ولد بمكة، ونشأ بقوص، واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب بمصر فقربه وجعله من خواص كتابه. (الأعلام ٣/ ٥٢).

(٤) ديوان البهاء زهير ص١٢٤ .

(٥) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي (٦٢٠-٦٩٢هـ): قاض، أديب، مؤرخ. من

Marfat.com

«أصبح الأعداءُ كأنما جُزر أجسادِهم جزائر، يتخلَّلُها من الدِّماء السَّيْلُ، ورؤُوسُهم أُكَر تلعَب بها صَوالجةُ الأيْدِي وأرجلُ الخيْل»[١].

وله من أخرى: [الطويل]

سقَى طلَلاً حيثُ الأجارِعُ والسُّقْطُ ... وحيثُ الظباءُ العُفْرُ ما بينها تَعْطُو
هَزيمٌ هَمُولُ الوَدْقِ مُرْتجِسٌ له ... بِأفْنائِه مِن كلِّ ناحيةٍ سَقْطُ[٢]
ولو أنَّ لي دمعاً يُرَوِّي رِحَابَهُ ... لما كنتُ أرْضَى عارضاً جُودُه نَقْطُ
ولكنَّ دمْعِي صار أكثرُه دماً ... فأنَّى يُرَجَّى أن يُرَوَّى به قَحْطُ

ومنها:

كأنَّ انْسِيابَ الرُّمْحِ في الدِّرعِ سَالِخٌ ... من الرُّقْشِ في وَسْطِ الغَدِيرِ لهُ غَطُّ[٣]

والبيت الثالث كقول مِهْيَار[٤]: [الطويل]

بكَيْتُ على الوادِي فحرَّمْتُ ماءَه ... وكيفَ يَحِلُّ الماءُ أكْثرُه دَمُ[٥]

وقول الأبِيوَرْدِيّ[٦]:

سقَى الله لَيْلَ الخَيفِ دَمْعِيَ والْحَيَا ... أُرِيدُ الْحَيا فالدَّمْعُ أكثرُه دَمُ[٧]

والأخير كقول الْمَعَرِّي: [الوافر]

توهَّمَ كلَّ سابغةٍ غديراً ... فرَنَّق يَشْرَبُ الحَلَق الدُّخَالا[٨]

وله من أخرى: [الكامل]

ما لاَح في أُفقِي المحاسن إذ سرَى ... إلاَّ حَمَدتُ بليل طُرَّته السُّرَى
عقَد الإزارَ على كثيبٍ في نَقاً ... فغدا اضْطِباري وهْو محلولُ العُرَى

= أهل مصر مولداً ووفاة. كان كاتب الإنشاء في الديار المصرية، وله شعر حسن. (الأعلام ٤/٩٨).

(١) ورد قول ابن عبد الظاهر في نفحة الريحانة ٣/٩٦ .

(٢) الهزيم: الرعد. الودق: المطر. رجست السماء: رعدت رعداً شديداً وتمخضت.

(٣) السالخ: الأسود من الحيات. الرقش: جمع أرقش ورقشاء، والرقشاء: الأفعى، سميت بذلك لترقيش في ظهرها وهي خطوط ونقط.

(٤) مهيار بن مرزويه الديلمي (. . . - ٤٢٨هـ): شاعر كبير، في معانيه ابتكار، وفي أسلوبه قوة. كان مجوسياً وأسلم على يد الشريف الرضي، وتشيع، وغلا في تشيعه. (الأعلام ٧/٣١٧، وهدية العارفين: ٢/٤٨٥).

(٥) ديوان مهيار ٣/٣٤٤ .

(٦) الأبيوردي: محمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموي (. . . - ٥٠٧ هـ): شاعر عالي الطبقة، مؤرخ، عالم بالأدب. كان على غزارة علمه تيّاهاً، معجباً بنفسه. (الأعلام ٥/٣١٦).

(٧) ديوان الأبيوردي: ٣٢٩ .

(٨) شروح سقط الزند ١/١٠٧ . السابغة: الدرع. رنق: من قولهم رنق الطائر على الماء إذا حام حوله.

Marfat.com

لا تـذكـرِ الـغـزلانَ عـنـد كِـنـاسِـهِ ... معه فإن الصَّيدَ في جَوْفِ الفِرَا[١]

وله أيضاً: [الطويل]

إلى كم أُمَنِّي القلبَ والقلبُ مُولَعٌ ... وأزجرُ طَرفَ العينِ والطرفُ يدمَعُ
وحتَّى متى أشكُو فِراقَ أحبَّتي ... عفَا بالنَّوى منهم مَصِيفٌ ومَربَعُ
وأستعرضُ الرُّكبانَ عنهم مُسائلاً ... عسى خبرٌ عنهم به الركبُ يرجعُ
تصبَّرتُ عنهم وانثنيْتُ إليهمُ ... ولم يبْقَ في قوسِ التَّصبُّرِ مَنْزَعُ
أُراعِي نجومَ الليلِ أرقبُ طيْفَهم ... وكيف يزور الطَّيفُ مَن ليس يهجَعُ
وما زلتُ أبكي لؤلؤاً بعد بَيْنهم ... إلى أن بدا مُرجانُ دمعِيَ يَهْمَعُ
وما كان تبكي العينُ لولا فِراقُهم ... عقيقاً ولا يشْفِي الفؤادَ طُوَيْلِعُ[٢]
فلا حاجِرٌ بعد الأحبَّة حاجِرٌ ... ولا لَعْلَعٌ مذ فارق الحيُّ لَعْلَعُ[٣]
غرَبْن شموساً في بدورِ أكِلَّةٍ ... فليس لها إلاَّ من الخِدْرِ مَطْلَعُ
وشابَهْنَ غِزْلان النَّقا في نِفارِها ... ولكنَّها بين التَّرائبِ تَرْتَعُ[٤]
لها من مَهاةِ الرملِ عينٌ مريضةٌ ... وجِيدٌ كجيدِ الظَّبْيِ أغْيَدُ أتْلَعُ[٥]
ومن قُضُبِ البانِ الرطابِ معاطفٌ ... تكاد عليها الوُرْقُ تشْدُو وتسجَعُ[٦]
وتغدو سيوفُ الهندِ لما تشبَّهتْ ... بألْحاظها في الحربِ تَفْرِي وتقْطَعُ
ذكرتُهُمُ والقلبُ بالهم طافحٌ ... لبَيْنِهِمُ والبحرُ كالليلِ أسْفَعُ[٧]
وما تنفعُ الذكْرى لمن صَدُّهُمْ قِلًى ... ووصلُهمُ قطعٌ ومنهم تمنُّعُ[٨]
ولا عجبٌ فالبخلُ في الغِيدِ والدُّمَى ... طبيعةُ نفسٍ ليس فيها تطبُّعُ
كما لعليٍّ كلُّ جودٍ وسُؤْدُدٍ ... سجيةُ ذاتٍ ليس فيها تصنُّعُ

وله من أخرى: [الطويل]

---

(١) في الحديث: «كل الصيد في جوف الفرا»، والفرا: الحمار الوحشي. والمعنى: إن الحمار الوحشي أجل ما يصيده الصائد، فإذا صاده فكأنه صاد جميع الصيد. وهذا الحديث قاله ﷺ لأبي سفيان. انظر خبر الحديث في: الأغاني ٦/ ٣٤٤ - ٣٤٥، والنهاية ١/ ٢٩٠ (جلهم)، ولسان العرب ١٢/ ١٠٤ (جلهم)، وتداولته كتب الأمثال، وهو في جمهرة الأمثال ٢/ ١٦٢، وفصل المقال ١٠-١١، ومجمع الأمثال ٢/ ١٣٦، والمستقصى ٢/ ٢٢٤ .

(٢) طويلع: ماء لبني يربوع، وهضبة بمكة. (معجم البلدان ٤/ ٥١).

(٣) حاجر: منزل من منازل الحاج في البادية. (لسان العرب: حجر).
لعلع: منزل بين البصرة والكوفة. (معجم البلدان ٥/ ١٨).

(٤) الترائب: عظام الصدر.

(٥) الأتلع: الطويل العنق.

(٦) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة.

(٧) الأسفع: الأسود.

(٨) القلى: البغض.

Marfat.com

ورَكْبٍ طِلاحٍ صاحَبوا النَّجمَ في السُّرَى تَرَامَى بهم فِي السَّيرِ بِيدٌ وتعنُفُ[١]
يخوضون بحرَ الآلِ يطفُو عُبابُه طُفُوَّ دَياجي الليلِ والليلُ مُسْدِفُ[٢]
كأن المطايا والأكِلَّةُ فوقها سَفِينٌ بأيْدِي الأرْحَبِيَّاتِ تَجْدِفُ[٣]

وكان له نَدِيم أخْدب، يسمى أبا الخير، يعدُّه عَيْبَةَ أسراره[٤]، وجُهَينةَ أخباره، وهو يُدير عليه شَمُول وِدادِه، ويجنْى إليه من كل وادٍ ثمراتِ فؤادِه، ويُنْشِده تَرجُمان لسانِه عن مُحجَّب جَنانِه: [الكامل]

ولقد جُبلتُ على مَحبَّة وُدِّه ما الحبُّ إلا للإمامِ الصَّالحِ

جيمع إخوانه إليه يلجؤون، ومن كل حَدَب إلى جُرْثُومَته[٥] يَنْسِلون، خفَّت روحُه فألقتْ بدَنَه خلفه ظِهريًا، واتَّخذتْ ما سواه شيئاً فرِيًا، كأنه خاف الخُطوبَ فهو مُتجمِّع حذَر الوُثوب. [الطويل]

وما الدهرُ في حال السُّكون بساكنٍ ولكنه مُستجْمِعٌ لوُثوبِ

وله بهِ عزٌّ أقْعَس[٦]، في رَبْوة المعالي يُغْرَس، وطَبعُه بالظَّرف ربيعٌ أخْصَب، وفي أمثالهم: «أظرفُ من أخْدَب»، فهو سَنام اللطفِ وغارِبُه، وبحرٌ أحدبُ الأمواج، بدائعُ بدائهِه عجائبُه، ولم يزل يَعْتام[٧] وِدادَه، حتى قَبضت جواهرَ عُمرِه يدُ الدهر النَّقَّادَة: [البسيط]

كل ابنِ أُنثى وإن طالتْ سلامتُه يوماً على آلةِ حَدْبَاءَ مَحمُولُ[٨]

فصل

ولم أسمع في وصف أخْدَب ألطفَ من قول ابن المُنجِّم في ابن حُصَينة المَعَرِّيّ: [الخفيف]

يا أخي كيفَ غيَّرتْنا الليالي . وأطالتْ ما بيننا بالمِحَالِ[٩]

---

(١) طلح البعير: أعيا.
(٢) الآل: السراب.
(٣) الأكلة: ثوب رقيق يتوقى به من البعوض، وهو ما يعرف بالناموسية. (شرح التصريح ٢/ ٧٥٩).
- الأرحبيات: نسبة إلى أرحب، فحل من الإبل.
(٤) عيبة الرجل: موضع سره، على المثل، وفي الحديث: «الأنصار كرشي وعيبتي» أي: خاصتي وموضع سري. (لسان العرب: عيب).
(٥) الجرثومة: الأصل.
(٦) عز أقعس: ثابت.
(٧) اعتام الشيء: اختاره.
(٨) البيت لكعب بن زهير في ديوانه ١٩ .
(٩) المحال، بالكسر: الكيد، وروم الأمر بالحيل.

Marfat.com

حـاشَ لـلـهِ أن أُصـافِـيَ خِـلاً ... فـيَـرانـي فـي وُدِّه ذا اخْـتـلالِ
زعـمـوا أنـنـي نـظَـمْـتُ هـجـاءً ... مُـعـرِباً فـيـك عـن شَـنِـيـع الـمـقـالِ
كـذَبـوا إنـمـا وصـفـتُ الـذي حُـزْ ... تَ مـن الـفـضـلِ والـبَـهـا والـكـمـالِ
لا تـظـنَّـنَّ حَـذْبَـة الـظـهـرِ عـيْـبـاً ... وهْـيَ في الحسنِ مِن صفاتِ الهلالِ
وكـذاك الـقِـسِـيُّ مُـخْـدَوْدِبـاتٌ ... وهْـيَ أنْكى من الـظُّـبَـا والـعـوالِـي[1]
وإذا مـا عـلا الـسَّـنـامُ فـفـيـه ... لـقُـرُوم الـجِـمـالِ أيُّ جَـمـالِ[2]
وأرَى الإنْـحـنـاء فـي مَـنْـسِـر الـبـازِيّ ... لـم يَـغْـدُ مِـخْـلَـبَ الـرِّئْـبـالِ[3]
كـوَّن الـلـهُ حَـذْبـةً فـيـك إن شـئـ ... تَ مـن الـفـضـلِ أو مـن الأفْـضـالِ
فـأتـتْ رَيـوةً عـلـى طَـوْد عـلـم ... وأتـتْ مَـوجـةً بـبـحـرِ نَـوالِ
مـا رأتْـهـا الـنِّـسـاءُ إلا تـمـنَّـتْ ... لـو غـدَتْ حِـلـيـةً لـكـل الـرجـالِ
وأبـو الـغُـصـن أنـتَ لا شـكَّ فـيـه ... وهـو ربُّ الـقَـوام ذو الاغْـتـدالِ
عُـدْ إلـى وُدِّنـا الـقـديـم ولا تُـضْـ ... غِ لِـقـيـلٍ مـن الـوُشـاةِ وقَـالِ
وتـذكَّـر لـيـالـيـاً حـيـن ولَّـتْ ... أودعـتْ حـسـنَـهـا عُـقـودَ الـلآلِـي
أتُـرَى بـالـدُّعـاءِ يُـجـمَـع شَـمْـلـي ... أم رجـائِـي مُـخـيَّـبٌ وابْـتـهـالِـي
وإذا لـم يـكـن مـن الـهَـجْـرِ بُـدٌّ ... فـعـسـى أن تـزورَنـا فـي الـخـيـالِ

وعلى هذا النمط نسج ابن دَانِيال[4] قولَه في رجل أحدب، يسمَّى حسَّاناً: [الكامل]

قـسـمـاً بـحُـسـنِ قَـوامِـكَ الـفـتَّـانِ ... يـا أوحَـدَ الأُمـراءِ فـي الـحُـدْبـانِ
أنـت الـحُـسـامُ زَهـا بِـرَوْنَـقِ حَـذْبـةٍ ... فـزهـا عـلـى الـخَـطِّـيَّـةِ الـمُـرَّانِ[5]
يـا مُـخـجِـلاً شـكـلَ الـهـلالِ بِـقَـدِّهِ ... حـاشـاك أن تُـعْـزَى إلـى نُـقْـصـانِ
ومُـمـاثـلاً قَـدَّ الـقـضـيـبِ إذا مـشـى ... مـن حَـدْبَـتَـيْـه يَـمـيـس كـالـرَّيَّـانِ
مـا عـاب قـامـتَـك الـحـسـودُ جَـهـالـةً ... إلا أجـبْـتُ مَـقَـالَـهُ بـبَـيـانِ
هـل يُـحـسِـن الـجـوكـان إلا أن يـرَى ... مـع أُكْـرَةٍ فـي حَـلْـبـة الـمـيـدانِ[6]

---

(١) الظبا: جمع ظبية، وهي حد السيف. العوالي: الرماح.
(٢) القرم: الفحل من الإبل.
(٣) الرئبال: الأسد.
(٤) ابن دانيال: محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي (٦٤٧-٧١٠هـ): طبيب كحال، من الشعراء. أصله من الموصل، ومولده بها. نشأ وتوفي في القاهرة. كان صاحب نكت ونوادر ومجون، وله شعر رقيق. (الأعلام ٦/ ١٢٠).
(٥) الخطية: الرماح، نسبة إلى الخط، وهو مرفأ بالبحرين تجلب إليه السفن المحملة بالقنا من الهند. المران: الرماح الصلبة اللدنة.
(٦) الجوكان: عصا لها طرف مستدير. الأكرة: الكرة.

Marfat.com

أو هـل يَـزِيـنُ الْـمَـتـنَ إلا رِدْفُـه حُـسـنـاً فـكـيـف بـمَـن لـه رِدْفـانِ
والـعُـود أخْـدَبُ وهـو ألْـهى مُـطـرِب ولـقـد سـمـعـتَ بـنَـغْـمـة الـعِـيـدانِ
وكـذا سَـفِـيـن الـبـحـر لـولا حَـذْبَـةٌ فـي ظـهـره لـم يـقْـوَ لـلـطّـوفـانِ
وإذا اكْـتَـسـى الإنـسـانُ قِـيـل تـمـثُـلاً فـي الـمـدح قَـامَـتْ حَـذْبَـةُ الإنـسـانِ
ومُـدبِّـر الإكْـسِـيـر يُـدعَـى أخْـدبـاً فـي عـلـمِـه لـلـقِـسْـط فـي الـمـيـزانِ
يَـفْـدِيـك فـي الـحُـذبـانِ كُـلُّ مُـكَـرْبَـح يـمـشـي الـهُـوَيْـنـى مِـشْـيَـة الـسَّـرَطـانِ[1]
مُـتـجـمِّـع الـكَـتِـفَـيْـن أقْـبـصُ قـد بَـدَا فـي هـيـئـةِ الـمـتـجـمِّـع الـصَّـفْـعـانِ[2]

ومن بدائع ابن خَفَاجة الأنْدلُسِيّ[3]، في ساقٍ أخْدَب أسود، قولُه[4]: [السريع]

وكـأسِ أُنْـسٍ قـد جـلـتْـهـا الـمُـنَـى فـبـاتـتِ الـنـفـسُ بـهـا مُـغْـرِسَـهْ
طـاف بـهـا أسْـوَدُ مُـخـدَوْدِبٌ يُـطْـرِبُ مَـن يـلـهـو بـه مـجـلـسَـهْ
فـخِـلـتُـه مـن سَـبَـج رَبْـوةً قـد أنْـبـتَـتْ مـن ذهـبٍ نَـرْجِـسَـهْ[5]

ولعبد الله بن النَّطَّاح، في أَخْدَب[6]: [الكامل]

قـصُـرَتْ أخـادِعُـهُ وغـاضَ قَـذَالُـه فـكـأنـه مُـتـوقِّـعٌ أن يُـضْـفَـعَـا[7]
وكـأنَّـه قـد ذاقَ أوَّلَ صَـفْـعـةٍ وأحَـسَّ ثـانـيـةً لـهـا فـتـجـمَّـعـا

وإذ جرَرْنا ذيلَ البيان، وسحبْنا بُرْد سَحْبان على الحُذْبان، فنقول: قوله «وأحس ثانية» إلخ، كقول ابن دَانِيال: «متجمع الكتفين» إلخ، وهْو معنًى بديع في بابه، لأن مُتوقِّع الضرب يتضاءل من خوفه، ونظيرُه من يريد الوثُوب يتجمَّع ليَثِب، فهيئته كهيئة من يريد السكون.

ولقد أجاد صالح الشَّنْتَرِينيّ من شعراء المغاربة، في قوله: [الطويل]

نُـحـاذِرُ أحـداثَ الـلـيـالـي وقـلَّـمـا خـلا مِـن تـوقِّـيـهـنَّ قـلـبُ أديـبِ

---

(١) كربحه: صرعه.
(٢) القبص: ضخم الهامة، ورجل أقبص الرأس: ضخم مدور.
(٣) ابن خفاجة الأندلسي: إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة (٤٥٠-٥٣٣ هـ): شاعر غزل، من الكتاب البلغاء، غلب على شعره وصف الرياض ومناظر الطبيعة. (الأعلام ١/ ٥٧).
(٤) ديوان ابن خفاجة: ٢١٠ .
(٥) السبج: خرز أسود، والسبيجة: درعٌ عرضُ بدنه عظمةُ الذراع. وقيل: هي بردة من صوف فيها سواد وبياض.
(٦) البيتان لعبد الله بن النطاح في معاهد التنصيص ١/ ١٧١، ولعبد الله بن الطباخ في عنوان المرقصات ٨٥-٨٦، ولأبي محمد عبد الله بن الطباخ في نوادر المخطوطات «الرسالة المصرية» ١/ ٥٣، وهما لابن الرومي في ديوانه ١٤٦ .
(٧) الأخادع: جمع الأخدع، والأخدعان: عرقان في جانبي العنق خفيان. القذال: جماع مؤخر الرأس.

Marfat.com

ونَرتابُ بالأيّام عند سكونِها وما ارْتاب بالأيّام غيرُ أريبِ
وما الدهرُ في حال السُّكونِ بساكنٍ ولكنَّه مُستجمِعٌ لوُثوبِ

وهو مأخوذ من قول الآخر: [الطويل]

سكنْتُ سكوناً كان رهْناً لوَثْبةٍ تثُور كذاك اللَّيثُ للوَثبِ يَلْبُدُ

وقول الآخر: [البسيط]

قد قلتُ يا قوم إن اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ على بَراثِنِه للوَثْبة الضَّارِي

وفي المثل: «الدَّهرُ أرْود ذو غِيَر»[١]. قال الجَوْهَرِيّ[٢]: أي يعمل عملَه في سكون، لا يُشْعَر به[٣].

ويقال: «تَلْبِيدٌ خَيْرٌ مِنَ التَّضيِيء»[٤] يُقال لمن يتشاجَع، ويُضرَب مثلاً للفِرار[٥]، كما قاله الأصْمَعِيّ[٦].

وفي معناه قولي: [الوافر]

أقولُ لنائِم الغفلاتِ جهْلاً تنبَّهْ كم فسادٍ في صلاحِ
وكم رَجَعَ الزمانُ عن الرَّزايا رُجُوعَ التَّيْسِ أقْعَى للنِّطاحِ

٣- حسن بن محمد البُورِينِيّ

دِيباجةُ الدنيا، ومَكرُمة الدهرِ، ونكتة عُطَارِد التي يفتخر بها الفخر، حسنة اعتذر بها الدهرُ عما جَنَى، ودَوْحةُ فضل غَضَّة الأنوار والجَنَى، وزهرة الدنيا التي أنبتَها اللهُ تعالى برِياض الشام نباتاً حسناً، فجعل الأدبَ لرَوْض فضله سِياجاً، وأنار بدرَه في سماء الكمال سراجاً وهَّاجاً، ولم تزل مُساءلةُ الرُّكبان تُتحِفني بهدايا أخبارِه، ونسيمُ المسامرة يهُبُّ مُعطِّراً بنفحات آثارِه، وأنا أُؤَمِّل اجْتلاءَ بدرِه المنير، وهو على جمعِهم إذا يشاء قدير.

---

(١) المثل في المستقصى ١/ ٣١٨ .
(٢) الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري (. . . - ٣٩٣ هـ): أول من حاول الطيران ومات في سبيله. لغوي، من الأئمة. أشهر كتبه: الصحاح. (الأعلام ١/ ٣١٢).
(٣) الصحاح (رود).
(٤) مجمع الأمثال ١/ ١٤٦ .
(٥) التلبيد: تلزيق شعر الرأس بالصمغ لئلا يتشعث، والتصيء: إثارة الشعر لغسله، دون تنقية وسخه. ويضرب المثل لمن قام بأمر لا يقدر على إتمامه.
(٦) الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي (١٢٢ - ٢١٦هـ): راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. مولده ووفاته في البصرة. (الأعلام ٤/ ١٦٢).
٣- الحسن بن محمد بن محمد بن حسن الصفوري البوريني (٩٦٣-١٠٢٤ هـ): مؤرخ، من العلماء بالأدب والحديث والفقه والرياضيات والمنطق. اشتغل بالتدريس والوعظ بمدارس الشام ومساجدها. (خلاصة الأثر ٢/ ٥١، والأعلام ٢/ ٢١٩).

Marfat.com

فمن نفحاتِه، وغُرِّ لُمْعَاتِه قولُه[١]: [الطويل]

يقولون في الصُّبحِ الدعاءُ مُؤَثِّرٌ ... فقلتُ نعم لو كان ليلِي له صُبْحُ
فيا عجباً منِّي أرُومُ لقاءَه ... وفي جَفْنِه سيفٌ ومِن قَدِّه رُمْحُ
وإنسانُ عينِي كيف ينجُو وقد غدَا ... يطول له في لُجِّ مَدْمَعِه سَبْحُ
وإن كان يوم البَيْنِ يسْوَدُّ فَحْمةً ... ففي نَفَسِي نارٌ وفي مُهجَتِي قَدْحُ
وليس عجيباً أن دَمْعِيَ أحمرٌ ... وفي مُهْجَتِي قَرْحٌ وفي مُقْلتِي رَشْحُ

وفي البيت الأول معنًى حسن، قال: إنه ترجمه من الفارِسِيّ، مع أنه مشهور في كلام العرب قديماً وحديثاً، كقول ابن شَبِيب: [الطويل]

هوى صاحِبي رِيحَ الشَّمَالِ إذا جرَتْ ... وأهْوَى لنفسِي أن تهُبَّ جَنوبُ[٢]
يقولون لو عزَّيْتَ قلبَك لارْعَوى ... فقلتُ وهل للعاشقين قُلُوبُ

ومثله قول ابن أُذَيْنَة[٣]: [البسيط]

قالتْ وأبْثَثْتُها سِرِّي فبُحْتُ بِهِ ... قد كنتَ عندِي تُحِبَّ السِّرَّ فاسْتَتِرِ[٤]
ألسْتَ تُبصِر مَن حولي فقلتُ لها ... غَطَّى هَواكِ وما أَلْقَى على بَصَرِي

وتابعه البَاخَرْزِيّ، فقال مِن قصيدة[٥]: [الكامل]

قالتْ وقد فتَّشْتُ عنها كلَّ مَن ... لاقَيْتُه مِن حاضرٍ أو بَادِي
أنَا في فُؤادِك فارْمِ طَرْفَك نحْوَه ... تَرَنِي فقلتُ لها وأين فُؤادِي

وللْبَهاء زُهَير[٦]: [الكامل]

جعلَ الرُّفاد لكَيْ يُواصِلَ مَوعِداً ... مِن أين لي في حُبِّه أن أرْقُدَا

وللعَرْجِيّ: [الكامل]

وزعمْتَ أن الدَّهْرَ يُغْقِبُنِي ... صَبْراً عليكَ وأين لي صَبْرُ[٧]

وفي معناه قولي[٨]: [الطويل]

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/٥٦، وأعلام النبلاء ٦/٤٠٨، والبيت الأول في نفحة الريحانة: ٢/ ٦٤٤ .
(٢) البيتان لعبد الله بن شبيب في خلاصة الأثر ٢/٥٧، وهما لبشار بن برد في ديوانه ١/١٨٦، والأغاني ٣/١٧٧ .
(٣) الشعر والشعراء: ٢٢٦ .
(٤) البيتان لعروة بن أذينة في خلاصة الأثر ٢/٥٧، والشعر والشعراء ٢/٥٧٩، وبلا نسبة في الأغاني ١٥/٣٣، وتزيين الأسواق ٥٣٠ .
(٥) ديوان الباخرزي ص٢، وخلاصة الأثر ٢/٥٧ .
(٦) ديوان البهاء زهير ٧٠، وخلاصة الأثر ٢/٥٧، ونفحة الريحانة ٢/ ٦٤٤ .
(٧) البيت للعرجي في نفحة الريحانة ٢/ ٦٤٤، وإعلام النبلاء ٦/ ٤٠٨ .
(٨) البيتان في نفحة الريحانة ٢/ ٦٤٤، وإعلام النبلاء ٦/ ٤٠٨ .

Marfat.com

يقولون لي لم تُبْقِ للصُّلْحِ موضِعاً ... وقد هجرُوا مِن غير ذَنْبٍ فمَن يُلْحَى
صدقتُمْ وأنتم للفُؤادِ سَلبتُمُ ... ومالِيَ قلبٌ غيرُه يطلبُ الصُّلْحَا

وقلتُ أيضاً: [السريع]

مُذ أودعُوا قلبيَ سرَّ الهوى ... خافوا مِن الواشِي على حُبِّي
فانتهبُوا لُبِّي ولم يقْنَعوا ... باللُّبِّ حتى أَخذُوا قلبي

عوداً على بَدْءٍ.

وله أيضاً[1]: [الطويل]

وكُنَّا كغُصْنَيْ بَانَةٍ قد تألَّفا ... على دَوْحةٍ حتّى استطالا وأيْنَعَا
يُغنِّيهما صَدْحُ الحمامِ مُرجَّعاً ... ويَسْقِيهما كأسُ السَّحائب مُتْرَعَا
سَليمَيْنِ من خَطْب الزمانِ إذا سطَا ... خَلِيَّيْن من قول الحسود إذا سعَى
ففارقني مِن غير ذنبٍ جَنَيْتُه ... وأبْقَى بقلبي حُرْقَةً وتَوجُّعَا
عفا اللَّهُ عنه ما جَنَاهُ فإنّني ... حفظت له العهد القديمَ وضيَّعا

وله أيضاً[2]: [الطويل]

أُحوِّلُ وجْهِي حين يُقبِل عامداً ... مخافَةَ واشٍ بيننا ورقيب
وفي باطني واللهُ يعلمُ أعينٌ ... تلاحِظُه فيَّ أضْلُعٍ وقلوبِ

وهذا مما تداولوه كثيراً. كقول أبي عُبَادة[3]: [الكامل]

أحْنُو عليك وفي فؤادِي لوعةٌ ... وأصُدُّ عنك ووجهُ وُدِّي مُقْبِلُ

وقوله أيضاً: [الطويل]

حبيبي حبيبٌ يكتُم النَّاسَ حُبَّه ... لنا حين تلْقانا العيونُ قلوبُ
يُباعِدني في المُلْتَقى وفؤادُه ... وإن هو أبْدَى لي البِعادَ قريبُ
ويُعرِضُ عنِّي والهوى منه مُقْبِلٌ ... إذا خاف عَيْناً أو أشار رقيبُ
فتنطِقُ منّا أعينٌ حين نلْتَقي ... وتخرسُ منا أَلسنٌ وقلوبُ

ولأبي تمّام[4]: [الكامل]

ولذلك قيل من الظنونِ جَلِيَّة ... عِلْمٌ وفي بعضِ القلوبِ عُيونُ[5]

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/ ٥٥ .
(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٢/ ٥٧ .
(٣) البيت للبحتري في ديوانه ٣/ ١٦٠٠ .
(٤) أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس، أبو تمام الطائي الشاعر المشهور، ولد في بلاد الشام قرية جاسم، ونشأ بمصر وانتقل إلى العراق، وسكن الموصل، وتوفي بها سنة: ٢٣١، من تصانيفه: الحماسة الطائية المشهورة، كتاب الاختيارات في شعر الشعراء. هدية العارفين: ٥/ ٢٦٢ .
(٥) ديوان أبي تمام: ٣/ ٣٢٦ .

Marfat.com

وأحسن منه قولي[١]: [الطويل]

تنازع فيه الشَّوْقَ قلبي وناظري ... فأثَّر فيه الطَّرفُ والقلبُ واجبُ
وتنظُرُه مِن قلبيَ الصَّبِّ أعينٌ ... عليها لِمَحْنِيِّ الضَّلوعِ حواجبُ

وله في ترجمة معنى من الفارسيّة[٢]: [الكامل]

وَرَقُ الغُصونِ دفاترٌ مشحونَةٌ ... مملوءةٌ بأدِلَّةِ التَّوحِيدِ

وله أيضاً قوله: [الكامل]

النَّاسُ نحوَ معادِهِمْ ومعاشِهم ... يسْعَوْن في الإصْباح والإمْساءِ
وأنا الذي أسْعى لِلَذَّةِ نَظْرةٍ ... مِن وجْهك المُزْرِي ببَدْرِ سماءِ
والناسُ يخْشَوْن الصُّدودَ وإنما ... أخْشى سَلِمْتَ شَماتةَ الأعداءِ

وأحسن من هذا قولي في رباعيَّة: [الدوبيت]

ما بي مهما رَضيتَ عنِّي بَاسُ ... والصبرُ بمرْهَم لِجُرْحِي آسُ
لكنني أخْشَى إذا طال نوًى ... أن يشمَتَ في الرَّجا مني الناسُ

وله أيضاً: [الطويل]

أما ينقضي هذا الغرامُ من القلبِ ... أما ينْطوي هذا المَلامُ عن الصَّبِّ
ألا حاكمٌ بيني وبين عواذِلي ... فيسألُهم ماذا يريدون من عَتْبي
ألا راحمٌ في الحبِّ أشكو ظُلامَتِيْ ... إليه فقد زادت يدُ البَيْن في حَرْبي
ألا ساعةٌ أخلو بهِ فأبُثُّه ... لواعِجَ نِيرانٍ أقامتْ على قلبي
أما في الورى مَن فيهِ رِقَّةُ رحمةٍ ... فيُبْدِي له حالي ويُوصِلُه كُتْبي
لقد ضاقتِ الدنيا عليَّ لبُعْدِه ... على رَحْبِها من غاية الشرقِ للغربِ
إذا لاح تبدُو وقْفةٌ في تلفُّظِي ... وأغدُو لما ألقاه أحْيَرَ من ضَبِّ
فما فيَّ إفْصاحٌ ولا فيه رَحمةٌ ... فيسألَ عن حالي ويُفْرِجَ عن كَرْبي
ولا أنا ذو فِكْرٍ صحيح يدلُّني ... على سببِ التَّأْنيسِ أو سببِ القرْبِ
وإني إلى مولايَ أنهيْتُ حالتي ... فغايةُ شكوَى العاجزِين إلى الرَّبِّ

وله أيضاً: [المتقارب]

إلهي أدِمْ حاكمَ الحبِّ فِينَا ... مُطاعاً وكلَّ البَرايَا أُسارَى
إلهي وزِدْ ذلك القَدَّ لِيناً ... وأشْرِب سَقِيمَ الجفونِ العُقَارا
إلهي على ضَعْفِ أهل الهوى ... أنِلْ لحظَهُ في القلوبِ اقْتِدارا

---

(١) البيتان في خلاصة الأثر ٢/ ٥٧ .
(٢) البيت في خلاصة الأثر ٢/ ٥٧ .

Marfat.com

إلـهـي جُـنـودَ الـهـوى أغْـطِـهـا ... عـلـى قُـوَّةِ الـصَّـابـريـن انْـتِـصـارا
إلـهي عـلـى الـحـبِّ ألـقـيتُ صـبْـراً ... وعـن حُـسـنِـه مـا أطـقْـتُ اصْـطِـبـارا
إلـهـي أَجَـبْـتُ رسـولَ الـهـوى ... ولـم أَلْـقَ مـنـذ دعـانـي اخْـتِـيـارا
إلـهـي رضـيـتُ بـمـا تَـرْتـضـي ... بـسِـرِّي وسـلَّـمـتُ أمـري جِـهَـارا
إلـهـي لِـيَ الـجَـبْـرُ فـيـمـا تَـرَى ... وإن ظـنَّـه الـعـاذلـون انـكِـسـارا
إلـهـي أعِـدْ لـيـلَ هِـجْـرانِـه ... بـصُـبْـح الـوفـا والـتـلاقِـي نَـهَـارا

أقول: هذا أسلوبٌ من أساليب الفصاحة لطيف، كما بيناه في كتابنا المسمى بـ «حديقة السحر»، وهو نقْل الكلام من طريق إلى آخر، كاستعمال ما عُهِد استعمالُه في الدعاء والمناجاة في التغزُّل، كما هنا.

ومثلُه قول ابن الوَكيل[1]: [الكامل]

يـا ربِّ جَـفْـنِـي قـد جـفـاه هُـجُـوعُـه ... والـوجدُ يَـعْـصِـي مُـهـجَـتـي ويُـطيعُـه[2]
يـا ربِّ قـلـبـي قـد تـصـدَّع بـالـنَّـوى ... فـإلـى مـتـى هـذا الـبِـعـادُ يَـرُوعُـه
يـا ربِّ فـي الأظْـعـان سـار فـؤادُه ... يـا لـيـتَـه لـو كـان سـار جَـمـيـعُـه

ولم يزل يكرِّر «يا رب» إلى آخر القصيدة.

ومنه استعمال ما ورد في الرَّسائل والمكاتَبات في غيره، كقول الشَّاب الظريف ابن العَفيف[3]: [الوافر]

أعـزَّ الـلـهُ أنـصـارَ الـعـيـونِ ... وخـلَّـد مُـلـكَ هـاتـيـك الـجُـفـونِ[4]
وأسـبـغ ظـلَّ ذاك الـشُّـعـرِ دَوْمـاً ... عـلـى قَـدٍّ بـه هَـيَـفُ الـغـصـونِ

ومن شعر صاحب الترجمة قوله: [الطويل]

لـهـا فـي رُبَـى قـلـبِ الـمـحـبِّ مَـقِـيـلْ ... وظِـلٌّ بـأحْـنـاءِ الـضُّـلـوع ظـلـيـلْ
وإن ظـمِـئـتْ فـالـوِرْدُ مـن مـاء دمـعِـه ... يُـبَـلُّ بـه عـنـد الـهـجـيـر غـلـيـلْ
فـكـم أَلِـفـتْ هـذا الـنِّـفـارَ كـأنـمـا ... فـؤادُ الـمُـعـنَّـى بـالـسُّـقـام مُـحـيـلْ
أجَـلْ إن عـفـا مِـن بـعـدهـم فـكـأنـمـا ... يُـجَـرُّ عـلـيـه لـلـجَـنُـوب ذُيـولْ
مـنـازلُ هـذا الـقـلـبِ كُـنَّ أواهِـلاً ... وهـا هـيَ مـن بـعـد الـفـراق طُـلـولْ

---

(١) ابن الوكيل: محمد بن عمر بن مكي (٦٦٥ -٧١٦هـ): شاعر، من العلماء بالفقه. كانت له ذاكرة عجيبة، حفظ مقامات الحريري في خمسين يوماً، وديوان المتنبي في أسبوع. (الأعلام ٦/ ٣١٤).
(٢) الأبيات في خلاصة الأثر ١/ ٢٤٦ - ٢٤٧، ونفحة الريحانة ١/ ٣٢٥.
(٣) الشاب الظريف: محمد بن سليمان بن علي، التلمساني، الشاب الظريف، ابن العفيف، ولد بالقاهرة سنة: ٦٦١، وتوفي بدمشق سنة: ٦٨٨، له ديوان شعر مرتب على حروف المعجم. هدية العارفين: ٢/ ١٣٦.
(٤) البيتان للشاب الظريف في ديوانه ٦٤، وخلاصة الأثر ١/ ٢٤٧، ونفحة الريحانة ١/ ٣٢٦.

Marfat.com

لك اللهُ يا ابن الأكرمين أيَشْتفي ... فؤادٌ لبَيْن الظَّاعنين عَليلُ
ويا ظبيُ هل بعد النِّفارِ تَأَنُّسٌ ... ويا بدرُ هل بعد الأُفولِ قُفولُ
ويا منزلَ الأحبابِ أين تَرَحَّلُوا ... وهم في فؤادي ما حييتُ نُزولُ
يميلون عنِّي للوُشاةِ وإنني ... إليهم وإن طال الصُّدودُ أَمِيلُ
أيَجمُل من أحبابِ قلبيَ غدرُهم ... بغَدْرِي وما غدرُ المُحِبِّ جَميلُ
عليَّ لهم حِفظُ الودادِ وإن جنَوْا ... وليس إلى نقْضِ العهودِ سَبيلُ
وظبي أراد العاذلون سُلُوَّهُ ... وأبْعدُ شيءٍ ما أراد عَذُولُ
وقد ضاع قلبي مُذْ رأيتُ جماله ... فهل لي عليهِ في الأنامِ دليلُ
وما هاجَني إلا ابنُ وَرْقاءَ سُحْرَةً ... له فوق أفنانِ الرِّياض هَدِيلُ
يُردِّد في صُحْفِ الرِّياض قصائداً ... من الشَّوق يُمليها لنا ويَميلُ
يُخيِّل أن البينَ آذَى فؤادَه ... وكيف ولمَّا يَنْأَ عنه خليلُ
ولم تحْتكم فيه اللَّيالي ولم يَبِنْ ... عليه لبَيْنٍ رِقَّةٌ ونُحولُ
أمَا والهوى لو ذُقتَ ما ذقتُ في الهوى ... لما ازْدان بالأطواقِ منك تَلِيلُ[1]
على أنه ما فارق الإلْفَ دهرَه ... وما لي إلى وَصْلِ الحبيبِ وُصولُ
تسنَّمَ غُصْناً في رياضٍ أريضَةٍ ... تهُبُّ عليها شَمْأَلٌ وقَبُولُ[2]
يُصفِّق جَذْلانَ الفؤادِ كأنما ... تُدارُ عليْهِ في الكُؤوس شَمُولُ

وأنشدني له بعض الأدباء رُباعيَّة، هيَ: [الدوبيت]

يا قلبُ إلى متى عَدَاك النُّصْحُ ... كم تمزحُ كم جنى عليك المَزْحُ
كم جارحةٍ عدا عليها الْجَرْحُ ... ما تشعرُ بالخُمارِ حتى تصْحُو

قلتُ: ليست هذه له؛ فإنها في «ديوان محمد بن علي»، كما ذكرناه في «ديوان الأدب».

ومن شعره، أعني صاحب التَّرجمة: [الوافر]

ألا سامحْ أخاكَ إذا تعدَّى ... وألْقِ إليه في الحربِ السِّلاحَا
فمن يغْتِبْ على الخِلاَّن يتْعَبْ ... ومن لزم المُسامحةَ اسْتراحَا

وله أيضاً: [الخفيف]

صاحبي مَن يَودُّني بالفؤادِ ... لا قريبي في حلَّتي وبلادِي
ليت شعرِي إذا تناءَتْ قلوبٌ ... أيُّ نفعٍ لصُحبةِ الأجْسادِ

---

(١) القليل: العنق.
(٢) رياض أريضة: كثيرة العشب. وأرض أريضة: زكية كريمة.
- القبول: ريح الصَّبا، لأنها تقابل باب الكعبة.

Marfat.com

وله أيضاً[١]: [الطويل]

خَبَأْتُكَ في عيني لتخفَى عن الورَى ... لذلك قالوا إن في العينِ إنْسانَا

وأحسن من هذا قولي[٢]: [المتقارب]

خَبَأْتُكَ في العين خوفَ الوُشاةِ ... وكم شرَّفَ الدارَ سُكَّانُها

ومن غَيْرَةٍ خِفْتُ أن يفطِنُوا ... إذا قيل في العين إنْسانُها

ومن فوائده: أنه سئل عن قول صاحب الهمزيَّة[٣]: [الخفيف]

شمسُ فضلٍ تحقَّق الظنُّ فيه ... أنه الشمسُ رِفعةً والضِّياءُ

فإذا ما ضَحى محا نورُه الظِّلَّ ... وقد أثْبتَ الظِّلالَ الضُّحاءُ

فكأن الغمامةَ اسْتودعتْه ... مَن أظلَّتْ من ظله الدفَّاءُ

فذكر ما للشَّارحين فيه من الكلام الذي لا مُحصِّل له، فخالفهم فيما قالوه من أن «الدففا» بفاءين، «وأظلت» فيه بالظاء المشالة، وذكر كلاماً لا طائل تحته، باء على أن «أضلت» بالضاد، من الضلال بمعنى الإضاعة «والدففا» بمعنى جماعة مُسرِين من الجيش أو الملائكة، وفيه خَبْط وخَلْط، والذي عندي فيه أنه تحرَّف عليهم أجمعين، وإنما هو هكذا:

فكأنَّ الغَمامة اسْتُوْدعتْهُ ... مُذْ أُظِلَّتْ مِن ظِلِّه الدَّقْعاءُ

«فاستُودِعْته» و«أُظِلَّت» مبنيّان للمفعول بصيغة المجهول، «ومذ» بميم مضمومة وذا معجمة «والدَّقْعاء» بدال مفتوحة مهملة وقاف وعين مهملة ثم مذ بمعنى الأرض وترابها، كما هو مُصرَّح به في كتب اللغة، والمعنى أن الغمام إنما أظلَّه لئلا يمسَّ ظلُّه الأرض؛ فلذا أخذه وديعة عنده، ليصونه عن مسّ التراب، وهذا معنًى بديع، يعرفه مَن ذاق حلاوةَ الشِّعر، وعرف مغزاه.

وفي قوله «مذ أظلَّت» إلخ، معنيان: أحدهما، مذ مسَّ ظِلُّه التُّراب. والآخر: مذ صارت الأرض كلها في حِمايتِه؛ لأنه ظِلُّ اللهِ.

وفي معناه رباعيَّة لي[٤]: [الدوبيت]

ما جُرَّ لظِلِّ أحمدَ أذيالُ ... في الأرضِ كرامةً كما قد قالُوا[٥]

هذا عجيبٌ وكم له من عَجَبٍ ... والناسُ بظلِّه جميعاً قالُوا

---

(١) البيت مع بيت آخر في خلاصة الأثر ٢/ ٥٨، ونفحة الريحانة ٣/ ٢٣٥ .

(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٢/ ٥٨، ونفحة الريحانة ٣/ ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) الأبيات للبوصيري في ديوانه ص ٥٨، وهي الأبيات (١٣٤ - ١٣٦).

(٤) الرباعية في نفحة الريحانة ٤/ ٤٢١، وشرح الشفاء ٣/ ٣١٩ .

(٥) قالوا: من القول، وفي البيت التالي «قالوا»: من القيلولة.

Marfat.com

وفي التَّائية المنسوبة للسُّبْكِيِّ[1] التي نظم فيها معجزاتِ النبيّ ﷺ، وشرحها بعض المتأخِّرين: [الطويل]

لقد نزَّهَ الرحمنُ ظِلَّك أن يُرَى ... على الأرضِ مُلْقًى فانطَوى لِمَزيَّةِ
وأثَّر في الأحجارِ مَشْيُك ثم لم ... يُؤثِّر برمْلٍ حلَّ بطْحاءَ مَكَّةِ

قال شارحها: قيل: إنه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظِلُّه على الأرض؛ لأنه نور رُوحَانِيّ: [الخفيف]

مَا لَطه رأى البريَّة ظِلاً ... هو رُوحٌ وليس للرُّوحِ ظِلُّ

والنور لا ظلَّ له، وكذا الرُّوحانِيّات كالملائكة؛ لأنها أنوار مُجرَّدة.

قيل: ولهذا أظْهرَ الأُمِّيَّة؛ لئلار يقع ظلُّ يدِه على اسم الله لو كتبَه، ولا يخفى ما فيه.

وقيل: لم يُرَ ظِلُّه؛ لأن الغَمام يُظِلُّه.

وقيل: هو تكريمٌ له، لئلا يقع ظِلُّه على الأرض، فيُوطَأ مَحلُّه.

ونُقِل أن بعضَ اليهود كان يطأُ ظلَّ المسلمين إهانةً لهم، فصِين لئلا يُمْتَهن.

وقيل غير ذلك.

وأما كَوْن قدمِه ﷺ يُؤثِّر في الحجر دون الرمل، فكان في ذهابه لغار ثَوْر مع أبي بكر، كان يقول له: «ضَعْ قَدَمَك مَوضِعَ قَدَمِي فإنَّ الرَّمْلَ لاَ يَنِمُّ عَلَيْهِ» لإرادة الله تعالى إخفاء أثره عمَّن يطلبه من المشركين؛ ولأن له الحجرُ إظهاراً لأنه لا يستعصِي عليه، ولتكون فيه سِمَة ينجو بها من النار، التي وَقُودها الناسُ والحجارة، ودلالة على شِدَّة قسوة قلوب الكَفَرة إلخ.

٤- أبو المعالي دَرْويش محمد الطَّالُوِيّ

وحيدٌ له الحزم تِرْب واللطف قَرِين، وماجدٌ ما له في قَصَب السَّبْق رَهين، وَرِبق قُضب المُرُوَّة، فاتح حصون المُلِمَّات عُنْوَة، سليل المعالي والكرم، رقيق حواشي الطبع والشِّيَم، فكم في عُلاه مَسْرَح للمَقال، ومجال لمُضْمَرات الأماني والآمال: [المتقارب]

إذا أعجبتْك خِصالُ امْرِئٍ ... فكُنْه تَكُن مثلَ ما يُعْجِبُكْ

---

(١) السبكي: محمد بن عبد اللطيف: تقي الدين، أبو الفتح المتوفى سنة: ٧٤٤ . هدية العارفين: ٢/ ١٥١ .

٤- أبو المعالي درويش محمد بن أحمد، أبو المعالي الطّالُوي الحنفي، ولد بدمشق سنة: ٩٥٠ من أب رومي وأم من أسرة طالو، ولزم في أول أمره صنعة السروج، ثم جذبه الشهاب الغزي إليه متوسماً فيه حب العلم، صحب أبا الفتح المالكي، كانت أخلاقه متفاوتة فما مدح أحداً إلاّ عاد وهجاه. خلاصة الأثر: ٢/ ١٤٩، هدية العارفين: ٢/ ٢٦٥ .

Marfat.com

فليس على المجدِ من حاجبٍ إذا جِئتَه زائراً يَحْجُبُكْ

حسَّان عصره، وأبو عُبَادة دَهْره، له في المجد زَنْد وَرِيّ، وللأسماع من مَورِده العذب شِرْب ورِيّ، نور مُحيَّاه في ظلمة الخطوب هادٍ، وصِيتُ كَرَمه لركائب الآمال حادٍ، وبحر فكره المديد سريع، ونسجُ طبعه أبْهى وأبهج من وَشْي الربيع، إذا حَلَّى أجيادَ الغصون بعقود در الغمائِم، وألبس هاماتِ الرُّبَا من النَّبْت مُخضَرّ العمائم، فكأنه بسحر البيان، أغْدَى عيونَ الغِيد الحسان.

نَجْمٌ تُجْلَى عليه المعاني صورةً فصُورة، وتُتْلَى عليه آياتُ الفضل سُورة بعد سُورة.

وإذا كاتب بألفاظه الرقيقة، وَدَّ السِّحْرُ لو كان قِنَّه ورقيقَه، فكم سرَّح طِرْفَ طَرْفي في رياض المنثور، فجَنى من حدائقِه بيَد الفكر غضَّ الزهور، ففاح نَشْرُ بلاغتِه في ليل جِبْره، ولا بدع للمنثور إذا عَبَق في عَنْبَر الظلماء عبيرُ نَشْرِه، فحلَّيْتُ لساني بعقود إنشائِه الدُّرِّيّة، وأشرق عليَّ من فلك المُسامرةِ كواكبُها الدُّرِّيّة، ورأيت سَبْح سطورها في يد المجد، وخِيلانُ نَقطها تَزين من وجه الطُّرس صفحة الخدّ، فسبَّحت عجباً من دُرٍّ لونُه السَّواد، ومن رياضٍ كافورٍ تُنبت مِسْكَ المِداد: [الكامل]

فكأنَّ أسطُرَه غصونُ حديقةٍ ومن القوافي فوقَهُنَّ حَمامُ

وهو فرعٌ من شجرة آل طَالُو، الذين فاقوا في رتب العُلى وطَالُوا: [الكامل]

إن حاربُوا ملأُوا البلادَ مَصارِعاً أو سالمُوا عمرُوا الدِّيارَ مساجِدا

طلَعُوا في رُبَى الجياد غصوناً مُورِقة بالسلاح، وبَسَقت فروعُها من بيض الصِّفاح وسُمْرِ الرِّماح، صيَّروا أكفَّهم للمكارم مَعْدِنَا، وأبوابَهم لوفُود السَّعادة مَوْطنَا، فكم من راكب عَجِل استوقفتُه فوقَف، وأهدى إليَّ مِن آثارهِ تحفاً بكل طرْفَةٍ تُحَف، حتى ورد عليّ بالروم فقَرَّ بهِ نظري، ولم تسمع أُذني بأحسن مما قد رأى بصري، فطار غُرابُ البَيْن من وَكْرِ العَنا، ونثرت عليَّ قوادمُ يُمْنِه نِثار الثَّنا، وأنا ثَمَّت غريبُ الوجه واليد واللسان، وليست الفُرقة فقدُ الأهل بل فقد الأحبَّة والإخوان، فدار بيني وبينه كئوس مُحاورات تُسكر الأذهان، ويختَسِي حُميَّاها فكرُ كل لبيب بأفواه الآذان، ويُوسَم بها عقلُ الدهر، وتُغْضِي حياءً منها عيونُ الزَّهر.

فممَّا كتبتُه إليه؛ لأستمطر سحائبَ طبْعِه الغُرّ، وأستجدي كرماً من رَقِيق خُلقِه الحُرّ، وأستَمْرِي منها ماءَ الحياة على غُلّة، قطراتٍ لو وقعت في بحور الأشعار لم يكن بها عِلّة، قولِي[1]: [الكامل]

قبَّلتُ مُصطبِحاً شِفاهَ الأكْؤُسِ والصبحُ يَبْسَمُ لي بثَغْرِ الْعَسِ

---

(١) البيت الأول في خلاصة الأثر ٢/١٥٣ .

Marfat.com

حتى غدتْ منه الغزالةُ واختَفى ... مِسْكُ الدُّجَى عند الجوارِي الكُنَّسِ
والنهرُ سيفٌ والنسيمُ فِرِنْدُه ... وله حمائلُ من خمائلِ سُنْدُسِ
أو صدرُ خُودٍ فتَّحتْ أطواقَها ... أو شقَّقتْ للوجْدِ حُلةَ أطْلَسِ
والطَّيرُ تشدُو والغصونُ رَواقِصٌ ... في وَشْيِ دِيباجِ الرَّبيعِ السُّنْدُسِي
وعلى الخلاعة ليس جيدِي عاطلاً ... من حِلْيةِ المجدِ العزيزِ الأَنْفَسِ
ولواحِظ مرْضَى بها اعتلَّ الصَّبَا ... والصَّبُّ بالسُّقْم المُبَرِّحِ مُكْتَسِ
فتَنتْ بأنفسها ففيها عِلَّةٌ ... من وجدِها وفتورُ مهجورٍ نُسِي
فلكم قطفْتُ ثمارَ لهوٍ أيْنَعَتْ ... وغفِلتُ عما قد جَنى الدهرُ المُسِي
وطردتُ آمالِي براحةِ عِفَّتِي ... إن التَّمنِّي رأسُ مالِ المُفْلِسِ
رامَ التَّلَمُّسُ بذْلَ شعرِي بُرهةً ... فطرحتُه كصحيفةِ المُتَلَمِّسِ
وكَحَلْتُ طَرْفِي بالسُّهاد صبابةً ... ووهبتُ نومي للعيون النُّعَّسِ
ونظرتُ خَدَّ الورد لما احمرَّ من ... خجلٍ وقد بُهِتَتْ عيون النَّرجِسِ
وأظنُّ خَجْلَته لخدِّ الطِّرس إذْ ... أمسى بوَشْيِ عِذارِ شَعرك مُكْتَسِي
يا عِقدَ جِيد الدَّهر غُرَّةَ فجره ... وطِرازَ ما حاك العُلا من مَلْبَسِ
بل كعبةً حجَّتْ لها آمالُنا ... فدنَتْ إلى حَرَمِ الكمال الأقْدَسِ
مِن آل طَالُو فِتْيةٌ طالُوا الورَى ... بذُرَى أَشَمَّ من المعالي أَقْعَسِ
بمناقبٍ تُلِيتْ لنا آياتُها ... عنهلِ يكادُ يُبين نُطْقُ الأخْرَسِ
ورياض فِكرٍ بالفضائل أثمرتْ ... فغدَتْ تُحَدِّثُنا بطِيب المَغْرِسِ
أسكَرْتنا بسُلافِ شِعرٍ لفظُه ... كأسٌ له فِكري بسمعي مُخْتَسِ
وسرَتْ نُسَيماتٌ سُحَيْرا أرقصَتْ ... طرباً بها عقلَ اللبيب الأكْيَسِ
فاعجَبْ لها من أكؤُسٍ ما أُبرِزَتْ ... إلا رآها الذَّوقُ نَقْلَ المَجْلِسِ
وسهامِ أقلامٍ له تُضْمِي العِدا ... وتَظلُّ بين مُسَدَّدٍ ومُقَرْطَسِ
ناجَيْتُه وظَلامُ فكري قد دجا ... وصباحُ صَفْوي عنه لم يَتَنَفَّسِ
فجلا السُّرورَ له بثغرٍ باسم ... طَلْقِ الجبين كوجْهِ يوم مُشْمِسِ
فإليْكَها منِّي قوافيَ دَوْحُها ... زاهٍ بغير يدِ النُّهَى لم يُمْسَسِ
بِكراً إلى كُفءٍ تُزَفُّ ومهرُها ... نَقْدُ الجواب براحةِ المستأنسِ
لازِلتَ في حُلَلِ المسرَّةِ رافلاً ... ما حَدَّقتْ ليلاً عيونُ الخُنَّسِ

فأجاب وأجاد رحمه الله: [الكامل]

خدٌّ تورَّدَ من لهيبِ تَنَفُّسِ ... أم قَدُّ مَغسولِ المَراشِفِ ألْعَسِ[1]

---

(١) البيت الأول في خلاصة الأثر ٢/١٥٣ .

Marfat.com

مِـن رِيـم وَجْـرةَ أو جَـآذِرِ جَـاسِـم لبسَ الشَّبابَ الرَّوق أحسنَ مَلْبَسِ[1]
مُـتـوشِّـحـاً خَـطِّـيِّ قـامـتِـه فـإنَّ ماسَتْ فيا خجلَ الغصونِ المُيَّسِ
فـإذا رنـا فـالـلَّـحـظُ مـنـه بـابِـلٌ هـاروتُ مـنـه نُـطْـقُـه كـالأخْـرَسِ
أم عِقدُ غانيةِ الحسان زَهَتْ به تِيهاً على زُهْر الجوارِي الكُنَّسِ
أم لُـؤلُـؤٌ رَطْـبٌ تَـوائِـمُ زَانَـه حُسنُ النِّظام بِجِيدِ ظَبْيَةِ مَكْنَسِ
أم روضـةٌ غـنَّـاءُ غـنَّـتْ فـي ذُرَى أغـصـانِـهـا وُرْقٌ بـلـحْـنٍ مُـؤنِـسِ
حاكتْ لها أيدي الجَنوبِ مَطارِفاً وكسَتْ معاطفَهَا غلائلَ سُنْدسِ
مـا بـيـن أصـفـرَ فـاقـعٍ أو أحـمـر قـانٍ وأبْـيـضَ نـاصـعٍ ومُـوَرَّسِ
أم غـادَةٌ هـيْـفـاءُ أذْكَـرَت الـصِّـبَـا صبّاً تنَاسَى العهدَ منهُ وما نَسِي
وافـتْ وأفـراسُ الـصِّـبَـا قـد عُـرِّيـتْ والـقـلـبُ أقـصـرَ عـن هـواه ومـا أَسِـي
وافـتْ وَفِـيَّ بـقـيَّـةٌ ألـهـو بـهـا مِن شَرْخِيَ الماضي تَعِلَّةَ مُفْلِسِ
مِـن مـاجـدٍ وشِـهـابِ فـضـلٍ ثـاقـبٍ حُلوِ الشَّمائلِ بالفضائلِ مُكْتَسِ
فـظَـنَـنْـتُ رَيْـعـانَ الشَّـبـابِ أُعـيـد لـي حتى الوصالُ مِنَ الحبيب المُؤْنِسِ
فـطـفِـقْـتُ أهـصِـرُ بـانَـةً مـن قَـدِّهـا والـقـلـبُ بـيـن تَـوَجُّـس وتـهَـجُّـس
حتى اطمأنَّتْ فاجْتَلَيْتُ بوجهِها قمرَ السَّماءِ بلَيْلِ شَعرٍ حِنْدِسِي[2]
لمَّا بدا خفِيتْ له شمسُ الضُّحى في ثوب غَيْمٍ ترْتديهِ وتكْتَسِي
نطقَتْ مناطقُها فأُخْرِسَ دونها نُطْقُ الفَصيحِ وحارَ فِكْرُ الكَيِّسِ
لِمَ لا وناظمُها الشِّهابُ من اغتَلى شُهْبَ العُلى بكَمالِ فضلٍ أَقْعَسِ
فَـرْعٌ نَـمَـاهُ إلـى خـفـاجـةَ مَـخـتِـدٌ والفرعُ يُنْبِىءُ عنه طِيبُ المَغْرِسِ
وافـتْ لـنـا مـنـه حـديـقـةُ روضـةٍ خجِلتْ لبهْجَتِها عيونُ النَّرْجِسِ
طِـرسٌ بـه زُهْـرُ الـنـجـوم كـأنـه صبحٌ وهُنَّ به بقايا الحِنْدِسِ
لثَمتْ شِفاهُ الغِيدِ قِدْماً نِقْسَه فغدا له فيه حياةُ الأنْفُسِ[3]
إنِّي لأعجبُ من شِهابٍ قد سما مُتَبَوِّأً العَلْيَاءِ أرْفَعَ مَجْلِسِ
والشُّهْبُ تطلُعُ في السَّماءِ وَحَدُّها فَلَكُ الثَّوابتِ وهْوَ فوق الأطْلَسِ
لازلتَ في حُلَلِ الفضائلِ رافلاً مُتوشِّحاً بُرْدَ الشَّبابِ الأنْفَسِ

---

(١) وجرة: منزل لأهل البصرة إلى مكة، منها يحرم أكثر الحاج. (معجم البلدان ٥/ ٣٦٢).
جآذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية.
جاسم: قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ، على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية. (معجم البلدان ٢/ ٩٤).
- الروق: أول الشباب.
(٢) الحندس: الليل المظلم.
(٣) النِّقس: المداد.

Marfat.com

خُذْها وإن كانت مُقصِّرةً فمِن ... شأنِ الكرامِ قبولُ عذرٍ من مُسِي
شامِيَّةً يعنُو لباهرِ حسنِها ... وجهُ الغزالةِ والغزالِ الأَلْعَسِ
وانْعَم بها لازلتَ تُرشِفُ سمعَنا ... من رَاحِ نظْمِك مُتْرَعاتِ الأَكْؤُسِ

ومما أنشدَنيه قولُه من قصيدة له: [الطويل]

يَراعُكَ أمْضَى من شفارِ الصَّوارم ... ورأيُكَ أجْلَى من بُروقِ المَباسِم[1]
مَضاءٌ يقُدُّ المُرْهَفاتِ وعَزْمَةٌ ... لها في ضِرامِ الخَطْبِ فعلُ الضَّراغِمِ

ومنها:

بِسَيَّارةٍ مثلِ النُّجوم طوالعٍ ... قوافٍ لَعَمْرِي أفحمتْ كلَّ ناظمِ
تَساقَطَ في الأسماع لُؤلُؤُ لفظِها ... تَساقُطَ طَلٍّ فوق زَهْرِ الكَمائِمِ
بقِيتَ لهذا المُلْكِ تحمي ذِمَاره ... بسُمْرِ يَراع الخطِّ لا بالصَّوارِمِ[2]
جنابُك محروسٌ وبابُك كعبةٌ ... لبطْحائِها حَجِّي وفيها مَواسِمِي

وله أيضاً: [البسيط]

كفى به جائراً في الحُكمِ ما عدَلا ... لو كان يسمعُ في أحبابهِ عَذَلاَ
وراح يُضمِر سُلْواناً بخاطره ... عن مَائِساتٍ قُدُودٍ تُخجِل الأسَلاَ[3]
بل كيف يصحو غَراماً أو يُفِيقُ هَوًى ... مَن باتَ بالأحور العيْنَين مُشتَغِلاَ
فما الهوى غيرُ أجفانٍ مُسهَّدةٍ ... تهْمِي بقلْبٍ بنِيران الأسَى شُعِلاَ
ولا الغرامُ سوَى وَجْدٍ يُكابِدُه ... إلى الحِمَى يا سَقَى اللهُ الحِمَى نَهَلا
حِمَى دِمَشْقٍ سقاها غيرَ مُفسدِها ... صَوْبُ الغمام وروَّى روضَها عَلَلاَ
حتى تَظَلَّ بها الأرْجاءُ باسمةً ... ويضحك النَّوْر في أكْمامِه جَذَلاَ
وخصَّ بالجانبِ الغربيِّ مَنْزِلةً ... لبِسْتُ فيها الشبابَ الرَّوْقَ مُقْتَبِلاَ
مَغْنى الهوى ومغاني اللَّهو حيث به ... مَهاً إذا طلعتْ بدرُ السَّما أَفَلاَ
تلك المنازلُ لا شَرْقِيُّ كاظِمةٍ ... ولا العقيقُ ولا شِعْبُ الغُوَير ولاَ[4]
ديارُ كلِّ مَهاةٍ كم أقول لها ... والصبرُ ينْحَل في جسمي كما نَحَلاَ
بما بِعيْنِكِ من سحرٍ صِلِي دَنِفاً ... يهْوَى الحياةَ وأمَّا إن صدَدْتِ فلاَ

---

(١) الصوارم: جمع الصارم، وهو السيف القاطع.
(٢) الذمار: ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه ويدافع عنه.
- السمر: جمع أسمر، وهو الرمح.
(٣) الأسل: الرماح.
(٤) كاظمة: جوّ على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة. (معجم البلدان ٤/ ٤٣١).
- الغوير: ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة. وقيل: هو ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام.

Marfat.com

اللـهُ يـعـلـم أنـي بـعـد فُـرْقَـتِـهـا ... فارقتُ شَرْخَ الصِّبا واللهوَ والغَزَلاَ
ما كنتُ لولا طِلابُ المجدِ أهجرُها ... هجْرَ امرىءٍ مغرم بالرَّاح كأْسَ طِلاَ
ولا تخيَّرْتُ أرضَ الرُّوم لي سكناً ... ولا تعوَّضْتُ عنها بالصَّبَا بَدَلاَ
ولا امتَطيْتُ عِتَاقَ الخَيلِ رامِيةً ... بِيَ الْمَوامِي تجوبُ السَّهلَ والجبلا[1]
مِن كل طِرْفٍ يفوق الطَّرفَ سُرعتُه ... وسابحٍ مثل سِيد الرَّمل ما عَسَلا[2]
إذا تطلَّع من لُجِّ السَّرابِ يُرَى ... بدْراً غدا بهلالِ الأفْقِ مُنْتَعِلاَ

ومنها:

متى أتى بِيَ أرضَ الرُّوم مُنتجِعاً ... روضاً أريضاً وماءً بارداً وكلاَ
وقال بُشْراك روضُ الفضل قلتُ له ... روضُ ابن بُستانِ مولانا فقال بَلَى
هو الجوادُ الذي سارتْ مواهبُه ... تدعو العُفاةَ إلى نعْمَائِه الْجَفَلَى[3]

ومنها:

وهاكَها من بناتِ الفكرِ غانيةً ... شاميَّةَ الأصْل مهما سائلٌ سألاَ
غريبة في بلادِ الرُّومِ ليس لها ... كُفْؤٌ سِواك فأنقِذْ مَهْرَها عَجَلاَ

وكتب له بعض أحبابه قصيدةً هَزَّت بنسيم عُتْبِها عِطْفَ آدابه، فأجابه بقوله، عفا الله عنه: [البسيط]

توشَّحَتْ كالنجوم الزُّهر في الظُّلَم ... سِمْطَيْن من لُؤلُؤٍ رَطْبٍ ومن كَلِمِ
وقلَّدتْ جِيدَ آرَامِ النَّقا دُرَراً ... بزَّتْ بهنَّ دَرَارِي الأفْقِ بالقلمِ
وأقبلَتْ في مُرُوطِ الزَّهو رافِلةً ... تجرُّ تِيهاً فُضُولَ الرَّيْط من أَمَمِ[4]
جيداءُ مصقولةُ القُرطيْن مَائِسةُ الـ ... ـعِطْفين مخضُوبةُ الأطْراف بالعَنَمِ[5]
كأنها حين وافَتْ والفؤادُ بها ... صَبٌّ صُبابةُ شَرْخٍ مَرَّ كالحُلُمِ
فما الرِّياضُ بَكَاها الفطرُ ليلَتَه ... بُكاءَ طَرْفٍ قريحٍ بات لم يَنَمِ
شوقاً لِطَيْفِ خيال بات يرقُبُه ... مِن ناقضِ العَهْدِ والميثاق والذِّمَمِ
يُضاحِك المُزْنُ فيه الأقحوانَ ضُحًى ... عن ثَغْرِ مُبْتَسِمٍ بالدُّرِّ مُنْتَظِمِ
فالوُرْقُ صادِحَةٌ والروضُ ضاحكةٌ ... ثغورُه بَيْن مُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ[6]

---

(١) الموامي: جمع مَوْماة، وهي الفلاة.
(٢) الطرف، بالكسر: الفرس. السيد: الأسد والذئب. عسل الذئب: اضطرب في عَدْوِه وهز رأسه.
(٣) العفاة: جمع عاف، وهو من يطلب المعروف. الجفلى: الجماعة.
(٤) الريط: جمع ريطة، وهي كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد. الأمم: القرب.
(٥) العنم: ضرب من الشجر له نَوْر أحمر تشبه به الأصابع المخضوبة.
(٦) انسجم الماء والدمع: انصب.

Marfat.com

تجاذِبُ الرِّيحُ أطرافَ الغصون بها ... فتنْثَنِي والهوى ضَرْبٌ من اللَّمَمِ[1]
يوماً بأحْسَنَ مَرْأى من شَمائِلِها ... وقد أتتْ بعِتابٍ من أخي كَرَمِ
مُهذّبِ القول إلا أنه أُذُنٌ ... يُصْغِي إلى قولِ واشٍ بالنِّفاقِ سُمِي
لا يعرفُ الوُدَّ إلا مَذْقَ ساعتهِ ... والشَّاهدُ العَدْلُ ما يتلُوه من قَسَمِ[2]
هيْهات ما الوُدُّ ممَّن كنتُ أعهَدُه ... باقٍ وقد حال عن عهْدِي ولم يَدُمِ
فيا لهُ من عِتابٍ لم يَفُهْ أبداً ... بمثْلِه أحدٌ في سالفِ الأُمَمِ
سِوى امْرِئٍ ساء ظَنّاً في صنائِعِه ... فساءَ ظنّاً بِخِلٍّ غير مُتَّهَمِ
وشاتمُ العرْضِ فيما قيل، كُنْ فطِناً ... مَن بلَّغ القولَ لا مَن ذاك عنه نُمِي
لا يُعْزَيَنْ ذاك للإحسانِ والنِّعَمِ ... بل ذاك يُعْزَى لبُهْمِ القاع والنَّعَمِ
كم من أخٍ صارمٍ وُدِّي صَبرْتُ له ... حتى ارْعَوى ووِدادِي غيرُ مُنْصَرِمِ
يا مَن تُعَمِّر منه بيْتَ باطنِه ... وظاهرُ الأمر أن البيْتَ لم يرمِ
يا مَن له مِن وِدادِي كلُّ خالصةٍ ... أصفُو بها صَفْوةَ الأخْلاقِ مِن شِيَمي
أصِخ إلى القول واسْمعْ ما أقول فَلِي ... صَبْرٌ له ركنُ رَضْوَى غيرُ مُنْهَدِمِ[3]
قد كُنْتَ رَيْحانةَ العَيْشِ التي بَسَقَتْ ... أغصانُها في حِمى المعروفِ والكَرَمِ
فصوَّحتْ وذَوَى الغصنُ الرَّطيبُ فلا ... دارٌ بحَزْوَى ولا رَبْعٌ بذِي سَلَمِ[4]
ولا مَعاجٌ على سِقْطِ اللِّوى وبه ... جآذرٌ قد كَحَلْنَ الوُدَّ بالسُّقَمِ
ولا على طَلَلٍ دَمْعٌ يُراقُ ولا ... يُؤَرِّقُ الجَفْنَ ذكرُ البانِ والعلمِ[5]
خُذها عقيلةَ فكرٍ بنت ليلْتِها ... وِشاحُها النَّجمُ عِقْدٌ غيرُ مُنْفَصِمِ
واسلَمْ على حالَتيْ وُدٍّ وصِدْق وَلاَ ... مَا زانَ عِقْدَ نِظامٍ جَوْهَرُ الكَلِمِ

وكان له غلام تُعصَر من شمائله سُلافةُ اللَّطافة، هَمَّتْه[6] في خِدمتِه خِفَّةُ النشاط إلا أردافَه، أحْلَى من ظَفَر عَاني، وألذُّ من حديث الأماني، لو قيل للحُسْنِ تَمَنَّ المُنَى تمنَّى أنه مثلُه، لشغَفِه به سلَّم له قلبَه، فسرَى به رَبْطه وحَلَّه، فسلَبه منه الزمانُ أبو البدائع،

---

(١) اللمم: ما دون الكبائر من الذنوب.
(٢) المذق: الخلط.
(٣) رضوى: جبل بالمدينة قرب ينبع. (معجم البلدان ٣/ ٥١).
(٤) صوحت: شقّقت.
- حزوى: موضع بنجد في ديار تميم. وقيل: جبل من جبال الدهناء. (معجم البلدان ٢/ ٢٥٥).
- ذو سلم: موضع بالحجاز. وقيل: واد ينحدر على الذنائب، والذنائب: في أرض بني البكّاء على طريق البصرة إلى مكة. (معجم البلدان ٣/ ٢٤٠).
(٥) البان: موضع من يمين طريق المصعد من الكوفة على ميل من أفاعية. (معجم البلدان ١/ ٣٣٢).
العلم: جبل فرد شرقي الحاجر يقال له أبان فيه نخل وفيه واد. (معجم البلدان ٤/ ١٤٧).
(٦) همته خفة النشاط: أذابت جسمه وأجهدته.

Marfat.com

وما كلُّ خَرْقٍ إذا وَهَى له راقِع، فكتب إلى الشريف أمير الشام، يستعْدِيه على أعدائِه، وأقسم عليه بالحَمِيَّة الهاشميَّة الموْرُوثة من آبائِه، بقوله[1]: [م. الكامل]

بِاللهِ يا نَشْرَ العَبيـ ... ـر سَرَى بِرَوْضاتِ الغَرِيِّ
طاف المشاهدَ وانْثَنى ... نَشْوانَ مِن كأسٍ رَوِيِّ
وأقام بالزّوْراءِ مِنْـ ... ـها في رياض الخَابَرِيِّ
مُتَنَزِّلِ الآي الكري ... م ومَهْبطِ الوَحْي السَّنِيِّ
إن جئتَ رَبْعَ الشَّام فاقْ ... صِدْ ساحةَ الشَّرفِ العَلِيِّ
أعْني الشريفَ ابنَ الشري ... ف ابن الشريف المُوسَوِيِّ
مُتحمِّلاً عنِّي السَّلا ... مَ كمِسْك دَارِينَ الذَّكِيِّ[2]
لِجَنَابِ مولانا الوزي ... ر وَلِيِّ مولانا عَلِيِّ
ثم اشْرَحَنْ مِن حالِ مو ... لاه المحبِّ الطَّالُوِيِّ
ماذا لَقي في ثَغْرِ صَيْـ ... ـدا مِن دُرُوزِيٍّ غَوِيِّ[3]
دينُ التَّناسُخِ دينُه ... لا بل يَدِين بكلِّ غَيِّ
ويرى الطَّبائعَ أنها ... فعَّالةٌ في كلِّ شَيِّ
وافَى بمكتوبِ الشري ... ف إليه من بلدِ قَصِيِّ
يُوصِيه فيه كأنَّما ... أوصاهُ في أخْذِ الصَّبِيِّ
فسقاهُ يوم فِراقِه ... لا كان بالكأسِ الرَّوِيِّ
وغدا الحشَا مِن بعدِه ... يَبْكِي بدمعٍ عَنْدَمِيِّ
في غُربةٍ لا يشْتكي ... فيها إلى خِلٍّ وفيِّ
لا جارَ يخميهِ ولا ... يأْوِي إلى رُكْنٍ قَوِيِّ
إلاَّ إلى رُكنِ الشري ... ف الطاهر الشِّيَم الزَّكِيِّ
حامِي حِمَى الشرع الشري ... ف بكل أبْيَضَ مِخْذَمِيِّ[4]
مولاي لي حقٌّ عليـ ... ـك فجُدْ به من غيرِ لَيِّ[5]

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٢/ ١٥٣-١٥٤ .
(٢) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند. (معجم البلدان ٢/ ٤٣٢).
(٣) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام شرقي صور. (معجم البلدان ٣/ ٤٣٧).
- الدروزي: يقصد به فخر الدين الثاني ابن قرقماس من آل معن (٩٨٠-١٠٤٤هـ): من أكبر أمراء آل معن، من دروز الشوف بلبنان. ناوأ حكومة الآستانة، واستولى على مدن كثيرة، فامتدت سلطته من حدود حلب فلبنان إلى حدرد القدس غرباً، وطمع بالاستيلاء على دمشق والقدس، فقبض عليه العثمانيون مع ولدين له، وأمر السلطان بقتلهم. (الأعلام ٥/ ١٣٧-١٣٨).
(٤) المخذمي: نسبة إلى مخذم، وهو سيف للحارث بن أبي شهر الغساني.
(٥) اللَّيّ: الجدل.

Marfat.com

بـــولاءِ حَـــيْـــدَرةَ الـــوَصِـــيِّ أخـــي الـــنـــبـــيِّ الـــهـــاشِـــمِـــيِّ
لا تُـــهْـــمِـــلـــنْ مِـــن أخْـــذِ ثـــا رِي مـــن كَـــفـــورٍ بـــالـــنَّـــبِـــيِّ
وابْـــعـــثْ إلـــيـــه مَـــقـــانِـــبـــاً فـيـهـا الـكـمِـيُّ عـلـى الـكـمـيِّ[1]
لـــو حـــاربَـــتْ جُـــنْـــدَ الـــقـــضـــا ءِ ثـــنَـــتْ سُـــرَاهُ عـــن مُـــضِـــيِّ
جـــرَّافَـــةٌ لـــم تُـــبْـــقِ فـــي أطْـــلالـــهِ غـــيـــرَ الـــنُّـــؤِيِّ
وأُشَـــيْـــعِـــثٍ يـــنْـــعِـــي الـــدِّيـــا رَ مـــع ابـــن دَايَـــةَ فـــي الـــنَّـــعِـــيِّ

قلتُ: هذا بُرْد سابرِيّ[2] أو سحرٌ سَامِريّ، تجري منه مياه الفصاحة، وتزهو من مُحيَّاه أنوارُ الملاحة، وفيه نَفْحة عَلويَّة، وشِكاية من ابن مَعْن، وهو من الطائفة الملحدة القائلين بالتَّناسخ، على رأي الحاكم بأمر الله، ويقال لهم: دُرْزِيّة نسبة لحسين الدُّرْزِيّ، وهو صاحب دعوة الحاكم، ومعنى الدُّرْزِيّ: الخيَّاط.

وقوله: «الوصي» هو عليّ رضي الله عنه، زعم الشيعة أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة للإمام علي رضي الله عنه حين تآخى معه في غَدِير خُمّ[3]، وهو أمر مخالف لأهل السنة، إلا أن ممدوحَه كان يقول بذلك، فجرى في شعره على مُعْتَقَدِه، والله أعلم بالسَّرائر.

وقوله: «لو حاربت» غُلُوٌّ كان ينْبغي تركه.

و«الغَرِيّ» موضع بالكوفة، دفِن فيه عليّ كرم الله وجهه.

«والنُّؤِيّ» بضم النون والهمز، جمع نُؤى، وهو ما يُحفَر حول الخِباء حتى لا يدخله المطر.

والمراد «بأُشَيْعِث» تصغير أشعث، الوَتِد؛ لأنه يشعَث إذا دُقَّ.

«وابن دَايَة» كُنْيَة الغراب، والمراد أنه لا يُبْقي لهم أثراً.

ومما أنشَدِنيه قوله، وقد أرسلها من الروم إلى الشام[4]: [م. الكامل]

أنَـسَـيْـمَـةَ الـرَّوضِ الـمـطـيـرِ بـالـعـهْـدِ فـي زمـنِ الـسُّـرورِ
وأنِـيـقَ أيـامِ الـشَّـبـا ب وعَـيْـشِـه الـغَـضِّ الـنَّـضـيـرِ

---

(١) المقانب: جمع المقنب، وهو من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.
- الكمي: اللابس السلاح. وقيل: هو الشجاع المقدم الجريء، كان عليه سلاح أو لم يكن.

(٢) السابري: ثوب رقيق جيد.

(٣) غدير خم: بين مكة والمدينة، بينه وبين الجحفة ميلان. (معجم البلدان ٤/ ١٨٨).

(٤) ذكر المحبي في خلاصة الأثر ٢/ ١٥١، مطلع القصيدة قائلا إنها قصيدة مشهورة:
(سارت في البلاد وطارت في الآفاق لحسن ديباجتها وكثرة رونقها، وكان أرسلها من الروم إلى أصحابه من العلماء والأمراء المقيمين بدمشق).

Marfat.com

ووَثـــيـــقَ أيـــامِ الـــتَّـــصـــا بـــي يـــا لَـمَـغـهـدِهـا الـخـطـيـرِ
ومـــعـــاهـــدٍ كـــانَ الـــشَّـــبـــا بُ وشَـرْخُـه فـيـهـا سَـمِـيـرِي
هـــوَّمْـــتُ فـــيـــه فـــصـــاح بـــي داعـي الـصـبـاح الـمُـسـتَـنِـيـرِ
فـطـفِـقـتُ أنـظـرُ مـنـه فـي أعْـقـابِ بَـرْقٍ مُـسـتَـطـيـرِ
قـــد كـــان حـــسَّـــانُ الـــمـــرا بِـــع فـــيـــه حـــسَّـــانَ الـــبُـــدورِ
أيـــامَ غُـــصـــنُ شـــبـــيـــبَـــتِـــي ريَّـــان مـــن مـــاءِ الـــغـــرورِ
وذُؤابـــتـــي شَـــرَكَ الـــمَـــهَـــا وحُـبَـالَـة الـظَّـبْـي الـغَـرِيـرِ
حـيـثُ الـشَّـبـيـبـةُ روضـةٌ غـنَّـاءُ صـافـيـةُ الـغـديـرِ
فَـنَّـاءُ رائـدُهـا الـمَـهَـا ةُ الـرُّودُ مـن رِيـمِ الـخُـدورِ(١)
مـن كـلِّ مُـخْـطـفـة الـحـشَـا كـأخِـي الـرَّشـا أخَـتِ الـغـريـرِ(٢)
طـلـعَـتْ بـلـيـل ذوائـبٍ أبْـهـى مـن الـقـمـرِ الـمـنـيـرِ
بـيْـضَـاءَ وشَّـحَـت الـتَّـرا ئـبَ والـنُّـحـورَ مـن الـثـغـورِ(٣)
فـكـسـى مـعـاطِـفَـهـا الـشَّـبـا بَ الـرَّوْقَ حـسَّـانُ الـحَـبِـيـرِ
تـمْـشِـي أَنَـاةَ الـخَـطْـوِ فـيـهـا رَوْعـةُ الـظَّـبْـيِ الـنَّـفُـورِ
قـوِيـتْ عـلـى قـتْـلِـي وفـي ألـحـاظِـهـا ضَـعْـفُ الـفُـتـورِ
وبـمـا جَـرى يـومَ الـنَّـوى مـن دُرِّ مَـدْمـعِـهـا الـنَّـثـيـرِ
كـالـعِـقْـد أسْـلَـمَـه الـنِّـظـا مُ مـن الـتـرائـبِ والـنُّـحـورِ
وبـوَقْـفـةِ الـتَّـوديـعِ والْـ ـأنـفـاسُ تَـضْـعَـدُ بـالـزَّفـيـرِ
ويَـدُ الـفِـراق تـشـبُّ فـي الْـ ـأحـشـاءِ نِـيـرانَ الـسَّـعـيـرِ
إلاَّ سَـرَيْـتِ مـع الـصَّـبـا يـا نَـسْـمـةَ الـروضِ الـمـطـيـرِ
فـاجْـتَـزْتِ مـن أرض الـعـرا قِ عـلـى الْـخـوَرْنـقِ والـسَّـديـرِ(٤)
ووقـفـتِ بـالـزَّوراءِ وَقـ ـفـةَ زائـرٍ أوفـى مَـزُورِ(٥)
وحـمـلْـتِ لـلـكـرْخِ الـتَّـحِـيَّـ ـةَ مـن أخِـي شَـجَـنٍ أسـيـرِ(٦)
ونـزلـتِ مـن نـهـر الأُبُـلَّـ ـةِ والـصَّـراةِ عـلـى شَـفِـيـرِ(٧)

---

(١) الغناء: الكثيرة الأغصان. الرود: الشابة الحسنة.
(٢) مخطفة الحشا: ضامرة البطن.
(٣) الترائب: عظام الصدر.
(٤) الخورنق: قصر للنعمان الأكبر، كان بالعراق، السّدير: بناء ذو ثلاث شُعب، أو قبة في ثلاث قباب متداخلة.
(٥) الزّوراء: مدينة بغداد، قال الطغرائي:
فـيـم الإقـامـة بـالـزوراء لا سـكـنـى بـهـا ولا نـاقـتـي فـيـهـا ولا جـمـلـي
(٦) الكَرْخ: ناحية ببغداد.
(٧) الأبُلّة: بلد قرب البَصْرَة.

Marfat.com

وأقمتِ في شطِّ الفُرا ... تِ بمُلتَقى العذْبِ النَّميرِ[١]
وسمعْتِ هَيْنَمةَ الرِّيا ... ض وصوْتَ جائشةِ الخريرِ[٢]
وجذَبْتِ في تلك الحدا ... ئقِ طَوْقَ ساجعةِ الهَدِيرِ
حُفَّتْ بسَرْوٍ كالقِيا ... نِ تلفَّعتْ خُضْرَ الحريرِ
ولثَمْتِ خدَّ الروضِ فيـ ... ـه نباتُ رَيْحانٍ طَرِيرِ[٣]
وثنَيْتِ عِطْفك والصَّبا ... حُ يكاد يُؤذِنُ بالسُّفورِ
وأتيتِ بابل فاضطَبَخـ ... ـتِ بمثل مصباحِ منيرِ[٤]
يُغْنِيك مُتْهِمَةً وَمُنـ ... ـجِدَةً سَناها عن خَفيرِ[٥]
ثم انبريْتِ مع الجَنُو ... ب وحُذْتِ عن مَسْرَى الدَّبُورِ[٦]
حتى نزلْتِ على الأرا ... كَةِ أو رسَيْتِ على ثَبِيرِ[٧]
فسقطتِ مِن أرض الخُزَا ... مَى والبَشَامِ على الخَبِيرِ
وطلَعتِ نَجْداً والدجى ... يُسْتَلُّ من أثواب قِيرِ
ومشيْتِ فوق عَرَارِه ... ما بين حَوْذانٍ وخِيرِ[٨]
وهبَطْتِ غَوْرَ تِهَامَةٍ ... والشَّهبُ مالَت لِلغويرِ
ونزلْتِ في سَفْحِ الأرا ... كِ وشُفْتِ زاهيةَ البريرِ[٩]
وسلكْتِ من وادي العقِيـ ... ـقِ منابتَ العَجَمِ الشَّكِيرِ[١٠]
وأمَلْتِ فيه ذوائبَ الـ ... ـأغصانِ من طَلْحٍ نضيرِ
وهصَرْتِ باناتِ النَّقا ... هضْرِ الرَّوادفِ للخُصورِ
فحملْتِ منها من غَوا ... لِي المِسْك فاغِيةَ الزُّهورِ[١١]

---

(١) النَّمير: الماء الطيب الناجع في الرّي.
(٢) الهَيْنَمة: الدَندنة، أو الكلام غير المفهوم.
(٣) ريحان طرير: جميل حسن الهيئة.
(٤) بابل: مدينة عريقة في العراق.
(٥) مُتْهِمة: قادمة من تِهامة، وهي أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن. ومنجدة: قادمة من نَجْد وهي قسم من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق، وقد أكثر شعراء العربية القول في طيب ترابه.
(٦) الجَنُوب: ريح تهب من جهة الجنوب، ويقال: ريحهما جنوب: إذا كانا متصافيين. والدَّبور: ريح تهبُّ من المغرب، وتقابل القَبُول، وهي ريح الصَّبَا.
(٧) الأراكة: شجر المسواك، كثير الفروع، ووادي ذي الأراك: وادٍ قرب مكة.
(٨) العَرَار: نبات طيب الرائحة، الواحدة عرارة. والحَوْذَان: نبات عشبي من ذوات الفلقتين، حلو طيب الطعم. والخِيرِيُّ: نبات له زهر.
(٩) شُفْتِ: شاف الشيء شوفاً: أشرف ونظر، والبرير: الأول من ثمر الأراك.
(١٠) العَجَمة: النخلة تنبت من النواة، والشكير: الغصن الغض.
(١١) الفاغية: الرائحة الطيبة.

Marfat.com

وعبـــزتِ دَارِيـــنَ الـــعطـــا رِ وشِـمْـتِ غـالِـيـةَ الـعـبـيـرِ
وازْدَدتِ مـــن أرَج الـــكـــبـــا ءِ ورَنْـدِه عـنـدَ الـمـسـيـرِ[1]
وجَـزَعْـتِ وادي الـشَّـخـر لـيـ ـلاً وانـثـنَـيْـتِ مـع الـبُـكـورِ
والـصـبـحُ يـخـطُـر فـي الـدجـى كـالـوخـي يـخـطُـر فـي الـضـمـيـرِ
والـــنَّـــسْـــرُ فـــيـــه واقـــعٌ خـوفَ الـصـبـاح لـدى الـوُكـورِ
وكـــواكـــبُ الـــجـــوْزاءِ مُـــمْـــ ـسـكـةُ الأعِـنَّـةِ عـن مـسـيـرِ
خـافـت سُـهَـيْـلاً فـانـتـضَـتْ سـيـفـاً مـن الـشِّـعْـرَى الـعـبـورِ
والـنـجـمُ يـهْـوي لـلـغـرو بِ كـأنـه كـفُّ الـمُـشـيـرِ
فـهـبـطْـتِ رَبْـعَ الـشـامِ دا رَ الـلَّـهْـو بـل مـغْـنـى الـسُّـرورِ
ونـزلْـتِ بـالـوادي الـمـقـدَّ سِ شـاطـئـاً غـيـرِ الـشـطـيـرِ
وخـطَـرْتِ مـن بـطْـحَـاءِ وا دِي الـنَّـيْـرَبَـيْـنِ عـلـى الـصـخـورِ[2]
ووقَـفْـتِ فـي تـلـك الـرُّبـى مـا بـيـن روضٍ أو غـديـرِ
وقـرأتِ سُـكَّـانَ الـقـصـو ر بـهـا الـسـلامَ بـلا قُـصـورِ
لاسِـيَّـمـا شـيـخِ الـعـلـو مِ مـفـيـدِ أزبـابِ الـصُّـدورِ
شـمـسِ الـهـدايـةَ والـدُّرا يـة شـيـخِ جـامِـعـهـا الـكـبـيـرِ
كـشَّـافِ أسـرار الـبـلا غـةِ عُـمْـدةِ الـفـتْـحِ الـقـديـرِ
مُـعـلِـي مـنـارَ الـشَّـرعِ مُـغْـ ـنـي الـمُـعـتَـفِـي كـنـزِ الـفـقـيـرِ
ورئـيـسِـهـا قـاضـي جـمـا عـتِـهـا الـمُـحـكَّـمِ فـي الأمـورِ
الـفـاضـلِ الـلَّـسِـن الـمُـفـوَّ هِ والـمُـنـزَّهِ عـن نـظـيـرِ
أغـنِـي بـه الـقـاضـي مُـحـبُّ الـدِّيـن ذا الـرأي الـمـنـيـرِ
مَـوْلَـى أراعَ يَـرَاعُـه قـلـبَ الـطُّـروسِ مـع الـسُّـطـورِ[3]
بـبـديـعِ وشْـيٍ مُـخْـجِـلٍ وشْـيَ الـبـديـعِ أو الـحَـرِيـرِي
وأبـي الـضَّـيَـا حـسـنٍ حـلـيـ ـفِ الـفـضـلِ والأدبِ الـغـزيـرِ
عـجَـبـاً لـه فـاق الأوا ئـلَ وهـو فـي الـزَّمـنِ الأخـيـرِ
أدبٌ يـروقُـك مـثـلُ زهْـ ـر الـروض غِـبَّ حَـيـاً مـطـيـرِ

ومنها:

---

(١) الكِبَاء: عود البخور، أو ضرب منه، والرَّنْدُ: شجر طيب الرائحة من الفصيلة الغارية، ينبت في سواحل الشام.
(٢) النيربان: تثنية نيرب، قرية مشهورة في دمشق، في وسط البساتين، قال عنها ياقوت الحموي: أنزه موضع رأيته. معجم البلدان ٤/٥٥٨ .
(٣) الطروس: جمع الطِّرس: الصحيفة أو الكتاب.

Marfat.com

ومُشَيِّدِي أرْكانِها أمراءِ مُعلِمِها الخطيرِ
منهم جَنابُ الطَّا لُوِيّ سليلُ أرْتَقَ ذِي السَّرِيرِ
مُحْيِي مكارمَ حاتمٍ بين الأنام بلا نَكِيرِ
والمنجَكِيُّ مُحمدُ السَّـ ـامِي على الفَلَكِ الأثِيرِ
فهو الأميرُ ابن الأمي رِ ابنِ الأميرِ ابنِ الأميرِ
ذكَرتْهُمُ الأنْواءُ ذِكْـ ـرِي بالعَشِيِّ وبالبُكورِ
وكساهُمُ خُلَعَ الشبا بِ الرَّوْقِ مُقتَبلُ الدُّهورِ

وقد عارض بهذه القصيدة ما في «الحماسة»، وللناس على مِنوالها قصائدُ كثيرة، أحسنها ما للشَّريف الرَّضِيّ: [م. الكامل]

نَطق اللسانُ عن الضَّميرِ والسِّرُّ عُنْوانُ الصُّدورِ

وعلى مِنْوالها لأبي بكر الخُوَارَزْمِيّ قصيدةٌ، مطلعها: [م. الكامل]

إن الأُلَى خَلْفَ الخُدورِ هم في الضَّمائرِ والصُّدورِ
وقع الغُبارُ عليهمُ فغدا يَتِيه على العبيرِ
لمَّا مشَيْن على الثَّرى تاهَ الترابُ على الأثيرِ
يا سائِلي مَن في الهوا دِجِ والبَراقعِ والسُّتورِ
فيها الرَّضاعُ من المنِيَّـ ـة والفِطامُ عن السُّرورِ

وأنشدني من قصيدة أخرى له: [م. الكامل]

ذكر العقِيقَ فسال من أجْفانه فاشْتفَّه وجداً إلى سُكَّانِهِ
واشْتَمَّ في ريحِ الصَّبا أرَج الصِّبَا فصبَا حليفَ جَوًى إلى أوطانِهِ
وشجاهُ مسجورَ الفؤادِ إلى الحِمَى وُرْقٌ سواجِعُ هِجْنَ مِن أحْزانِهِ
تملي من الورق الغرام وطالَما دُرِستْ فنونُ العِشْقِ من أفْنانِهِ
فيهِنَّ سالِمةُ الحشَا من لوعةٍ لم تَدْرِ طعمَ الوصلِ من هِجْرانِهِ
تمسِي وتصبحُ في أرائِكِ أيْكِها مع إلْفِها والعمرُ في رَيْعَانِهِ
ترْتادُ أرضَ الشام أخْصبَ منزلٍ حيثُ العَرارُ صفَا إلى حَوْذَانِهِ[1]
حيثُ المغاني مُشرِقاتٌ بالدُّمَى والغانياتُ يطُفْنَ حول مغانِهِ
في ظلِّ مُنْبَجِسِ اللُّجَيْنِ جرى به ذهبُ الأصيلِ يسيلُ من عِقْيانِهِ[2]
أحْوَى الظِّلالِ كأن سُمرَتَهُ لُمَى عذبُ المراشفِ نَدَّ عن غِزْلانِهِ

(١) انظر حاشية الصفحة ٤٦ رقم (٨).
(٢) العِقْيانُ: ذهب متكاثف في مناجمه، خالص مما يختلط به من الرمال والحجارة، وفي أساس البلاغة: ذهبٌ ينبت نباتاً، وليس مما يستذاب من الحجارة. (عقى).

Marfat.com

بَـيْـنـا تـردَّدُ فـيـه مـن عـذْبٍ إلـى عـذْبٍ يتُـوق إلـى الـعُـذَيْـبِ وبَـانِـهِ
مـع صَـفْـوِ عـيـشٍ إذ رَمـتْـهَـا نِـيَّـةٌ لـلـرُّوم فـاجَـتْـهـا بـسُـود رِعـانِـهِ
هـبطَتْ بـهـا الأقـدارُ أرضـاً لـم يكُنْ فـيـهـا نـزولُ الـوَحْـيِ مَـعْ فُـرْقـانِـهِ
سـوداءُ مُـظـلِـمـةُ الـرِّحـابِ كـأنـهـا قـلبُ الـحسودِ علَتْهُ ظُلْمةُ رَانِهِ[1]
فـغـدَتْ تَـنُـوحُ عـلـى الـبـلادِ بـمَـدْمَـع سَـحٌّ يُـبَـارِي الـغـيْـثَ فـي تَـهْـتَـانِـهِ
مـأسـورةَ الـقـلـبِ الـمُـعـنًّـى مـن جَـوًى مـسـجـورةَ الأحـشـاءِ مـن نِـيـرانِـهِ
تـبْـكِـي إذا ذُكِـرَ الـحِـمَـى حـيـثُ الـحِـمَـى روضٌ تُـغـرِّد فـي ذُرَى أغْـصـانِـهِ
تَـنْـفَـكُّ تـنـثـرُ لـؤلـؤاً مـن أدمُـعٍ كـالـدُّرِّ يُـنْـظَـمُ فـي سُـمُـوطِ جُـمَـانِـهِ
حـتـى تـرى روْضَ الـحِـمَـى أو تـجْـتَـلِـي روضَ ابـن بُـسـتـانٍ وحـيـدِ زمـانِـهِ
ذو رُتْـبـةٍ فـي الـمـجـدِ رامَ بـلـوغَـهـا الْـ ـفَـلَـكُ الـمُـحـيـطُ فَـلَـجَّ فـي دَورانِـهِ
سـبـقَـتْـه فـاسْـتـعـدَى عـلـيـنـا طـاويـاً لـصـحـائـفِ الأعـمـارِ فـي سَـرَعـانِـهِ

وله من أخرى: [الكامل]

لـي فـيـكـمُ كـدَرَارِي الأُفُـقِ سـائِـرةٌ هِـيَ الَّـلآلِـىءُ إلا أنَّـهـا كَـلِـمُ
مِـن كـلِّ شـامـخـةِ الـعِـرْنِـين تَـحـسَـبُـهـا فـي الشِّعر لَيْثاً لها من نفْسِها أجَمُ[2]
تَـبْـقَـى عـلـى صـفـحـاتِ الـدهـر خـالـدةً كـالأنـجُـم الـزَّهْـرِ عِـقْـداً لـيس يَـنْـفَـصِـمُ
أو غـادةٌ حـسـنُـهـا قَـيْـدُ الـنَّـوَاظِـرِ فـي أنـفِـهـا شَـمَـمُ أَلْـحَـاظِـهَـا سَـقَـمٌ

وله من أخرى: [الطويل]

حِـمَـى الشَّـام جـادَ الـغـيـثُ مـا حـلَّ تُـرْبَـه مـغـانِـي الـهـوى فـيـهـا مـغَـانِـي أحـبَّـتِـي
وبـاتـتْ بـأَعْـلَـى الـنَّـيْـرَبَـيْـنِ مـع الـصَّـبـا تـطـارحُـهـا ذِكْـرى عـهـودٍ بـرَبْـوةِ[3]
عـلـى نَـهَـرٍ حَـضـبـاؤُه الـشُّـهْـبُ قـد جـرى خِـلالَ سَـمـا رَوْضـاتِـهـا كـالـمـجـرَّةِ
يـجـاوبُ تَـسْـجـاعَ الـحـمَـامِ خَـرِيـرُه فـتُـصْـغِـي لـه الـوَرْقَـاءُ مـن فَـوْقِ أيْـكَـةِ

ولله دَرُّ أبي الحَكم، في قوله في هذا المعنى: [الكامل]

وتـحـدَّث الـمـاءُ الـزُّلال مـع الـحـصَـى فـجـرى الـنَّـسـيـمُ عـلـيـه يـسـمـعُ مـا جـرَى
فـكـأنَّ فـوق الـمـاءِ وَشْـيـاً ظـاهـراً وكـأنَّ تـحـتَ الـمـاءِ سِـرّاً مُـضْـمَـرَا

وقوله من أخرى: [الكامل]

بَيَاضُ طِرْسٍ جرى ذَوْبُ النُّضَارِ على لُـجَـيْـنِـه بـلآلٍ حـيَّـرتْ فِـكَـرِي
كـالـلُّـؤلـؤِ الـرَّطْـبِ إلا أنـهـا فِـقَـرٌ غـيـرُ الأديـب إلـيـهـا غـيـرُ مُـفـتـقِـرِ

---

(١) الرّان والرّين: هو ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب.
(٢) الأجمُ: الحصن، ويقال: الموت لا تنجو منه الأسد في الآجامِ.
(٣) انظر حاشية الصفحة: ٤٧ رقم (٢).

Marfat.com

ومنها في السُّفُن:

ركائبٌ ليس ترْضَى بالجديلِ أباً ... لكنها من بناتِ الماءِ والشَّجَرِ
شُمُّ العَرانِين دُهْمٌ ما بها وَضَحٌ ... إلا نُجومُ اللَّيالي مَوْضِعَ الغُرَرِ
مازلتُ أجدِفُ طُوفانَ الخُطوبِ بها ... وأتَّقِي حادثَ الأيامِ والضَّررِ

ومنها:

خُذْها فدَتْكَ نفوسُ الشِّعر قاطبةً ... فقد علَتْهُ بمدحٍ فيك مُبتَكَرِ
طائِيَّةُ الأصلِ إلا أنها نشَأتْ ... برَبْوة الشَّامِ في روضٍ على نَهَرِ

ورأى نَيْلَوْفَرَة[١] صدَفاً لِدُرّ السحاب، وحُقّة[٢] لجوهر النَّدى المُذاب، كأنها بَوْتَقة أذابَ بها الجوُّ نُضارَه، أو كأسٌ في يد مُصْطبِحٍ يُداوِي بها خُمَاره، أو مقلةُ صَبٍّ كئيب قد فَجأه على الغفْلةِ الرَّقيب، بعد ما امتلأتْ بدمعِ الهوى، وتردَّد فيها الدَّمعُ من حَيرة النَّوى، وقد طفَا عليها الماءُ الزُّلال، فبلغ حافاتِها وما سالَ، بل لِخَشْية فراقِها، تشبَّثَ بأهداب أوراقِها، فقال مُضمِّناً وأجاد: [الوافر]

ونوفرةٍ كعين الصَّبِّ شَكْرَى ... تَجُمُّ الماءَ خشيةَ أن يُراقَا
ذكرتُ لها النَّوى يوماً ففاضَتْ ... وصارت كلها للدَّمعِ ماقَا[٣]

«وشكرى» بشين معجمة بمعنى ممتلِئة، وهو من قصيدة للمُتَنَبِّي، أوّلها: [الوافر]

نظرتُ إليهمُ والعين شَكْرَى ... فصلوت.....إلخ[٤]

وأنشدني له أيضاً: [الرمل]

شامَ بَرْقَ الشَّام بالرُّوم خدوعا ... فانبرَتْ أجفانُه تذْرِي الدُّموعَا
هَبَّ من عَلْياَ دِمَشْقٍ مُوهِناً ... هَبَّةَ المِصْباح في الليل ذَرِيعَا
جَزَع الآفاق في هَبَّتِه ... وأتى الرُّومَ سُرَى الأيْم جزوعا
خَفقتْ راياتُه في أُفْقِه ... خَفَقانَ القلبِ قد أمسى مَرُوعَا
وقعتْ شُعلتُه وَسْط الحشا ... وسَناهُ طارَ في الجوِّ رفيعَا
ليس يدْرِي وَقْعَها غيرُ شَجٍ ... فارق الأوطانَ مثلِي والرُّبوعَا
أو مُعَنًّى بهَوًى تَيَّمَهُ ... من غزالٍ راح للوصلِ مَنُوعَا
يُخجِلُ الشمسَ سناءً وسناً ... ومَهَاةَ الرَّمل جِيداً أو تَلِيعَا[٥]

---

(١) النيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة.
(٢) الحقّة: وعاء صغير من خشب.
(٣) نقل المحبي في خلاصة الأثر هذا النص ووردت «سكرى». «وحقة لدر الندى المذاب». انظر الخلاصة ٢/١٥٣.
(٤) ديوانه: ٢٧٩.
(٥) جيدٌ تليعٌ: عنق طويل.

Marfat.com

أسْهَر الجَفْنَ خَلِيّاً عن كَرَى ... مُقْلَةً لا تَطعَمُ النومَ هُجوعَا
كيف يكْرَى ناظرٌ فارقَه ... ناضِرُ العيشِ من اللَّيلِ هَزِيعَا
وشبابٌ شَرْخُه مُقتبِلٌ ... كان للصَّبِّ لدى الغِيدِ شَفيعَا
لم يكن إلا كحُلْمٍ وانْقَضَى ... أو خيالٍ في الكرى مَرَّ سريعَا
أزْمَعَتْ حسْرتُه لاَ تنْقَضِي ... آهِ ما أسرعَ ما ولَّى زَمِيعَا[1]
لستُ أرضى منه بالسُّقْيَا له ... وسحابُ الْجَفْنِ يسْقيه النَّجِيعَا[2]
والذي هاج الهوى قُمْرِيَّةٌ ... بالضُّحَى تهتِفُ بالأيْكِ سَجُوعَا
كلما ناحَتْ على أفْنانِها ... هاجَت الصَّبَّ غراماً ووُلوعَا
وإذا عنَّتْ له غَنَّت له ... ذكَرَ الشَّامَ فزادَتْه صُدُوعَا
يا سقَى اللهُ حِماها وابِلاً ... مُسْبَل الطَّرفِ من الغيْثِ هَمُوعَا[3]
حيث رَبْع اللهو منه آهِلٌ ... والغواني في مغانِيها جميعَا
كل رُودٍ لبست شَرْخَ الصِّبا ... وهَوًى إن تدْعُه لبَّى مُطِيعَا
كم لنا فيهنَّ من بَهْنَانةٍ ... وَلِعَ القلبُ بها خُوداً شَمُوعَا[4]
لستُ أنسَى ساعةَ التَّوديع إذْ ... وقفَتْ في موقفِ البَيْن خُضوعَا
وهْيَ تَذْرِي لؤلؤاً من نَرْجِسٍ ... فوق وَرْدٍ كاد طِيباً أن يَضُوعَا
علِقتْ ذَيْلي وخانَتْهَا الهوى ... فانثَنتْ من وقفةِ البَيْن صَريعَا
وأفاقَتْ وبها حَرُّ الجوَى ... ثم قالتْ وشكَتْ دهراً خَدُوعَا
لا رعَى اللهُ المعالي مَطلَباً ... كم نرى صبّاً بها مُغْرًى وَلُوعَا
كنت لي بدراً منيراً فاخْتفى ... في سِرارٍ بعد ما سَرَّى طُلوعَا
وشباباً لاح بَرْقاً عندما ... أشعلَ الرَّأسَ سَناً راح سريعَا
أيها الظَّاعنُ والقلبُ على ... إثْرِه مذ سار مازال هَلُوعَا
لا تكنْ للعهد بعدي ناسياً ... يا حياتي واعْطِفَنْ نحوي رُجوعَا

وهي طويلة، ذكر فيها تغرُّبَه بالروم، واشتياقَه للشام.

---

(١) الزِّماع: السرعة والمضاء في الأمر والعزم عليه.
(٢) النجيع: دم الجوف، يقال: طعنةٌ تمجُّ النجيع.
(٣) غيث همو ع: ماطر سيّال.
(٤) البهنانة: الخفيفة المرحة في هدوء ولين، الخَوْدُ: الشابة الناعمة الحسنة الخلق، الشُّموع: اللعوب الطروب.

Marfat.com

٥- محمد بن قاسم الْحَلَبِيّ

يتيمة الدهر، وبَيْضة البلد[1]، ممن نزلتْ فضائلُه بين العَلْياء والسَّنَد، أخ لمن تجنَّبه الدهرُ شقيق، حُرّ العِرض على أنه عبدُ الصَّديق، فكم له من يدٍ خضراء تنبتُها يدٌ بيضاء، كما اخضرَّت الهِضابُ، من أبيض نسْج خيوط السحاب: [البسيط]

تَـمُـدُّ الآفـاقُ بِـيـضَ خـيـوطِـه فتنسِجُ منها للثرى حُلَّةً خَضْرَا

وله شعر رَاقَ بجيد الدهر عِقدُه، وعَذُبَ على لسان الدهر المُحَلَّى بالفصاحةِ وِزْدُه، وزها في يانِع رياضِه البهيَّة شقِيقُه وَوَرْدُه، مع فضلٍ حَلا في أفْواه الليالي ثناؤُه، وأضاء في دُجَى المشكلاتِ سَنَاهُ وسناؤُه: [البسيط]

لـه صـحـائـفُ أخـلاقٍ مُـهـذَّبـةٍ منها الحجَى والعُلا والفضلُ يُنْتَسَخُ

وكانت أخباره تغدو على مسامعي، فتتشوَّقُ إلى لُقْياه أجفانُ عيون مطامعي، حتى لقِيتُه بالروم، فاهتزَّت به أعطافُ المسرَّة، ونِلْتُ به ما هو للرُّوحِ قُوتٌ وللطَّرف قُرَّة، وعُود الدهر المُورِق يختال في غلائِله، وفَيْنان رَوْضه كأنما سُرِق الحسنُ من بعض شمائِله، بطبعٍ أرقّ من بُرْد النَّسيم هلْهَلَه الشَّمال، وأصْفى من رِيق مُدامَةٍ صفَقها العَذْبُ الزّلال، فدارتْ بيننا شَمُول آدابٍ ظلَّ لها ثَغْرُ الأنس باسماً، وانتظمتْ عقودُ عُهُودٍ كان لها كفُّ المودَّةِ ناظماً، ولمَّا لم يرْضَ مُقامَه بحلب، وفطَمَ أملَه مما أدرَّ الدهرُ له بها وحلب، لأن زامِرَ الحيِّ لا يُطرب، وما كل حاملةٍ إذا أُنْتِجَتْ تُنْجِب، سار عنها وسلك الطريق، حتى نزل بين وادي العُذَيْب والعَقِيق، فلما أخذ الله كريمتَيْه، وعوَّضه جنَّةَ عَدْن لديه، تربَّعتْ أقدامُ أقدامِه، وقد سُقِط في يديْه، فقعد ينتظر دعوتَه حتى تلقَّاه، وإن كان مع الرَّكب اليمانين هَواه: [الطويل]

على المرءِ أن يَسْعَى لما فيه نفعُه ولـيـس عـلـيـه أن يـسـاعِـدَه الـدَّهْـرُ

فما دار بيننا من كؤوس الأدب، ما كُتبتُه إليه وقد قدِم من حلب: [م.الكامل]

حَـتَّـى مَ يـغـزونـي صُـدودُه والـصـبـرُ قـد كُـسِـرتْ جـنـودُهْ
سـكـرانُ مـن ألـحـاظِـه قـامـتْ عـلـى قـلـبـي حُـدودُهْ
وسَـقـيـمِ طَـرْفٍ لـم تـزلْ أبـداً لـواحِـظُـنـا تـعـودُهْ
بـرَقـتْ بـوارقُ وَضـلِـه والـهـجـرُ قـد خَـرِسـتْ رعـودُهْ

---

٥ - محمد بن القاسم الحلبي الملقّب بشمس الدين بن المنقار الحلبي ثم الدمشقي، الحنفي البارع العالم، كان من أعيان العلماء الكبار، ولد سنة: ٩٣١، وتوفي سنة: ١٠٠٥ . انظر خلاصة الأثر: ٤/ ١١٥، ونفحة الريحانة: ١/ ٣٢٩، ٢/ ٢٧٨ .

(١) بيضة الشيء: أصله، وبيضة القوم: حوزتهم وحماتهم، وفلان بيضة البلد: إذا عرف بالسيادة.

Marfat.com

غصنٌ تَميلُ به الصَّبا ... في كُثْبِ أرْدَافٍ تَئُودُهْ
لم أدْرِ فاتِرُ جَفْنِه ... والخِضرُ أسْقَمُ أم عهُودُهْ
نَشوانُ يعبثُ بي كما ... عبَثَت بآمالي وُعودُهْ
لولا مِياهُ الحُسْنِ جا ... لتْ فيه لاحترقَتْ خدودُهْ
كالصَّبُّ لولا دمعُهُ ... يهْمِي لأحرقَه وَقودُهْ
يُخفِي الهوى وعيونُه ... بغرامِه المُضْنَى شُهودُهْ
بشهادةٍ ليست تَردُّ ... فليس ينفعُه جُحُودُهْ
فسقَى رِياضَ الحُسنِ من ... دمْعِي حَيًا يَهْمِي مَدِيدُهْ
زمنٌ بِجِيدِ اللهوِ قد ... نُظِمَتْ على نَسَقٍ عقودُهْ
إذ دَوْحُ أُنْسِي يانِعٌ ... بكؤوسِنا انفتحَتْ وُرودُهْ
والكاسُ نَجمٌ لاح في ... فَلَكِ المسرَّةِ لي سُعُودُهْ
يصفُو فيحْكِي ذِكْرَ مَن ... قد زيَّن الدُّنيا وُجودُهْ
ذاك ابنُ قاسم الذي ... مازال في تَعبٍ حَسُودُهْ
رُقِمَتْ به حُلَلُ العُلا ... وزهَتْ بطلعَتِهِ بُرودُهْ
مازال يُسْقَى من مِيا ... هِ الفضلِ حتَّى اخْضَرَّ عُودُهْ
فيكاد يُورِق بالسَّعا ... دةِ مُثمِراً منها وفودُهْ
قد كان دَهْرِي عاطلاً ... حتى تحلَّى منه جِيدُهْ
مَجْدٌ طَريفٌ يُغرِقُ الـ ... أفكارَ إذ يبدُو تَلِيدُهْ
يا مالكاً رِقَّ القُلو ... بِ فكلُّها حُبًّا عَبِيدُهْ
بل جَنَّةٌ فيها بطِي ... بِ ثنائِنا أبَدا خلودُهْ
في الشِّعر ليس ببالغٍ ... أدْنى بَدِيهَتِهِ وَلِيدُهْ
قد كان فِكْري صائماً ... حتى طلَعْتَ وأنت عِيدُهْ
فإلَيْكَها عِقداً لِجِيدِ الدَّ ... هرِ زَيَّنَهُ نَضِيدُهْ(١)
بِكْراً يرُوم جوابَها ... مَهْراً تروقُ لها نقودُهْ
ولئن تكُنْ قَيْد النُّهى ... فالحبُّ تُستَخلَى قيودُهْ
فالْبَسْ لباسَ مسرَّةٍ ... في الدهرِ لا يَبْلَى جديدُهْ

فأجاب، وأجاد: [م. الكامل]

للظَّبْيِ لَفْتَتُه وجِيدُهْ ... والوَرْدِ ما أبدَتْ خدودُهْ
والدُّرُّ يزهُو بالذي ... في ثَغْرِهِ منه نَضِيدُهْ

(١) النضيد: المرصوف المتسق.

Marfat.com

وبوجهِهِ شَرَكَ العقُو ... لِ فأيُّ عَقْلٍ لا يَصِيدُهْ
في كلِّ يوم للهوى ... من حُسنِه معنًى يَزِيدُهْ
روضٌ سقاهُ اللهُ ما ... ءَ الحسنِ فاحمرَّتْ خدودُهْ
يستوقفُ الأبصارَ حتَّى ... لا يَسُوغَ لها وُرودُهْ
مَلِكٌ تحكَّم في الجما ... لِ فنال منه ما يُرِيدُهْ
وجرى بأسْرارِ الهوى ... للنَّاسِ من دَمْعِي بَرِيدُهْ
مازال يسطُو في الورَى ... من فعلِ مُقْلتِه جُنودُهْ
حتى ظَنَنَّا أنه ... بالأجْرِ آثَرَه شهيدُهْ
يُبْدِي الصدودَ وكلَّما ... صانَغْتُه عنهُ يُعِيدُهْ
أتراه يجْحَدُ ما لقِـ ... ـيتُ به وهل يُغْنِي جُحودُهْ
وهو النَّهارُ إذا بدَا ... مِن نفسِه قامتْ شُهودُهْ
كضياءِ مولانا شِهـ ... ـابِ الفضْلِ إذْ طَلعتْ سُعُودُهْ
مازالَ يسمُو في سَما ... ءِ المجْدِ زيَّنَها وُجودُهْ
حتى تقطَّعتِ المطا ... معُ عنه واسْتَعفى حَسودُهْ
وَقَّادُ فِكْرٍ أيُّ خَطْـ ... ـبٍ ليس يُطْفئُه وَقودُهْ
كرُمَتْ له هِمَمٌ إلى ... غيرِ العُلا ليستْ تُقودُهْ
يزهُو على جِيدِ الزما ... نِ بمْا يُنمْقُه فريدُهْ
مِن كلِّ سَجْعٍ من مزا ... يا الحُسنِ قد نُظِمتْ عُقودُهْ
وإذا ذكرتَ الشِّعرَ فهْـ ... ـوَ كما سمعْتَ به لَبِيدُهْ[1]
قد كنتُ أجْهَد في ابْتغا ... ءِ لقاءِ أيامٍ تُفِيدُهْ
حتى وَفَتْ لي بالذي ... قد كان في أمَلِي وُعودُهْ
فلقِيتُهُ البحرَ الخِضَمَّ ... يَفِيضُ للعافين جودُهْ
مُتدفِّقاً بالفضلِ تخـ ... ـشى أن يفرِّقَها وُفودُهْ
مَولايَ عُذْراً إنَّها ... من خاطرٍ قد جَفَّ عُودُهْ
بعُدَتْ بقولِ الشِّعرِ في ... عهدِ الصِّبا حِيناً عُهودُهْ
لبَّى دُعاكَ وأيُّ مو ... لىً لا تُلبِّيهِ عَبيدُهْ
ما ضَرَّه عِيدٌ نَأَى ... مادامَ من لُقْياكَ عِيدُهْ

ومما أنشدَنِيه قولُه: [م. البسيط]

---

(١) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، وهو من أشراف الشعراء، أدرك الإسلام، وتوفي بالكوفة بحدود سنة: ٦٠، له ديوان شعر مشهور. هدية العارفين: ٢/ ٨٣٩ .

Marfat.com

مُتْـعْـنَـا يـومَـنـا بـصَـخْـوٍ لـيس عـلـى الـشَّـمـسِ مـنـه سِـتْـرُ
كـأنَّ فـي الـجـوِّ مـنـه كَـنْـزاً سـالَ عـلـى الأرْضِ مـنـه تِـبْـرُ

وقوله في مليح مُصَفَّر العِذار، كأنما خاف الدهرَ على ذَهاب حُسنِه، فقيَّده بسلاسل النُّضار[1]، أو ملك الجمال بلغ كماله، فمدَّ لمِشْكاةِ صُدْغِه سِلْسلة الغزالة: [م. الرجز]

لـمَّـا الْـتَـحـى تـمَّـتْ مـحـا سـنُ وجـهـهِ وصـفَـتْ طـبـاعُـهْ
وغـدَا بـلُـطْـفِ عِـذَارِهِ قـمـراً أحـاط بـه شُـعـاعُـهْ

ومما رَوَيْناه في معناه، قول الخطِيب الحَظِيريّ[2]: [المنسرح]

وأشْـقَـرِ الـشَّـعـرِ مـن لـطـافـتِـه يَـجـرَحُ لَـحْـظُ الـعـيـونِ خَـدَّيْـهِ
فـإن بـدَا مَـن يـشُـكُّ فـيـه فـلِـي شـاهـدُ عَـدْلٍ مـن لـونِ صُـدْغَـيْـهِ

وله أيضاً: [المنسرح]

كـأنَّ صُـدْغَـيْـهِ فـي اخـمِـرارِهـمـا قـد صُـبِـغـا مـن مُـدامِ وَجْـنَـتِـهِ

وله أيضاً: [البسيط]

مـا احـمَـرَّ شَـعْـرُ حـبـيـبـي أنَّ وَجْـنَـتَـهُ سَـقَـتْـهُ من صِـبْـغِـهـا خَـمْـراً ولا خَـجَـلا
وإنـمـا لـفـحَـتْ خَـدَّيْـهِ مـن كـبـدِي نـارٌ فـدبَّـتْ إلـى صُـدْغَـيْـهِ فـاشْـتَـعَـلا

ومما أنشدَنيه قولُه من قصيدة: [الخفيف]

قـد دَعـاهُ الـهـوى ودَاعِـي الـتَّـصـابِـي لاذْكَـارِ الأوطـانِ والأحـبـابِ
فـأتَـتْ دون صَـبْـرِه مـن ألـيـمِ الـ ـوجـدِ نـارٌ شـديـدةُ الالْـتِـهَـابِ
فَـذَوَى غُـصْـنُـه الـرَّطـيـبُ وجـفَّـتْ مـن ريـاضِ الـصِّـبـا مـيـاهُ الـشـبـابِ
شَـعَـرُ الـمـرءِ نُـسْـخـةُ الـعُـمـر والأيّـ ـامُ فـيـهـا مـن أصْـدقِ الـكُـتَّـابِ
فـإذا تـمَّ مـنـه مـا كَـتَـبَـتْـه تـرَّبَـتْـهُ مـن شَـيْـبِـهِ بـتُـرابِ
لـسـتُ آسَـى عـلـى الـصِّـبـا إنـمـا أذْ كُـر حـقًّـا لأقْـدم الأصْـحـابِ
قـد سَـقَـتْـنِـي عـهـودُه الـعـيـشَ صَـفْـواً وكَـسَـتْـنِـيـهِ مُـونِـقَ الـجِـلْـبَـابِ

ومنها:

بحرُ فضلٍ لو قِيسَ بالبحرِ كان الـ ـبحرُ في جَنْبِه كلَمْعِ السَّرابِ
مـزَج الـفـضـلَ بـالـسَّـخـاءِ كـمـا مـا زَجَ مـاءُ الـغَـمـامِ صَـفْـوَ الـشَّـرابِ

---

(١) النُّضَار: الخالص من كل شيء، والذهب.

(٢) الوراق الحظيري: سعد بن علي بن القاسم بن علي الأنصاري الخزرجي، أبو المعالي الوراق الحظيري، والحظير: موضع فوق بغداد، الأديب الحنفي، توفي سنة ٥٦٨، من تصانيفه: الإعجا في الأحاجي والألغاز، وله ديوان شعر زينة الدهر في عصرة أهل العصر ذيل الدمية للباخرزي هدية العارفين: ١/ ٣٨٤ .

Marfat.com

وإذا قيل خُلْقُه الرَّوضُ أضحى الر ... وضُ طَلْقاً بذلك الانْتِسابِ
ما عسى أن أَعُدَّ من مَكْرُماتٍ ... ضَبْطُها قد أعْيَى على الحُسَّابِ
وإذا ما الأفكارُ أُمْعِن فيها ... غَرِقَتْ من بِحَارِها في عُبابِ
أنتَ من ناظرِ الزَّمان سوادُ العيْـ ... ـنِ والناسُ منه كالأهْدابِ

فصل

قوله: «شَعَر المرء نسخة العمر» إلخ، معنًى بديع، ونحوه قولي: [الطويل]

لعَمْرِيَ إن الدهرَ خَطَّ بمَفْرِقي ... رسائلَ تدعُو كلَّ حيٍّ إلى البِلَى
أرى نُسخةً للعُمر سوَّدها الصِّبا ... وما بُيِّضتْ بالشَّيْب إلاَّ لتُنْقَلاَ

ونحوه قول الأرَّجَانيّ[1]: [البسيط]

وقد علَتْ غُبْرَةُ الشَّيبِ الشَّبِيبةَ لي ... فبِتُّ للأجَل المكتوبِ مُكْتَلِيَا
كتابُ عُمْرِي الليالي تَرَّبَتْهُ وما ... أدْنَى المُترَّبَ أن تلْقاهُ مُنْطَوِيَا

وللأَمير العاصِميّ[2]، وهو شاعر معاصر للصَّاحب، وإن لم يذكره في «اليتيمة»: [م. البسيط]

تعجَّبَتْ حين ذَاع شَعْرِي ... من بَعْدِ نَضْوي الخِضابَ حالِي[3]
قالتْ أهذا الذي أراهُ ... غُبارُ طاحونةٍ بَدَا لِي
فقلْتُ لا تعجبي فهذا ... غُبارُ طاحونَةِ اللَّيَالِي

قلت: لولا مشاكلَةُ الطاحونة السابقة، ودورُه معها لقُبحَت هذه الاستعارة جدّاً.

وللغَزِّيّ[4]: [الخفيف]

مسَحَتْ عارِضِي وما ذاك إلا ... أنها ظنَّتِ المَشِيبَ غُبارَا

---

(١) الأَرَّجاني: أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني - بفتح الهمزة وتشديد الرّاء وفتح الجيم - وأرجان: كورة من الأهواز، أبو بكر، كان قاضياً، ولد ٤٦٠، وتوفي ٥٤٤، وله ديوان شعر مشهور. هدية العارفين: ٨٤ .

(٢) الأمير العاصمي: عاصم بن الحسن بن محمد العاصمي البغدادي الشاعر، توفي سنة ٤٨٢، له ديوان شعر. هدية العارفين: ٤٣٥ .

(٣) نضا الشيء: نزعه وألقاه، يقال: نضا الثوب عنه.

(٤) الغزي: أبو الطيب بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، يتصل نسبه بعامر بن لؤي، كان في زمانه أبلغ الشعراء، وشعره من أجود الشعر، انتفع في علوم الأدب بالقاضي محب الدين جد مؤلف الخلاصة، وتفقه على الشهاب العيثلوي، توفي في دمشق سنة: ١٠٤٢ . انظر خلاصة الأثر: ١/ ١٣٥، ونفحة الريحانة: ١/ ٨٥ .

Marfat.com

وقال العِماد[١]: تشبيهُ الشَّيب بالغُبار حسن، وكنت أظن أنّي ابتكرتُه في قولي: [م. الكامل]

لـيـلُ الـشـبـابِ تَـولَّـى والـشَّـيْـبُ صُـبْـحٌ تـألَّـقْ
مـا الـشَّـيْـبُ إلا غُـبـارٌ مـن رَكْـضِ عُـمْـري تـعـلَّـقْ

قال: وشبَّهتُه أيضاً بالتَّتْرِيب، في قولي: [الخفيف]

أصـدوداً ولـم يـصُـدَّ الـتَّـصـابـي ونِـفـاراً ولـم يَـرُعـك الـمَـشِـيـبُ
وكـتـابُ الـشَّـبـابِ لـم يَـطْـوِه الـشَّـ ـوقُ ولا مـسَّ نَـقْـشَـه تَـتْـرِيـبُ

ولمحمد القَيْسَرَانِيّ[٢]: [الكامل]

لا تُـنـكـري وَضَـحـاً لَـبِـسْـتُ قَـتِـيـرَهُ رَكْـضُ الـزَّمـانِ أثـار هـذا الْـعِـثْـيَـرَا

وقوله: «كنت أظن أني ابتكرته» عجِيب منه، مع قول ابن المُعتزّ[٣]: [الكامل]

صـدَّتْ شَـرِيـرُ وأزْمَـعَـتْ هَـجْـرِي وصـغَـتْ ضـمـائـرُهـا إلـى الـغَـدْرِ
قـالَـتْ كَـبِـرْتَ وشَـبْـتَ قـلـتُ لـهـا هــذا غُــبــارُ وقــائــعِ الــدَّهْــرِ

وهو مسطور في «ديوانه» وقد تابَعَه عليه كثيرٌ من الشعراء وتطفَّل عليهم العماد، لكنه طُفَيْليٌّ، وقد حذا حَذْوَه في قوله: [الكامل]

إذا كـتـبَ الـشَّـبـابُ سُـطـور مِـسْـكٍ وأتْـرَبَـهُـنَّ كـافـورُ الـمَـشِـيـبِ
فـيـا أسـفـي ومـا أسـفـي وحُـزْنـي سِـوَى طَـيِّ الـصَّـحـيـفـةِ عـن قـريـبِ

على ذكر التَّتْريب، فما أحسن قول الطُّغْرائِيّ في وصف كَتِيبة من قصيدة له: [الطويل]

عليها سُطورُ الضَّرْب تُعْجِمُها القنا صحائفُ يغْشاها من النَّقْعِ تَتْرِيبُ

وللمُهَذَّب المَوْصِليّ[٤]: [الكامل]

---

(١) العماد الكاتب: محمد بن أبي الفرج محمد بن أبي الرجا، أبو عبد الله الكاتب الأصبهاني الأديب الشافعي، ولد سنة ٥١٩، وتوفي بدمشق سنة ٥٩٧، من تصانيفه: البرق الشامي وخريدة القصر وجريدة أهل العصر في ذيل الدمية، وديوان شعر، وغيرهم. انظر هدية العارفين: ٢/ ١٠٥، والخبر المذكور في الخريدة: ١/ ١٤١ .

(٢) محمد القيسراني: محمد بن طاهر بن علي، المعروف بابن القيسراني، ولد سنة ٤٤٨، وتوفي سنة: ٥٠٧ في بغداد، له من التصانيف: كتاب أسامي اشتمل عليه الصحيحان، وكتاب أطراف أحاديث أبي حنيفة، وتاريخ أهل الشام، وغيرهم كثير. هدية العارفين: ٢/ ٨٢ .

(٣) ابن المعتز: عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي، الأديب، ولد سنة ٢٤٧، وتوفي قتيلاً سنة ٢٩٦، وله من الكتب: البدائع، الآداب، الجوارح والصيد - السرقات، وغيرها. هدية العارفين: ١/ ٤٤٣، والأبيات في ديوانه: ٣٣٧ .

(٤) المهذب الموصلي: خضر بن عطاء الله بن محمد الموصلي، توفي سنة: ١٠٠٧، له أرجوزة في فضل أهل البيت، الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف، وأنموذج العلوم، والفوائد النظرية في-

Marfat.com

تُـرْدِي الـكـتـائـبَ كُـتْـبُـه فـإذا غَـدَتْ لـم تَـذرِ أنْـفَـذ أسْـطُـراً أم عَـسْـكَـرَا
لـم يُـحسِـن الإتْـرابَ فـوق سُـطورِهـا إلا لأن الـجـيـشَ يَـعْـقِـد عِـثْـيـرا

ومن إنشاء ابن الأثير[1]:

صَدَر هذا الكتاب والفتْحُ غضٌّ طَرِيّ لم تَنصل حُمرةُ يومِه، ولا أُغمِدتْ سيوف قومِه، فسطورُه تُتْرَب بمُثارِ عَجاجِه، مُمثَّلة بخطِّ ضَربِه، وإعجام زُجاجِه.

وقلتُ مع زيادة حسن التعليل: [السريع]

جـيـشٌ كـأنَّ الأرضَ مـن تـحـتِـه صُـحْـفٌ غَـدَت أقـلامَـهـنَّ الـرِّمـاحُ
مُـذ سـطَّـر الْـجُـنـدُ عـلـى وَجْـهِـهـا تـرَّبَـهـا الـنَّـقْـعُ فـلاح الـفـلاحُ

وأصل هذا ما رواه جابر، عنه ﷺ، أنه قال: «إذا كَتَبَ أحَدُكُمْ كِتاباً فَلْيُتْرِبْهُ، فإنَّهُ أنْجَحُ لِلْحَاجَةِ».

رواه أبو داود.

وقد تكلَّم الناسُ فيه، وقيل: إنه موضوع.

وفي «النهاية»[2]: معناه، لِيَجْعل عليه التراب.

وقال الطِّيبيّ[3]: ليُسْقِطْه على التراب، حتى يصير أقرب إلى المقصد، اعتماداً على الله في إيصاله إليه.

وقيل: معناه التَّواضع في خِطابه، والمراد بالتَّتْريب المبالغة في التواضع. انتهى.

ومما أنشدَنيه: [الدوبيت]

يـا رَبْـعُ سَـقـاكَ كـلُّ مُـزْنٍ غَـادِ قـد كُـنْـت مـحـلَّ أُنْـسِـنـا الـمُـعْـتـادِ
هـل يـلـحُـظُـنـي الـزَّمـانُ بـالإسْـعـادِ يـومـاً فـتَـعُـود فـيـك لِـي أعْـيـادِي

= شرح القواعد النحوية، وخلاصة الأثر: ٤/ ١٣١، وهدية العارفين: ١/ ٣٤٧.

(١) ابن الأثير: مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، أبو السعادات مجد الدين بن الأثير الجزري الشافعي، كاتب الإنشاء بالموصل، ولد سنة ٥٤٤، وتوفي سنة ٦٠٦هـ، له الكثير من التصانيف منها: الجمع بين الكشف والكشاف، والباهر في النحو، وتهذيب فصول ابن الدهان، وجامع الأصول لأحاديث الرسول، والنهاية في غريب الحديث، والمرصع في اللغة. انظر هدية العارفين: ٢/ ٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٨٥.

(٣) الطّيبي: أحمد شهاب الدين بن أحمد بن بدر الدين الطيبي، الفقيه، الشافعي، اللغوي، الدمشقي، كان مدرساً في الجامع الأموي، ولد سنة: ٩١٠، وتوفي سنة: ٩٧٩، من تصانيفه: الإيضاح التام في تكبيرة الإحرام، وقراءة ورش من طريق الأصبهاني، والمضيد في علم التجويد. انظر هدية العارفين: ١/ ١٤٧.

Marfat.com

فائــدة

قال السُّيُوطيّ في «شرح السنن»[١]: «الإسعاد المُعاوَنة في النِّياحة خاصَّةً»، وفي غيرها المساعَدة، وأصله من وَضْع السَّاعد على الساعد. انتهى.

وعلى هذا فالإسعاد هنا ليس مُسْتَعْملاً فيما وضعَتْه العرب[٢]، وإن صح على أنه مجاز مُرْسَل في مُطلق المُعاونة، لكنَّ الفصحاء يستقْبحون مِثْلَه.

وقد بيَّنَّاه في كتاب قرض الشعر، المُسمَّى «حديقة السحر» فانظُرْه ثَمَّة.

ومما أنشدَنِيه أيضاً قصيدةٌ في تهنئةٍ بخِتَان، واخترتُ منها قولَه: [المتقارب]

أعَـلَّامـةَ الـوقْـتِ مَـوْلَـى الـمـوالِـي ... وقُـرَّةَ عـيـنِ الـعُـلا والـكـمـالِ
تَـبَـوَّأ مـن الـمـجـدِ أعْـلـى مـقـامٍ ... وضَـعْ نَـعْـلَ مَـسْـعـاك فـوق الـهـلالِ
فـقـد أيْـقـن الـمـجـدُ أن الـمـجـيءَ ... بـمـثْـلِـك في الـدهـرِ عـيـنُ الـمُـحـالِ
فـبُـشْـرَى لـكـم بـالـخِـتـانِ الـذي ... بـه لـبـسَ الـمـجـدُ ثَـوبَ الـجـمـالِ
هـو الـشـمـعُ إن قُـطَّ لا غَـرْوَ أن ... أنـارتْ بـه حـالِـكـاتُ الـلَّـيـالِـي[٣]
وظُـفْـرٌ بـتَـقْـلِـيـمِـه لا تـزالُ ... أكـفُّ الـمـكـارمِ مـنـه حـوالِ
وتـشْـمِـيـرُ ذَيْـل لـدى الاسْـتِـبـاقِ ... لـنَـيْـلِ الأمـانـي وكَـسْـبِ الـمـعـالِـي
ومـا لِـلْـيَـراعِ إذا لـم يُـقَـطَّ ... فـضـلٌ يُـعَـدُّ عـلـى كـلِّ حـالِ
ومِـن بـعـد بَـرْيِ الـغُـصـونِ ازْدَهَـتْ ... عـلـيـهـا أسِـنَّـةُ سُـمْـرِ الـعـوالِـي
فـلا بَـرِحَـتْ مـن مَـزَايـاكُـمُ ... بـجِـيـدِ الـزَّمـانِ عُـقـودُ الـلآلِـي

فصــل

في معناه للقاضي الفاضل[٤]:

الحمد لله الذي أطْلَعه بثَنِيَّات الكمال، وبلَّغَه غاياتِ الجمال، ويَسَّره لدرجاتِ الجلال، ونقلَه تَنَقُّلَ الهلال، وشَذَّبَه تَشْذِيب الأغصان، وهذَّبَه تهذيبَ الشُّجعان، وأجرى فيه سُنَّةَ سَنَّ لها الحديدَ فنقَصَه للزِّيادة، واسْتَخْلَصه للسِّيادة، ودَرَّبَه للاضْطِبار، وأدَّبَه للانْتِصار، وألْقَى عنه فَضْلَةً في اطِّراحِها الفضيلةَ، وقطَع عنه عَلَقةً حَقُّ مِثْلِها ألا

---

(١) سنن النسائي: ٧/١٦٨، والشرح في شرح الحديث رقم (٤١٩٠)، وما بين قوسين فقط هو للسيوطي.
(٢) يقال: أسعدت النائحةُ الثكلى: أعانتها على البكاء والنوح. أساس البلاغة (سعد).
(٣) قَطَّ: قطع أو قلَّم.
(٤) انظر نفحة الريحانة: ١/٢٧٧ - ٢٧٨ .

Marfat.com

تكون بمثلِه مَوْصولَة، فلم يزَل التَّقْليم مُنَوِّها بالأغصان، ومُنَبِّها للثَّمر الوَسْنان، ومُبشِّرا بالنَّماء، ومُيسِّرا للنَّشو والانْتِشاء.

ولابن فَضْل الله، في خِتان الملك الناصر: [الخفيف]

لـم يُـرَوِّع لـه الـخِـتـانُ جَـنـانـاً ... مُـذْ أصـابَ الـحـديـدُ مـنـه حَـدِيـدَا
مثلُ ما تُنقَص المصابيحُ بالقَطّ ... فـتـزْدادُ فـي الـضِّـيـاءِ وقُـودَا

وأصله قول الغَزِّيّ: [الطويل]

تـمـالَـك وُدِّي حـيـن قـلَّـمْـتُ رأسَـه ... قياساً على الأقْلامِ والشَّمْعِ والظُّفْرِ

ولابن مَطْرُوح[1]: [الوافر]

لـقـد سَـرَتِ الـبـشـائـرُ والـتَّـهـانِـي ... إلـى الـثَّـقَـلَـيْـن مـن إنْـسٍ وجَـانِ
ويـصـغـرُ كـلُّ مُـبْـتَـهـج إذا مـا ... نَـسَـبْـنـاهُ إلـى هـذا الـخِـتـانِ
تَـوَدُّ الـزُّهْـرةُ الـزَّهْـراءُ فـيـهِ ... لـو اتُّـخـذت لـه إحـدى الـقـيـانِ
وأن الـبَـدْرَ طَـارٌ فـي يـدَيْـهـا ... وأن مُـراسِـلَـيْـهـا الـفَـرْقَـدانِ
وتـسْـتَـمـلِـي مـن الأفْـلاكِ لـحـنـاً ... فـمـا قـدرُ الـمـثـالِـث والـمَـثـانِـي
وتُـسْـقـى بـالـثُّـريَّـا فـيـه كـأسـاً ... ولا أرْضَـى لـهـا بِـنْـتَ الـدِّنـانِ
ولـكـن مـن رَحِـيـقٍ سـلْـسَـبـيـلٍ ... بـأيْـدِي عِـنْـقـرِيَّـاتٍ حِـسـانِ
ويـصـغُـر خـادمـاً بَـهْـرامُ فـيـه ... عـلـى مـا فـيـهِ مـن بـأسِ الـجَـنَـانِ
فـلـوْلاَ أنـه فـرْضٌ عـلـيـنـا ... لـمـا مُـدَّت لـخـاتِـنِـه يَـدانِ
وقَـطُّ الـشَّـمـعِ يُـكـسِـبُـه ضِـيـاءً ... وقَـطُّ الـظُّـفْـرِ زَيْـنٌ لـلـبَـنـانِ

وللصَّنَوْبَرِيّ أيضاً: [الوافر]

أرى طُـهْـراً سـيُـثْـمِـر بـعـد غَـرْسٍ ... كـمـا قـد تُـثْـمِـر الـطَّـرَبَ الـمُـدَامَـهْ
ومـا قـلَّـمٌ بـمُـغْـنٍ عـنـك إلاّ ... إذا مـا أُلْـقـيـتْ عَـنْـه الـقُـلاَمَـهْ[2]

قلت: «الطُّهر» بالضم، والطَّهور بالفتح، والتَّطْهير كِنايات عن الخِتان، استعملها المُحْدَثون، كقولهم للأعور، «ممتع» كما ذكره الثَّعالِبيّ في كتاب «الكناية»، وفي كتابه المُسَمَّى بـ «مرآة المروآت»، وغيره.

ومن شعر صاحب الترجمة: [م. الكامل]

---

(١) ابن مطروح: جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم الصعيدي المصري الأديب المعروف بابن مطروح، ولد سنة ٥٩٢، وتوفي سنة ٦٥٤، قال السيوطي في ترجمته في حسن المحاضرة: له تصانيف في الأدب منها: ديوان مشهور. انظر هدية العارفين: ١/ ٥٢٣ .

(٢) البيتان في نفحة الريحانة ١/ ٢٧٧، والشطر الأول فيه:

أرى طـهـراً سـيـثـمـر بـعـدُ غـرسـاً

Marfat.com

ما كنتُ أحسبُ أن يكو نَ كذا تفرُّقُنا سريعَا
قد كنتُ أنْتظِرُ الوِصا لَ فصِرْتُ أنتظرُ الرُّجوعَا

وله أيضاً: [م. الرجز]

واللهِ لولا حُصولُ مَعْنَى في خاطري منكَ لا يزولُ
ما كان بالعَيْشِ لي انْتِفاعٌ ولا إلى مَطْلَبٍ وُصولُ

وله[1]: [البسيط]

قد كنتُ أبْكي على مَن مات من سَلَفِي وأهلُ وُدِّي جميعاً غيرُ أشْتَاتِ
واليومَ إذ فرَّقتْ بيْني وبينَهمُ نَوًى بكيْتُ على أهلِ المَودَّاتِ
فما حياةُ امْرىءٍ أضْحَتْ مَدَامِعُه مَقْسومةً بين أحْياءٍ وأمْواتِ

وله: [م. الرجز]

وَيْلي من المُغْرِض لا قَسْوةً لكن لأقْوالِ العِدى والوُشَاهْ
ما لاحَ للعينِ سَنَا وَجْهِهِ إلاَّ وفيها من رَقيبٍ قَذَاهْ

وله مُضمِّنا[2]: [البسيط]

صَبٌّ على الشَّنَبِ المعْسُولِ ذاب أسًى وبات مِن حرِّ نارِ الشَّوقِ في شُعُلِ
كالشَّمع يبْكي ولا يدرِي أعَبْرَتُه من صُحْبةِ النَّارِ أم من فُرقَةِ العَسلِ

وكتبْتُ إليه في مرضٍ اعْتراه، فلم أعُدْه لمرضٍ أصابني، فعَتب عليّ، ولم يدْرِ ما عاقني عن العيادة: سيِّدي ومولاي يعلم أن القلوبَ، وهي حصون المودَّة لا تُفْتَح عَنْوَة، والدهر لم يُبْقِ للصُّلح موضعاً تتمسَّك منه يدُ الأمل بعُرْوَة: [الكامل]

ووِدادِي كما عرفْتَ وِدادِي وفُؤادِي كما عهِدْتَ فُؤادِي

وصاحب البيت أدْرَى بالذي فيه، وأن للبَيْت ربًّا يحْمِيه، وقد عرَض من السْقم ما عاق عن العِيادة، وأقعدني عن القيام بأمرها وهي عِبادة، وكيف يصحُّ بدنٌ وروحُه سقيمة، فلذا أنشد لسانُ حال المودَّةِ السَّليمة: [الوافر]

رأيتُ الفضْلَ في الدنيا غريباً ضعيفاً في معالِمها نحيفَا
فلما أن سألتُ الدهرَ عنه أجاب مُلاحِظاً معنًى لطيفَا
وقال لِيَ ابنُ قاسم المُفدَّى وعينُ الفضلِ قد أمْسى ضعيفَا
فقلتُ له حَمَى اللهُ المعالي بصِحَّتِه وآمَنَه المَخُوفَا

وكتبتُ مع ذلك شعراً، وعرضتُه عليه، وهو قولي مُضمِّنا: [الطويل]

---

(١) أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٨ .
(٢) أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٩ .

Marfat.com

يزيدُ اشْتياقِي نحوَ مصرَ وأهلِها كما زاد مَدُّ النِّيلِ حتَّى تفجَّرَا
أذاب النَّوى صبْرِي وأفْنَى مدامعِي فقالوا سَلا عن حُبِّنا وتَسَتَّرَا
ولم يَبْقَ لي إلا تفَكُّرُ نيلِها ولو شئتُ أن أبْكي بكيتُ تَفَكُّرَا

وقولي أيضاً: [الرمل]

إن وَجْدِي بمصرَ وَجْدٌ قديمٌ وحنِينِي كما ترَوْنَ حنِينِي
لم يزَلْ في خيالِيَ النِّيلُ حتَّى زاد عن فِكْرتي ففاضَتْ عُيونِي

وقولي، ناسِجاً على مِنْوال شعر الزَّمخْشَرِيّ المشهور: [الطويل]

وقائلةٍ ما هذه الأبحرُ التي جرَتْ من مآقيهِ ولم تَكُ غَائِضَهْ
فقالُوا لها أنهارُ مصرَ التي ثَوَتْ بخاطرِه أمْسَتْ من العينِ فائِضَهْ

ثم عَنَّ لي معنًى آخر، حال الكتابة، وهو: [الرجز]

لحديثِ نيلِك مصر أُضْحِي مُصْغِياً حتى يخوضُوا في حديثٍ غَيْرِهِ
يا كوثراً إن سُدَّ عنه مَسْمعِي تَلْقَاهُ فيه قد جرى بخَرِيرِهِ

فأجاب، أبقاه الله: [الوافر]

أتَتْنِي رُقْعَةٌ من ذِي وَلاءٍ وَفَى فشَفَى امْرَأً دَنِفاً ضعيفَا
أبانَتْ منه مَعذِرةً بسُقْمٍ ألَمَّ به وصار له حَليفَا
وشاطَرني السَّقامَ ولم يزَلْ بيَ على طُولِ المدَى بَرًّا رؤُوفَا
وذاك أبرُّ في سَنَنِ التَّصافِي وأوْفَى من عيادتِه أُلوفَا
تَقِيه السُّوءَ نفسِي فهْوَ مَنْ لم يزلْ يُكْسَى به الفضلُ الشُّفوفَا
شِهابٌ ثاقِبٌ محَتِ الليالي بطلْعتِه مِنَ الدهرِ الصُّروفَا

مولاي، فكْري الكليل عليل، والاسْتِقصاء في مُجاراة سيِّدي ما إليه سبيل، وسلامتُكم غايةُ المسؤول، والعذرُ عندكم إن شاء الله تعالى مقبول، والسلام.

وقال جواباً عن كتاب: [الكامل]

ورد الكتابُ مُبشِّراً بقُدوم مَن ملأ النفوسَ مَسرَّةً بقُدومِهِ
فطرِبْتُ بالأشجاعِ من مَنْطَوقِه وثمِلْتُ بالجِزْيال من مَفْهُومِهِ[1]
وسجَدْتُ شكراً عند مورِدِهِ على إسْعاد هذا العبدِ مِن مخدُومِهِ

وقال أيضاً: [الرمل]

قال لي العاذلون لِمْ مِلْتَ عمَّن بمُحَيَّاهُ يُخْجِلُ الأقْمارَا
قلتُ كان الفؤادُ عُشًّا له إذ كان فَرْخاً وحين رَيَّشَ طَارَا

(١) الجريال: الخمر، أو صبغ أحمر.

Marfat.com

وقوله، رباعيَّة[١]: [الدوبيت]

يـا جِـيـرَتـنـا فـي حـلَـبَ الـشَّـهْـبـاءِ مـن يـوم فِـراقـكُـم سُـرورِي نَـاءِ
قـدْ مِـتُّ لـبُـعـدِكـم غـرامـاً وأسًـى لَـقَـدْ غـلـطـاً أُعَـدُّ فـي الأحْـيـاءِ

٦- الأمير أبو بكر الْحَلَبِيّ

المعروف بابن حلالا.

أميرٌ جيشُه الهِمَم، وبحر تغْترِف منه الدِّيَم، تسْكَر من ألفاظِه المُدَام، فإذا ساقَطَ الحديث سِقاطَ الدُّرِّ أسْلَمه النِّظام، أو بَدَا روضُ أدبه قامَت له الأغْصان في الرِّياض على الأقْدام.

رحِيبُ ساحة الصَّدر، وصَلِيب قَناة الصَّبر، لم يعقِد حَبْوَةَ رأْيه إلا بيدِ الحَزْم، ولم يَحُلَّ الدهرُ ما عقَده إلا برَاحةِ العزْم، فلا يأكل الطَّيْشُ حِلْمَه، ولا تحُلُّ يدُ النَّوائبِ حَزْمَه.

أدبُه أرقُّ من دمْع السَّحاب، وأصْفَى من ماء الحُسْن في رياض الشَّباب، إلا أنه اقتصر عليه، وجعل جملةَ متاعِه في يديْه، والأدب روضةٌ ذاتُ أفْنان، لا تزْهو إلا إذا كانت ذاتَ أنْواع وألوان؛ فلذا قلَّ ما رُوِيَ شِعْرُه من ماءِ النَّضارة، واكْتَسى غُصْنُ لفظِه ورَق الغَضارَة، ولم يحضُرْني منه الآن غيرُ قوله: [الوافر]

أيـا بَـحْـراً غـدَوْنـا مـن نَـدَاهُ نُـقـدِّمُ بـعـضَ أنْـعُـمِـه لـديْـهِ
كـذاك الـبـحـرُ يـنـشَـأُ مـنـه غَـيْـثٌ وبـعـضُ سـحـابِـه يُـهْـدَى إلـيـهِ

وهذا معنًى مشهور، في معناه قول البَدِيع[٢]: [الكامل]

أُهْدِي لـمـجْـلِـسـك الـشـريـفِ وإنـمـا أهْـدِي لـه مـا حُـزْتُ مـن نَـعْـمَـائِـهِ
كـالـبـحـرِ يُـمْـطِـرُه الـسَّـحـابُ ومـالَـهُ مَـنٌّ عـلـيْـهِ لأنَّـه مـن مـائِـه[٣]

وقد ضمَّنه بعضُهم، ونقله من الجِدّ إلى الهزل، فقال: [م. الكامل]

يـتـبـادلان فـيُـنْـصِـفـا نِ ولـيـس بـيـنـهُـمـا ازْتِـيـبْـا
فـيُـصِـيـبُ هـذا مـاء ذا كـالـبـحْـرِ يُـمْـطِـرُه الـسَّـحـابْ

وقد حضَرني في معناه، ما كتبتُه مع سمَكٍ أهديْتُه: [م. الرجز]

---

(١) انظر أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٩.

(٢) البديع الإسطرلابي: هبة الله بن الحسين الإسطرلابي المعروف بالبديع، المتوفى سنة ٥٣٤، من تصانيفه: درة التاج في سفر ابن الحجاج، وديوان شعر، والمعرب المحمودي في الزيج. انظر هدية العارفين ٢/ ٥٠٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٧٣، وفوات الوفيات: ٢/ ٦١٤.

(٣) البيتان في خلاصة الأثر: ٣/ ٨٨، وفوات الوفيات ٢/ ٦١٥، ونفحة الريحانة: ٤/ ١١٥.

Marfat.com

أهْـدَيْـتُ حـوتـاً نـحـوَ مَـن فـاتَـتْ عَـزائِـمُـهُ الـسِّـمـاكْ
فـاقْـبَـلْ بـحـقِّـكَ عُـذْرَ مَـن أهْـدَى إلـى الـبـحـرِ الـسِّـمـاكْ[1]

ومن الفصول القصار: المُهَدِّد لمن فوقه مُهدِّد للبحْرِ بالشَّرَق، وللحُوت بالغَرَق.

٧و٨- إبراهيم، ومحمد ابنا أحمد الْحَلَبِيّ، المعروف بالمُلَّا

هما من دَوْحة الكمال غُصْنان، بل رَوْضان أنبتهما مَرْجان، ولا أقول نَهْرانِ فهما بَحْران، يخرج منهما اللؤلؤ والمَرْجَان، كل منهما جَواد يُفْرِغ الخزائنَ بجُودِه، فيملأ بالغيظ قلبَ حَسُودِه، طويل البَاع، عذْبُ المَوارِد إذا ظمِئت الأسْماع، مُرْهَف فكرِه صَقِيلُ الطَّبْع، وبحرُ كرمِهِ متموِّج بهبُوب نسيم ذلك الطبع، رقيقُ حَواشِي المجد، أرَقُّ من عَبَراتِ أسالها الوَجْدُ، وضَّاحُ المُحَيَّا تحمَرُّ خجَلاً منه خدودُ الحُمَيَّا.

صَنَّفا وألَّفا، ولاَحا كغُصْنَيْ بَانَةٍ[2] قد تألَّفا.

نَشآ في حِجْر الفضل والحسب، وبَسَقا في رَوْض النَّجْدة والأدب، في زمانٍ شَمِت فيه الجهلُ بالفضل، ورَقِيَ صَهْوة عِزِّه كلُّ فَدم نَذْل[3].

نَجْمان بأيِّهما اقتدَيْتَ في طُرُق المعاني اهْتَدَيْت، فهما في مَغْرس الكرم صِنْوان، وثمراتُها صِنْوانٌ وغيرُ صِنْوان، ورَوْضا محامِدَ، يُسْقَيان بماءٍ واحد.

ووالدهما[4] هُمامٌ ألَّف، وأفاد، وعِذُبَتْ مواردُ إفادتِه للوُرَّاد.

له تآليف كثيرة، منها «شرح مغني اللبيب» طَرَّز بتحْريرِه حواشِيَه، ودخل جنَّته من أيِّ باب شاء من أبوابِه الثَّمانِيَة.

فمما أنشدته لمحمد ابنه[5]: [الدوبيت]

---

(١) السماكان: نجمان نيّران، أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب، وهو السماك الأعزل، والسماك الثانية جمع سَمَك وهو الحيوان البحري المعروف.

٧و٨- إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد الحْصكفي الشافي الحلبي، المعروف بابن الملا، ولد بحلب، ولزم المطالعة والكتابة، نظم «الدرر والغرر» في فقه الحنفية، والحصكفي: نسبة إلى حصن كيفا وهي من ديار بكر. انظر: إعلام النبلاء ٦/ ٢١١، وخلاصة الأثر ١/ ١١ .
وأخوه محمد هو: محمد بن أحمد بن علي شمس الدين الحصكفي الحلبي الشافعي المعروف بابن الملا، ولد بحلب سنة ٩٦٧، كان كريم الخلق، حسن العبادة، كتب تاريخاً لحلب، وكان صاحب شعر حسن، توفي سنة ١٠١٠ . انظر: أعلام النبلاء ٦/ ١٧٠، وخلاصة الأثر ٣/ ٣٤٨ .

(٢) البانة: ضرب من الشجر، ورقه ليّن، يشبه الصفصاف، ويشبّه به الحسان في الطول واللين.

(٣) الفَدْمُ: الرجل الفدم: الرجل ثقيل الفهم عييّ.

(٤) أحمد بن محمد بن علي الحصكفي الحلبي الشافعي المعروف بابن المنلا، ولد سنة ٩٣٧، كان واحد دهره في فنون الأدب، رحل إلى القسطنطينية ثم رجع إلى حلب، فاشتغل بالتدريس والتأليف، قتل سنة ١٠٠٣ . انظر: هدية العارفين: ٦/ ٢٦٤، ونفحة الريحانة: ٢/ ٦٥٥، وإعلام النبلاء: ٦/ ١٣٨، وخلاصة الأثر: ١/ ٢٧٧ .

(٥) الأبيات من الدوبيت.

Marfat.com

في الليلِ وفي النهار حَرَّى كَبدِي مقتولُ ضَنًى بجائرٍ ليس يَدِي
تَرْشِي عيني جواهرُ الدمع على لُقْياه تظنُّ أنه طوعُ يَدِي

وهو معنًى مُترجَم من الفارسيَّة، ومثله قول صاحبنا محمد القَاسِمِيّ[1]:

لُقْياك سرورُ قلبِيَ المحزونِ والوحشةُ من هَواك لا تَعْدُونِي
يا وَيْحَ عيوني خَشِيتْ شَقْوتَها مني فأتَتْ بدُرِّها تَرْشِينِي

وقريب منه قول ابن الرُّومِيّ[2]: [م. الكامل]

وهبَتْ له عيني الهُجوعَا فأثَابَها منه الدُّموعَا[3]

وأحسن منه قولُ الأرَّجَانِيّ[4]: [البسيط]

لولا طُروقُ خيالٍ منكَ مُنْتَظَرٌ يُلِمُّ بي راقداً ما ساءَني سَهَرِي
كأنَّ جَفْنِيَ إكراماً لزائرِهِ أمْسَى على قدَميْهِ ناثرَ الدُّرَرِ

ولإبراهيم من قصيدة، قَرَّظ بها شعراً ليوسف بن عِمْران[5]: [الكامل]

أطِرْسُكَ هذا أم لُجَيْنٌ مُذَهَّبٌ ونظْمُك أم خمرٌ لِهَمِّيَ مُذْهِبُ
وتلك سطورٌ أم عقودَ جواهرٍ وزُهْرُ سماءٍ أم هو الروضُ مُخْصِبُ
وتلك معانٍ أم غَوانٍ تَرُوقُ لِلْـ ـعيونِ وباللَّحْنِ المسامعَ تُطْرِبُ
فيا حبَّذَا هذِي القوافي التي بمَن يعارضُها ظُفْرُ المنِيَّةِ يَنْشَبُ
لقد أحكَمَتْها فكرةٌ ألْمَعِيَّةٌ فكِدْتُ لها من رِقَّةِ النَّظم أشْرَبُ
فمن غَزَلٍ قد هزَّ ذا سَلْوَةٍ إلى التَّـ ـصابِي فأضْحَى بالغزالِ يُشَبِّبُ
فيا بحرَ فضلٍ فائض بلآلِىءٍ لها فكرُك الوقَّادُ مازال يَثْقُبُ
ظَنَنْتَ بأنِّي للخطاب مؤهَّلٌ فأرسَلْتَه شِعراً لنَظْمِيَ يخطِبْ
فعُذْراً فإن الفكرَ منِّي مُشتَّتٌ وعقْلِي بأيْدِي حادثِ الدَّهرِ يُنْهَبْ

وكان العِماد بينه وبين أحمد مودَّة صافية، وفي بعض الأحيان تجري بينهما مُداعبات وأخْماض، فكتب له مرَّةً وقد رأى ميلَه لمُعَذِّرٍ كان من جملة خُدَّامه، يستفتيه في رأي أهل المَوْصِل: [الخفيف]

---

(١) الأبيات من الدوبيت.
(٢) ابن الرومي: علي بن العباس بن جريج، أبو الحسن البغدادي مولى عبد الله بن عيسى بن جعفر العباسي، ولد سنة ٢٢١، وتوفي سنة: ٢٨٣ هـ، له ديوان شعر مشهور. انظر: هدية العارفين: ١/ ٦٧٤، والفهرست: ٢٧١، ووفيات الأعيان: ٣/ ٣٥٨، ومعجم الشعراء: ٢٨٩.
(٣) ديوانه: ٤٣٢.
(٤) ديوان الأرّجاني: ١٦٢، وقد سبقت ترجمته في الصفحة (٥٦).
(٥) خلاصة الأثر: ١/ ١١، ١٢.

Marfat.com

ما تقولون يا ذَوِي الأفضالِ ... وأولي العِلْمِ والحِجَى والكمالِ
في أُناسٍ يرَوْن في حَلَب الشَّهـ ... ـباء رأيَ الهوى وحُبَّ الجَمالِ
قد تحيَّرْتُ في هواهُم زماناً ... فاكشِفُوا لي عن شُبْهتِي وسُؤالِي
أيُّ ذَنْبٍ للأمردِ النَّاعمِ الخدِّ ... الذي فاق رَبَّةَ الْخَلْخَالِ
بمُحَيَّا مثل الغزالةِ حُسْناً ... وبطَرْفٍ أزْرَى بلَحْظِ الغزالِ
وبمَضْقُول وَجْنةٍ قد تسامَتْ ... بصَفاءٍ على بديعِ الَّلآلِي
فلماذا تَعَوَّضُوا عن هَواهُ ... بذقونٍ كأنَّهُنَّ الْمَخَالِي
مِن نِتيفٍ مُحفَّفٍ ذي اغْتلالِ ... ناقصِ الحُسْن مَصْدرِ الأفْعالِ
أفلا تنظرون مِرآةَ وَجْهِ ... لاح بَذْراً مُكَمَّلاً بالدَّلالِ
دون ذِي لِحْيةٍ كَسَتْهُ ظلاماً ... خارجاً عن مطالِع الاعْتدالِ
فاكشِفوا شُبْهَتِي فأيَّةُ داعٍ ... لاتِّباعِ الهُدَى وتَرْكِ الضلالِ
لا بَرِحْتُم في نعمةٍ وسرورٍ ... نَاجِحي القَصْدِ بالِغي الآمالِ

فأجابه بقوله: [الخفيف]

يا إماماً حَوى فُنونَ المعالِي ... وَهُماماً سَما بُروجَ الكمالِ
وأديباً أتى بكلِّ بديعٍ ... من نِظامٍ أزْرَى بعِقْدِ الَّلآلِي
وعلى أصله المكارمُ جادَتْ ... بثَناءٍ يَفوقُ رِيحَ الغَوالِي
ولَعَمْرِي إن العِمادَ إمامٌ ... فاقَ أقْرانَه بحُسْنِ الخِصَالِ
يا له فاضلاً وأحسنَ مَوْلَى ... في صحيحِ الهوى خَلا عن مثالِ
هذَّبَتْه أيْدِي الليالِي إلى أن ... رَقَّ طَبْعاً ففاق صَفْوَ الزُّلالِ
قد أتى منه لِي لطيفُ سُؤالٍ ... ببديعِ الفُنون أضْبَحَ حَالِي
نَمَّقَتْهُ أيْدِي القريحةِ حتى ... حاز لُطْفاً قد تَمَّ بالاعْتِدالِ
جاء في طَيِّه بنَشْرٍ ذَكِيٍّ ... دَقَّ عن ذَوْقِهِ فُهُومُ الرِّجالِ
سائلاً عن معاشِرٍ من بني الحُبِّ ... بشَهْبائِنا رَضُوا بالمُحَالِ
عدَلوا عن هوى صقيلِ المُحَيَّا ... مَنْ بخَدَّيْه جالَ ماءُ الجمالِ
وله بَهْجَةٌ بوَرْدِيِّ خَدٍّ ... ولَحَاظٍ تُروى عن الغَزَّالِ
ناعمُ الوَجْنَتيْن معسُولُ ثَغْر ... وَيْحَ قلبي مِن قَدِّه العَسَّالِ
فلماذا تَعوَّضُوا عن هَواهُ ... بذُقونٍ كأنَّهن الْمَخَالِي
تارةً تَنْتَحُون حُبَّ نِتيفٍ ... ناقصِ أجْوفِ الحشَا ذي اغْتلالِ
وإذا الأمْردُ الجميلُ المُفَدَّى ... لاح لَم تقصِدُوا هَواهُ بِحَالِ
وطلبْتُمْ منِّي الجواب وإنِّي الْـ ... ـآن والعهد ليس لي من مَجالِ

Marfat.com

كيفَ والفكرُ في خُمولٍ وَهَمٍّ ... والحشَا في تَحَرُّقٍ واشْتِعالِ
غيرَ أني أقول قولاً وجيزاً ... وعلى الله في القَبولِ اتِّكالِي
إنَّنِي مُغْرَمٌ بكلِّ جميلٍ ... حسَنِ الوصْفِ والثَّنا والفِعالِ
أمْرداً كان أو فَتًى ذا عِذارٍ ... فاق في الحُسْنِ رَبَّةَ الخَلْخَالِ
سَيَّحَ المِسْكَ وَرْدُ خَدَّيْه لمَّا ... خاف أنَّا نُصِيبُه بالنِّبالِ
وتجلَّى من هَالةٍ في عِذارٍ ... وَجْهُه البدرُ ذُو البَهاء والجمالِ
ذَا غرامِي ومذهبي واعْتقادِي ... أنه مذهبٌ من القَدْحِ خَالِ
إذْ رأيْنا ممَّن تقدَّمَ قوماً ... قد رَقَوْا في العُلا ذُرَى الآمالِ
سلَكوا في هَوى الفريقيْن سِلْماً ... وأتَوْا بالبديعِ مِن كلِّ قَالِ
وطِباعُ الورَى تخالفُ فالنَّا ... زلُ فيهمْ وفيهمُ كلُّ عالِ
هَا جَوابي ولستُ أزْعَمُ أنِّي ... ذو صوابٍ فارَقْتُ نَهْجَ الضَّلالِ
فعلى الفاضل الأديب مليكِ الـ ... ـفضلِ مَن جاءنا بهذا السُّؤالِ
العمادِ الإمام نَشْرُ اعْتذارِي ... وقَبُولٌ يُقادُ مِن غيرِ قَالِ
دام في رِفْعَةٍ وأرْغَدِ عيشٍ ... ونعيمٍ وبَهْجةٍ واقْتِبالِ
ما انْتَحى المُرْدَ والمُعَذَّرَ صَبٌّ ... عادِمُ الصَّبْرِ واجِدُ البَلْبَالِ

٩- يوسف بن عِمْران الْحَلَبِيّ

أديبٌ نظمَ ونَثَر، فأصبح ذكرُه جمالَ الكُتُب والسِّيَر، أكثرَ من الرِّحلة والنُّقلة، على تَيَقُّظٍ لا تطمع فيه الغَفْلة، ففاضتْ عليه سحائبُ من الثَّناء سَكُوب، مُزْجيها رياحُ الشُّكر مما يسْحَبُه الصبا والْجَنُوب، إلا أنه في أواخره داسَتْ ساحتَه النُّوَب، فأحاط به الفقرُ لمَّا أدركَتْه حُرفةُ الأدب، فأصبح بعد النَّعيم المقيم بُؤسُه أبا العَجَب: [السريع]

لو كان يدْرِي المرءُ أن ابْنَه ... يُخْرَم بالآدابِ ما أدَّبَهْ

وقد صحبني فرأيتُه بشِعْره مُعْجَباً طَرُوب، إذا سَنَح له معنًى فكأنه قميصُ يوسفَ في أجْفان يعقوب، فمدَحنِي بعدَّة قصائد، وأهدى إليَّ منها ما هو على آدابِه شاهد، وطلب منِّي يوماً تقريظَ شِعْره، فقلتُ بدِيهةً: [البسيط]

٩- يوسف بن عمران الحلبي: الشاعر المشهور، قال الخفاجي في ترجمته: أديب نظم ونثر، وكان أول أمره ذا تجارة ومال ونباهة، فقارن الأدباء من أبناء عصره، وأقام على ذلك مدّة مديدة ثم طاف بلاد الشام والقاهرة، ثم توجه إلى دار السلطنة وامتدح علماءها، وله أشياء كثيرة من معنى مبتكر، وكانت وفاته سنة ١٠٧٤ . انظر: خلاصة الأثر: ٤/٥٠٦-٥٠٧، وهدية العارفين: ٢/٥٦٦، وأعلام النبلاء: ٦/٣٣٨، ونفحة الريحانة: ١/١٧٧، ٤٩٩، ٢/٦٢١ .

Marfat.com

لَشِعْرُ ذا الْحَبرِ بَحْرٌ في تَموُّجِهِ يُهْدِي لأسْماعِنا رَوْحاً ورَيْحانَا[١]
ذُو منطِقٍ ساحرٍ مُطْرٍ فيا عَجَباً للسِّحرِ يُنْشِئه وهو ابن عِمْرانَا[٢]

وكان من خزائن الآداب نَهَّاباً وَهَّاباً يُطرب بألحانه، وإن رجح على مَن سِواه بأوْزَانِه.

فمن عَذْبِ خِطابِه، وقلائده المُنتَظِمة في جِيد آدابه، ما أنشَدِنيه من قصيدةٍ له: [الطويل]

أثار بأحشائي البنَانُ المُطرَّفُ رَسِيسَ هوًى يَقْوَى إذا الصَّبْرُ يَضْعُفُ[٣]
وأرَّقني من حَيِّ سَلْمَى حمائمٌ غَدَتْ فوق أغصان المعاطِف تهْتِفُ
وثَغْرٌ إذا ما افْتَرَّ يُبْدِي ابْتِسامُهُ بُرُوقاً بها أبْصارُنَا تُتَخطَّفُ
وخَدٌّ سقَى ماءُ الشَّبابِ رياضَه بألْحاظِنا منه جَنَى الوَرْدِ يُقْطَفُ
ودِينارُ خَدٍّ كاملُ الوزْنِ حُسْنُه على حُبِّه رُوحِي النَّفيسةُ تُصْرَفُ
وجسمٌ صفَا حُسْناً يكاد أدِيمُه الـ مُنعَّمُ من فَرْطِ الطَّراوةِ يُرْشَفُ[٤]

وقوله من أخرى: [الطويل]

حَذارِ تَرُومَ الوصْلَ من ساحرِ الْجَفْنِ فكم مَشْرَفِيٍّ دونَه سُلَّ من جِفْنِ
وإياكَ من خَطِّيٍّ عامل قَدِّهِ فكم أثْخَنَ الأحْشاءَ طعْناً على طَعْنِ
ألا أيها الرِّيمُ الذي بات يَرْتَعِي حُشاشَةَ نَفْسِ الصَّبِّ لا روْضةَ الْحَزنِ
بخَدَّيْكَ ما في مُهْجتِي من لظاهُما بِجِسْمِي الْمُعَنَّى ما بخَضْرِكَ من وَهْنِ

ومنها:

لَثَمْتُ له جِيداً طَلاَ الظَّبْيِ دُونَه وثَغْراً لَماهُ العذبُ أحْلَى من الْمَنِّ[٥]
وألْصَقْتُه بالصَّدرِ عند عِناقِه كما ضَمَّتِ الأحْلامُ جَفْناً إلى جَفْنِ

وهذا كقول القاضي الفاضل: [الوافر]

فيا جَفْنَيَّ فاغْتَنِقا انْطِباقاً ويا نَوْمِي قدِمْتَ على السَّلامَهْ

وله من أخرى: [الكامل]

كأنَّ زهورَ الرَّوْضِ حين تساقطَتْ لتَقْبِيلِ أقدامِ الأحِبَّةِ أفْوَاهُ

---

(١) في خلاصة الأثر:
لشعر يوسف بحر في تموجه يهدي لأفهامنا روحاً وريحانا
(٢) في خلاصة الأثر: (وذا عجب) ٤/٥٠٦ .
(٣) الرّسيس: بقية الشيء وأثره.
(٤) أعلام النبلاء: ٦/ ٣٤١ .
(٥) أعلام النبلاء: ٦/ ٣٤١ .

Marfat.com

وله من أخرى: [البسيط]

رَبيعُ عَدْلٍ به أيّامُه اعْتَدَلَتْ ... فالشَّاةُ والذِّئبُ في أيّامِه اتَّفَقَا
لا تَخْتَشِي الطيرُ من مُلْقِي الشِّباكِ لها ... ولو إليها بألْفَيْ مُقْلةٍ رَمَقَا

وفي معناه قولي، من قصيدة: [الكامل]

فديْتُكَ يا مَن بالشَّجاعة يرْتدِي ... وليس لغيْرِ السُّمْرِ في الحربِ يَغْرِسُ
فإن عشِقَ الناسُ الْمَهَا وعُيونَها ... من الدَّلِّ في رَوْضِ المحاسنِ تنْعَسُ
فدِرْعُكَ قد ضَمَّتْكَ ضَمَّة عاشقٍ ... وصارتْ جميعاً أعْيُناً لك تَحْرُسُ

ومما أنشَدِنيه أيضاً قوله: [الكامل]

مَا إن عصَبْتُ العينَ بعدهُم سُدًى ... إلاَّ لأمْرٍ طال مِنْهُ سُهادِي
لمَّا قضَى نوْمِي بأجْفاني أسًى ... لبِستْ عليه العينُ ثَوْبَ حِدادِ

وقد كنتُ لما ذكرَ لِي هذا ذكرتُ له نُتفاً في معناه، فأعجبَتْه، فمنها: [الكامل]

لا تُنكِروا رَمَدِي وقد أبْصَرْتُ مَنْ ... أهْوَى ومَن هو شمسُ حُسْنٍ باهرِ
فالشمسُ مَهْما إنْ أطَلْتَ لِنَحْوِها ... نظراً تُؤَثِّرُ ضَعْفَ طَرْفِ النَّاظِرِ
ولقد أطلْتُ إلى احْمرارِ خُدُودِه ... نَظَري فعكْسُ خيالِها في ناظِرِي[1]

ومنها: [الكامل]

رَمدتْ جُفونِي عندما فارقْتُ مَن ... قد كان كُحْلاً في نواظِرِ عَبْدِهِ
وسرَقْتُ حُمْرَةَ ناظِري وسَقامِه ... عند النَّوَى من مُقْلَتَيْهِ وَخَدِّهِ[2]

ومنها: [الخفيف]

حينَ خُبِّرتُ أن في الطَّرفِ منه ... رمداً زاد في ذُبولِ المحاجِرْ
جئتُ كيْما أزورَ مِن وَجْه بدْرِي ... كَغْبَة الحُسْنِ تحت سُودِ السَّتائِرْ[3]

ومنها: [السريع]

ما احْمَرَّ طَرْفُ العينِ ضَعْفاً ولا ... نَرْجِسُه بُدِّل منه الشَّقِيقْ
لكنَّه من حُمْرةِ الخدِّ قد ... أصبح سَكْراناً فلا يسْتفِيقْ

ومنها: [السريع]

انْظُرْ إلى أجْفانِه الرُّمْدِ ... تُبدِّل النَّرْجِسَ بالوَرْدِ
تَخْمرُ لا مِن عِلَّةٍ إنما ... تأثَّرتْ من حُمْرةِ الخدِّ

---

(١) الأبيات في نفحة الريحانة ١/ ٤٩٩ .
(٢) الأبيات في نفحة الريحانة: ١/ ٤٩٩ .
(٣) الأبيات في نفحة الريحانة ٢/ ٦٢١ .

Marfat.com

ولابن المُعْتَزّ: [السريع]

قالوا اشْتكَتْ نَرْجِسَتَا طَرْفِه ... قلتُ عَدَاهُ السُّقْمُ ما كانَا
حُمْرَةُ وردِ الخدِّ أعْدَتْهُما ... والصِّبْغُ قد ينْفُض أخيانَا

وكتب ابن الْخِيَمِيّ إلى اليَعْمُورِيّ، وهما أرْمَدان، قوله[1]: [الوافر]

أبُثُّكَ يا خليلي أنَّ عيْنِي ... غَدَتْ رَمْدَاءَ تجْرِي مِثْلَ عَيْنِ
حديثاً أنت تعرفُه يقيناً ... لأنَّك قد رَمِدْتَ وأنت عَينِي

فأجابه: [الوافر]

كفاك اللهُ ما تشكو وحَيَّا ... محاسنَ مُقْلَتَيْكَ بكلِّ زَيْنِ
وإنِّي من شِفائي في يقينٍ ... لأنَّك قد شُفِيتَ وأنتَ عَيْنِي

ومما قلتُه أيضاً: [البسيط]

أشكُو إليك جُفوناً قد رَمِدْنَ وقد ... فارَقْنَ مَرْآكَ يا مَن فَقْدُه حَيْنِي
والقلبُ مُنقلِبٌ عن راحةٍ وهَناً ... والعينُ مثلُ اسْمِها مُغْتَلَّةُ العَيْنِ

ولنُقْصِر عِنان الاخْتيار، فقد طال، والشيءُ بالشيء يُذكَر.

ومما أنشدَه لي أيضاً قولُه في بخيل[2]: [الوافر]

بخيلٌ لو بثُوم منه جادَتْ ... أنامِلُه لغالَتْه النَّدَامهْ
ولو في النَّارِ أُلْقِيَ الفَ عام ... لما عُرِفَتْ له يوماً سَلامَهْ
ولو صارتْ بسفرتِه رغيفاً ... ذُكاءُ لما بدَتْ حتَّى القِيامَهْ

وقوله: [البسيط]

أفْدِي حبيباً تَفُوقُ البدرَ طَلْعتُه ... لأنها لِغريب الحُسْن قد جمَعتْ
حاك الجمالُ عِذاراً فوق وَجْنتِه ... غَزالةُ الصُّبحِ في أشْرَاكِه وقَعَتْ

وأنشدتُه لنفسي في معناه: [الطويل]

ظَنَنْتُ الصَّبا لمَّا على النهرِ قد جرَتْ ... وعكسُ ذُكاءٍ لاح فيها لمُرْتَقِبْ[3]
شِباكاً بها صاد النَّسيمُ غزالَةً ... ألسْتَ تراها دائماً فيه تَضْطَرِبْ

ومما يعجبني هنا قولُ القائل: [الوافر]

غَدَوْتُ مُفَكِّراً في أمْرِ أُفْقٍ ... أرانا العِلْمَ من بعد الجَهَالَهْ

---

(١) اليغموري: محمد بن إسحاق اليغموري، جمال الدين المتوفى سنة: ٦٧٩، صنف: الاطلاع على منادمة الضياع، وكنز الفوائد ومعادن الفرائد. انظر هدية العارفين: ٢/ ١٣٣ .
(٢) انظر: أعلام النبلاء: ٦/ ٣٤٢ .
(٣) ذكاء: اسم علم للشمس.

Marfat.com

فما طُوِيتْ له شُبْكُ الدَّرارِي إلى أن أظْفَرتْنَا بالغَزَالَهْ

وقول الشّهاب محمود في عُقاب: [المتقارب]

ترى الطَّيرَ والوحْشَ في كَفِّها ومِنْقارِها ذَا عظام مُزَالَهْ
فلو أمكنَ الشَّمسُ من خوفِها إذا طلَعتْ ما تَسمَّتْ غَزالَهْ

وللمحار: [الوافر]

أنْظُرْ إلى النهر في تَطَرُّدِه وَصَفْوِه قد وَشَى على السَّمكِ
توهَّم الريحُ صَفْوَه فغدا يَنْسِج فوق الغديرِ كالشَّبكِ[1]

وأحسن منه قولي: [البسيط]

ما الغصنُ مال على الأنْهَار جَعَّدَها مَرُّ النسيم وألْقَى فوقَها حُبُكَا
بل مَدَّ مِنْه يداً لمَّا رأى سَمَكاً من صَفْوِه طَرحُوا من فوقه شَبَكَا

١٠- سُرور بن سنين الْحَلَبِيّ

شاعرٌ سَمْحُ السَّجِيّة، له أنفاس نَدِية ندِيَّة، كانت نَسَمات المسامرَة تهُبُّ بنفحاتِه وأفْواهُ الأسماع تَحْتَسِي في نادي الأدب سُلافَةَ أبياتِه، ونَوْرُ روضِه يتبَسَّم في الأكْمام، فترى منه ما هو ألذُّ من نظر المعشوق في وجه عاشقٍ بابْتِسام، فتُسْتَعذَب في مَذاق الأدب، وتُتَلقَّى بضائعُها من الرُّكبان القادمة من حلَب.

ثم رأيتُه لمَّا وردَ الروم، إلا أنه لم يُطِل مُكْثَه بها لفَقْد ما يَرُوم: [الكامل]

وآفَةُ التِّبْرِ ضَعْفُ مُنتقِدِه

فرجع قائلاً لكلِّ يوم غد، ولكل سَبْت أحَد، فلم تر عينُ أمله سُرورا، ولم يُذق كأساً كان مزاجُها كافورَا، ولم يلبِس بُرْدَ العُمْرِ قَشيباً، حتى احتُضِر غُصْناً رَطِيبا.

فمما أنشدني من شعره، قولُه من قصيدة: [الطويل]

وليلٍ هدَتْنا فيه غُرُّ الفَراقِدِ لحاجاتِ نَفْسٍ هُنَّ أسْنَى المقاصِدِ
وقد صُرِفَتْ زُهْرُ الدَّرارِي دَراهِماً تَمُدُّ الثُّريَّا نحوَها كَفُّ ناقِدِ
وباتتْ تناجِيني ضمائرُ خاطرِي تُقرِّب نَيْلَ المَطْلَبِ المُتباعِدِ
لَحَى اللهُ طَرْفِي مالَه الدهرَ ساهراً لمُكْتحِل الأجْفان بالنَّوم راقِدِ

---

(١) نفحة الريحانة: ١/ ٢٢٩ . وصاحب هذين البيتين هو عمر المحار، وهو: عمر بن مسعود بن عمر سراج الدين المحار الحلبي الكناني، شاعر، نظم الموشحات، توفي بعد السبعمائة أو ٧١١ . انظر: فوات الوفيات: ٢/ ٢١٩ .

١٠- سرور بن سنين: هو سرور بن الحسين بن سنين الحلبي، شاعر بديع الصنعة، مليح الأسلوب، فارق حلب وسارع إلى طرابلس الشام ليمدح أمراءها، توفي بطرابلس في حدود ١٠٢٠، انظر: أعلام النبلاء: ٦/ ١٩٠، وخلاصة الأثر: ٢/ ٢٠٤ .

Marfat.com

حبيبٌ كأن البُعْدَ يَهْوَى وِصالَه ... معي فهْو لا ينْفَكُّ فيه مُعانِدِي
أخذتُ الهوى من لَحْظه وابْتسامِه ... بما قالَه الضَّحَّاكُ لي عن مُجاهِدِ

وقوله «حبيب» إلخ، كقول أبي الطَّيِّب[1]: [الوافر]

كأنَّ الحُزْنَ مشْغوفٌ بقَلبِي ... فساعةَ هجْرِها يجِدُ الوِصالاَ

وقول الْمَعَرِّيّ[2]: [الوافر]

لئِن عشقَتْ صَوارِمُهُ الهَوادِي ... فلا تَعدمْ بما تَهْوَى اتِّصالاَ

وفي معناه ما قلتُه: [الطويل]

لك اللهُ مِن دمعٍ كشَمْلٍ مُبدَّدٍ ... وطَرْفٍ بِنَعْسانِ الجفونِ مُسهَّدِ
لئن عشَق التَّسهيدُ أجْفانَ مُقْلَتِي ... لِهَجْرِك فلْيَنْعَمْ بوَصْلٍ مُخَلَّدِ

ومن تَقْرِيظٍ له على شعر ابن عِمْران[3]: [الطويل]

حَمَلتَ إلينا يا ابن عِمْرانَ روْضةً ... من النَّظم يسْقيها الحِجَى صَوْبَ وَكْفِهِ
خمِيلَة شِعْرٍ يزْدرِي البذرَ نَوْرُها ... ويَنْأَى عن الشِّعْرَى العَبورِ بعِطْفِهِ[4]
كأنَّ غُصوناً أُودِعتْ في سُطورِها ... لها ثمرٌ يلْتَذُّ سمعي بقَطْفِهِ
إذا ما مشَى ليلُ المِدادِ بطِرْسِهَا ... نهاراً زَهَتْ فيه كواكبُ وَضْفِهِ
فكانتْ كما زارَتْ مُعطَّرةَ اللَّمَى ... مُبَرِّدةً مِن حرِّ قلبي وَلَهْفِهِ
وَوَافَى إلى الصَّبِّ الكَئِيب شُوَيْدِنٌ ... لوَجْرةَ أخْوى فاحمُ الشَّعْرِ وَحْفِهِ[5]
فأخْبِبْ به عَبْلَ الرَّوادِف خَصْرُه ... يجوعُ إذا غَصّ الإزارُ برِدْفِهِ

١١- حُسَين بن أحمد الْجَزَرِيّ الْحَلَبِيّ

أديبٌ له أوصافٌ حُسْنَى، ومناقبُ هُنَّ الوَشْيُ بهجةً وحُسْنا، إذا أصغت له أذنُ أديب، حلَّت منه بوادٍ خَصِيب: [البسيط]

---

(١) ديوانه: ١٢٩ .
(٢) المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد، أبو العلاء المعرّي من معرّة النعمان، الأديب اللغوي ولد سنة ٣٦٣، وتوفي ٤٤٩، له كثير من المؤلفات: تفسير أمثلة سيبويه، وتفسير سقط الزند، والرسالة السنوية، ورسالة الصاهل والساجح، ورسالة الغفران، ولزوم ما لا يلزم، ومختصر ديوان البحتري. انظر هدية العارفين: ١/ ٧٧، ومعجم الأدباء: ١/ ٢٩٠ .
(٣) مرّت ترجمته في الصفحة (٦٧)، يوسف بن عمران.
(٤) الشِّعْرى: كوكب نيّر يطلع عند شدّة الحر، وفي التنزيل: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩]، وهما شعريان: الشعرى التبُور، والشعرى الغميصاء.
(٥) شويدن: تصغير شادن: وهو ولد الظبية، الوَجْرَةُ: حفرة تجعل للوحوش فيها مناجل، فإذا مرّت عرقبتها.
١١- حسين بن أحمد بن حسين الحلبي المعروف بابن الجزري، ولد ونشأ بحلب، وأخذ بها الأدب =

Marfat.com

سِحْرٌ من اللفظِ لو دارَتْ سُلافَتُه على الزَّمانِ تمشَّى مِشْيَةَ الثَّمِل

رأيتُه بالروم، وهو شاب يجرُّ رداءَيْ شبابٍ وآداب، وهِلالُه مُشرِق في أُفُق نَمائِه، وغُرَّة صُبْحِه تُؤذِن بوجْهِ ذُكاءِ ذَكائِه، وقد سلك إلى المجد طريقاً غيرَ مَطْرُوقة، بهمَّةٍ غيرِ هِمَّة، وخَليقةٍ غير خَلِيقة، وللدهر فيه عِداتٌ يُرْجَى إنْجازُها، وحُلَلٌ منشورة سيلوح طِرازُها فلم ينْبسِط بُرْدُها حتى انْطَوى، ولم يُورِق قضِيبُه الرَّطيبُ حتى ذوَى، والدهر يقول، والنَّجمُ في مَطلَع العُمْرِ هَوى: [م. الكامل]

أبْكِي إناءَ شَبِيبَةٍ في وقتِ ما امْتَلأَ انْكَفَا

فمما أنشدني في صديقِه سرور، السَّابق ذِكْرُه: [الكامل]

وحقِّك ما تركتُكَ عن مَلالٍ وبُغْضٍ أيها المولى الأميرُ
ولكِنْ مُذ ألِفْتُ الْحُزنَ قِدْماً أنِفْتُ مَواضِعاً فيها سُرورُ

وهذا من قول المُتَنبّي: [الطويل]

خُلِقْتُ أَلوفاً لو يُعاوِدُني الصِّبا لفارَقْتُ شَيْبي مُوجَعَ القلْبِ باكيَا

ومنه أخذ البَهاء زُهير[1] قولَه: [الكامل]

وأَلوفاً فلو أُفارِقُ بُؤسَى لتَوالَتْ لفَقْدِها حَسَراتِي

وقد أجاد القائل في مُتابَعتِه: [الطويل]

ألِفتُ الضَّنى من بَعْدكم فلو أنَّهُ يزولُ إذا عُذْتُمْ حَنَنْتُ إليهِ
وصار البُكا لي عادةً فَلَو أنَّهُ تغيَّبَ عن عيْنِي بكَيْتُ عليهِ

ومما قلتُ في المعنى: [الرمل]

مُذ هَجرْتُم هَجر الطَّيْفُ وَلِي ناظِرٌ لم يَدْرِ ما طَعْمُ الوَسَنْ
في هواكُمْ ألِفَ الْحُزْنَ فلَو لم يجِدْهُ مات من فَرْطِ الحَزَنْ[2]

وله «ديوان» بليغ، طالعتُه فاخترتُ منه قولَه، من قصيدة: [الكامل]

أَعْطى سَرائِرَكَ النُّحولُ اللُّوَّما والحُبُّ ليس بمُمْكِنٍ أن يُكتَما
ووَشَى ونَمَّ عليكَ دمعُك عندما وَشَّى بعَنْدَمِه الخُدودَ ونَمْنَما

= عن إبراهيم بن أحمد المنلا وغيره. وشغف بتعلم الشعر صغيراً، رحل إلى الشام والعراق ودخل الروم سنة ١٠١٤، توفي سنة ١٠٣٣، على ما ذكر البريعي وهناك خلاف في سنة وفاته، والجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر من بلاد الأكراد. انظر: خلاصة الأثر: ١/ ٨١-٨٤، وأعلام النبلاء: ٦/ ٢١٤.

(١) البهاء زهير: زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن الأزدي المهلبي بهاء الدين، أبو الفضل الكاتب، ولد بمكة سنة ٥٨١ وتوفي بمصر سنة ٦٥٦، وله ديوان شعر. انظر: هدين العارفين: ١/ ٣٧٥.

(٢) انظر: نفحة الريحانة: ٤/ ٤٦٨.

Marfat.com

أَفَرُمْتَ تُبْهِم واضحاً من سِرِّهِ ... والدَّمعُ مُتَّضِحٌ به ما أبْهَمَا
أم خِلْتَ أنَّ أَسَاكَ تَمْحوهُ الأسَى ... كلاَّ ورُبَّ جراحةٍ لن تَخْسَمَا
إنَّ المحبَّةَ مِحْنَةٌ لا مِنْحَةٌ ... ومِن الغرام يَرى المُحِبُّ المَغْرَمَا
وشَكِيَّتِي شَاكِي السِّلاح جُفونُه ... مُرُّ العَذابِ لِشِقْوَتي عَذْبُ اللَّمَى
ظَبْيٌ ظُبَا لحظاتِه بمَضائِها ... أنا مُوقِنٌ لاشكَّ تُرْدِي الضَّيْغَمَا[1]
أخْشَى الهلاكَ تَوهُّماً مِن بأسِهِ ... ولرُبَّما هلك المُحِبُّ تَوَهُّما
وأظَلُّ صادِي القلبِ خِيفةَ صَدِّهِ ... ولوَ انَّه بنعيمِ وَصْلٍ أنعَمَا
وإذا مُنِعْتَ الماءَ أوَّلَ مرَّةٍ ... ووَرَدْتَه أخرى تَذَكَّرْتَ الظَّمَا
بأبي وإن كان الأبِيَّ وبِي رَشاً ... قَدَّ الغُصونَ رشاقَةً وتقدَّمَا
كالصُّبْحِ فِرْقاً والغزالةِ طَلْعةً ... والبَدْرِ وجهاً والثُّرَيَّا مَبْسَمَا
يزدادُ وَرْدُ خُدودِه وجوانِحي ... من نارِهنَّ تضرُّجاً وتضَرُّمَا
صافِي الأديم تَرى تَرافَةَ جِسْمِه ... ماءً ويأتي الماءُ أن يتجَسَّما
صنَمٌ لبستُ الغِيَّ فيه غلائلاً ... والمرءُ يسْلُبُ رُشدَه حُبُّ الدُّمى
كيف الهِدايَةُ لي وفاحِمُ فَرْعِه ... قد ظلَّ يَجْهَد أن يضِلَّ ويفحُمَا
كالأُقْحُوانِ على قضيبٍ كَثِيبةٍ ... لا يُرْتَجَى لسَلِيمهِ أن يَسْلَمَا
أنا مَن أباح يدَ الغرامِ زِمامَهُ ... فمشَى به أنَّى يشاءُ ويمَّمَا
فعسى الحبائبُ أن تُخَفِّفَ عُتْبَها ... فلقدْ حَملتُ من النَّوائبِ أعظَمَا
في كل يومٍ رَوْعةٌ أو لَوْعةٌ ... والفَذُّ تُقْعِدُه الحوادثُ تَوْأَمَا
شيْآنِ لستَ بآمنٍ عُقْباهُما ... أن تضحَب الدُّنيا وتُذْنِي الأرْقَمَا
فلأَبْلُغَنَّ نِهايةً في قَدْحِها ... إن لم تُبَلِّغْني الأَبرَّ الأكْرمَا

ومنها: [الطويل]

وَلَو أنَّ إدْراكَ المُنَى بيَدِ النُّهَى ... وطِئَت نَعَامَةُ أَخْمَصَيَّ الأنْجُمَا
ومتى يصِحُّ سقيمُ جَدِّ أخي الحِجَى ... يوماً إذا كان الزَّمانُ المُسْقِمَا
فالحُمْقُ ألْيَقُ والخِداعُ مُوافِقٌ ... والمكرُ أرْفَقُ ما تُرَافِقُ منْهُمَا
أبناءُ دهرِك بالنِّفاق نَفاقُهم ... أفيرْتَضُونَك بالهُدى مُتكَلِّمَا
ما لم تُنافِقْ فاتَّخِذْ نَفقاً بهِ ... ترجُو السَّلامةَ منهُم أو سُلَّمَا
لا يفقهُون وشرَّ مَن صاحبْتَه ... أن تضحَبَ الأعْمى الأَصَمَّ الأبْكَما
ولقد مُلِئتُ تَحارُباً وتَجارِباً ... لم تَلْقَنِي إلاَّ إنَاءً مُفْعَمَا

ومن قصيدة: [الرجز]

---

(١) الظُّبَةُ: حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها. وجمعه: ظُبا وظبات، والضيغم: الأسد.

Marfat.com

لا تَـلْـحَـنُ الأقْـدارُ فـي إغـرابـهـا ... قـد تُـرفَـع الأَسـمـاءُ بـالـتَّـقـديـرِ
مـكـسـورةٌ قـد حـاولَـتْ إكْـسِـيـرَهـا ... مـن جـابـرٍ والـجـبْـرُ لـلـمـكْـسُـورِ

وله من أخرى: [الطويل]

ولـيـلٍ كـأنَّ الـصـبـحَ فـيـه مـآرِبٌ ... نُؤمِّـل أن تُـقْـضَـى وخِـلٌ نُـصـادِقُـه[1]

وله من أخرى: [الطويل]

ولـم أنـسَ لـيـلاً مـا تـبـلَّـجَ صُـبْـحُـه ... ولا لاحَ فـي يـافُـوخـهِ وَخْـطُ شـائِـبِ
عـدِمْـتُ ابـتِـسـامَ الـفـجـرِ فـيـه كـأنَّـه ... سُـلُـوُّ فـؤادِي أو وفـاءُ حَـبـائِـبـي

وله من أخرى: [م. البسيط]

فـاسْـلَـمْ بـدهـرٍ عُـصِـمْـتَ مـنـهُ بـهِ ... وعِـشْ بـعَـلْـيَـاك عُـمْـرَ أَغْـصُـمِـهِ
تـأسُـو بـرُؤْيـاكَ مـن إسـاءَتِـه ... لا يُـصـلِـحُ الـقَـرْحَ غـيـرُ مَـرْهَـمِـهِ
فـإنَّ هـذا الـزمـانَ مُـحـسِـنُـه ... كـفَّـارةٌ مـن ذُنـوبِ مُـجْـرِمِـهِ

وله من أخرى: [البسيط]

وبـي مَـضـاضَـةُ عـيْـش مسَّـنِـي لَـغَـبٌ ... مِـنْـهـا وسـاوَرَنِـي فـي كَـرِّهـا سَـغَـبُ
حـتـى تـصـوَّر لـي مـنـهـا عـلـى ظَـمـإٍ ... أن الـمِـنـيَّـةَ فـي ثَـغْـرِ الـمُـنَـى شَـنَـبُ[2]

ومن أخرى: [الطويل]

بـنـا أظْـلـمـتْ أيّـامُـنـا وتـظـلَّـمـتْ ... بَـنُـونـا وأهـلـونـا مـع الـطَّـالِـعِ الـنَّـحْـسِ
عـسـى شـمـسُ هـذا الـدهـرِ تـأتـي بـوَفْـقِ مـا ... نـرجِّـي وشـمـسُ الـوَفْـق فـي شَـرَفِ الـشَّـمـسِ

وله يطلب فرساً: [الطويل]

أبُـثُّـكَ أن لا طِـرْفَ لـي أقْـتَـضِـي بـه ... دُيـونـي وأغـيـانِـي الـغـريـمُ بـمَـطـلِـهِ
فـجُـدْ لـي بـمـا أرْجُـوه إن شـئـتَ مُـلْـجَـماً ... وإن رُمْـتَ تَـعْـجِـيـلَ الـعَـطَـا فَـبِـجُـلِّـهِ

وله من أخرى: [الطويل]

ورُبَّ غَـبِـيٍّ كـنـتُ أُحـسِـن وُدَّهُ ... وتـقـبـحُ لـي أقـوالُـه والـفـعـائِـلُ
تـغـافـلـتُ عـن أشـيـاءَ مـنـه ورُبَّـمـا ... يـسـرُّك فـي بـعـضِ الأمـورِ الـتَّـغـافـلُ

وهذا كقول بعض الحكماء: الكرمُ مِكْيالٌ ثُلُثاه التَّغابي.

ولأبي فِرَاس: [البسيط]

لـيـس الـكـريـمُ بـسَـيِّـدٍ فـي قـومِـهِ ... لـكـنَّ سـيِّـدَ قـومِـه الـمُـتـغـابِـي

ومما قلتُه أنا في نحوه: [الرجز]

---

(١) نفحة الريحانة: ٤/٥٥٩، وخلاصة الأثر: ٢/٨٣ .
(٢) المضاضة: الألم من وجع المصيبة.

Marfat.com

كم قد سَعَيْتُ للمعالي جاهداً ... فزاد في سعْيي إليها لَغَبِي[1]
ولستُ في فهْمي غَبِيًّا أبداً ... وإنَّني إن عَنّ سُوءٌ لَغَبِي

وله من أخرى: [الطويل]

ولا عَيْبَ فيهمْ غيرَ أنَّ صِلاتِهمْ ... تَغَرِّقُ آمالَ العُفاةِ بحُورُهَا
وأنَّ سُيوفَ الهِنْدِ في كُلِّ مَعْرَكٍ ... بأيْمانِهمْ حاضَتْ دِماءَ ذُكورُهَا

وله من أخرى: [الطويل]

يُلَبِّيكَ من قبلِ السُّؤالِ نوالُهُ ... ويأْتِيكَ دون الانْتِظارِ نُضارُهُ

وله من أخرى: [الطويل]

وقبْلَك صاحَبْتُ الزَّمانَ وأهلَهُ ... فما شَاقَنِي خِلٌّ ولا رَاقَ مَوضِعُ
يُقدِّمُني عَزْمي وحظِّي مُؤخِّرِي ... ويُوصِلُني حَزْمي ودَهْرِي يُقَطِّعُ
ولا ذَنْبَ لي إلا الفضيلةَ إنها ... من الجهلِ في الأيام أشْنَى وأشْنَعُ
وهَمِّي من الدنيا المعالِي ونَيْلُها ... وما هَمُّ قلبي الرَّقْمَتانِ ولَعْلَعُ[2]
ولا نَسْمَةٌ سَحَرِيَّةٌ شِخْرِيَّةٌ ... ولا بَارِقٌ من بَارِقٍ وهْوَ يَلْمَعُ[3]
ولا عَذْبُ ماءٍ للعُذَيْبِ على ظَمَا ... مُمِضٌّ بجَرْعَاءِ الحِمَى يُتَجرَّعُ
ولا رَشَأٌ أحْوَى ولا صَوْتُ قَيْنَةٍ ... ولا قَدَحٌ فيه الرَّحِيقُ المُشَعْشَعُ
ولكنَّه لَذْنٌ وأجْرَدُ سابِحٌ ... ومَسْهُورَةٌ زَغْفَا وأبْيضُ يَسْطَعُ
وإتْلافُ ما أخْوِي على طلبِ العُلا ... وهذا طريقٌ للمكارم مَهْيَعُ
وإنِّيَ مِن خِلِّي بأيْسرِ وُدِّه ... أُسَرُّ وأَسْرِي ما دعاني وأُسْرِعُ
قليلُ مودَّاتِ الرِّجالِ كثيرةٌ ... وأيسرُها عند النَّوائبِ تُقْنِعُ
أبَرَّكَ مَن يلْقاكَ بالبِشْرِ وجهُهُ ... ووَاساكَ في الضَّرَّاءِ مَن يتَوجَّعُ
ولكنَّني لم أُلْفِ غيرَكَ وافياً ... وأكثَرُ مَن تلْقَى يخونُ ويخدَعُ
فحاوَلْتُ أن ألْقَى المنايا أو المُنَى ... لدَيْكَ وعِرْنِينُ العِدى بِكَ أجْدَعُ[4]
تملَّكْتَ منِّي جانباً لا أُضِيعُهُ ... لغيرِك في الدنيا وغيرِي المُضَيِّعُ
لساناً طرِيًّا بالمديح وأنْمُلاً ... سحائبُها من نَفْثِها لا تَقَشَّعُ
وقلباً على حِفْظِ المودَّةِ عامراً ... ولكنه إن سُمْتَه الضَّيْمَ بَلْقَعُ[5]

---

(١) اللغب: التعب والإعياء.
(٢) الرقمتان: تثنية الرقمة: وهي: الروضة أو جانب الوادي، أو مجتمع مائه، وقيل: هما قريتان بين البصرة والنباج، وقيل: هما روضتان بناحية الصمان. لعلع: اسم جبل.
(٣) شحريّة: نسبة إلى الشِّحْر، وهو ساحل بين عُمان وعدن.
(٤) العِرْنين: ما صَلُب من عظم الأنف حيث يكون الشمم.
(٥) بلقعُ: الخالي من كل شيء، يقال: مكانٌ بَلْقعٌ، وطريق بلقعُ.

Marfat.com

وصيَّرْتِني عبداً لأمْرِك طائعاً ... وإنِّيَ إلاَّكَ الأنامَ أُضَيِّعُ
ولي رُتْبةٌ فوق الثُّرَيَّا مَحَلُّها ... ودون ثَرَى فيه نِعالُك تُوضَعُ
وسَلْسَالُ لفظٍ سائغُ الوِرْدِ عذْبُه ... له مَشْرَبٌ صافٍ نَمِيرٌ ومَشْرَعُ
وما قصَدَتْ إلاَّكَ قبلُ قصائِدِي ... ولم يَرَها قومٌ سِواكَ ويَسْمَعُوا
مُنَمَّقَةً تزْهُو على زَهَر الرُّبَى ... وتُشْرِقُ كالزُّهْرِ السَّوارِي وتطلُعُ
لو اعْتَبر الرَّائِي مواقعَ لفظِها ... تَيقَّن أن السِّحْرَ في الشِّعرِ يُجمَعُ
وغيرِي طُفَيْلِيُّ القوافِي وأشْعَبُ الْـ ... ـمعانِي له في كلِّ ما عَنَّ مَطْمَعُ

وله من أخرى: [الكامل]

إن خَصَّنِي بالبُؤسِ دهرِي دائماً ... دون الوَرى فأنا بذلك أَفضَلُ
هذِي عقاقيرُ العِطارةِ كُلُّها ... لم يَحْترِقْ منْهُنَّ إلا الْمَنْدَلُ

وله من أخرى: [الطويل]

أرَى اليأْسَ عِزًّا والرَّجا ذِلَّة الفتَى ... وطُولَ المُنَى عجْزاً وحُبَّ الغِنى فَقْرَا
فلا تضْجَرَنْ من حالةٍ مُستحيلةٍ ... كما نِلْتَها عُسْراً ستَتْرُكها يُسْرَا
وإن الفتى كالغُصْنِ مادام نابِتاً ... فآوِنَةً يُكْسَى وآوِنَةً يَعْرَى

وله من أخرى: [الوافر]

إذا ما كنْتَ مُصطنِعاً جميلاً ... فحاوِلْ مَن يروقُكَ بالصَّنيعِ
ولا تُكرِمْ به إلا كريماً ... رَماهُ الدهرُ عن مَجْدٍ رفيعِ
ولم أرَ نِعْمَةً تُسْدَى فتُزْرِي ... بمُسْدِيها سِوى رَفعِ الوضيعِ

وقوله: [الخفيف]

غَيْرُ بِدْعٍ إذا ظُلِمْتَ بدهْرٍ ... رزِق الغِمْرُ فيه حَظًّا عظيما
فالهواءُ الصَّحيحُ يُدْعَى عليلاً ... واللَّديغُ المُصابُ يُدْعَى سليما

وقوله: [الخفيف]

ما سئِمْتُ الزَّمان إلا لِحِرْما ... نِ كريمٍ فيه وحظِّ لئيمِ
وثَراءُ اللَّئيمِ أقْبحُ في العيْـ ... ـنَينِ مرْأًى من افتقارِ الكريمِ

وله: [الطويل]

ومُسْتَخْبِرٍ عنِّي بغيرِ جَهالةٍ ... يَراني وفي عَيْنَيْه عن حالتي عَمى
تنكَّرَ مُرتاباً ولم يَدْرِ أنَّني ... شهِدْتُ مَذاقَ العيْشِ شُهْداً وعلْقما
إذا ما اسْتَردَّ الدهرُ منِّي هِباتِه ... فسيَّان أن أُعْطى كثيراً وأحرما

وله: [الخفيف]

لا يضرُّ الكريمَ قِلَّةُ مالٍ ... لا ولا باللَّئيمِ يُجدي الثراءُ

Marfat.com

فشَبَا مُرْهَفِ الجَبانِ كلِيلٌ وبصِنْدِيدِها تَقُدُّ العصَاءُ

وله: [الكامل]

لا تحسَبِ الأرزاقَ تُقْسَمُ باطلاً كلاً لقد ساوَى المُهَيْمنُ بيْنَها
فإذا رُزِقْتَ الجهلَ أدْرَكْتَ المُنَى وإذا حُرِمْتَ الجَدَّ أُعْطِيتَ النُّهَى

وله: [الكامل]

حاذِرْ عِداكَ الأقْربين من الورَى فأضرُّها القُرَباءُ والقُرَناءُ
وَتَوقَّ من كَيْدِ الحَقُودِ ولِينِ مَا يُبْدِي فقد يُصْدِي الحُسَامَ الماءُ

وله: [السريع]

أبعَدُ ما يَطلُبُ إدراكَهُ نَيْلُ المُنَى بالفضل إنسانُ
وكلُّ شيءٍ وله غايَةٌ وغايةُ العِرْفَانِ حِرمانُ

وله: [الوافر]

رُوَيْدَكَ إن بعدَ الضِّيقِ مَخْرَجْ وصَبْرُكَ عندَه أبْهَى وأبْهَجْ
وكم مِن كُربةٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ وعند حُلولِها الرحمنُ فَرَّجْ

وله: [الطويل]

كفى حزَناً أنِّي أراكِ قريبَةً ويُقْصِيكِ عنِّي يا بُثَيْنُ أُمورُ
أراكِ ولكن لا سبيلَ إلى اللِّقا وكلُّ يَسيرٍ لا يُنالُ عَسيرُ

وقوله: [م. الرمل]

اسْقِني قهوةَ بُنٍّ وامزُجِ القهوةَ عُودَا
فهْيَ للصَّفْراءِ والبَلْـ ـغَمِ تمحُو وهْيَ سودَا

وقوله: [السريع]

وأغْيَدَ أورثَني بُعْدُه ثَوْبَ الضَّنَا فيه وفَرْطَ السِّقامْ
رثَى ليَ العاذلُ في حبِّه حتى إذا خَطَّ عِذارَيْه لاَمْ

وله: [السريع]

مُذْ خطَّ آياتِ عِذارٍ له نقَّطَها من مِسْكِ شاماتِهِ
ولاحَ في أصْداغِه وجهُه كأنَّه البدرُ بهالاتِهِ
وأرسلَ اللَّحْظَ نذيراً وقدْ كلَّم قلبي بمُناجاتِهِ
ولم أستطِعْ كُفرانَها إنَّني آمنتُ باللهِ وآياتِهِ

وله في الصَّيْف: [السريع]

قد هجم الصَّيفُ وولَّى الشِّتَا مُنهزِماً تابِعَ آثارِهِ

Marfat.com

مُـبـتـدِعـاً يـسـلُـبُ أثْـوَابـنـا ... ويُـخـرِجُ الـمـالـكَ مـن دارِهِ

وله: [الوافر]

أراكَ بِـسِـرٍّ مُـسْـتَـوعِـيـكَ سِـرًّا ... مـخـافـةَ أن تُـسِـرَّ إلـى مُـرِيـبِ
أنَـمَّ مـن الـسُّـؤالِ عـلـى عَـدِيـمٍ ... ومـن دَرَن الـسِّـفـارِ عـلـى غَـريـبِ

وله: [البسيط]

لا أشْتكي الحبَّ تُضْمِيني مصائبُهُ ... ولي عن اللَّوم فيه أُذْنُ أُطْرُوشِ[1]
فـلـسـتُ أوَّلَ مَـن ألـقـاهُ نـاظـرُه ... فـي صَـبْـوةٍ شـوَّشَـتْـهُ أيَّ تَـشْـوِيـشِ
كـالـنَّـسْـر أرْداه سـهْـمٌ فـاسـتـعَـدَّ لـه ... عُـذْراً وقـال رمَـى قـلـبـي بـه رِيـشِـي

وله أيضاً: [الطويل]

برُوحِيَ مَن أبصرْتُ صفْحةَ خَدِّهِ ... وأبصرتُ وجهَ الشَّمسِ أغْبَرَ أسودَا
كـأنِّـي أراهـا دُونَـه مـثْـلـمَـا يُـرَى ... سِواها إذا ما شامَها الطَّرْفُ أزْبَدا[2]

وله من أخرى: [الطويل]

مُنِيرُ المُحَيَّا كلَّما شِمْتَ وجهَه ... أعـاد إلـيـك الـطَّـرْفَ جِـدَّ كَـلِـيـلِ
كذا الشمسُ مهْما شامَها المرءُ لم يعُدْ ... وإن صحَّ منه الطرفُ غيرَ عليلِ

وله من قصيدة: [الكامل]

قـد كـان لـيـلُ ذَوائـبـي لـي شـافِـعـاً ... والـيـومَ صُـبْـحُ الـشَّـيْـبِ من رُقَـبـائِـي
ولَمُلْتَقَى بِيضِ الصِّفاحِ أحبُّ للْـ ... ـبَـيْـضـاءِ مـن ذي لُـمَّـةٍ بَـيْـضـاءِ[3]

ومنها: [الكامل]

ولئن خَبَرْتَ بني الزمانِ وخِسَّةُ الـ ... ـآبـاءِ تُـنْـتِـجُ خِـسَّـةَ الأبْـنـاءِ[4]
إيَّـاك تـركـنُ مـنـهـمُ لـمُـمَـاذقٍ ... يُـبْـدِي الـوفـاءَ ولاتَ حـيـنَ وفـاءِ
وتـجـنَّـبَـنْ مِـن لِـيـنِ مَـلْـمَـسِ عِـطْـفِـهِ ... فـالـعَـضْـبُ يـضـدَأُ مَـتْـنُـه بـالـمـاءِ
ولـطـالَـمـا أصْـفَـيْـتُ قـبـلَـكَ خُـلَّـتِـي ... مَـن لا أراهُ مـوافـقـاً لإخـائِـي
وبـلـوْتُ مـنـه وُدّه فـرأيـتُـه ... مُـتـلـوِّنـاً كـتَـلـوُّنِ الـحِـرْبـاءِ
فـغـدوتُ أحـتـرِزُ الأنـامَ وغَـدْرَهُـم ... إن الـطَّـبـيـبَ يـخـافُ مَـسَّ الـداءِ
وقـطـعـتُ بـالـيـأسِ الـرجـاءَ لـديـهـمُ ... والـيـأسُ يَـجْـدَعُ أنـفَ كـلِّ رجـاءِ

وله من أخرى: [مخلع البسيط]

---

(١) الأُطروش: الأصم.
(٢) أزْبَدَ: اختلط سواده بكدرة، ويقال: ازبَدّ وجهه: احمز حمرة فيها سواد عند الغضب.
(٣) انظر: نفحة الريحانة: ١/ ٣٧٦ .
(٤) انظر: نفحة الريحانة: ١/ ٣٧٦ .

Marfat.com

أَوَّاهُ كم لوعةٍ بقلبي تغدُو وكم رَوْعةٍ تروحُ
إن الهوَى داءُه عَياءٌ يَعجِزُ عن بُرْئِه المسيحُ

وله من أخرى، يصف قصيدتَه: [الكامل]

وكأنَّها في كلِّ بيْتٍ شِمْتَه منها تضُمُّ من القريض مُهَنْدِسَا
والشِّعرُ ما شاقَتْكَ منه حِكْمةٌ لا ما يُشَوِّقُكَ الكثِيبَ الأوْعَسَا[1]

١٢- أبو بكر تقِيُّ الدين التاجر، المعروف بابن الجَوْهَرِيّ

مَن زَهَتْ زهرةُ حياتِه بالشام، فنظرَ من مطالِع آفاقِها بوارِقَ الفصاحة وشامَ، وأسعدَتْه الجُدود، فبدَتْ عرائسُ أفكارِه متورِّدة الخُدود، ودارَتْ من شمائِلِه الشَّمول، فسُرَّتْ بها قلوبُ القَبولِ، وعيون العُقول، كما ارْفَضَّ عِرقُ الطَّلِّ الهَتَّان، على رُءوس القُصُب وطُرَر الرَّيْحان.

وله في الأدب والشِّعر تجارة لن تَبُور، إلا أن طبْعه كأمِّ الصَّقر مِقْلاتٌ نَزُور.

فمن عُقودِه وجواهر نقوده قوله: [م. الكامل]

هذِي المنازلُ قبلَنا كم ذا تداولَها أناسِي
كم صدَّعَتْ ملْكاً وكم مِن مُدَّعٍ وَضْعَ الأساسِ
غرَسُوا وغيرَهُمُ اجْتَنَى مِن بَعدِهم ثمرَ الغِراسِ
دُوَلٌ تَمرُّ كأنَّها أضْغاثُ حُلْمٍ في نُعاسِ

وهو من قول أبي تَمَّام[2]: [الكامل]

أعوامَ وَصْلٍ كاد يُنْسِي طِيبَها ذِكْرُ النَّوَى فكأنَّها أيَّامُ
ثم انْبَرَتْ أيَّامُ هَجْرٍ أعقبتْ نَحْوِي أسًى فكأنها أعْوامُ
ثم انقضَتْ تلك السِّنونُ وأهلُهْا فكَأنَّها وكأنَّهمْ أحلامُ

وكانت نزلَتْ بي شِدَّة، ليس لها غيرُ لُطْفِ اللهِ عُدَّة، فكان في كل يومٍ يُسلِّيني الأحبابُ بذكر مُبشِّراتٍ بحصول الفرَج، فقلت، وقد كَثُر ذلك: [الكامل]

وَيْلاهُ مِن زمنٍ كأن نهارَهُ نفضَتْ دُجَاهُ عنه صِبْغُ ظَلامِ

---

(١) الأوعس: السهل اللين من الرّمل، تغيب فيه الأرجل.

١٢- ابن الجوهري: الأديب أبو بكر بن أحمد بن علاء بن محمد بن ناصر الدين بن علي البهرام بادي الدمشقي المعروف بابن الجوهري، الأديب الشاعر المطبوع، أحد المجيدين في صناعة الشعر، نشأ بدمشق، وقرأ على مشايخ عصره، منهم: الحسن البوريني، ولد عام ٩٦٨، وتوفي بعد الثلاثين وألف بقليل. انظر: خلاصة الأثر: ١/ ٦٨-٧٠.

(٢) ديوانه: ٣/ ١٥١.

Marfat.com

من بعدِ ما كانتْ لياليـنا لها نُورٌ يُرِينا صَفْوةَ الأيَّامِ
زَمَنٌ كأحْلامٍ تَقضَّى بعدَه زَمَنٌ نُعَلَّلُ فيه بالأحْلامِ

١٣- شمس الدِّين محمد، المعروف بابن المِنْقَار

جواد في حَلْبَة المكارم سابق، مُخَلِّط مُزِيل، فاتِق راتِق، وقد كانت تتجاذبُ الأخبارُ شمائلَ فضائلِه، وتهتزُّ الأغصانُ إذا هَبَّتْ نسماتُ شَمائِلِه، ومَن طاب عِرقهُ طاب من عَرْفهِ الشَّمِيم، ومَن كان غُصناً في رياض المعالي هَزَّهُ مرور النَّسِيم.

إلا أن شِعرَه شعرُ العلماء، وأدبَه أدبُ الفقهاء، وما كل قصرٍ خَوَرْنَق وسَدِير، وما كل وادٍ فيه رَوْضة وغَدِير.

على أنه كانت تَتِيه به على سائر البقاعِ بقاعُ الشَّام، ويفتخِرُ به عصرُه على جميع الليالي والأيَّام، فلا تزال تصْدح وُرْقُ الفَصاحةِ في نادِيها، وتسير الرُّكبانُ بما فيه من المحاسن رائِحُها وغادِيها، وأقلامُ الفتْوَى مُثمِرةٌ من شمس إفادةٍ له ارْتفعَتْ، فيا لها من قُضُبٍ أثْمَرتْ بعد ما قُطِعَتْ، ونُورُ فضلِه بادِي، وموائدهُ ممدودةٌ لكل حاضرٍ وبادِي. [الكامل]

كالشَّمسِ في كبدِ السماءِ ونورُها يغْشَى البلادَ مشارقاً ومغاربَا

ولم يبْرح ثاوِياً في فَلَكِ السعادةِ، حتى كُسِفتْ شمسُ حياتِه، فلبس الدُّجى عليه حِدادَه.

فمن نفحاتِ أسرارِه، ولَمَعاتِ أنْوارِه قولُه للقاضي مُحبّ الدين، وهو بمصر: [الكامل]

مِن يوم بَيْنِكَ كلُّ طَرْفٍ دامِي لم تكْتحِلْ أجفانُه بمنام
لمَّا رحَلْتَ مُمتَّعاً بسلامةٍ ومصاحِباً للسَّعْدِ والإكْرام
خلَّفْتَ بعدَكَ كلَّ خِلٍّ هائماً يُجْري الدُّموعَ حليفَ فَرْط غرام
سكرانَ من كأسِ الفِراقِ مُعذَّباً يا صاحِ بالهجْران والآلام
يشدُو بذكْرِك مِن نَواكَ إذا رأى الـ ـعشاقَ في رَكْبٍ لكلِّ مقام
مولايَ بعدكَ قد تفرَّق شملُنا وضياءُ نادِينا انْمحى بظلام
قد كنتَ واسِطةً لعِقْدِ نِظامِنا حتى انفرذتَ فحُلَّ عقدُ نظامي
وضِياءُ وجهِكَ في النهار إذا بدا فالشمسُ تستُرُ وجهها بغمام
هذا وعبدك ضاعَ بعدك صبرُه فاسْلَمْ وذُمْ في السَّعد والإنْعام

١٣- ابن المنقار: محمد بن القاسم الملقب شمس الدين بن المنقار الحلبي ثم الدمشقي، الحنفي العالم البارع، كان من أعيان العلماء الكبار، ولد سنة ٩٣١، وتوفي سنة ١٠٠٥ ودفن في دمشق. انظر: خلاصة الأثر: ٤/ ١١٥، وإعلام النبلاء: ٦/ ١٥٢، ونفحة الريحانة: ١/ ٣٢٩ - ٢/ ٢٧٨.

Marfat.com

وعلى حِماكَ من المحبِّ تحيةٌ ... لا تنْتهي وعليكَ ألفُ سلامِ
وسقى الإله ديارَ مِصْرَ وأهلَها ... أنْواءَ سُحْبٍ من يديكَ عِظامِ
لمَّا حلَلْتَ بها تضاحَكَ نَوْرُها ... فَرَحاً وبُدِّلَ نقْصُها بتمامِ
لازِلْتَ تَرْفُلُ في ثيابِ سيادةٍ ... وتجرُّ ذيلَ العِزِّ فوقَ الْهَأمِ
ما نمَّق المُشتاقُ طِرْسَ رسالةٍ ... بحديثِ أشْواقٍ وبَثِّ غرامِ[1]

١٤- ابنه عبد اللطيف

ولما ارتحلتُ عن مصر، فارقتُ أترابي ولِداتي، ومَن بها من ذخائر آمالي وكنز حياتي. [الطويل]

وظِئْرُ بلادٍ أرضعَتْني بمائِها ... وأنْفاسُ نَسْماتِي ومَهْدُ دِيارِي[2]

مرَرْتُ على دمشق الشَّام، فرأيتُ مَن بها من الكرام، كان ممَّن نعِمْتُ بلُقياه، ووقفتُ على هَضَباتِ عُلاه، هذا الأديب الحسيب، والروضُ الأرِيض، والمَرْبَع الخَصِيب، فحيَّاني بأنْفاسٍ من أنفاس الخُزَامَى أنْدَى، وهبَّت منه نفحاتُ أُنْسٍ كنَفْحة روضٍ من قُبَيل الصبح بلَّتْها الأنْدَا، فعطَّر بفضائلهِ المجامِع، وفَكَّه بثَمراتِ آدابهِ المسامِع، وأهْدَى إليَّ في مشرفة قصيدةً، حيَّاني بها، وهي: [الوافر]

بأُفْقِ دِمَشْقَ قد طلعَ الشِّهابُ ... أضاءتْ مِنه هاتِيكَ الرِّحابُ
هُمَامٌ جَدَّ في طلَبِ المعالي ... فأحْرزَ شَأْوَها منه الطِّلابُ
ومَوْلى شأنُه تحْريرُ عِلْمٍ ... وتقريرُ المباحثِ والخِطابُ
حواشِيهِ مُنقَّحةُ المعاني ... ومِن فنِّ البيانِ بها اللُّبَابُ
فبَدرُ عُلاهُ مُكتمِلٌ مُنيرٌ ... يفِيض بدُرِّها منه العُبابُ
ففي التَّفسير مجتهدٌ وفيما ... تَحاهُ رأيُه أبداً صَوابُ
فلا يُلْقَى له فيه نَظِيرٌ ... وليس له سِوى التَّحرير دَابُ
أتى من مِصرَ مجتازاً فطابتْ ... بمَقْدِمِه معالمُها الرِّحابُ
وعاد إلى دِمَشْقٍ وهْو ثَانٍ ... عِنانَ العزْمِ واقْتَبَلَ الإيابُ
فقلَّد جِيدَها بعُقودِ فضْلٍ ... ووَشَّى روضَها ذاك الجَنابُ
وجاد رُبَى دِمَشْقَ وساكِنِيها ... بصَيْبٍ سَيْبُه الْهَامِي سَحابُ

---

(١) الطرس: الصحيفة.

١٤- عبد اللطيف بن يحيى بن محمد بن القاسم، المعروف بلطفي، ابن المنقار الدمشقي الحنفي، أحد مشاهير الفضلاء النبلاء، أخذ العربية عن الحسن البوريني، اشتغل بالتدريس، توفي سنة ١٠٥٧، ودفن بدمشق. انظر: خلاصة الأثر: ٣/ ٢٠-٢٣.

(٢) الظئر: المرضعة.

Marfat.com

فقرَّتْ أعيُناً وسمَتْ مقاماً ... وقد راقَتْ مشاربُها العِذابُ
وغنَّتْ لي قِيانُ الطير بِشْراً ... فكان من القَبُولِ لها جَوابُ
وماسَتْ غادَةُ الرَّوْضاتِ زَهْواً ... فأُلْقِيَ عن مُحَيَّاها النِّقابُ
وقد بسَمتْ ثغورُ النَّورِ فيها ... وأسْكَر من ثَناياها الرُّضابُ[1]
وكأسُ الوَرْدِ في راحِ الرَّاوبي ... طفَا فيه من الأنْدَا حَبابُ
فنِعم الوقتُ وقتٌ جاء فيه ... وخيرُ الدهرِ وقتٌ مُستَطابُ
فدَام مُمتَّعاً في ظلِّ عيْشٍ ... لطيفٍ لا يُكَدِّرُه الذَّهابُ
وعُمْرُ بنِيه في الدنيا طويلٌ ... يتيهُ بعَدِّه فيه الحسابُ
له منِّي ثناءٌ كلَّ وقتٍ ... جزيلٌ أو دعاءٌ مُستَجابُ

١٥- شيخ الإسلام عماد الدِّين الْحَنَفِيّ الشَّامِيّ

ماجد طويل النِّجاد، له بيت كرم رفيعُ العِماد، من غير قَدْح فيه وارِي الزِّناد، ممن رُفِع فوقَ هامة السِّماك مِهادُه، إذا شُيِّد بيتُ الشِّعر وعُمِّر رَبْعُ الأدب فهْو عمادُه، وإذا بدَى ربيعُ طَبْعه نشرَ على البقاع وشَائِع، يُحْيي دارس الفضلِ فيُصبِح وهو مشهورٌ بها وَشائِع، وجواد قَريحتِه مَلآن العِنان، سبَّاق إلى مغارِس قُصُب الرِّهان، بعَذْبِ مشرَب كأنه جَنَى النَّحل ممزوجاً بماء الوقائِع، فما رِيح الشَّمال وما الرَّاح الشَّمول، وما وَجَنات الوَرْدِ خَمَشَتْها راحةُ القبول.

له لُطْفُ خُلُقٍ يسْعَى اللطفُ لينظُر إليه، ورقيقُ محاسن يقِف الكمالُ متحيِّراً لدَيْه، ألذُّ من إغْفاءةِ الصَّباح، وأحْلَى من مذاقِ الظَّفَر من ثمرات النَّجاح.

وأنا وإن لم تقَعْ لي عليه عَيْن، فسماع الأخبار إحدى الرُّؤيَتيْن، على أنِّي إن لم أرَ الأسدَ فقد رأيتُ شِبْلَه، وسيأتي ما بيْني وبينه من المحبَّة والخُلَّة، لمَّا قِلْتُ بظلِّ الشَّام، في روضة أطلَّت على نَهَر تَفْتَرُّ مباسِم النَّوْر فيها عن لآلىءِ المطر.

وكان صَدْراً لكلِّ نَاد، حتى قرَض الدهرُ منه رفيعَ العِماد: [السريع]

وزهْرةُ الدنيا وإن أيْنعَتْ ... فإنَّها تُسْقَى بماءِ الزَّوالْ

وللطالوِيّ فيه مدائح وبينهما محاورات، منها قوله: [السريع]

عهدَ السرورِ ورَيْعانَ الهوى النَّضِرِ ... سقاكَ عهدُ الحَيَا رَقْرَاقَ مُنحدِرِ

---

(١) الرِّضاب: الريق المرشوف.

١٥- عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد العمادي، مفتي الحنفية بالشام وابن مفتيها، كان فاضلاً، وقوراً متواضعاً، قرأ على والده وعلى الحسن البوريني والشيخ تاج الدين القرعوني، كان صدراً من صدور الشام، وكانت ولادته في سنة ١٠٠٤، وتوفي سنة ١٠٦٨، ودفن في دمشق. انظر: خلاصة الأثر: ٣/ ٢٠٣.

Marfat.com

وجـاد رَبْـعُـكَ وَسْـمِـيٌّ تُـكَـرِّرُه ... رِيحُ الصَّبا بين مُنْهَلٍ ومُنهمِرِ
وغـرَّدتْ بـرُبـاكَ الـوُرْقُ وابْـتَـكَـرتْ ... بلَحْن مَعْبَد تتلُو طَيِّبَ الخبَرِ
ولا بـرحـتَ مـغـان لـلـحِـسـان ولا ... رَمتْك أيدِي النَّوى بالحادثِ الغَدِرِ
ولا أغَـبَّـتْـكَ أرواحُ الـنَّـسـيـم ولا ... عَدَتْ مغانِيكَ أخْلافٌ من المطرِ
كم لي بها وشَبابي الغَضُّ مُقتبِلٌ ... من منزِلِ آهلٍ بالشوقِ والذّكرِ
كم اجْتلَيْتُ بدوراً من مطالِعها ... قد لُحْنَ تحت سناءٍ من سنَا قمرِ
من كلِّ رُعْبُوبَةٍ تهْفُو بمُضْطَبَرِي ... قد زانَها الحسنُ بين الدَّلِّ والخَفَرِ(١)
رُودٌ كسَتْها يدُ الأيّام ثوبَ صِباً ... وصيَّرتْها الليالي فِتنَةَ البشرِ(٢)
هيْفاءُ صَبَّ الصِّبا ماءَ الشبابِ على ... أغْطافِها وكساها حُلَّةَ الخفَرِ
قامت تُعانِقُني عند الوِداع وقد ... قلَّدْتُها من دموعي رائِقَ الدُّرَرِ
تقول والبَيْن تغْشاها ركائبُه ... بمَدْمَع فوق روضِ الخدِّ مُنْحدِرِ
لا تعتِبِ الدهرَ إن حالَتْ خلائقُه ... فصَفْوُ رَوْنَقِهِ لم يخْلُ من كَدَرِ
وإنْ تَرُمْ تتَّقي من صَرْفِه نُوَباً ... فالْجأ لظلِّ عمادِ الدِّين تسْتتِرِ
مولًى غدَا رَبْعُه أمْنَ المَرُوعِ كذا ... جنابُه ظلَّ مأوَى الخائفِ الحَذِرِ
لازالَ يسمُو إلى العَلْياء مُرتقِياً ... بسُؤْدَدٍ مجدُه عالٍ على الزُّهرِ
حتى امْتطَى صَهَواتِ المجدِ ساميةً ... يخْتَالُ في حُلَلِ الأوْضاحِ والغُرَرِ
بِهِمَّةٍ تُجْتَلَى كالليثِ ذا أشرٍ ... وعَزْمةٍ كمضاءِ الصَّارمِ الذَّكرِ
ما فاضلٌ قطُّ جارَاه إلى أمدٍ ... في البحْثِ إلا انْثَنى بالعِيِّ والحَصَرِ
أقْلامُه السُّمْرُ في بِيض الطُّروسِ إذا ... سمَتْ أرَتْكَ فِعالَ البِيضِ والسُّمرِ
له سجايَا كزَهْرِ الروضِ غِبَّ نَدًى ... وقد تَوشَّحَ بالأنهارِ والغُدَرِ
يلْقاكَ طَلْقَ المَحَيَّا وهْو مُبتسِمٌ ... بمَنطِقٍ وِرْدُه أحْلى من الصَّدَرِ
ما الروضُ جادَتْ له الأنواءُ بالبُكَرِ ... فكلَّلَتْ دَوْحَهُ الْمُخْضَلَّ بالزَّهَرِ
جادَ الغَمامُ له سَحًّا بوابِلِهِ ... وقد كسَتْه الصَّبا من رِقَّةِ السَّحَرِ(٣)
تخالُ زَهْرَ الأقاحِي في خمائلِهِ ... زُهْرَ الْمَجَرَّةِ صِينَتْ عن يَدِ الغِيَرِ
يَشدو الْحَمامُ على أغْصانِهِ سحَراً ... فيَبْعثُ الشَّوقَ في أحْشاءِ مُستعِرِ
يا فاضلاً قد جلَتْ أبكارُ فِكْرَتِهِ ... غُرَّ المعاني بها في أحْسنِ الصُّوَرِ
يا ابنَ الكرامِ ومَن شادُوا بعزْمِهِمُ ... ركنَ العُلا سامياً في سالِفِ العُصُرِ

---

(١) الرعبوبة: المرأة البيضاء الغضة الطويلة الممتلءة الجسم.
(٢) رَور: المرأة الحسناء الناعمة.
(٣) سحّ الماء يقال: سحابة سحوح: غزيرة، وسحت السماء مطرها، وسحّ المطر والدمع: سال، سح سحاً: انصب صباً.

Marfat.com

ويا عِماداً لِبَيْت الفضلِ يرفعُه ... وكان من ضَعْفِه يُلْفَى على خَطَرِ
إلى ذُراكَ انْتَمَتْ فاقْبَلْ على دَخلٍ ... نسِيجَها يا رئيسَ البذْوِ والحَضَرِ
لازلتَ في نِعمةٍ تسمُو بسُؤْدَدِها ... هامَ السِّماكيْن حيث النَّسْرُ لم يطِرِ
ما ناح بالأيْك قُمْرِيٌّ وما سجَعتْ ... وُرْقُ الحمائمِ بالآصالِ والبُكُرِ

فأجاب رحمه الله وأجاد بقوله: [البسيط]

أحَلْيُ حَوْراءَ أم عِقدٌ من الدُّرَرِ ... أم زَاهِرُ الزُّهْر أم زَاهٍ من الزَّهَرِ
أم الحُبابُ على راحٍ مُروَّقةٍ ... أم نَفْثةُ السِّحرِ ذِي أم نَسْمةُ السَّحَرِ
أم نظمُ دُرٍّ زَهَتْ آياتُ منطقِه ... فأعْجَزتْ كلَّ ذِي نظْم ومُنتثِرِ
يا نافثَ السِّحرِ مِن فِيهِ بمُعجِزَةٍ ... عقَدْتَ ألسُنَ أهل البدوِ والفِكَرِ
ويا مُديراً سُلافاً من بلاغتِه ... هلاَّ ترفَّقْتَ بالألبابِ والحضرِ
ويا ابنَ طَالُو وإن طال الزَّمانُ فما ... لنا بلوغٌ إلى عَلْياكَ فاقْتصِرِ
أخذْتَ فَصَّ المعاني من معادنِه ... وغُصْتَ في أبْحُرِ الآدابِ للدُّرُرِ
وحُزْتَ جَمْعَ المزايَا وانْفرَدتَ بها ... ولم تدَعْ للسُّوَى شيئاً ولم تذَرِ
وجئتَ من كلِّ معنىً رائقٍ حسَنٍ ... بكلِّ ما قد حلاَ في الذَّوْقِ والنَّظرِ
كأنه ضرْبُ قدٍّ شَابَهُ شَنَبٌ ... أو عاتِقٌ عابِقٌ من ريحِه العَطَرِ
وقد شهِدْنَا بما أوتيتَ مُعجزةً ... جَمْعَ الفضائلِ في فَرْدٍ من البشرِ
أهْدَيْتَ لي غادةً جلَّتْ محاسنُها ... وقد تجلَّتْ لنا في أحْسَنِ الصُّوَرِ
رُغْبُوبَةً من بَناتِ البدوِ مذ خطَرتْ ... قلبي بها صار مِن وَجْدِي على خَطَرِ
حيَّتْ فأحْيَتْ بألفاظٍ مُنمَّقةٍ ... وغازَلتْنا بلُطفِ الدَّلِّ والخَفَرِ
وأسفَرتْ عن سنَا بَرْقٍ وعن شَفَقٍ ... وعن ضِياءٍ وعن شمسٍ وعن قمرِ
زارَتْ على حينِ إشْرَاقٍ لبَهْجَتِها ... ومتَّعتنا بذاكَ المنظرِ النَّضِرِ
وضَاعَ عَرْفُ شَذاها عندما برَزتْ ... مِسْكاً وعطَّرتِ الآفاقَ بالقُطُرِ
سألْتُها قُبلَةً أطْفِي بها حُرَقاً ... شبَّتْ بقلبٍ شديدِ الوَجْدِ مُستعِرِ
فأوْمأتْ لِشتِيتٍ زانه شَنَبٌ ... وأنْعَمت بلذيذِ الوِرْدِ والصَّدَرِ[1]
ونادَمتْني بليلٍ قد سُرِرتُ به ... لكنَّه ساءَني واللهِ بالقِصَرِ
وبتُّ أُنشِد مَدْحاً في محاسنِها ... ما قالَه شاعرٌ في سالفِ العُصُرِ
يَا نُزْهَةَ النَّفسِ يا مَن زانَ مَنطِقَها ... قُسُّ بنُ ساعِدَةَ المشهورُ في السِّيَرِ
خُذْها إليْكَ وإن كانتْ مُقصِّرةً ... فشأْنُ مثلِك سَتْرُ العَيْبِ بالسُّتُرِ
وإن تكُنْ أوْجَزت في المدحِ واختصرَت ... فالعَذْبُ يُهجَر للإفْراطِ في الْخَصَرِ

(١) الشَّنَبُ: جمال الثغر وصفاء الأسنان، واستعير الشنب للشارب واستعمل حتى نسي الأصل.

Marfat.com

وإن تكُن من بديعِ القولِ عاطِلةً ... فقد تحلَّتْ بعِقْدٍ من مديحِ سَرِي[1]
فاعذُرْ فإني تركْتُ الشِّعرَ مِن زمنٍ ... لشاغلٍ عنه غَشَّى مُقلَةَ الفِكَرِ
لازِلتَ تسمُو على الأقْرانِ مُرتدِياً ... ثوبَ البلاغةِ في أمْنٍ من الحَصَرِ
ما طرَّز الطِّرْسَ تنْمِيقُ اليَراع بما ... يزْهو على الرَّوضِ أو يعلُو على الزَّهَرِ
أو شبَّبَ المادحُ المُطْرِي بمَدْحِكَ في ... بيْتٍ من الشِّعر في رَوْضٍ على نَهَرِ

١٦- بدر الدِّين بن رَضِيّ الدِّين الغَزِّيّ، العَامِرِيّ، الشَّامِيّ

فريدُ الدهر وأوانِه، وابنُ عبَّاسٍ في زمانِه، وسَلْمان آل بيتِه، وحسَّان قصيدتِه وبيْتِه، صاحب الفنون، وغَيْثُ الإفادة الهَتُون، جمالُ الكُتُب والسِّيَر، سيِّد أهل الحديث وعَيْن ذوِي الأثَر، ممَّن حازتْ به أقطارُ غَزَّة، شرفاً باذخاً وعِزَّة.

وابنُه شِبْل الأسد[2]، ذُو الرَّأْيِ الصَّائب الأسَدّ، وفِرِنْد نَصْله المصقُول الحَدّ، وهما كَرُكْبَتَي البعير في كل معنًى صارِم، أو كالحلقة المفرَغة أو كغِرَارَيْ صارِم، وبدر طلَع من أُفقِ كمالِ والدِه مُبتدِراً، وكرَع من بحر فضْلِه البَرّ مَاءَ الحياةِ قبل أن يبدوَ نَباتُ عارضِه خَضِرَا، وتُحِيط بمَشْرق أنوارِه، في إبَّان طلوعه هالَةُ عِذارِه، حتى أمدَّ شمسَ الفضل بما يُحْيِي النفوسَ، فهل سمعتَ ببدْرٍ تسْتمِدُّ من أنواره الشُّموس، فتكلَّفَ البدرُ إذْ حَكاه، وضاهَى سَناءَه وسَناه. [الطويل].

ولا عَجَبٌ للبدْرِ أن يتكلَّفا

وله من شِعر العُلماء ما صدَحتْ من أقْفاص سُطورِه الحَمائِم، وتحمَّلتْ الصَّبا نَشْرَه فتلقَّتْه الزُّهور بثَغْرٍ باسِم.

ولم يَزَلْ مُشرِقاً في منازِلِه البدْرِيَّة، حتى ألَمَّ بِسَنا عُمرِه سِرار المنِيَّة، لازال ثاوياً في قصورِ الجِنان، وضَرِيحه مطافَ وفود الرَّحمةِ والغُفْران.

فممَّا لَمَعَ من نُورِ كماله، وسطَع من نجومِ أقواله، قولُه: [الطويل]

إذا كان حَمْدُ العبْدِ مولاه إنَّما ... يكونُ بإلْهام مِن اللهِ لِلعَبْدِ
وذلك مما يُوجب الحَمْد دائماً ... فلا حَمْدَ حقًّا مَن سِوَى مُلْهِم الحَمْدِ

---

(١) المرأة العاطلة والعُطلُ: التي ليس لها حلي، والمعطال: المعتادة ترك الحلي استغناء عنه بجمالها، وتمام خلقها.

١٦- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله، أبو البركات، بدر الدين بن القاضي رضي الدين الغزي العامري القرشي، الفقيه، المفسّر، النحوي، ولد سنة: ٩٠٤، وتوفي سنة ٩٨٤، انظر: تراجم الأعيان: ١٧٢، وخلاصة الأثر: ٤/ ١٨٩، ونفحة الريحانة: ١/ ٤٢٣ .

(٢) انظر: خلاصة الأثر: ٤/ ١٨٩ .

Marfat.com

وقوله: [البسيط]

لـنـا أمـيـرٌ فـريـدٌ فـي خـلائـقِـهِ ... كـم مِـن كـرائـم أمْـوالٍ لَـدَيْـه حَـوَى
لـه الْـتِـفـاتٌ لـرِزْقِ الـنَّـاسِ مُـعـتـنِـيـاً ... يـرى الـفـقـيـرَ لَـدَيْـه والـغَـنِـيَّ سَـوَا

وقوله: [السريع]

مَـن رام أن يـبـلُـغَ أقْـصَـى الـمُـنَـى ... في الـحشْرِ مع تقْصيرِه في القُرَبْ
فـلـيُـخْـلِـص الـحـبَّ لـمـولـى الـورَى ... والـمـصـطـفَـى فـالـمـرءُ مَـع مَـن أحَـبّ

وقوله: [مخلع البسيط]

بـالـحـظِّ والـجـاهِ لا بـفـضْـلِ ... فـي عـصـرِنـا الـمـالُ يُـسـتَـفـادُ
فـكـم جـوادٍ بـلا حـمـارٍ ... وكَـم حـمـارٍ لـه جَـوادُ

وقوله[1]: [السريع]

يُـقـبِّـل الأرْضَ جِـمـاهـا الـذي ... ألْـثَـمـهـا أفْـواهَ أهـلِ الـعُـلاَ
عـبـدٌ إذا كـاتَـبْـتَـه ثـانـيـاً ... يـزدادُ رِقًّـا لَـكُـم أو وَلاَ

وكتب إليه الفاضل النِّحرير عبد الرحيم العبَّاسِيّ مُلغِزاً، بقوله: [الخفيف]

يـا إمـامـاً لـه الـفـضـائـلُ تُـعْـزَى ... وهُـمـامـاً أضْـحـى لـراجِـيـهِ كَـنْـزَا
مـا بسِـيـطٌ حـروفُـه لـيـس تُـحْـصَـى ... وهْـوَ حـرْفـانِ لا سِـوَى إن تَـجَـزَّا
كـلُّ جُـزْءٍ مـنـه اسْـتَـوى الـقـلـبُ فـيـه ... جـاءَ مـعـنـىً أو جـاء لِـلَّـفـظِ يُـعْـزَى
نـصـفُـه رُبْـعُـه ولا رُبْـعَ فـيـه ... وسِـوَى الـخُـمْـسِ مـنـه مـا تَـمَّ أجْـزَا
وإذا مـا تـصـحَّـف الـبَـدْءُ مـنـه ... فـهْـوَ وَصْـفٌ لـكـامـلٍ نـال عِـزَّا
أضْـمَـر الـقـلـبُ غـادةً إن تُـصـحَّـفْ ... آخِـراً فـهْـو قـولُـهـا حـيـن تَـهْـزَا
وعـلـى حَـمْـلِ صَـخْـرةٍ ذُو اقـتـدارٍ ... ثُـمَّ عـن حَـمْـلِ إبْـرةٍ نـال عَـجْـزَا
هـاكَـهُ واضـحـاً بـدون خَـفـاءٍ ... لُـغْـزُه ظـاهـرٌ وإنْ كـان رَمْـزَا
دُمْـتَ فـي رِفـعـةٍ وحِـفْـظُ إلـهـي ... لـك دَوْمـاً حِـصْـنـاً حـصـيـنـاً وحِـرْزَا

فأجابه البدر: [الخفيف]

زادَكَ الـلـهُ بـالـدِّرايـةِ عِـزّا ... فـلـقـد قُـمْـتَ لِـلـهـدايـةِ كَـنْـزَا
يـا بـديـعَ الألـفـاظِ عـذْبَ الـمـعـانـي ... صـارَ مـنـك الـبـيـانُ لـلـدهـرِ طَـرْزَا
مَـن يُـجـارِيكَ فـي الـعـلـوم يُـجـارِي الْـ ... ـيَـمَّ والـمـجـدُ مـن تَـجـرِّيـه يَـهْـزَا
إنَّ لُـغْـزاً أرْسَـلْـتَـه فـاقَ بـدرَ الـتَّـ ... ـمِّ حـسـنـاً وأوْرثَ الـفِـكْـرَ عَـجْـزَا
مَـن يُـفـتِّـشْ فـلـيـس يُـلْـفِـي لـه ... ثَـمَّ نَـظـيـراً فـقـد تـفـرَّد رمـزَا

(١) انظر: نفحة الريحانة: ١/ ٤٢٣ .

Marfat.com

ثم مَن يبْتغِي مُضاهاتِه لا ... تسمعُ الأُذْنُ منه في ذاك رِكْزَا[١]
وتراهُ وقَدْ تحيَّر ممَّا ... نابَهُ للفِرارِ يجْمِزُ جَمْزَا[٢]
من يُطِقْ يَلْمَسِ السماءَ ويأْتي ... بالدَّرارِي حتى يُحاكِيه لُغْزَا
قلتُ لمَّا أجبْتُ عنه إذا ما ... إبلٌ لم تكن لَدَيَّ فمِعْزَى[٣]
غيرَ أنِّي بالسَّتْرِ منه وَثِيقٌ ... فإليْهِ كلُّ الفضائلِ تُعْزَى
دام في نِعْمةٍ وظلِّ سُعُودٍ ... ما أمالَ النَّسِيمُ غُصْناً وهَزَّا

وقوله: [م. الرمل]

إنَّ ألْطافَ إلهي ... لِيَ قالتْ خَلِّ عَنْكَا
لا تُدَبِّر لك أمْراً ... أنا أوْلَى بك مِنْكَا

وقوله: [السريع]

مَن أطْلعَ الأحْمقَ فوق السُّهَا ... يُنْزِلُه للمنْزِل السَّافلِ
وغيرُ بِدْعٍ فعلهُ حيثُما ... يُقابَلُ الباطلُ بالباطلِ

وأنشد له بعضُهم: [م. الكامل]

ما في زمانِك واحدٌ ... لو قد تأمَّلْتَ الشَّواهِدْ
فاشْهَدْ بصِدْقِ مقالتِي ... أوْ لا فكَذِّبْنِي بوَاحِدْ

قلتُ: ليس له، وهو من شعر ابي عامر الجُرْجَانِيّ[٤]، أحد شعراء «اليتيمة» وفي معناه قول ابن حَيُّوس[٥]: [المنسرح]

قد مات في دَهْرنا الكرامُ ومَن ... يعرِفُ قَدْرَ الثَّناءِ والمدْحِ
فإن شكَكْتُمْ فيما أقول لكمْ ... فكَذِّبوني بواحدٍ سَمْحِ

ومما أنشده الخُوَارَزْمِيّ مما يُشبه هذا، وإن لم يكن من جميع الوجوه: [الكامل]

أمْسَى بلا عِظَمٍ لدَيْه تَعاظُمٌ ... فكأنَّه أيْرُ الحِمارِ القائمُ

---

(١) الرّكز: الصوت الخفي، الهمس.
(٢) الجمز: هو سير فوق العنق، وهو الجمزي، يقال: هو يعد والجَمَزَى.
(٣) البحز مأخوذ من قول امرئ القيس في ديوانه: ١٣٦
ألا إلاَ تكنْ إبلٌ فَمِعزى ... كأن قُرُونَ جِلَّتها العِصِيُّ
(٤) الجرجاني: فضل بن إسماعيل، أبو عامر التميمي الجرجاني، الأديب المحدّث، روى عن حمزة بن يوسف، توفي في حدود ٤٤٥، صنف البيان في علوم القرآن، وسلوة الغرباء، وعروق الذهب من أشعار العرب. انظر: هدية العارفين: ١/ ٨١٩ .
(٥) ابن حيّوس: محمد بن سلطان بن محمد بن حيّوس بن محمد بن مرتضى الغنوي الأمير صفي الدولة أبو الفتيان، الشاعر، الشهير بابن حيّوس. ولد سنة: ٣٩٤، وتوفي بحلب سنة: ٤٧٣، وله ديوان شعر. انظر: هدية العارفين: ٢/ ٧٤ .

Marfat.com

ويـقـولُ إن الـنـاسَ كـلُّـهـمُ أنـا والـنـاسُ كـلُّـهـمُ لـدَيْـه بـهـائـمُ

ولابن تَمِيم: [الطويل]

أيـا مَـعْـشَـرَ الأصـحـابِ مـالـي أراكُـمُ وذَمُّ جـمـيـعِ الـنـاسِ جُـلُّ مُـنـاكُـمُ
لئن كان ذمُّ الناسِ أضْحَى شِعارَكُمْ فـمـا الـنـاسُ إلا أنـتـمُ لا سِـواكُـمُ

ومما قلتُه في معناه: [الطويل]

تفرَّدْتَ في ذا العصرِ بالفضْلِ والنُّهَى بـزَعْـمِـك يـا مَـن زادَه عِـلْـمُـه جَـهْـلاَ
فـأبْـقِ لـنـا فـي الـدَّهـرِ غـيـرَك عـالِـماً يُصدِّق ذِي الدَّعْوَى ويعرِفُ ذَا الفَضْلاَ

ومن شعر والده: [م. الرمل]

إنَّ خِـــلاً مَـــلَّ مِـــنَّـــا خَـــلِّـــنَـــا بـــالـــلـــهِ مِـــنْـــهُ
هـــو لا يَـــســـألُ عـــنَّـــا مـــا لـــنَـــا نـــســـألُ عَـــنْـــهُ

وللتَّقِيِّ السُّبْكِيّ[1] رباعيَّةٌ في هذا المعنى، وهي: [الدوبيت]

يـا قـلـبُ مِـن الـغـرام قـد زِدْتَ وَلَـهْ مَـن خـانَـك خُـنْـهُ أو تُـعـوَّضْ بَـدَلَـهْ
فـالـنـفـسُ عـزيـزةٌ عـلـى مَـنْ هِـي لَـهْ لا يصلُحُ لي مَن كنتُ لا أصلُح لَهْ

ولابن الوَرْدِيّ[2]: [م. الكامل]

إذا كـــرِهْـــتَ مـــنـــزِلاً فـــدُونَـــك الـــتَّـــحَـــوُّلا
وإن جَـــفـــاكَ صـــاحـــبٌ فـــكُـــن بـــه مُـــسـتَـبْـدِلا
لا تـــخْـــمِـــلَـــنْ إهـــانـــةً مِـــن صـــاحـــبٍ وإن عَـــلا
فـــمَـــنْ أتـــى فـــمَـــرْحـــبـــاً ومَـــن تَـــولَّـــى فـــإلـــى

ومما أنشدْتُه له: [الخفيف]

إن تسَلْ عن حالِ الذين اجتباهُمْ ربُّـهـم عـاجـزاً وتـطـلُـب قُـربـا
أحْبِبِ اللـهَ والـذيـن اصْـطـفـاهُـمْ تبْقَ معْهُم فالمرءُ مَعَ مَن أحبّا

وللحافظ ابن حَجَر العَسْقَلانِيّ[3] في معناه: [السريع]

---

(١) السبكي: محمد بن عبد اللطيف السبكي تقي الدين، أبو الفتح المصري الشافعي، المتوفى سنة: ٨٤٤، قال السيوطي في حسن المحاضرة أنه ألّف تاريخاً لم يذكر اسمه. انظر: هدية العارفين: ١٥١/٢ .

(٢) ابن الوردي: عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري الحلبي القاضي زين الدين الشافعي المعروف بابن الوردي، المتوفى سنة: ٧٤٩، له الكثير من التصانيف. انظر: هدية العارفين: ٧٨٩/١ .

(٣) ابن حجر العسقلاني: علي بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، والد شهاب الدين ابن حجر المعروف. توفي سنة: ٧٧٧، له ديوان الحرم في المدائح النبوية. انظر: هدية العارفين: ١٠/ ٧٢٥ .

Marfat.com

وقـائـلٍ هـل عـمَـلٌ صـالـحٌ أغْـدَدْتَـه يـنـفـعُ عـنـد الـكُـرَبْ
فقلتُ حسبِي خِدْمَةُ المصطفَى وحُـبُّـه فـالـمـرءُ مَـعَ مَـن أحَـبّ

وكنتُ قلتُ قبل أن أسمع هذا: [الوافر]

وحـقِّ الـمـصـطَـفَـى لـي فـيـه حُـبٌّ إذا مـرضَ الـرَّجـاءُ يـكـون طِـبًّـا
ولا أرْضَـى سِـوى الـفِـرْدَوسِ مَـأْوًى إذا كـان الـفـتـى مَـعَ مَـن أحَـبًّـا

واعلم أنه وقع في حديث صحيح، عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، أنتَ أحبُّ إليَّ مِن نفسِي وأهْلي ومالي، وإني إذا ذهبْتُ لِدَاري لا تطيبُ نفسِي حتى آتِيَك وأرَاكَ، فإذا مِتُّ أنْتَ كنتَ في أعْلى مقامٍ، فأخْشى ألاَّ أراك.

فلم يُجِبْه الرَّسولُ ﷺ، فنزل عليه جبريلُ عليه السلام، بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ الآية [النساء: ٦٩].

فقال رسولُ الله ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(١).

وقلتُ في معناه رُباعيَّة: [الدوبيت]

حُبِّي لـمـحـمـدٍ حـبـيـبِ الـبـارِي فـي طِـيـنـةِ خِـلْـقَـتـي ورُوحِـي سَـارِ
والـمـرءُ ومَـن أحـبَّ فـي الـخُـلْـدِ مـعـاً طُـوبَـى لِـي إنْ غَـدَوْتُ عـبْـدَ الـدَّارِ

١٧- أبو الصَّفاء مصطفى بن العَجَميّ الْحَلَبِيّ

روضٌ وَرِيقُ أغْصان المُرُوَّة، رَيَّانُ من ماء المكارم والفُتوَّة، فارسُ الشَّهباء نُبْلاً وأدباً، طبعُه أخو ابْنَةِ العنب صفاءً وطرَباً، أردانُ شبابه باللُّطفِ مُذهَّبَة، وكؤوس آدابِه المجْلُوَّة للقلوب مُحبَّبة، إذا ابتسمَتْ عُقود ألْفاظِه كسدَ نظِيمُ الجَوْهَر، وخُيِّل أنها لِرقَّتها من خدودِ الغِيد تُعْصَر، أقبلَتْ على شِعره الفصاحةُ بوجهٍ جميل، وقصَّر عن إدْراكِ لطفهِ النَّسيمُ وهو عَلِيل، مع صَباحةِ مُحيَّا يَهْزَأ بالرَّوضِ الوَسِيم، إذا عطَّرتْ مَجامِرُ نفَحاتِه أذيالَ النَّسيم، نفحَتْ في بُرودِ الزَّهْرِ نَشْراً، وعبَثَتْ بمباسِم النَّوْر الضَّاحِكةِ بشْراً. [الخفيف]

ثَـمِـلٌ مـن سُـلافَـةِ الـطَّـلِّ فـي الـزَّهْـ ـرِ ونـاهِـيـكَ طِـيـبُـهـا مِـن كـاسِ

ولم تزلْ كؤوسُ أدبِهِ على النَّدامَى مَجْلُوَّة؛ حتى وردَ موارِد الموت فبُدِّلتْ بالكَدرِ صُفُوَّه. [الطويل]

---

(١) الحديث في صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب: علامة الحب في الله عز وجل، برقم: ٥٨١٦-٥٨١٧، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، رقم ٢٦٤٠ .

١٧- ابن العجمي الحلبي: مصطفى بن محمد العجمي ثم الدمشقي الشافعي، توفي سنة ٩٩٥، له شعر لطيف. انظر الكواكب السائرة: ٣/ ٢٠٧ .

Marfat.com

وأيُّ صَـــفـــاءٍ لا يُـــكَـــدِّرُه الـــدهـــرُ

فقطَفتْ زهْرةَ شبابِهِ، وقد سقْتها دموعُ أحبابِه.

فمن شِعره، ما أنشدني له الطَّالُوِيّ، من قصيدةٍ اخترتُ منها قوله: [البسيط]

ما اجْتازَ بارقُ ذاكَ الثَّغرِ مُبتسِماً ... ولا النَّسيمُ بأخْبارِ الحِمَى نَسَما
إلا وعـاوَدَه مـن وَجْـدِه طَـرَبٌ ... حتى كأنَّ به ما يُشْبِه اللَّمَمَا
مُتَيَّمٌ لعبتْ أيدي الغرام به ... فغادَرتْه كأنْفاس الصَّبا سَقمَا
تبِيتُ منه على الأحْشاءِ كفُّ شَجٍ ... تضمُّ صدراً خَفوقَ القلبِ مُضْطرِمَا
أيا خليليَّ لا زالَتْ مُجَلَّلةً ... من البوارِقِ تهْمِي في عِراصِكُما[1]
حتى تظَلَّ لها الأرْجَاءُ باسِمةً ... تبُثُّ مِن سِرِّها ما كان مُكتَتَما
أمَا ومبْسمِهِ الزَّاهِي بمُنْتَسِقٍ ... يُزْرِي مُفَلَّجُهُ بالدُّرِّ مُنتظِمَا
ولَفْتةٍ تذَرُ الألبابَ شارِدةً ... أيْدِي سَبَا وتردُّ الفكرَ مُنقسِمَا
لا حُلْتُ عن حُبِّه الأشْهَى إلى كبدِي ... من الزّلالِ وقد كادَتْ تذوبُ ظَما
ولا تبَدَّلْتُ إنْساناً سِواهُ ولَوْ ... أضْحَى وجُودِي كصَبْرِي في الهَوى عَدَمَا

ومنها:

لِلهِ ما أنتَ في الآفاقِ تنْثُرُه ... وهْيَ اللآلِئُ ظنَّتْها الورَى كَلِمَا

ومنها:

مِن كلِّ زَاهيةِ الألفاظِ زاهِرةٍ ... لا ترْتضِي الشِّعرَ أن يُعْزَى لها شَمَما

وله من قصيدة رَثى بها العِماد: [الطويل]

عظيمُ مُصابٍ مُقْعِدٌ ومُقيمُ ... له كَمَدٌ بين الضُّلوعِ مُقيمُ
وفادحُ خَطْبٍ حارَبَ الصَّبرَ والكَرَى ... فأصبحَ كلٌّ وهْو عنه هَزِيمُ
وحُكْمٌ أذلَّ الفضلَ عنْد اعتزازِهِ ... وأوْهَى عمادَ الدِّين وهْو قويمُ
ألا إنَّما عينُ المعالي غَضِيضةٌ ... وإن فؤادَ المَكْرُماتِ كَلِيمُ

ومنها:

أقامَتْ على قَبْرٍ له عاطرِ الثَّرى ... سحائبُ رِضْوانٍ فليس تَرِيمُ
إلى أن يعودَ القبرُ أنْضَرَ روْضةً ... بها النَّبْتُ شتَّى يانِعٌ وهشِيمُ

وكان له بِجِلَّق أصدقاء تَسكَر بشَمُول شمائِلهم الرّاح، وتهتَزُّ طرباً لذكرِهم معاطفُ الأرْيَحِيَّة والسَّماح، فتخفُق على هاماتِ مجدِهم ألْوِيةُ الحمد، وتُضِيءُ في سماءِ معاليهم

---

(١) العِراص: السحاب الذي يعرض برقة، يقال: عَرِضَ البرق: إذا كثر لمعانه. ودار خالية العِراص والعرصات.

Marfat.com

كواكبُ المجد، من كل مُصطَبِح بكاساتِ المَسرَّة مُغْتبِق، ولولا نَدَاهُ كاد من نارِ الذَّكاء يحترِق.

فلما ارتحلَ إلى الشَّهباء غلبَه الشَّجَن ونافسَتْه الشُّجون، وفي ذلك فلْيَتنافس المتنافِسون، فكتب إليهم: [البسيط]

يُقبِّل الأرضَ صَبٌّ مُغرَمٌ علَقاً ... بكُم وذلك مِن تكْوينِه عَلَقَا
حِلْفُ الصَّبابةِ أمَّا قلبُه فشَجٍ ... من الفِراقِ وأما جِسْمُه فَلَقَا
يشْتاقكُمْ كلَّما هبَّتْ يمانِيَةٌ ... ولا مَحَالَةَ أن يَشْتاقَ مَن عشِقَا
بهِ من البيْنِ ما لو حلَّ أيْسرُهُ ... يوماً بأركان رَضْوَى هُدَّ أوْ طَفِقَا[1]
يا هل تعودُ أوَيْقاتٌ بكم لفتًى ... دموعُه خَدَّدتْ في خَدِّهِ طُرُقا
اللهُ يعلمُ ما إن عَنَّ ذكرُكُم ... إلا تناثَرَ دُرُّ الدَّمعِ واسْتَبَقَا
ولا تغنَّتْ على غُصْنٍ مُطوَّقَةٌ ... إلاَّ أهاجَتْ لِيَ الأشْجَانَ والأرَقَا
يا ليتَ شِعْرِيَ والأيامُ مُطمِعةٌ ... والدهرُ في عكسِ ما يهْوَى الفتَى خُلِقَا
هل لي إلى عَوْدِ أوقاتٍ بكمْ سلفَتْ ... رَجاً فأظْفرَ أحياناً بما افْتَرَقَا
للهِ أيامُنا والشَّمْلُ مُجتمِعٌ ... أيامَ لا فُرقَةً أخْشَى ولا فَرَقَا
وإذْ بكُمْ كان عَيْشي أخْضراً نَضِراً ... وأسْودُ الليلِ منكُمْ أبْيضاً يَقَقَا[2]
يا صاحِبَيَّ فلا رُوِّعْتُما بنَوًى ... وعنكُما ظلَّ جَفْنُ الدَّهرِ مُنطبِقَا
إن جئتُما الجامعَ الزَّاهِي برَوْنقِهِ ... سقَاهُ من غادِياتِ السُّحْبِ ما غَدَقَا
مُيَمِّمَيْن له عُوجا كذا كرماً ... لنَحْو قُبَّتِه الشَّمَّاءِ وانْطلِقَا
فبلِّغا لِي سلاماً مَن مَحبَّتُه ... لم تُبْقِ لي مُنذُ حلَّتْ مُهجَتي رَمَقَا
وخَبِّراهُ بما ألقى بعيْشِكما ... من فَرْطِ لاعِجِ أشواقٍ أتَتْ نَسَقَا
إنِّي إلى ذلك المْغَنى المشُوقُ كما ... أشْتاقُ صحْبِيَ إخوانَ الصَّفا خُلُقَا
لاسيَّما الأروعَ المحمودَ سيِّدنا ... المُسْكِتَ اللَّسِنَ المُطْرَى إذا نَطَقَا
طَوْراً تراه بكأسِ الحمدِ مُضْطبِحاً ... وتارةً من سُلافِ المجدِ مُغتبِقَا
يا غائبين فما وُدِّي بمُنتقِضٍ ... منكُم ولا حبْلُ عهدِي واهِناً خَلَقَا
تَحْدُوه رِيحُ الصَّبا وَهْناً لأرْضِكمُ ... يُزْرِي شَذَاها بِرَيَّا مِسْكِه عَبِقَا

فأجابه أبو المعالي الطَّالُوِيّ بقصيدةٍ، أنشدَنيها، وهي: [البسيط]

وافَتْ فأرّجتِ الأرجاءَ والأفُقَا ... أُمْنِيَّةٌ من شَذاها قُطرُنا عَبِقَا
رَاحٌ كَأنَّ الصَّبا باتَتْ تُعَلِّلُها ... بالسِّحْرِ بين رِياضٍ طَلْعُها بَسَقَا

---

(١) رِضوى: اسم جبل.
(٢) اليقق: الأبيض الناصع، شديد البياض.

Marfat.com

أم نَفْحَةٌ مِن رُبَى دَارِينَ عاطِرةٌ ... أهْدَتْ لنا أرَجاً جُنْحَ الدُّجَى عَبِقَا
هَيْفَاءُ تَزْهُو بقَدٍّ زانَهُ هَيَفٌ ... كخُوطِ بَانٍ غَضِيضٍ مُثمِرٍ بِنَقَا
تَرنُو إليَّ بطَرْفٍ كُلُّهُ حَوَرٌ ... مهْمَا انْبَرَتْ بفؤادٍ هامَ أو عَشِقَا
لو شاهدَ ابنُ عُنَيْنٍ حُسْنَ طلْعتِها ... لأذْكرَتْه زماناً يبعَثُ الحُرَقَا
أو انْبَرَتْ لحَبيبٍ وهْو ذُو لَسَنٍ ... أزْرَتْ به وكذا سَحْبَانُ إن نَطَقَا
يا حُسْنَها حينَ زارَتْنا مُحبَّرةً ... قد نُظِّمَ الدُّرُّ في لَبَّاتِها نَسَقَا
أهْدَتْ تحيَّةَ وُدٍّ من أخِي ثِقَةٍ ... يُزْرِي شَذاهَا برَيَّا المِسْك إن عَبقَا
لا غَرْوَ أنِّي مَشُوقٌ في الأنام لَهُ ... فالحُرُّ يشْتاقُ إخْوان الصَّفا خُلُقَا
أشْتاقُ رُؤْيَتَه الغرَّاءَ ما طلَعَتْ ... شمسُ النَّهارِ وأبْدَى صُبْحُه شَفَقَا
وكلَّما سَحَراً هَبَّتْ شآمِيةٌ ... بِسَفْح جِلِّقَ أو بَرْقُ الحِمى بَرَقَا[1]
أحْبابَنا والذي أرجوهُ مُبتَهلاً ... بأنْ يُمَنَّ على مُضْناكُمُ بلِقَا
ما إن تذكَّرْتُ معنًى راقَ لي بكمُ ... إلاَّ ورُحْتُ بدَمْعِي جازعاً شَرِقَا
ولا شدَتْ بغِياضِ الغُوطَتيْن ضُحًى ... وَرْقَاءُ تَنْدُب إلفاً نازِحاً شفِقَا
إلاَّ وغاض اضْطِبارِي أو وَهَى جَلَدِي ... ففاض من مُقْلَتَيَّ الدَّمعُ وانْطلَقَا
إذ جانبُ العيشِ طَلْقٌ رائِقٌ بَهِجٌ ... والدهرُ قد غضَّ عنا الجَفْنَ فانْطَبَقَا
تلْهُو بكلِّ كَحِيلِ الطَّرْفِ ساحِرِه ... يُزْرَى بِغِزْلانِ عُسْفانٍ إذا رَمَقَا
لاسِيَّما إن غدا بالكاسِ مُصطبِحاً ... أوْ راحَ مِن وَلَهٍ بالطاسِ مُغتبِقَا
ليتَ الزَّمانَ الذي فينا الغَداةَ قَضَى ... بشَتِّ ملْمُومِنا والدهرَ ما خُلِقَا
يا هَلْ أُوَيْقاتُنا الَّلاتي بكُمْ سلفَتْ ... تعُودُ يوماً فأحْظَى منكمُ بلِقَا
عليكَ منِّي سلامُ اللهِ ما بقِيَتْ ... صَبَابةٌ تبْعَثُ الأشْجانَ والأرقَا
تهْدِيه ريحُ النُّعَامَى نحوَ أرْضِكُم ... كمِسْكِ دَارِين يزْكُو كُلما نُشِقَا

١٨- تقيُّ الدِّين بن معروف

سماءُ فضلٍ بإطْلاع نجوم الكمال معروف، وشموسُ معارفِه لا يغتريها كُسوف، ورياضُ عِلْمه أنيقة، ودَوْحَة مجدِه وَرِيفَة الظل وَرِيقَة.

إذا مسَّ الأقْلامَ سجدَتْ في محاريب الطُّروس شكراً، ومادت من مُدام مِدادِه هائمةً سُكْرا، فكم لِلَيْل حِبْرِه المِسْكِيّ الأنفاس يدٍ بَيْضاء اللهُ بها مُحيًا القِرْطاس. [الرجز]

---

(١) جِلِّق: اسم من أسماء دمشق.

١٨- تقي الدين بن معروف: محمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف بن الأمير منكوبرس الأسدي، تقي الدين الراصد، ولد سنة ٩٣٠ بدمشق وتوفي سنة ٩٩٣، له كثير من المصنفات منها: الدر النظيم في حل التقويم، وخلاصة الأعمال في مواقيت الأيام والليال. انظر: هدية العارفين: ٢/ ٢٥٧، والأعلام للزركلي ٧/ ٣٢٦.

Marfat.com

تُـخـبِّـر أنَّ الـمـانَـوِيَّـة تَـكْـذِبُ

وله في علم الفَلك أنْظار تَنمُ بأسرار كواكِبه، وإن كتم قلْبَه على لِسانِ أسرار صاحبِه، بَوَّأه اللهُ منه مكاناً علِيًّا، فتَلا لمن رَامَه سِواه: ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨] فكم صعد له بخطَواتِ فكره وسَما، واتَّخذ خُطوطَ جدَاوِلِهِ للعُروج إليه سُلَّما، فكلَّما طارت حمائمُ النجوم من بروجِ أقْطارِها، جعلها بِطاقةً تَطيرُ في الآفاقِ لتْبليغ أخْبارِها، فلو كان لعُطارِد الخِيار كان بدَنانير الدَّرارِي له مُشْترِي، ولو أراد مَدْحَه أطْراه بقَول ابن الروميّ غيرَ مُفْترِى: [المنسرح]

أعـلاكُـمُ فـي الـسَّـمـاءِ مـجـدُكُـم ... فـلـسـتُـمُ تـجـهـلـون مـا جَـهِـلاَ
شـافَـهْـتُـمُ الـبـدرَ بـالـسُّـؤالِ عـن الْـ ... ـأمـرِ إلـى أن بـلـغـتُـمُ زُحَـلاَ
لـم تُـدْرِكـوا قـطُّ بـالـحـسـابِ بَـل الْـ ... ـأحـسـابِ عـلـمـاً لـكـمْ ولا عَـمَـلاَ

ولم يزل مُتقلِّداً بصارم القَضا، قانعاً من معشوقتِه الدنيا بحالتَي الصَّدِّ والرِّضا، حتى أراد أن يـجـدِّد لأسـتـاذِنـا رصَـداً: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] غافلاً عن حَركات الفَلَك، حتى قال له: نبَّهَك اللهُ ما أَغْفَلَك، فدارت دوائرُه على مدارِها، وصارت زاويةُ قبْرِه حادَّةً بعد ما كانت مُنْفَرِجة في أقْطارِها، وشكْلُ العَرُوس من زُخْرُف الحياةِ له أطْماع، وهو لمن تأمَّلَه شكل قطاع: [الرجز]

والـمـوتُ لـلإنْـسـانِ بـالـمِـرصـادِ

وقد طالعتُ له رسائل فَلكيَّة، وبعض تحريراتٍ هنْدسِيَّة؛ تدلُّ على عُلُوِّ كَعْبِه فيها، ورُقِيِّه من حَضِيضِ الخمول إلى سماء معالِيها.

وله شعر وَسَط، ونثرٌ غرِيبُ النَّمَط، كقوله في مدح العلاَّمة أبي الفتح المَالِكيّ: [الرجز]

يـا كَـعْـبـةً يـؤُمُّـهـا أُولـو الـنُّـهَـى ... وسِـدْرةَ الـفـضْـلِ إلـيْـهـا الـمُـنْـتَـهَـى
لأنـتَ فـي الـعـالَـم فـردٌ عـلَـمٌ ... بـل أنـت كـلُّ الـخـلقِ عِـلْـماً وهُـدَى
والـفـضـلُ لـمَّـا قـالَ إن مَـالِـكِـي ... بـالـشَّـام كُـلٌّ قـد أقَـرَّ بـالـولاَ
رَفَـعْـتَ قَـدْراً وعَـلَـوْتَ رُتْـبـةً ... وفُـزْتَ بـالـتَّـقْـدِيـم حـالَ الابْـتِـدَا
وفُـقْـتَ أهـلَ الأرضِ بـالـعـلـم الـذي ... أُوتـيـتَـه مـولايَ مـن ربِّ الـسَّـمَـا
يَـضْـرِفُ لُـبَّ الـمـرءِ نـحـو لَـفْـظِـه ... إذ يُـعْـرِب الـفـضـلُ عـلـى هـذا الـبِـنَـا

وقوله من قصيدةٍ في مدح استاذي سعد الدِّين الشاعر: [الطويل]

صَـبـاحُ الأمـانِـي فـي صَـبـاح مـكـارم ... تـجـلَّـتْ عـلـى عَـرْشِ الـجـلالةِ والـحـمْـدِ
مـطـالـعُ مـازالَـتْ طَـوالِـعُ بـالـسَّـنـا ... تُـعـمِّـمُ آفـاقَ الـمـكـارمِ بـالـسَّـعْـدِ

Marfat.com

فائدة مهمة

سُئلتُ عنها في حال تحْريري هذه «الريحانة»،وهي أنه مَنع بعضُ علماء المالكيَّة من الألْقاب المُضافة للدِّين، كسعد الدين، وعز الدين.

فقلتُ: قال العارفُ بالله ابن الحاج[1] في كتابه المسمى بـ «المدخل» الذي استقْصى فيه أنواع البدع، ما نصُّه: فصلٌ، من ارْتكب بدعةً ينْبغي له إخفاؤها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنِ ابتُلِيَ مِنكُم بِشَيْءٍ مِنْ هذِهِ الْقَاذُورَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ»[2] والعالِم يجب عليه التَّستُّر أكثر من غيره؛ لأنه ربما يُقال: عنده عِلْم بجواز ما ارتكبَه، فيَقْتدي به غيرُه، كما قال أبو منصور الدِّمياطِيّ، في قصيدةٍ له: [الدوبيت]

أيـهـا الـعـالـمُ إيَّـاك الـزَّلَـلْ ... واحـذَرِ الـهَـفْـوَةَ فـالـخَـطْـبُ جَـلَـلْ
هَـفْـوةُ الـعـالِـمِ مُـسـتَـعْـظَـمـةٌ ... إن هَـفَـا أصـبـح فـي الـخَـلْـقِ مَـثَـلْ
وعـلـى هَـفْـوتِـه عُـمـدَتُـهـمْ ... وبـه يَـحْـتَـجُّ مـن أخْـطـا وزَلْ
فـهـو مِـلْـحُ الأرضِ مـا يُـصْـلِـحُـه ... إن بَـدا فـيـه فَـسـادٌ أو خَـلَـلْ

فمِمَّا ينْبغي التَّحفُّظ عنه من البدع الأعلامُ المخالفة للشَّرع، المُضافة للدِّين؛ لما فيها من تزْكية النَّفس، المَنْهِيِّ عنها، كما صرَّح به القُرْطُبيّ في «شرح الأسماء الحسنى».

وللفَضْل بن سَهْل قصيدةٌ في ذمِّها، فمنها قولُه فيمَن لُقِّب بعز الدين وفخر الدين: [الطويل]

أرَى الدِّين يَسْتَحيِي من اللهِ أن يُرَى ... وهـذا لـه فَـخْـرٌ وذاك نَـصِـيـرُ
فقد كثُرَتْ في الدِّين ألْقابُ عُصْبةٍ ... هُـمُ في مَراعِي الـمُـنْـكَرات حَمِيرُ
وإنِّـي أُجِـلُّ الـدِّيـن عـن عِـزِّهِ بـهِـمْ ... وأعـلـمُ أن الـذَّنْـبَ فـيـهِ كَـبِـيـرُ

فمن نادَى بهذا الاسم، أو أجاب به، فقد ارتكب ما لا ينْبغي؛ لأنه كذَب؛ وفي الحديث: «عَلَيْكُمْ بالصِّدْقِ فإنَّهُ يَهْدِي إلَى الْبِرِّ والْبِرُّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، والْكَذِبُ فُجُورٌ والْفُجورُ يَهْدِي إلى النَّار»[3] الحديث.

---

(١) ابن الحاج: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي المعروف بابن الحاج، من أصحاب ابن أبي حمزة، نزيل القاهرة، المتوفى بها سنة: ٧٣٧، من تصانيفه: شموس الأنوار وكنوز الأسرار في علم الحروف وروحانيته، ومدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة. انظر هدية العارفين: ٦/١٤٩ .

(٢) الحديث في النهاية في غريب الحديث ٤/٢٨، وفيه «فمن أصاب من هذه القاذورة شيئاً فليستتر بستر الله». وقال فيه: أراد ما فيه حدٌّ كالزّنا والشرب.

(٣) الحديث في صحيح البخاري في كتاب الأدب برقم ٥٧٤٣، وقد جاء كما يلي: «إن الصدق يهدي إلى البرّ، وإن البرّ يهدي إلى الجنة، وإن الرّجل ليصدق حتى يكون صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق: رقم ٢٦٠٧ .

Marfat.com

فإذا قال أحدٌ «مُحْيي الدين» يُقال أهذا الذي أحْيَى الدِّين؟ فإذا أخذ صحيفتَه وجدها مَشْحونةً بالكذِب.

ولما دخل رسولُ الله ﷺ على أمِّ المؤمنين زينب، قال لها: «مَا اسْمُكِ؟» قالت: بَرّة. فكرِه صلى الله عليه وسلم ذلك، وقال: «لا تُزَكُّوا أنفُسَكُمْ» وسمَّاها زَينب[1].

ولا يُقال: إنها خرجَت عن أصْلِها بالنَّقْل للعَلَمِيّة؛ لأنه لو كان كذلك ما كرهوا تزْكَها مع ما فيها من التَّشبُّه بالعَجم المنْهِيّ عنه.

وهذه التَّسْمِية أوَّلَ ما ظهرتْ من مُتغلِّبة التُّرْك مضافةً للدَّولة، وكانوا لا يُلقِّبون أحداً إلا بإذن السلطان، وكانوا يبذُلون عليه المال، ثم عَدَلوا عنه بالإضافة إلى الدِّين.

ونقل عن النَّوَوِيّ رحمه الله أنه كان يكره من يُلقِّبه بمُحْيي الدِّين، ويقول: لا أجعل مَن دعاني به في حِلٍّ.

ولذا تحاشَى عنه بعضُ العلماء، وهذه نَزْغَة شيطانيَّة من أهل المشرق، ولما كان في أهل المغرب من التَّواضُع كانوا يغيِّرون الأسماء، لما هو مَنْهِيٌّ عنه أيضاً، فيقول لمحمد: «حمو»، ولأحمد «حمدوس»، وليوسف «يسو» ولعبد الرحمن «رحمو» ونحوه. انتهى.

أقول: أمَّا كونُ هذه بِدعة حدثَتْ بعد العصر الأولِ فلا شُبْهة فيه.

وأما كونُها ممنوعة شرعاً، أو مكروهةً فلا وجْهَ له، وما تشبَّثَ به أوْهى من بيْتِ العنكبوت، وما نقله عن النَّووِيّ وغيرِه من السَّلف لا أصْلَ له، وكذا ما نُقِل عن شيخ والدي ناصر الدين اللَّقَانِيّ[2]، أنه كان يكتب في الفَتَاوَى «ناصر» لهذا.

وقد غرَّني ذلك مُدَّةً، ثم رجعتُ عنه؛ لعدم ثُبوتِه.

وكونُه كذباً يُكتَب في صحفه مجازفَةٌ لا ينْبغي أن يُقال مثلُه بالرَّأي، وهذا لم يضَعْه الإنسان لنفْسِه، وإنما سمَّاه به أبَوَاه في صِغَره، وعدمِ تكْليفه.

وكونهُ تزكيةً لنفْسِه أيضاً غيرُ صحيح؛ لأن الإضافة تكون لأدْنى مُلابَسةٍ، فهو مُضاف للسَّبب تفاؤُلاً، فعِزُّ الدين بمعنى يُعِزُّه الله بالدِّين، وكذا مُحيي الدين، بمعنى

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث: ١/ ١١٧، وفيه: «أنه غيّر اسم امرأة كانت تسمى برّة فسماها: زينب، وقال: تُزكي نفسها، كأنه كَرِهَ لها ذلك».
وزينب هذه ليست أم المؤمنين كما وهم المؤلف.

(٢) ناصر الدين اللقاني: محمد ناصر الدين اللقاني أبو عبد الله المصري المالكي المتوفى سنة: ٩٥٨، صنف حاشية على شرح جمع الجوامع للحلى في الأصول، وشرح خطبة مختصر الشيخ خليل في الفروع. انظر: هدية العارفين ٢/ ٢٤٤.

Marfat.com

مُحيي نفسِه بالدِّين، فقياسُه على «بَرَّة» قياسٌ فاسد، مع الفارق، ولو صح هذا مُنِع أحمد، ومحمد، وحسن، وهو محمود.

وقد قال المُحَدِّثون: إذا اشْتهر اللَّقب جازَ وإن كان ذَمًّا، كأعرج، وأعمش، فما ذكر تضْييق وحَرَج في الدِّين.

وفي هذا الكتاب كثيرٌ من هذا النَّمَط، فإيَّاك والاغْترارَ به.

والأعلام إنما تدلُّ وضْعاً على الذَّات، والتَّفاؤُل بالأمور المُسْتَحسَنة مُستَحب؛ لقوله في الحديث: «كان يُحِبُّ الفَأْل، ويكْرَه الطِّيرَة»[1]. ويحمد قائله لا يعتقد ثبوت ما يقال به، وإنما سُمِّيَ به، فلا كَذِب.

والأعلام لا حَجْر فيها، والتَّشبُّه بالعَجم فيما لا يُزاحِم الشَّرْع غيرُ مَنْهِيٍّ عنه، إلا للعصَبِيَّة المذمومة، بدليل حديث الخَنْدق.

ويدل على ما ذكرْناه حديثُ تسْمِية النبيِّ ﷺ بمحمد.

وأما حديث «بَرَّة» إن صحَّ، فإنما فعلَه ﷺ لكونِه من أعْلام الجاهِليَّة، أو لمعنًى آخر، بدليل أنها كانت بَرَّةً في نفسِها.

١٩- محمد بن الرُّومِيّ، المعروف بمَامَاي ابن أخت الخَيَّاليّ

نزيل دِمَشق الشام

شاعر تقوَّدتْ جَمَراتُ أفكاره، وتورَّدَتْ في رياض الشام وَجَناتُ أزْهارِه، وابتسَمتْ في ناديه ثُغورُ أنْوارِه، لكنها خُدودٌ لم يتَرقْرَق عليها دَمْعُ القِطار، ومباسِم لم تَرْشِف الشمسُ منها رِيقَ الأمْطار، فللَّهِ دَرُّه من فصيح لم يُعلَّل بمياه عُروقِ القَيْصُوم والشِّيح، ولم يُغْذَ بلِبَان العربيَّة، ولم يَتَفَكَّه بثمار العلوم الجَنِيَّة؛ لأنه من بَنِي الأصْفر، وممَّن قاسَى الفقرَ الأسود وهو الموْتُ الأحْمر، إلا أن لِلبقاع تأثيراً في الطِّباع، فلما تَغَذَّى طفلُ جِبِلَّتِه ماءَ الشام ونَسِيمَه، وبزَغ هِلالُه فيه بعد ما أُمِيطَتْ عنه هالَةُ التَّمِيمَة، انْصَقَل طَبْعُه المُرْهَف، فانْبَرتْ شمائلُه أرَقَّ من الشَّمال وألْطف، لاسِيَّما وأبو الفَتْح ماشِطَةُ عرائسِ فكرِه، ومُلِمُّ شَعَثِ لُمَّةِ نظْمِه ونثْرِه، إذا آنس طبْعُه لَحْنَة، أو طرَق طَرف ذِهْنِه طيفُ هُجْنَة.

---

(١) الحديث في النهاية: ٣/ ٤٠٥، ٤٠٦، وفيه أيضاً أنه ﷺ كان يتفاءل ولا يتطير.

١٩- محمد بن الرومي: محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بماماي، الشاعر والمشهور أصله من الروم، قدم إلى دمشق في صغره، اهتم بالأدب وقول الشعر. توفي سنة ٩٨٧ . انظر الكواكب السائرة: ٨/ ٤١٣ .

Marfat.com

وقد طالعتُ ديوانَه، فرأيتُه يعْترِيه عِلَل وفُتُور، ويدخُلُ في مغانِي مَعانيه وبُيُوتِه القُصور.

فمن شعرِه الذي اخترْتُه قوله: [الطويل]

سمعتُ لسانَ الحالِ من قَهْوةِ الطِّلا ... يقولُ هَلُمُّوا واسْمَعوا نَصَّ أخْبارِي
فباسْمِي تسمَّتْ قهوةُ البُنِّ في الملاَ ... ولكنَّها لم تَحْكِ أصْداغَ خَمَّارِي
فمِن كِذْبِها قد سوَّدَ اللهُ وجْهَها ... وعذَّبَها بعْد الإهانةِ بالنَّارِ

ومنه قوله مُضمِّناً: [البسيط]

قد قالتِ القهْوةُ الحمْراءُ وافتخرَتْ ... كم قد ملكْتُ مُلوكَ الأعْصُرِ الأُوَلِ
وقهْوةُ القِدْرِ إنْ قَذْراً عَليَّ عَلَتْ ... لِي أُسْوةٌ بانْحِطاطِ الشَّمْسِ عن زُحَلِ[1]

ومنه قوله: [الكامل]

جُلِيَتْ عَرُوساً في عُقودِ حُبابِهَا ... وفَدَيْتُ ظَبْياً بالسُّرورِ حَبابِهَا
طلَعتْ عروساً تنْجَلي في كأْسِها ... وكَسَا كُفوفَ الغِيدِ نَقْشُ خِضابِهَا
بِكْرٌ إذا باكَرْتها لكَ ولَّدَتْ ... سِرَّ السُّرورِ لدَى حُضورِ جَنابِهَا
أخذَتْ من العقْلِ النَّفِيسِ جواهِراً ... مَهْراً لها والنَّفسُ من خُطَّابِهَا
رَاحٌ حَلالِي شُرْبُها في جَنَّةٍ ... والنَّصُّ في الجَنَّاتِ حِلُّ شَرابِهَا

وهو مأخوذ من قول الأرَّجَانِيّ[2]: [م. الرجز]

كأسٌ من السِّحرِ الحَلا ... لِ بشُرْبِها للْقَوْمِ سُكْرُ
في مجلسٍ هُوَ جَنَّةٌ ... ولذاكَ فيه تَحِلُّ خَمْرُ

وقوله: [الطويل]

يقول حبيبي مَا لِطَرْفِكَ أحْمراً ... كأنَّك يا حَيْرانُ في نَشْوةِ التِّيهِ
فقلتُ له إشْراقُ خَدِّكَ قد بَعدَا ... وقابلَه طَرْفِي فخيَّلَهُ فِيهِ

وأحسنُ منه قول الأمير مُجِير الدِّين بن تَمِيم: [البسيط]

أقول للصَّحْبِ لما أنْكَرُوا أثَراً ... مِن احْمِرارٍ بدَا في باطن المُقَلِ
عاتَبْتُ ألْحَاظَ عيْنِي عندما نَظرَتْ ... إلى سِوَى الحِبِّ فاحْمَرَّتْ من الخَجَلِ

وقوله: [الطويل]

ولمَّا انْقضَى شهرُ الصِّيام بفضْلِهِ ... تجلَّى هلالُ العِيد من جانِب الغَرْبِ
كحاجبِ شيْخٍ شابَ من طُولِ عُمْرِه ... يُشِيرُ لنا بالرَّمْزِ للأكْلِ والشُّرْبِ

---

(١) الأبيات في نفحة الريحانة: ٢/ ٤٠٧ .
(٢) ديوانه: ٢٠٢ .

Marfat.com

وهو مأخوذ من قول العَقِيليّ: [الكامل]

قُمْ هاتِها وَرْدِيَّةً ذهَبِيَّةً تبدُو فتَحسَبها عقِيقاً ذابَا
أو مَا ترى حُسْنَ الهلالِ كأنَّهُ لما تَبدَّى حاجِبٌ قد شَابَا

إلا أن قوله «من طول عمره» تكميل حسن.

ومما قلتُه في بعض الرسائل: شابَ حاجبُ الهلال وما داناهُ كمالاً، واشتعل رأسُ الشمسِ شَيْباً ولم تَرَ له مِثالاً.

ومما يُضاهِي هذا ما قلتُه لمَّا رأيتُ قول الثَّعالبيّ، في مدح قصْرٍ بناهُ الصَّاحِبُ بن عبَّاد: [البسيط]

لِلَّهِ قَصْرٌ ترَى كلَّ الجمالِ بهِ وأسْعُدُ الدهرِ تَبْدو من جوانبِهِ
كأنَّما جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ قد نزلَتْ إلى خُوَارَزْمَ تَعجيلاً لِصاحِبهِ

ورأيت ما فيه من الغَفْلة؛ فإن تعْجيلَه بالدخول لها إنما يكون بالموت، ففيه إيهام لا يَلِيق بمثلِه، فقلتُ في هذا المعنى، وأتيْتُ فيه بنوع من الاخْتِراس، سمَّيْتُه التهذيب: [الوافر]

بنَى داراً يحارُ الوصفُ فيها وتَهْواها المحاسنُ والمَسرَّهْ
كأنَّ الجنَّةَ اشْتاقَتْهُ حتَّى له نزلَتْ أطالَ اللهُ عُمْرَهْ

وقد يقال: في قوله «نزلت» احتراس مَّا، لكنَّه خَفِيّ، والمقام يأباه.

ومن ديوانه قولُه أيضاً: [البسيط]

كيف السَّبيلُ إلى كَتْمِ الغرام إذا كاتبْتُكم وأرِدْتُ السِّرَّ ينْكَتِمْ
وقد غَدَا الطِّرْسُ بالوَجْهَيْنِ مُشتَهِراً وباللِّسانَيْن أمْسى يُعْرَفُ القلَمْ

وقوله: [الوافر]

لقد مرضَ الجَهُولُ له فعُدْنَا ونحنُ إذاً أُناسٌ رَاحِمُونَا[1]
فظنَّ بأنَّنا عُدْناهُ خوفاً فإن عُدْنَا فإنَّا ظَالِمُونَا

وقوله أيضاً: [الطويل]

إذا دُفِنَ الإنسانُ في الرَّمْسِ بُرْهةً وعاوَدْتَه تلْقاهُ بادِ ثَنايَاهُ
وما ذاك إلا أنَّه مُتَبسِّمٌ على كلِّ مغرورٍ بأحْوالِ دُنْياهُ

ومما يُضاهي هذا، أن المولود يُولد باكياً، مقبُوضَ الكفّ، فإذا مات فتَحها، فقال الحكماء: إنه إشارة لحرْصِه حيًّا، وأنه خرج منها بغير شيءٍ، كما قيل: [الطويل]

وفي قَبْضِ كفِّ الطفلِ عندَ وِلاَدِهِ دليلٌ على الحِرْصِ المُركَّبِ في الحَيّ

(١) انظر: الكواكب السائرة ٣/ ٥١.

Marfat.com

وفي بَسْطِها عند المَمَاتِ إشارَةٌ ألا فانْظُروني قد خرَجْتُ بلا شَيٍّ

وكم في الكَوْنِ من إشارات، فهو جميعُه ناطقٌ بالعِظات، ولكن مَن يسمع ويبصر!

وأنشدني له بعضُ أدباء الشام: [الوافر]

رأيتُ الكائناتِ خَيالَ ظِلٍّ مُحرِّكُها هو الرَّبُّ الغَفورُ

فصُنْدوقُ اليَمينِ بُطونُ حَوًّا وصُندوقُ الشِّمال هو القُبورُ

وليس له، فإني رأيتهُ منسوباً للشيخ ابن عَرَبيّ، وهو معنًى مشهور، ولكنه تصرَّف فيه فاستعار عَباءةً، وردَّ دِيباجَةً.

وأصلُه من قول الآخر: [الطويل]

رأيتُ خيالَ الظِّلِّ أكْبَر عِبْرَةً لمن هو في عِلْم الحقيقة رَاقِي

شُخوصٌ وأشْكالٌ تَمُرُّ وتنْقضي وتَفْنَى سَرِيعاً والمُحرِّكُ بَاقِي

ومنه وَلَّد ابنُ الوَرْدِيّ في الحَمَّام قوله[1]: [الطويل]

وما أَشْبَه الحَمَّامَ بالموْتِ لامْرىءٍ تبصَّرْ لكن أيْنَ مَن يتَبصَّرُ

يُجَرَّدُ من أمواله ولِباسِهِ ويبْقَى له مِن كلِّ ذلك مِئْزَرُ

ومما قلتُه فيه: [الرمل]

إن يكُنْ يَحْكِي خيالَ الظِّلِّ في فِعْلِهِ دهرٌ لنا يُبْدِي العِبَرْ

فعَسَاهُ عن قريبٍ مُظهِراً صُوَراً أحْسن مِن هذِي الصُّوَرْ

وقلت أيضاً: [الوافر]

هِي الدُّنْيَا خَيالَ الظِّلِّ تَحْكِي يُحَرِّكُها القضاءُ كما يُقَدِّرْ

ولولا السِّتْرُ ممدودٌ عليْهِ من الغَفَلاَتِ ما ألْهَى وما سَرّ

٢٠- زَيْن الدِّين الإسْعَافِيّ

فاضل ليِّن العود ماجِد الأعْراقِ، حُلْو الشَّمائل عَذْب الأخلاق، له آثارٌ على أكُفِّ القبول مرفوعة، وكلماتٌ كثمراتِ الجِنان غير مقطوعةٌ ولا ممنُوعَة.

صحبَني وهو يقطِف نَوْرَ التَّحصيل، وللفضل إلى معالِيه انتظار وتَأْمِيل، فتجاذَبْنا أهْدابَ المذاكرة، وجرَرْنا ذُيول المُناشدة والمحاورة.

---

(١) ديوانه: ٢٧٠ .

٢٠- زين الدين بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي، المعروف بالإسعافي، نزيل دمشق، الأديب الفاضل العروضي السائر ذكره، له رسائل في العروض منها: بل الغليل في علم الخليل، والتنبيهات الزينية على الغفلات العينية، وعمدة النبيل. توفي في حدود١٠٤٣، أو١٠٤٢ . انظر: هدية العارفين ١/ ٣٧٩، وخلاصة الأثر: ٢/ ١٨٩-١٩٠ .

Marfat.com

فمما أَنشَدنِيهِ من شعرهِ قولُه: [الطويل]

كتبْتُ وأفْكارِي وحقِّك مُزِّقتْ ... كما قد بدَتْ في الحُبِّ كُلَّ مُمَزِّقِ
ولو حُمَّ لي التَّوفيقُ كنتُ تركْتُه ... ولكنَّني أصبَحْتُ غيرَ مُوفَّقِ
إذا قِيلَ أشْقَى الناسِ مَن باتَ ذا هَوًى ... فلا تُنْكِرَنْ هذا المقالَ وصَدِّقِ[1]

وهذا كقول الآخر: [البسيط]

سألْتُها عن فؤادِي أيْنَ مسْكَنُه ... فإنَّه ضَلَّ عنِّي عند مَسْرَاهَا
قالتْ لَديَّ قلوبٌ جَمَّةٌ جُمِعتْ ... فأيُّها أنتَ تَعْني قلتُ أشْقَاهَا[2]

٢١- أبو بكر الجَوْهَرِيّ الشَّامِيّ

شاعر عذْبُ الكلمات، حسَن الذَّات والسِّمات، عرائسُ أفكارِه صِباح، وجَوْهَرِيّ نفثاتِهِ صِحاح.

ورَد إلى مِصر مُرْتدِياً حُلَلَ الشباب، مُطرَّزَةً بطِراز أخْلاقِه العِذاب، مُتعاطِياً للتِّجارة، صارفاً لها نَقْد عُمْرِه. [الطويل]

إذا كان رأسُ المالِ عُمْرَك فاحْترِسْ ... عليْه من الإنْفاقِ في غيرِ واجبِ

فمن جواهرِ كلماتِه الصِّحاح، التي هي أَرَقُّ من نَفَس الصَّبا في الصَّباح، قولُه في مليح اسمه داود، ورَقيبٍ اسمُه عمرو: [البسيط]

أفْدي غزالاً له خَالٌ بوَجْنتِه ... مع عارضٍ شِبْهِ واوِ العطْفِ ممْدُودِ
كأنَّما الخَالُ فوق الخَدِّ يحرُسُه ... جِذارَ سِرْقةِ عَمْرٍو واوَ داوُدِ

ولابن لُؤْلُؤ فيمن اسمه داود[3]: [الكامل]

قد كنتُ جَلْداً في الخُطوبِ إذا عَرَتْ ... لا تَزْدَهِيني الغانِياتُ الغِيدْ
وعهِدْتُ قلبي من حديدٍ في الحَشا ... فألانَه بجُفونِه داوُدْ

وللملك النَّاصر في داود[4]: [الكامل]

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ٢/ ١٨٩ .
(٢) البيتان في خلاصة الأثر: ٢/ ١٨٩ .
٢١- أبو بكر الجوهري الشامي: أبو بكر بن أحمد بن علاء الدين بن محمد بن ناصر الدين بن علي البهرام بادي الدمشقي المعروف بابن الجوهري، الأديب والشاعر، قرأ على مشايخ عصره، ومنهم الحسن البوريني، توفي بعد الثلاثين وألف بقليل. خلاصة الأثر: ١/ ٦٨-٧٠ .
(٣) ابن لؤلؤ: عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تولو التينملي أبو عمرو العلمري، معين الدين المصري المعروف بابن لؤلؤ، وقيل: ابن تولو، الشاعر، ولد سنة: ٦٠٥، وتوفي سنة ٦٨٥، له ديوان شعر. انظر هدية العارفين: ١/ ٦٥٥ .
(٤) الأبيات في فوات الوفيات: ١/ ١٥٧، والملك الناصر هو: صلاح الدين الأيوبي، أبو المفاخر.

Marfat.com

مُنِّي بطَيْفِكِ بعد ما مَنَعَ الكَرَى عن ناظِرَيَّ البُعْدُ والتَّسْهِدُ
ومن العجائبِ أن قلْبَكَ لم يلِنْ لي والحديدُ ألانَهُ دَاوُدُ

ومما قلتُه فيما قالَه: [السريع]

وحاسدٌ يرسِمُ في صُحْفِهِ فضْلي ويُخْفِي الذِّكْرَ إذْ يَطْرَا
فاسْمِي لديْهِ وَاوُ عَمْرٍو لِذَا يُكْتَبُ في الخطِّ ولا يُقْرَا

وأصله قولُ أبي نُوَاس[1]: [الخفيف]

أيُّها المُدَّعِي سُلَيْماً سِفاهاً لسْتَ منها ولا قُلاَمَةَ ظُفْرِ
إنَّما أنتَ مِن سُلَيْمٍ كواوٍ أُلْحِقَتْ في الهِجاءِ ظُلْماً بعَمْرِو[2]

٢٢- شمس الدِّين محمد بن إبراهيم الْحَلَبِيّ
المعروف بابن الْحَنْبَليّ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ [الطارق: ١-٢]، هو في ميدان الفضلِ وحَلْبة الشّهْباء سابِق، وأيُّ سابق، وعصرُه كان مِسْكَ خِتامِها، وسَحَرَ لياليها وأصِيلَ أيّامِها، نوّرتْ حدائقُها بغَوادي شمائِله، وتحلَّى مِعْصَمُ مجدِها بسِوارِ فضائِله: [البسيط]

حيثُ الْتَقَى نَفَسُ الأقاحِي والصَّبَا وترنُّمُ الحسْناءِ والوزْقاءِ
وجرى النَّسيمُ يجرُّ فضلَ ردائِهِ مُتبخْتراً يجْلي من الخُيَلاءِ
نشوانَ يَعثُرُ بالغصونِ لطافةً منه فيسقُطُ في غديرِ الماءِ

درَّس فيها، وأفْتَى، وطَمَى بحرُ فضائِله فترك الحُسَّاد يضربون حتى.

وله نَظمٌ كما انتظمَتْ دَرارِيُّ الزُّهْر، ونَثْر كما نثَرتْ الشَّمال على وَجَناتِ الرياض لآلِيءَ القَطْر.

وله تصانيف جَمَّة تزيَّنَتْ بها البلاد، وأمستْ تمائِمُها مَنُوطةً بأجْياد الأجْواد، فهو

---

(١) أبو نواس: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمي البغدادي، أبو نواس، الشاعر المشهور، توفي سنة: ١٩٦، له ديوان شعر مشهور. انظر هدية العارفين: ١/ ٢٦٥، والفهرست: ٢٥٨.

(٢) البيتان في ديوانه: ٥٤٥، وجاء في الديوان:

قل لمن يدّعي سليمى سفاهاً لست منها ولا قلامةَ ظفرِ
إنما أنت من سليمى كواو ألحقت في الهجاء ظلماً بعمرِو

وهما في هجاء أشجع السلمي.

٢٢- ابن الحنبلي: محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن الحلبي، رضي الدين أبو عبد الله الحنفي المعروف بابن الحنبلي، ولد سنة: ٩٠٨، وتوفي سنة ٩٧١، له آثار كثيرة ومؤلفات واسعة منها: أحكام الأشعار، وحاشية على شرح لباب الفقه، ودرر الحبب في تاريخ أعيان حلب، وديوان شعر، وغيرها كثير. انظر هدية العارفين: ٢/ ٢٤٨، وأعلام النبلاء: ٦/ ٥٩.

Marfat.com

نسِيج وَحْدِه، آثارُه في حُلَل الفضل طِرازٌ مُذْهَب، وأسدٌ في مجادلةِ العلماء لا يُذْكَر عنده ثَعْلَب.

وله مُحاضَرات لو ذُكِرت للرَّاغب لسعَى لها راغباً، أو لسَحْبان ظَلَّ لذيل الخَجْلة على وَجْهِ البسيطةِ ساحباً

فمما هبَّتْ به صَبا الأسْحَار، وغرَّدتْ به على كرسِيِّ الرُّبَى حَمَائمُ الأخبار، قولُه[1]:

يلومُونَنِي في تَرْكِ ضَمِّ قَوامِه ... ولا إذْنَ للنُّسَّاكِ في الضَّمِّ واللَّثْم
نعم بيننا جِنْسِيَّةُ الوُدِّ والصَّفا ... ولكنَّني لم أُلْفِها عِلَّة الضَّمِّ

وقوله: [الطويل]

يقولون لي والشَّيْبُ عَاثَ بلحْيَتِي ... عِناقُك عذْراءَ الحِمَى غيرُ جائزِ
أَعَن نارِ خَدَّيْهَا التي هي مُنْيَتِي ... أَمِيلُ وأستغْني ببَرْدِ العجائزِ

وله: [الطويل]

قَوامُكَ يا بدرَ النُّحاة كأنَّهُ ... قَناً أو قوَامُ السَّرْوِ أو ألفُ الوَصْلِ
وعينُكَ فاقتْ كلَّ عيْنٍ بكُحْلِها ... فما أنْتَ إلا زَيْدُ مسألةِ الكُحْلِ

وقوله: [الطويل]

لكم هِمَمٌ نِلْتُم برَمْي شِباكِها ... مَرَامَكُمُ لما قَطعْتُمْ بها البَيْدَا
وعُدتُم إلى المَغْنَى بما نِلْتُمُ وقد ... تولَّيْتُمُ صَيْداً فكان لكم صَيْدا

وقوله: [البسيط]

كنا سَمِعْنا بأوصافٍ كمُلْتَ بها ... فَسرَّنا ما سمِعناه وأخيَانَا
مِن قبل رُؤيتِكمْ نِلْنَا محبَّتَكُمْ ... والأذْنُ تعشَقُ قبلَ العيْنِ أحيانَا

وهو لبشار[2]، وأوله:

يا قومُ أُذْنِي لبَعْضِ الحيِّ عاشِقَةٌ ... . إلخ[3]

وفي معناه قولُ الحِلِّيّ:

وهويتكُمْ قبلَ اللِّقاءِ كما ... تُهْوَى الجِنانُ بِطَيِّبِ الأخْبارِ

ولصاحب التَّرجمة أيضاً رُباعيّة، وهي:

---

(١) البيتان في النفحة: ٦/ ٦٠ .

(٢) بشار بن برد: أبو معاذ العقيلي بالولاء، الضرير الشاعر المتوفى سنة: ١٦٨، له ديوان شعر في ألف ورقة. انظر الفهرست: ٢٥٧، وهدية العارفين: ١/ ٢٣٢ .

(٣) هذا صدر البيت وعجزه:

والأذن تعشق قبل العين أحيانا

ديوانه: ٢٢٣ .

Marfat.com

ولصاحب التَّرجمة أيضاً رُباعيّة، وهي: [الدوبيت]

طَرْفَاكَ كلاهُما ضعيفٌ وعليلْ مِثْلي وأنا العليلُ من أجلِ عَليلْ
مِن ضَعْفِي قد صَرفتُ مَيْلي لهما والجِنسُ إلى الجنسِ كما قيل يميلْ

قوله: «والجنس» إلخ، من أمثالِ مُولَّدي العجم، ومثله قولهم: الجنْسِيَّة عِلَّة الضَّم، وهو كما قيل: [البسيط]

إن الطُّيورَ على أجْناسِهَا تَقَع

[الوافر]

وشِبْهُ الشَّيءِ مُنْجذِبٌ إليْهِ

وله من أبياتِ المعاني، في مليحٍ من بني تَمِيم: [الكامل]

ومُهَفْهَفِ الأَعْطَافِ قلتُ له انْتَسِبْ فأجابَ ما قَتْلُ المحِبِّ حَرامُ

وله مُضمِّناً: [الطويل]

حمَى ثَغْرَه الضَّحَّاكَ صَمْصَامُ جَفْنِه كما صِينَ بالتَّعذيرِ خَدٌّ مُوَرَّدُ
أخَدَّ حبيبي لا تزِدْ زرديةً فحسبُك والضَّحاكَ سيْفٌ مُهَنَّدُ

والضَّحاك اسم مَلِك العرَب، لكنه وافقَ صيغةَ المبالغة من الضَّحك.

ومثلُه من نوادر العربيَّة.

ومن فصوله القصار:

إنما تُلْقَى المخاصِر إلى كريم العناصر.

لا تجعلِ الدنيا للآخِرة ضَرَّة، ومن يَنكحُ أمَة على حُرَّة.

ما أخَسَّ الكلبَ العَوَّا، وإن صَعَد إلى السِّماك والعَوَّا[1].

الصِّحَّة رأسُ المال، ورِبحُها حَسَنُ الأعْمال.

تذْكيرُ المواعظ صَابون، لمن هُمْ عن دَنَسِ الأخلاق صَابُون.

إذا كان النَّدَى مات، فالسُّؤال أعْظمُ النَّدامات.

٢٣- أبو الفتْح بن عبد السلام المالِكِيّ المغْرِبيّ

نزيل الشّام

نادِرة الفَلك، وهدية الزمان، ونُكتَةُ عُطارِد المُدوَّنة ف صُحف الإمْكان، وبُرهان مَن قال من الحكماء بتعَدُّد نوع الإنسان.

---

(١) العواء: نباح الكلاب، ويقال للنجم: العوّاء، لأنه يطلع في ذنب البرد، فكأنه يعوي في أثره ويطرده، ولذلك تسميه العرب: طاردة البرد، يمدّ ويقصر.

٢٣- محمد بن محمد بن عبد السلام المالكي المغربي، ولد سنة: ٩٠١، ودخل دمشق وهو شاب، كان فقيهاً أصولياً، علامة في علوم العربية، له شعر حسن، توفي سنة: ٩٧٥ . انظر تراجم الأعيان: ١/٢٤٩، ونفحة الريحانة: ١/٢٩١، والكواكب السائرة: ٣/٢١ .

Marfat.com

وليس الغريبُ مَن تناءَتْ دارُه، بل من فُقِد من الكرام نُظراؤُه وأنصاره، وهو غريبٌ في فضْله ومجدِه، وإن ملَك من الأدبِ مُلْكاً لا ينْبغي لأحَدٍ من بعدِه.

ولما أشرقَتْ بالمغْرِب شموسُ علمِه وآدابه، وزها نورها إذ جَرى في عودِه ماءُ شبابه، أسفرَ وجْه صباحِه، وجَلاَ لَهُ الظَّفَرُ غُرَّة نجاحِه، فحلَّ عَقْد عزيمَتِه بالشام، كما حَلَّ الربيعُ نِقَابَه عن منظْرٍ بَسَّام: [البسيط]

والرِّيحُ تجْذِبُ أطْرافَ الغصونِ كما ... أفْضَى الشَّقيقُ إلى تَنْبِيه وَسْنانِ

فألْقى بها عصَا تَسْيارِه، ونفَض عن بُرْدِ هِمَّتِه غُبارَ أسْفارِه، وبنَى أمرَه على السُّكون وماضِيَ حالِه على الفتْح، وقد شدّتْ وُرْقُ فصاحتِه بها بأطْرب تَرنُّم وصَدْح، فمضَى ونَوْرُ الأدب لا يُجتنَى إلا من رِياض كلامِه، وسُورَة الفتْح بمُحَارِبِيها لا تُتْلَى بغيْرِ ألْسنةِ أقْلامِه، وإثْمِدِ مَراوِدِها كُحْلُ البصائِر، وتُحَف آثارِه يتَلقَّى رُكْبانها كلّ بادٍ وحاضر، حتى في نادي القضاء تربَّع واحْتَبى، وأصبح طِرازُ مذهبِ مالكٍ به مُذْهَباً: [البسيط]

وصار فيهم غريبَ الفضْلِ مُنفرِداً ... كبيْتِ حسَّانَ في ديوانِ سَحْنُونِ[1]

فأنار ليلَه الحالِك، وتصرَّف فيه تصرُّفَ مالِك، بأخلاقٍ تُعْصَر منها شَمول الشَّمائل، وفضائلَ جَمَّةِ المآثرِ سَحْبانُ عندها باقِل.

إلا أنه مع تملُّكِ جواهرِ العلوم، وتقلُّدِ جِيد كمالِه بعُقود المنثور والمنظوم، عادَاه دهرُه، وصافاه فقْرُه، فظل يَمْتري صُبَابة عيشٍ لو أنها نَوْمٌ ما شعُرتْ بها الأحْداق، ويتحمَّل من أثْقالِها ما يُوهِن ويُوهِي القُوَى والأعْناق.

ولم يزل كذلك حتى غارَ ماءُ حياتِه، وانْغَلق على الفتْح بابُ قبرِه عند مماتِه، فانفتَحتْ له أبوابُ الجِنان، فسقاهُ اللهُ رَحيقَ غُفرانِه بين رَوْحٍ ورَيْحان، ونزَّه عيون رجائِه، وأمَّلَه في رياضِ الجِنان، بين الحُورِ الحِسان.

فمن نظْمه الذي حشَا الأسْماع سِحْراً، وملأ أفْواهَ الرُّواةِ دُرًّا، قولُه: [الخفيف]

بأبِي ألْعَسَ المراشِفِ ألْمَى ... مائِسَ القَدِّ ناعِسَ الأجْفانِ
سرَق الجِيدَ واللِّحاظَ مِن الظَّـ ... ـبْيِ ولِينَ القوام من غُصْنِ بانِ
عطفَتْهُ الصِّبا إليَّ ومالي ... بالصِّبا بعدَ ما تراهُ يدانِ
فتحاشَيْتُ لَثْمَه خِيفَةَ الْـ ... ـإثْمِ وأطْلقتُ مُقلتي ولِساني
آهِ لولا التُّقَى ومُعتَرَكُ الشَّـ ... ـيْبِ لطاوَعْتُ في الهوى شيْطاني

وله من قصيدة: [الكامل]

---

(١) يعني به: سحنون بن عبد السلام بن سعيد التنوخي أبو سعيد صاحب المدونة في الفقه المالكي. توفي سنة ٢٤٠ . انظر هدية العارفين: ١/ ٥٦٩، والأعلام: ٤/ ٥ .

Marfat.com

حـاز الـجـمـالَ بـأسْـرِه فـمُـحِـبُّـه فـي أسْـرِه لـم يَـرْضَ حَـلَّ وَثـاقِـهِ
قَسَماً بـصُبْحِ جَبـيـنِـه لـو زارنِـي جُنْحَ الدُّجَى وسَعى إلى مُشْتاقِهِ
لفرَشْتُ خَدِّي في الطَّريق مُقبِّلاً بفَم الجُفونِ مَواطِىءَ اسْتِطْراقِهِ
وصفَحْتُ عن زَلاَّتِ دَهْرِي كُلِّها وعِنادِه فيما مضَى وشِقاقِهِ[1]

وقوله «بفم الجفون» إلخ، كقوله أيضاً في أُرجوزتهِ المشهورة: [الرجز]

تـكـادُ مـن عُـذوبـةِ الألـفـاظِ تـشْـربُـهـا مـسـامِـعُ الـحُـفَّـاظِ

وهذا نوعٌ من البديع غريب، بيَّنَّاه في «حديقة السحر».

وله نظائرُ كثيرة، وهو على نَهْج قوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ٦٢] كما أشار إليه في «الكَشَّاف».

وقد أوضحه الغَزِّي بقوله في بعض قصائده: [الرجز]

إن لـم أمُـتْ بـالسَّـيـفِ قـال الـعُـذَّلُ ما قِيمةُ السَّيفِ الذي لا يَقْتُلُ
وتُغيِّرُ الـمُعتادِ يحسُن بعضُه لـلـوَرْدِ خَـدٌّ بـالأنـوفِ يُـقَـبَّـلُ

ومنه ما أنشدَه لنا صديقُنا الطَّالُوِيّ لنفسِه: [الطويل]

أَرُودُ بـلَـحْـظِـي وَرْدَ خَـدَّيْـه والـذي جنَى لحظُه وَرْدَ الخُدودِ فما أخْطَا
وأرشِـفُ بـالألْـحـاظِ خَـمْـرَةَ رِيـقِـهِ لأنِّي امْرُؤٌ آلَيْتُ لا ذُقْتُ إسْفِنْطَا[2]

وهذه الخمرة لا يليق بها غير نَقْل البُحْتُرِيّ[3] في قوله: [البسيط]

تُـفَّـاحُ خَـدٌّ إذا احْـمـرَّتْ مـحـاسِـنُـه مُقَبَّلٌ بخَفِيِّ اللَّحْظِ مَعْضوضُ[4]

وقوله «معْضوض» بدل من قوله «مقبل»، وهو غيرُه وليس بدل غلَط. وانظره؛ فإنه من سِحر البلاغة.

ومما نحن فيه قول ابن الرُّومِيّ: [م. الكامل]

بَـدرٌ كـأن الـبـدرَ مَـقْـ رونٌ عـلـيـه كَـوكـبُ
عَـذُبـتْ خَـلائِـقُـه فـكـا د مـن الـعُـذوبـةِ يُـشْـرَبُ

ولابن هِنْد في عُود البَخور: [م. الوافر]

رأيـتُ الـعُـودَ مـشـتَـقًّـا مـن الـعُـودِ بـإيـقـانِ

---

(١) الأبيات في الكواكب السائرة عدا البيت الأول: ٣/ ٢٣ .
(٢) الإسْفَنْطُ: المطيّب من عصير الفاكهة أو العنب، أو ضرب من الأشربة، أو أعلى الخمر.
(٣) البحتري: أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي المنبجي الأديب الشاعر الشهير بالبحتري «بضم الباء والتاء»، ولد سنة ٢٠٥، وتوفي سنة ٢٨٤، من تآليفه: الحماسة الطائية، وديوان شعر مشهور، ومعاني الشعر. انظر الفهرست: ٢٧٠، وهدية العارفين: ٢/ ٥٠٠ .
(٤) البيت في ديوانه: ٢/ ١٢١٧ .

Marfat.com

فـــهـــذا طِـــيـــبُ آنـــافٍ وهـــــذا طِـــــيـــــبُ آذانِ

ولابن الْمُعتَزّ في فرس: [الرجز]

يـكـاد لـولا اسْـمُ الإلـه يـصـحَـبُـه تـأكـلُـه عـيـونـنـا وتـشـرَبُـه

وللشَّريف الرَضِيّ: [الخفيف]

فـاتَـنِـي أن أرَى الـدِّيـارَ بـطَـرْفِـي فـلـعَـلِّـي أرى الـدِّيـارَ بـسَـمْـعِـي[1]

ومنه أخذ القاضي الفاضِل قولَه:

مَـثـلَـتْـهُ الـذِّكْـرَى لِـسَـمـعـي كـأنِّـي أتـمـشَّـى هـنـاك بـالأحْـداقِ

وأجاد أيضاً، حيث قال: [البسيط]

الـجـودُ أمْـدَحُ مـمَّـن قـام يـمـدَحُـهُ فـالـنَّـاسُ مـا نَـطَـقُـوا إلاَّ مِـن الـنَّـظَـرِ

وقول ابن خَفاجة المغْرِبيّ الأندَلُسِيّ، وهو مَن رَماهُ الْحَدَق: [المجتث]

وأهْـيَـفٍ قـام يـسْـعَـى والـسُّـكـرُ يـعـطِـفُ قَـدَّهْ

وقـد تـرنَّـح غُـصْـنـاً واخْـمـرَّتِ الـكـاسُ وَرْدَهْ

وألـهـبَ الـسُّـكـرُ خَـدًّا أوْرَى بـه الـوَجْـدُ زَنْـدَهْ

فـكـاد يـشـرَبُ نـفْـسِـي وكِـدتُ أشـرَبُ خَـدَّهْ[2]

ولناصِح الدين الأرَّجَانِيّ: [الخفيف]

ورشَـفْـنـا مُـدامَ نـظـمٍ ونـثـرٍ مـن كـؤوسٍ تُـذاقُ بـالآذانِ

وقلتُ أنا: [الخفيف]

نَـرجِـسُ الـروض قـد زَهـا لِـعُـيـونِـي لا أرَى الـمـشْـيَ فـيـه لـلـطُّـرّاقِ

قـلـتُ لـمَّـا أتـيـتُـهُ لـخـلـيـلـي امْـشِ يـا صـاحِ فـيـه بـالأخْـداقِ

والشيءُ بالشيءِ يذكر، هذا في معنى قولي قديماً مُضمّناً: [الكامل]

يـا صـاحِ إن وافَـيْـتَ روضـةَ نَـرْجِـسٍ إيّـاك فـيـهـا الـمـشْـيَ فـهْـوَ مُـحـرَّمْ

حـاكَـتْ عُـيـونَ مُـعـذِّبِـي بـذُبـولِـهـا ولأجـلِ عـيـنِ ألـفُ عـيـنٍ تُـكـرَمْ

ولصاحب الترجمة من قصيدةٍ، مدح بها العلامة عَلِيًّا الحِنّائِيّ، وعاتبه على قطع مُرتَّب له: [السريع]

إن قـطـعَ الـسَّـيِّـدُ عـن عـبْـدِه مـا كـان قـد رَتَّـب مـن رِفْـدِه

فـالـعـبـدُ لـم يـقـطَـعْ دُعـاءَ لـه رتَّـبـه كـالـجُـزءِ مـن وِرْدِه

ولا ثـنـاءَ حـسَـنـاً نَـشْـرُه كـالـمِـسْـكِ والـعـنْـبـرِ فـي نَـدِّه

---

(١) ديوانه: ١/ ٥٠٠ .

(٢) ديوانه: ٣٥٤ .

Marfat.com

أو كـــريـــاضٍ رَاضَـــهـــا وَابِـــلٌ ... فـــابْـــتـــسَـــمَ الـــيـــانِـــعُ مـــن وَرْدِهِ
وانـــتـــظـــمَـــتْ مـــن نَـــثْـــرِ أزْهَـــارِهـــا ... جـــواهـــرُ الأنْـــداءِ فـــي عِـــقْـــدِهِ
وهْـــوَ غـــنـــيٌّ عـــن ثَـــنـــاءِ امْـــرِىءٍ ... ظـــلَّ كَـــلِـــيـــلَ الـــذِّهـــنِ مـــن فَـــقْـــدِهِ
إذ مـــهَّـــد الـــحـــقُّ لـــه رُتْـــبـــةً ... عـــظـــيـــمـــةً مُـــذْ كـــان فـــي مَـــهْـــدِهِ
ونـــال مـــا شـــاءَ مـــن الـــمـــجـــدِ لا ... بِـــسَـــعْـــيِ إنْـــســـانٍ ولا كَـــدِّهِ
فـــهْـــوَ عَـــلِـــيٌّ لا بـــمَـــدْح الـــوَرَى ... لـــه ولـــكـــن بـــسَـــنَـــا سَـــعْـــدِهِ
وإنـــمـــا أَوْجَـــبَ مـــدْحِـــي لـــه ... تـــتـــابُـــعُ الـــنَّـــعـــمـــاءِ مـــن عِـــنْـــدِهِ
ومـــا حَـــبـــاهُ الـــحـــقُّ ســـبـــحـــانَـــه ... مـــن الـــعُـــلا الـــزائـــدِ عـــن حَـــدِّهِ
والـعـلـمُ والتَّـحـقـيـقُ والـفـهـمُ والـتـ ... ـوفـيـقُ والـتَّـصـديـقُ مـن قَـضـدِهِ
والـشُّـكْـر لـلـمـنـعـمِ فـرضٌ بـه ... يـأمَـنُ ذُو الإيـمـانِ مـن طَـرْدِهِ
وفـيـهِ لاشـكَّ مَـزِيـدٌ لـمـن ... لازَمَـه والـكـلُّ مـن عِـنْـدِهِ
هـذا وإن الـعـبـدَ يـبْـغِـي الـرِّضـا ... فـي قُـرْبِـه الأقْـرَبِ أو بُـعْـدِهِ
ومـالَـه فـي غـيـرِه رَغْـبَـةٌ ... والـعـبـدُ مَـخـمُـولٌ عـلـى قَـصْـدِهِ
ولـيـس ذَا حُـزْنِ لـمـا فـاتَ مِـن ... دُنْـيـاهُ مُـذ سِـيـق إلـى رُشْـدِهِ
سِـيَّـانِ فَـقْـرٌ وغِـنًـى عـنـدَه ... لـمـا هُـو الـمـعـهـودُ مـن زُهْـدِهِ
ومـا تَـصَـدَّى لـصَـدَى آلـةٍ ... قـبـيـحـةٍ تُـفْـضِـي إلـى صَـدِّهِ
سِـوى لُـزومِ الـبـيْـتِ مُـسـتـوحِـشـاً ... مـنَ الـورَى حـتـى ذَوِي وُدِّهِ
مُـشـتـغِـلاً بـالـعـلـمِ مُـسـتـغـرِقـاً ... أوْقـاتَـه فـيـه وفـي سَـرْدِهِ
قـد لـزِمَ الـعُـزْلَ لـكـنـه ... لـصَـخـبِـه بـاقٍ عـلـى عَـهْـدِهِ
أَقْـسَـمَ لا يـبـرَحُ مـن بـيـتِـه ... حـتـى يُـوارَى فـي ثَـرى لَـحْـدِهِ
إن مـات لـم يـتْـرُك لـه دِرهـمـاً ... يـحـوزُه الـوارِثُ مـن بَـعْـدِهِ
ولا أثـاثـاً لا ولا مَـلـبَـسـاً ... يـصـلُـح لـلـبـيْـع سِـوى بُـرْدِهِ
وفَـرْوةٍ جَـرْداءَ مـن عِـتْـقِـهـا ... أضـلاعُـه تَـرعَـدُ مـن بَـرْدِهِ
وطَـيْـلَـسـانٍ خَـلَـقٍ دمـعـهُ ... مـن عِـتْـقِـه يـجْـرِي عـلـى خَـدِّهِ[1]
ولـم يـكـن يـتْـرُك شـيـئـاً إذا ... فـارَقَـه يَـأسَـى عـلـى فَـقْـدِهِ
غـيـرَ بـقـايَـا كُـتُـبٍ رَثَّـةٍ ... أكـثـرُهـا قـد مـات فـي جِـلـدِهِ
يُـبـاعُ فـي تـجْـهِـيـزِه بـعـضُـهـا ... والـبـعـضُ وَقْـفٌ لا عـلـى وُلْـدِهِ
هـذا لَـعـمْـرِي عَـرْضُ حـالـي عـلـى ... مَـن أجـمـعَ الـنَّـاسُ عـلـى حَـمْـدِهِ
لا بـرِحـتْ أعـتـابُـه قِـبـلـةً ... يَـؤُمُّـهـا الـعـافـونَ مـن وَفْـدِهِ

(١) الطَّيْلَسَان: ضرب من الأوسخة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خالٍ من التفصيل والخياطة.

Marfat.com

مـا هَـطَـلَـتْ أُنْـمُـلَـةٌ بـالـنَّـدَى مـن رَاحـةٍ كـالـبـحـرِ فـي مَـدِّهِ

تكملة

في قوله «مستغرقاً» إلخ فوائد:

منها: أن الاسْتِغراق أصل معناه طلبُ الغرَق، ثم استعمله الناس في أخْذِ الشيء وتحْصيله، ومنه قولُ العامة «استغرق في الضَّحك» إذا أطالَه، وهو غلَط، وصوابه في الضَّحك «استغرَب»، لا «اغترب» أيضاً كقول البُحْتُرِيّ: [الكامل]

وضحكْنَ فاغْترَب الأقاحي من نَدًى غَضٌّ وسَلْسالِ الرُّضابِ بَرُودِ[1]

قال الآمِديّ في كتاب «الموازنة» قوله: «اغترب» يريد الضَّحك، والمستعمل «استغرب» في الضحك، إذا اشتدَّ فيه، و«أغرب» أيضاً أخْذاً من غروب الأسنان، وهي أطرافُها، وغَرْب كلِّ شيء: حَدُّه، إذ المعنى امتلأ ضحِكاً. انتهى.

والسَّرد أصله نَسْج الدِّرع، وتتابُع الكلام وتَعْداد الأشياء، والعامة استعارَتْه لتتابُع نُعاس الجالس، وليس بعربيّ، وهو الذي أراد هنا، وهو كقوله: [الطويل]

لـداودَ مـن بَـرْشٍ كـسـاءُ سَـفـاهـةٍ مُطرَّزةٌ من صُفْرةِ الوجْهِ والخدّ[2]
ومازال دِرْعَ الكَيْدِ للصَّحْبِ ناسِجاً ولو ناعِساً أمْسَى يُقدِّر في السَّرْدِ

وقوله: «مات في جلده» استعمال معروف عامّيّ، وجهُ اسْتعمالِه ركيك، والبليغ قولُ العرب للمفْلوج: «سُجِن في جِلْدِهِ»، وحسَّن هذا وصفُ الكتابِ به، كما قال ابن نُباتَة المِصْرِيّ[3]: [السريع]

لـلَّـهِ مـجـمـوعٌ لـه رَوْنَـقٌ كـرَوْنـقِ الـحَـبَّـاتِ فـي عِـقْـدِهـا
كـلُّ تـصـانـيـفِ الـورَى عـنـدَهُ تـمـوتُ لـلـخَـجْـلَـةِ فـي جِـلْـدِهَـا[4]

عوداً على بدءٍ.

ومن شعره أيضاً: [الخفيف]

مـرحـبـاً بـالـحِـمـام سـاعـةَ يـطْـرَا ولـو ابْـتَـزَّ مـنّـي الـعُـمْـر شـطْـرا
حـبَّـذا الإرْتـحـالُ عـن دارِ سُـوءٍ نـحـن فـيـهـا فـي قَـبْـضـةِ الأسْـرِ أسْـرى

---

(١) ديوانه: ٢/ ٦٩٨ .

(٢) برش: اختلف لونه، فكانت فيه نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك فهو أبرش، ويقال: جلدٌ أبرش.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن صالح بن علي بن نباتة جمال الدين أبو بكر الفارقي المعروف بابن نباتة المصري، ولد سنة: ٦٨٦، وتوفي سنة: ٧٦٨، وله من التصانيف الكثير وديوان شعر. انظر هدية العارفين: ٢/ ١٦٤ .

(٤) ديوانه: ١٧١ .

Marfat.com

وإذا ما ارْتحلْتُ يا صاحِ عنها ... لا سقَى الله بعْدِيَ الأرْضَ قَطْرَا[١]

وهذا كقول الأمير أبي فِراس الحَمْدَانِيّ[٢]، من قصيدة له: [الطويل]

أراكَ عَصِيَّ الدَّمْع شِيمتُك الصَّبرُ ... أما للهوى نَهْيٌ عليكَ ولا أمْرُ[٣]

الشاهد منها:

تُعلِّلنِي بالوَعْدِ والموتُ دونَه ... إذا مِتُّ عَطْشاناً فلا نزلَ القَطْرُ

ونحوه قولي في مطلع قصيدة: [السريع]

إن لم تُبرِّد لي الصِّبا غُلَّهْ ... فلا شَفَى اللهُ لها عِلَّهْ

وله أيضاً: [الطويل]

ويُمكِن وصلُ الحَبْلِ من بعد قَطْعِه ... ولكنه يبْقَى به أثَرُ الرَّبْطِ[٤]

وأحسنُ منه قولي في بعض الرَّسائل: «أنت وإن وصَلتَ بعد القطْع حبلَ المودَّة، ففيما بَقِيَ من أثرِ ذلك في القلبِ عُقْدة».

وقلتُ من قصيدة: [المجتث]

يا واصِلِينَ حِبالاً ... كانتْ تَشدّ المَوَدَّهْ

لا تقْطَعوها ببُعْدٍ ... قد غيَّرَ النَّأيُ عَهْدَهْ

فإن تقولوا وَصَلْنَا ... من بُعْدِ ذا القطْع شَدتهْ

يبْقَى وحقِّك فيها ... منْ ذلك القطْعِ عُقْدَهْ[٥]

وهذه الاستعارة معروفة قديماً، وفي حديث العقَبة أن الأنصار قالوا: «إن بيْنَنا وبين القوم حِبالاً، أتُراهم قاطِعِيها» وقد حقَّقه في «الروض الأُنُف».

وكتب للقاضي مَعروف، وقد أهدى له حُلَّة: [الرجز]

مخدومُنا قاضي قُضاةِ مدينتِي ... صَفَدٍ أحقُّ الناسِ بالتَّفْضيلِ

العالمُ الحَبْرُ الذي معروفُهُ ... تُزْرِي زيادتُه ببحْرِ النِّيلِ

أهْدى لنحْوِي من مَخِيط ثيابِه ... جُمَلاً فأغْنَانِي عن التَّفصيلِ

والتَّفصيل في لسان العامة بمعنى قطْع الثِّياب الجديدة، ففيه تَوْرِية، كقول ابن نُبَاتَة المِصْرِيّ: [البسيط]

---

(١) الكواكب السائرة: ٣/ ٢٦ .

(٢) الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدون الحمداني، أبو فراس الشاعر المشهور، ابن عم ناصر الدولة، ولد سنة: ٣٢٠، وتوفي: ٣٥٧، له ديوان شعر. انظر هدية العارفين: ١/ ٢٦٤ .

(٣) ديوانه: ١٥٧، انظر نفحة الريحانة: ١/ ١٠٩ .

(٤) نفحة الريحانة: ١/ ٢٩١ .

(٥) نفحة الريحانة: ١/ ٢٩١-٢٩٢ .

Marfat.com

كم جُملةٍ وَصَلتْ لي من نَداك وكَمْ تَفْصِيلةٍ ألْبَسْتَني أجْمَلَ الحُلَل
حتى لقد غدتِ المُدَّاحُ حائرةً بين التَّفاصيلِ من نُعْماكَ والجُمَلِ[1]

وقوله أيضاً: [البسيط]

قد نكَّسَ الرَّأْسَ أهلُ الكِيميَا خَجلاً وقطَّروا أدْمُعاً من بعد ما سَهِرُوا
إن طالعُوا كُتُباً للدَّرسِ بينهمُ صاروا ملوكاً هم إن جَرَّبُوا افْتقرُوا
تعلَّقوا بحبال الشَّمس من طَمَعٍ وكم فَتًى منهمُ قد غرَّه القَمَرُ

وقوله في أحْدَب: «كان أُتْرُجَّةَ الظُّرفاء، وكُرَةَ اللَّهْو بمَيْدان النُّدماء اللُّطَفاء»[2] وكان أبو الفتْح يكرهه، ولم يعمل فيه بقول البَاخَرْزِيّ: [السريع]

وصانِعِ الدهرَ فكم دولةٍ صاغَتْ من السَّلْحَةِ أُتْرُجَّهْ

فقال فيه: [السريع]

إذا غفرَ اللهَ ذَنْبَ امرىءٍ فلا غُفِرَتْ زَلَّةُ الأحْدَبِ
شديدُ النِّكايةِ مَعْ ضَعْفِهِ قِياساً على إبْرةِ العَقْربِ

ومن ظُرفاء الحُدْبان القاضي الفاضل، وفيه يقول القائل: [السريع]

لِلَّهِ بل للحُسْن أُتْرُجَّةٌ تُذكِّر الناسَ بعهْدِ النَّعيم
كأنها قد جمَّعتْ نفسَها من هَيْبَةِ الفاضلِ عبدِ الرَّحِيم

وعلى نمطِه، وإن لم يكن من بابه قولُ ابن جلنِك لما امتدح القاضي الزَّمَلْكَانيّ فأجازه بخُبْزٍ، فكتب على حائطِ بُستانِه: [الرجز]

لِلَّهِ بُستانٌ حَلَلْنا دَوْحَهُ في روضةٍ قد فَتَّحَتْ أبوابَهَا
والبانُ تحسبَهُ سَنانِيراً رأتْ قاضِي القُضاةِ فنفَشَّتْ أذْنابَها[3]

وهذا نمط عجيب، وقد بلَغنا أن بدرَ الدين بن مالك صنَّف «كراسة» في لطائف هذه المقطوعة، ووُجوه بلاغتِها، ولم أرَها، وهو جَدِير بذلك.

ووَجهُ حُسْنِها أنه قصَد به تَشْبيهَ زَهْر البان، وأدمَج فيه هَجْو القاضي؛ لأن السَّنانير إنما تنفشُ أذْنابَها إذا فَزِعت من الكلاب، فكأنه قال: إنها ظَنَّته كلباً، ونحوه ما مرَّ في القاضي الفاضل، والإيماء لُحدْبتِه.

وهذا النَّوع يُشبِه المدحَ بما يُشبِه الذَّمّ، وعكسَه، ففي صريحِه تشْبيه لطيفٌ، كنَى به عن هَجْوٍ قبيحٍ، وليست بلاغتُه من جَعْل التَّشبيه كنايةً عن معنى آخر؛ فإنه صرِيح، كما

---

(١) ديوانه: ٤١٧ .
(٢) الأُتْرُجَّةُ: واحدة نوع من الثمار الحمضيات، جميل المنظر، طيب الطعم والنكهة، لين الملمس، كثير المنافع.
(٣) فوات الوفيات: ١/ ٢٣ .

Marfat.com

حقَّقه السَّيِّد في فن البيان، بل لأمور قصدَها، وليس هذا محلُّ تفصيلها، فإن أردْتَها فانْظُر كتابَنا «حديقة السحر».

وله أيضاً يُذكِّر مَن وعَده بتَاسُومة، وهي نعل معروف كالمَدَاس: [الخفيف]

رُبَّ تَـاسُـومـةٍ بـهـا قـدْ وُعِـدْنـا ... فـإذا قُـربُـهـا مـن الـنَّـجـمِ أبْـعَـدْ
رَبِّ يَـسِّـرْ حـصـولَـهـا لـمـحِـبٍّ ... عَـلَّـهُ لِـلـكـمـال يَـرقَـى ويَـضْـعَـدْ
عـمـلاً فـي الـورَى بـقـوْلِ حـكـيـم ... ضَـع مكـانَ الـسَّـعـيـدِ رِجْـلَـك تَـسْـعَـدْ

وهذا مثل مشهور، بمعنى قول عليٍّ رضي الله تعالى عنه: «صاحِبْ مَن أقبلَ جَدُّه تَسْعدْ».

وقد قلتُ في مثالِ نعْلِه صلى الله عليه وسلم: [الكامل]

لـمِـثـالِ الـنَّـعْـلِ الـشَّـريـفِ لِـطـه ... شَـرفٌ قـدرُه مـن الـنَّـجـم أبْـعَـدْ
وسـمِـعـنـا الأمـثـالَ قـالـتْ قـديـمـاً ... ضَـع مكـانَ السَّعِيدِ رِجْـلَـك تَـسْـعَـدْ
وسـعـيـدٌ مَـن كـان مـن قَـبْـل هـذا ... أو عـلـيْـهِ قـد مـرَّغ الـوَجْـهَ والْـخَـدّ

وما أحق هذا أن يُنشَد له قولُ أبي العَتَاهِيَة: [السريع]

نَـعْـلٌ بَـعَـثْـتُ بـهـا لـتَـلْـبَـسَـهـا ... قَـدمٌ بـهـا تَـسْـعَـى إلـى الـمـجْـدِ
لـو كـان يـصـلُـح أن أُشَـرِّكَـهـا ... خَـدِّي جـعـلـتُ شِـراكَـهـا خَـدِّي[1]

ولابن هَانِىء الأنْدَلُسِيّ[2] في قَبْقاب وهو نعل يُصنَع من الخشب، وهو مُحْدَث بعد العصر الأول، ولفظهُ مولَّد أيضاً، لم يُسْمَع من العرب كما قاله الأزهَرِيّ[3]: [الخفيف]

كـنـتُ غُـضْـنـاً بـيـن الـريـاض رطِـيـبـاً ... مـائـسَ الـعِـطْـفِ مـن غِـنـاءِ الـحَـمـامِ
صِـرْتُ أحْـكِـي عِـداكَ فـي الـذُّلِّ إذ صِـرْ ... تُ بـــرَغْـــمِـــي أُداسُ بـــالأقْـــدامِ

وله يذكُر معاهِد نِيطَتْ بها تمائِمُه، وغَرَّدت على أغصانِ شبابه حَمائمُهُ، يندُب إخوانَه، وينْعَى أوْطارَه وأوْطانَه: [الطويل]

سَلُوا البَارِقَ النَّجْدِيَّ عن سُحْبِ أجْفاني ... وعـمَّـا بـقـلْـبـي مـن لَـواعِـج نِـيـرانـي
ولا تسألُوا غيرَ الصَّبا عن صَبابتي ... وشِـدَّةِ أشْـواقِـي إلـيـكـمْ وأشْـجـانِـي
فـمـا لِـي سِـواهَـا مِـن رسـولٍ إلـيـكـمُ ... سريعِ السُّرَى في سَيْرِه ليس بالوَانِي
فيَا طالَ بالأسْحارِ ما قد تكلَّفَتْ ... بـإنْـعَـاشِ مـحـزونٍ وإيـقـاظِ وَسْـنـانِ
وتـنْـفـيـسِ كَـرْبٍ عـن كَـئِـيـبٍ مُـتَـيَّـمٍ ... يـحِـنُّ إلـى أهـلٍ ويـصْـبُـو لأوْطـانِ

---

(١) ديوانه: ٣٥٧ .
(٢) ابن هانئ الأندلسي: محمد بن علي بن هاني الأزدي، أبو القاسم البستي الأندلسي الشاعر، المتوفى سنة: ٣٦٢، صنّف تاريخ الأندلس، وديوان شعره مشهور. انظر هدية العارفين: ٢/ ٤٧ .
(٣) الزاهري في اللسان (ق ب ب).

Marfat.com

فالِلَّهِ ما أَزْكَى شَذَا نَسْمةِ الصَّبا صباحاً إذا مرت على الرَّنْدِ والْبَانِ
فكم نحوكُمْ حمَّلْتُها من رسالةٍ مُدوَّنةٍ في شرحِ حالي ووِجْدانِي
وناشَدْتُها باللهِ إلا تفضَّلتْ لتبْليغِ أحْبابيَ السَّلامَ وجِيرانِي

وقد نَحَا نَحْو قول ابن مَلِيك الْحَمَوِيّ[1] في قصيدةٍ له: [الطويل]

سَلُوا فاترَ الأجْفان عن كبدِي الحَرَّى وعن دُرِّ أجْفانِي سَلُوا العِقْد والنَّحْرَا
مَليحٌ إذا ما رُمْتُ عنه تصبُّراً يقول الهوى لن تسْتطِيعَ مَعِي صَبْرا

وهذا الشاعر، وإن لم يكن من أهل العصر، فإنه قريب العهد، فينْبغي ذكرُه هنا، فنقول: هو:

٢٤- علاء الدِّين بن مَليك الْحَمَويّ

هذا شاعر حَماة، ومن كَلأَ سَرْحَ الأدب بها وحَماه.

رآه ابو الفتح المالِكي[2]، وقد رَقى شرفَ عِلْمِه وسَما، وهو بحانوتٍ له يبيعُ الأقْسما، وأقلامُه قُضُب على جَداوِل الطُّروس ميَّالة، أسبلَ على وجْهِ دَوْحِها الزَّاهِي ظِلالَه، بل لواءٌ على مَلِكِ الكلام، أو عمودٌ نُصِب عليه من السِّحر خِيام، وهو يخْلِب الأسْماعَ بسِحْرِه، ويُريق حلوَ مائِه على صِناعة شَعْرِه.

ثم رفعَتْه حِرفةُ الأدب عن حَضِيض دُكَّانِه، إلى أن صار ملك الأدب بديوانِه، فنادى لسانُ قَرِيضِه النَّظيم: ما هذا مَلِيك بل مَلَك كريم.

وقد وقفتُ على «ديوانه» فجَنَيْتُ من ثَمراتِ حُسْنِه وإحْسانه، قولَه من قصيدةٍ له: [الكامل]

ذُكِرَ الغَضا فَحَنَتْ عليه أضْلُعِي وبكَى العَقِيقُ فساقَطتْه أدْمُعِي
لِلَّهِ دَرُّ دُموعِ عيْنِي إنها وقعَتْ مِن الأجْفانِ أحْسنَ مَوْقِع
مَن لي بقَلْبي يومَ كَاظِمةٍ وقد ودَّعْتُهم لو خَلَّفوا قلبي مَعي
رحَلوا فكان القلبُ أوَّلَ راحلٍ والصَّبرُ آخِرَ ظاعنٍ ومُودِّعِ[3]

وقوله من أخرى: [السريع]

---

(١) ترجمته في الصفحة التالية، انظر ديوان: ٦٧ .

٢٤- ابن مليك الحموي: علي بن محمد بن مليك الحموي، علاء الدين الفقاعي ثم الدمشقي الحنفي الأديب المتوفى سنة: ٩١٧، له ديوان شعر سماه: النفحات الأدبية من الرياض الحموية. انظر هدية العارفين: ١/ ٧٤١ .

(٢) توفي أبو الفتح المالكي سنة ٩٧٥، أي عندما توفي ابن مليك، كان عمر أبي الفتح سنوات؟.

(٣) ديوانه: ٩ .

Marfat.com

طِـرازُ ذاك الـعِـذارِ مـن رَقَـمَـهْ ... ودُرُّ دَمْـعِـي بـفِـيـهِ مـن نَـظَـمَـهْ
وخـالُـه فـوق كَـنْـزِ مَـبْـسَـمِـهِ ... بـالـمِسْكِ قُفْلاً عـليه من خَتَمَهْ
مَـن لـي بـه ظـالـمَ الـجُـفـونِ سَطَا ... ظُـلْـماً عـلى صَبِّهِ ومـا رَحِـمَـهْ[1]

وقوله من أخرى: [المديد]

يـا بـريـقـاً بـالـحِـمَـى قـد لَـمَـعَـا ... حَـيِّ عـنِّـي الـبـانَ والأَثْـلَ مَـعَـا
فـبـذاك الـحَـيِّ لـي غُـصْـنُ نَـقـاً ... طـائـرُ الـقـلـبِ عـلـيـه وَقَـعَـا
يـا لَـه مـن غُـصـنِ بَـانٍ يـانِـعٍ ... صـادِحُ الْـحَـلْـي عـلـيـه سَـجَـعَـا[2]

وقوله من أخرى: [المديد]

أحْيَا الرَّبيعُ الأرضَ بعد مماتِهَا ... وحَلاَ بسَكْبِ القطرِ عُودُ نباتِهَا
والزَّهرُ قد ألْقَى النَّثارَ كأنَّما ... أدَّتْ كنوزُ الأرضِ بعضَ زَكاتِهَا
وحكَتْ جداوِلُها خَلاخِيلاً وقد ... أضْحَى خَرِيرُ الماءِ من رَنَّاتِها[3]

وقوله من أخرى: [الكامل]

سُقْياً لأرضٍ بعد كَوْثَرِ مائِها ... ما اشْتاقَ قلبي للموارِدِ مَنْهَلاَ
لولاَ بقايَاهُ وحَقِّك في فمِي ... ما قلتُ شِعراً في المسامِعِ قد حَلاَ[4]

وهذا من قول بلدِّيه ابن حِجَّة[5] من قصيدة: [الطويل]

ولولاَ بقايَا طُعْمِهم في مَذاقَتِي ... لما ظَهَرَتْ هذِي الحَلاوةُ في شِعْرِي

ومن نُتَف له: [البسيط]

مدَحتُكُم طَمعاً فيما أُؤَمِّلُه ... فلم أَنَلْ غيرَ حمْل الإثْم والنَّصَب
إن لم تكنْ صِلَةٌ منكُمْ لذِي أدَبٍ ... فأُجْرَةُ الخَطِّ أو كَفَّارةُ الكَذِبِ[6]

وقوله أيضاً: [البسيط]

لا تعجَبُوا من صديقٍ كنتُ أمْدَحُهُ ... وقد هَجَانِي وما في ذاك مِن عَجَبِ
بل اعْجبُوا من ذَكاءٍ فيه كيفَ دَرَى ... أني كذَبْتُ فجازاني على الكذِبِ

وقوله أيضاً: [المتقارب]

يـكـادُ لـرِقَّـةِ أغـطـافِـه ... مـن الـلِّـيـنِ يُـعْـقَـد لـوْلاَ الـكَـفَـلْ

---

(١) ديوانه: ٩٢ .
(٢) ديوانه: ٤٠ .
(٣) ديوانه: ٥١ .
(٤) ديوانه: ١١٨ .
(٥) ابن حجة الحموي: علي بن عبد الله تقي الدين أبو بكر الحموي الأديب الحنفي الشهير بابن حجّة بكسر الحاء، ولد سنة ٧٦٧، وتوفي سنة: ٨٣٧، من تصانيفه: أمان الخائفين من أمة سيد المرسلين، وبلوغ الأمل في فن الزجل، وثبوت الحجة، وله كثير غيرها بالإضافة إلى ديوانه. انظر هدية العارفين: ١/ ٧٣١ .
(٦) ديوانه: ١٣٠ .

Marfat.com

فـإن قـيـل بـدرٌ فـقُـلْ عـبْـدُه وإن قيل شمسُ الضُحَى قل أجَلْ

ونحوه قول ابن حَجَر: [المتقارب]

حـبـيـبـيَ لا تـحـتَـفِـلْ بـالـعَـذَلْ وصِـلْ مُـغـرَمـاً لـلـضَّـنَـا قـد وَصَـلْ
وحَـقِّـك إن الـعَـذُولَ الأقَـلّ وأنْـتَ الـحـيـاةُ وأنـتَ الأجَـلْ

ومن قصيدة له: [الطويل]

وفوقَ ظُهورِ الخيْلِ ماتُوا فأصْبَحوا وفي كلِّ سَرْج فوقَها لهُمُ قَبْرُ

وقد تواردَ في هذا المعنى مع ابن حِجَّة، في قوله من قصيدةٍ، وكنت لما طالعتُ في «ديوانه» لم أرَ له معنًى ابتكرَه غيرَه وهو: [الكامل]

ماتُوا على تِلك السُروجِ مخافةً فكأنَّ هاتِيكَ السُروجَ مَقابِرُ

وهو تشبيهٌ لطيف؛ لأن هيئة دَفَّتَي السَّرج، كهيئةِ جانِبَي القبر المصنوع من الحِجارة في هذا الزمان. وقد سَبق إليه ابن نُبَاتَةَ، في مَرثِيَّة له: [الطويل]

وما الناسُ إلا راحلٌ بعد راحلٍ إذا ما انْقَضَى عصرٌ مضَى بعدَه عَصْرُ
تَبدَّتْ لدَى البَيْدا مطايَا قُبورِهِمْ ليعلم أهلُ العقلِ أنَّهمُ سَفْرُ[1]

ثم رأيتُه في أشعار المتقدِّمين، لكن هذَّبه، فإن أبا نُواس قال في قصيدته، التي أولها: [الطويل]

أجارةَ بيْتَيْنا أبوكِ غَيورُ ومَيْسورُ ما يُرْجَى لدَيْكِ عَسِيرُ[2]

ومنها:

إليكَ أتَتْ بالقوْمِ هُوجٌ كأنَّما جَماجِمُها تحت الرِّحالِ قُبورُ[3]

قال الصُولِيّ: أي إبِلٌ كأن بها هُوجاً لناشطٍ في سَيْرِها، وهذا التَّشبيه بالقبر حسَن، لكنه أخذَه من قول الوليد: [البسيط]

كأنَّ هاماتِها قبْرٌ على شَرفٍ يُمُدُّ للسَّيْرِ أوْصالاً وأضْلابَا

انتهى.

وها هنا أمرٌ نفيس، ينبغي الإصْغاء له، لأن الجماجِم الرؤُوس، ولو شَبَّه أسْنِمَتَها أو الرِّحال التي عليها بالقبور، لكَان مِن المعاني التي لا نَظِيرَ لها. فاسْتِحْسان الصُولِيّ ليس بحسن، وكأن المتأخِّرين إذ كانوا رأَوْه تنبَّهوا لهذا، وهذا من حُسْن الظَّنّ بالسَّلف، وإلا فللْمقال مجَال.

فإذا فطِنْتَ لما قُلناه، وفهِمتَه علمتَ أن هذا كلَّه لا يصل في الحُسن إلى درجةٍ من درجات قولي، من قصيدةٍ لي: [الطويل]

(١و٢) ديوانه: ٤٨٠.
(٣) ديوانه: ٤٨٢، والهوج: جمع هوجاء: الناقة المسرعة.

Marfat.com

إذا جئتُ داراً قبل لُقيايَ أهلِها ... ألاقِي قُبوراً للكرام أُولِي المجدِ
عليْها لقد حطُّوا رِحالاً بمنْزِلٍ ... وكم هَوْدجٍ من بينهاَ مُرتَخِي الشَّدِّ
ليِنْتَظِرُوا مَن خَلَّفوه بدُورِهم ... ليلْحَقَهم قبلَ القِيام بلا جَهْدِ
يقولون جِدُّوا في الرَّحيلِ فإن مَن ... تَبقَّى أُناسٌ أُرضِعُوا اللُّؤمَ في الْمَهْدِ

وقولي: «قبل لقياي» إلخ، إشارة إلى أن قبور كلِّ بلدة خارجُها، فكل قادمٍ لا بد أن يُلاقِيَها أوّلاً.

وإلى هذا المعنى أشار القاضي الفاضلُ في قوله: [م. الكامل]

المُذْنُ إن رَجع المُسا ... فِر أو إذا خرجَ المُسافِرْ
ما استَقْبَلَتْه وَوَدَّعتـ ... ـهُ بغيرِ هاتِيكَ المقابِرْ

٢٥- القاضي مُحِبُّ الدين بن تَقِيّ الدين الْحَمَوِيّ

نزيل الشام، وشَامةُ مَن بها من الوجوه والأعلام، ذو كمالٍ وأدب، ومجدٍ تَناولَه عن كَثَب، فكان غُرَّة مَن نظَم ونثَر، وكتَب وشعَر، إذا حلَّ بنَادٍ تهلَّل صَدرُه وانْشَرح، وتزيَّنَتْ بدُرَرِ كلماتِه عُقودُ المُلَح، وترنَّمت أطيارُها، وتفتَّحت بنسيم خُلُقِه أنْوارُها، بمُحاوراتٍ له تخْمَرُّ خدودُ الكاساتِ منها خَجَلاً، وتفْتح أزهارُ الخمائلِ لها آذاناً ومُقَلاً.

إلا أنَّه وافَى رياضَها عشِيَّة، فحيَّتْه مِن أنفاسِها بألطفِ تحيَّة، فحَمدها وشَكرَ، بما طار بين سَمْعِ الأرض والبَصَر.

ومن شعره قولُه في الشام: [الطويل]

أتَيْنَا فسلَّمْنا عليها عَشِيَّةً ... فغنَّى لنا فيها الحَمامُ وحَيَّانَا
وابْدَى لنا ثَغْرُ الأقاحِي تبسُّماً ... وأحْسنَ مَلْقانَا وأكرَم مثْوانَا
وما هِيَ إلا جَنَّةٌ قد تَزَخْرَفَتْ ... ألَم تَرَ فيها العينَ حُوراً وولْدانَا
ومن تحتِها الأنْهارُ تجرِي وكلُّها ... عيونٌ إلى الرَّوضاتِ تُرسِلُ غُدْرانَا

ومن فصلٍ له:

«يقبِّل الأرضَ بعد دُعاءٍ تُرَصَّع في تِيجانِ الإجابة دُرَرُه، وتَضَرُّعٍ تَقِف في ديوان الإخلاص فِقَرُه».

٢٥- محب الدين الحموي: محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق الملقب محب الدين بن تقي الدين أبو الفضل العلواني الحموي الدمشقي الحنفي جدّ المحبي مؤلف الخلاصة، ألف الكثير، منها: حواشيه على التفسير والهداية، والدرر والغرر، ومنظومة في الفقه، وله شرح شواهد الكشاف، وله السهم المعترض والردّ على من فجر، ولد سنة ٩٤٩ وتوفي ١٠١٦، ودفن في دمشق. انظر خلاصة الأثر: ٣/ ٣٢٢-٣٣١ .

Marfat.com

ومما وقفتُ عليه من آثارِه «شرح شواهد التفسير» وهو كتاب حسَن، لكنه لم يُشْبع فيه الكلام[1].

٢٦- شهاب الدين الكَنْعَانِيُّ الشَّامِيّ

شاعرٌ عَصْرِيّ، لم أقِف له إلا على ما أنشدَه شيخُنا العِنَايَاتِيّ، من قوله: [السريع]

يحسَبُ كلَّ النَّاسِ أمْثالَه ... مَن باتَ في مَهْدِ نَعِيم وَطِي
أما تَرى الشَّبعانَ يا سيِّدي ... يَفُتُّ للجيعانَ فَتّاً بَطِي

وهذا مثَل عامِّيّ، من أمثال العوام، تضْرِبه للمُتَرفِّه الذي لا يعرِف حال مَن كان في بُؤس وشِدة، فيَظنُّه مثلَه.

ولفظ «الجيعان» أنكره أهل اللغة وقالوا: المسموع فيه جائِع وجَوْعان؛ لكن الأمثال لا تُغَيَّر.

٢٧- معروف الشَّامِيّ

هو ممَّن اتَّسم بالأدب في الحديث والقديم، وسَرَى ذكرُه كما سَرَى من الرياض النَّسيم، فسَمَتْ مقاصِدُه، وعَذُبَتْ مصادِرُه موارِدُه، فليس للرَّبيع نَضارةُ تلك الشِّيَم، ولا للغيْثِ شِيَمُ ذلك الكرَم، فرَوْضَةُ مآثِره يانعة الزَّهْر، ونُسخةُ محاسِنِه مُخلَّدةٌ في صحائفِ الدَّهْرِ.

لازال جَدَثُه روضةً من رياض الجِنان، ومَنزِلاً تحُلُّ فيه قوافلُ الغُفْران، ما بكَى المطَرُ لفِراقِ الغَمام، فضحِك النَّوْرُ على بُكائِه في الأكْمام.

فمما أنشدتُ له قوله: [الكامل]

يا مُفرَداً أضْحَتْ ظواهرُ شأنِهِ ... ما فوقَها في الحُسْنِ غيرُ المَخْبَرِ
يا سالباً قلبي الشَّجِيَّ وما اشْتَكى ... منه الجفاءَ إلى السَّميع المبْصِرِ
مِنِّي إليكَ مع النَّسِيمِ تحيَّةً ... فتَقتْ نوافِجَها بمِسْكِ أذْفَرِ
مِن مَنْطِقٍ يزهُو بحسنِ بَرَاعةٍ ... تُزْرِي حلاوتُه بطَعْم السُّكَّرِ
فكأنَّها وكأنَّه وكأنَّها ... من جَوْهرٍ في جَوْهَرٍ في جَوْهرِ
يُبْدِي التَّداخلَ في الجواهرِ عَنْوةً ... لبَصيرةِ المِقْدامِ لا المُتَحَيِّرِ

---

(١) انظر الخلاصة: ٣/ ٣٢٢.
٢٦- لم أعثر على ترجمة له.
٢٧- لم أعثر على ترجمة له.

Marfat.com

فـكـأنّـمـا قِـرْطـاسُـهـا أسـرارُنـا والـبَـيْـنُ بـيـنـهـمـا سَـوادُ الأسْـطُـرِ
أرجُـو عـلـى قُـرْبِ الـمَـزَارِ يُـقـرِّب الْـ ـبـارِي تـعـالـى مَـوْرِدي مـن مَـصْـدَرِي
فـي ذلـك الشَّـرفِ الـمُـعَلّى الـمُـنتهى طـربُ الـمـشُـوقِ وجَـنّـة الـمُـتَـذَكِّـرِ

ونُقِل لي عنه فصلٌ في كَحّال، صورته:

فلان انْتَهى إلى فوق ما يُضرَب به المثَل، إن قيل يَسْرِق الكُحْلَ من العَيْن، فهذا يسرِق العيْنَ من الكُحْل، فقد أوْدَع كُحلَه حُزْنَ يعقوب، فمن كُحِل منه ابْيَضّت عيْناه، وجحَد مُعجزةَ القميص اليُوسُفِيّ، فلو مَرُّوا به على ناظرٍ تقرَّح جَفْناه، وهو من الذين إذا رَفَعوا أمْيالَهم فإنما هي لعَيْن الشمسِ، ولشَمْس العَيْن مِزْوَلة، وإذا أوْلَج أحدُهم المِيلَ في المُكْحُلَة، فهو أولى بالرَّجم ممَّن أوْلَج المِيل في المُكْحُلة. انتهى.

وأنا أظنُّ أن هذا من كلام القاضي الفاضل.

ومن هذا قولُ مِهْيَار[1]، في طبيب كَحّال: [الكامل]

أفْـنَـى وأعْـمَـى ذا الـطـبـيـبُ بـطِـبِّـه وبـكُـحْـلِـه الأحْـيـاءَ والـبُـصَـراءَ
فـإذا نـظَـرتَ رأيـتَ مـن عُـمْـيـانِـه أُمـمـاً عـلـى أمْـواتِـه قُـرَّاءَ

ومنه أخذ الزغاري قوله: [م. الكامل]

أعْـمَـى الـورَى بـكِـحـالِـه والـمـوتُ مـن وَصـفـاتِـهِ
فـكـثـيـرُ مـن عُـمْـيـانِـهِ يـقـعـرَا عـلـى أمْـواتِـهِ

وإنما خَصُّوا العُميان بالقراءة؛ لأنهم معروفون بكثرة الحِفظ، وقد قيل: إنه ما أخذَ اللهُ من عبدِه حاسَّةً إلا نقَل قُوَّتَها لغيرِها.

ولابن عُنَين[2]: [الكامل]

لـو أنَّ طُـلاَّبَ الـمـطـالـبِ عـنـدهُـمْ عِـلْـمٌ بـأنَّـكَ لـلـعُـيـونِ تُـغَـوِّرُ
لأتَـوْا إلـيـكَ بـكـلِّ مـا أمَّـلْـتَـه مـنـهُـم وكـان لـك الـجـزاءُ الأوْفـرُ
ودعَـوْكَ بـالـصَّـبَّـاغ لـمَّـا أن رأَوْا يـغْـشَـى الـعُـيُـونَ لـديْـك مـاءٌ أصْـفَـرُ
وبكِفِّك الـمِـيلُ الـذي يَـحْـكِـي عَـصَـا مُـوسَـى فـكـم عـيـنٍ بـه تَـتَـفَـجَّـرُ[3]

---

(١) مهيار: أبو الحسين مهيار بن مرزويه الديلمي الفارسي الكاتب ببغداد، الشهير بالديلمي، كان مجوسياً ثم أسلم على يد الشريف الرضي، توفي سنة ٤٢٨، له ديوان شعر مشهور. انظر هدية العارفين: ٢/ ٤٨٥، والأعلام: ٧/ ٣١٧ .

(٢) ابن عنين: محمد بن نصير الدين بن نصر بن الحسين بن عُنَيْن، شرف الدين أبو المحاسن، كوفي الأصل دمشقي المولد، كان أديباً شاعراً، تولى الوزارة بدمشق، ولد سنة ٥٤٩، وتوفي بها سنة: ٦٣٠، له تاريخ العزيزي، ومقراض الأعراض في الأهاجي، وديوان شعر. انظر هدية العارفين: ٢/ ١١٣، والأعلام ٧/ ١٢٥ .

(٣) ديوانه: ٢٤٠ .

Marfat.com

ولمحمد بن الأكْفَانِيّ[1]: [الكامل]

ولقد عجبْتُ لِمَن أتَى بالكِيميَا ... في كُحْلِه إذ جاءَ بالشَّنْعاءِ
يُلْقِي على العينِ النُّحاسَ يُحِيلُها ... في لَمْحةٍ كالفِضَّةِ البَيْضاءِ

وأحسن منه قولي: [الخفيف]

كُحْلُ كَحَّالِنا غدًا إكْسِيرَا ... منه قد عَلَّم الوَرَى الكِيميَاءَ
فَحَدِيدُ الأبصارِ يُلْقَى عليه ... عاد في الحالِ فِضَّةً بَيْضاءَ

٢٨- نجم الدين بن معروف

أديب إذا نظَم حرَّك الهوى، وقال الشِّعر: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢]، فقد سلَك سبيلَ الرَّغائب، واهْتدَى بأعْلام المناقِب، فهو نَجْم بزَغ من سماء الكرَم، وشمس اهْتَدَتْ بأنوارِه سَراةُ الأُمَم.

تقلَّد سيفَ الإمارَة، فلاحَتْ عليه من السَّعادةِ كلُّ أمارَة، فللَّهِ نجمُه الثَّاقب برِفْعتِه لدُرِّيِّ الكواكب.

فمن أنوارِه السَّاطعة من مَشْرِقَ فِيهِ، ما كتبَه للقاضي أبي الفتْح يسْتَدعيه: [الكامل]

يا أيُّها المولَى الذي فُتِحَتْ له ... فَيْضاً خزائنُ كلِّ عِلْمٍ مُغْلَقِ
ووُفودُ أرْبابِ الفُنونِ تعبَّدُوا ... بوَلاهُ إذ هُوَ ربُّ فَضْلٍ مُطْلَقِ
وإذا أتاهُ الفاضلون بجُملةٍ ... من فضْلِهم لاقاهُمُ في فَيْلَقِ
العبدُ يرغَبُ أن تُشَرِّفَ بيتَه ... ليصيرَ أفضلَ بُقْعةٍ في جِلْقِ
لازلْتَ يا زَيْنَ الوجودِ مُمتَّعاً ... بعوارِفٍ منها المعارفُ تَسْتَقِي

فأجابه: [الكامل]

يا ماجداً نحوَ العُلا لم يُسْبَقِ ... ومُهذَّباً حازَ الكمالَ بجِلْقِ
لبَّيْكَ من مولًى بفَضْلٍ داعياً ... لِمُحبِّهِ بل عبْدِه المُتملِّقِ
وافَتْ بدائعُ نظمِه تحْكِي عُقو ... دَ الدُّرِّ في سِلْكِ البيانِ المُونِقِ
تدعو لحضْرتِه البديعُ صفاتُها ... ببلاغةٍ فاقَتْ بأفصح مَنْطِقِ
سَعْياً على الأحْداقِ نحوَ كمالِه ... وجمالِهِ المُتوقِّدِ المتألِّقِ

---

(١) ابن الأكفاني: محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، شمس الدين أبو الجود السنجاري ثم المصري الطبيب المعروف بابن الأكفاني المتوفى سنة: ٧٤٩، من تصانيفه: إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، وغنية اللبيب فيما يستعمل عند غيبة الطبيب، واللباب في علم الحساب، وغيرهم. انظر هدية العارفين: ٢/ ١٥٥ .

٢٨- لم أعثر على ترجمة له.

Marfat.com

نحوَ الفضائلِ والفَواضلِ والثَّنا نحوَ المكارمِ والنَّدى المُتَدَفِّقِ
لازِلْتَ مَحرُوسَ الجَنابِ مُمتِّعاً بلِقائِك الفُضلاءَ دُون تَفرُّقِ
ما لاحَ نَجْمٌ في الدُّجُنَّةِ ثاقِبٌ أو فاحَتِ الرَّوْضاتُ لِلْمُسْتَنْشِقِ

٢٩- محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشْنُوق

شاعر رأيتُه، وله شِعر لم يُثابِر على تهْذيبهِ، فهو وَساوِس لفِكْرةٍ تَهْذِي به.

وقد أنشد قصيدةً سماها لاميَّة الروم، منها: [البسيط]

حتى مَ أنظِمُ من دَمْعي ومن غَزَلِي أدِلَّةً وحبيبُ القلبِ مُعْتَزِلِي
يرَى خُلودِيَ في نارِ الصُّدودِ فهَلْ فسَقْتُ حين جَعَلْتُ العِشْقَ من عَمَلِي

٣٠- فتْح الله بن بدر الدين محمود البَيْلُونِيّ الْحَلَبِيّ

أديب فاضل، له طُرَف ومُلَح وشِعر، سَمح طبعُه منه بما سَنح، وله مجلِس من مجالس القُصَّاص والنُّصَّاح، ينادِي به كلَّ طالبِ حيَّ على الفلاح.

رأيتهُ وقد قدِم الروم بصحبة الوزير نَصُوح، وشمسُ فضلِه من أُفُق معاليه تَلُوح، فانقطع عن الاخْتِلاط، وربَّما حرك السُّكون رَدِيءَ الأخْلاط.

وله شِعر وشُعور، هما من خيرِ الأمور، كقوله: [الطويل]

يقولون نَافِقْ أو فَوافِقْ مُرافِقاً على مثلِ ذا في العصْرِ كلٌّ لقد دَرَجْ
فقلتُ وأمرٌ ثالثٌ وهْوَ قولُ أو ففارِقْ وهذا الأمرُ أسلَمُ للحَرَجْ(١)

وقوله في بعض منازِل الحج، المسمى بأكْرَه، ويقال لها أكرى بالقصر أيضاً: [الطويل]

تعفَّفْتُ عن زَادِ الرَّقيقِ ومائِهِ وسِرْتُ لبيْتِ اللهِ أُهْدِي له شُكْرَهْ
ووَفَّرتُ ما عندي احتِرازاً وإنَّنِي لِصَوْنِيَ ماءَ الوجْهِ لم أرَ ما أكْرَهْ

ومن أمثاله المُرْسَلة: [الخفيف]

رُبَّ داءٍ أضـــرُّ مـــنـــه الـــدَّواءُ

٢٩- لم أعثر على ترجمة له.

٣٠- البيلوني: فتح الله بن محمود بن محمد بن محمد بن الحسن العمري الأنصاري الشافعي الحلبي المعروف بالبيلوني، ولد سنة ٩٧٧، وتوفي سنة ١٠٤٢، تولى إفتاء الشافعية بالقدس، وهو من المكثرين في الرحلة، ألف كثيراً من التأليف منها: حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، وخلاصة ما يعوّل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء الطاعون، وله مجاميع اشتملت على تعاليق غريبة. انظر خلاصة الأثر: ٣/ ٢٥٤، وهدية العارفين: ١/ ٨١٥، وإعلام النبلاء: ٦/ ٢٣٩.

(١) في خلاصة الأثر عند هذين البيتين قال المحبي: «وقوله وينسبان لفتح الله بن النحاس، والصواب أنهما لفتح الله هذا» انتهى. ٣/ ٢٥٦.

Marfat.com

ومنه: [البسيط]

إذا ابتُلِيتَ بسُلطانٍ يرَى حسَناً عبادَةَ العِجْلِ قدِّمْ نحوَه العَلَفَا[1]

وقوله: [الخفيف]

أنتَ كالمُنْخُل الذي صار يُلْقي الصَّـ ـفْوَ للنَّاسِ مُمْسِكاً للنُّخَالَهْ

وهذا مما وقع معناه في بعض الكتب الإلهية، كما نقله الإمام الرَّازِيّ.

وقد كنتُ قلتُ فيه: [م. الكامل]

الدَّهرُ كالغِرْبالِ في خَفْضٍ ورَفْعٍ لا مَحَالَهْ
إن حَطَّ لُبَّ لُبابِهِ رفَعَ الخُثَالَةَ والنُّخَالَهْ

والبَيْلُونِيّ، لقبُ جدٍّ له، وهو نسبة للبَيْلون، وهو طين أصفر، تسمِّيه أهلُ مِصْر طَفْلاً. انتهى.

٣١- القاضي ظهير الدين الحَلبيّ

أديبٌ وِرْدُه مَعِين، وإثْمِد مِدادِه مما تَكْتحِل بهِ عُيونُ اليقِين.

صَحِبْتُه بالروم، فكان لي منه ظَهِير ومُعِين، فاقتطفَ سَمْعِي جَنَى أزْهاره، لما جَلا عليَّ نتائجَ أفكارِه، فرأيتُ كُبْراها وصُغْراها في الحدِّ الأوْسَط، ومنها ما هو عن رُتْبة الإنتاج مُنْحَطّ.

فمن غَضِّ ثَمَرَاتِه، ويانِع زهراتِه، قولُه من قصيدةٍ نَبويّة: [الطويل]

نَسيمُ الصَّبا من حاجِرٍ ونواحِيهِ سَرَتْ فأزالَتْ صَبْرَنا عن صَياصِيه
ومِن بَارقٍ شَامَ المُتَيَّمُ بارِقاً بَدا فتدَاعى شوقُه من أقاصِيه
ومِن ذِكْرِ أيام العُذَيب تكدَّرَتْ مشاربُ صَبٍّ ضلَّ عنه مُناجِيه
إذا قَفَلَ الحُجَّاجُ زادَ وُلُوعُهُ وأرسل دَمْعاً قانياً من أماقِيه
وبي مَن غَدَا يختالُ عُجْباً بقدِّه وطَلْعتِهِ سَكْران من خَمْرة التِّيه
وفِي القُربِ أخْشاهُ وفي البُعْدِ قاتِلي فواحَرَباً من بُعْدِه وتدانِيه
يُفوِّق من جَفْنَيْهِ للقلبِ أسْهُماً بأوْهنِها يرْمي الكميّ فيُضْمِيه
بذلتُ له رُوحِي فأعرضَ مُعجَباً وقال أمِلْكي عاد مِلْكك تُهْدِيه

---

(١) الخلاصة: ٣/ ٢٥٦.

٣١- ظهير الدين الحلبي القاضي الأديب الشاعر، تردد مراراً إلى الروم، اجتمع به الشهاب الخفاجي وهو بالروم، وكان قاضياً من قضاة القصبات ببلاد الأناضول، وولي مناصب عديدة، يقول المحبي في خلاصة الأثر: نسبته ومولده ووفاته لم أطلع عليها إلا أن هناك ما يشير إلى أنه كان موجوداً سنة ١٠١٣. انظر خلاصة الأثر: ٢/ ٢٦١.

Marfat.com

وبالشِّعب من وَادِي النَّقا خيرُ جِيرَةٍ غدَتْ بُغيَتِي واللهِ من غَيْرِ تَمْوِيهِ
إذا ذُكِرُوا يرتاحُ قلبي كأنَّما أتَتْ نحوه تنْقادُ قَسْراً أمَانِيهِ[1]

٣٢- بهاء الدين محمد بن الحسين العَامليّ الْحَارثيّ

الشَّامِيّ أصلاً ومَحْتِداً، الفَارِسيّ مَنشَأً ومَولِداً[2].

فاضل لَمَعَتْ من أُفْقِ الفضلِ بوارِقُه، وسقاه من مَورِده النَّمِير عَذْبُه ورائِقُه، لا يُدرِك بحرَ وَصْفِهِ الإغْراق، ولا تلْحَقُه حركاتُ الأفْكار ولو كان في مِضْمار الدَّهْر لها السِّباق.

زَيَّن بمآثِرِهِ العلومَ النَّقْليَّة والعقليَّة، وملك بنَقْد ذهنِه جواهرَها السَّنِيَّة، لاسِيَّما الرياضات، فإنه رَاضَها، وغرَس في حدائق الألْبابِ رِياضَها.

وهو في مَيْدان الفصاحةِ فارسٌ أيّ فارِس، وإن كان غُصنُه أيْنَع وربا برَبْوة فارِس، فإن شجَرتَه نبتَتْ عروقُها بنواحِي الشَّام الزَّاهِية المغارِس، والعِرْقُ نزَّاع وإن أثَّر الجِوار في الطِّباع.

ولما تدفَّق ماءُ كرمه خرج منها سائحاً، بعد ما ألْقَى دَلوَه في الدِّلاء ماتحاً، لابساً خِلَع الوَقار، قاطِفاً من رياض الكَوْن ثَمرات الاعْتبار، فجَاب البلاد، وأتى إرَمَ مصر ذاتِ العماد، فنَمَّى متاعَ فضلٍ به اتَّجَر، والمعالي في كَفَالات السَّفر، فاجْتَنى نَوْراً انْفتحت كَمائمهُ، وَسَرى سُرّى قلبُ الوجود كاتمُه. [السريع]

وسُـرَّ دَهْـرٌ هـو صَـدْرٌ لـه بـعـالـمٍ ذي نَـجْـدةٍ عـامِـل

وفي أثناء ذلك نظَم عقود أشْعارٍ حِقَاقُها العُقول، وجَمع مِن أزْواد فضله مجموعة سماها «الكَشْكُول»، طالعْتُها فرأيتُ فيها ما تنْشرِح له الصُّدور، وتَحُلُّ عُقَدَ الإشْكال عن كل مَصْدُور.

وكان رئيسَ العلماء عند عبَّاس شاه، سلطان العجم، لا يَصْدُر إلا عن رأيه إذا عقَد ألْوِية الهِمَم، إلا أنه لم يكن على مذْهبه في زَنْدقته وإلْحادِه، لانْتِشارِ صِيتِه في سَدادِ دِينه

---

(١) خلاصة الأثر: ٢/ ٢٦١.

٣٢- العاملي: محمد بن عز الدين حسين بن عبد الصمد بن محمد محمد العاملي الجبعي، بهاء الدين الحارثي الهمداني، رئيس علماء الشيعة الإمامية بأصبهان، ولد في جبل عامل في لبنان سنة ٨٥٣، وتوفي سنة ١٠٣١، له الكثير من التصانيف منها: توضيح المقاصد، وتهذيب في النحو، وحاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي حدائق الصالحين، وشرح الأربعين في الحديث كشكول، وديوان شعر. انظر هدية العارفين: ٢/ ٢٧٣، وخلاصة الأثر: ٣/ ٤٤٠.

(٢) قال محقق ديوانه: من المؤلفين من قال إنه ولد في بلدة أمل الخراسانية، أما القول في أنه ولد في بعلبك فبعيد عن الصواب، بل هو خطأ محض، وأرجح أن قولهم هذا يرجع إلى الخلط بين جبل عامل وبين «آمل». انظر ديوانه: ١٤.

Marfat.com

ورَشادِه، إلا أنه عَلَوِيٌّ بلا مَيْن، وهو عند العقلاء أهْوَنُ الشَّرَّيْن، فإنه أظهر غُلُوَّه في حبِّ آل البيْت، وجارَى في حَلْبة الوَلاءِ الكُمَيت، وأنشدَ لسانُ حالِه لكلِّ حيٍّ ومَيْت: [الكامل]

إن كان رَفْضاً حُبُّ آل محمدٍ فلْيَشْهدِ الثَّقلان أنِّي رَافِضِي

وشِعرُه باللِّسَانَيْن مُهذَّب مُحرَّر، وبالفارسيَّة أحسنُ وأكثر.

ولما ساحَ في البُلدان، واجتمع بمن بها من الأعيان، عاد بذْرُ ذاتِه لفلَك أقطارِه، فعانق في أوْطانِه عقائلَ أوْطاره.

وهو الآن قُرَّة عَيْنِ مجدِها، وغُرَّةُ جَبِين سَعْدِها، تطوف بحَرَمِه وُفودُ الأفاضل، وتَتوجَّه شِطْرَه وُجُوهُ الآمالِ من كلِّ فاضل، بنعيمٍ مُقيمٍ تتحدَّثُ عنه طُروس الأسْفار، وتَكْتحِل بإثْمِد مِدادِه عُيون الطُّروس والأسْفار.

فمن أنوارِ كلامِه التي أطْلَعَتْها غُصون أقْلامِه، قولُه من قصيدة[1]: [الخفيف]

يا نَدِيمِي بمُهْجَتِي أفْدِيكْ ... قُمْ وهاتِ الكؤوسَ مِن هاتِيكْ
هاتِها هاتِها مُشعْشَعةً ... افْسَدتْ عقلَ ذِي التُّقَى النَّسِّيكْ
خَمرةً إن ضَلِلْتَ ساحتَها ... فسنَا نُورِ كأسِها يَهْدِيكْ
يا كليمَ الفؤادِ دَاوِ بها ... قلبَك المُبْتَلى لكيْ تشْفِيكْ
هي نارُ الكليمِ فاجْتَلِيها ... واخلعِ النَّعْلَ واترُكِ التَّشْكِيكْ
صاحِ ناهِيكَ بالمُدام فدُمْ ... في اخْتِسَاهَا مخالِفاً نَاهِيكْ
عَمْرَكَ اللهَ قُل لنا كَرماً ... يا حَمامَ الأراكِ ما يُبْكِيكْ
أتُرَى غاب عنك أهلُ مِنًى ... بعدَ ما قد توطَّنُوا نادِيكْ
إن لي بين ربْعِهِمْ رَشَأً ... طَرْفُه إن تَمُتْ أسًى يُحيِيكْ
ذُو قَوام كأنه غُصُنٌ ... ماسَ لمَّا بَدا به التَّخْرِيكْ
لستُ أنْساهُ إذْ أتى سَحَراً ... وخدَهُ وخدَه بغيرِ شَرِيكْ
طرقَ البابَ خائفاً وَجِلاً ... قلتُ مَن قال كلُّ ما يُرضِيكْ
قلتُ صرِّحْ فقال تجهلُ مَن ... سيْفُ ألحاظِه تحكَّم فِيكْ
قمتُ من فَرْحَتِي فتحتُ له ... واعتَنقْنا فقال لي يَهْنِيكْ
بات يَسْقِي وبِتُّ أشْرَبُها ... خَمرةً تترُكُ المُقِلَّ مَلِيكْ
ثم جاذبْتُه الرِّداءَ وقد ... خامرَ الخمرُ طرفَه الفَتِّيكْ
قال لِي ما تُريد قلتُ له ... يا مُنَى القلبِ قُبْلَةً من فِيكْ

(١) ديوانه: ١٠٨-١٠٩، انظر نفحة الريحانة: ٢/ ٢٨٣، وخلاصة الأثر: ٣/ ٤٤٩، وقد ذكر منها أحد عشر بيتاً.

Marfat.com

قال خُذْها فمُذْ ظَفِرتُ بها ... قلتُ زِدْني فقال لاَ وأَبِيكْ
ثم وَسَّدْتُه اليمينَ إلى ... أن دنَا الصُّبحُ قال لِي يَكْفِيكْ
قلتُ مهْلاً فقال قُمْ فلَقَد ... فاحَ نَشْرُ الصَّبا وصاحَ الدِّيكْ

وله من أخرى، مدح بها الأستاذ البَكْرِيّ، وقد اجتمع به، وهو مما يدلُّ على سلامةِ عقيدتِه، قولُه: [السريع]

يا مِصرُ سُقْياً لكِ من جنَّةٍ ... قطوفُها يانِعَةٌ دانِيهْ
ترابُها كالتِّبْرِ في لُطفِه ... وماؤُها كالفِضَّةِ الصَّافيهْ
قد أخجلَ المِسْكَ نسيمٌ لها ... وزَهْرُها قد أرْخَص الغالِيهْ
دَقيقةٌ أصنافُ أوْصافِها ... وما لَها في حُسنِها ثانِيهْ
مُنذ أنخْتُ الرَّكبَ في أرْضِها ... أُنسِيتُ أصْحابي وأخْبابِيَهْ
فيا حَماها اللهُ من رَوضةٍ ... بهْجتُها كافِيةٌ شافِيهْ
فيهَا شِفا القلبِ وأطْيارُها ... بنغمةِ القانونِ كالزَّارِيهْ

ومنها:

مَن شاءَ أن يحْيا سعيداً بها ... مُنَّعماً في عِيشَةٍ راضِيَهْ
فلْيدَعِ العلمَ وأصْحابَه ... وليجْعلِ الجهلَ له غاشِيَهْ
والطِّبَّ والمنطقَ في جانبٍ ... والنحْوَ والتفسيرَ في زاوِيهْ
وليترُكِ الدرسَ وتذْريسَه ... والمتْنَ والشَّرحَ مع الحاشِيهْ
إلى مَ يا دهرُ وحتَّى متى ... تَشْقَى بأيَّامِك أيَّامِيَهْ
تُحَقِّقُ الآمالَ مُستعطِفاً ... وتوقِعُ النَّقْصَ بآمَالِيَهْ
وهكذا تفعلُ في كلِّ ذِي ... فضيلةٍ أو هِمَّةٍ عاليَهْ
فإن تكنْ تحسَبُني منهمُ ... فهْيَ لَعمرِي ظِنَّةٌ وَاهِيَهْ
دَعْ عنكَ تعذِيبي وإلا فاشكُو ... كَ إلى ذِي الحضْرةِ السَّامِيَهْ[1]

وله رباعيَّات لطيفة، منها: [البسيط]

أغْتَصُّ بريقَتِي كحَسْيِ الحاسِي ... إذ أذكُرُهُ وهْو لعهْدِي ناسِي
إن مُتُّ وجَمرةُ الهوى في كبدِي ... فالويْلُ إذاً لساكِنِي الأرْماسِ

وله: [البسيط]

كم بِتُّ من المَسَا إلى الإشراقِ ... من فُرقَتِكُمْ ومُطرِبي أشْواقِي
والهمُّ مُنادِمي ونَقْلِي نَدَمِي ... والدَّمعُ مُدامتِي وجَفْنِي السَّاقِي

---

(١) القصيدة في ديوانه: ١٢٣، وخلاصة الأثر: ٣/ ٤٤٢ .

Marfat.com

ومنها: [الدوبيت]

لا تَبْكِ مُعاشِراً نأَى أو إلْفَا ... القومُ مَضَوْا ونحنُ نأتي خَلْفَا
بالمُهلةِ أو تَعاقُبٍ نَتْبَعُهمْ ... كالعطْفِ بثُمَّ أو كعطْفِ بِالْفَا

ومنها: [الدوبيت]

من أربعةٍ وعشرةِ أمْدادِي ... في ستٍّ بقاعٍ سكنُوا يا حادِي
في طَيْبَةَ الغرَّاءِ مع سامَرَّا ... في طُوسَ وكَرْبَلا وفي بَغْدادِ

ومنها: [الدوبيت]

للشَّوقِ إلى طَيْبَةَ جَفْني بَاكِي ... لو صار مُقامِي فَلَكَ الأفْلاكِ
أستنْكِفُ إنْ مَشيتُ في روْضتِها ... فالمشْيُ على أجْنحةِ الأمْلاكِ

ومنها: [الدوبيت]

هذا النَّبَأُ العظيمُ ما فيه كلامْ ... هذا لِمَلائِكِ السَّمواتِ إمامْ
مَن يَمَّم بابَه ينَلْ مطْلَبَه ... مَن طاف به فهْو على النَّارِ حرامْ

ومنها: [الدوبيت]

هذا حَرَمٌ بفضْلِه العقلُ أقَرّ ... فيه لملائِكِ السَّمواتِ مَقَرّ
كلٌ منهم يقول يا زائِرَهُ ... أبْشِر فلقد نجَوْتَ من نارِ سَقَرْ

ومنها: [الدوبيت]

يا ريحُ إذا أتَيْتَ دارَ الأحْبابْ ... قبِّلْ عنِّي تُرابَ تلك الأعْتابْ
إن هُم سألُوا عن البَهاءِ فقُلْ ... قد ذابَ من الشَّوقِ إليكم قد ذَابْ

ومنها: [الدوبيت]

يا ريحُ أقُصُّ قِصَّةَ الشَّوقِ إليكْ ... إن جِئْتَ إلى طُوس فبالله عَلَيْكْ
قبِّلْ عنِّي ضريحَ مولايَ وقُلْ ... قد مات بهاؤُكَ من الشَّوقِ إلَيْكْ[1]

ومنها: [الدوبيت]

أهْوَى رَشاً عرَّضنِي للبَلْوَى ... ما عنه لقَلْب المُعنَّى سَلْوَى
كم جئتُ لأشْتكِي فمُذْ أبصرَنِي ... مِن لَذَّةِ قُربِه نسِيتُ الشَّكْوَى

ومثله قولي: [الدوبيت]

لو تُسْمَعُ لَذَّ للمُعنَّى الشَّكوَى ... لا مَنَّ بذا وليس عنه سَلْوَى
كلٌّ بهَواه مُبْتَلًى ذو دَنَفٍ ... قالُوا وتَطِيبُ إذ تَعُمُّ البَلْوَى

ومنها: [الدوبيت]

---

(١) الرباعيات في ديوانه: ١٣٨-١٣٩، وخلاصة الأثر: ٣/ ٤٥٣.

Marfat.com

يا غائبُ عن عيْني لا عَن بالِي القُرْبُ إليكَ مُنْتَهى آمالِي
أيامُ نَواكَ لا تَسَلْ كيفَ مضَتْ واللهِ مضَتْ بأسْوأِ الأحْوالِ[1]

وفي معناه وَوَزْنِه قول الأرَّجانِيّ[2]: [الدوبيت]

لابأسَ وإن أذَبْتَ قلبي بهوَاكْ القلبُ ومَن سَلَبْتَه القلْبَ فِدَاكْ
وَلَّيْتَ وقُلتَ أنْعَم اللهُ مَساكْ مَوْلايَ وهل يَنْعَمُ مَن ليس يَراكْ

٣٣- خَضِر المَوْصِليّ

كعبة فضلٍ مُرتفِعة المقام، تضمَّنتْ أَلْسِنَةُ الرُّواة الْتزِامَ مدْحِه فللَّهِ ذلك التَّضَمُّن والالْتِزام.

رأيتُه في عُنْفُوان العمر والدنيا كلُّها رِياض، والأيَّامُ كلُّها أعْياد وأغْراس، والأوقاتُ كلُّها سَحَر، والأشْهُر كلُّها نَيْسَان: [الطويل]

فلَوْ بِعْتُ يوماً منه بالدَّهرِ كلِّه لفكَّرْتُ دهراً ثانياً في ارْتِجاعِهِ

وهو حسنَةٌ في صحائِف الأيَّام واللَّيالِي، ورَوضةٌ تُنْبِت الشُّكرَ في رِياض المعالِي، والعيشُ كلُّه نَضِر، وقد قيل لكلِّ زمان خَضِرٍ: [الطويل]

إذا ما ذَكرْنَا جُودَه كان حاضراً نأَى أو دَنَى يسْعَى على قَدَم الخِضْرِ

وأقام بمكة مع بني حسَن مُخْضَرّ الأكْناف، وصنَّف باسم السيد حسن كتابه «شرح شواهد الكشَّاف»، شرحاً تشبَّثَ بأهدابِه السِّحْر، وناطَ به تمِيمَةً مُعلَّقةً بجِيدِ الدَّهْر، وقد ملكْتُه وطالعتُه، فرأيت فيه ما يدل على سَعَةِ اطِّلاعِه، وطول طَوْلِه وبَاعِه.

وهو تلميذ والدي، وكان يسلُك معه طريقَ الأدب، ويجْثُو بين يدَيْه على الرُّكَب.

وأنشدني له قولَه مُضمِّناً: [الطويل]

تبدَّلْ عن البَرْش المُبلَّد بالطِّلا فعالِم أهْل البَرْشِ غِمْرٌ وجَاهِلُ
فما البَرْشُ إن فتَّشْتَ عن كُنْهِه سِوَى دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ منها الأناملُ[3]

وللأسْعد بن مَمَّاتي، مما أنشده في كتابه «سلافة الزرجون»[4]: [الطويل]

---

(١) الرباعيات في ديوانه: ١٣٨-١٣٩، وخلاصة الأثر: ٣/ ٤٥٣ .
(٢) الرباعية للبهاء في ديوانه: ١٤٠، وليست في ديوان الأرجاني.
٣٣- الشيخ خضر بن عطاء الله الموصلي نزيل مكة العالم الأديب المشهور، كان إماماً في العربية واللغة ومعاني الأشعار، كثير العناية بها حسن الضبط، هاجر إلى مكة، ألّف: الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف، وأرجوزة في فضل أهل البيت، والفوائد النظرية في شرح القواعد النحوية، والقواعد النحوية في علم العربية، توفي سنة: ١٠٠٧ . انظر خلاصة الأثر: ٢/ ١٣١، وهدية العارفين: ١/ ٣٤٧ .
(٣) البيتان في الخلاصة: ٢/ ١٣١ .
(٤) ممّاتي المصري: أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذّب ابن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي =

Marfat.com

نـدِيـمـيَ لا تَـهْـزَأْ بـمـشْـمُـولـةٍ فـإن بَـدا لـك مـنـهـا بَـهْـجَـةٌ وشَـمـائِـلُ
وراقَـك مـنـهـا رِقَّـةٌ فـي قَـوامِـهـا ولاحَتْ كشمسٍ أضْعَفتْها الأصائِلُ
فـلا تـغْـتَـرِرْ مـنـهـا بـلِـيـنٍ فـإنـهـا دُوَيْـهِـيَـة تَـصْـفَـرُّ مـنـهـا الأنـامـلُ

وهذا من قصيدة لَبِيد، التي أولها[1]: [الطويل]

ألا كـلُّ شـيءٍ مـا خـلاَ الـلـهَ بـاطـلُ وكـلُّ نـعـيـم لا مـحـالـةَ زائِـلُ
وكـلُّ أُنـاسٍ سـوْفَ تـدخـلُ بـيْـنَـهـم دُوَيْـهِـيَـةٌ تَـصْـفَـرُّ مـنـهـا الأنـامِـلُ[2]

وقد ضمَّن زكيّ الدِّين بن قريع منها أيضاً في قوله: [الطويل]

تـأمَّـلْ صُـحَـيْـفـاتِ الـوجـودِ فـإنَّـهـا من الـجـانـبِ السَّـامِـي إلـيْـكَ رسـائـلُ
وقـد خُـطَّ فـيـهـا إن تـأمَّـلْـتَ خـطَّـهـا ألاَ كـلُّ شـيءٍ مـا خـلاَ الـلـهَ بـاطِـلُ

وفي معناه قول العلاَّمة الشيخ حسن البُورِينيّ: [الكامل]

وُرْقُ الـرِّيـاضِ إذا نـظَـرْتَ دفـاتِـرٌ مَـشْـحـونَـةٌ بـأدِلَّـةِ الـتَّـوْحِـيـدِ

وهو في معنى شِعر أبي نُواس المشهور.

ومما مدَحتُ به حضرة مولانا خِضْر المذكور: [الخفيف]

وصَـبـاً مـن كُـؤُوسِ ذِكْـرِكَ سَـكْـرَى لـكَ حـمَّـلْـتُـهـا ثَـنـاءً وشُـكْـرَا
ولِـوَجْـدِي رَقَّـتْ كـطَـبْـعِـكَ لُـطْـفـاً واسْـتـعـارَتْ من طِيب ذِكْرِكَ نَشْرَا
معك القلبُ حيثُما سِرْتَ يسْرِي فـاسْـأَلَـنْـه عـنِّـي فـذلـكَ أدْرَى
مِـن أُولِـي الـعَـزْمِ لِـي فُـؤادٌ كَـلِـيـمٌ في النَّوَى لا يـزالُ يـتْـبَـعُ خِـضْـرَا[3]

فصل

فيمن لقيتُه بالشام في رحلتي لمصر راجعاً من الروم لما مُنِيتُ بغربةٍ قارِظيَّة[4]، ودعاني الشوقُ إلى العَوْد إلى القاهرة المُعِزِّيَّة، وعِنان مطايَا العزْم بين ثانٍ وحادي،

= مليح مماتي القاضي وحيد الدين أبو المكارم الدمشقي، كان ناظر الدواوين بمصر، توفي سنة ٦٠٦، من تصانيفه: تهذيب الأفعال، ودرة التاج ديوان شعره، وسيرة السلطان صلاح الدين منظوم، وسلاسل الذهب، ونظم كليلة ودمنة، وغيرها. انظر هدية العارفين: ١/ ٢٠٥.

(١) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، أبو عقيل، من أشراف الشعراء، أدرك الإسلام، وتوفي بالكوفي حدود سنة ٦٠، له ديوان شعر مشهور. انظر هدية العارفين: ١/ ٨٣٩.

(٢) ديوانه: ٢٥٤، ٢٥٦.

(٣) الأبيات للموصلي في خلاصة الأثر: ٢/ ١٣١، وجاء قبلها:
«قال ومما مدحته به في شبيبتي قبل نوم سيارة همتي وخمود نار شرتي:».

(٤) قارظية: دبغ الأديم بالقرظ وهو ورق السَّلَم، ورجل قارظ: يجمع القرظ، وفي المثل: «حتى =

Marfat.com

وطوارقُ الوساوِس بين رائحٍ وغادِي.

بَدا لي بها وجْهُ جوٍّ قاطِب، وسامرتُ بها ليالي عُمْرَ الكواكب، يتعثَّرُ بالعَوَّاء[١]، وتَضْرِبُه بعَصَا الجوْزاء، ونهارٌ صَباه سَمُوم، كأنه قلبُ صَبٍّ مغمُوم، أو نفسُ فقيرٍ مظْلوم، نفَضْت بها الآمالُ بِسَاطَ القَرار، واستَرجَعتْ نُزَّاعَها الأمصار، إذ لم تجِدْ حُرًّا ترْتَجِيه، ولا أخَا وَجْدٍ تُطَارِحُه هوَى نجْدٍ وتجارِيه، كما قلت: [الكامل]

يا وَيْحَ مِصرَ ترحَّلَتْ سُكَّانُها ... وتعطَّلتْ تلكَ المجالسُ والمدارسْ
ظَعَنُوا ومِن بركاتِها وجَمَالِها ... كُنِسَتْ وهاتِيكَ النخيلُ بها مكانِسْ

فكأن الكرامَ أوراقُ خريفٍ لوَتْه الأعاصِير، وبدَّده الشَّتات، ورُسومُها خَطَّ بها البَلاءُ آياتِ المواريث وصُحفَ الفرائِض فلا يُذْكَر فيها غيرُ الأمْوات، فإذا رجع أو خرج منها المسافِر، مَا وَدَّعه واستَقْبَله غيرُ المقابِر: [الطويل]

عليْها لقد حَطُّوا رِحالاً بمنْزِلٍ ... وكم هَوْدَجٍ من بيْنها مُرتَخِي الشَّدِّ

وقد كنتُ أدْأَبُ في التَّرحال، لأحُطَّ برَبْعِها المُخْصِب رِحالَ الآمال، رجاءَ لقاءِ أشْياخي وأخْداني، ومغازلةِ مَن بها من خُرَّدِ أوَانسِ الأمانِي، ممَّن سافَنْتُه بوادِيها، وساجَلْتُه بدِلاءِ المُجون في بَواديها، وقد تنْزِل من حِصْن طَوْدِها الأوابِد، كما قال كُشاجِم في كتاب «المطارد": إن الوحوشَ قد تلِجُ العُمْران، وتلْجَأُ للآنِس، إذا كَلَب الشِّتاء، وعبَس بالجَدْب وجهُ الزَّمان، فعُدِمت الأقْوات، وأخْفَى الْجَمَد والثَّلْج الماءَ والنَّبات، فشاب منه الوليد، كما قال مُسلِم بن الوليد[٢]: [الطويل]

فإن أَغْشَ قوماً بعدَهم أو أَزُورهم ... فالوحْشِ يُدْنِيها من الآنسِ الْمَحْلُ
يُذكِّرُنِيكَ الخيْرُ والشَّرُّ والتُّقَى ... وقولُ الْخَنَا والحِلْمُ والعلمُ والجهْلُ
فألقاكَ في مذْمُومِها مُتَنزِّهاً ... وألْقاكَ في محمُودِها ولكَ الفضْلُ[٣]

فعاد الرَّائد خائباً، مِن دارِ أمواتُها أشْراف، إذ بدَت مُقْفِرةَ الأرْجاء، مُبَرْقِعةً باليأْسِ وجْهَ الرَّجاء، مِن دارِ أمواتُها أشْراف، وأحياؤُها أجْلاف، بها ضِعاف عقولٍ يزعمون أنهم ألَّفُوا وصنَّفُوا، كأنَّهم بقيَّةٌ من أهلِ الكتاب الذين بَدَّلوا وحرَّفوا فعُجْتُ زائراً مقابرَ أطْلالِها، وقد خُيِّل لي أنها أوَّلُ منزل سَفْرٍ بسُروجِها ورحالِها، ينتظِرُ بها السَّابقون

= يؤوب القارظ». المقصود: غربة طويلة.

(١) العوّاء: نجم يلع في البرد.

(٢) مسلم بن الوليد: الشهير بصريع الغواني، مولى الأنصار، كان شاعراً من شعراء الدولة العباسية، توفي ببغداد سنة: ٢٠٨، له ديوان شعر. انظر هدية العارفين: ٢/ ٤٣١.

(٣) ديوانه: ٣٣٣، بغير هذا الترتيب.

Marfat.com

اللأَحِقين، فقلتُ: السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، فرَدُّوا وصاحُوا بهاوَاها، وأنْشدني بَدِيهةً صَداها: [م. الكامل]

يـا راكـبـاً حُـثَّ الـمَـطِـيَّ لأرْضِ مـصـر تَـنْـتَـجِـيـهَـا
جُـزْ بـالـقَـرافـةِ واقْـرأَنْ مـنِّـي الـسـلامَ لـسـاكِـنِـيـهَـا[1]
وقـلِ الـسَّـلامُ عـلـى الـكِـرا م الأكْـرمـيـن الـفـاضِـلِـيـهَـا
لـم أَلْـقَ بـعـدَهُـمُ بـهـا إلا جَـهـولاً أو سَـفِـيـهَـا
فـكـأنَّـمـا الـدنـيَـا الـبـخـيـ ـلـةُ بـالـعـطـاءِ لـمُـجْـتـدِيـهَـا
صَـرفَـتْ دَنـانِـيـرَ الْـبَـهَـا بـنُـحـاسِ نَـحْـسٍ مـن بَـنِـيـهَـا
سـادتْ بـهـا فِـرَقُ الـعـبـيـ ـدِ فـأيُّ حُـرٍّ يَـرْتَـضِـيـهَـا
فـلـذا هـجَـرْتُ مُـقَـامَـهـا وطـلـبْـتُ أرضـاً أصْـطَـفِـيـهَـا
فـإذا مـرَرْتَ فـلا تَـسَـلْ عـمَّـن نـأى مِـن قـاطِـنِـيـهَـا
وقِـفِ الْـمَـطِـيَّ بِـجِـلِّـقٍ إن الـكـرامَ الـغُـرَّ فِـيـهَـا[2]
عُـرِفَـتْ بـعَـرْفِ الـمـجـدِ هـا تِـيـكَ الـرُّبـوعُ لِـسـاكِـنـيـهَـا

فرحلتُ إلى الوادِي المقدَّس طُوَى، والعزمُ بأيْدِي المطايَا شَبَّر[3] شُقَّةَ البَيْن وطَوَى، حتى نزلْتُ تُربةً عُجنتْ بماءِ الوحْي، على رَغْم أنْفِ النَّوَى، ومسَحْتُ بها المُحَيَّا، وحَيِيتُ أكْرمَ مَحْيَا، بين الصَّخرةِ والطُّور، والبيتِ المُتلألِىء فيه سَبَحاتُ النُّور:

قَـطْـعـنَـا فـي مـسـافـتِـه عِـقـابـاً وما بـعـد الـعِـقـاب سِـوَى الـنَّـعِـيـم

ولما رأيتُه طَشْتَ ذهبٍ مملوءاً بالعقارب، غسلْتُ يدَ الأمل فيه من الرَّغائب، وانثَنَيْتُ للشَّام شَامةِ وجْهِ البُلدان، وجَنَّةِ الله في أرْضِه المحفُوفةِ بالحُور والوِلْدان، المفروشةِ بسُنْدُس النَّبات والأشْجار، اللابِسةِ حُلَل الرِّياض المُزرَّرةِ بالأنْوار، المُسجَّفةِ بزُرُق الأنْهار، فقالت لي: أهلاً وسهْلاً، ومدَّتْ كرماً ونُزلاً، وتلقَّتْني بصَدْرٍ رحِيب، فبِتُّ فيها بين تكريم وتزْحيب: [م. الكامل]

مِـن فـوقِ أنْـعُـمِ الـرِّيـا ضِ وتـحـتِ أذْيـالِ الـنَّـسِـيـم

ولقِيتُ بها من فضلائِها الأعْيان، وأُدبائِها النَّقِيَّة الأذْهان والأرْدَان، كلَّ كريم تُحسَد عليه العيون والآذان، هو لعَيْن المجدِ قُرَّة، ولوجْهِ المكارمِ غُرَّة، ولقلْبِ الدهرِ فَرْحةٌ ومَسرَّة.

فكان ممَّن اجْتلاهُ ناظرِي، وعكَف عليه في حَرَمِ كَرمِه خاطرِي.

---

(١) القرافة: المقبرة.
(٢) جلّق: من أسماء دمشق.
(٣) شبّر: قاس المسافة بالشبر.

Marfat.com

٣٤- المولى عبد الرحمن بن عِماد الدِّين الشَّامِيّ الْحَنَفِيّ

وهو إذ ذاك مُفتِيها، وناشِرُ لواءِ الإفادة بنادِيها، ومُحيي من رسومِ المدارس كلَّ داثِرٍ بها ودارِس.

إن جاد فجُودُه تَمِيمةٌ للعدم، أو وَعَد فوعْدُه للغِنَى سَلَم، مع صِدْق مقالٍ، تُعْقَد منه الأقوالُ بالأفعال.

إذا ذُكِر ما فيه من محاسِن الصِّفات، سجَدتْ له الخناصِر كأنه آياتُ سَجْدات، أو سُرِدَت نُعُوتُه فكلُّ نعتٍ مقطوع، وكلُّ وصفٍ تابعٌ له، وهْو مَتْبوع.

وقد مُتِّعْتُ منه بما هو ألذُّ من نَيْلِ الوَطَر، وليس العَيان كالخَبَر، وهَبَّت عليَّ رِيحُ إقْبالِه قَبول وجَنُوب، وأطْرَبتْني أنفاسُه والكريمُ طَروب، وصَرْفُ الزَّمان مغلولُ اليدَيْن، والزمانُ مُنقَادٌ لجمْعِ الشَّملِ، كأنه عليه دَيْن، فقِلْنا في ظِلِّه الظَّليل، ولم نَرَ فيه نقْصاً سِوى أنه قليل، وناهِيكَ بطِيبِ عُنْصُرٍ لو رآه النَّظَّام أثْبتَ به الجوْهَر الفَرْد، مع لُطفِ طبعٍ هو شقِيق الروضِ المُخْجِلِ بلُطْفِه خَدَّ الورْد، وحُسنِ تقْريرٍ وتحْريرٍ يهتز طرباً له كلُّ غصنٍ نَضِير.

وبالجملة فهو في كلِّ كمالٍ مُفْرَد، مُستَغْنٍ عن التَّعريف بفضْلٍ له لا يُحَدّ، فإنه أصِيلُ عصْرِه، وعِمادُ دهرِه، كأنما عَناهُ مَن قال: [الخفيف]

أرأيتُمْ في النَّاسِ ذاتَ لطيفٍ ... يشرَحُ الصدرَ مثلَ ذاتِ العِمادِ
حَسبُها من لطافةٍ أنها لم ... يخلُقِ اللهُ مثْلَها في البلادِ

وقد دارتْ بيني وبينَه كؤوس محاوراتٍ لها ثَغْر الحَبَاب باسِم، تُنْظَم منها في جِيد الآداب عُقودٌ لها بَنانُ البيان ناظِم، ولما قُوِّضَتْ خِيامُ المُقام، وَزُمَّتْ مطايا العزائم، كتبتُ له مُودِّعاً وشاكراً لما أفاضه عليَّ من سوابغ المكارم قولي: [الكامل]

قسَماً بلُطفِ مالكِ لفُؤادِي ... وبرَوضِ أُنْسٍ مُثْمرٍ لِودادِي
وبطَلعةٍ نزلَتْ لدى حَرَمِ العُلا ... وبسُدَّةٍ هي قِبْلةُ القُصَّادِ
أنِّي ارْتحَلْتُ وذكرُكم أبداً على ... طُولِ المَدى مائِي النَّمِيرُ وزادِي
يا واحدَ الدُّنيا وبيتَ قصيدِها الزَّ ... اهِي لدَى الإنْشاءِ والإنْشادِ
يا ابنَ العِمادِ لأنت عُمْدةُ سادَةٍ ... تُمْتاحُ في الإصْدارِ والإيرادِ

٣٤- عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادي الحنفي الدمشقي، أحد أفراد الدهر وأعيان العلم، وهو المفتي بالشام بعد أبيه، ألّف حاشية على بعض تفسير الكشاف، وله رسائل في سائر الفنون، ومنشآت وأشعار، نشأ يتيماً ذهب إلى المدينة المنورة، ثم عاد إلى دمشق وتفرغ للإقراء والتدريس، وولي الإفتاء، ولد سنة ٩٧٨، وتوفي سنة: ١٠٥١ . انظر خلاصة الأثر: ٢/ ٣٨٠، والأعلام: ٣/ ٣٣٢ .

Marfat.com

إرَماً غـدَتْ أرْضُ الـشَّـآم لأنـهـا ... ذاتُ الـعِـمـادِ بـكُـمْ وأيّ عِـمـادِ
بـل جَنَّـةً فـيـهـا الـثَّـنـاءُ مُـخَـلَّـدٌ ... أتَـرى لـهـا بـعـد الـبِـعـادِ بـعـادِ
وحديثُ فضلِكُمُ الـمُعَنْعَنُ مَجْدُه ... أضـحـى بـأصْـلِـكَ عـالِـيَ الإسْـنـادِ
يُـثْـنـي عـلـيـه رائـحٌ أو غـادِي ... أبـداً بـرغْـمِ عـشِـيـرةٍ أوْغـادِ
واسْـلَـمْ ودمْ فـي عِـزَّةٍ أيَّـامُـهـا ... لِـلـقـائِـهِ لـبِـسَـتْ حُـلَـى الأعْـيـادِ

وبعد هذا فصل:

مولايَ، هذه نَفْثَةُ مصدُور، وغُلالة صَادٍ لولاك لم تُرْوَ بها الصُّدور، وبَدِيهَةُ غريبٍ من الأوطان والأحِبَّة مهْجُور، والطَّبع وإن كان في حَلْبتِه جَواد، فقد يكْبُو الجَواد، وقد يبْخل الجَواد، ولكنَّني أقول كما قال ابن عَبَّاد: [الخفيف]

أنـا لـولاكَ مـا رأتْـنِـي الـقَـوافِـي ... فـي وِهـادٍ مـن أرْضِـهـا ونِـجَـادِ
إن خَـيْـرَ الـمُـدَّاحِ مَـن مَـدَحَـتْـهُ ... شـعـراءُ الـبـلادِ فـي كـلِّ نـادِ

والسلام.

فأجاب:

هـذِي درَارِ نُـورُهـا لِـيَ هـادِي ... وشِـهـابُـهـا رُجُـمٌ عـلـى الأضْـدادِ
أم رَوْضـةٌ بسَـمـتْ ثـغـورُ زهـورِهـا ... أم حُـلَّـةٌ وُشِـيـتْ مـن الأبْـرادِ
أم تـلـك أبـيـاتٌ أبِـيَّـاتِ الـبِـنَـا ... رُفِـعـتْ عـلـى عُـمُـدٍ رَفَـعْـنَ عِـمـادِي
بُـنِـيـتْ بـأيْـدِي فِـكْـرِ قُـسٍّ خـفَـاجـةٍ ... تـبَّـتْ أيـادِي فـكـرِ قُـسٍّ إيـادِ
مـولايَ يـا فـرْدَ الـوجـودِ فـضـائـلاً ... وشـمـائـلاً يـا أوْحـدَ الآحـادِ
قد كنتُ أسمعُ عن فضائِلِك التي ... شـنَّـفْـتَـنِـي مـن حـاضـرٍ أو بـادِ
ولطالَما قد كنتُ أرجو المُلْتَقَى ... وتُـبَـعِّـد الآمـالُ طـولَ بِـعـادِي
حتى شهدِتُ جمالَكم فلِمِحْنَتِي ... جـذَبـتْ مـحـبَّـتُـكـم شِـغـافَ فُـؤادِي
ودَنـا الرَّحـيـلُ مُـخـلِّـفـاً قـلـبـي لـكـمْ ... وَقْـفـاً عـلـى الإتْـهـامِ والإنْـجـادِ
سِرْ بـالـهَـنـا أمَّـا خَـيـالُ كـمـالِـكـمْ ... فـهـو الـسَّـمِـيـرُ لـمُـهْـجـتِـي فـي الـنَّـادِي
واسْـلَـمْ ولا تَـنْـسَ الـعِـمـادِي إنـه ... لَـيُـعـلِّـلُ الأحْـشـا بـقُـرْبِ بـعـادِ

ومما أنشدني قولُه[1]: [الطويل]

سـأطْـمِـسُ آثـاراً هَـوايَ أثـارَهـا ... وأنـفُـضُ مـن ذَيْـلِ الـتَّـصـابِـي غُـبـارَهـا
لقد آن صَحْوِي من سُلافِ صَبابةٍ ... لقد طال ما خَامرْتُ جَهْلاً خُمارَهَا
هجرْتُ الهوى والزَّهْوَ حتى اشْتياقَه ... وطيبَ ليالِي اللَّهْوِ حتى اذْكارَهَا

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ٢/ ٣٨٧.

Marfat.com

وعفَّيْتُ سُبْلَ الهَزل بالجِدِّ مُقلِعاً ... وعِفْتُ مَسرَّاتٍ جنَيْتُ ثِمارَهَا
أَثام كُفِيتُ اليومَ بالتَّركِ شرَّها ... لعلِّي غداً في الحشْرِ أُكْفَى شَرارَها
قَطَفْتُ أزاهِيرَ الصَّبابةِ في الصِّبا ... وقد صار عاراً أن أَشُمَّ عَرَارَهَا
فلو صائداتُ القلبِ أقْبَلْنَ كالْمَهَا ... وقبَّلْنَ رأسِي ما قبِلْتُ مزَارَهَا[1]
وقد كنتُ أوْدَعتُ الحِجَا فاسْتَرَدَّهُ ... إلى النَّفْسِ شَيْبٌ قد أعاد وَقَارَهَا
وكان شَبابي شَبَّ نارَ صَبابتِي ... فمُذْ لاحَ نُورُ الشَّيْبِ أخمدَ نارَهَا
تُرَى شَيْبَتِي ما عُذْرُها لشَبيبتِي ... وقد صَبَغتْ قبل الكمالِ عِذارَهَا
تبسَّمَ ثَغْرُ الشِّعرِ فيها تعجُّباً ... لها إذْ رَأى ليلَ السِّبَالِ نهارَهَا
فما زار وكْرَ الشِّعر فيها غُرابُه ... ولا دارَ حتى اسْتوطنَ البازُ دارَهَا
عسى الآن عمَّا قد عَثُرْتُ إنابَةٌ ... يقُيلُ بها للنَّفْسِ رَبِّي عِثارَهَا
عسى رَحْمةٌ أو نَظْرةٌ أو عِنايةٌ ... يَسِمُّ سُعودِي في صُعودِ مَنارهَا
عسى نَفحةٌ من نُورِ نُورِ معارفٍ ... تَهُبُّ فتَختارُ الفؤادَ قَرارَها
ويشرحُ صدْرِي نورُ علم مُقدَّسٍ ... يُرِينيَ أسرارَ العلوم جهارَها
وأُمْنَح ألْطافاً من الإنسِ أبْتَغِي ... خَفَاها ويأبَى الوجدُ إلاَّ اشْتِهَارَهَا
وتُكْشَف عن عيْنِ البَصيرةِ حُجْبُهَا ... بأنْوارِ عِرفانٍ تُزِيل اسْتِتارَهَا
فَيَظْهرُ لي سِرُّ الحقيقةِ مُشْرِقاً ... على ظُلَم الكون التي قد أنارَهَا
وأحْظَى بحالاتٍ من القُرْبِ أكْتَسِي ... بدُنْيَا وأُخْرَى فضْلَها وفَخَارَهَا
ولُطْفُ إلهي قُطْبُ دائرةِ المُنَى ... فإنَّ عليه في العطاءِ مَدارَهَا

وقال قُبَيل موتِه، رحمه الله: [الكامل]

قد شابَ فَوْدِيَ حين شابَ فؤادِي ... فكأنما كانَا على مِيعادِ
حُسْنَ الخواتِم أرْتجي من مُحْسِنٍ ... قد مَنَّ لي قِدْماً بحُسْنِ مَبادِي
وعِمادِيَ التَّوحيدُ فهْوَ وَسيلتِي ... في نَيْلِ ما أرْجُوه عند مَعادِي
إن قيلَ أيُّ سفينةٍ تَجْري بلاَ ... ماءٍ وليس لأهْلِها مِن زَادِ
قُلْ رَحْمةُ الرحمن مَن أنا عَبْدُهُ ... تَسَعُ العبادَ فَمَن هو ابنُ عِمادِ[2]

وكتب إليَّ وهو مريض، وقد سمع بعَوْدِي لمصر، ولم يلبَثْ بعدَه إلا قليلاً، ما صورتهُ:

أسعدَ الله تعالى طالِعَ مصر وما حولها من الأمصار، وأنجدَ هذا العصرَ وما يليهِ من الأعصار، وأبَّد عِزَّة العلومِ وأهْلِيها، وأيَّد دولةَ الفضائل وطالِبيها، بدَوام سعادةِ أيامِ عيْنِ

(١) البيت في نفحة الريحانة: ١/ ٥٢٧ .
(٢) الأبيات في خلاصة الأثر: ٢/ ٣٨٨ .

Marfat.com

أهلِ المعارفِ والمعالي، ووَاسِطة عِقْدهم الغالي، ونادِرةِ فلكِهم العالي، الذي هو صدْر العلَماء وبَدْرُهم، ومَن يدور عليه أمرُهم، فكأنهم فَلكٌ هو قُطْبُه، أو جسد هو رُوحُه وقلبُه، علاَّمة العلومِ والمعارِف، وروضةُ الأدب الوَرِيقةِ وظِلُّها الوارِف، شمسُ عصْرِه، وعَزِيز مِصْرِه، جامع المزايَا والمناقِب، شهابُ الفضلِ الثاقِب.

أُهدِي إلى حضرته العليَّة تُحَفَ التَّحِيّة، وطُرَف الأذعية المرْضِيَّة.

وأُنْهي إليه شِكايةَ نِكايةِ الشَّوقِ، واسْتِطالةَ سُلطانِه، ومَدَّ مُدَّةِ البَيْن واسْتطالةَ زمانِه.

وأُهنِّيه برُتْبة الرِّياسة العِلْميّة، التي بعضُ صفاتِها ولايةُ مصر المحمية، جُزْءٌ من آلائِها وآلاتِها، حيث أَتَتْ تسْعَى إليه، ومدَّ بالأمر الشَّريف رُواقَها عليه، على أن المولى أنْوَهُ قَدْراً، وأنبهُ شأناً وذكراً، من أن يُهَنَّى بولايةٍ، وإن أمِرَ أمْرُها، وعلا بين أهل العُلا قدرُها.

ومنصِبُ مصر وإن عظُم موقعُه، فالمولى بحمْدِ الله تعالى يرفعُه والمنصِب لا يرفعُه، وما شَرَفُه المؤثَّل المعلوم، إلا بفُنون الفضائلِ والعلوم.

وحين بلغنا وصولُه بالسَّلامة بتيْسِير المُيَسِّر، عجبْنا كيف ركِب البحرُ البحرَ، وسلك البَرُّ البَرَّ، وقلنا عاد قُسٌّ إلى عُكَاظِهِ، وعاد قيْسٌ بحِفاظِه.

ولقد أحسن مولانا السلطان، إذ أنام الأنامَ في حِرْزِ العدل والأمان، بنَصْب فيْصَلِ حُكْمِه، وحُسام قضائه؛ لحَسْم مادَّة الظلم وانْتِضائِه، فتحَ بذلك باب دَوْلة العرب، ورَواج بضاعة العلم والفضْل والأدب، فخلَّد اللهُ دولةَ سعادتِه مدَى اللَّيالي والأيام، ونظمَ أعوامَ مُدَّةِ سَلْطنتهِ في سِلْك التَّأْبِيد والدَّوام.

ونسأل الله لحضرتِكُم طول البقاءِ، ودَوام العزِّ والارْتقاء.

٣٥- أحمد بن شاهين الشَّامِيّ

صديقنا الصَّادقُ الوداد، الفاضل المُستَغرِق بمحاسنِه لمراتِب الأغْداد، قَنَّاص سوانح الأفكار، حائزُ قَصَب السَّبْق في كلِّ مِضْمار.

أديبٌ حديثُه الحسن كقِطَع الروض، ولذة النَّشْوان، يُخيِّل لسامعِه أنه صَبٌّ عليه الْجُمان، وجرَى خِلالَه ماءُ البَيان، تتسابق ألفاظُه ومعانيه إلى القلوب والآذان، حتى لا تدْرِي أيُّهما السابقُ في الولوج للسمع والجَنان، فكم هبَّت شَمْأَلُ شمائِلِه، فأضحتْ

٣٥- أحمد بن شاهين القبرسي الأصل ثم الدمشقي المولد المعروف بالشاهيني، ولد سنة: ٩٩٥، وتوفي سنة ١٠٥٣، له ديوان شعر الرياض الأنيقة في الأشعار الرقيقة، ومختصر القاموس وزيادته. انظر هدية العارفين: ١/١٥٩، وخلاصة الأثر: ١/٢١٠ .

Marfat.com

سماءُ فضائِله، فيا عجباً كيف هَمَى منه النَّدَى، وقد انْقَشع به غمام الغَيِّ عن مطالِعِ الهُدَى، فهو نُكْتَة عُطارِد، الوارثُ من المجدِ كلَّ طَرِيف وتالِد، حتى أدْنَى جُودُ أيادِيه الحِسان، ولم يشُقَّ غُبارَه سوابقُ الاسْتِحْسان.

وله نَظْمٌ ونثر أرَقُّ من دَمْع الصَّبّ، وأعْذَب من زُلال القَطْر غِبَّ الجَدْب: [الرجز]

لو بقِيَتْ سِلْكاً على الدُّهورِ ... لعطَّلتْ قلائدَ النُّحورِ
وأخْجَلتْ جواهرَ البُحورِ ... وسُمِّيَتْ ضَرائِرَ الثُّغورِ
تُهْدِي إلى الأكْبادِ والصُّدورِ ... رَوْحاً يُحاكِي نَفْثَةَ المصْدُورِ

ولما وافَيْتُ في رحلتي إلى الشَّام، نَظَمَنِي وإيَّاهُ في عِقْد الصُّحبة سِلْكُ الأيَّام، في أُوَيْقاتٍ كلُّها أصِيلٌ وسَحَر، ولا عَيْب فيها سِوى ما بها من قِصَر: [الكامل]

وكذاك أيَّام السُّرورِ قِصار

فشرَّفني بقصيدةٍ أتْحَفنِي بها، وهي قولُه: [الخفيف]

أيُّ دهر قد جادَ لي بابْتهاجِ ... وصَبَاحٍ قد لاحَ لي بانْبِلاجِ
وزمانٍ قد مَنَّ لي بنعيمٍ ... وقرانٍ وافَى بأسْعدِ تاجِ
وازْدِيارٍ من غيْرِ وَعْدِ حبيبٍ ... كشفاءٍ من غيْرِ سَبْقِ عِلاجِ
واجْتماعٍ لنا بغيْرِ اتِّفاقٍ ... كغِنًى، جاء طالباً ذَا احْتِياجِ
وسَخاءٍ من الزَّمانِ بأهْنَا ... نِعْمةٍ قد أتَتْ لأخْوج رَاجِ
بقُدوم المولَى الإمام المُفَدَّى ... أحمدَ السَّيِّد الشِّهابِ الخَفَاجِي
الشِّهابُ الذي أضاءَ فضَاءَتْ ... شامُنا مِن سِراجِه الوهَّاجِ
زارَنا في دِمَشْقَ غَيْثٌ رَوِيٌّ ... غَيْثُ علمٍ من طبْعِه الثَّجَّاجِ[1]
حين وَافَى مِن مِصْرَ والسَّعْدُ عَبْدٌ ... خادمٌ عنده بغيْرِ اخْتِلاجِ
ولو أنِّي وفَّيْتُ حقَّ قُدومٍ ... ساد حظِّي منه وزادَ ابْتهاجي
كنتُ أفْرَشْتُه جُفُونَ عيوني ... ورفَعْتُ الغُبارَ فوق الحجاجِ
عالِمٌ يُخْرِجُ الخَفِيَّ المُعَمَّى ... من علوم الأُلَى بلا اسْتِخْراجِ
عنده كالصَّباحِ من كلِّ علمٍ ... مُذْلَهِمٌّ كالليل أسْودَ دَاجِ
سيِّدي سيِّدي تحيةَ داعٍ ... مُخْلِصٍ في الوِدادِ غيْرِ مُداجِ[2]
أشْتَكِي غُرْبَتِي إلَيْكَ وأنِّي ... بين أهْلي في خِسَّةٍ وانْدِمَاجِ
غيرَ أنِّي شَرْوَى غَرِيبٍ لفقْدِي ... أهلَ وُدِّي وعِشْرَتِي وامْتِزاجي
منهمُ عُمْدَتِي الذي كان دهراً ... مُفْتِيَ الشامِ مُستَنِيرَ السِّراجِ

(١) الثجّاج: الشديد الانصباب، وفي التنزيل العزيز: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ [النبأ: ١٤].
(٢) مداجٍ: داجاه: ساتره بالعداوة ولم يُبدها.

Marfat.com

العِمادِيُّ ذاك مَن قد تَقَضَّى ... عُمره في دُعاكَ ضِمْنَ الدَّياجِي
كان واللهِ عِطْرَنا النَّدَّ لَمَّا ... نلْتَقي في ثَناكَ حين التَّناجي
كان شيْخِي وكان خِلِّي إذا ما ... نابَنِي حادِثُ وطُبَّ مِزَاجِي
فرمَتْنِي فيه الليالي عِناداً ... والليَالي معروفةٌ باللَّجاجِ
فتخلَّفْتُ في دِمَشْقَ وحيداً ... في اغْتِقالٍ وهِمَّتي في انْفِرَاجِ
أيها السَّيِّدُ الجليلُ المُفدَّى ... عُجْ بحَاجِي عن سَيْرِ حظِّي السَّاجِي
فابنُ شاهِين ذو جناح مَهِيضٍ ... باءَ إن لم تَرُشْه كالدُّراجِ
كُن لِرَاجٍ من فضل جاهِكَ عَوْناً ... حيثُ يمْضِي بما ترى مُحتاجِ
جارَ دَهْرِي عليَّ فانظُر لأمْرِي ... لا تكِلْنِي إلى اهْتمام اختياجِ
رَقَّ حالي فاجْبُرْه قبل انْصِداعِ ... فمُحالٌ في الكَسْرِ جَبْرُ الزُّجاجِ
كسَدتْ مُدَّةً بضاعةُ فضْلي ... وبمَوْلاي جاء وقتُ الرَّواجِ
بيننا حقُّ نِسْبةٍ لكريم ... ذِي بُكورٍ للمَجْدِ مَعْ إدْلاجِ
لابن عبدِ الغنِيِّ ذاكَ المُصَفَّى ... جَوْهراً عالياً مَحلَّ التَّاجِ[1]
قدَّسَ اللهُ رُوحَه وحَياهُ ... برضَاهُ من غير سَبْقِ انْزِعاجِ
وابْقَ واسْلَمْ ففي معاليك عنهُ ... خَلَفٌ للمُنَى بلا مِغْرَاجِ
كلُّ وجْهٍ تأتِيه تلْقاهُ طَلْقاً ... سافرَ البِشْرِ وافِرَ الإنْتاجِ

ومحمد بن عبد الغنيّ المذكور كان قاضيَ العساكر بالرُّوم، وله «حواشٍ على تفسير البَيْضَاوِيّ» وسنذكره إن شاء الله تعالى، آخر هذه «الرَّيحانة».

٣٦- الأمير منجك ابن الأمير محمد بن منجك

الجَزْكَسِيّ أصْلاً ومَخْتِداً، الشَّامِيّ مَنْشَأً ومولدا.

أديبٌ أرِيب، ونجيب ابن نجيب.

أورقَ عُودُه بالشام وأثْمر، فإذا عُدَّت السَّجايا عَرَضاً فسجاياه جَوْهر.

---

(١) محمد بن عبد الغني بن مير بادشاه المعروف بغني زاده، قاضي العسكر المشهور في الآفاق من موالي الروم وعلمائهم له حاشية على تفسير البيضاوي لم تتم، توفي ١٠٣٦، خلاصة الأثر ٤/ ٩ .

٣٦- الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفي الدمشقي الجركسي، نشاء في ظلال النعمة وصرف عمره في تحصيل الأدب، له من الفضل ما لا يحتاج إلى إقامته دليل، ولما مات والده انقلبت أحواله وأنفق ما ورثه وكان مبالغاً في البذل والسرف، هاجر إلى البلاد الرومية وأقام بها ثم عاد ولم يخرج من عزلته إلا قبل وفاته بعام، جمع أشعاره فضل الله المحبي والد صاحب خلاصة الأثر. بأمر من شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسام الدين زاده، ولد سنة: ١٠٠٧، وتوفي سنة: ١٠٨٠ . انظر خلاصة الأثر: ٤/ ٤٠٩-٤٢٣، وهدية العارفين: ٢/ ٤٧٢ .

Marfat.com

نشأ بها والدهرُ أبْيَض أقْمَر، ونادم العيشَ والعيشُ أخْضَر.

وللِبقاعِ تأثيرٌ في الطِّباع، والعِرْق كما قيل لمَغْرِسِه نَزَّاع، ومن كان جارَ الرِّياض لبِس طبعُه بُرْدَ نسيمها الفَضْفاض، كما لبس النهرُ الجاري، دِرْعَ النَّسيم السَّارِي. [الطويل]

وقد نسَجتْ كَفُّ النَّسيم مُفاضَةً ... عليه وما غيرُ الحُبابِ لها حَلَقْ

وقد صحِبَنِي بجِلّق، ونسيمُه سَجْسَج، وخُيوط شَبيبتِه بيَدِ الكُهولة لم تُنْسَج، ولازمني إذ رأى انْعطافي عليه، وشِبْهُ الشّيءِ مُنجذِبٌ إليه.

ومدَحني بمدائِحَ أطالَ فيهَا وأطَاب، وغَنِم الصُّحبة ولم يَرْض من الغنِيمة بالإياب.

ومما كتبَه إليَّ من شِعره، وقد طلبتُ منه ما أودعه في الرِّحلة.

صورةُ ما مدحتُ به مطلعَ نجوم المعالي، وفلك شُموس الموالِي، المولى عبد الرحمن حين قلِّد صارمَ الأحكام بدِمَشق الشَّام، صِنَت عن حوادثِ الأيام: [البسيط]

آلَى الزَّمانُ عليه أن يُوالِيكَا ... يُثْنِي عليْكَ ولا يأْتِي بثَانِيكَا[1]

إذا سطَا فبأحْكام تُنْفِذُها ... وإن سَخَا بفضلٍ من مساعِيكَا

لِيَهْنِ ذَا العيدَ حَظٌّ مِنْكَ حينَ غَدَتْ ... عُلاهُ ثم حَلاهُ من أيَادِيكَا

هِلالُه نال فوقَ البدْرِ مَنزلةً ... مُقبِّلاً وجهُه أعْتابَ نادِيكَا[2]

مُجمَّلاً بأيَادٍ منكَ فائِقةٍ ... مُعطَّواً بغَوالٍ من غَوالِيكَا

وافَى يُهَنِّي بكَ الدنيَا ونحنُ به ... يا بَهْجةَ الدِّينِ والدنيا نُهَنِّيكَا

مَن ذَا يُضاهِيك فيما حُزْتَ من شَرَفٍ ... ومن يُدانِيكَ في حِلْمٍ ويحْكِيكَا

فالشمسُ مهْمَا ترقَّتْ فهْيَ قاصِرةٌ ... عن بعضِ أيْسرِ شيءٍ من مَراقِيكا

والبدرُ لَمْحةُ نُورٍ منكَ نُبْصِرهُا ... والبحرُ قطرةُ ماءٍ من غَوادِيكا

وكلُّ طَوْدٍ تَسامَى فهْو مُحتقَرٌ ... إذا بدَتْ وَهْدةٌ من نحوِ وَادِيكَا

وكلُّ مجْدٍ فمن عَلْياكَ مُكتسَبٌ ... وكلُّ فَخْرٍ نَراهُ في حواشِيكا

وما حكَى السَّلفُ الماضِي وحدَّثنا ... من السَّجايا به إحْدى التي فِيكا

تعنُو لِعِفَّتِكَ الزُّهَّادُ مُذعِنَةً ... ويحسُد الفَلكُ الأعْلى مَغَانِيكَا

يا ابنَ الحُسام الذي للدِّينِ نُصْرتهُ ... أنتَ المُفدَّى وكلُّ الناسِ تَفْدِيكَا

أعيادُنا كلُّها يومٌ نَراكَ به ... وليلةُ القدْرِ وَقْتٌ من لَيالِيكا

ومما مدحتُ به أيضاً المولى المذكور، دام في رَغَد عيْشٍ وسرور: [الكامل]

الناسُ كلُّهُم شِراءُ عَطائِهِ ... والعِيدُ والنُّورُوز من آلائِهِ

يختالُ ذَا بالحَلْي مِن عَلْيائِه ... شَرفاً وذَا بالوَشْي مِن نَعْمائِهِ

---

(١) خلاصة الأثر: ٢/ ٣٥٤-٣٥٥، ديوانه: ٤٦ .

(٢) البيت ساقط من خلاصة الأثر.

Marfat.com

قرَّت به عينُ الغزالةِ واغْتدَتْ مكحولةً في أُفْقِها بِضيائِهِ
ما أنبتَ الأدْواحَ بعد ذُبولِها إلا سُقوطُ الطَّلِّ من أَنْوائِهِ
سَلْسالُها ونسيمُها من لُطْفِهِ وعَبِيرُها من بعضِ طِيبِ ثَنائِهِ
مولَى أقلُّ هِباتِه الدنيا فقُلْ ما شئتَ في معروفِهِ وسَخائِهِ
عَدْلٌ له مازال يُورِقُ عُودُه حتى استظَلَّ الأمْنُ في أَفيائِهِ
غيثٌ أغاثَ به المُهَيْمِنُ خَلْقَهُ مُتفضِّلاً وقضَى لهم بقَضائِه
نَجْلُ الذي الإفْضالُ من ألْقابِهِ وحُسامُ دِينِ اللهِ من أسْمائِهِ
السَّعدُ من خُدَّامِه والعِزُّ من أتْباعِه والمجدُ من نُدَمائِهِ
تسْعَى المواسمُ كُلُّها لِرِحابِهِ إذ لا بَهاءَ لها بغيْرِ بَهائِهِ[1]

ومما مدحتُ به إمام الأئمة، مُوضِح المشكِلات المُدلَهِمَّة، يوسف ابن أبي الفتح[2] إمام حضرة السلطان، دام منصوراً مُظفَّراً في كل آنٍ ومكان: [الكامل]

قمرٌ إذا فكَّرتُ فيه تعتَّبَا وإذا رآني في المنام تحجَّبَا[3]
صادفْتُه فتناولَتْ لحظاتُه عقلي وأعْرضَ نافراً مُتحجِّبَا
مُتورِّد الوجَناتِ خَشْيةَ ناظرٍ أضْحى برَيْحانِ العِذارِ مُنقَّبَا
ساومْتُه وَصْلاً فأعْجَم لفظُه وأظنُّه عن ضِدِّ ذلك أعْرَبَا
أنا مِنْه راضٍ بالصُّدودِ لأنَّني أجِد الهوانَ لدى الهوَى مُستعذَبَا
شيئانِ حدِّثْ باللَّطافةِ عنهما عَتْبُ الحبِيب وعَهْدُ أيّام الصِّبَا
وثلاثةٌ حدِّثْ بطِيب ثنائِها زَهرُ الرياض وخلْقُ يُوسفَ والصَّبَا
علاَّمةُ الآفاقِ من أشْعارُه لعلومِه أضْحَتْ طِرازاً مُذهَبَا
مَن لو رآه البحرُ يوماً مُغضَباً لرأتَه من خَشْيةٍ مُتَلهِّبَا
مَن لو أصابَ البرَّ أيسرُ قطْرةٍ من راحَتَيْهِ لعاد رَوْضاً مُخْصِبَا
مَن لو نظَمْتُ الشُّهبَ فيه مدائحاً لظَننْتُ فِكري قد أساءَ وأذْنَبَا
ما نسْمَةٌ سَحَريَّةٌ شِخرِيَّةٌ باتَتْ تُعَلُّ من الغَمام الأعْذَبَا
نَشْوانةٌ وافَتْ تجرُّرُ في الرُّبَى ذَيْلاً بمِسْكيِّ الرياض مُطيَّبَا
يوماً بأحْسنَ من صِفاتِ جَنابه أنَّى تَداوَلَها اللسانُ وأطْيَبَا
مَن ذَا يُقاسُ بماجدٍ جُعِلتْ له أرْضاً رِقابُ الحاسدين وقدْ أبَى

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ٢/ ٣٥٥، وديوانه: ٤٢ .
(٢) يوسف بن أبي الفتح بن منصور السقيفي الدمشقي الحنفي، ولد بدمشق ونشأ بها، أخذ عن علماء عصره كالحسن البوريني، كان ذكياً حسن الطبع، لطيف الشعر، كان إمام السلطان، وكان مناظراً جيداً، توفي سنة: ١٠٥٦ . انظر خلاصة الأثر: ٤/ ٤٩٣ .
(٣) ديوانه: ٧١ .

Marfat.com

ومما مدحتُ به المُبرِّز في العلوم، المالكَ أزِمَّة المنطوق والمفْهوم، والبارعَ في المنثُور والمنظوم، المرحوم عبد الرحمن العِمَادِيّ، مفتِيَ دِمَشْق الشَّام: [الكامل]

بانَ الخَلِيطُ ضُحًى عن الجَرْعاءِ ... فمَن المُقِيمُ لِشِدةٍ وعَناءِ[1]
اللهُ يعلمُ أن صُبْحِي في الهوَى ... سِيَّان بعد رَحِيلِهم ومَسائِي
تُطْوَى عليَّ النائِباتُ كأنَّني ... سِرُّ الهَوى وكأنها أحْشائي
وأشدُّ ما يشْكو الفؤادُ مُمَنَّعٌ ... في لحْظِهِ دائي ومنهُ دَوائي
رَيْحانةُ الحسنِ التي لعِبتْ بها ... رِيحُ الصَّبا لا رَاحةُ الصَّهْباءِ
تجْري مِياهُ الحُسنِ في أعْطافِه ... جَرْيَ الصَّبابةِ منه في أعْضائي
قمرٌ إذا حسرَ القِناعَ مُخاطِباً ... شخَصتْ إليه أعْيُنُ الأهْواءِ
ملكَتْ وِلايةَ كلِّ قلبٍ مُولَعٍ ... لَحَظاتُه من عالمِ الإنْشاءِ
إن يُخْفِه ليلُ النَّوى فجبِينُه ... صُبْحٌ يَنِمُّ عليه بالأضْواءِ
كم بِتُّ مَطْوِيَّ الضُّلوعِ على جَوًى ... أُغْضِي الجُفونَ به على الأقْذاءِ
فإلى مَ فيه تَهتُّكِي وتَنَسُّكِي ... وعلَى مَ فيه تبسُّمِي وبُكائي
عَلُّ الزُّمانَ يُفيدُني حمْلَ المُنَى ... حيثُ الْتجأْتُ لأوْحدِ العُلماءِ
نَجْلُ العِمادِ ومَن بنَتْ عزماتُهُ ... بيْتاً دعائِمهُ على العَلْياءِ
مجدٌ سمَا بجَنابِه حتى لقد ... بلغَ السَّماءَ وفاتَها بسَماءِ
تَنْدَى أنامِلُه ويُشرِقُ وجهُه ... فيجودُ بالآلاءِ واللألاءِ
يقِظٌ بأعْقابِ الأُمُورِ كأنَّما ... جُلِيتْ عليه حقائقُ الأشْياءِ
سُبْحانَ من جَمع الفَراسةَ والهُدَى ... لِجَنابه السَّامِي على النُّظَراءِ
ومَهابَةٌ ساد الوُلاةَ وَلاؤُها ... مَحْفُوفَةٌ بجَلالةٍ وبَهاءِ
وشَمائِلٌ رقَّتْ كما خطَرتْ عبلى ... زَهْرِ الرَّبيعِ بَواكِرُ الأنْداءِ
مولايَ بل مَوْلَى البريَّةِ في صَفَا ... صِدْقِ الطَّوِيَّةِ من بَني حَوَّاءِ
أنت الذي مازلْتَ تِرْبَ وِلايةٍ ... وأبو الوَرى في طِينِه والماءِ
تتْلُو على سمْعِ المحامد والثَّنَا ... آياتِ مدْحِك ألْسُنُ النَّعْماءِ
للهِ أمٌّ ما غُذِيتَ بثَدْيِها ... إلا لِبانَ العِزَّةِ القَعْساءِ[2]
أطْلَعتَ شمسَ الفخْرِ في فَلك العُلا ... وحفَفْتَها بكَواكِبِ الأبْناءِ
المالِئُونَ قلوبَ أهلِ زمانِهم ... حُبًّا وأكنافُ الرَّجا بغَناءِ
والضَّارِبونَ خيامَ سُؤْددِهِمْ على ... هَامِ السِّماكِ ومَفْرِقِ الجَوْزاءِ

---

(١) ديوانه: ٧٣-٧٤ .
(٢) العزة القعساء: العزة الثابتة الراسخة.

Marfat.com

يـا مَـورِداً حـامَـتْ عـلـيـه غُـلَّـتـي ... مُـذ جِـئْـتُـه مُـسـتـسـقِـيـاً ورَجـائِـي
وافَـتْـكَ مـن صَـوْغِ الـقـريـضِ فَـرائـدٌ ... نُـظِـمَـتْ بـأيْـدِي الـفـهْـم والآراءِ
لا بـل سَـقَـيـتَ ريـاضَ فـكـرٍ مـاحِـلٍ ... مـنِّـي بـفـضْـلِـكَ صَـيِّـبَ الآلاءِ
فـهـصَـرْتُ غُـصْـنَ مـعـارفٍ ومـآثـرٍ ... وجـنَـيْـتُ نَـوْرَ مـحـامـدٍ وثَـنـاءِ
هـيْـهـاتَ مـا شِـعْـرُ الأنـام مُـقـارِنـاً ... شِـعْـراً تـشـرَّفَ مـنـك بـالإصْـغـاءِ

ومما مدحتُ به أيضاً المرحوم عبد الرحمن العِمَادِيّ المذكور: [م. الكامل]

يـا ابـنَ الأمـاجـدِ أنـتَ مِـنْ ... أيِّ الأفـاضـلِ وابـنُ مَـنْ
كـذَبَ الـذي حـسِـب الـزَّمـا ... نَ أتـى بـمـثْـلِـكُـم وظَـنّ
أيُـقـاسَ مـا غـرسَ الـعُـلاَ ... يـومـاً بـخَـضْـراءِ الـدِّمَـنْ[1]
والآلُ بـالـغَـيْـثِ الـمُـغِـيـ ... ـثِ إذا تَـوالـى أو هَـتَـنْ[2]
الـعِـلـمُ سِـرُّ الـلـهِ لـيْـ ... سَ عـلـيـه غـيـرُكَ يُـؤْتَـمَـنْ
والـمـجـدُ سـار إلـى جَـنـا ... بِـكَ مِـن أبـيـكَ عـلـى سَـنَـنْ
وبـك الـمـنـاصـبُ فـخـرُهـا ... دون الـورَى مـن قـبْـلِ أنْ
فـإلـيْـكَ مـنِّـي روْضـةً ... بـالـشُّـكـرِ يـانِـعـةَ الـفَـنَـنْ
لِـمَ لا يـطِـيـرُ بِـيَ الـرَّجـا ... ءُ إلـى حِـمـاكَ مـدَى الـزَّمَـنْ
وبـذَرْتَ لـي حَـبَّ الـمُـنَـى ... ونـصَـبْـتَ لِـي شَـرَكَ الـمِـنَـنْ
ومـلَـكْـتَ رِقَّ مـدائِـحِـي ... بـالـخَـلْـقِ والـخُـلُـقِ الـحـسَـنْ[3]

ومما مدحت به شيخَ الإسلام علَمَ العلماء الأعلام العلاَّمة قُدوة المحقِّقين، وعمدة الفقهاء والمحدِّثين المرحوم الشيخ أحمد المَقَّرِيَّ المغْرِبيّ[4]، سقى اللهُ ثَراه سحائبَ الغُفْران: [البسيط]

فـخـراً دِمَـشْـقُ عـلـى كـلِّ الـبـلادِ بـمَـن ... أوْلَـى الـبـريَّـةَ مـعـروفـاً وعِـرفـانَـا
الـمَـقـرِيُّ الـذي فـي بـعـض أيْـسـرِ مـا ... حـوَى مـن الـفـضـلِ كـلٌّ راحَ حَـيْـرانَـا
شـمسٌ مـن الـغـرْبِ قـد كـانـتْ مـشـارقُـهـا ... بـل دونَـهـا الـشـمسُ يـوم الـفـخـرِ بُـرهـانَـا
أغَـرُّ مـا أخـدَقَـتْ أيـدِي الـفِـطـام بـه ... إلا وأضْـحَـى بـمـاء الـمـجْـدِ رَيَّـانَـا

---

(١) دمن: الدمنة: هي البقعة التي سوّرها أهلها وبالت فيها وبعرت مواشيهم. وخضراء الدمن: المرأة الحسناء في منبت السوء.
(٢) هَتَنَتِ السماء: هطلت وتتابع مطرها.
(٣) ديوانه: ٧٢ .
(٤) أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني المالكي، نزل دمشق، واستقر أخيراً في مصر، كان حافظاً للحديث، أية في الأدب، له مؤلفات كثيرة، أشدها نفح الطيب، توفي سنة: ١٠٤١، انظر خلاصة الأثر: ١/٣٠٢-٣١١، وهدية العارفين: ١/١٥٧ .

Marfat.com

تـكـاد تـقـرأُ فـي لألاءِ غُـرّه ... من سُورةِ العِزَّةِ القَعْساءِ عُنوانَا
له من الفكرِ ما تحْنُو لأيْسرِه ... ثـواقِـبُ الـزُّهْـرِ إرْشـاداً وإذْعـانَـا
وسِيرةٌ عن أبي حفْصٍ تلقَّنها ... إلى وَقارٍ يُضاهِي هَذْي سَلْمانَا
مُصاحِبٌ حُسْنَ فعل الخير يعشَقُه ... مُـراقِـبٌ ربَّـه سِـرّاً وإعْـلانَـا
يـقْـضِـي الـنـهـارَ بـآراءٍ مُـسـدَّدةٍ ... ويـقـطـعُ الـلـيـلَ تـسْـبـيـحاً وقُـرآنَـا
لأيِّ وِرْدٍ نُـوَلِّـي الـيـوم وِجْـهَـتـنـا ... وقـد غـدا بـحـرُه الـطَّـامِـيُّ مُـزْجـانَـا
لـئِـنْ مُـنِـحْـنَـا بـلَـحْـظٍ مـن مـواهـبِـهِ ... نِلْنا الثُّريَّا وكان الخيرُ عُقْبَانَا
شفَى بدرْسِ «الشِّفا» مرضَى دِرايتِنا ... لـمَّـا أفـاد مـع «الإيـضـاح» إتْـقـانَـا
هيْهاتَ هيهاتَ مَن في القوم يُشْبِهُهُ ... هل السَّرابُ يُضاهي الغيْثَ هَتَّانَا
إذا مشَى فعلَى الأعْناقِ مِشْيَتُه ... وإن رأيْـتَ رجـالَ الـحـيِّ رُكْـبـانَـا
يـا سيِّدَ الـعـلـمـاءِ الـعـامـلـيـنَ ومَـن ... هـو الإمـام الـمُـفـدَّى حـيـثُـمـا كـانَـا
أبْـرأْتَ ذِمَّـةَ دهـرٍ جـاء يَـمْـنـحُـنِـي ... بـعـد الإسـاءةِ مـن لُـقْـيـاكَ إحـسـانَـا
دهـرٌ يُـقـتِّـل آمـالـي وأُوسِـعُـه ... إذ أنـت مِـن أهـلِـه حَـمْـداً وشُـكْـرانَـا
فطَأْ كما شِئْتَ لا تنفكُّ مُنتصِراً ... بـأَخْـمَـصَـيْـكَ مـن الأعـداءِ تِـيـجـانَـا
واهْـنَـأْ فـأَنـت الـذي أوْلاهُ خـالـقُـهُ ... مـن الـمـلائِـكِ أنـصـاراً وأعـوانَـا
واسمَعْ لها من قوافٍ لا يُماثِلُها ... قـولٌ مـن الـشِّـعـر إلا قـولُ حَـسَّـانَـا
واستـجْـلِـهـا نُـزَهـاً لـو أنَّـهـا رُزِقـتْ ... حظًّا لكانت لعيْنِ الدهرِ إنسانَا[1]

قال: ومما أجبْتُ به عن لُغز في يَرَاع، أرسله إليّ الفاضل الذي طابت بذكرِ مآثرِه الأسماع محمد الكَرِيميّ[2]، وفي ضِمْنِه لُغز في مُهنَّد: [الطويل]

فِـدًى لـك رُوحِـي مِـن رَشـاً مُـتَـبـرِّمِ ... ومـن مُـنْـجِـدٍ بـالـمُـسـتَـهـامِ ومُـتْـهِـمِ[3]
ومِـن عـاتِـبٍ إلاَّ عـلـى غـيـر مُـذْنِـبِ ... ومِـن ظـالـم إلاَّ عـلـى غـيـرِ مُـجْـرِمِ
سقْتنِي العيونُ النُّجْلُ منك سُلافةً ... جرَتْ قبلَ خَلْقِي في عروقي وأعْظُمِي
وأسْلَمني فيك الغرامُ إلى الرَّدَى ... فإن كنتَ مَن يرْضَى بذلك فاسْلَمِ
بعُدتَ ولي في كلِّ عُضْوٍ حُشاشةٌ ... تـذُوبُ وطَـرْفٌ هـامِـعُ الْـجَـفْـنِ بـالـدَّمِ
ولستُ مَلوماً أن مَن أيْقظَ النَّوى ... حُـظـوظِـي الـتـي لـم تَـجْـنِ غـيـرَ تَـنَـدُّمِ
جلَبْتُ إلى نفسِي المنيَّةَ عندما ... رمَيتُ فلم تُخْطِئْ فؤادِيَ أسْهُمِي

---

(١) ديوانه: ٧٩ .

(٢) محمد بن يوسف بن يوسف الكريمي الدمشقي، ولد سنة: ١٠٠٨ ، قرأ على علماء عصره، وأتقن الفارسية والتركية، كان ينظم الشعر باللغات الثلاث، اشتغل بالتدريس والقضاء، رحل إلى بلاد الروم، توفي سنة: ١٠٦٨ . انظر خلاصة الأثر: ٤/ ٢٧٣، وهدية العارفين: ٢/ ٢٨٧ .

(٣) ديوانه: ٩٠ - ٩١ .

Marfat.com

أبَى اللهُ أن أبْكِي لغيرِ صَبابةٍ ... وأرْتاعَ إلا مِن حبيبٍ بمُؤْلِمِ
سَجِيَّةُ نفسٍ لا تزالُ مَليحةً ... من الضَّيْم مَرْمِيًّا بها كُلُّ مُجْرِمِ
أُجَمِّعُ شُرَّدَ المعالي وإنَّني ... أبيتُ بفكرٍ في الهوى مُتَقسِّمِ
وأنْدُب أوقاتاً ألذَّ من المُنَى ... تقَضَّيْنَ لي بينَ الحَطِيم وزَمزم[1]
تطارحُني فيهِنَّ ذاتُ تَبَسُّم ... حديثَ هوًى أحْلى من الشُّهْدِ في الْفَمِ
مَوشَّحةُ الأعْطافِ حالِيةُ الطَّلاَ ... تُقلِّد عِقْداً من دُموعي ومِن دَمِي
أبَتْ أن تُرَى إلا لِطَرْفِ تفكُّرٍ ... ويَلْثِمها إلا شِفَاهُ تَوهُّمِ
أَبِيتُ سَلِيمَ القلبِ منها كأنَّني ... أراقبُ صَفْوَ العيشِ من فَم أرْقَم[2]
وما أنا مَن يَسْلُو هواها وينْثَنِي ... إلى أحدٍ غيرِ الكريم المُعَظَّمِ
محمدٍ السَّامِي الجَنابِ ومَن غَدَا ... له كَرَمُ الأخْلاقِ دونَ التَّكَرُّمِ
هُمامٌ لقد أضْحَتْ مآثِرُ فضْلِهِ ... على جَبْهةِ الدنيا كغُرَّةِ أدْهَمِ
ومَوْلًى إذا ضَنَّ السَّحابُ بِوَبْلِهِ ... علَيْنَا سَقانَا مُسْجَماً بعد مُسْجَمِ
له سُؤْدُدٌ حَلَّ السِّماكَيْنِ رفْعَةً ... وذلك إرْثٌ فيه من عَهْدِ آدَمِ
وكَفٌّ تحلَّتْ بالسَّماحِ بَنانُهَا ... بغيْرِ نُضارِ الفضْلِ لم تَتَخَتَّمِ
فما روضةٌ غَنَّاءُ باكيةُ الْحَيَا ... تَبَسَّمُ عن ثَغْرَيْ أقَاحٍ وعَنْدَمِ[3]
تمُدَّ بها ريحُ الصَّبا خَطواتِها ... وتَرْفُلُ في ثوبٍ من النَّورِ مُعْلَمِ
بأبْهجَ وجْهاً منه عند هِباتِه ... إذا يمَّمتْ يُمْناهُ آمالُ مُعْدِمِ
فيا ماجداً كلُّ المفاخِرِ أصبَحتْ ... إلى مجدِه الوَضَّاحِ تُعْزَى وتَنْتَمِي
أتَتْ تَتَهادَى منكَ في مِرْطِ دَلِّها ... خَرِيدةُ أفْكارٍ وطَبْعٍ مُسَلَّمِ[4]
وما اصْطَحبَتْ إلا البلاغةَ مَخْرَماً ... وهل غيرُها للبِكْرِ يُلْفي بمَخْرَمِ
لها صوتُ داودٍ وصورةُ يُوسُفٍ ... وحِكمةُ لُقمانٍ وعِفَّةُ مَرْيَمِ
تُسائِلُنا عمَّا براه إلهنَا ... لتَسْطِيرِ آجالٍ ورِزْقٍ مُقسَّمِ
جَرى قبْلَ خلْقِ الخلْقِ في اللَّوحِ بالذي ... يكونُ وما قد كان من قبلُ فاعْلَمِ
يَراعٌ يُراعُ الخَطْبُ منه وإنَّه ... ليُثْمِر من جَدْوَى يديْك بأنْعَمِ
أرانِي طريقَ الفضْلِ حتى سلَكْتُه ... وأوْضحَ لي من لُغْزِهِ كلَّ مُبْهَمِ
فما اسْمُ رُباعِيٍّ إذا بَانَ صَدْرُه ... غَدَوْتَ به ذا لَوْعَةٍ وتَرَنُّمِ
وما هِي إلاَّ بلْدةٌ في رُبوعِها ... يطيب مُقام المُسْتَهامِ المُتَيَّمِ

---

(١) الحطيم: بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة المشرّفة.
(٢) الأرقم: ذكر الحيّات، أو أخبثها.
(٣) العندم: نبات لونه لون الدم، يقال: فتح أفواه عروقه عن دم كأن لونه لون عندم.
(٤) المِرط: كساء من خزّ أو صوف أو كتان يؤتزر به وتتلفع به المرأة والجمع: مروط.

Marfat.com

وإن مَحت الأفكارُ من ذَاك ثالِثاً ... بكَيْتَ الصِّبا فيه وعَهْدَ التَّنَعُّمِ
ويُذْكِرُني أخْلاقَك الغُرَّ شِطْرُهُ ... وتخْرِيفُه ضِدٌّ لكم لم يُكَرَّمِ
ويُبْدِي لنا من قَلْبِه الشمسَ في الضُّحَى ... ويطلُعُ فيها أنجُماً بعد أنْجُمِ
وثانِيهِ مَحْمودٌ لدى كلِّ عاشِقٍ ... ومَن ذا يَراهُ مِن وُشاةٍ ولُوَّمِ
ويُسْلِمُني يومَ التَّرَحُّل قلبُه ... ولكنَّه مِن غيرِ كفٍّ ومِعْصَمِ
ويُوصِلُ ما بين الملوكِ وقَصْدِها ... وإن هَمَّ في أمرٍ على الفوْرِ يفْصِمِ
حَلِيفُ نُحُولٍ لم يذُقْ قَطُّ جَفْنُهُ ... مَناماً ولم يطمَعْ بطَيفٍ مُسَلِّمِ
فَعولٌ ولكن ليس يُدْعَى بفاعلٍ ... قَؤولٌ ولكن ليس بالمُتَكَلِّمِ
على أنه قد بان بعْدَ خفائِه ... وأصبحَ مشهوراً لَدَى كلِّ ضَيْغَمِ
فأنْزِلْهُ من نادِيكَ أشْرفَ منزلٍ ... وألْبِسْهُ حَلْياً من قريضٍ مُنظَّمِ
ولولا معانِيكَ العِذابُ وصَوْغُها ... لكان عسيراً بالمديح تكلُّمِي
وقابِلْ جوابي بالقَبُولِ تفضُّلاً ... وسامِحْ فإن الفضْلَ لَلْمُتَقَدِّمِ

قال: وقلتُ متغزِّلاً: [الطويل]

وافَى الربيعُ فما عليك بِعَارِ ... خَلعُ العِذارِ ولا ازْتِشافُ عُقارِ[1]
صَهباءُ ليس يجوزُ عندي مَزْجُها ... إلا بِرِيقَةِ شادِنٍ مِعْطَارِ
تدعُ الدُّجى صُبْحاً إذا هيَ أُبرزتْ ... فكأنما اغْتُصِرتْ من الأَنْوارِ
قُمْ هاتِها حيثُ الهَزَارُ قد اغْتَدَى ... في الأيْكِ مُنعكِفاً على التَّهْدَارِ
طَيرٌ أعاد الغصنَ جُنْكاً رُكِّبَتْ ... أوْتارُه مِن فِضَّةِ الأمْطارِ[2]
وتبُثُّه رِيحُ الصَّبا ويَبُثُّها ... ذِكْرَ الهوى مِن سالِفِ الأعْصارِ
فانْهَضْ لتغْتَنِم الشَّبيبةَ قبل أنْ ... يَرْمِي المشِيبُ الصَّفْوَ بالأكْدارِ
واشرَبْ على وَرْدِ الرُّبَى إنْ لم تَجِدْ ... وَرْدَ الخُدودِ لِقِلَّةِ الدِّينارِ
وانْصِبْ بفكرِكَ في الهوى شَرَكَ المُنَى ... لوُقوعِ ظِلٍّ أو خَيالِ سَارِي
هذا ولستُ أرَى إذا فُقِدَ الذي ... أهْوَى جِنَانَ الخُلدِ غيرَ النَّارِ
هيْهاتَ ما النَّايُ الرَّخِيمُ ونَشْوةُ الـ ... ـخمرِ القديم ونَغْمَةُ الأوْتارِ
وحَنِينُ هيْنَمةِ الرياضِ عشِيَّةً ... وتراسُلُ الأطْيارِ في الأسْحارِ[3]
عِنْدِي بأحْسَنَ من مُساجَلةِ الأَحِبَّـ ... ـةِ بالصَّبابةِ في سَنا الأقْمارِ
من كلِّ معبودِ الجمالِ مُحَكَّمٍ ... فيما يَشَا مُسْتَعْبِدِ الأحْرارِ

---

(١) ديوانه: ١٦٠ .
(٢) الجنك: الطُّنبور: وهو من آلات الطرب.
(٣) الهينمة: الدندنة، أو الكلام غير المفهوم.

Marfat.com

قال: وقلتُ متذكراً لمغاني الأُنس التي انْمَحَتْ آثارُها، ولم يَبْقَ للأماني ما تشبَّثُ به إلا أخبارُها[١]: [البسيط]

قَصْرَ الأمير بوادي النَّيْرَبَيْن سَقَى ... رُباك عنِّي مِن الوَسْمِيّ مِدْرارُ[٢]
كم مَرَّ لي فيك أيَّام هَواجرُها ... أصائِلٌ ولَيالِيهنَّ أسْحَارُ
حيثُ الشَّبيبةُ بِكْرٌ في غَضَارَتِها ... وللصَّبابةِ أخْلافٌ وأنْصارُ
حيثُ الرِّياضُ تُغنِّيني حَمائِمُها ... بالدُّفِّ والجُنْكِ والسَّنْطُورُ لي جَارُ[٣]
حيثُ الخمائلُ أفْلاكٌ بها طلَعتْ ... زَهْرٌ من الزُّهْرِ والنُّدْمانُ أقْمارُ
حيثُ المُدامةُ رقَّتْ في زُجاجتِها ... يُدِيرُها فاتِرُ الأجْفانِ سَحَّارُ
عِطْرِيَّةٌ نفضَتْ فيها عوارِضُه ... فَتِيقَ مِسْكٍ له الأزواحُ سُفَّارُ[٤]
ياقُوتةٌ أُفْرِغَتْ في قِشْرِ لُؤْلُؤةٍ ... فَلاحَ للشُّرْب منها النُّورُ والنَّارُ
شمسٌ تعاطَيْتُها من راحَتَيْ قمرٍ ... له من الحسن ما يَرْضَى ويختارُ
يسْعَى إليَّ بها تحت الدُّجَى حَذِراً ... من الوُشاةِ لأنَّ الليلَ سَتَّارُ
مُتَوَّجُ الرَّاحِ بالإبْرِيقِ ذا قُرطٍ ... مثل الهلالِ له الجَوْزاءُ زُنَّارُ
يسْقِي وأسْقِيه من ثَغْرٍ ومن قَدَحٍ ... إلى الصَّباحِ فمِرْباحٌ ومِخْسارُ
يضمُّنا بأعالي القصْرِ ثوبُ هوًى ... زُرَّتْ عليه من الأشْواقِ أزرارُ
أُمتِّعُ الطَّرْفَ منِّي في محاسِنِه ... وليس عندي من العُذَّالِ أشْعارُ
حتى تيقَّظَ دهْرِي بعد ما غَفلتْ ... عنِّي حوادِثُه والدهرُ غَدَّارُ

قال: وقلتُ: [الطويل]

سقَى اللهُ يومَ القصْرِ إذ كان بيْننا ... حديثٌ كمُرْفَضِّ الجُمانِ المُنَضَّدِ[٥]
برَوْضٍ يجولُ الماءُ تحت ظِلالِه ... كأيْم مَرُوعٍ أو حُسام مُجَرَّدِ[٦]
يلوحُ به قانِي الشَّقيق وقد حكى ... لواحَظَ مخْمورٍ كُحِلْنَ بإثْمِدِ
ويَهْمِي به قطرُ النَّدى فتخالُه ... مُبَدَّدَ عِقْدٍ في فِراشِ زُمُرُّدِ
ورَيْحانُه الغَضُّ الشَّهِيُّ كأنه ... مَبادِي عِذارٍ فوق خدٍّ مُوَرَّدِ
سقاني به راحَ الرُّضابِ مُهَفْهَفٌ ... فرُحْتُ به لا أفرقُ اليومَ من غَدِ
وبتُّ أظنُّ الجُلَّنارَ بدَوْحِه ... نجومَ عَقِيقٍ في سماء زَبَرْجَدِ

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ٤/٤١٦، وديوانه: ١٥٩ .
(٢) النيربان: تثنية نيرب، قرية مشهورة بدمشق في وسط البساتين.
(٣) السنطور: آلة طرب كالقانون، أوتارها من نحاس.
(٤) في خلاصة الأثر: «فتيت مسك» والسفّار: جمع مسافر.
(٥) ارفضّ: يقال: ارفضّ الدمع أو العرق: زال، والمقصود هنا: تناثر، والأبيات في ديوانه: ١٧٤ .
(٦) الأيم: الحيّة.

Marfat.com

إلى أن بدَتْ شمسُ النَّهارِ كأنها ... مِجَنٌّ كَمِيٌّ قد تحلَّى بعَسْجَدِ

قال: وقلتُ متغزلاً[١]: [الكامل]

قم للمُدامةِ يا نديمُ فإنها ... شَرَكُ المُنَى وحُبالَةُ الأفْراحِ
حمراءُ صافيةُ المزاجِ كأنَّها ... وَرْدُ الخدود أُذِيبَ في الأقْداحِ
شمسٌ إذا بزغَتْ لعيْنِك في الدُّجَى ... أغْنَتْكَ عن صُبْحٍ وعن مِصْباحِ
مِسْكِيَّةٌ أنَّى فَضَضْتَ خِتامَها ... عَبِقَ النَّدِيُّ بنَشْرِها الفَضَّاحِ
تفْتَرُّ عن حَبَب ثغورُ كُؤوسِها ... كسِقيط طَلٍّ في ثغورِ أقاحِ
يسْقِيكَها رَشَأٌ إذا غَنَّى بها ... رقَصتْ لذاك معاطِفُ الأرْواحِ

قال: وقلتُ أيضاً متغزلاً: [الخفيف]

أَلَدَيْهِ نَهْبُ النفوسِ مُباحُ ... رَشَأٌ سافِكُ الدِّمَا سَفَّاحُ
أيُّ أُسْدٍ تجُولُ حول حِماهُ ... وكِناسٍ له الظُّبَا والرِّماحُ
ابنُ عشرٍ وأربعٍ لو تبدَّى ... في دُجَى الليلِ قلتُ لاحَ الصَّباحُ
ما ربيعُ العيونِ غيرَ مُحيَّا ... هُ إليه أرواحُنا تَرْتَاحُ
ليَ من وَجْنَتَيْهِ وَرْدٌ جَنِيٌّ ... ومدامٌ من ثَغْرِهِ وأَقاحُ
تَتدانَى له القلوبُ وإن شَطَّ ... مَزارٌ،وأُبْعِدتْ أشْباحُ
إنَّ كُتْبي إليه صُحْفُ الأماني ... وبها الرُّسْلُ بيْنَنا الأرْواحُ[٢]

قال: وقلت في الشَّيْب: [الخفيف]

لا تَلُمْني على اجْتنابيَ للْكَأْ ... سِ رُوَيْداً فما عَليَّ مَلامُ
ما ترى الشَّيْبَ فِضَّةً في عِذارِي ... سَبَكَتْهُ بنارِها الأيَّامُ[٣]

قال: وقلتُ في غرض اقْتَضى ذلك: [الوافر]

أساءَ كِبارُنا في الدهرِ حتَّى ... جرَى هذا العقابُ على الصِّغارِ
لقد شربَ الأوائلُ كأْسَ خمرٍ ... غدَتْ منه الأواخرُ في خُمارِ[٤]

قال: وقلتُ متغزلاً: [م. الكامل]

ألقى فُؤادِي في أُوَارِي ... قمرٌ سُرَاه مِن اسكدارِ
يمْضِي الدُّجَى ونواظِرِي ... في حُبِّه ترْعَى الدَّرارِي
وأوَدُّ لو عِلِقَتْ بذيْـ ... ـلِ الوعْدِ منه يَدُ انتظارِي
يجْنِي فأُبْدِي العذرَ عنـ ... ـه وليس يرْضى باعْتِذارِي

---

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ٤/ ٤١٥، وديوانه: ١٦٢ .
(٢) ديوانه: ١٧٧ .
(٣) ديوانه: ٢٢٦ .
(٤) ديوانه: ٢٤٢ .

Marfat.com

أتَــرَاهُ يــذْرِي بــالــذي ... قــاسَــيْــتُــه أم غــيــرَ دارِ
أشــكُــو الــظَّــمَــا أبــداً ومــا ... ءُ الــحــسْــنِ فــي خَــدَّيْــهِ جــارِ
أغْــدُو بــه حَــيْــرانَ لا ... أدْرِي يــمــيــنــي مــن يَــسَــارِي
رِيــمٌ أَبَــتْ أخــلاقُــه ... إلا الــتَّــخَــلُّــقَ بــالــنِّــفــارِ
فــعــشِــقْــتُــه وعــلــيــهِ مِــن ... دون الــورَى وقَــعَ اخْــتِــيــارِي[1]

قال: وقلتُ متغزِّلاً: [م. الرجز]

وشــادنٍ أزْكــبــنِــي ... هَــواهُ طِــرْفَ الــخَــطَــرِ[2]
مُــهَــفْــهَــفٍ مُــبْــتــهِــجٍ ... يَــهْــزُو بــضَــوْءِ الــقــمــرِ
يــكــادُ أن يــشْــربَــه ... إذا تَــبــدَّى نــظَــرِي
أبِــيــتُ فــيــه قَــلِــقــاً ... عــلــى فِــراشِ الــسَّــهــرِ
كــأنَّ عــقْــلِــي كــرَةٌ ... لــصَــوْلــجــانِ الــفِــكَــرِ

قال: وقلتُ متغزِّلاً[3]: [الخفيف]

بِــيَ ريــمٌ كِــنــاسُــهُ الــمُــرَّانُ ... مــا لِــقَــلْــبٍ مــن مُــقْــلَــتَــيْــهِ أَمــانُ[4]
ذُو عِــذارٍ كــأنــه ظُــلْــمــةُ الــشَّــرْ ... كِ ووجْــهٍ كــأنــه الإيــمــانُ
وكــأنَّــا مــن أُنْــسِــه ومُــحَــيَّــا ... هُ بــروض تُــظِــلُّــنــا الأفْــنــانُ
خــدُّهُ الــوردُ والــبَــنَــفْــسَــجُ صُــدْغــا ... هُ لــعــيــنِــي وثَــغْــرُه الأُقْــحُــوانُ
وكــأنَّ الــحــديــثَ مــنــه هــو الــلُّــؤْ ... لُــؤ يَــرْفَــضُّ بــيْــنــنــا والــجُــمــانُ
وكــأن الــنَّــدِيَّ والــكــأْسُ تُــجْــلَــى ... فــيــه أُفْــقٌ نــجــومُــه الــنُّــدْمــانُ
وكــأنَّ الأنــفــاسَ مــنــه نــسِــيــمٌ ... وكــأنَّــا إذا شَــدَا أغْــصــانُ
وكــأنَّ الــنُّــدمــانَ فــي دَوْحَــةِ الــلَّــهـ ... ـوِ وغُــصــونٌ ثــمــرُاهــا الــكِــتَــمــانُ
يــتــعــاطَــوْن أكُــؤُسَ الــعُــتْــبِ إذْ طــا ... فَ عــلــيــهــمْ بــهــا الــمُــنَــى والأمَــانُ
يــا ســقَــى ذلــك الــزَّمــانَ وحــيَّــا ... هُ مُــلِــثٌّ مِــن الــرِّضــا هَــتَّــانُ[5]
زمَــنٌ كــلُّــه ربــيــعٌ وعــيْــشٌ ... غُــصــنُــه يــانــعُ الــجَــنَــى فَــيْــنــانُ
مَــرَّ لِــي بــالــشَّــآم والــعــمــرُ غَــضٌّ ... وشَــبــابــي يَــزيــنُــه الــعُــنْــفُــوانُ
ابــن عَــشــرٍ وأَرْبَــعٍ وثَــمــانٍ ... هِــي عــيــدٌ وبــعــضُــهــا مِــهْــرَجــانُ

قال: وقلتُ متغزلاً: [م. الكامل]

---

(١) ديوانه: ١٧٠، وخلاصة الأثر: ٤/٣٢٨، واسكدار: بلدة بالروم.
(٢) ديوانه: ١٧٩ .
(٣) الأبيات في خلاصة الأثر: ٤/٤١٣، وديوانه: ١٦٥ .
(٤) كناسه المرّان: الكناس: مولج في الشجر يأوي إليه الظبي ليستتر، والمرّان: الرماح الصلبة اللدنة.
(٥) المُلِثّ: الخفيف الذي يدوم، والهتّان: المتابع الهطول.

Marfat.com

نَبِّهْ جُفونَك من نُعاسِكْ ... واسْمح بريقِك أوْ بكاسِكْ[١]
طاب الصَّبوحُ فهاتِها ... واشْرَبْ معي بحياةِ رَاسِكْ
ما الوَردُ إلا من خُدو ... دِكَ والبَنَفْسَجُ من نُواسِكْ
أفْدِيكَ ظَبْياً أرْتجيـ ... ـكَ وأتَّقِي سَطَواتِ بَاسِكْ
تخْشَى الأسودُ مَهابةً ... مِن أن تَمُرَّ على كِناسِكْ

قال: وقلتُ متغزِّلاً، من قصيدةٍ: [الخفيف]

أتُرَى أين حَلَّ أم أين أَمْسَى ... غُصْنُ بَانٍ يُطِلُّ أغلاهُ شَمْسَا
ليتَ أني وقد ترحَّلَ بِيدٌ ... كُنَّ أمسِ لأسْطُرِ العينِ طِرْسَا
لَهْفَ شاكٍ يرى المعاهَد صُمّاً ... بعد ما شَطَّ والمعالِمَ خُرْسَا
صَدَّعُ البَيْنُ منه ثَمَّ فُؤاداً ... كان صَخْراً فعاد بالوَجْدِ خَنْسَا[٢]

ومنها:

شادِنٌ أظْلمُ الخلائقِ ألْحا ... ظاً وأمْضَى فِعْلاً وأكبرُ نَفْسَا
علَّمته الأيَّامُ طُرْقَ التَّجنِّي ... والليالِي أقْرَأنَه الصَّدَّ دَرْسَا
أطْلَعَ الحسنُ في حديقةِ خدَّيْـ ... ـهِ وُروداً تركْنَ لَوْنِيَ وَرْسَا[٣]

ومنها:

طالَما بِتُّ بالخَدائِعِ أسْقيـ ... ـهِ ثلاثاً حيناً وأشْرَبُ خَمْسَا
نمزُجُ الكاسَ بالحديثِ وما ألْـ ... ـطفَ ذاك الحديثَ معنًى وحِسَّا
لستُ أدْرِي أمِن عُصارةِ خَدَّ ... يْهِ أم الرَّاحِ صَفْوُ ما نتَحَسَّى
لا رأَتْ مُقْلتِي مُحيَّاهُ إن كا ... ن فؤادِي يسْلُوه أو يَتَأسَّى

قال: وقلتُ: [الكامل]

لا تتَّهِمْ بالسوءِ دَهْرَك إنَّه ... جَبَلٌ يُجِيبُ صَداكَ منه صَدَاءُ[٤]
مِرآتُكَ الدنيَا وفعلُك صُورةٌ ... فيها فما الشَّنْعاءُ والحَسْناءُ

قال: وقلتُ متغزِّلاً: [م. الوافر]

---

(١) ديوانه: ١٦٥ .
(٢) يشير إلى صخر بن عمر السلمي، أخي الخنساء، جاهلي، رثته أخته بقصائد شهيرة وهي أي الخنساء: تماضر بنت عمر، ويشير إلى بكائها عليه، أسلمت الخنساء ودفعت أولادها الأربعة إلى الجهاد حتى استشهدوا جميعهم في معركة القادسية، توفيت سنة: ٢٤هـ. هدية العارفين: ١/ ٢٤٥، والقصيدة في ديوانه: ٨٨-٨٩ .
(٣) الوَرْسُ: نبات في الفصيلة القرنية (الفراشية) ينبت في بلاد العرب والحبشة والهند، وثمرتها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء.
(٤) ديوانه: ٢٤٢ .

Marfat.com

تَنَاهَى عِنْدَهُ الأمَلُ ... وقَصَّر دونَه العَذَلُ[1]
رَشَاً يَفْتَرُّ عن بَرَدٍ ... تكاد تُذِيبُه القُبَلُ
يُخامِرُ عِطْفَه ثَمَلٌ ... يَميلُ به ويَعْتَدِلُ
يُمثِّل ما يُرَوِّقُه ... بِصَفْحةِ خَدِّه الخَجَلُ
فَليت به كما اتَّصلَتْ ... حَشَايَ الطَّرفُ يَتَّصِلُ
إذا ما الخِدْرُ أبْرَزَهُ ... تَناهَبُ حُسنَه المُقَلُ
لَقد أغْرَاهُ في تَلَفِي ... شَبابٌ ناضِرٌ خَضِلُ[2]
وقَدٌّ حَشْوُهُ هَيَفٌ ... وطَرْفٌ مِلْؤُهُ كَحَلُ
فما الْخَطِّيُّ غيرَ قَنَا ... قَوامٍ زَانَهُ المَيَلُ
ولا الهِنْدِيُّ غيرَ ظُباً ... حَواهَا النَّاظِرُ الغَزِلُ
سَقَى خَلْساً بِذِي إضَمٍ ... مَضَيْن الصَّيِّبُ الهَطِلُ
وعَيْشاً حين أذْكُرُه ... أمِيلُ كأنني ثَمِلُ
ورَبْعاً كنتُ أعْهَدُه ... وأُنْسِي فيه مُقْتَبِلُ
بَكَيْتُ دماً على زَمَنٍ ... لَدَى تَوْدِيعه الأَجَلُ
لَيالٍ كلُّها سَحَرٌ ... ودهرٌ كلُّه أُصُلُ

وهي طويلة.

قال: وقلت في الحماسة: [الطويل]

لَعَمْرُ أبي الرَّاقِي السِّماكَيْنِ رِفْعَةً ... وحامِي ذِمارَ المجْدِ بالحِلْم والْبَاسِ[3]
فما أنا مَنْ يرْضَى القليلَ مِن العُلا ... ولا أنا ممَّن يختَسِي فضْلَة الكَاسِ
هي النَّفسُ فاحْمِلْها على الضيْمِ إنْ تُرِدْ ... لها العِزَّ وانفُضْ راحَتَيْك من النَّاسِ

قال: وقلتُ أيضاً: [الوافر]

ومُنْتَزَه يروقُ الطَّرْفَ حُسناً ... لما فيهِ من المَرْأى البَدِيعِ
تجولُ كتائِبُ الأزْهارِ فيه ... وقد كُسِيَتْ حلَى الغَيْثِ المُرِيعِ
وبات الوردُ فيها وهْو شَاكِي السِّـ ... ـلاحِ يميدُ في الدِّزعِ المَنِيعِ[4]
حَكَى مُنْضَمُّ زَنْبقِهِ طُروساً ... وفيها عَرْضُ أحْوالِ الجميعِ
تُنَمِّقُ طَيَّها أيْدِي النُّعامَى ... وتَبْعثُها إلى مَلِكِ الرَّبِيعِ

---

(١) ديوانه: ١٢٢-١٢٤ .
(٢) فضل فضلاً: نَدي وابتلّ.
(٣) ديوانه: ١٩٨ .
(٤) شاكي السلاح: تام السلاح، كامل الاستعداد، الأبيات في ديوانه: ١٧٩ .

Marfat.com

وقلتُ إذ أنفذْتُ لبعض الأحبة كتاباً، فقبَّله وتلطَّف في حُسن الجواب: [المنسرح]

خُذها سُطوراً إليكَ قد بُعِثتْ ... ترومُ للنَّفسِ ما يُعَلِّلُهَا
في طَيِّ بيْضاءَ ظَلْتُ من وَلَهٍ ... فيكَ بأيْدِي اللِّحاظِ أصقُلُهَا
أكتُبها والدموعُ تَنْقُطُها ... بعَبْرةٍ لا أزالُ أُهْمِلُهَا
لو كان ظَنِّي إذا بَصُرتَ بها ... نيابةً عن فمِي تُقبِّلُهَا
لَرُحْت شوقاً إليك مُندرِجاً ... في طَيِّها والنَّسِيمُ يَحْمِلُها[1]

قال: وقلتُ: [البسيط]

مَهْلاً سفينةَ آمالِي لعل بأنْ ... تَهُبَّ يوماً رياحُ اللُّطفِ والكرم
ويا حُظوظِيَ رِفْقاً لستِ مُدْرِكَةً ... غيرَ الذي قسمَ الرحمنُ في القِدَمِ[2]

قال: وقلتُ أيضاً: [الطويل]

ورَوْضةِ أُنْسٍ بات فيها ابنُ أَيْكَةٍ ... يُغَرِّدُ والنَّايُ الرَّخِيمُ يُشَنِّفُ
وقد ضمَّنا فيها من الليلِ سابِغًا ... رِداءٌ بأكْنافِ الغَمامِ مُسَجَّفُ
فظَلَّتْ عَرانِينُ الأبارِيقِ بالطِّلا ... إلى أن بَدَتْ كافُورةُ الصبحِ تَرْعُفُ[3]

وهذا معنًى تصرَّف فيه وأبدع، وأدار منه على المسامع كأسَ أدبٍ مُتْرَع، وقد سبقه إليه غيرُه، كابن رَشِيق[4] في قوله: [الكامل]

صَنَمٌ من الكافورِ بات مُعانِقِي ... في حُلَّتيْنِ تَغفُّفٍ وتَكَرُّمِ
فذكَرْتُ ليلةَ هجْرِه في وَصْلِه ... فجَرتْ بقايا أدْمُعِي كالعَنْدَمِ
فطِفقْتُ أمسحُ مُقْلتِي في جِيدِه ... إذ عادةُ الكافورِ إمْساكُ الدَّمِ[5]

لكنه جعل جِيدَ محبوبه مِنْدِيلَه فدنَّسه، فلو قال: [الكامل]

فجعلتُ عيْني تحت أَخْمَصِ نعْلِهِ ... إذْ شِيمَةُ الكافورِ إمساكُ الدَّمِ

كان أَلْيَقَ بالأدب.

وممن أجاد في هذا المعنى ابنُ مَرْج الكُحْل الأنْدَلُسِيّ، في قوله[6]: [الطويل]

ألاَ بَشِّروا بالصُّبْحِ مِنِّيَ بَاكِياً ... أَضَرَّ به الليلُ الطويلُ مع البُكَا

---

(١) ديوانه: ١٥١ .
(٢) ديوانه: ٢٤١ .
(٣) ديوانه: ١٩٤ .
(٤) ابن رشيق القيرواني: الحسن بن رشيق، أبو علي الأزدي المعروف بالقيرواني، نزيل صقلية، ولد سنة: ٣٩٠، وتوفي سنة: ٤٦٣، من تصانيفه: أنموذج في الشعراء، وتاريخ القيروان، والشذرة في اللغة، والعمدة في صناعة الشعر، انظر هدية العارفين: ١/ ٢٧٦ .
(٥) البيت في نفحة الريحانة: ٦/ ١٥٤، وديوان ابن شرف القيرواني: ١١٣ .
(٦) ابن مرج الأندلسي: محمد بن إدريس بن علي، نفح الطيب: ٣/ ٢٧ .

Marfat.com

ففي الصُّبْح للصَّبِّ المُتَيَّم راحةٌ إذا الليلُ أجْرَى دَمْعَه وإذا شكا
ولا عَجَبٌ أَن يُمْسِكَ الصُّبحُ عَبْرَتِي فلم يزلِ الكافورُ للدَّمِ مُمسِكا

وقد قلتُ أنا في هذا المعنى أيضاً: [الوافر]

وساقَ ليَ السُّرورُ غداً طبيباً له طَرَفٌ يُشِيرُ إلى التَّصابِي
رأى في الكأْسِ صُبَّ دَمِ الحُمَيَّا فذَرَّ عليه كافورَ الحُبابِ

قال: ومما قلتُه أيضاً: [م. الوافر]

سقَى صَوْبُ الحَيَا زَمناً سرقْناهُ من الغِيَرِ
وقد مَدَّ الغَمامُ رِدَا لَه هُدْبٌ من المَطرِ

ومما كتَبه إليَّ الأميرُ منجك: [م. الرمل]

يا وحيداً في السَّجايَا والممزايَا باتِّفاقِ
وشِهاباً في سموا تِ العُلى سامِي الطِّباقِ
وجَواداً عندَه الأفْـ راسُ عَرْجَا في السِّباقِ
أنْتَ بَحرٌ دونَه الأبْـ حُرُ من بعضِ السَّواقِي
لا تسُمْني حَضَرَ أوْصا فِك فكرِي في وَثاقِ
راعَني الدهرُ كما قدْ رُعْتَ مِضراً بالفِراق[1]

ومما كتبَه إليَّ الأمير أيضاً: [الرجز]

قد بشَّرْتك بمِصْرَ بعضُ معاشر لم يعلَموا الأقْوالَ في تأْويلِها
مِصرُ أقلُّ نَدَى أيادِيك التي مِن فَيْضِ نائلها أصابِعْ نيلِها[2]

وهذا كثير الأمثال، كقول ابن نُباتَة المِصْرِيّ[3]: [م. الرمل]

وافَتْ أصابعُ نِيلِنَا فَيْضاً وطافَتْ بالبلادِ
وأتَتْ بكلِّ مسَرَّةٍ ما ذِي أصابعُ بل أيادي

وأحسنُ من هذا كلِّه قولي من قصيدة نبَويَّة: [الوافر]

أصابعُ سيِّدِ السَّاداتِ منها لقد رَوَّى الزُّلالْ صدى الفُؤاد
فلو منها ينالُ النِّيلْ ظُفْراً لما مَصّ الأصابع للتَّنادي
وعهْدِي بالأصابعِ في أيادٍ فكم في ذِي الأصابعِ من أيادي

---

(١) ديوانه: ٩٩ .
(٢) ديوانه: ٩٩ .
(٣) ديوانه: ١٦٣، ورواية الديوان:
وافتْ أصابعُ نيلنا وطمتْ فأكمدت الأعادي

Marfat.com

٣٧- الفاضل أبو الطَّيِّب بن رَضِي الدين الغَزِّيّ،

نزيل الشام

كان شامَة الشَّام وغُرَّةَ الليالي والأيّام.

وله في الفضل والأدب فنون، ثم تبدَّلت الفُنون كما يُقال جُنون، فاشتغل بدائِه، وصار هوى الأحبَّة منه في سُوَيْدائِه، فاعتزل النَّاس، وصار وَسْوَاسُ حَلْيِه حَلْيَ الوَسْواس، بعد ما كان طبعُه أرَقَّ من شَمائِل الشَّمال، ومعانِيه أدَقَّ من دلائِل الدَّلال.

وشِعرُه لفضلِه شِعار، وحسن خطِّه يتعَلَّم منهُ الحُسْنُ نَمْنَمَةَ العِذار.

كقوله: [الكامل]

صادفْتُه والحسنُ حِلْيَتُه ... كالرِّيم لا رُعثاً ولا قُلبَا[1]
والعِيدُ للألْحَاظِ أبرَزهُ ... والبدرُ أقربُ منه لِي قُرْبَا
أهْوَى لتهْنِئتي ومَدَّ يداً ... وَفْقَ المُنَى فتناولَ القَلْبَا[2]

ومدُّ اليدِ المعتاد، للمصافحةِ في الأعْياد، مسنُون لإظْهار القُرب والاتِّحاد، فجعْلُها لأخْذ الفؤاد معنًى بديع.

ومثلُه ما قلتُه في مدِّ اليدِ المسْنون، المأمور به في الدّعاء، وهو ممّا لم أُسْبَق إليه، فإنَّ أمْرَ السائل بمدِّ اليَد، بمعنى خُذْ ما طلبْتَ وأزْيَد: [المتقارب]

دعَوْناكَ من بعدِ قولِ اذْعُنِي ... فكيفَ نُرَدُّ وكنَّا دُعِينَا
أُمِرْنَا بمَدِّ يدَيْ سائلٍ ... ليمْلأَهَا أكْرمُ الأكْرَمِينَا
وهذِي وجوهُ الرَّجاءِ اغْتَدَتْ ... ترى بِعيونِ الظُّنونِ اليقِينَا[3]

ومن شعرِه قولُه من قصيدة: [المنسرح]

مُؤنِّبي لا برِحْتَ في عَذَلٍ ... فحبَّذا حُبُّه عليَّ وَلِي
غُصْنُ دَلالٍ أغَرُّ طَلْعتُه ... شمسُ الضُّحَى فوق ناعِمٍ خَضِلِ[4]

٣٧- أبو الطيب: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج العامري يتصل نسبه بعامر بن لؤي، دمشقي المولد، الفاضل، الأديب، الشاعر، كان غزير المادة مطلعاً على معظم شعر العرب الخلعي وغيرهم، وهو من أذكياء العالم وفضلائه المشهود لهم بالتفوق، تفقه بالشهاب العيثاوي، ورحل إلى مصر ثم عاد إلى دمشق ودرس بالمدرسة القصاعية الشافعية، توفي سنة ١٠٤٢، انظر خلاصة الأثر: ١/ ١٣٥-١٣٩، وتراجم الأعيان: ١/ ٢٦٦ .

(١) الرُعث: في أذنيه رَعْثَان: قرطان، وما تذبذب من قرط أو قلادة فهو رَعْثَة ورَعَثَة، والقُلُبُ: سوار شبّه بقُلْب النخلة في بياضها.

(٢) خلاصة الأثر: ١/ ١٣٦ .

(٣) خلاصة الأثر: ١/ ١٣٦ .

(٤) الخضِل: الندي الطري.

Marfat.com

يـجُـولُ فـي عِـطْـفِـه الـدَّلالُ إذا ... تـحـمِـل نَـقَـوَيْـهِ فَـتْـرةُ الـكَـسَـلِ[١]
رَقَّـمـتُ فـي طِـرْس خَـدِّه قُـبَـلاً ... فـظَـلَّ يـمْـحُـو بَـنـانُـه قُـبَـلِـي
وأخْـجَـلَ الـوَردَ فـي نَـضـارتِـهِ ... شَـقِـيـقُ خَـدٌ فـي ورْدَتَـيْ خَـجِـلِ[٢]

وقوله أيضاً: [م. الوافر]

تـرامَـتْ نـحـوهـا الإبـلُ ... وشـامَـتْ بَـرْقَـهـا الـمُـقَـلُ[٣]
فـتـاةٌ مـن بـنـي مُـضَـرٍ ... يُـجـاذِبُ خَـصْـرَهـا الـكَـفَـلُ
فـمـا الـخَـطَّـارُ إن خـطَـرتْ ... ومـا الـمَـيَّـالـةُ الـذُّبُـلُ
تَـكَـنَّـفَـهـا لُـيـوثُ وَغًـى ... يُـحـاذِرُ بـأسَـهـا الأَجَـلُ
لَـئـن شَـطَّ الـمَـزارُ بـهـا ... وأقْـفَـرَ دونَـهـا الـطَّـلَـلُ
يـمـثِّـلُـهـا الـفـؤادُ بـهِ ... ويُـدْنِـيـهـا لَـه الأمَـلُ
وكـمْ لـي يـومَ كـاظِـمـةٍ ... فُـؤادٌ خـافِـقٌ وَجِـلُ
وطَـرْفٌ بـعـدَ بُـعْـدِهـمُ ... بِـمِـيـلِ الـسُّـهْـدِ مُـكـتَـحِـلُ
عـلِـقْـتُ بـهـا غَـداةَ غـدَتْ ... مَـواطِـىءَ نـعْـلِـهـا الـمُـقَـلُ
فـإن سـارَتْ بـأَخْـمَـصِـهـا ... تـداعَـى الـوابِـلُ الـهَـطِـلُ
وإن قـرَّت تَـقَـرُّ الـعـيْـ ... ـنُ فِـيـنـا يُـضْـرَب الـمَـثَـلُ

وقوله: [م. الكامل]

لـم أَنْـسَ لـيـلـةَ زارنِـي ... والـبـدرُ يـجـنَـحُ لـلـغُـروبْ
ثَـمِـلاً يـمـيـلُ كـأنـمـا ... عَـبـثـتْ بـه رِيـحُ الـجَـنُـوبْ
ولـربَّـمـا جـاد الـبَـخِـلْ ... وربَّـمـا صـدقَ الـكَـذُوبْ
فـنَـهَـضْـتُ إجـلالاً لـه ... والـقـلـبُ بـالـلُّـقْـيَـا طَـرُوبْ
وفـرَشْـتُ خَـدّي مَـوْطِـئـاً ... فـمـشَـى عـلـيـهِ ولا لُـغُـوبْ[٤]
وضـمَـمْـتُـه ولـثَـمْـتُ فَـا ... هُ أَلَـذُّ مـن كـأسٍ وكُـوبْ
حـتـى بـدَا الإصْـبـاحُ وهْـ ... ـوَ لـديَّ مِـن أذهَـى الـخُـطـوبْ
ولَـوَى بـه مِـن حـيـثُ جـا ... ءَ ومُـقَـلَـتِـي عَـبْـرَى سَـكُـوبْ
هـذا الـذي أهْـواهُ إذ ... حـازَ الـبـهـاءَ عـلـى ضُـرُوبْ
مـلأَ الـمَـسـامِـعَ والـنُّـهَـى ... طِـرَ والـنَّـواظِـرَ والـقُـلُـوبْ

---

(١) النقا: عظم العضد.
(٢) الأبيات في خلاصة الأثر: ١/ ١٣٦ .
(٣) الأبيات في خلاصة الأثر: ١/ ١٣٨ .
(٤) لَغِبَ فلان لَغَباً ولُغُوباً: تعب وأعيا.

Marfat.com

وقوله: [الطويل]

وشِرْبٍ أدامُوا الوِرْدَ من أكْؤُسِ الطِّلا ... وقد أنِفُوا الإصْدارَ عن ذلك الوِرْدِ
سقَطْنا عليهم كَي نَلَذَّ لديهمُ ... سُقوطَ النَّدى عند الصَّباحِ على الوَرْدِ

وقوله: [الكامل]

عاطَيْتُه حَلْبَ العصيرِ ولا سِوَى ... زُهْرِ السَّماءِ تِجاهَ زَهْرِ المجلسِ
انظُرْ إليهِ كأنه مُتَبرِّمٌ ... ممَّا تغازِلُه عيونُ النَّرْجِس
وكأن صَفْحَة خَدِّه ياقُوتةٌ ... وكأنَّ عارضَه خَمِيلةُ سُنْدُسِ(١)

وأصلُه لابن هَانىء الأنْدَلُسِيّ: [الكامل]

عاطَيْتُه كأْساً كأنَّ شُعاعَها ... شمسُ النَّهارِ يُضِيئُهُ إشْراقُهَا(٢)
انظُرْ إليه كأنَّه مُتَنَصِّلٌ ... بجُفونِه مما جَنَتْ أحْداقُهَا
وكأنَّ صفْحةَ خدِّه وعِذارِهِ ... تُفاحةٌ حَفَّتْ بها أوْراقُهَا

وقوله: [البسيط]

خالَسْتُه نظَراً وكان مُورَّداً ... فازْدادَ حتى كاد أن يتَلَهَّبَا(٣)
انظُرْ إليهِ كأنَّهُ مُتنصِّلٌ ... بجُفونِه من طُولِ ما قد أذْنَبَا
وكأن صفْحَةَ خدِّه وعِذارِه ... تُفَّاحةٌ رُمِيَتْ لتَقْتُل عَقْرَبَا

ومن أربابِها المُدْلجين إلى منازِل الفَنَاءِ، السائرين عند
وصولي بها إلى دار البقاء، الأمْجد الأوْحد، العلَم المُفرَد:

٣٨- عبد الحق الشَّامِيّ، المعرف بالحِجازِيّ

وهو، كما أُخبِرت به، ذو فضلٍ جَسِيم، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢].

أما الفصاحةُ فهو من الغُرِّ المُحجَّلين يوم رِهانِها.

وأما الفضائل فهو من السَّابقين في حَلْبة مَيْدانِها، المُرتضِعين دَرَّ المعالي في حُجور

---

(١) نفحة الريحانة: ١/ ٩٣، وخلاصة الأثر: ١/ ١٣٧ .
(٢) انظر خلاصة الأثر: ١/ ١٣٧ .
(٣) نفحة الريحانة: ١/ ٩٤، وخلاصة الأثر: ١/ ١٣٧ .
٣٨- عبد الحق بن محمد بن محمد الحمصي الأصل الدمشقي الشافعي الملقّب زين الدين الحجازي الفاضل الأديب المشهور، ذكره كثير من المنشئين وأصحاب التواريخ وأثنوا عليه، كان اشتغاله على والده وغلبت عليه العلوم العقلية مع إحاطة تامة باللغة العربية، سافر إلى الروم وأخذ عن أبيه المدرسة التقوية ودار الحديث الأشرفية، ولد سنة: ٩٩٢، وتوفي سنة ١٠٢٠ . انظر: خلاصة الأثر ٢/ ٣١٠، وتراجم الأعيان: ٢/ ٣٥٣، ونفحة الريحانة: ١/ ٣٧٥ .

Marfat.com

الفضائل، المُرْتَدِين بُرود المكارِم وشَمْلَةَ الشمائل، العاكِفين في حَرَم العَفاف، المُقْتَطِفين لجَنى المجد الغَضِّ القِطاف.

فمن ثِماره المُتَفتِّح عنها عيونُ أنوارِه، الدَّالةِ على طِيب المَغْرِس وزكاء المَنْبَت، قولُه من قصيدةٍ طويلة: [الطويل]

سقَى الرَّبْعَ هَطَّالٌ من المُزْنِ ساكِبُ ... وجادَتْ عليه السَّارِياتُ السَّوارِبُ
هَدِيَّةُ رَجَّافِ العَشِيِّ كأنه ... كتائبُ تقْفُو إثْرَهُنَّ كتائبُ
وكلُّ صَدوقِ البَرْقِ دانٍ رَبابُه ... تنُوءُ فُوَيقَ الأرضِ منه الهَيادِبُ
تُزجِّيه أنفاسُ الشَّمالِ وتمتري ... ضُروعَ عَزَالِيه الصَّبا والجَنائبُ[1]
يُرَوِّي بها في سَيْبهِ باطِنَ الثَّرَى ... وتُمْحَى لسُقْياها المُحُولُ اللَّوازِبُ
كأنَّ هدِيرَ الرعدِ في جَنَابتِه ... هديرُ قُروم هيَّجَتْها الضَّوارِبُ
كأنَّ دموعَ المُزْنِ وهْيَ سواكِبٌ ... دموعُ مُحِبٍّ فارقَتْه الحبائِبُ
فذَاك الحَيا لا زال في أرْتُع الحِمَى ... مَرِيئاً بِهِ منها الزُّلالُ الخَضارِبُ[2]
فتُصبِح منه الأرضُ مُخْضَرة الرُّبى ... مُجلَّلةً بالرَّيطِ منها الأهاضِبُ
ويُصبحُ منثُوراً بها رَيِّقُ الحَيَا ... كما نَثرت من جِيدها السِّمْط كاعِبُ
خمائلُ فيها للظِّباءِ مسارِحٌ ... وفيها لأذْيالِ الرياحِ مَسَاحِبُ
وفيها لأطْرافِ الغصونِ ونَوْرِها ... عيونٌ علَتْ من فوقِهِنَّ حواجِبُ
كأن ثُغورَ النَّوْرِ وهْيَ بواسِمٌ ... بأرْجائِهَا القُصْوَى نجومٌ ثَواقِبُ
تَهَادَى ظِباءُ الوحْشِ في عَرَصاتِها ... كما تَتَهادَى في القصورِ المَرازِبُ[3]
كأن الرُّسومَ الدَّارساتِ تَصَبُّرِي ... عَشِيَّةَ حُفَّتْ بالقَطِين الرَّكائِبُ
فوا أسفاً لا القلْبُ من سَكْرةِ الهَوى ... يُفِيقُ ولا من غَيْبةِ الشَّوقِ آيِبُ
فمن لي بحِفْظِ العهدِ من ذِي صَبابةٍ ... أضاعَتْ هواهُ المُذْنباتُ العواتِبُ
تهُبُّ معي من هَجْعةِ العجْزِ ربّما ... تُنَالُ بأشْفاعِ الجُدودِ المَطالِبُ
فقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهْيَ فوائِتٌ ... وقد تَصْدُقُ الآمالُ وهْيَ كواذِبُ

وقوله: «هدية رجّاف» المراد بالرجّاف: الماء الجاري، وأصل معناه المُتَحرِّك المضطرب، ولهذا سُمِّي البرحُ رجّافاً، كما قاله أهل اللغة.

ولهذا أجاد القائلُ في مُرتَعِش اليَد: [البسيط]

---

(١) العزلاء: مصبّ الماء من القربة ونحوها، والجمع: عزالي وعزالَى، ويقال: أرسلت السماء عَزَاليها: انهمرت بالمطر.
(٢) ماء خَضَارب: يموج بعضه في بعض، ولا يكون إلاّ في غدير أو واد.
(٣) المرزبان: الرئيس عند الفرس.

Marfat.com

ما هَزَّ راحتَه سِوى فيْضِ النَّدَى والبحرُ من أسْمائِه الرَّجَّافُ

وقوله: «وفيها لأطْرَاف الغصون» البيت، كقول ابن نُباتَة السَّعدي، من قصيدةٍ له، مطلعها: [الطويل]

رضِبْنَا ولم تزْض السيوفُ القواضِبُ نُجاذِبُها عن هامِهِمْ وتُجاذِبُ

ومنها:

خلَقْنا بأطْرافِ القَنا في ظُهورِهِمْ عُيوناً لها وَقْعُ السُّيوفِ حَواجِبُ

وتابعه أبو إسحاق إبراهيم الغَزِّيّ، فقال: [الطويل]

خلَقْنا لهم في كلِّ عيْنٍ وحاجبٍ بسُمْرِ القَنا والبِيضِ عَيْناً وحاجِبَا

وهنا لنا فائدة نفيسة، وهي أن من أهل المعاني مَن ادَّعى أن بيْتَ الغَزِّيّ أبدعُ، لما فيه من الطِّباق بين السُّمر والبِيض، ورَدِّ العَجُز على الصَّدر، واللَّفّ والنَّشر، ومراعاةِ النَّظير[1].

وادَّعى أنه يجوز أن يُراد بالعيْن فيه الرَّئيس، وبالحاجب مَن يتْبَعُه وحُجَّابُه، والمعنى أن رماحَنا وسيوفَنا نالتْ الحاجِب والمحجوب، والرئيس والمرؤوس، مع اشتماله على التَّورِية والاسْتعارة، وهو جميعه ممَّا خلاَ عنه البيت الأول، مع ما فيه من الافْتخار بقتال الأعداء الثَّابتين، دون المُنْهَزِمين، فإنه لا يُفْتَخَر بمثلِه.

وبهذا عِيب البيتُ الثاني أيضاً، وإن ذكر صاحبُ «إيضاح المعاني» أنه أبلغُ لاشتمالِه على زيادة معنًى، وهو الإشارة إلى انْهزامِهم، وأطال فيه وأسْهَب، وبَعَّد وقرَّب.

والحقُّ ما ذهب إليه خطيبُ المعاني، فإن الفضل للمتقدِّم، وبيت النُّبَاتِيّ، أحْلَى لما فيه من التَّشْبيه البديع، بِجعْلِ أثر الطَّعنة المستدِيرة من الرمح عيْناً، وشَطْبة السَّيف فوقها حاجِباً، والإغْراب بجَعْل الظَّهْر محلَّ العيْن والحاجب.

وأما انهزامُهم فلا يدلُّ على عدمِ شجاعتِهم، حتى يُخِلَّ بالفخر؛ فإن الشجاع ينْهَزِم ممَّن هو أشْجَع منه، ولهذا قالوا: «الفِرار ممَّا لاَ يُطاق من سُنَن المُرْسَلين»[2] كما فرَّ موسى حين همَّ به القِبْط.

وما ذكَره من معْنَى العين والحاجب سخِيف، وتخَيُّل ضعيف، مع أن جعْلَ الضَّرْب في العين والحاجب من العجائب.

وقد مَرَّ لي ما نحوْتُ فيه نحو ابن نُبَاتَة بعيْنِهِ وحاجبه، وهو: [الطويل]

وتنْظرُه في قلبِيَ الصَّبِّ أعينٌ عليْها لمَخْنِيِّ الضُّلوعِ حواجِبُ[3]

---

(١) في خلاصة الأثر: ٢/ ٣١٤: نسب المحبي هذا الرأي إلى المترجم نقلاً عن الشهاب الخفاجي.
(٢) في خلاصة الأثر: «الأبنياء» ٢/ ٣١٥ .
(٣) انظر نفحة الريحانة: ٤/ ٥٤٧ .

Marfat.com

وما ذُكِرَ من النَّقد عليه نقلَه ابن الشَّجَرِيّ في «أماليه» عن الشَّريف المُرْتَضَى، وقال: إنه عابَ عليه قوله: «بظُهورِهم» وقال: لو قال: «بصُدورِهم» كان أمْدَح؛ لأن الطعنَ والضَّرب في الصُّدور أدلُّ على الإقْدام والشَّجاعة للطَّاعن والضارب، والمطعون والمضروب، لأن الرجلَ إذا وَصف قِرْنَه بالإقْدام مع ظهورِهِ عليه، كان أمْدَحَ من وصْفِه بالانْهِزام، كما قال أبو تَمَّام: [الطويل]

حَرامٌ على أرْمَاحِنا طَعْنُ مُدْبِرٍ وتنْدَقُّ في أعْلَى الصُّدورِ صُدورُهَا

ولذا قال بعضُ المحقِّقين: القولُ بأن قدْ للتَّكْثير في قوله[1]: [البسيط]

قد أتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُه كأنَّ أثْوابَهُ مُجَّتْ بفِرْصَادِ[2]

لمناسَبةِ مقامِ المدح، مِن قصورِ الفهْم.

ثم لم أزلْ أتوكَّأُ على البَيْضاء والصَّفراء، وأقِيل تحت قِباب الخضْراء والزرقاء، حتى قذَفَتْني لَهَواتُ المَهَامِه إلى حلَب الشَّهباء، والناس بين مُقوِّضٍ وراحِل، وما هذه الأيَّام إلا عُقَب ومَرَاحل، إذ ذهبَ الذين يُعاشُ في أكْنافهم كلَّ مذْهَب، وبقِيتُ في خَلَفٍ كجِلْدِ الأجْرَبِ، إن تركْتَه أذَى جَسَدك، وإن حَكَكْتَه أدْمَيْتَه ولوَّثتَ يدَك: [الطويل]

على أنَّني مِن بعد ذلك كلِّهِ وللهِ منِّي الحمدُ عِرْضِيَ أمْلَسُ

فألقَيْتُ فيها عصَا التَّسْيَار، عن كاهِل العزائِم، لما تفتَّحتْ بها عن زَهْرةِ المسَرَّة خُضْرُ الكَمَائِم، فإذا هي رَوْضةٌ مُخضَرَّةُ الأفْنان، أو قِطعة من الفِرْدَوْس أهدَتْها لنا الجِنَان. [الكامل]

وكأنَّما الخضْراءُ من طَرَبٍ بها نثَرتْ كواكبَها على الأغْصانِ

ولها حِضْن كأنَّه وَكْرٌ لنَسْر السَّماءِ، أو هَامةٌ مُعمَّمةٌ بسحابة دَكْناء.

أرضُها مفروشة بدِيباجِ نبْتٍ مُرصَّع بالزُّهور، وحِيطانُها مُجَلَّلةٌ بستائر البَهاء والنُّور.

نسيمُها أعْطَرُ من عَرْف شَمِيمها، وأهلُها ألطَفُ وأرقُّ من نسيمها، من كل فاضل مُلِئتْ بالفضل ثيابُه، وماجِدٍ قد حُشِي بالكرم إهابُه، وأديبٍ رقَّتْ شمائلُه: [المتقارب]

فلولا البُرْدُ يُمْسِكُه لَسَالا[3]

---

(١) في اللسان: (قدد) ذكر ابن منظور هذا البيت أن (قد) تكون مع بعض الأفعال بمعنى ربما، وقد نسب هذا البيت للهذلي.

(٢) الفِرْصاد: التوت.

(٣) مأخوذ من قول المعري:

يذيب الرّعب منه كلّ عضبٍ فلولا الغمد يمسكه لسالا

Marfat.com

وعَذُبَتْ كلماتُه ورسائِلُه: [المتقارب]

فـأزشَـفَـنـا عـلـى ظـمـإٍ زُلالا[1]

فكان ممَّن لمعَتْ بوارِقُ بِشْرِه، وباحَت خواطِرُ نسِيم لُطْفِه بأسْرار نَشْرِه، الفاضلُ الكامل، المُرتَدِي بِحبُر الشَّمائل، العاكف في حَرَم الإفادة، الطالع نجمُه مِن أُفُق السَّعادة:

٣٩- أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهَّاب الشَّافِعيّ العُرْضِيّ الْحَلَبِيّ

فلقِيَني منه حَبْرٌ مَجِيد، وشاعر مُجيد، وأديب يضَع القِلادة في الجِيد.

له فضلٌ لم تَنْظُر عينُ الدهرِ لمُنافِيهِ، بل كلما أجالَ طَرْفَه رأى كلَّ المُنَى فِيه، فإذا وادٍ خصِيبُ النَّوَى والثَّمر، وحديقةٌ مُنَمْنَمةُ الأطْراف والطُّرَر، سَقَتْها غَمائِمُ نَدَاه، وباكَرَها صَيِّب جَدْواه، بلا مِنَّةٍ لحوامِل السَّحائِب، ولا انتظارٍ لقوافِل الصَّبا والجَنائِب.

صرَف نَقْدَ أوقاتِه، ورأْسَ مَالِ عُمْرِه وحياتِه، في تحصيل رِبح الفضلِ والعِبادة، وترك فضْلَ العَيْشِ وفُضول الناس لما رأى في تَرْكِهِما من السعادة، ورأى في كلِّ بُكْرةٍ وعَشِيَّة، حُبْلَى جَنِين نوائبهما في مَشِيمة المِشيَّة.

ولما شِمْتُ كرمَه وسَيْبَه، ورَدْتُ ربيعاً زَرَّ عليهِ جَيْبَه، انْتَدَب لمُلاقاتي، وابْتَدَرَ وخيرُ أنْوار الربيع ما بَكر.

وكتب إليَّ مادحاً، ولزَنْد فِكري قادحاً قوله: [الوافر]

أرَى الشَّهْباءَ للعَلْيا قِباباً ... ألم ترَ أُفْقَها أبْدَى شِهابَا

وقبلُ كسَتْ معالِمَها الدَّياجِي ... مُسَرْبِلةٍ ذُرَاها والهِضَابَا

وكدَّرَ صَفْوَ منهلِها قَتامٌ ... أحال شرابَها الصَّافِي سَرابَا[2]

---

(١) صدر بيت لأبي نصر أحمد بن يوسف المنازي، وعجزه:

أرقُّ من الـمـدامـة لـلـنـديـم

معجم البلدان: ٤/٦٤٩ .

٣٩- أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود بن الحسين الشافعي الحلبي العرضي، مفتي الشافعية بحلب، وابن مفتيها وأحد أعيان العلماء في المعرفة والإتقان والحفظ والضبط، كان عالماً إماماً خيّراً متواضعاً حسن السمت، روى العلوم النقلية والعقلية عن والده ولزم العلامة أبا الجود التبروني، تصدر للإقراء في دار القرآن الحبشية، له شعر حسن ونثر بارع، واعتنى بجمع تاريخ سماه «معادن الذهب في الأعيان المشرّفة بهم حلب»، وطريق الهدى في التصوف، ولد سنة: ٩٩٣، وتوفي سنة: ١٠٧١، انظر خلاصة الأثر: ١/١٤٨، وأعلام النبلاء: ٦/٣٠٨ .

(٢) القَتَام: الغبار الأسود.

Marfat.com

وجرَّعَها كُؤوسَ الجَوْرِ صِرْفاً ... ولو سُقِيَ الغرابُ بها لشَابَا
وكان الجهلُ مُتَّسِعَ الفَيافِي ... يَضِلُّ الأَلْمَعِيُّ بها الصَّوابَا
وضاق العلمُ ذَرْعاً حين سُدَّتْ ... مناهِجُه وضاق بها رِحَابَا
تُعلِّلُها المطامِعُ كاذباتٍ ... وكم عادتْ سحائبُها ضَبَابَا
إلى أن حَلَّها رُوحُ المعالِي ... وطَوَّقَ عِقْدَ مِنَّتِه الرِّقابَا
إمامُ العلم بحْثاً واكْتساباً ... مُشِيدُ الفضْل إرْثاً وانْتسابَا
فَواصَلَها بغيرِ سباقِ وَغْدٍ ... وفاجَأَها بنِعْمتِه اخْتسابَا
فأهْلاً بالذي منه اسْتنارَتْ ... معالمُها وقد عَزَّتْ جَنابَا
وقد وَطِئتْ على هَامِ الثُّريَّا ... ونظَّمتِ النُّجومَ لها نِقابَا
فقَرَّ بِها وقرَّ بها وِداداً ... وقَرَّ عُيونَ أهْليها اقْتِرابَا
وقد ظفِرتْ بكَنْزِ المجدِ حتَّى ... أحالَ التِّبْرَ للذَّهبِ التُّرابَا
وفاضَ بحارُ كفَّيْهِ علوماً ... وأتْبَعها بمنْطقِه عُبابَا
ونَضَّر وَجْهَ روض الفضل لمَّا ... سقاهُ من فوائِده رَبابَا
قد ازْدحمَتْ بمَوْرِدِهِ عُفاةُ الـ ... ـفضائلِ حين ما سَال انْصِبابَا
وقد ملأوا رَكاياهُم ورَامُوا ... ذخائرَه انْتهازاً وانْتهابَا
إذا جال السُّؤالُ بفكرِ شخْصٍ ... قُبَيلَ النُّطقِ لَبَّاهُ جوابَا
فيا ذُخْرَ العلومِ فدَتْك نفْسِي ... ونادَتْك العُلا تَبْغِي الثَّوَابَا
أقِلْ قلَمِي عِثاراً زلَّ فيه ... فما وَفَّى المديحَ ولا أصَابَا
وكنتُ نَبذْتُ شِعْرِي في قِفارٍ ... نسيتُ الأُنْسَ منه حينَ غَابَا
إذِ الأيَّامُ قد رفَعتْ بُغاثاً ... فخالَتْ أنَّها تُرْقِي العُقابَا[1]
وظنُّوا أنهمْ كَنزُوا علوماً ... وأيْمُ اللهِ ما ملَكوا نِصابَا
أأمْدحُ مَن بنَظْمِي ليس يَدْرِي ... حَبِيباً قد أرذتُ أم الْحَبابَا
وكان القصدُ من قَصْدِي تُجازَى ... من الممدوحِ لو فهِم الخِطَابَا
ولولا أنَّك السَّامي مقاماً ... له الأفلاكُ طَأْطَأتِ الرِّقَابَا
وكان بمَدْحِك العالي افْتِخارِي ... لما ذَهَّبْتُ بالمدحِ الكِتابَا
فدُمْ يا زِينةَ الدُّنيا بمجْدٍ ... تقنَّعتِ العُلا منه اختجابَا

ثم كتب بعدها:

لقد طفَحت أفئدةُ العلماء بشْرا، وارتاحَت أسرارُ الكامِلين سِرًّا وجَهْرا، وأفْعِمَت

---

(١) البُغاثُ: طائر أبغث اللون فيه بقع بيض وسود، وهذا الطائر: أصغر من الرخم بطيء الطيران، وفي المثل: إن البغاث بأرضنا يستنسر، يراد به: من جاورنا عزّ بنا.

Marfat.com

من المسرَّة صدورُ الصُّدور، وطارت الفضائلُ بأجْنحة السُّرور، بِيُمْنِ قُدوم من اخْضرَّت رياضُ التَّحقِيق بأقْدامِه، وغرِقت بحارُ التَّدقيق من سحائبِ أقْلامِه، وتلألأت غُرَرُ المباحثِ إشراقاً، وأُجْرِيت مسائلُ الطَّالبين في ميادين التوضيح سُبَّاقاً.

أعني به جُهَينةَ أخبارِ العلوم، وخازنَ أسْرار المنْطوق والمفهوم، المُؤسِّس لدعائِمِ الأحكام فرعاً وأصلا، والسابق في مِضمار التَّحْقيقات منذ كان طفلاً.

وقد خدمتهُ بهذه القصيدة التي كتبْتُها عَجِلاً، وكنت أضْمَرت ألا أفُوهَ بكلمةٍ منها خَجَلا، لكن ظنَنْت بالمولَي كلَّ جميل، ورأيتُ سَتْرها بذَيْلِي السَّماح والصَّفح من فضلِه الجزيل.

هذا، وإن العبدَ كتب تاريخاً سماه «معادن الذهب، في الأعيان المُشرَّفة بهم حلب» سيعرض بعضَه عليكم، ويُؤتَى بأُنموذج منه لديكم، وجُلُّ القصد أن تكتبُوا لي نسَبَكم وأشياخَكم، ومَقْرُوآتِكم، وبعض شيءٍ من المنظوم والْمنثور، لِنُطرِّزَ حُلَله بطِراز المأثور. والسلام.

وأنشدني من شِعرِه قولَه: [الوافر]

بوَرْدِ الخدِّ رَيْحانٌ مُحِيطٌ ... وتَرْكِي حُبَّه لا أستطِيعُ
وقلتُ النفسُ خَضْرا يا عَذُولي ... كما قد قلت والزَّمن الرَّبيعُ

وهذا مَثل عامِّيٌّ، يقولون: «النفس خَضْراء، تشتهي كلَّ شيء».

وقولهم: «تشتهى» إلخ، جملة مُفسِّرة لخضْراء.

وكأنَّ أصله ما ورد في الحديث: «أرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ في أجْوَافِ طُيور خُضْر»(١).

٤٠- أخوه محمد بن عمر العُرْضِيّ

فاضلٌ نجيبٌ حسِيب، صحِبَني وبُرْد شبابِه قَشِيب، وغصنُه في رياض المعالي رطِيب: [المنسرح]

---

(١) رواه الترمذي بلفظ قريب في باب فضائل الجهاد، برقم (١٣).

٤٠- محمد بن عمر بن عبد الوهاب بن محمد بن الحسين العرضي الحلبي، لم تنجب الشهباء منذ بنيت مثله، كان من الفضل بمرتبة الآحاد وفي الأدب في مرتبة لا تنال إلاّ بالاجتهاد، ولي القضاء مدّة طويلة، ثم درس بالمدرسة الكتاوية والسعيدية، وولي إفتاء الحنفية بحلب، سافر إلى الروم وأقام بها مدّة، ولما مات أخوه أبو الوفاء، صار مكانه مفتي الشافعية، توفي سنة: ١٠٧١، انظر خلاصة الأثر: ٤/ ٨٩، وأعلام النبلاء: ٦/ ٣١٨ .
ملاحظة: يبدو أن هناك خلطاً في تاريخ وفاة أحد الأخوين، فقد ذكر في الخلاصة أن سنة وفاتهما: ١٠٧١، ومع ذلك يقول المحبي: إن محمد بن عمر تولى الإفتاء بعد وفاة أخيه؟؟، انظر الخلاصة: ٤/ ٨٩ و١/ ١٤٨ .

Marfat.com

إذ غُصنُ ذاك الشبابِ مُعْتدِلٌ لم تطْمَعِ الحادثاتُ في مَيَلِهْ

ومخايِلُ النَّجابة عليه لائحة، وطيور البلاغة في قَفص سُطور خطِّه صادِحَة، بكلِّ ما هو أَسَرُّ من التَّهانِي، وأمانِ الظَّافرِ بالأمانِي، وحُلَلُ فضلِه زاهٍ بآدابه طِرازُها، وعِداتُ الدهرِ فيه قد حانَ إنْجازُها، وقد يجود البخيلُ الشَّحيح، وكم لاح تحت الرَّغْوة من لَبنٍ صَريح.

فلم تَضِلَّ فيه الظُّنون، لمَّا قضَتْ ما في ذِمَّتِها من الدُّيون، وفكَّت ما عندها من مُغْلَقات الرُّهون.

فأنشدني من مقطَّعاتِه، وأهدَى إليَّ من مُخبَّآتِه قولَه: [الخفيف]

لم أزلْ من صَحيفةِ القلبِ أُمْلِي في دُجَى الاغْتِرابِ سَطْرَ مِثالِكْ
ناصباً هُدْبَ جَفْنِ عيْني شِباكاً فعسَى أن أصِيدَ طَيْفَ خَيالِكْ[1]

وقوله: [السريع]

يا ليلةً طَالَتْ على عاشقٍ باتَ من الوجْدِ على جَمْرِ
كليلةِ الميلادِ في طُولها تسِحُّ فيها العينُ بالقَطرِ[2]
كأنها ثَكْلَى جَنِينٍ لها أغرَّ قد سمَّتْه بالفجْرِ

وقوله أيضاً: [المتقارب]

ارْفُقُوا فالفؤادُ ليس بجَلْدِ وارْحَموا ذلَّتي وطولَ عَويلي
أنا شحَّاذُ حُسنِكم وعيونِي يا غُناةَ الجَمَالِ كَالكَشْكُولِ[3]

وقوله أيضاً: [الخفيف]

قال لي الحِبُّ لِمْ وضعْتَ على الأَذْ فِ عُيوناً وفي عُيونِك مَقْنَعْ
قلتُ مذ خَطَّ كاتِبُ الحسنِ نُوناً فوقَ ثَغْرٍ كحاجبَيْن وأَبْدَعْ
فجعلْتُ العيونَ أرْبَعَ عَلَّي أن أرَى يا رَشاً حواجبَ أرْبَعْ[4]

وقوله أيضاً: [السريع]

ما قَصُرتْ تلك الليالي التي في جُنْحِها بِتُّ سَمِيرَ المِلاخ
لكنَّ أشْواقِي لذاك الرَّشَا قد عَالَجَتْنِي خوْفَ وَشْكِ البَراخ
شَقَقْتُ جَيْباً كالدُّجَى حالِكاً عن صَدْرِه فانْجابَ عنه الصَّباخ[5]

---

(١) في الخلاصة: «طير خيالك» ٤/ ١٠١.
(٢) في الخلاصة: «تسبح فيها العين» ٤/ ١٠٠.
(٣) الخلاصة: ٤/ ١٠٠.
(٤) الخلاصة: ٤/ ١٠١.
(٥) في الخلاصة: «ما عاجلتني فوق وشك البراح» ٤/ ١٠١-١٠٢.

Marfat.com

وقوله أيضاً: [الخفيف]

قد رَماني بالهُونِ ساقِي زَمانِي ... فكأنِّي دِرْدِيُّ كاسِ المُدام
فأرَاقَتْنِيَ النَّدامَى بظُلْمٍ ... في الزَّوايا ومَوْطِىءِ الأقْدامِ[1]

وقوله أيضاً: [الخفيف]

عاب قومٌ شُرْبَ المُدام ولم يَدْ ... رُوا بأنَّ التَّعْييب عَيْنُ العُيوب
جَبْرُ قلبِ الأقْداحِ بالرَّاحِ خَيْرٌ ... في اعْتِقادِي من كسْرِ كأسِ القلوبِ[2]

وقوله: [الرمل]

إن ذاكَ الرَّشَأُ الخِشْفَ الذي ... مات عنه وَالِدٌ فهْوَ كَظِيمْ[3]
زادَه مَوْتُ أبيهِ قِيمَةً ... كان دُرّاً فغَدا اليومَ يتيمْ

وقوله أيضاً: [الخفيف]

قد زَهِدْنَا عِشْقاً لدِينارِ خَدٍّ ... سَبَكَتْهُ حُسْناً يمينُ البَارِي
وتركْتُ النَّوالَ والمالَ علّي ... أن أَرَى فيه مَالِكَ الدِّينارِ

وقوله أيضاً: [الخفيف]

كان عهْدِي بالرُّوم فيها يَضُوعُ الْـ ... عِلْمُ والآن ضاع فيها العُلومُ
شيَّبتْ فَوْدَ سيِّدِ الرُّسْلِ هُودٌ ... ولقه شيَّبَتْ فؤادِي الرُّومُ

وقوله: [الطويل]

كأني وآمالي إذا ما تقَهْقَرتْ ... وبَرْقُ أمانِيِّي سَرابٌ وخُلَّبُ
عَروسٌ تُجِيد الرَّقْصَ حيناً إلى وَرَا ... وحيناً أماماً وهْيَ بالبَيْنِ تَلْعَبُ

وقوله مُضمّناً: [البسيط]

السَّيفُ لمَّا حكاه لَحْظُ ناظِرِه ... . ناديْتُه بلِسانٍ في الهَوى لَهِجِ
لكَ البِشارةُ فاخْلَعْ ما عليك فقد ... ذُكِرت ثمَّ على ما فيك من عِوَجِ

وقوله: [الخفيف]

أيُّها الرِّيمُ هل تَرِيمُ بنَظْرَهْ ... عَلَّ يصحُو الفؤادُ مِن بَعْدِ سَكْرَهْ
بأبي أنْتَ غُصْنُ بَانٍ تَثَنَّى ... وغدَا يمزُجُ الدَّلالَ بخَطْرَهْ
ألِفُ القَدِّ زانَها نُقْطَةُ الْخا ... لِ فأضْحَى وواحدُ الحسنِ عَشْرَهْ
عارِضٌ أخضرٌ وبِيضُ ثَنايَا ... سَوَّدَا وجهَ عِيشَتي بعد خُضْرَهْ

---

(١) الخلاصة: ٤/١٠٢ .
(٢) خلاصة الأثر: ٤/١٠١ .
(٣) الكظيم: المكروب.

Marfat.com

أنـت زَهـرٌ غـضٌّ وقـلـبـي كَـمـامٌ فـلـمـاذا أوْقَـدْتَ بـيْـتَـكَ جَـمْـرَهْ
زرَعـتْ مـقـلـتِـي بـخـدَّيْـكَ وَرْداً فـأبِـحْـنِـي قِـطـافَ زَرْعِـيَ زَهْـرَهْ
يـا أبـا عُـذْرةَ الـمـلاحـةِ إنـي بـيـن مَـوْتَـى هَـواكَ مـن حَـيِّ عُـذْرَهْ
كَـعْـبـةُ الـحـسـنِ كـلَّ وقـتٍ إلـيـهـا في ركـابِ الـمُـنَـى أحُـجُّ بِـفِـكْـرَهْ[1]

ووالد هذين الفاضليْن الْحَبْرُ، علامة زمانِه، شيخ الإسلام:

٤١- عمر بن عبد الوهَّاب العُرْضِيّ

نسيجُ وَحْدِه، وفريد فضلِه ومجدِه.

بحرٌ لا تُكدِّره الدِّلاء، ولا تُنْزَف بعضُ موارِدِهِ المِلاء.

لم يزلْ صَدْراً للإفادة والإفتاء بحلب، ترعَى في ربيع فضلِه سَوائِمُ الطَّلَب.

وتآليفهُ وتصانيفه تنقُلها الرُّكبان، وتقِف دونَها سوابقُ الحُسْن والاسْتحسان.

حتى رَقَى شَرَف السَّبعين، وصعَد إليها بدرجاتِ السِّنين، رافِلاً في حُلَل الغِنَى، حتى جَرَّ الدهر عليه أذْيالَ الفَنا.

وهو آخر مَن صنَّف بحلَب، وأفاد، وأجاد.

ومن أَجَلِّ مصنفاته «شرح الشِّفاء» في مجلدات، ولنا عليه اعْتراضات، بيَّنَّاها في «شرحنا».

وله نظم ونثر، كقوله في «شرح الكافية للجامي» وله عليه «حاشية جليلة»: [البسيط]

لِـلَّـهِ دَرُّ إمـام طـالـمـا سَـطَـعـتْ أنـوارُ أفْـضـالِـه مـن عِـلْـمِـه السَّـامـي
ألـفـاظُـه أسْـكَـرَتْ أسْـمـاعَـنـا طَـرباً كأنـهـا الـخـمرُ تُسْقَى من صَفَا الجام

ولشيخِه محمد بن الحنْبَلي فيه أيضاً: [الطويل]

لِـكـافـيـةِ الإعـراب شـرْحٌ مُـنـقَّـحٌ ذَلولُ المعاني ذُو انْتسابٍ إلى الجامي
مـعـانِـيـهِ تُـجْـلَى حـيـن تُـتْـلَى كـأنـمـا هي الخمر تبدُو شمسُها في صفا الجام

ولصاحبنا الشيخ عبد الله الدنوشريّ[2]: [البسيط]

---

(١) ذكر المحبي في خلاصة الأثر الأبيات الخمسة الأولى فقط: ٤/ ٩٢، وانظر نفحة الريحانة: ٢/ ٤٠٥-٤٠٦ .

٤١- عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود العرضي الحلبي الواعظ المفتي الفقيه الشافعي، ولد سنة: ٩٥٠ وتوفي سنة: ١٠٢٤، له تصانيف كثيرة منها: تهييج السعادة وموقف الإفادة، والدر الثمين في جواز حبس المتهمين، وذيل تاريخ ابن الحنبلي، وشرح رسالة القشيرية. انظر هدية العارفين: ١/ ٧٩٦، وخلاصة الأثر: ٣/ ٢١٥ .

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الدنوشري أبو الفتح الشافعي الصوفي المتوفى سنة: ١٠٢٥، له -

Marfat.com

لـلَّـهِ شَـرْحٌ بـه شَـرْحُ الـصُّـدورِ لـنـا كـأنَّـه الـدُّرُّ أو أزْهـارُ أكْـمـامِ
قد أسكرَ السَّمْعَ إذ تُتْلَى عجائبُه والسُّكرُ لا غَرْوَ معروفٌ مِن الجَامِ

٤٢- صلاح الدين الكُورَانِيّ الحَلَبِيّ

فاضل، شاعر، ناظم، ناثر، مُكثِر، مُسهِب، مُطرِب، مُعجب.

رأيتهُ بحلَب يُعانِي حِرْفةَ الوِراقة، ويكتُب للقُضاة الوثائقَ التي شَدَّت وِثاقَه، وقد قيَّده الكِبَر، وعاقَه الدهرُ أبو العِبَر، فحَجَل بين الغرائِب والرَّغائب، وفَتَل بيدِ فكرِه في الذِّرْوة والغارِب، وهو في مهد الخُمول راقد، فمرَّت به النوائِب وهو على طريقِها قاعد.

وقد كان امْتدحني بعِدَّة قصائد، منها قولُه: [البسيط]

شِهابُ المعالي قد أضاءَتْ به الشَّهْبَا وقد أطْلَعتْ من غُرِّ أفكارِه الشُّهْبَا
ومن قبلُ أخْبارُ الثَّناءِ تواتَرتْ وقد ملأَتْ أسماعَنا لُؤْلُؤاً رَطْبَا
وكان التَّمَنِّي أن يُطابِقَ سمْعُنا نواظرَنا واسْتغرقَتْ قلْبَنا حُبَّا
وقد أغْرَبتْ ألفاظُه مَعْ تأخُّرٍ عن السَّبْقِ حتى فاقَتِ العَرَبَ العَرْبَا
فمن منطقٍ عذبٍ وفضلٍ مُوجَّهٍ إلى المدح إيجاباً وللحاسدِ السَّلْبَا
بنَى غُرَّ أبْحاثٍ له قد تأسَّسَتْ فلم يستطِعْ باغِي الجوابِ لها نَقْبَا
إذا كان منه الفهمُ في البحْثِ سابقاً وذلكَ منه لا يفارِقُه دَأْبَا
فأهْلاً بمَن يحيا به مَشْرِقُ العُلا وقد كان كالعَنْقاءِ جاوَزتِ الغَرْبَا
ومن حلَبٍ كان الفِطامُ من المُنَى فقد يبِسَتْ منها ضُروعُ المُنَى حَلْبَا
إلى أن أتاحَ اللهُ بعضَ بقيَّةٍ من الحَزْم حتى زَاحَمُوا المنْهَلَ العَذْبَا
فتَبًّا لمن قد زاغَ عن وُدِّه وقدْ تبَدَّى ثَبُوتُ القولِ إذ أظْهَروا الحَرْبَا
ومُذ قد أتَى هذا الزَّمانُ بمثْلِهِ لبيباً علِمْنا أنه قد حَوى لُبَّا
قدِ اغْدَوْدَقتْ يُمْناه من بَرْقِ بِشْرِهِ وقد سحَبتْ غُرُّ المعالي له سُحْبَا
وأسْقَت أيادِي فضْلِه سُحُبَ النَّدى وقد غرَسَتْ من حُبِّه في الحشَا حَبَّا
له قلمٌ إن ينْفُثِ السِّحْرَ نافعاً فما ضَرَّهُ أن لا يغادِرَه عَضْبَا
فيا مَنْ له في مصرَ والشام هِمَّةٌ وبَاعٌ طويلٌ يَبْهَر الرُّوم والعُرْبَا

= جوهرة النفس في معرفة التاريخ المستعمل، وحل درجة الشمس، وحاشية على التوضيح للشيخ خالد، وهدية الأحباب في تفسير أعظم آيات الكتاب. انظر هدية العارفين: ١/ ٤٧٤ .

٤٢- القاضي صلاح الدين المعروف بالكوراني الحلبي، شيخ الأدب، له شعر مطبوع ونظم مصنوع مع مشاركة في فنون عديدة، وخبرة بمفاهيم عجيبة، وكان من المكثرين في الشعر، توفي في حلب سنة: ١٠٤٩، وله من العمر أكثر من ثمانين سنة. انظر خلاصة الأثر: ٢/ ٢٥٢ .

Marfat.com

على حلَبٍ لمَّا قدِمْتُم تبسَّمَتْ ثغورُ مبانِيها وتاهَتْ بكم عُجْبَا
وأبناؤُها القومُ الذين مُرادُهمْ وِدادٌ ولا يَبْغُون مالاً ولا كَسْبَا
على ذا مضَى عهدُ الأخِلاَّءِ والذي يرُومُ خِلافَ الوُدِّ يستَوْجِبُ السَّبَّا
وأشكُو إليكَ الدهرَ عَبْدَك إنَّنا نُسائِلُه سِلْماً يجاوبُنا حَرْبَا
وكم قَعَدتْ عن سبْقِها كلُّ صافِنٍ تُسَابِقُها العَرْجَا وتَلْحَقُها الحَدْبَا[1]
وإنِّي على فِعْلِ الزمانِ لواجدٌ بُكاءَ على الخنْساءِ في صَخْرِها أرْبَى
وقد زَعَمُوا أن الدُّخانَ مُجَفِّفٌ فداوَيْتُ دَمْعي في تَناوُلِه شُرْبَا
وفي كلِّ مغْنًى فيه قد رَقَّ رِقَّةٌ أُعلِّلُه مَن كان سارَقَه غَضْبَا
وعبدُك ذيَّاك الصَّلاحُ مُقصِّرٌ بمذْحِك لكن لا يقولُ به كِذْبَا
ولو لم يكن قَيْدُ الكتابةِ عائقي وثقلةُ توقيعي الوثائقَ والكُتْبَا
لحاولْتُ من عَجَّاج فِكرِك قَطْرةً كما يشْرَبُ العُصفورُ من مائِه عَبَّا[2]
فكيفَ وقد أصْبَحتُ عبداً مُكاتَباً ولا عِتْقَ لي حتى أرَى اللَّحْدَ والتُّرْبَا
فلا زلتَ في أعْلَى مقامٍ إذا حدَتْ حُداةُ حِجازٍ في السُّرَى تُطْرِبُ الرَّكْبا

وأنشدني له: [الطويل]

لَعمرُكَ لم أشْرَبْ دُخاناً لأجْل أنْ تُسَرَّ به نفسٌ تدَانَى خُروجُهَا
ولكن زنابيرُ الهموم لَسَعْنَنِي فدَخَّنْتُ حتى يسْتَبِين خُرُوجُهَا

ولما أنشدني هذا، أنشدتُه قِطَعاً لي في معناه.

منها قولي: [الخفيف]

ما شرِبْتُ الدُّخانَ إذ سِرْتُ عنكُمْ لِتَسَلِّيةٍ به عن الأحْزانِ
أحْرَقْتني الأشواقُ فالقلبُ منها صار بالوجْدِ مَخْزَنَ النِّيرانِ
فخشِيتُ الأنفاسَ تَفْضَحُ حالي فلهذا سَتَرْتُها بالدُّخَانِ

٤٢- السيد أحمد بن النَّقِيب الْحَلَبِيّ

سيِّدٌ عُجِنَتْ طِينتُه بماءِ الوحْي والنُّبُوَّة، وغُرِست نَبْعتُه في ساحةِ الفضل والفُتوَّة، له مناقِبُ هي الوَشْي حُسناً وبَهْجَة: [الطويل]

إذا نُشِرتْ كانت مُمَسَّكةَ النَّشرِ

---

(١) الصافن من الخيل: القائم على ثلاث.
(٢) العَجّاج: الغبار أو الدخان.
٤٣- السيد أحمد بن محمد الحسني المعروف بابن النقيب الحلبي، الأديب المتفنن البارع المشهور، رواء الشهباء فخامة وجلالاً ووسامة، ولد بحلب ونشأ بها وأخذ عن العلامة عمر العرضي وتأدب -

Marfat.com

وغرائبُ رَغائِبُ في الركم واضحةُ المَحَجَّة: [الطويل]

يظَلُّ بها مُستغبِدَ النَّظمِ والنَّثرِ

اجتلَيْتُ بحلَب مُحيَّاه، فأكرمني بجُوده ونَداه، ومدحتُه شكراً لما أوْلاَه: [الكامل]

وكذا الهاشِميُّ مثلُك لا يُمْـ ـدَحُ إلا بهاشِمِيِّ الكلامِ

فاستعار «ديواني»، واشتغل بمطالعتِه وانتخابه، وفي أثناء ذلك دَعَوْتُه فلم يجِبْ، ثم لاقيتُه فاعتذَر بعد عتابه، بأن اشتغاله بالديوان منع مِن المُلاقاة، وأنشدني له هذه الأبيات: [الطويل]

وحقُّك لم أترُكْ زيارةَ سيِّدِي لِلَوٌ يَعُوقُ النفسَ عنه ولا لَيْتِ

ولكن بديوانٍ له قمتُ خادماً وقد كان فكْرِي قبلَ ذلك كالميْتِ

فأذهَشني حُسْنٌ به ظَلْتُ حائراً فأذخلُ في بيْتٍ وأخرجُ من بَيْتِ

= بإبراهيم بن المنلا، ورحل إلى القسطنطينية وولي القضاء ثم تقاعد، وولي نيابة القضاء بحلب، توفي بحلب سنة: ١٠٥٦، وعمره: ثلاث وخمسون سنة. انظر هدية العارفين: ١/ ١٦٠، وخلاصة الأثر: ١/ ٣١٨-٣٢٤ .

Marfat.com

القِسْم الثاني

في محاسن العصريين من أهل المغرب وما والاها

٤٤- مولاي أحمد أبو العباس المنصور بالله

ابن الخليفة أبي عبد الله المهديّ بن عبد الله القائم بأمر الله الشريف الحَسَنيّ: [الكامل]

مِن جَوهرٍ منه النبيُّ محمدٌ فعليه من نُورِ الإلهِ بَهاءُ

مَلِك الآن، المطوّق بفضائله وفواضلِه جِيدَ الزَّمان، أنام الأنام بيقظة حِراستِه في حَرَم، فقالوا في ظلٍّ ظليلٍ تحت رياض السَّعد والكرَم.

وعطاياه نَمائِمُ الفقرِ واسمُه عُوذَة النِّقَم، وبِشْر مُحيَّاه لكل نَدًى وجودٍ سلَم. وله شرفٌ تحسُده الشمسُ في الشَّرَف، وجَوْدُ جُودٍ إذا وكَف أقلع السَّحابُ عن مجاراتِه وكَفّ.

مَعدِن مجدٍ وحسَب، وجوهر سيادةٍ ونسَب، جمع بين نِزارِه ومَعَدّه، باعٌ تَمُدّ به النبوّةُ والخلافة قبلَ مَدّه: [الكامل]

نَسَبٌ تحسَب العُلا بحُلاهُ قلَّدتْها نجومَها الجوزاءُ[1]

بدرٌ اتَّخذ أُفقَ المغربِ هالَة، وبحرٌ أفاض على كل واردٍ نوَالَه.

له كتائبُ آراءِ الألبابُ سَلَبُها، وبوادرُ هِمَم ليس إلا الأرواحُ طَلَبُها.

لا تزال تخاطبُه، من كل أمرٍ عواقبُه، بكلام بين عَبيدٍ ولَبِيد، وحَبِيبٍ والوليد[2].

أخبرنا الأديب الفِشْتاليّ، بقُسْطَنْطِينيَّة، أنه لما دعت والدَه شعُوب، ووفدتْ عليه

٤٤- مولاي أحمد بن عبد الله بن محمد الشيخ أبو العباس المنصور ابن الخليفة المهدي بن أبي عبد الله القائم بأمر الله، الشريف الحسني، ملك مراكش وفاس، السلطان الأديب العالم، كان جدّه قاضياً في نواحي السوس من ديار الغرب ثم وثب على بني حفص، فلم يزل يقاتلهم حتى ملك ديارهم، واستمر يؤسس قواعد ملكه إلى أن مات في سنة: ٩٦٤، جلس ابنه عبد الله ثم تولى الملك بعده ولده محمد أخو أحمد صاحب الترجمة، أظهر أحمد المنصور أنه غير طالب للملك، ثم تولى الملك وحكم ثمانية وعشرين عاماً، وكان سلطاناً عادلاً، عظيم القدر حسن التدبير، أديباً، له شعر جيد، توفي سنة: ١٠١٢ . انظر خلاصة الأثر: ١/ ٢٢٢- ٢٢٥ .

(١) نفحة الريحانة: ٣/ ٤٥١ .

(٢) المقصود: عبيد بن الأبرص، لبيد بن ربيعة، أبو تمام حبيب بن أوس، والوليد البحتري أبو عبادة.

Marfat.com

بوارحُ الخطوب، وجلس أخوه الأكبر في مَسْندِ الخلافة وسرِيرِها، وظلَّ مُتنَزِّها في روضتِها وغديرِها، أظهر أنه للمُلْك غيرُ طالب، وأنفق رأسَ عمرِه في فتْح كنوز العلم والمطالِب.

فلما مات أخوه قام ولدُه في مَحلِّه، واستولَى عليه الغرورُ بخيْلِه ورَجْلِه، فأَرْخى عليه الشباب، سِتارةً حجبَت عنه الصَّواب، وأشار عليه بعضُ خُدَّامه، بقتْل مَن بَقِيَ من أعمامِه، ليُصْفِي من قَذَى الأكدارِ وِرْدَه، ولم يدْرِ أن مَنْ شَرِبَ وحده غَصَّ وَحْدَه، فمدَّ شِباكَ مكائده، وهِيَ من أعظمِ مصائدِه، كالحافرِ بظُلْفِه، على مُدْيَةِ حَتْفِه: [الطويل]

وأنَّى تُنجِيهِ من الشرِّ حِيلَةٌ ... وقد طال ما أوْدَتْ بمُحتالِها الحِيَلْ

فلما علم بذلك مولاي أحمد وجَف مع أخيه بجيشٍ من الرُّوم وجيشٍ من عندِه، قائلاً: إن ينصُرْكم الله فلا غالبَ لكم من بَعْدِه، فتمَّمت على ابن أخيه الهزيمة، وعُلِّقت على جِيد تدْبيرِه من الخِذْلان تَمِيمَة، فأصبح لِعنان عزْمِه ثانِيا، وذهب لملك الفِرنْسِيس فأمدَّه بما رجعَ به للحرْب ثانيَا.

فلما التَقت الكتيبةُ السَّوداء بالكتيبة الخضراء، أقلعت سحابةُ النَّقْع بعد ما أمطرَتْ دِيمَةُ الدِّماء الحمراء، فكم أسيرٍ في غُلِّ نَدَمِه، وقتيلٍ طلَع بدرُه في شَفَق دمِه: [الطويل]

فما أكثر القتْلى وما أرْخصَ الأسْرَى

فولج البحرَ وأغرق نفسَه في مائه الغَمْر، وقال لمقَصِير عُمْرِه بيَدِي لا بِيَدِ عَمْرو[1].

فقلَّصت السعادةُ عنه ظِلَّها، وعقَد النَّحسُ له عُقْدةً لم يذكُر عاقدُها حلَّها، ومَلَّه الملَوان، وضحك على أملِه الخِذْلان، فتبرَّجت لأحمدَ عروسُ تلك الممالك مُهنَّأَةً بالرَّفاء والبَنِين، وأمْسَتْ ثغورُها لِنُور مُحيَّاه ضواحِك متهلِّلَةً بالفتحِ المُبين.

فما ألَمَّ بتلك الثغور قَلَحٌ[2] إلاَّ جَلاه بمساوِيك الرِّماح، ولا نَبض عِرْقُ كفرٍ إلاَّ فصَده بمباضِع الصِّفاح.

مع دخولِه بيوتَ الفضْلِ من أبوابها، وتحلِّيه دون ملوكِ الزَّمان بحَلْي آدابِها، حتى إنه كان يحضُر دُروسَها، ويُحيي بمنطقِه الرَّائِقِ دَروسَها، ويُطْلِع في سماءِ ديوانِه شُموسَها.

وله شعر وإنْشا، بهما طِرازُ المجدِ مُوشًّى، فهو ربُّ السيفِ والطَّيْلَسان، والقلم المسدَّدِ والسِّنان.

---

(١) «بيدي لا بيد ابن عدي»، وهو عمر بن عدي بن نصر، ابن أخت جذيمة الأبرش حينما أرادا أن يثأرا لمقتل جذيمة الأبرش قالته الزباء وهي تقتل نفسها بأن مصّت خاتمها وكان فيه السم، انظر القصة كاملة في معجم الأمثال في المثل: «خطْبٌ يسيرٌ في خطبٍ كبيرٍ» يقم ١٢٥، ومعجم الأمثال: ١/ ٢٣٣.

(٢) القلحُ: صفرةٌ تعلو الأسنان.

Marfat.com

لازال المغربُ به كامل الأهلَّة، والشمسُ تسعى له لتَخْدِم بالسَّعد مَحَلَّه.

فمن عِقْده المنظوم، ورحِيق أدبه المختوم، قولُه: [الطويل]

حـرامٌ عـلـى طَـرْفْ يـراهُ مـنـامُ ... وحَـلَّ لـجـسـمِ قـد جـفـاهُ سِـقـامُ
وكـيـف بـقـلـبٍ فـي هـواهُ مُـقـلَّـبٌ ... وأنَّـى لـه بـيـنَ الـضَّـلـوعِ مُـقـامُ
فيا شادِناً يرْعى الحشَا أنتَ بالحشَا ... أمـا لِـمَـحَـلٌ أنـتَ فـيـه ذِمـامُ[1]

وأحسن من هذا قول الأَرَّجانيّ[2]، في معناه: [الرجز]

يـرْمِـي فُـؤادِي وهْـوَ فـي سَـوْدائِـه ... أتـراهُ لا يـخْـشَـى عـلـى حَـوْبـائِـهِ
ومـن الـبـلـيَّـةِ وهْـوَ يـرْمِـي نـفـسَـه ... أن يـطـمـعَ الـمُـشـتـاقُ فـي إبْـقـائِـهِ

وها هنا نكتة أدبية، وهو أن الأرَّجَانِيّ أخذ هذا المعنى من قولِ الحماسِيّ[3]: [الكامل]

قـوْمـي هـمُ قـتـلُـوا أُمَـيْـمَ أخِـي ... فـإذا رمـيْـتُ يُـصـيـبُـنـي سَـهْـمِـي

إلا أن هذا لا يُعَدُّ سرقة، وإنما هو توْليد وانتقال من معنًى لآخر يضاهِيه، وهو من سحر البلاغة، واستخراج مُخبَّآت كنوز المعاني، وقلَّ من يهْتدِي إليه لِدقَّتهِ.

وكانت بعضُ حظَاياه عليه غَضْبَى، وهي مُجَرَّدةٌ عليه من صَوارِم هجرها عَضْبَا، فهْدَى له حَرَسِيٌّ وردةً من بستانِه، وحيَّاه بَشِير الربيع بنشرها قبل أوانِه، فأرسلَها إليها مع أبيات يسْترضِيها، ويستعطِفُ غصنَ قامتِها بنسيم العتابِ ويَسْتَعفِيها[4]: [الكامل]

وافَـى بـهـا الـبـسـتـانُ صِـنـوُكِ وردةً ... يـقْـضِـي بـهـا لـمـا مـطَـلْـتِ عـهـودَا
أهْـدَى الـبَـهَـارَ مـحـاجِـراً وأتـى بـهـا ... فـي وقـتِـه كـيـمـا تـكـونَ خُـدودَا
فـبـعـثْـتُـهـا مُـرتـادَةً بـنـسـيـمـهـا ... تُـثْـنِـي مـن الـرَّوضِ الـنَّـضـيـرِ قُـدودَا

وهو في هذا كمن أهْدَى للبحر الدُّرَر، بل للرَّوض الزَّهَر، ولا لأقول التَّمْر لِهَجَر.

وقوله أيضاً: [السريع]

لا وطـرفٍ عـلَّـم الـسـيـفَ فـقَـدّ ... فـي قَـوام كـقَـنـا الـخَـطِّ مَـيَـدْ[5]
ومـيـضٍ لاح لـمَّـا ابْـتـسـمَـتْ ... مـن ثـنَـايـا مـثـلِ دُرٍّ أو بَـرَدْ
مـا هـلالُ الأُفُـقِ إلا حـاسِـدٌ ... لـعُـلاهـا وبَـهـاهـا والـغَـيَـدْ
ولـذا صـار ضـئـيـلاً نـاحِـلاً ... كـيـف لا يـفْـنَـى نـحُـولاً مَـن حَـسَـدْ

---

(١) خلاصة الأثر: ١/ ٢٢٣ .
(٢) ديوانه: ٨، وخلاصة الأثر: ١/ ٢٢٣ .
(٣) ديوان الحماسة (شرح التبريزي) ١/ ٦٤، والبيت للحارث بن وعلة الجَزمي.
(٤) الأبيات في خلاصة الأثر: ١/ ٢٢٥ .
(٥) خلاصة الأثر: ١/ ٢٢٤، في البيت الأخير (عليلاً ناحلاً).

Marfat.com

وللقطب المكّيّ على مِنوالِه: [السريع]

لا وفَـرْعٍ كـدُجَـى الـلـيـلِ غَـسَـقْ ... وجـبـيـنٍ ضَـوؤُه ضـوءُ الـفَـلَـقْ
ومُـحَـيًّـا كَـلِـف الـبـدرُ بـه ... وخـدودٍ مـن حَـوالَـيْـهـا شَـفَـقْ
مـا أرى الـغِـزلان إلا سـرَقـتْ ... مـنـكِ جـيـداً والْـتِـفـاتـاً وحَـدَقْ
ثـم خـافَـتْ فـتـولَّـتْ شُـرَّداً ... كـيـف لا يـشْـرُدُ خـوفـاً مَـن سَـرَقْ

ومما نسجْتُه على مِنوالِه: [السريع]

لا وغـصـنٍ راقَ لـلـطَّـرْفِ وَرقّ ... وعـلـيـه حُـلَـلُ الـلـطـفِ وَرَقْ
وشـمـوسٍ لـم تـغِـبْ عـن نـاظـري ... والـشـعـورُ الـلـيـلُ والـخَـدُّ الـشَّـفَـقْ
وعُـيـونٍ حَـرَّمـتْ نـومِـي ومـا ... حـلَّـلـتْ لـي غـيـرَ دمْـعِـي والأَرَقْ
مـا اخـمِـرارُ الـرُّاح إلا خَـجـلاً ... مـن رُضـابٍ سـكِـرتْ مـنـه الـحَـدَقْ
والـذي قـد حـسَـبـوه حَـبَـبـاً ... فـوقَ خَـدِّ الـكـاسِ قـطـراتُ الـعَـرَقْ

تنبيه

هذا القَسَم عدَّه أهلُ البديع من المُحسِّنات كقول عبد الله بن المُعْتَزّ: [م. الرمل]

لا ورُمَّـانِ الـنُّـهـودِ ... فـوق أغْـصـانِ الـقُـدودِ
وعـنـاقـيـدَ مـن الـصُّـد ... غِ ووَرْدٍ مـن خُـدودِ
ورسـولٍ جـاء بـالـمـيـ ... ـعـادِ مـن غـيـرِ وَعِـيـدِ
ونـعـيـمٍ مـن وِصـالٍ ... فـي قَـفـا طُـولِ الـصُّـدودِ
مـا رأتْ عـيـنـي كـعِـيـدٍ ... زارَنـي فـي يـوم عِـيـدِ

وقد أشار إليه في «الكشاف» ولم يفهمْه كثيرٌ من الأدباء؛ لأنه من المعاني الوَضْعيّة، فلا وجه لجعلها مُحسِّنة.

وقد بيَّنه الإمام المَرْزُوقيّ بما لا مزيد عليه، في شرح قوله[1]: [الكامل]

بَقَّيْتُ وَفْرِى وانحرفتُ عن العُلاَ ... ولَـقِـيـتُ أضْـيـافِـي بـوجْـهِ عَـبـوسِ
إن لـم أَشُـنَّ عـلـى ابـن حـربٍ غـارةً ... لـم تَـخْـلُ يـومـاً مـن نِـهـابٍ نُـفـوسِ

فأشار إلى أنه جعل ما يُذَمّ به من الصِّفات، سواءً اتُّهِم اتِّصافُه بها أم لا؛ لغايةٍ تنفُّره عنه، بمنزلة المصائب العظيمة عنده، ثم يُجعل مُقسَماً به، تأكيداً لعَظيم فظاعتِه، ففيه كناية على كناية، أو كناية مُرتَّبة على المجاز، وهو كثير، كقوله: [الطويل]

---

(١) حماسة أبي تمام (شرح التبريزي) ١/ ٤٠، والبيتان للأشتر النخعي، والمقصود بابن حرب: معاوية بن أبي سفيان.

Marfat.com

لئن كان ما بُلِّغتَ عنِّي فلامَنِي صديقي شَلَّتْ من يَدَيَّ الأناملُ

وهذا هو القسم المعدود من المُحسِّنات، وكذلك إذا أقسم على الشَّيء بنفسه، أو بمُساوِيه، كقوله: [الكامل]

وثَنَايَاكِ إنها إغْرِيضُ[1]

وقد ذكره الزَّجَّاج، وفيه مباحِثُ أُخَر، ليس هذا محلُّها.

وأخبرني الأديب الفِشْتاليّ، أنه أنشده يوماً قول الأبِيوَرْدِيّ[2]: [الوافر]

ولو أنِّي جُعلتُ أميرَ جيشٍ لما حاربتُ إلاَّ بالسُّؤالِ

فقال صاحب الترجمة: لو كان الشعرُ لي لقلتُ: [الوافر]

ولو أنِّي جُعِلتُ أميرَ جيشٍ لما حاربتُ إلاَّ بالنَّوالِ[3]

وفي معناه قولي في بعض الرَّسائل: أعزُّ حصون العباد، ظهورُ المُطَهَّمَة الجِياد، وخيرُ من ذَبَّ عنك العِدى، مَن ملكْتَ قلبَه بالنَّدى.

ونحوه قولي: [المتقارب]

بنَيْتُ حصوناً تصُون العُلاَ إذا ما بناءُ الملوكِ انهدَمْ
حصوناً من العدلِ من حولها خنادقُ فيها مياهُ الكرمْ

ولابن الرُّومِيّ[4]، من قصيدة له: [الطويل]

وحاربَ مِن نَغْمائِه رَيْبَ دَهْرِهِ من البرِّ والمعروف جُنْدٌ مُجنَّدُ

ولما بلغه «شرح توضيح ابن هشام»، الذي صنَّفه الأستاذ الخال، في مجلدات، أرسل إليه عطيَّةً جزيلة، ورجا منه إرسال نسخةٍ منه.

وصورة ما كتبه إليه:

من عبد الله المجاهد في سبيله، الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين، الشريف الحَسنِيّ، أمدّ الله بعزيز نصره أوامرَه، وظفَّر بنصْرِه عساكرَه.

إلى الفاضل الذي إذا نحا من العلوم نحواً رفع علمَه توضيحاً، وجاز تالياً وهو

---

(١) صدر بيت لأبي تمام وعجزه:
ولآلِ تُـــومٍ وبَـــزقٌ وَمـــيـــضُ
ديوانه (شرح التبريزي) ٢/ ٢٨٧ .

(٢) انظر خلاصة الأثر: ١/ ٢٢٤، ونفحة الريحانة: ٤/ ٣٧١ .

(٣) قال الخفاجي: «وأين كلام سائلٍ حلّ السؤال من كلام ملك يملك القلوب بالنوال» خلاصة الأثر: ١/ ٢٢٥ .

(٤) ابن الرومي هذا: «أحمد ابن الرومي، ذكره المحبي في خلاصة الأثر: ١/ ٢٢٥، والبيت من قصيدة مشهورة طويلة».

Marfat.com

المُقدَّم، ما تمحَّض من الخلاصة تنْقيحاً، وشرَح ماخفِيَ إبانةً وتصريحاً، الفقيهِ المثِيل، النَّبيه النَّبيل، المُتقِن المتفنِّن، لازال يُعمِّر من دَسْتِ العلم مِنَصَّه، يُعمِل في مَيْدانِها وَخْدَه ونَصَّه.

سلامٌ عليكم، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حَمْدِ الله الذي ألهم تثْقيفَ أَوَدِ اللِّسان، وفتَق منه بالبيان رَتْقاً، وصرَّف حِكمةَ الإغْراب على ألسنة الأعراب، فامتدّ شأْوُها في مجال الإبانة طَلْقاً، وأجرى جياد مَقاييسِه المُطَّرِدة فلم يتخلَّف لاحقٌ عن متقدِّمٍ سَبْقَا.

والصَّلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أرْصَده سبَباً للسعادة سفيراً، ودحَض به قوادِمَ الشِّرك فأصبح مَهِيضاً كسيرا، وأعاض جمْعَه من السَّلامةِ تكْسيراً، والرِّضا عن آلِه وأسرتِه الغُرِّ الزُّهْر الذين ينِمُّ شَذا ذكرِهم عَبيراً، ويروق طِرازُ مجدهم حَبيرا.

وعن أصحابه الأعلام، الذين فضُّوا حَلَقَ الضَّلالةِ المسْرُودةِ، ولقِيَتْ من عاصف بأْسِهم مُبيداً مُبيراً.

وصِلة الدُّعاء لعليٍّ هذا المقام الأحمديّ المنْصورِيّ الحسَنِيّ بنصرٍ عزيزٍ يقطِف من الفتْحِ زهَراتِ الكمائم، وسعدٍ جديد لا يزال قَرِينَ عَزْماتِه الماضية ما انْقدح بَرْقٌ في مُسْكَةِ الغمائِم، فكتبْناه لكم من حضرة مَرَّاكُش، حاطَها اللهُ، وصنائعُ اللهِ تعالى لهذا الجناب النَّبويّ الكريم المَوْلَوِيّ مُطَّرِدة اطِّراد كُعوب الذَّابل[1]، وأمْدادُ عنايتِه المُطِيفة المُحْدِقة بهذه الإيالةِ[2] العليَّة واكِفةُ الغمامِ الوابلِ.

هذا، وإنه قد اتَّصل بنا ما تعرَّفْنا به حُسنَ مَثابِكم، وإرسالكم لعليٍّ هذا المقام، وأنكم ممَّن ارْتَشف مُجاجَةَ لَثَتِه المِسْكيَّة الخِتام، واستوْفَى إيماضَ عنايتِه البازِغَةِ الشَّارق، وشَام حَيَاها الواكِف غيْرَ خُلَّبِ البَارِق، ليُقمَّص من قُمْصِها المُوشَّى أَنِيقَ الشَّارَة، ويسْتشِفَّ في حِزْب من حَلَّ منها عُلْوِيَّ دارَة.

وإلى هذا فتعرَّفُوا أن أمثالَكم من حَمَلةِ المعارف، المتفَيِّئين لظِلِّها الوارِف، مُتمَّم لهم في هذا الجَناب قِسْطُ النَّباهةِ بين وِتْرٍ وشَفْع، ونداءُ أعلامِهم في هذا الباب لم يزل نداءَ رَفْع، وجَنَى الكرامةِ دانِي الاهْتِصار، وحظُّهم منها الإسْهابُ الذي لا يُخِلُّ به اقْتِضابٌ واقْتِصار، وفِئتُهم المتحيِّزة إلى هذا المقام لم تزلْ بالعناةِ محفُوفة، تتعرَّف من تنْويهِ المقدار مَزِيَّته وشُفوفَه.

---

(١) الذابل: الرمح الدقيق.

(٢) الإيال: الوادي، أو قطعة من أرض الدولة يحكمها والٍ من قبل السلطان.

Marfat.com

وأمَّا الغرضُ الذي يمَّمْتُم، والقصدُ الذي به ألْممْتُم، من خِدْمة خِزانتِنا العليَّة بتصْنِيفِكم المُنقح الفُصول، المُحرَّرِ الفروع والأُصول، «شرح توضيح العلامة ابن هشام»، الذي أبرزَ منه مكنُونَه حَتَّى اسْتنَار بعد اكْتِتام، وترَكَ ذكرَ خالدٍ غيرَ خالد، ونسخَ من صِيتِه الطَّريفَ والتَّالِد، فلكم التَّصريحُ في الحقيقة، والتَّفرُّد بمُسْتتِر الإضْمار، وسابِقُ الحَلْبةِ إنَّما يُعرَفَ آخرَ المِضْمار، فقد وقع من مَحلِّنا الكريم موقعَ القَبُول، وهَبَّ له من إيثَارنا كلُّ صَباً وقَبُول، وتوفَّرت داعيةُ رغبتِنا في إتْمامِه، وإطْلاع جَنَى زهراتِه من أكْمامِه، ليَتَّسِق إن شاء الله تعالى في سِلْكِ خزِانتِنا العليَّةِ اسْمُه، ويثبُتَ بحمدِ اللهِ في فهارسِها الكريمة رَسْمُه.

واللهُ تعالى يسدِّد لكم في غَرَض التَّوفيق مَرامِياً، ويجعلُ قِسْطَكم من التَّسْديد زاكِياً ونامِياً. والسلام.

فصل

المكتوب له هذا المنشور العالي، هو أستاذِي وخالي، علاَّمة العصرِ في سائر الفنون، وسِرُّ الدَّهرِ الذي كان في ضميرِه عن النَّقْصِ مَصُون.

سِيبَوَيْه عصرِه، وشافِعِيُّ زمانِه في مِصْرِه.

تُحفةَ عُطارِد، وهديَّةُ الفلَكِ لكل ماجد.

صاحبُ الحسَب والنَّسب، الزَّاهد العابِد، الذي لم تمْضِ له طَرْفةُ عينٍ في غيرِ طَلب الفوائِد.

تخرَّج على والدي، ثم لازم العلاَّمة أحمد بن قاسم، والعلاَّمة الشَّمس الرَّمْلِيّ[1].

ثم بعدهما انتهَتْ إليه الرِّياسةُ العلميَّة، وصَدْرُ الإفادة والتَّاليف والتَّصنيف.

وبِهِ تخرَّجت، وبعلمه وبركةِ دعائِه انْتفعت.

قدَّس الله تعالى رُوحَه، وجاد بسُحُبِ الرَّحمةِ ضريحَه:

٤٥- أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين

القطب، الرَّبَّانِيّ، الشَّنَوانِيّ، الوَفَائِيّ

وجدّه الأعلى ابن عمّ السيد علي الشريف الوَفَائِيّ، التُّونِسِيّ منشأً ومولدا.

---

(١) شمس الدين الرملي هو: محمد بن أحمد بن حمزة، توفي سنة: ١٠٠٤، انظر خلاصة الأثر: ٣/ ٣٤٢.

٤٥- أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين عمر بن علي بن وفاء الشنواني الشريف التونسي الأصل -

Marfat.com

بحر العربيَّة الذي استمدَّتْ منه جداولُ الفضائل، ورَوْضُ الكمال الذي قامت له الأغصانُ على سُوقِها في الخمائِل.

لو رآه المُبَرِّد بَرَّد به الغليل، أو أحمدُ لقال: أفْدِي «بالعين» هذا الخليل.

فكم قرَّط وشنَّف، وألَّف وصنَّف.

لم أدْرِ أماءُ الحياة أحْلَى أم بِحارُ رَاحاتِه، أم ما جَرى في ظُلمات نِقْسِه[1] المُكتحِل من عَيْن دواتِه.

أما ترى القلمَ بغَيْرِ رُوحٍ مَسَّه فمشَى، وطَرَّز حُلَل القراطِيس ووَشَى.

في طِرْسِه جداول تشعَّبت أنهارُها، ونبَتَ من السُّطور على حافتِها رِياضُها وأزهارُها وأنوارُها: [الكامل]

فكأنَّ الزُّهورَ فيها شُموعٌ ولِذا قيل إنها أنْوَارُ

وهو لَعمْرِي ممن تشرَّفتْ الصِّفات بذاتِه، ولذا سُمِّيت بالتَّوابع، وتحيَّرتْ العباراتُ في بديع صفاتِه، إذ رأتْ ما لم تَرَه عيونُ المطامِع.

وهو والدي وأستاذي وخالي، ومن الْتأمَ في زمن الطَّلب به شَعَثُ حالي.

وهو كما سمعتُه تَلْمَذ لأبي وتخرَّج بابن قاسم[2]، وهو الرُّحلة العلاَّمة الذي هو لعِقْد الفضل في جِيد الدَّهر ناظم.

وله تصانيف كثيرة شهيرة كـ «شرح التوضيح» الذي قرَّط به آذانَ الدَّهر، وتوَّج به رأسَ الكمالِ وهامةَ الفخْر، ونظَم به في جِيدِ الفضل قلائدَ السُّطور، فافْتضَحتْ حلاوةُ «القطْرِ» وانْتَثرتْ طلاوةُ «الشُّذور»[3]: [الخفيف]

تلكَ آثارُنا تدلُّ علينَا فانظُروا بعدَنا إلى الآثارِ

وكنتُ كتبتُ إليه مكاتيبَ بعد رحلتي، .وأسْرِ الزُّمان لي في طُول غُرْبتِي، منها مكتوب صورتُه: [الكامل]

وجَد الصَّبا للعاشقين رسولاً فشَفى بإهْداءِ السَّلام عليلاَ

= والمصري المولد والدار، الشافعي، هو خال الشهاب الخفاجي، توفي سنة ١٠١٩، نسب إلى مدينة شنوان وبها ولد، كان إماماً في النحو تشد إليه الرحال، اشتغل بالتأليف وله كثير منها: شرح توضيح ابن هشام، وحاشية على شرح الأزهرية، والدرّة الشنوانية على شرح الأجرومية في علم العربية، وغيرها كثير، ابتلى في أواخر حياته فمكث فيه سنين، انظر خلاصة الأثر: ١/ ٧٩، وهدية العارفين: ١/ ٢٣٩ .

(١) النِّقْسُ: المداد يكتب به.

(٢) هو أحمد بن قاسم الصباغ الأزهري، شهاب الدين من كبار علماء مصر، توفي بمكة سنة: ٩٩٢، انظر تراجم الأعيان: ١/ ٦٢ .

(٣) إشارة إلى كتابي ابن هشام: قطر الندى وبل الصدى، وشدور الذهب.

Marfat.com

قُـل لـلأحِـبَّـةِ أنـتـمُ مـذ غـبْـتُـمُ لـم ألـقَ وجـهـاً لـلسُّـلُـوِّ جـمـيـلاَ
فـخـلـغـتُ أيَّـامَ الـوِصـالِ قـصـيـرةً ولـبِـسْـتُ لـيـلاً لـلـهُـمـومِ طـوِيـلاَ

حرسَ اللهُ تلكَ الذات التي بَذْرُها لا يُخْشَى سِرارُه، لازالتْ مُشرقَةً في سماءِ المعالي أنوارُه، وكَلأ منها روضَ كمالٍ المجدُ أوراقُه وثمارُه، وسقاها من وَسْمِيِّ النَّعماءِ كلَّ صَيِّب مُغْدِق، بَل مِن وَلِيِّ سَجاياه ما يزْهُو به خِصْب كل ربيع ويُورِق، وحيَّا الله ذلك المُحيَّا، وروَّى مواطنَ مواطئِه التي يفاخِرُ بها ثَراهُ الثُّرَيَّا.

لازالت الفضلاءُ لا تنْصرِف عن نادِيه؛ لأنه مُنتَهَى جُموعِها، ولا برِحت الفضائلُ من سُحبِ بَنانِه مُخْضِباً ربيعُ رُبوعِها، كما قلتُ في قصيدةٍ تمسَّكتْ بأذْيالِ أفْضالِه، وتمسَّكتْ بعَبِيرِ نسَماتِ إقْبالِه: [الكامل]

فـرائـدُ تـزْهُـو فـي تَـرائِـبِ مـذْحِـهِ وعـنـدِيَ لـولا الجِيدُ ما حَسُنَ العِقْدُ
سقَى اللهُ هاتِيكَ الرُّبَآ سُحْبَ راحةٍ لـهـا نـسـمـاتٌ مـن عـواطِـفِـهِ تـخْـدُو
وإنَّ بِـقَـاعـاً قـد سـقـاهـا بَـنـانُـه لـيـنْـبُـتُ في أرجائِها الفخْرُ والمجْدُ

وأنا أسألُ الله تعالى أن يُطفِيءَ من البُعدِ ضِرامَ صَدَاه، بمُشاهدةِ ذلك الوجه الذي يقْطُر منه ماءُ بِشْرِه ونَدَاه، ويُحَكِّمَ في عاتِق الفِراق، سيوفَ التَّدانِي والتَّلاق، فإنَّ العبدَ مادام في أسْرِ البُعْد، فِكرُه محبوسٌ في سجن الغرام والوجْد، مُتعلِّقةٌ به أشْراكُ النَّوى والنَّوائب، فهو جازِمٌ بألا يُرفَع حِجابُ همِّه النَّاصب.

وكيف لا، وإناءُ القلبِ مملوءٌ بولائِك، وثوبُ الحياة لُحْمتُه وسَداه[1] منسوجٌ بيدِ نَعْمائِك، فأنتَ نُور حَدَقةِ الزَّمان، ونَوْرُ حديقةِ الجِنان، والسلام.

فكتبَ إليَّ، رحمه الله[2]: [الطويل]

سـلامٌ شَـذَاهُ يـمـلأُ الأرضَ نـفْـحـةً تُـبـلِّـغُـهـا مـنِّـي إلـيـكَ يـدُ الـصَّـبَـا
وتـحـمـلُـهـا هُـوجُ الـرِّيـاحِ إلـى الـعُـلاَ وتـنْـشُـرهـا فـي الأرضِ شرقاً ومغرِبَا[3]
وسَـقَّـى ديـارَ الـرُّوم والـجـوّ عـابـسٌ رَذاذ كـمـالٍ حـلَّ فـيـهـا وطَـنَّـبَـا[4]
وردَّ عـلـيـه الـغَـيْـمُ لُـؤلُـؤَ حَـلْـيِـه فـفـضَّـض هـامـاتِ الـنَّـبـاتِ وذهَّـبَـا
لئن كان عن مِصْرٍ توارَى شِهابُها فـقـد لاح فـي دارِ الـخـلافـةِ كَـوْكَـبـا
وما كان تأْخِيري جوابَك عن قِلًى ولـكـنَّ ضَـغْـفِـي لـلـقـريـحـةِ شَـيَّـبَـا
وشـرَّقـنِـي دمـعُ الأسَـى وأهـاضَـنِـي عـلـى أنَّ قـلـبِـي مِـن فِـراقِـك غَـرَّبَـا

---

(١) اللُّحْمَةُ: خيوط النسيج العرضية يُلحم بها السَّدَى وهي الخيوط الطولية.
(٢) خلاصة الأثر: ١/ ٨٠ .
(٣) في الخلاصة: «وتحمله هوج الرياح.... وتنشره».
(٤) في الخلاصة: «وسقى ديار القوم».

Marfat.com

نأتْ بك يا قُسَّ الفصاحَةِ بلدةٌ وخلَّفتنِي بعد الفِراقِ مُعذَّبَا
فليتَ الذي شقَّ القلوبَ يَرُمُّها وليتَ الذي ساق القطيعةَ قَرَّبَا

سلامٌ كعَرْفِ الرَّوْض جرّ عليه النَّسيم ذيلَه، بعدما باتَتْ كؤوسِ القطرِ تُدار عليه نهارَه وليلَه، فأشرقَتْ شمسُ نهارِه على الرَّوابي والبِطاح، وأقبلتْ ترشُف رِيقَ الغَوادِي من شِفاه الشَّقيق وثَنايا الأقَاح، ونَشر كافورُ الطَّلِّ مِسكيَّ الشَّذَى على مجامرِ الجُلَّنارِ، ونُصِبتْ على نَدِيّ النَّدى سُرادِقاتٌ من مُخيَّمات الأشْجار.

يُهدَى إلى من ألْقتْ إليه العلومُ مقاليدَها، وملَك من التَّحقيقاتِ الفِكْريَّة طارِفَها وتَلِيدَها، أفصحُ مَن وَشَّى وجوهَ الطُّروس بخُطوط المعارف، وأسْبلَ على عرائس الألفاظِ فواضِلَ المطارِف.

لازالتْ عوارفُ المعارفِ عليه مُنْهَلَّة، وذيولُ مجدِه من بِحار المكارم مُبتَلَّة.

وبعد، فقد ورد علينا المشرَّف الكريم، فالقيْنا عليه عصَا التَّسليم، واجْتَنيْنا من قُطوفِهِ الدَّانية بَاكُورَة التَّسْجيع، وتصيَّدْنا من غُصون هَمَزاتِه حمائِمَ التَّرجيع، ورأيْناه قد اشتمل على عَتْبٍ أَرَقَّ من دَمْعةِ الكئِيب، وألطفَ من مُعاتَبةِ الحبيب للحبيب.

غيرَ أن عُذرِي مقبولٌ لا يُرَدّ، وطُولَ الأسَى رَفِيقٌ لا يَودّ، فإن المرض لازَمني منذ سنواتٍ ملازمةَ النُّجوم الأفْلاك، ونصبَ لصيْد الصِّحَّةِ فِخاخَه والشِّباك، لا يُفارِقُني إلا مفارقَةَ الجَفْن للعَيْن، كأنه غريمٌ مُلِحٌّ له عليَّ دَيْنٍ: [الوافر]

كأنّ السُّقْم مُحتاجٌ لجسْمِي فمأ يَنْفَكُّ عنه قَيْدَ شِبْرِ

إن أردتُ القيامَ من مَضْجَعِي فلابُدُّ من مُعِين، وإن مشَيْتُ فلا أَسْتغنِي عن عصاً وقَرِين.

رفضَتْ يدي القلمَ وطالَما حملَتْه، وجفَا يَميني بعد ما أرْضعَتْه من جداول النَّوال وغَذَّتْه.

وارتَعَشَتْ اليدُ لِفراقِه أسفاً وندماً، وصار وُجْدان الطُّروس بعده عدَماً، وأصبحتُ كأنِّي من أهل الكهف والرَّقِيم[1]، لا أعْرف كم لبِثْتُ من السِّنين، وإن كان عندي الْمُقْعِد المُقِيم، والسلام.

وما شَكاه في كتابه، فالِج رمَاه بأوْصابه، في دهْر أثْقلَه بمصائِبِه، وعضَّه بأنيابِ نوائِبِه، فكسَاه لِباسَ البَأْسِ والضرّ، وخلَع ثوبَ الحياةِ، فقال[2]: [المتقارب]

فثوباً لَبِسْتُ وثوباً أجُرّ

---

(١) الرَّقيم: الكتاب، أو قرية أصحاب الكهف أو جبلهم أو كلبهم أو الوادي أو الصخرة، أو لوح رصاص نقش فيه نسبهم وأسماؤهم ودينهم وممن هربوا، أو اللوح، وفي التنزيل: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

(٢) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره:

فلمّا دَنوْتَ تسدَّيتُها

وقلتُ لما أتى نَعِيُّ وفاتِه، مُضمِّناً[١]: [الرمل]

رحمَ اللهُ أوْحدَ الدَّهْرِ مَن قد ... كان من حِلْيةِ الفضائل حَالِي
ذاك مَن قلتُ سَلْوةً إذ نَعُوه ... ليْسَ حيٌّ على المَنُونِ بخَالِ

والمصراع الأخير شاهدٌ لتَرْخيم خالد، كما ذكره النُّحاة[٢].

ولما جاء نَعِيّ الخال، أُخْبِرت بموْتِ الوالد أيضاً، فقلتُ في مرثيَّةٍ له: [الطويل]

كأنَّ الليالي غالطَتْني ولم أكُنْ ... أُقدِّرُ أن أغْتَرَّ بالمكْرِ والحِيَلْ
فقالتْ إذا أعطيْتُكَ الأمْنَ عاجلاً ... من الرُّزْء هل ترْضَى فقلتُ لها أجَلْ
فجاءتْ بفَقْدِي للّذين أحبُّهمْ ... وقالتْ لهذا كنتُ أغْنِي فلا تسَلْ
لأنّيَ لا أخْشَى مُصاباً بُعَيْدَ ذَا ... فللهِ رَيْبُ الحادثاتِ وما فَعَلْ

وهذا معنًى مشهور في كلام فصحاء العرب، ولكنَّني تصرّفتُ فيه، مع تسْمية النوع، تصرُّفا يعرِف حسنَه من ذاق حلاوةَ الأدب.

وفي هذا المعنى يقول الصُّولِيّ: [م. الكامل]

كنْتَ السَّوادَ لمُقْلَةٍ ... تبْكي عليكَ وناظرُ
مَن شاء بعدَكَ فلْيَمُتْ ... فعليكَ كُنتُ أحاذِرُ

وهو رِثاءٌ في ابنٍ له، وأخطأ صاحب «المواهب اللُّدُنِّيَّة» إذ زعم أنه رِثاء في النبيِّ ﷺ، وعَزاه لغيرِ قائِله[٣].

وفي معناه قولُ الآخر: [البسيط]

فكلُّ ما كنتُ أخْشَآ قد أُصِبْتُ بهِ ... فليس بعدهمُ مِن فائتٍ جَزَعُ

وقال آخر: [م. الكامل]

اغتَضْتُ باليأسِ منه صَبْراً ... واغتدَل الحُزْنُ والسُّرورُ
فلستُ أرجو ولستُ أخْشَى ... ما أحدَثتْ بعدَه الدُّهورُ
فلْيَجْهَدِ الدُّهرُ في مُصابِي ... فما عسى جَهْدُه يُضِيرُ

وقال أشْجَع: [الطويل]

فما أنا مِن رُزْءٍ وإن جَلَّ جازِعٌ ... ولا بسُرورٍ بعد مَوْتِكَ فارِحُ

وقال غيرُه: [البسيط]

---

(١) خلاصة الأثر: ١/ ٨١ .
(٢) الترخيم في النحو هو ترخيم الاسم في النداء بحذف آخره تسهيلاً للنطق به، كقول امرئ القيس:
أفاطمُ مهلاً.....
(٣) عزاه صاحب المواهب إلى حسان بن ثابت، المواهب اللدنية: ٨/ ٣٨٧ .

Marfat.com

لَعمْرِي لئِن كُنَّا فقَدْناكَ سيِّداً يحِقُّ لنا طُولُ التَّحزُّنِ والهَلَعْ
لقد جرَّ نفْعاً فقْدُنا لكَ إنَّنا أمِنَّا على كلِّ الرَّزايا من الجَزَعْ

وقيل لأمِّ الهَيْثَم - وهي امرأة مع بلاغتِها لها علم باللُّغة، والأزْهَرِيّ كثيراً ما ينقل عنها في «تهذيبه» - لما مات ابنُها: ما أسرعَ ما سلَوْتِ عن الهَيْثَم!

فقالت: أمَا واللهِ، لقد رُزِئْتُه كالبدر في بهائِه، والسَّيفِ في مَضائِه، والرُّمح في رُوائِه، واللهِ، لقد فُرِيَتْ كبدِي، وتصدَّع قلبي لفَقْدِه وبُعْدِه، وما اعتَضْتُ به إلا الأمْنَ من الرَّزايَا بَعدَه.

وقد أوضح هذا المعنى القائل: [البسيط]

ومَن سَرَّهُ أن لا يرَى ما يسوؤُه فلا يتَّخِذْ شيئاً يخافُ له فَقْدَا

وهو بابٌ واسع، لو أردنا نظائِرَه سحبْنا ذيلَ المقال، على أَثَرِ المَلال، فلْنقتصِر على مقدار الكِفاية منه.

٤٦- محمد الفِشْتَالِيّ[1]

وزير مولاي أحمد

أديبُ فَاس، ورَيْحانة فضلائِها الأكْياس.

تقدَّم فيها مُتقلِّداً قِلادةَ إنشائِها، فائقاً برسائلِه على سائر أُدبائِها.

وكان في عصرِهِ من أجَلِّ وزرائِها، رافِلاً في حُلَل الحُبُور، تَبْسَم له الدولةُ الأحْمَديَّة بثُغور السُّرور.

وعاد إلى القُسْطَنْطِينيَّة رسولاً من ملِك الغرب والعَوْدُ أحْمد، مُعَيَّناً للسِّفارة وهل أحَدٌ أوْلَى بالرِّسالة من محمد؛ لأنه ممَّن أُلْقِيَ إليه مقاليدَ النُّهَى البشَر، وسَلَّمتْ إليه يدُ التَّدبير مفاتيحَ الرَّأي والحَذَر.

وكان بها كثيراً ما يجلُو عليَّ كأسَ أُنْسِه، ويُسامِرُني بلَيْل سَمَرِه ونِقْسِه، ونحن في مِضْمار المُحاورة نتجَارَى، حتى مضَى لنا معه أُوَيْقاتٌ أقصرُ من إبْهام القَطاة والحُبَارَى، وأقصرُ من عُمْرِ تَلاقِي الأحْباب، بل سَالِفَةِ الذُّباب؛ لأنه ممَّن أحكم عُرَى المجد، وجذَب عِنان الشِّعر وأحكم الحَلَّ والعَقْد.

فكنتُ إذا جاذبْتُه أهْدابَ الآداب، وأجلْتُ في نادِيه قِداحَ الخِطابِ، كأنِّي جاثٍ بين يدَي الفَرَزْدَق أو جَرير، لأنه بصيرٌ بعَورات الكلام خَبِير.

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

Marfat.com

ولما ورد الرُّوم، كتبتُ له مُهنِّئاً بالقُدوم: [البسيط]

قُـدومٌ لـه هـذِي الـثُّـغـورُ بـواسِـمُ ... ولـيـس لـه غـيـرُ الـزُّهـورِ مَـبـاسِـمُ
مَـسـرَّاتُ إقْـبـالٍ وعـزْمُ قـوادِمِ ... عـلـيـهـا لِـطَـيْـرِ الـيُـمْـن رَفَّـتْ قـوادِمُ
عـلـى فَـتْـرةٍ وافـيْـتَ لـلـرُّوم مُـرسَـلاً ... فـضـاءَتْ بـنُـورِ الـعـلـم منـهـا الـمعـالِـمُ
فـهـل أهْـدَتِ الأيـامُ أعـيـادَهـا لـنَـا ... ففي كـلِّ وقـتٍ مـذ قـدِمْـتَ مـواسِـمُ

هذا هناءٌ عرائسِه على الألباب مجْلُوَّة، وآياتُه المُحكَمة بلسان الزمان متْلُوَّة، سُرَّت به الليالي والأيَّام، حتَّى كأنَّه في فم الدنيا ابْتِسام.

ولَعمْرِي لقد أبان هذا الرسولُ من المُرسِل كمالَه، ولا غَرْوَ أن خُصَّ محمد في زمانِنا بالرِّسالة. قُدومٌ ذهَّبَ الأفقَ في البُكُر والآصال، وهبَّتْ على رياضِ مجدِهِ نسَماتُ الإقْبال. وقد جريْتُ في هذه التَّهنئةِ من الأدب على سَنَنِه، وأردتُ أن تُحْيَي بها فرائضُ مذْهبِه ومُؤكَّداتُ سُنَنِه.

فمِن مولانا تُجتَنى ثمراتُ الألباب، وتُطرَّز حُلَل المعارِف والآداب.

فهذا زمان طلَعت فيه شمسُ الفضْلِ من مغرِبها، فإن فتح مولانا كنوزَ فِكْرِه فالعبدُ أحقُّ بمطْلبِها، والسلام.

فأجاب بقوله: [الخفيف]

جُـذيْـلُ حِـكـاكٍ قـد رمـى بـعَـظـيـمةٍ ... كـثَـالـثـةِ الأثْـفَـى وهُـنَّ عـظـائِـمُ[1]
وذكَّـرنِـي الـظَّـعْـنَ الـذي قـد نـسِـيـتُـه ... فـتًـى مُـبْـشِـرٌ بـل مُـنْـذِر لا يُـقـاوَمُ
كـأنِّـيَ بـالـفـضْـلِ الـذي هـو أهـلُـه ... يُـغـطِّـي عِـراقـاً وهـو بـالـنَّـقْـصِ عـالِـمُ

طالعتُ، أبْقاكم الله، السَّحاة[2] التي لو رآها الفَتْح[3] لما انْفتَح له إلى الإحْسان باب، ولو طالَعها البدِيعُ[4] ما ارْتدَى ممن مَمِيسه بجِلْباب.

أُقسِم بتلك الفِقَر والقوافي، وهُنَّ القوادِمُ في جَناح الإحْسان والخَوافي، لقد سقَتْني من الأُنس بعد الصَّحْو كأساً دِهاقاً[5]، وملأتْ فكْرِي وهو المظلِم بتنائي السَّكن إضاءةً وإشْراقاً.

---

(١) جذيلها المحكك: الجذل: عود ينصب للإبل الجزلى لتحتك به، ويقال: إنه لجذل حكاك، وهو جذيلها المحكك: لمن يستشفى برأيه، وثالثة الأثافي: الأثفية: أحد حجار ثلاثة توضع عليها القدر، وثالثة الأثافي: حرف الجبل يجعل إلى جنبه أثفيتان، ويقال: رماه بثالثة الأثافي: بداهية كالجبل.
(٢) السَّحاةُ: ما أخذ من القرطاس.
(٣) يعني به: الفتح بن خاقان الكاتب المؤرخ، المتوفى سنة: ٥٢٨ هـ.
(٤) يعني به: أحمد بن الحسين، بديع الزمان الهمذاني، المتوفى سنة: ٣٩٨ هـ.
(٥) كأساً دهاقا: مملئة.

Marfat.com

وإني لتَارِكٌ لِعتابِ اللَّيالي، إذ جمَعْتنا في هذه الدِّيار بأمْثالِكم، لازِلتُم تُقِيمون رسومَ المعالِي، وتجمعون في المكارم بين المقدَّم والتَّالي، بمَنِّه وطَوْلِهِ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وله ماءُ شِعْرٍ تشربُه أفواهُ الأسماع، ورياضُ منْثورٍ تُغرِّد حمائمُ قوافِيه بمُطرِب الأسْجاع.

فمما دَار بيْنِي وبينَه من كُؤوس المخاطَبة، وجال من جِياد القَوْل في مِضْمارِ المُكاتَبة، وأنا مسجونٌ بالرُّوم، وليس لي غيرُ القضاءِ والقدر سَجّان، في ديارٍ ترى العربيَّ فيها غريبَ الوجْهِ واليدِ واللِّسان، قَوْلِي مُلغِزاً في حَبَّات الأخْقاف، المُلْتَفَّة تحتَ أغْصان المعاطِف على كُثُب الأرْدَاف: [م. الرمل]

أيـــا رَوْضـــاً لـــه ظِـــلٌ ... وشـــمسُ مـــعـــارفٍ تـــعـــلُـــو
ويـــا مَـــن قـــولُـــه فَـــضْـــلٌ ... وعُـــنْـــصُـــر ذاتِـــه فَـــضْـــلُ
أبِـــنْ لـــي مـــا مُـــقَـــيَّـــدةٌ ... بـــرِدْفٍ مـــالَـــهُ وَصْـــلُ
بـــلا قـــلـــبٍ مُـــحـــجَّـــبـــةٌ ... ومـــنـــهـــا الـــعَـــقْـــدُ والـــحَـــلُّ
عـــلـــى بـــابِ الـــمَـــســـرّةِ أوْ ... عـــلـــى كـــنْـــزِ الـــهَـــوى قُـــفْـــلُ
ويـــحـــســـنُ عَـــقْـــدُهـــا لـــكـــن ... إذا حـــلَّـــيْـــتَـــهـــا تـــخْـــلُـــو

فأجاب، وأجاد: [م. الرمل]

وفِـــكْـــرٍ طَـــلَّـــهُ وَبـــلُ ... لـــنَـــدْبٍ فـــضْـــلُـــه أضْـــلُ
ونـــظـــمٍ أرْفَـــعُ الـــشُّـــهـــبِ ... لأذْنِـــي قَـــدرِه نَـــغْـــلُ
لَـــهـــذِيَ فَـــتْـــكَـــةٌ بِـــكْـــرٌ ... عَـــتـــا فـــي بَـــدْئِـــهـــا نَـــضْـــلُ
وحُـــزْتُـــم قـــصَـــبَ الـــسَّـــبـــقِ ... فـــلـــم يَـــعُـــدْ لـــكـــم خَـــضْـــلُ
وفُـــزْتُـــمْ مـــن ثـــنـــاً جَـــزْلٍ ... بـــمـــا لـــيـــس لـــه مِـــثْـــلُ
فـــلا زِلْـــتُـــم ولا زالَـــتْ ... بـــكـــمْ ســـاعَـــاتُـــنـــا تـــخْـــلُـــو

وكتبتُ له مُلغِزاً أيضاً: [الخفيف]

أيُّـهـا الـمـفـرَدُ الـذي صـار جـمـعـاً ... فـي الـمـعـالِـي ورَقَّ لـفـظـاً وطَـبْـعَـا
أيُّ شـيءٍ لـدى الـسَّـمـواتِ يُـلْـفَـى ... وهْـوَ فـي الأرضِ بـالـجَـرَاءةِ يَـسْـعَـى
ذُو ثـــلاثٍ وأربـــعٍ إن عَـــدَدْنـــا ... وتـــراهُ إذا تـــحـــقَّـــقْـــتَ ســـبـــعَـــا
فـأجِـبْـنِـي بـجـوْهَـرٍ مـن نِـظـامٍ ... كـي أُحَـلِّـي بـه لـسـانـاً وسَـمْـعَـا

فأجاب، وأجاد: [الخفيف]

يـا بـديـعـاً حـاز الـمـحـاسِـنَ طَـبْـعَـا ... وكـريـمـاً لـه الـمـحـامِـدُ تَـسْـعَـى

Marfat.com

لِـيَ لُـغْـزاً أهـديـتَـه فـي بُـرودٍ ... مـن مَـعـانٍ كـأنَّـهـا وَشْـيُ صَـنْـعَـا
حـاكَـه فِـكْـرُ مـاهـرٍ قـد تَـنـاهَـى ... فـي ضُـروبِ الـبـيـانِ أصْـلاً وفَـرْعَـا
خـامـسٌ مـن بُـروجِ دائـرةِ الـشَّـمـ ... ـسِ وفي الغابِ بالضُّبارِمِ يُدْعَى[1]
لـمـيَـادِيـن فِـكْـرِه تَـتَـبـارَى ... سُـبَّـقٌ عـنـدهـا الـسَّـوابِـقُ صَـرْعَـى
شُـقْـرُ ذاك الـيَـراع مـع دُهْـمِ نِـقْـسٍ ... شُـهْـبُ طِـرْسٍ يُـرضِـيه حُـسْـناً ووَضْـعَـا
يُـسـعِـد الـكـفَّ سـاعِـدَاهـا الـقـوِيَّـا ... نِ ومـا لـلـطِّـعـانِ ضـاعَـفْـتُ دِرْعَـا
والـقـوافـي تـمِـيـلُ مَـيْـلَ الـغـوانِـي ... لـلـفتى حـيـن يُـشْـبَـعُ الـشـيـخُ صَـفْـعَـا
إن عـهْـدِي بـالـرَّمْـي عـهـدٌ قـديـمٌ ... أنْـتَ أقْـوَى عـلـى قِـسِـيِّـكَ نَـزْعَـا

وهذا يُشير إلى قول أبي حَيَّة النُّمَيْرِيّ[2]: [البسيط]

رمَـتْـنِـي وسِـتْـرُ الـلـهِ بـيْـنـي وبـيْـنَـهـا ... عَـشِـيَّـةَ أحْـجـار الـكـنـاسِ رَمِـيـمُ
ألا رُبَّ يـومٍ لـو رمَـتْـنِـي رمَـيْـتُـهـا ... ولـكـن عـهْـدِي بـالـنِّـضـالِ قـديـمُ

وأنشدني قصيدةً هنَّأ فيها بفتْح، فمما اخترتُه منها قوله: [الرجز]

بُـشْـرَى تُـزَفُّ مـن الـزمـان الـمُـقْـبِـلِ ... بـمـنَـصَّـةِ الـجَـذَلِ لـم يَـرْحَـلِ
يـا نـجـلَ فـاطـمـةٍ وكـلّ مُـفـاخِـرٍ ... فـهـو الـمُـفـاخِـر دُرَّكـمْ بـالْـجَـنْـدَلِ
لـولا ضِـيـاءُ الـمَـشْـرَفـيَّـة والـقَـنَـا ... ضـلَّـتْ كـتـائـبُـهـم بـلـيْـل ألْـيَـلِ
بـعـسـاكـرٍ رمِـدتْ بِـعـثْـيَـرِ نَـقْـعِـهَـا ... عـيـنُ الـغـزالـةِ فـي الـرَّعـيـلِ الأوَّلِ
خـطَـبـتْ سُـيـوفُـك فـي مـنـابـرِ هـامِـهـمْ ... خُـطَـبـاً تُـذيـقُـهـمُ نَـقِـيـعَ الـحـنْـظَـلِ

ومنها، في ختامها:

هـاكُـمْ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن قـوافـيـاً ... فـاحَـتْ مـجـامِـرُ طِـيـبـهـا بـالـمَـنْـدَلِ
بـمـديـحِ أهْـلِ الـبـيـتِ هـزَّت مِـغْـطـفـاً ... هُـزُوْاً بـمـدْح جَـرِيـرهـمْ والأخْـطَـلِ

وقوله في جواب اللُّغْز السابق: «حين يشبع الشيخ صفعا» من مَزْج الجدّ بالهَزْل.

وعليه فانظر قولي في التُّتَف، التي سمَّيتُها «الشُّهب السَّيارة»، وهو: [الخفيف]

قـيـل إن كـان فـي الـشـبـاب سـرورٌ ... فـبَـيـاضُ الـوجـوه خـيـرُ وَقـار
قلتُ رُدُّوا الشَّبابَ لي واصْفَعوني ... واجْـعـلـونـي سُـخْـريَّـةً لـلـصِّـغـارِ

والشيءُ بالشيءِ يذكر.

وأجاد التَّعاوِيذيّ[3] في قوله: [م. الرمل]

---

(١) صُنبارِمُ: يقال: أسدٌ صُنبارم: محكم الخلق مُصَنبَرُه.
(٢) النميري: هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، شاعر، راجز، والبيتان في الكامل: ١/ ١٩.
(٣) التعاويذي: هو محمد بن عبيد الله: يقال له أيضاً: ابن التعاويذي، شاعر بغدادي، توفي سنة ٥٨٣، انظر النجوم الزاهرة: ٦/ ١٠٥.

Marfat.com

وعُـــلُـــوُّ الـــسِّـــنِّ قـــد كـسَّـر بـالـشَّـيـبِ نـشـاطِـي
كـيـــف سَـــمَّـــوه عُـــلُـــوًّا وهْـــوَ أخْـــذٌ فـــي انْـــحِـــطـــاطِ

وقوله: «بعساكر رمدت» إلى آخره، كقول الأرَّجانيّ[1]: [الكامل]

والـشـمـسُ فَـرْطُ سَـنـاهُ أرْمَـدَ عـينَـهـا فـكـحَـلْـنـهـا أيـدي الـجِـيـادِ بـإِثْـمِـدِ

ومنه قولي في النُّتَف أيضاً: [الوافر]

ولـيـلٍ زارَنـي والـسـعـدُ وافَـى عـلـى رغـمِ الـمُـنـافـقِ والـمُـداجـي
رَأى لـيـلِـي عُـيـونَ الـشُّـهْـبِ رُمْـداً فـعـصَّـبَـهـا بِـمُـسْـوَدِّ الـدَّيـاجِـي

وأنشدني من قصيدةٍ له، قالها وقد دعاه النجاح، وأسفَرتْ له شمسُ الظَّفَر من خلف سِتارة الفلاح، وأنشدَتْه المسرَّةُ، قولَ شيخ المَعَرَّة: [الخفيف]

ابْـقَ فـي نـعـمـةٍ بـقـاءَ الـدُّهـورِ نـافِـذَ الأمـر فـي جـمـيـع الأمـورِ

وقد قدِم من غَزاةٍ صَدع بها شملَ الكفْر أيَّ صَدْع، بعد ما خَطَّ على صُحُف البسيطة سطورَ جيشٍ مُتَرَّبةً بالنَّقْع، غصَّ بعِثْيرِها الوِهاد، وسُرَّ بها الفضاءُ فتضمَّخ من دم الأعداءِ بالجِساد[2]، والربيعُ قد نقَّط تلك الصحفَ ووشَّاها، وخطَّ في جوانبها النباتَ وحشَاها: [الكامل]

وكـسـا الأرض خِـدمـةً لـك يـا مـو لايَ دونَ الـمـلـوكِ خـضْـرُ الـحـريـرِ
وغَـدت كـلُّ رَبْـوةٍ تـشـتـهـى الـرَّقـ ـصَ بـثَـوبٍ مـن الـنـبـاتِ قـصـيـرِ
فـهْـيَ تـخـتـالُ فـي زَبَـرْجَـدةٍ خـضْـ ـراءَ تُـغْـذَى بـلُـؤلـؤ مـنـثـورِ

فقدِم وله عن ذنوب الدَّهر صَفْح، والقِلاعُ تُعرِب عن رفعِ عزْمِه بعد ما بناها على الفَتْح، في يومٍ عُدَّه عيدَ السرور، فهو مِلءُ العيون مِلءُ الصّدور.

فقام بين السِّماطَيْن، وهو إذاً رأس كُتَّابه، وناظمُ عقود الجوهر في سِلْك خِطابِه، مُهنِّئاً ومُنشِداً، وفي رياض ناديه مُغرِّداً، بقوله أيضاً: [الخفيف]

قَـسَـماً بـالـجـفـون فـي سَـطـوةِ الـمُـلْـ ـكِ وقـد أُيِّـدتْ بـحُـسـنِ الـفُـتـورِ
وظُـبـاهـا الـتـي بـهـا تـخـتـمِـي فـي حَـوْزةِ الـصَّـوْن بـارقـاتُ الـثُّـغـورِ
وبـخـدٍّ يُـكْـنَـى أبـا لَـهـبٍ تُـذْ كِـي يدُ الـحسن نارَه فـي الـضَّـمـيـرِ
وبـرَوْضٍ تـدِبُّ شـوقـاً إلـيـهِ عَـقْـربُ الـصُّـدْغ فـي لـيـالـي الـشُّـعـورِ
لَـهَـجـرْنـا الـمـنـامَ حـتـى تـنـاسَـتْ نـحـوَنـا لـلـخـيـالِ طُـرْقُ الـمَـسِـيـرِ
يـا ظِـبـاءً سـنَـحْـنَ مُـلـتـفِـتـاتٍ مُـتْـلِـعـاتٍ أجْـيـادَهـا لـلـنُّـفـورِ

---

(١) ديوانه: ٩٥ .
(٢) الجِسَادُ: الدَّمُ اليابسُ.

Marfat.com

أمَّـن الـلـهُ رَوْعَـكـنَّ فـإنـي أرْتـجـي وَقْـفـةً بـوقْـتٍ يَـسـيـرِ

ومنها: [الخفيف]

نَـسْـمـةٌ فـي بـاب الإمـالـةِ تُـبْـدى عِلَلَ اللِّين في القضيبِ النَّضيرِ
مـا عـهِـدْنَـا رِيـمَ الـفـلا وغـصـونـاً يُـشـرِقُ الـحـسـنُ فـي بُـرودِ الـبُـدورِ
رافـضـاتٍ عـهْـدَنـا هـلْ لـوصْـلٍ مِن رجاءٍ يطْفى لقلْبي الحَرُورِي
ذابَ شـوقـاً وأنـفـق الـعـمـرَ سَـعْـيـاً فـي رِضـاكُـمْ ومـالـه مـن شُـعـورِ
كـان خـدِّي مَـجْـرَى الـسَّـوابـق شُـهْـبـاً بـادِيـاتٍ فـي لـونِـهـا الـمُـسـتـنـيـرِ
فـاسْـتـحـالَـتْ حُـمْـراً وتـكـمُـن طـوراً مـن أخـاديـدِ جَـرْيِـهـا فـي حَـفِـيـرِ
بـاعْـتـكـافٍ يـحْـكـي جـهـادَ جِـيـادٍ مُـدمِـنـاتٍ عـلـى الـسُّـرَى والـبُـكُـورِ

ومن مديحها:

يَـا نَـسِـيـبـاً أنـت الـمُـقـدَّم فـي الـمـدْ ـحِ فـلـسـنـا نـرَى لـكـم مـن نَـظـيـرِ
كـم نَـظـمْـتُـمْ لـلـحـقِّ عِـقْـدَ اعْـتـزازٍ ونَـثَـرْتُـم بـالـحَـلِّ نـظْـمَ الـفُـجـورِ
وبـضَـرْبِ الـهِـنـديّ كـم قـد طـرَحْـتُـم مـن ضُـروبِ الـعِـدى بـجَـمْـعِ الـكُـسـورِ
وأدَرْتُـم عـلـيـهـمُ لـلـمَـنـايـا أكـؤُسـاً لـم تـزَلْ بـكـفِّ الـمُـدِيـرِ
دام فـي الـعـزِّ مُـلـكُـكـمْ وبـيُـمْـنَـى عـزْمِـكـم لـلـفـتـوحِ سـيـفُ الـظُّـهـورِ
مـا جـرَتْ أفْـرُسُ الـدَّراري بـمِـضْـمـا رِ مَـيـادِيـنُـهـا بـطُـولِ الـدُّهـورِ

قوله: «يا نسِيباً» إلخ، كقول بعضِهم مُضمِّنا من قصيدةٍ نبويَّة[1]: [الطويل]

له النَّسبُ العالي فيا مادِحَ الورَى إذا كـان مَـدْحٌ فـالـنَّـسـيـبُ الـمُـقـدَّمُ

ولله دَرُّ ابن خَفاجة، في قوله: [المتقارب]

مَـلِـيـكٌ تـبـسَّـمَ بِـشْـرُ الـمُـنَـى بـمَـرْآهُ وامـتـدَّ خَـطْـوُ الأمَـلْ
فـلـم أدْرِ والـحـسـنُ صِـنْـوٌ لـه أأبْـدأُ بـالـمـدحِ أم بـالـغَـزَلْ

وكتب إليّ وقد أصابتْه حُمَّى فافتصَد، يذكرُ اشتياقَه، ويشكو ما منَعه من مُلاقاتي وعاقَه.

أنا في غُربتي وعِلَّتي، ونارِ خليلٍ لم تُبَلَّ بملاقاتِه غُلَّتي، لا أظنُّ نِسْيانَ الإخوان، وأعتذر لتقْصير الزَّمان: [الطويل]

كـأنَّ زمـانـي خـاف لَـحْـنـاً فـلـم يـكـنْ لـيـجـمَـعَ بـيـن الـسَّـاكِـنَـيْـنِ بـأوْطـانِ

فكتبتُ إليه: [الوافر]

---

(١) عجز البيت تضمين لصدر بيت المتنبي:
إذا كـان مـدحٌ فـالـنـسـيـبُ الـمـقـدَّمُ أكُـلُّ فـصـيـحٍ قـال شـعـراً مُـتَـيَّـمُ
ديوانه: ٢٩٠.

Marfat.com

كفاك اللهُ ما تخشَى وغطَّى عليك بظلِّ نِعْمتِه الظَّليلِ[١]

أعزّ اللهُ تعالى أنصار الكرم الفيَّاض والحَسب، وحِفظ بحِمايتِه معالمَ الفضلِ العامرة بالأدَب، ببقائِك محروساً من هجوم الخُطوب، محفُوفاً بسُورٍ منِيع من إحاطة القلوب، وأصْواتُ جرَسِ الدعاءِ به مَرْفوعة، وسُدَّتُه بحجابِ الصَّنائِع ممنُوعة، وله من عِطر الثَّناءِ نَشْرٌ انتَشر، فلا يُمَلّ حتى يُمَلَّ نسيمُ السَّحر.

والدَّهْرُ وإن كان ذا غِيَر، مَن تفكَّر فيه اعْتَبر، فكيف يتسلَّط عليه بآلامِه، وهو لا يتسلَّط على أيادِي إنْعامِه، فإن همّ به ونِعَمه سابغةٌ عليه، فقد ورَد: «اتَّقِ شَرَّ مَنْ تُحْسِن إلَيْه»: [الطويل]

أتُهْدِي له الأيامُ سُقْماً وإنما مساعِيهِ في أعْناقِهنَّ قَلائِدُ

فإن اعْتلَّ فإنما اعتلَّ الكرَمُ والكمال، وإن مرِض فقد مرضتْ الأماني والآمال، والقلوبُ والأرْواح، وإن دعَوْنا له فإنما ندعُو لأنْفسِنا بالصَّلاح، ورُبَّ مريضٍ لا يُعاد، ولا يُحرَم الأجرَ مرِيضُ الفُؤاد، فلا أقول: [البسيط]

يا ليتَ عِلَّته بي غير أنَّ له أجْرَ العليلِ وأني غيرُ مأْجُورِ

وقد بلَغني فَصْدُه الباسَليق[٢]، وأنه قد بكَى دماً عِرْقُه العرِيق: [المتقارب]

وباتَ اغْتلالُك يبْكي دماً وتضْحكُ في جِسْمِك العافِيَهْ

وعِرْق الصِّحة له في كل مَنْبِتِ شَعْرةٍ عينٌ باكيةٌ، تبكي بدُموع العِرْق على فِراق العافِية، وليس ببكاءٍ وإنما مَن اسْتَغْرب في الضّحك قد تدْمَع عيْنَاه، كما أن الحزين قد يضحكُ دَهْشةً ممَّا دهاه.

فأضْحك اللهُ تَعالى ثغرَ فصاحتِه، كما ضحكتْ تباشيرُ صِحَّتِه، وهنَّأ الله تعالى الوجود بسلامة الكرم والجود، وأطْلَع كوكبَ سعْدِه في أُفُق الإفاقةِ والإقْبال، فإن لكلِّ زمانٍ مُقْبِل غُرَّةً وهِلال[٣]. والسلام.

فصل

دعانا مرَّةً داعِي الصِّبا، فحرَّك مِنَّا ما حرَّكَتْه من عَذَبات البَان أنْفاسُ الصَّبا، إلى روضٍ أنيق، ووادٍ تزُورُه السَّرَّاء من كلِّ فَجٍّ عميق.

نبَّهتْ عيونَ أزْهارِه أكفُّ نسيمِ السَّحَر، ونِيطَت على قُدود قُضْبِه بعد اخْضِرارِ عارِضِ نباتِه تمائمُ الزَّهَر: [البسيط]

---

(١) انظر نفحة الريحانة: ٤/ ٤٠٤ .
(٢) الباسليق: عرق في الذراع.
(٣) انظر هذه الفقرة كاملة في نفحة الريحانة: ٤/ ٤٠٥ .

Marfat.com

والرِّيحُ تجْذِبُ أطْرافَ الغُصُون كما أفْضَى الشَّقِيقُ إلى تنْبِيه وَسْنانِ

في مجلسٍ سكِرتْ فيه أبارَيقُ الصَّهباء، فرجَّعَتْ أصواتَها ترْجيعَ تَمْتَام وفَأْفأء[1].

مع خِلاَّن، وخُلَّص إخوان، كلٌّ منهم قُرَّة، في عُيون المَسرَّة.

فيه طِراز حُلَل اللَّيالِي، وروضةٌ تُنبِت أنْوارَ المعالي.

تتحاسَد عليه القلوبُ والعيون، وتُختَم به صُحُفُ الطُّرَف وخِتامُه مِسْكٌ يتنافسُ فيه المتنافِسون.

قام لديهم ساقٍ كألفٍ على سين أعطى قافَه للإبريق، أو غصن عبَثتْ به الصَّبا فكاد يُعقَد من اللين ذيلُ حواشي لُطْفِه الرَّقيق.

لولا كثِيفُ كَثِيبِ رِدْفِه، القائمُ عليه هَيَفُ عِطْفِه: [السريع]

لـولا سِـهـامُ جـفـونِـه انْـتَـظَـمـتْ عُـقِـدَتْ عـلـى وجَـنـاتِـه الـقُـبَـلُ

فنادى: حيَّ على الصَّبوح، هَلُمُّوا إلى رَيْحانة الرُّوح، شقيقةِ نفسِ الإنسان، صابونِ دَرَنِ الأحْزان، دِرْياق[2] ملْسوع الغُموم، مَطيَّةِ لَهْوٍ تُرْتحل بها من منازِل الهُموم، بَازٍ له دستبان من ذهبٍ، يصطاد به سوانحَ الفرَح والطَّرَب، حيث لا يُسمَع صُرَاخٌ لغير الأوْتارِ، ولا بكاءٌ إلا للقَناني ولا رقباء سِوى عيونِ الأزْهار.

فلم يزَل يُحكَم فيهم الكَاسات، ولا يسمعون من عَذْب ألفاظِه غيرَ خُذ وهَات، في يومٍ شابَتْ ذوائبه، من قبلِ ما طرَّ بالعَشِيَّة شارِبُه.

فلمَّا دنا المَسِير، وغاب بدرُ الكَاسِ المُنير، قام بعضهم ثمِلاً سكْران، وذهب حافياً رَجْلان، فنسِيَ نعلَه، وأودَع عند الخمَّار عقْلَه، فكأنَّما فرَّ هارباً لمَّا طرَح أحمالَ أخْزانه ورمَاها، وألقى صحيفةَ فكْرِه والزَّادَ حتى نعلَه ألْقاها.

فكتبتُ إليه أُعزِّيه فيها، وأُخفِّف عنه مصائبَ الدَّهرِ وأرْثيها، بقَوْلي على لسانه مُداعِباً، ومفاكِهاً له مُطايباً. [الطويل]

لـقـد خـانَـنـا دهـرٌ وكـنَّـا بـه نـعْـلُـو يـوَدُّ هِـلالُ الأُفْـقِ لـو أنـه نـعْـلُ

وقد كان لي نعلٌ فشتَّتَ شملَها وما الدَّهرُ أهلٌ أن يدومَ له شمْلُ

وكانتْ تَقِي بالنَّفْسِ رِجْلي فأصبحتْ تُفارِقُها من بعد ما آذنَ الثُّكْلُ

وقد كنتُ ذا بِشْرٍ فأصبحتُ حافياً وكم حزنتْ من بعدها الكَعْبُ والرِّجلُ

فكم صحِبَتْني في سرورٍ وشِدَّةٍ ولم تتخلَّف عن مُرادِي ولم تَغِلْ

ونقَّلَتِ الأقْدامَ للرَّاحِ سُخْرةً فعُذْتُ ولا عقلٌ لديَّ ولا نقْلُ

---

(١) فأفأ: أكثر من ترديد حرف الفاء في كلامه، فهو: فَأْفأ وفأفاء.

(٢) الدِّرياق والترياق: علاج يمنع امتصاص السم في المعدة.

Marfat.com

كـذلـك عـاداتُ الـشَّـراب وفـعـلُـه ... فـمـا اخْـتـارَه مُـضْـنًـى بـهِ ولـه عَـقْـلُ
وأنْشَدتُ خِلِّي حين ضاعتْ ولم يكنْ ... ليَنْفعنِي في ذلك الحادِثِ الخِلُّ
وإنَّ أخِـلاَّءَ الـزَّمـانِ غَـنـاهُـمُ ... قـليـلٌ إذا الإنـسـانُ زَلَّـتْ بـه النَّـعْـلُ
فـأنـشَـدنـي بـيْـتـاً يـثـبِّـتُ مُـهـجَـتـي ... لكَيْـمـا فـؤادي عـن مـحـبـتـهـا يـسْـلُـو
تـزَوَّدْ مـن الـدنـيـا مـتـاعـاً لـغـيْـرهـا ... فـقـد شـمَّـرَتْ جَـيْـدَاءُ وانْـصَـرَمَ الـحـبْـلُ
فـلَـهْـفـي عـلـيـهـا حـيـن أمْـسَـت شـهِـيـدةً ... وقـد جـادَهـا بـالـدَّمـعِ قَـطْـرٌ لـه هَـطْـلُ
وأضْـحَـتْ عـلى وجـهِ الـثَّـرى دون دافـنٍ ... ولـكـن بـكـفِّ الـسُّـحْـبِ أمـسـى لـهـا غُـسْـلُ

فلما سمعها الفِشْتالِيّ استظْرفها جدّاً، وكتب له: [البسيط]

رأيـتُ أديـبـاً واضـعـاً كـفَّ حـائـرٍ ... عـلـى ذَقَـنٍ إذْ لـلـهـمُـوم بـه شُـغْـلُ
فـقـلـتُ لـه هـل بَـان إلـفٌ لَـوَتْ بـه ... نَـوًى قَـذَفٌ أم لا يُـرجَّـى لـه وَصْـلُ
فـقـال عـلِـمْـتُـم أن جـارِيَـتـي يـدِي ... وراحِـلـتـي فـي كـلِّ نـائـبـةٍ نَـعْـلُ
خـرجـتُ مـع الـبـازِي لِـحَـانِ مُـدامـةٍ ... رجـاءَ سـرورٍ والـطَّـريـقُ بـهـا وَحْـلُ
فأُبْـتُ وبـي مـن حـادثِ الـدَّهـرِ لَـسْـعَـةٌ ... بـخُـفَّـيْ حُـنَـيـنٍ لا ثـراءٌ ولا عَـقْـلُ
نـأتْ عـن أديـم الأَخْـمَـصَـيْـنِ وِقـايـةً ... ومـا بـي شُـعـورٌ إذ تـخـطَّـفَـهـا الـوَبْـلُ
كـذا فـلْـيَـجِـلَّ الـخـطـبُ فـي وَثَـبـاتِـهِ ... بـكـلِّ كـمـريـمٍ لا يـفـارِقُـه فَـضْـلُ
وفـي كـلِّ قـلـبٍ لـلـخُـطـوبِ مـآثِـمٌ ... يـحِـقُّ لأرْبـابِ الـقـريـضِ بـهـا شُـغْـلُ
فـقـلـتُ لـه إن الـعِـيـافَـة تَـقْـتـضِـي ... بـتـضْـحِـيـفِ نَـعْـلٍ أنّ قـدرَكـم يَـعْـلُـو
تـعـوَّدَ دهـرٌ جُـودَكـمْ وأتـى لـه ... فـألْـقَـتْ إليـه عـنـدَ ذَا نَـعْـلَـهـا الـرِّجْـلُ

وكتب إليه الأديب زين الدِّين الإشْعَافِيّ الْحَلَبِيّ: [البسيط]

تَـعـزَّ أخـي إن كـنـتَ مـمَّـن لـه عـقـلُ ... ولا تُـبْـدِ أحـزانـاً إذا ذهـبَـتْ نَـعْـلُ
ولا تـعْـتِـبِ الـدَّهـرَ الـخَـؤُونَ فـدَأْبُـه ... لعَقْدِ اجتماعِ الشَّملِ دون المدَى حَلُّ
لَـحَـى الـلـهُ دهـراً لا يـزال مُـولـعـاً ... بتكْديرِ صَفْوِ العيشِ ممَّن له فَضْلُ
يُـفـرِّقُ حـتـى شَـمْـلَ رِجْـلـي ونَـعْـلِـهـا ... أشـدَّ فِـراقٍ لا يُـرَى بـعـدَهُ شَـمْـلُ
فـمـا شِـئْـتَ فـاصْـنَـعْ مـا الـلـبـيـبُ بـجـازِعٍ ... ولا تـارِكٍ صَـفْـواً إذا زَلَّـتِ الـنَّـعْـلُ
بـحـقِّكَ قُـم نَـسْـعَـى إلـى الـرَّاحِ سُـحْـرَةً ... نُـجـدِّدُ أفـراحـاً لـكـلِّ صَـدىً تـجْـلُـو
إلـى دارِ لـذَّاتٍ وروضِ مَـسـرَّةٍ ... بـرَحْـبِ فِـنـاهـا مـن غُـصـونِ الـمُـنَـى ظِـلُّ

ولابن قَلاقِس[1]، وقد سُرِقَتْ نعلُه: [الرمل]

---

(١) ابن قلاقس: أبو الفتوح القاضي نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن قلاقس الأديب الأزهري، توفي سنة: ٥٦٧، وقد ذكره السيوطي في حسن الحاضرة، وذكره ياقوت وابن خلكان في وفيات الأعيان. انظر هدية العارفين: ٢/ ٤٩٢ .

Marfat.com

قُلْ لنجْم الدين يا مَن نهْتَدِي ... من مُحيَّاهُ بأسْنَى قَبَسِ
ما الذي أَوْجَب عَوْدِي راجلاً ... بعد أن وَافيْتُكمْ ذَا فَرَسِ
خلَعوا نعْلِيَ لمَّا علِمُوا ... أنَّني من رَبْعِكم في قُدُسِ

تَتِمَّة

يُقال في المثل للمُتَساويَيْن في الخير: فَرَسا رِهان.

وهذا كما أفاده بعضُهم باعتبار ابتداء الجَرْي؛ لتساويهما حين الإرسال، وأما في المُنتَهى فيغلِب سَبْقُ أحدهما، فكيف يُجعَلان متساويَيْن، وقد ضربتُ أنا المثل للمتساويين في الدَّناءة بفَرْدتَي النَّعل، وثَوْرَي الحرَّاث؛ فإنه لا يُنتَفع بأحدهما دون الآخر، فقلت: [السريع]

وثَقِيلَيْن هما ما افْتَرقَا ... منهما الدَّهرُ أبو الغَدْرِ اسْتَغاثْ
فكأنَّ اللُّؤْمَ قد صاغَهُما ... فَرْدَتَيْ نَعْلَيْه أو ثَوْرَيْ حِرَاثْ

وقد ضربَت العربُ المثلَ في هذا برِجْلَي النَّعامة، فقال الشاعر: [الطويل]

وإني وإيَّاها كرِجْلَيْ نَعامةٍ ... على كلِّ حالس مِن غِنًى وفَقِيرِ

قال القَالِيّ في «أماليه»[1]: أي أننا في اتِّفاقنا لا نختلِف؛ لأنه ما من بَهيمةٍ تنكسِر إحدى رِجْليْها، إلا وتنتفِع بالأخرى غيرَ النَّعامة. انتهى.

ولما قدِم رغِب في صُحبَتي، وخطَب راغباً مودَّتِي، ووَدَّ انْقطاعِي عمَّن سِواه، فلما رأيتُ كفاءَتَه وصِدْقَ مُدَّعاه، كتبتُ له: [الطويل]

سَلاَ بَانَةَ الوادي لدَى المَنْزِلِ الرَّحْبِ ... متى فَقدتْ غُرَّ المناقبِ من صَحْبي
فهل في حِماها نَفْحةٌ عَنْبريَّةٌ ... قد استَوْدعَتْها الرِّيحُ من نَفسِ الرَّكْبِ
وهل بين أطْلالِ الرسوم ونُؤْيِها ... حمائِمُ بَانٍ في الرُّبَى طَيَّرتْ لُبِّي
وهل من عُهودٍ قد تقضَّتْ بَقِيَّةٌ ... يُوَفَّى بها حقِّي ويُقْضى بها نَحْبي
سقى اللهُ عهداً للأحبَّةِ صَيِّباً ... من الطَّرْفِ تغنِيه عن الوابلِ السَّكْبِ
وهَيْفَ غُصونٍ جادَها هاطِلُ الغنى ... فتُنْبِتُ أوراقاً من الشَّجرِ القَضْبِ
وكلُّ خليلٍ رَقْرَق الوُدَّ صافياً ... فكلُّ مَلامٍ في محبَّتِه يُصْبِي
أُصدِّقُ فيه الظَّنَّ من ضِنَّتِي بهِ ... على كلِّ شيءٍ قد عرفْتُ سِوى قَلْبِي
وما ذاك من سُوءِ الفِعالِ جِبِلَّةٌ ... فكم جاءَ سُوءُ الظَّنِّ من شِدتةِ الحُبِّ

هذا معنًى غيرُ ما قاله المُتَنبِّي[2]: [الطويل]

---

(١) الأمالي: ٢/١٨.
(٢) ديوانه: ٤٥٦.

Marfat.com

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءَتْ ظنُونُه ... وصدَّقَ ما يعْتادُه مِن تَوَهُّمِ

والحديثُ شجُون.

ومنها: [الطويل]

إذا غاب بَدْرُ التِّمِّ ظَلْتُ مُراقِباً ... لمَطْلَعِه من مشرِقِ العيْنِ والغرْبِ

ولكنَّ شمسَ الحُسْنِ من وَجْهِ مُنْيَتِي ... لقد برَزتْ للنَّاظرين بلا حُجْبِ

كذاك بشَمْسِ الغَرْبِ أشرقَ شرقُنا ... بفضلٍ له قد شاعَ في العُجْم والعُرْبِ

وقد كنتُ قِدْماً تُبْتُ عن كلِّ خُلْطةٍ ... تُنكِّدُ عَيْشِي وهْي من أعْظَمِ الذَّنْبِ

فلمَّا صَفى منه الوِدادُ ومَشْرَبٌ ... يرُوقُ لِظَام ذِيدَ عن مَوْرِدِ عَذْبِ

نقَضْتُ على حُكْمِ المُرُوءةِ تَوْبتي ... وقد طلَعت شَمسُ المعالي من الغَرْبِ

وبعد الشِّعر فصل:

مولايَ أحمد قد ملأ فضلُه الجبال والوِهاد، فسدَّ على حُسَّادِه طُرقَ الجَحْد، وحاز السِّيادة من ساعةِ الميلاد، فإنَّك مَهْدِيٌّ إليها من المَهْد.

وهو يعلم أن عَقائِلَ الوِداد في خُدور الخُمولِ كَمِينَة، وأنها لا تنْجَلِي لغير المُحْرِم ولا يُبْدِيبنَ زِينة، فإن الزَّمانَ مُشتَقٌّ من الزَّمانَة، والإخْوانَ لتقلُّبِ قلوبِهم من الخِيانَة، وإن أطْلَعَ السِّباخُ النَّخْلةَ الفَيْنانَة، فقد يَنْبُت المرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى، وتَقْطَع الأزْرارُ مالَها من ضَيِّق العُرَى، وما كلُّ جوهرٍ له مُشتَرِي، وما كلُّ صاحبٍ يَعْرِف قدْرَ العَسْكَرِي.

فلذا نفَرْتُ حتَّى عن ظِلِّي، وقاطعْتُ حتَّى ولَدِي وأهْلي، لكنَّ مالكَ من حُسْنِ الأخْلاق، جذَب لك مودَّتِي بالأطْواق، والسلام.

قولي: «وما كلُّ صاحبٍ» إلخ، إشارة إلى ما ذكره ياقوت في «مُعْجَمه»، من أن الصَّاحبَ ابن عبَّاد تمنَّى لقاءَ أبي أحمد العَسْكَرِيّ، فكاتبه في الحضورِ له، فتعلَّل بكِبَر السِّنّ، فلما يئِس منه جذَب السلطانَ لذلك الصَّوْب، وسار معه، فحين أتى عَسْكَرَ مُكَرَّم، كتب له: [الطويل]

ولمَّا أبيْتُمْ أن تزورُوا وقلتُمُ ... ضَعُفْنا وما نَقْوَى على الوَخَدانِ

أتيْناكمُ من بُعْدِ أرضٍ نزورُكمْ ... على منزلٍ بِكْرٍ لنا وعَوَانِ

نُسائِلُكمْ هل من قِرًى لنَزِيلِكمْ ... بمِلْءِ جُفونٍ لا بِمِلْءِ جِفانِ

فأجاب، بنثر، ونظم منه: [الطويل]

أرومُ نُهوضاً ثم يَثْنِي عزِيمَتِي ... تَعوُّذُ أعْضائِي من الرَّجَفانِ

فضَمَّنْتُ بيتَ ابن الشَّرِيد كأنَّما ... تعمَّد تشْبِيهِي به وعَنانِي

أهُمُّ بأمْرِ الحَزْمِ لو أسْتطِيعُه ... وقد حِيل بين العَيْرِ والنَّزَوانِ

Marfat.com

فلما قرأه اسْتَحسنَه، وقال: لو خطَر ببالي هذا المثَل، ما أرسلتُ ذلك الشِّعر، لكنِّي ذَهَلْت عنه.

ثم إن العَسْكَرِيَّ قصده بِجَمٍّ غَفِير من تلامذتِه، في ساعةٍ لا يصلُ إليه أحدٌ في مثلِها، فحجَبه الحُجَّاب، فرفع صوتَه، يقول: [البسيط]

مالِي أرى القُبَّةَ الفيْحاءَ مُقْفَلةً ... دُونِي وقد طال ما اسْتَفْتَحْتُ مُقْفَلَها
كأنها جنَّةُ الفِرْدَوسِ مُعْرِضَةً ... وليس لي عَملٌ زَاكٍ فأدْخُلَها

فناداه الصَّاحبُ: ادْخُلْها يا أبا أحمد، فلك السَّابِقة[1].

فبادر له الخدمُ، وحملوه حتى جلس عنده، فأقبل عليه، ورفعه إلى أرفع مجلسٍ، ثم تحادث معه، وسأله عن مسألة، فقال له: الخبيرَ صادفْتَ[2].

فقال له: ما زِلْت تُغْرِب في كلِّ شيءٍ حتى في المثَل السَّائر.

فقال: تفاءَلْتُ عن السُّقوط للحَضْرة.

فأدرَّ عليه، وعلى مَن معه بصِلاتٍ كانوا يأخذونها إلى أن تُوُفِّيَ.

فانظُر ما في هذه القصة من لطائف الآداب، وما للصَّاحب مع جلالة قدره من مكارم الأخلاق، الذي طيَّر ذكرُه في الآفاق، وخلَّدَه في صحائفِ الدُّهور، وهكذا فلتَكُن الصُّدور.

ولما أراد العَوْدَ إلى المغرب، قال لي: عندي أمانةٌ من مولايَ أحمد، لا أرى غيرَك لها أهْلاً ومَحَلاً، فطال العهدُ ولم أرَ لها مَحِلاً، فقلت: [المديد]

إنَّ مَحَلاً وإن مُرْتَحَلا[3]

فلما أزِف الرَّحيل كتبتُ له رُقعةً فيها:

أطال الله عُمرَك طُولَ مَواعِيدِك، وجعل آمالَنا الكَمْونيَّة مُورِقةً من سحائب جُودِك.

ولَعَمْرِي، لقد طال المِطالُ فعُرْقُوبُ[4] لا يبلغُ عُرْقُوبَه، وزاد العَتْب على الإلْحاح والعَتْب بغَيْر جُرْم عُقُوبَة، ولو لم يكن أمَلِي أضعفَ من الذُّباب، ما ارْتبط بحبالِ

(١) معجم الأدباء: ٨/ ٢٥٥ .
(٢) أصل المثل: «على الخبير سَقَطْتَ» وسقطت أي: عثرت، يقال: إن المثل لمالك بن جبير العامري، وكان من حكماء العرب، انظر مجمع الأمثال للميداني: ٢/ ٢٤ برقم ٢٤٦٦ .
(٣) صدر بيت للأعشى، وعجزه:
«وإنَّ في السَّفْر ما حضى مَهَلا»
ديوانه: ٢٣٣ .
(٤) عُرقُوب: قال أبو عبيد: هو رجل من العماليق، صار مثلاً في الخُلْف، ويقال في المثل: «مواعيد عرقوب» و«أخلف من عرقوب»، انظر مجمع الأمثال: ١/ ٢٥٣، ٢/ ٣١١ .

Marfat.com

العنكبوت على هذا الباب، فلِلَّهِ أنتَ ما أحْلَمك وأصبَرك على كثْرةِ السُّؤالِ والجواب، ولم أرَ مثلَك في الجُود، إذ بذَلْتَ لِي ألوفَ ألوفٍ من الوعود، ولم تَلُمْنِي على مقابلتِها بالكُفْران، وها أنا ذا تائِبٌ شاكِرٌ لهذا الحِرْمان، إذ لم يكن لمِثْلِك عليَّ مِنَّة، وأحمدُ اللَّه على كلِّ حالٍ مُتَّبِعاً للسُّنَّة.

وقد كان يعجبني قولُ أبي محمد الحكيم: [البسيط]

لُبْسُ الثِّيابِ وتشييدُ القصورِ وفي ... تلك الثِّيابِ رأيْنا أنفُساً خَرِبَهْ
لأَضْرِبَنَّ رجائي ألْفَ مَقْرَعةٍ ... فِيكُمْ وأصْلُب آمالِي على خَشَبَهْ

فلما رأيتُ بُعْدَ العهود، وطولَ حِبال الوُعود، قلتُ: [السريع]

طالتْ مواعيدُك يا سيِّدِي ... والعمرُ قد يقْصُر عن ذَا المِطالْ
فخِلْتُ آمالي لها دُرْبَةٌ ... قد علَّمَتْها المشْيَ فوق الحِبالْ
ولو ترَى مِثْلاً لها ربَّما ... جرَتْ على فُرْجتِها بالنَّوالْ

واللائقُ بالعارف بالزَّمان، أن لا يعْتِب على أحدٍ من الإخوان، فإن الدهرَ خَرِف وهَرِم، ولو سأَل شَقِيقٌ شقيقَه دِرْهماً لقال: أوْدَى دَرِم.

فرحِم الله الكِرام، وعلى الجُود الرحمةُ والسَّلام.

وهذه رقعةٌ قصدتُ بها المَزْحَ والمُجون، ورياضةَ الطَّبع الحَرُون.

وقولي: «أوْدَى دَرِم» مثلٌ.

قال الأعْشَى: [المتقارب]

ولم يُودَ من كنْتَ تسْعَى له ... كما قِيلَ في الحرْبِ أوْدَى دَرِمْ[1]

قال السُّكَّرِيّ في «شرح ديوان الأعْشَى»: درم هو دبّ بن مُرَّة بن ذُهْل، وكان النُّعمان يتطلَّبه، فجهَّز له سَرِيَّة؛ فلما ظفروا به مات في أيديهم، قبل وصولِه للنُّعمان، فلما سأل عنه، قالوا: أوْدَى دَرِم. فذهبَتْ مثلاً. انتهى.

وقصدتُ به الدِّرهم؛ لأن الدرهم فارسِيّ مُعرَّب، وأصله دَرِم، وقد يُتلفَّظ به على أصلِه.

ومثلُه قولي في الرَّجل الجليل، يكون خاملاً لا يُواسِيه أحد، فإذا مات عظَّموه، وتأسَّفُوا عليه: [المتقارب]

بكى الخلقُ ذا الفضْلِ لمَّا مضَى ... وقالوا ألا لَيْتَه لو سَلِمْ
ولو كان يسْأَلُهمْ دِرْهَماً ... لقال له النَّاس أوْدَى دَرِمْ

---

(١) ديوانه: ٣٩.

Marfat.com

فصل

ذكر لي يوماً أنه مشتاقٌ لِلِقائي، مُستوحِشٌ لظُلْمة التَّنائي، فقلتُ: ما جوابي لك غيرُ قول أبي العَيْناء للمُتوكِّل، وقد قال له: قد اشْتَقْت لك يا أبا العَيْناء.

فقال له: يا سيِّدي، إنما يشتَدُّ الشوْقُ على العبد؛ لأنه لا يصِل إلى مَوْلاه، وأما السَّيِّد فمتى أراد عبْدَه دعاه.

وما أكذبَ الشوْقَ بالمقال، إن لم تَقُمْ عليه شواهدُ الإقْبال.

وقد شرَح حالَنا في التَّنائي والتَّداني، قولُ ناصِح الدِّين الأرَّجَانِيّ[1]: [الكامل]

وإذا رأيتَ العبْدَ يهْرَبُ ثُمَّ لَمْ ... يُطْلَبْ فمَوْلَى العبْدِ منه هَارِبُ

فاهتَزَّ عِطْفاً، وتَاهَ رِقَّةً ولُطْفاً.

ثم قال لي: مِن أيِّ معنًى أخذ هذا؟

قلتُ: لا أدري.

فقال: هو من قول المُتَنَبِّيّ: [البسيط]

إذا ترحَّلْتَ عن قوم وقد قدَرُوا ... أن لا تُفارِقَهُمْ فالرَّاحِلون هُمُ

فأبْدأ وأبْدَع، وأعْلَم أنّه من الأدب بمَرْأَى ومَسْمَع.

ومنه أخذ القائل: [البسيط]

ليس ارْتحالُك ترْتادُ الغنى سفَراً ... بل المُقامُ على بُؤْسٍ هو السَّفَرُ

والمُتَنَبِّيّ أخذَه من قول الطَّائيّ: [الطويل]

وما القَفْرُ بالبيدِ الفضاءِ بل التي ... نبَتْ بي وفيها ساكِنُوها هي القَفْرُ

ولمَّا رأى وزراءَ الروم، وما هم عليه من دارِس الرُّسوم، من تَكَبُّرٍ بلا نفْع يُرجَى، وتَبخْتُرٍ كلِّ دابةٍ منهم حتى العَرْجَى، قال: أهؤلاء عَنى الغَزِّيّ[2] بقوله: [البسيط]

مِن آلة الدَّسْتِ ما عند الوزير سِوَى ... تَحْرِيكِ لِحْيتِه في حالِ إيماءِ

فهُوَ الوزيرُ ولا أزْرٌ يَشُدُّ به ... مِثْلُ العَروض له بَحْرٌ بلا ماءِ

فذيَّلتهُ بديهةً له، وقلتُ: [البسيط]

عسى تدورُ عليهِمْ دائراتُ رَدًى ... تُقَطِّعَنَّهُمُ تقْطيعَ أخْشائي

فقد شابَهَ الرئيسُ المرؤُوس، وقام على جُرْب الأبْدان قُزَعُ الرُّؤُوس، وما هذه

---

(١) ديوانه: ٥٣، ونفحة الريحانة: ٢/٢١٦.

(٢) الغزي: إبراهيم بن عثمان أبو إسحاق، رحل إلى العراق وخراسان، توفي سنة: ٥٢٤، انظر وفيات الأعيان، والأبيات فيه: ١/٤١-٤٢.

Marfat.com

الدُّوَل، إن لم يَعْرُها الآن خَلَل، إلا كسَقْف السَّماء، وقُبَّةِ الخضْرَاء، قائمةٌ بلا عُمُد ولا أطْناب ولا وَتِد، فهي كبيوت الأشعار، لا تُظِلُّ في حَضَرٍ ولا أسْفار.

كما قلتُ: [الوافر]

جيوشٌ ما لها في المُلْك نَفْعٌ ... حَكَتْ صُوَراً تُصوَّرُ في كتابِ
رأيتُ قتالَهمْ من غيْرِ نَبْلٍ ... كمثلِ الضَّربِ في كُتُبِ الحسابِ

وعلى بحر العَروض يعجبني هنا قولُ الأَرَّجاني[1]: [الكامل]

راعَ الفؤادَ نَوَى الخَلِيطِ ولم يكنْ ... قبلَ النَّوى من حادثٍ بمَرُوعِ
وأرى فُؤادي في الزَّمانِ كأنَّه ... بَيْتُ العروضِ يُراد للتَّقْطيعِ

وللْحَظِيرِيّ: [الطويل]

وعِرْضٍ بلا ذنْبٍ يُقطَّعُ دائماً ... كبيتِ عَروضٍ والحوادثُ أطْوارُ

وقلتُ في معناه: [الطويل]

دوائرُ أفلاكٍ تلوحُ بُحورُها ... بأصْفارِ نجْمٍ قابلتْها بتَضْريعِ
كما خُطَّ في رَسْمِ العَروضِ دوائرٌ ... جميعُ الذي فيها مُعَدٌّ لتقْطِيعِ

وقلتُ أيضاً: [الطَويل]

وإنِّيَ في تضْييعِ ما قد جمعتُه ... لأجْلِ الذي يُولِي الوزيرُ من الغِنَى
كبائعِ بيتٍ كان فيه مَقَرُّهُ ... يقولُ كفَاني بيتُ شِعْرِيَ مَسْكَنَا

٤٧- محمد بن إبراهيم الفاسِيّ

نزيل مصر

شمس فصاحةٍ طلَعتْ في آخر الزَّمان من المغرب، لو رآه ابن سَعِيد[2] لنَسِيَ بفاكهة مُفاكهتِه ذكْر «المُرقِص والمُطرِب».

---

(١) ديوانه: ٢٥٦ .

٤٧- محمد بن إبراهيم، المدعو ببديع الزمان الفاسي، كان فاضلاً لسناً، فصيحاً، شاعراً، له نظم رائق، ونثر فائق، حسن الإيراد، مقبول الإنشاد، مع ما فيه من رقة الحضارة ودقة البداوة، رحل من المغرب إلى المشرق، وجال في البلاد ودخل قسطنطينية الروم واجتمع بعلمائها وأثنى عليه الطالوي كثيراً، توفي في مصر سنة: ١٠٠٦، انظر خلاصة الأثر: ٣/ ٣١١، ونفحة الريحانة: ٥/ ٢١ .

(٢) علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العماري الغرناطي، نور الدين أبو الحسن، المؤرخ المالكي، ولد سنة: ٦١٠، دار البلاد من مصر إلى الشام إلى بغداد وبصرة ثم الحرمين ورجع إلى إفريقية سكن تونس، وتوفي بها سنة: ٦٨٥، له ديوان شعر، وريحانة الأدب في المحاضرات، والطالع السديد في تاريخ ابن سعيد، والمرقص والمطرب في أخبار أهل المغرب في التاريخ، وعنوان المرقصات والمطربات، والنفحة المسكية في الرحلة المكية، وغيرها، انظر هدية العارفين: ١/ ٧١٤، وفوات الوفيات: ٢/ ٨٩ .

Marfat.com

ما كنتُ أظنُّ المغرب تُنْجِب له بمَثِيل، إن الزَّمان بمثلِه لبخيل.

ارتحل لمصر، واختلط بناسِها، وميَّزَ حال فُصولها وأجْناسِها.

ولما قدِم كتبتُ له خاطباً لعقائِل وِدادِه، جالياً كئوسَ المُؤانَسة على فُؤادِه: [الطويل]

أيا شمسَ أهلِ الغربِ شَرَّفْتَ مِصرَنا ... وقلَّدتَه عِقداً نفيساً من الأُنسِ

فصار رَبيعاً باعْتدالِ قُدومِكم ... ولا بِدْعَ فيما قلتُ في شرَف الشَّمسِ

وكانت حالي معه حالِيَة، وموارِدُ أُنْسِي به من قَذى الْكَدر صافِيَة، أُراضِعه ثُدِيَ الآداب، وأتخذه ممَّن مودَّتُه تدخُل بيتَ القلبِ بغير إذنٍ وحجاب.

إلى أن ارتحل إلى المحَلَّة[1]، وجعل كرمَ قاضيها مقرَّ أملِه ومَحِلَّه، وفارق أخِلاَّءَه وصَحْبَه، لِما كابَدَه من صُحبتِه الأَمَرَّيْن الفقرِ والغُرْبة، فانعطَفتْ عليه أغصانُ المسرَّة والهَنا، وأقام في رياضِ المكارم تحت ظِلال المُنَى.

إلى أن حالَت الحال، وأذِنتْ شمسُ حياتِه بالزَّوال، فجاد بنَفسه، وغاب في مغْرِب رَمْسِه، بعد ما وقف على أطْلال الهِمَم، باكياً على دارِس رسوم الكرَم.

وكان مُغرَماً معي بالْمِزاح، لابساً للخلاعة وبُرْدُ الجدِّ عنه غيرُ مُزاح.

وأنشدني له يوماً قولَه: [م. الرجز]

حكَيْتُ إبليسَ خَناً ... وصُورةً مِن عَوَرهْ

يا سائِلي عن العَمَى ... عندِي نِصْفُ خَبَرهْ

فقلتُ له: قد سبقك إلى هذا البَاخَرْزِيّ، في قوله: [الطويل]

فلا تحسَبُوا إبْليسَ علَّمني الخَنَا ... فإنِّيَ منه بالفضائح أبْصَرْ

وكيفَ يرى إبْليسُ مِعْشارَ ما أرَى ... وقد فُتِحتْ عَيْنايَ لِي وهْوَ أعْوَرْ

وهو من قول الآخر[2]: [الطويل]

وكنتُ فتًى من جُنْدِ إبْليسَ فارْتَقَى ... بِيَ الحالُ حتى صار إبْليسُ من جُنْدِي

ولو مات مِن قَبْلِي لأحْيَيْتُ بعدَه ... طرائِقَ فِسْقٍ ليس يُحسِنُها بَعْدِي

وكان إذا أغار على معنًى أغار، ولا يُبالي بأنه يُرَى مَغْزاه إذا انجلى الغُبار، تَبَعاً لمذهب القائل: [الوافر]

فإنَّ الدرهمَ المضروبَ باسْمِي ... أحَبُّ إليَّ من دينارِ غَيْرِي

كقوله: [الكامل]

---

(١) المَحَلَّة: مدينة في مصر.

(٢) البيتان في خلاصة الأثر: ٤/ ١٥٧، ونفحة الريحانة: ١/ ٣٣٥.

Marfat.com

يا تاركاً شُزباً لقهوتِنا التي ... تجلُو صدَا القلبِ الكئيبِ العاني
في تركِكِ مثلِك شُربَها لِيَ راحةٌ ... توفيرُها وطهارةُ الفِنْجانِ

وهو من قول ابن الرُّومِيّ[1]: [الكامل]

يا لائمي في الرَّاحِ غيرَ مُقصِّرِ ... مازال ظنُّكَ سيِّئاً في الرَّاحِ
فأقَلُّ ما في تَرْكِ مِثْلِك شُرْبَها ... توفيرُها وطهارةُ الأقْداحِ

ولم يزل باللَّهْو معروفا، وبِغزْلان النَّقَا مشغولاً مشغوفا، لاسيَّما إذا تفتَّح عن وَرْد الخُدود أكمامُ العِذار، وشاهدَ صُنْعَ اللهِ الذي يُولِج الليلَ في النَّهار: [الطويل]

وقالُوا أتَتْ كُتْبُ العِذارِ بعزْلِهِ ... فقلتُ لهم لا تعْجَلوا فبِها وُلِّي

ويقال إن هذا الأمرَ أذهَب خُبْرَه وخَبَره، ومحَا بيدِ الفنَا عيْنَه وأثَرَه، حتى عصفَتْ رياحُ المنِيَّةِ برَوْضِه القشِيب، وهَصرتْ يدُ الرَّدَى يانعَ غُصْنِه الرَّطيب، فاحتُضِر واخْتُضِر، بأمر الملك المُقتدِر.

لازالَ جَدَثُه روضةً من رياضِ الجِنان، ولا بَرِح مجْرَى لجداولِ الرحمةِ والرِّضوان.

فمن العَنْبر الذي أذْكَتْه مجامرُ فِكْرِه، وقذَفتْه في سواحل المُحاورةِ بحُورُ شِعْرِه، ما أنشدَه لِي من قوله مُضمِّناً: [البسيط]

قُل للقضيبِ ورَاحُ الرِّيح تعطِفُه ... أثْناءَ بُرْدٍ من الأزْهار مُنْتسِجِ
أشْبَهتَ قامةَ من أهْواهُ لو طَلَعتْ ... أعْلاكَ شمسٌ وفُقْتَ المِسْك في الأرَجِ
لك البِشارةُ فاخْلَعْ ما عليك فقدْ ... ذُكِرتَ ثَمَّ على ما فيكَ من عِوَجِ

ولابن أبي حَجَلة[2] مُضمِّناً: [البسيط]

قل للهلالِ وغَيْمُ الأُفْقِ يسْترُه ... حَكيْتَ طَلْعةَ من أهْواهُ بالبَلَجِ
لك البِشارةُ فاخْلَع ما عليك فقدْ ... ذُكِرْتَ ثَمَّ على ما فيك من عِوَجِ

وأنشدني له أيضاً مُضمِّناً: [الوافر]

أأسْلُو في الهوَى طعْمَ الهوانِ ... ورَبْعُ الحسنِ مَأْهُولُ المغانِي
ومَن أهواهُ واصَلنِي جِهاراً ... وصِرتُ من الرَّقيبِ على أمانِ
وقد حلَّ العِذارُ بوجْنَتيْهِ ... بمنزلةِ الرَّبيعِ من الزَّمانِ

وأنشدني قصيدةً، منها: [الكامل]

---

(١) ديوانه: ٢٨٨ .
(٢) ابن أبي حجلة: أحمد بن يحيى بن أبي بكر محمد بن عبد الواحد، شهاب الدين أبو العباس التلمساني، المعروف بابن أبي حجلة المالكي الأديب، ولد سنة ٧٢٥ وتوفي سنة: ٧٧٦، له من التصانيف: الأدب الغض، وأسنى المقاصد في مدح مجاهد، وديوان الصبابة، وغرائب العجائب وعجائب الغرائب، وغيرها. انظر هدية العارفين: ١/ ١١٣ .

Marfat.com

أتُسِيلُ دمْعِي ثم تسألُ ما جرَى ... عجباً لَعمْرِك ما رأيتُ وما أرَى
هذِي دِمَا نَفْسٍ هواكَ أذَابَها ... فهَمَتْ على خَدِّي نجِيعاً أحْمَرا

ومنها:

مَن كان يقْبِضُه جلالُ الحُبِّ عن ... بَسْطِ الجمالِ فلم يزَلْ مُتَحيِّرَا
فأنا جَمالِيُّ الغرامِ وهكذا ... وِرْدُ الجمالِ لن تَراه مُكَدَّرَا

ومنها في حسنِ الخِتام:

وإليْكَها والحسنُ بعضُ صفاتِها ... بِكْراً تُحاكِيها الملاحةُ منْظرَا
قد زَفَّها فكْري إليك ومهْرُها ... نَقْدُ القَبولِ وحقُّها أن تُمْهَرَا
حاشاكَ تُهمِلُها ويعرِفُ قدرَها ... من قد ترى بين الثُّريَّا والثَّرَى
خَتَمَ البيانُ بها فكلُّ سليم طَبْـ ... ـعٍ صار من عَجَب بها مُتَحيِّرَا

وله في الهجاء مُضمِّناً: [الطويل]

لقد قلتُ لِلطُّورِيّ[1] لمَّا بدَا لنا ... كجُلمودِ صخْرٍ حطَّهُ السَّيلُ من عَلِ
بوجْهٍ كليْلِ الهجْرِ أسْودَ طائلٍ ... ألا أيُّها الليلُ الطَّويلُ ألا انْجَلِ

ومما أنْشدَنيه لنفسه قوله: [الوافر]

ولمَّا دار بالخَدَّيْن نَبْتٌ ... حَكَى عصرَ الصِّبا قبلَ المشِيب
تيَقَّنْتُ الوِصالَ وليس وَعْدٌ ... هناكَ ولا خُلُوٌّ مِن رقِيب
ولكن دَارَةُ القمرِ اسْتَتَمَّتْ ... فدلَّتْنا على مطَرٍ قريب

وأنشدتُ له قولي في معناه: [الطويل]

على خَدِّه مُذ لاح نَبْتُ عِذارِهِ ... جرَتْ أدمُعِي في الخدِّ ذاتَ صَبيب
إذا ما اسْتدارَتْ دَارَةُ البدْرِ حولَه ... فإنَّ وقوعَ القَطْرِ غيرُ عجيب

ومما أنشدَنيه قوله من لفظه مُضمِّناً: [البسيط]

يا سالبَ الغُصْنِ حُسْنَ القَدِّ والمَيَلِ ... ومُلْبِسَ الشمسِ ثوبَ الحُزْن والخجل
ما شَان خدَّك نبْتٌ بل صفَا فتَرا ... ءَتْ في سَناهُ ظِلالُ الهُدْب والمُقل
فاثْبُتْ على حُبِّه يا قلبُ تَحظَ بِهِ ... فهل سمعْتَ بظِلِّ غير مُنْتقِل

ومعنى البيت الثاني مما سُبِق إليه، كقول الأرَّجَانِيّ: [الوافر]

أعِدْ نظراً فما في الخدِّ نبْتٌ ... حَماهُ اللهُ من رَيْب المَنُون

---

(١) الطوري: عبد القادر بن عثمان القاهري الحنفي، الشهير بالطوري مفتي الحنفية بمصر من بيت أئمة الحنفية، كان عالماً فاضلاً فقيهاً أديباً، أفتى ودرس بجامع الأزهر، له من التصانيف شرح على الكنز في الفقه، وتكملة البحر الرائق، والفواكه الطورية. لم يذكر المحبي تاريخ وفاته بل قال: إنه كان موجوداً سنة: ١٠٢٦ . انظر خلاصة الأثر: ١/ ٤٤٢-٤٤٤، وهدية العارفين: ١/ ٥٩٩ .

Marfat.com

ولـكـن رَقَّ مـاءُ الـخـدِّ حـتَّـى أراكَ خـيـالَ أهْـدابِ الـجُـفـونِ

ومما قلتُه في معناه مُضمِّناً: [الوافر]

صَـقِـيـلُ خُـدودِهِ مِـرْآةُ قـلـبـي ومـاءُ الـحـسـنِ رَقَّ بـه ورَاقَـا
تُـحِـيـطُ بـه الـعـيـونُ إذا تَـبَـدَّى وهـل طَـرْفٌ يُـطِـيـقُ لـه فِـراقَـا
فَـخَـالُـوا رِقَّـةَ الأهْـدابِ فـيـه عِـذاراً قـد كـسَـا بـذراً مَـحـاقَـا
وظَـلْـنـا نـجْـتـلِـي مـنـه مُـحـيًّـا كـأنَّ عـلـيـه مـن حَـدَقٍ نِـطـاقَـا

وكان يهوَى بمصرَ غلاماً وقد دبَّ ظِلُّ العِذار على وَرْد خَدِّه، وجعَل حارسُ الحسن بَنَفْسَجَه سِياجَ وَرْدِه، هامَ به هِيام سعْد بن أُنَيس بوزْدِه، ووَهَبه رُوحاً له لابسةَ حُلَل المودَّة، فكان لا يُسَرُّ إلا إذا اصْطَبح مِن عِذاره بالآس، ثمَّ لمَّا أدركَه الغرقُ من الوجْد والْبَاس، عمِل فيه مُزْدَوَجة لم يُدْرِكْها مُدْرِك، فكان ذلك سبباً لصَدِّه المُهْلِك، فارْتحلَ لافْتِضاحِه للْمَحَلَّة الكُبْرَى، فكَتبْتُ له إذ ذاك قصيدةً، لأُجدِّد له الذِّكْرَى.

منها: [الكامل]

مَن لـم يُـدِمْ ذكرَ الـحبيبِ النَّاسِي ومـعـاهـداً فـيـهـا فـلـيـس بـنَـاسِ
بِي مَن كسَا جسْمِي السُّقامَ وَعَلَّني بـمُـدَام دمْـعِـي يـا لَـهُ مـن كـاسِ
فـي نُـقْـطـةٍ مـن خـالِـه يـرجُـو الـوفَـا دمـعٌ زِيـادتُـه بـغـيْـرِ قِـيـاسِ
لمَّا خشِيتُ على الكرَى من مَدْمعِي أوْدعـتُـه فـي طَـرْفِـه الـنَّـعَّـاسِ
يـقْـسُـو عـلـيَّ فـؤادُه يـا لـيْـتَـه يَـغْـدِيـه لِـيـنُ قَـوَامِـه الـمـيَّـاسِ
تـالـلـهِ مـا حُـبِّـي لـعـارِضِ خَـدِّه كـالـوَرْدِ بـل حُـبِّـي لـه كـالآسِ

ومنها:

يـا جـوهـراً لـلـمـجْـدِ صـار مُـجـرَّداً مـا أنـتَ إلاَّ الـرُّوحُ لـلأجْـسـاسِ
لـو لـم تُـحدِّثْ عـن شـمـائِـلِك الـصَّـبـا لـم تكْتسِب ذَا الطِّيبَ في الأنْفاسِ
يـا راحـلاً عـنِّـي ومُـجْـرِيَ أدْمُـعِـي مـا فـي وُقـوفِـكَ سـاعـةً مـن بَـاسِ
عِـقْـدٌ عـلـى جِـيـدِ الـزَّمـانِ مُـنـظَّـمٌ رَوْضٌ لـه ظِـلٌّ عـلـى الـجُـلاَّسِ
لـم أسْـتـطِـعْ وصْـفِـي لـهـيـبَ صَـبـابـتِـي مَـن يُـودِعُ الـنِّـيـرانَ فـي الـقِـرْطَـاسِ

ومنها:

فـاسْـتـجْـلِـهـا بِـكْـراً نـتـيـجـةَ لـيْـلـةٍ صَـهْـبـاءَ سـالِـبـةً عُـقـولَ الـنَّـاسِ
لازال يـا إنْـسـانَ عـيْـنِ الـعـصـرِ مِـن ذِكْـرِي بـسـالـفِ عـهْـدِكَ اسْـتِـئْـنَـاسِـي

مولايَ، أما الشوقُ فقد اشتعلَ ضِراما، وكاد عذابُه أن يكون غَراما، حتى قال فَمُ الْجَفن بلسان الدَّمعِ: ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩].

Marfat.com

فـ ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]، فاح منه شمِيمُ عَرارِ[١] نجْدٍ وما بعد العَشِيَّة من شَمِيم، فَمُتِّعْتُ بما هو أحْلى من الوصلِ بعد الهجر، ومِن الأمْن بعد الخوفِ، ومن البُرءِ بعد السَّقم، ولم أذر أطَيْفُ مَنام، أو زائرُ أحْلام، أم قُرْب نَوًى بعْدَ البعاد، أم حبيبٌ وافَى بلا مِيعاد، من أديبٍ أشرق بدرُ مجدِه ساطِعا، وألبسنِي بُرْدَ المَسَرَّةِ أخْضَر يانِعا: [الوافر]

أهُمُّ ببَسْطِ حِجْرِي لالْتقاطِ ... إذا حاضَرْتَ بالدُّرِّ النَّسيقِ

فحدَاني أن أحُثَّ مَطِيَّ الهِمَم، إلى نحو كَعْبة الفضلِ والكرَم، فحرَّكْتُ مِجْمَر الطَّبع حتى عَبَق عَنْبراً ونَدًّا، وهزَزْتُ قُضُبَ اليَراعِ على خَدِّ الطِّرْس فانتثَر أقَاحاً ووَرْدَا.

وقد كنتُ ممَّن زجَر عن هذه الصِّناعة طَبْعَه، فإنها كما قيل كالياسَمين لا يُساوِي جَمْعَه.

ولسانُ التَّقصير، كما قِيل قصِير، لاسِيَّما والجُود عبدٌ أنتَ سيِّدُه، والفضلُ عِقْدٌ أنتَ مُقلِّده، والبلاغةُ سِوار ليس لغيْرِك عليه يَد، ورِداءُ المعارفِ مُستَعار منك، وإن كان لا يُسْتَرد، وللفصاحة ماءٌ لا يجْرِي في غيرِ نادِيك، ويَنْبُوعُه لا يتدفَّق إلا من أيادِيك: [الوافر]

ولو صوَّرْتَ نفسَك لم تزِدْها ... على ما فيكَ من كَرَمِ الطِّباعِ

وزمانُ الأُنس غابتْ عنِّي أسْرارُه، وطريقُ المجدِ أظلمَ دوني ليلُه ونهارُه، وانْطَوى عنِّي دُجاه وضُحاه، فسامرْتُ نَسْرَه[٢] ونعائِمَه[٣]، ونفَضْتُ بعَصا التَّسْيار نُجودَه وتَهائِمَه، وعُود الهوَى، قد يبِس وذوَى، وعهْدِي قديمٌ بالنِّضال، وإنِّي في السَّبقِ وقد أثْقلني قَيْدُ الكَلال.

ولا يُنْكَر من القرائح جُمودُها، ولا مِن نِيرانِ الذَّكاءِ خمودُها، وقد غاضَ الكِرام، وفاض اللِّئام، والحُرُّ لا يُسْتَعْبَد بغير الوِداد، ولسانُ المرءِ من خَدَم الفؤاد.

ولولا ابْتِسام ثغرِ المُنَى، وامتدادُ خطِّ الأمل لنا، لملَّ كلُّ قلبٍ عَانِي، يقتات السَّوْفَ والأمَانِي.

فقد صَرفْتُ عن كلِّ شيءٍ وجْهَ مَيْلِي، لمَّا نفرَ عنِّي كلُّ شيءٍ حتى صُبْحُ ليلِي،

---

(١) العَرَار: نبات طيب الرائحة، الواحدة: عرارة.

(٢) النَّسْرُ الطائر: مجموعة من النجوم معروفة بمشابهتها للنسر، والنجم الأول يسمى: الطائر، والنسر الواقع: النجم ذو القدر الأول في مجموعة النجوم التي تسمى (الشلياق) وكلا النسرين في النصف الشمالي من القبة السماوية.

(٣) النعائم: منزلة من منازل القمر صورتها كالنعامة، وثمانية أنجم تكوّن منزلة من منازل القمر.

Marfat.com

واستوحشتُ من كلّ شيءٍ حتى ظِلّي، وملَلْتُ حتى الملَل فقُلت مَن لِلَيلي ومَن لِي: [الخفيف]

إنَّ دهراً يلُفُّ شَمْلِي بسُعْدَى ... لَزمانٌ يهُمُّ بالإحْسانِ

وفي المثل: «أُعْطِيَ العبدُ كُراعاً، فطلب ذِراعاً»[1].

فعسى أن تُمنُّوا بسُطور، هي سلالِم يُتَرقَّى بها إلى السُّرور.

لازِلْتَ ترفُل في ثوب بقاءٍ بالصِّحَّة مُعْلَم، وتَقِيل في ربيع مَسرَّةٍ حِماه عن الأكْدار مُحرَّم، ألْمَى الظِّلال عذْبِ المشارِب، تُسطَّر محامِدُه بين دَفَّتَي المشارق والمغارب، ما حنَّ صديقٌ إلى صديق، وصُرِف بدراهم النجُوم دينارُ الشمس الأنيق، والسلام.

فأجاب بقوله: [الكامل]

أسَقِيطُ طَلٍّ في حديقةِ آسِ ... أم ذا حبابٌ دار فوق الكاسِ
أم دُرُّ ثَغْرِ الأُقْحُوانةِ باسِمٌ ... أم دمعُ طَرْفِ النَّرْجِس النَّعَّاسِ
أم جَنَّةٌ جُنَّ النَّسيمُ بحُسنِها ... أغْصانُها من ذاك في وَسْواسِ
أم هذِه زُهْرُ النجوم تزيَّنتْ ... منها السماءُ هِدايةً للنَّاسِ
أم ذا هو السِّحرُ الحلالُ حَلاَ أم الـ ... ـعذبُ الزُّلالُ وكلُّ عُضْوٍ حَاسِي
أم رُقعةٌ رَفعتْ لواءَ بيانِها ... فأتى المبديعُ لها ذليلَ الرَّاسِ
نطقَتْ بكلِّ فضيلةٍ ظلَّتْ لها الـ ... ـأحداقُ بين مُحقِّقٍ أو خَاسِي[2]
الشِّعرُ فاخَر أنْجُمَ الشِّعْرَى بها ... والجَوُّ قال الفضْلُ لِلْقرطاسِ
مَن ذا يُطاوِلها ومطْلَعُ نُورِها ... أُفُقُ الشِّهابِ وظُلمةُ الأنْقَاسِ[3]
وافَتْ فما وفَّيْتُ بعضَ حقوقِها ... إلاَّ ببَذْلِ النَّفْسِ والأنْفاسِ
طارَ الفؤادُ لها فقال وَقارُها ... ما في وقوفِكِ ساعةً من بَاسِ
جاءتْ تُحدِّثُ عن محاسنك البتي ... شُدَّت إلى حُسنِ الثَّنَا بِمِراسِ
أمَّا الفصاحةُ صَحَّ أنَّكَ قُسُّهَا ... بالرَّغمِ من غِمْرٍ حسودٍ قاسِي
لِلَّهِ دَرُّ عَقِيلةٍ أبرَزتَها ... عَقلتْ بِبَهْجتِها عقولَ النَّاسِ
مِن كلِّ بيتٍ كاد يُشبِه لفظُه ... معناه كلُّ دَقَّ عن إحْساسِ
شَرحَتْ ليَ الوُدَّ القديمَ وذكَّرَتْ ... قلباً فَديْتُك لم يكنْ بالنَّاسِي
ما أخطأتْ رَشَداً وإن تكُ أبْطَأتْ ... خيرُ اللِّقا ما كان بعدَ الْيَاسِ

---

(١) الكراع من البقر والغنم: مستدق الساق العاري من اللحم، يذكّر ويؤنث وفي المثل: «لا تطعم العبد الكراع، فيطمع في الذراع».
(٢) الخاسِ: الصّاغر الذليل.
(٣) الأنقاس: المداد يكتب به، وجمعه: أَنْقَاس ونُقُس.

Marfat.com

فالُحبُّ أن أرْضَى بما تَرْضى وها ... حُبِّي وحَقِّك راسخٌ بأساسِ
كُنْ كيفَ شئتَ فشِيمَتِي حِفْظُ العهُو ... دِ وإنَّني طَوْدُ الوفاءِ الرَّاسِي
يا مَن زهَا حُرُّ القَرِيضِ بلفْظِه ... وغَنِي به الإنْشاءُ من إفْلاسِ
ومَن اسْتَنَارتْ منه مصرُ وأُفْقُها ... لمَّا كساها الفضلُ خيرَ لِباسِ
ومَن انْمَحَى ذنْبُ الزَّمانِ لأجْلِه ... وغَدَتْ به الأيامُ كالأعْراسِ
دُمْتَ المُقدَّمَ في المجادةِ والإجَا ... دةِ والإفادة والنَّدى والبَاسِ
وإلَيْكَها وهي الملاحةُ نَفْسُها ... والحسنُ بالأنْواع والأجْناسِ
فإذا أصاخَ لها الحسودُ حسِبْتَه ... ما بين كأس أو ظِباءِ كِناسِ
عذْراءُ تبسطُ عُذْرَ تقْصيري ومِن ... داءِ التَّطاوُل فهْيَ نِعْمَ الآسِي
أنَّى لمِثْلِي أن يجيءَ بمِثْلِ ما ... تأْتِي وأين الشَّمسُ مِن نِبْراسِ
لكنَّهَا ردُّ السَّلامِ سلكْتُ فيـ ... ـهِ الطُّولَ قذرَ زيادةِ اسْتِئْناسِ
فعلَيْكَ من أوْفَى السَّلام أبَرُّه ... ممَّن يُكابِد بُعْدَه ويُقاسِي
حَلَّ الْمَحَلَّةَ جسمُه والقلبُ في ... مصرٍ لديكَ وأهلُه في فاسِ

بعد تقْبِيلِ ثُرَيَّا ذلك الثَّرى، الذي عَبِق في المَشَامِّ عَنْبَرا، وقلَّد جِيدَ الزَّمان دُرَرا.

لازال مَنْبَعَ البيان، ومُنْتَجَع الأعْيان، ولا بَرِحَ جوهرُ حصبائِه يُفَضِّله العَيان، على قلائِد العِقْيان.

هذا، وقد وصل إليَّ، وصَل اللهُ لك أسبابَ العُلا، وألبَسك رائقَ الْحُلَى، كتابُك الخطير في رُقْعةٍ من محاسنِ لفْظك الرَّائق الجِلْباب، المُزْرِي برَوْنَق رَيِّق الشباب، وبَهْجةٍ من بدائعِ خَطِّك المستوقِف للناظِر، المُخْجل بحُسْنِه الوَشْيَ الفاخِر، والرَّوضَ الناضِر، فأجْنانِي ثمرَ البَرِّ يانِعا، وجلَّى عليَّ وجْهَ الوُدِّ أبيضَ ناصِعا: [الخفيف]

وأراني كيفَ انِقيادُ القَوافِي ... في زِمامِ البيانِ سَمْعاً وطَوْعَا

وفتح للمُخاطَبة بابا، طالما كنتُ له هَيَّابا، ورفع حِجابا، ترك القلبَ وَجَّابا.

مازِلتُ أغازِلُها أمَلا، فلا أُطِيق لها عَمَلا، وألاحِظُها أمَدا، أذوب دونَه كمَدا: [الطويل]

وفي تَعَبٍ من يحسُدُ الشمسَ نورَها ... ويزعُم أن يأتي لها بضَرِيبِ

لا جَرَم أنه اقْتضاني خالصَ وُدّ، وصحيحَ عهْد، لم يلتفت منِّي إلى معذِرة، ولم يكْلأني إلى ما في الوُسْع من المقدرة، وقد يعود على عِلْمك بحرُ القريحة ثَمَدا[1]، وحُسامُ الذِّهن مُغْضَدا.

---

(١) الثَّمَدُ: الماء القليل ليس له مدد، والمكان يجتمع فيه الماء.

Marfat.com

فتكلَّفْتُها بحكم هذا الغرام تحت حَصَر، ونازِح بصَر، فإن سَمَحتَ بالإغْضاء، وسامحْتَ في الاقْتضاء، سلِمتْ لك اليدُ البَيضاء، وظهرتْ لشكرِك بالفضاء.

وأما العذرُ الذي توخَّيتَ - ولا عُدِمت - شَرْحَه، وحَمْيَتَ بقوَّة الكلام سَرْحَه، فأنت غنيٌّ عن تكلُّفاتِ إيضاحِه، ومَدِّ أوْضاحِه، فالذي يثبُت في النفوس، من الوُدِّ المَصون المحروس، لا يُخْشَى عليه من تسلُّطِ الطُّموس والدُّروس.

ولا أقول إن وُدِّي لك كالتِّبْر، إذ لا يصفُو ما لم يَشُبْهُ لهيبُ الجمْر، ولا كالرِّاح، حيث يفتقِر في الرِّقَّة إلى مَرّ المساء والصَّباح.

بل أقول: إن وُدِّي لك - أَبيْتَ اللعنَ - كالفُرات العذب، يشْفِي غليل القلب، ويُطفِي لهيبَ الصَّبّ، يحُلّ بالأرض الميِّتة فيحُييها، ويمرُّ بالروضةِ الذَّابلةِ فيُتوَجُّهُا بالأزهار ويحَلْيِها.

وأنت - أعزَّكَ الله - لا تَثْريب عليك إذ كلٌّ يعمل على شاكِلته، ويجري في أمورِه على مُقتَضى مَرْتبتِه، فإنَّ حُنُوَّ السيد - وأنت ذاك - يُستكْثَر قليلُه، وإخلاصَ العبدِ، وهو أنا، يُستَحْقَر، كما علمتَ، جليلُه، والحقُّ أغْلَب، ومعرفة المرءِ نفسَه أصْوب.

وإن تفضَّلْت بالاسْتفسار عن أحوال العبد، فالحالُ في خير، والمَآلُ يعلمه الله تعالى.

وبالجملة، فسهمُ المصيبة إن سدَّده الدهرُ فعلى مثلِه وقَع، والتألُّم بمثل هذه الحالةِ قد ارْتفع: [الطويل]

ولم أرَ مثل الصَّبْرِ أما مذاقُهُ ... فحُلْوٌ وأما وجهُه فجميلُ

وكذلك كلُّ من دعا الصَّبر لما شاء أجاب، وأراه من نَشْره الأفق المُنْجَاب، وأقامه بين مَبرَّاتٍ وألْطاف، وأعطاه ممَّا أحبَّ جَنَى قِطاف.

ولله دَرّ القائل: [الوافر]

يعيشُ المرءُ ما استغْنَى بخيْرٍ ... ويبْقَى العُودُ ما بَقِيَ اللِّحاءُ

وهو الدهْرُ لا يُرَدّ عن مُرادِه، ولا يُصادَر في إصْدارِه وإبرَادِه: [المتقارب]

فيومٌ علينَا ويومٌ لنَا ... ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرّ[1]

على أن طولَ الغَيْبة ليس لشيء، علم الله، آثرْتُه على لُقْياكم، إذ أستَبْدله طوعاً لكنه ارتكابٌ للأخفِّ من الضَّرَرَيْن، واختيارٌ للأهْون من الشَّرَّيْن: [الطويل]

عسى غلطاً يُثْنِي الزمانُ عِنانَه ... بدَوْرِ أمورٍ والأمورُ تدورُ

فتُدرَك آمالٌ وتُقْضى مآرِبٌ ... ويحدثَ من بعدِ الأمور أمورُ

فلذلك قنَعْتُ من البحر بالوَشَل[2]، وسرَحْت في رياض المُنَى بين عسَى ولعلّ،

---

(١) البيت للنمر بن تولب العكيلي.

(٢) الوَشَلُ: الماء القليل، يتحلّب من صخر أو جبل.

Marfat.com

فقد قيل: إذا دار الفلَك، فعلَيْك أو فلَك، ولله في خلقِه أمرٌ لا تُدرِك العقولُ حِكْمتَه، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٨٢].

وما اجتلَيْتَهُ في كتابك الخطير، وروضِ خطابك المَطِير، استدْعَى شيئاً من نظمِ العبد ونثْرِه، والتَّنويهَ بذلك من خامل ذِكْرِه.

فلا عَدِمْتُ منك مولًى على الإحسان مُثابرا، وحكيماً لكسْر إكْسِير[١] الخاطر جابرا.

مع تشتُّتِ الحال لبُعْد مَزارِك، ونَأْي داري عن دارِك.

وأقسِم أني صَمَّمتُ على التَّغافل عن الجواب، وهو الأوْلى بالصَّواب، إذ ليس بلبيبٍ مَن يقِيس الشِّبْرَ بالْبَاع، والجبانَ بالشُّجاع، وكيف لا، وكلُّ مَن تكلَّف فوق طاقتِه، افْتَضح لساعتِه، لكن عدمُ الامْتثال محذُور، والمُلْجَأُ إلى ما لا يُطاق معذور.

فتكلَّفْتُ ما يُعرَض عليك من المُسَمَّطات[٢]، سوى القصيدة المشار إليها بذكر بعضِها، فإنها متقدِّمة على وُرود مُشرِّفتِكمْ.

فمثْلُكَ مَن سدَّ الخلَل، وتجاوَز عن الزَّلَل.

والله يُبْقيك، ومن كلِّ سوء يقِيك، والسلام.

قوله في القصيدة: «حلّ المحَلَّة» إلخ، كقول ابن الخازِن[٣]: [البسيط]

يومَاً بحُزْوَى ويوماً بالعقِيق ويو ... ماً بالعُذَيْب ويوماً بالخُلَيْصاءِ[٤]

ولأبي تمَّام: [البسيط]

بالشَّام أهْلِي وبغداد الهوَى وأنا ... بالرَّقْمَتَيْن وبالفُسْطاطِ إخْوانِي[٥]

وللأمير أبي فِراس الْحمَدانيّ: [السريع]

يا هل لصَبٍّ بِكَ قد زِدْتَه ... على بَلايَا أسْرِه أسْرَا

قد عدِمَ الدنيا ولذَّاتِها ... لكنَّه ما عدِمَ الصَّبْرَا

فهْوَ أسيرُ الجسم في بلدةٍ ... وهْوَ أسيرُ القلبِ في أُخْرَى

ولابن عبد ربِّه الأنْدلُسيّ صاحب «العقد»[٦]: [البسيط]

---

(١) الإكسير: مادّة مركبة، كان الأقدمون يزعمون أنها تحوّل المعدن الرخيص إلى ذهب، أو هو شراب - في زعمهم - يطيل الحياة.

(٢) المُسمّطات: قصائد يؤتى فيها بأشطار مقفّاة بقافية، ثم يؤتى بعدها بشطر مقفّى بقافية مخالفة، ويستمر على هذا النهج مع التزام القافية المخالفة في القصيدة حتى تنتهي.

(٣) ابن الخازن: أحمد بن محمد الدينوري، أبو الفضل البغدادي، المعروف بابن الخازن، توفي سنة: ٥١٢، له ديوان شعر. انظر هدية العارفين: ١/ ٨٢.

(٤) البيت منسوب في معجم البلدان: ٢/ ٤٦٧ لعبد الله بن أحمد بن الحارث، وفي نفحة الريحانة: ٤/ ٣٠٠.

(٥) ديوانه: ٣٢٣.

(٦) ابن عبد ربه الأندلسي: أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب، أبو عمر القرطبي الأموي، ولد =

Marfat.com

الجسمُ في بلدٍ والرُّوحُ في بلدِ ... يا وَحْشَةَ الروح بل يا غُرْبَةَ الجسَدِ
إن تَبْكِ عيناك يا من قد كلِفْتُ به ... مِن رحمةٍ فهما سهْمانِ في كَبِدِي

ولابن الفارِض[1]: [الخفيف]

كيفَ يلْتَذُّ بالحياةِ مُعنًّى ... بين أحْشائِهِ كوَزْي الزِّنادِ
في قُرَى مِصْرَ جسمُه والأُصَيْحا ... بُ شَآماً والقلبُ في بغدادِ

وقلتُ أنا في مثله: [الخفيف]

شُتِّتَ النَّوْمُ والأحبَّةُ عني ... مع تأْليفِ أدْمُعِي ووُلوعِي
أنا في بلْدةٍ وأهْلي بأُخْرَى ... وحبيبي بغير تِلكَ الرُّبوعِ
فكأن الزَّمانَ مني اشْتَرى الصَّفْـ ... ـوَ بنَقْدٍ أسالَهُ من دُموعِي

وقوله في المنثُور: «وُدِّي لك» إلخ، كقول أبي محمد بن سُفْيان من شعراء «القلائِد»: [الطويل]

كتبتُ وما عندي أصْفَى من الرَّاح ... وأضْوءُ من سِقْط الزَّنْدِ عند الاقْتِداح

وقول أبي محمد بن القاسم الوزير، في جوابه:

كتبتُ عن ودٍّ لا أقول كصَفْو الرَّاح، فإن فيها جَناحا، ولا كسِقْط الزَّنْد فربَّما كان شَحَاحا، ولكن أصفى من ماء الغَمام، وأضْوءَ من القمر ليلةَ التَّمام.

فراجعه بقوله: كتبتُ - دام عزُّك - عن وُدٍّ كماء الوَرْد نَفْحُه، وعهدٍ كصفائِه صَفْحُه، ولا أقول أصْفَى من ماء الغَمام فقد يكون معه الشَّرَق، ولا أضْوءَ من قمر التَّمام، فقد يدرِكُهُ النَّقص ويُمْحَق.

وليس ما وقع فيه الاعْتراض مُختصًّا بصَفْوِ الرَّاح، ولا بِسَقْطِ الزَّند عند الاقْتِداح، فإن أمورَ هذا العالَم هذه سبيلُها، وجيادُ الكلام تجول كيْفما أرْسلَها مُجيلُها.

وعلى ذكر القِصَّة قلتُ: [البسيط]

إن الصفيَّ الذي قد كنتُ أعهَدُه ... عند المُلمَّاتِ ذُخْراً للوداد مُذِقْ
وقد يغَصّ بخيْرِ الزَّادِ آكلُه ... وقد يكون من الماء الزُّلالِ شَرَقْ

وقلتُ أيضاً: [البسيط]

= سنة: ٢٤٦، وتوفي سنة: ٣٢٨، صنف: الإرشاد في اللغة، والعقد الفريد في النوادر والأدب، واللباب في معرفة العلم والآداب، وغير ذلك بالإضافة إلى ديوان شعره. انظر هدية العارفين: ١/ ٦٠.

(١) ابن الفارض: عمر بن الحسن بن علي بن المرشد، شرف الدين، أبو حفص الحموي الأصل المصري الدار، المعروف بابن الفارض الصوفي، ولد سنة: ٥٧٦، وتوفي بمصر سنة: ٦٣٦، له: الألغاز، وديوان شعره. انظر هدية العارفين: ١/ ٧٨٦.

Marfat.com

إن كنتَ تُوجعني باللّوم في زَلَلِي وظَلْتَ تُبْرِىءُ مني الدّاءَ بالدَّاءِ
فقد يسوغُ بضَرْبٍ غُصةُ مَنْ قد اسْتغاثَ فلم يُنْجِذْه بالماءِ

فصل

كنتُ في عُنْفوان الشباب أهوَى الهزل والخلاعة، مع هذا الأديب، لكثرة ما عنده من الأهواء، فكتبتُ له يوماً، وقد رأيتُه يتحدث مع بعض الأخداث:

ما بالُ مولايَ مُغْرَى بتقْديم الذكور على الإناث، ومرتَكِباً لآثام تُطَلَّق بها حُورُ الجِنان بالثَّلاث؛ وذلك لأن الرجلَ خيرٌ من المرأة بالاتِّفاق، فلذا تخلَّفَ عن الخِلاَق، وشقّ جَيْبَ الشِّقاق، كما قلتُ: [الوافر]

أديبٌ مالَ عن حبِّ الغواني وبالْغلمان أصبح ذا اكتِراثِ
أقُلْتَ برأي أرْبابِ المعاني فغلَّبْتَ الذُّكورَ على الإناثِ

وما سواه على خِلاف القياس، وإن لم يَخْلُ مثلُه عن لُبْسٍ والْتِباس، وأيْرَان تحت لحاف خَطَر.

وممن خالَف المعاني، الأديبُ الأصفهاني، حيث قال: [الدوبيت]

هاتيك حبيبتي ازْدَهَتني طِيبَا أوْسَعتُ بها ابنَ هانِىءٍ تكْذيبَا
لو أمْعَنت النُّحَاةُ فيها نظراً لم تذْعُ إلى المذكَّر التَّغْليبَا

والتغْليب باب واسع الموارِد، كثيرُ المصائِد والأوابِد، فَلْيُنْظَر الصَّواب، ولا يُرسَل البازُ في الضباب.

٤٨- الوزير عبد العزيز الثَّعالبِيّ الأديب

ساحرٌ تخلِبُ نفَثاتُه العقول، وفاضلٌ الأيامُ من فضله غُرَرٌ وحُجول.

إن ذُكِرَ رِقَّةُ طَبْعِه فما الشَمْأَل والشَّمول، أو شِعْرُه فما أبياتُ غيرِه إلا دارِسات رُسومٍ وطُلول.

إذا طَرّز بكلامه بُرودَ المجد، تخالُه ممّن جاورَ سُكّان تِهامَة ونَجْد.

قُدّتْ من أدِيم المجد خِلالُه، ففضَح الرّياض وسحَر السِّحر أقوالُه.

دِيمَةُ مجدٍ أمطَرت سحائبُه، وسماءُ فضلٍ شَرّف كواكبَها مناقِبُه: [البسيط]

شمائلُ لا جَنِيبُ الزّمانِ مُعطّراً حكَاها ولا خَدُّ الشَّمولِ مُوَرّدَا

٤٨- لم أعثر على ترجمة له.

Marfat.com

أطلَع في رياض المغرب وَرْدَه وسَوْسَنَه، وأصبح للفِقْه مالكاً فضائلُه في صحف الدَّهر «مُدوَّنة».

بمثلِه بطونُ الإمْكان عقِيمة، فلو رآه الثَّعالبِيّ[1] توَّج به «تَتِمَّة اليتيمة».

إذا جَلَى كواعبَ كلماتِه فضَحتِ الكواكبَ نُورا، وإذا أنْشأ عُدَّ نثرُ سواه هباءً منثُورا.

ولما قدِم قُسْطَنْطِينيَّة الرُّوم اجتَمع به الأفاضل، وعظَّمه مَن بها من الصُّدور والأماثِل، فكتبتُ إليه مادحا، ولعَذْب أدبه مائِحا، بقولي من قصيدة: [الرجز]

وافَتْ وطَرْفُ النَّجم مكحُولُ الحَدَقْ ... وعارِضُ الظلماءِ في خَدِّ الشَّفَقْ
سكْرانةُ الألحاظِ من خمر الصِّبا ... تعثُر في ذيلِ ظلام وفَرَقْ
واستعْجلَتْ في خَطْوِها تكاد أن ... تسبِقَ طَيْفَ آملٍ لها طَرَقْ
مائسةٌ تفضَحُ أغْصانَ النقَا ... لها من الحَلْي ثِمارٌ ووَرَقْ
فأبْصَرتْني للسَّقام لابساً ... ملابساً من وَشْي أفكارِي أدَقّ
فابْتَسمتْ فكاد مِن بارِقِها ... فحسمُ الدُّجى يَخرِقُه ضوْءُ الفلَقْ
ما اهتزَّ غصنُ البانِ إلاَّ فَرَقاً ... لأنَّه لهَيَفِ القَدِّ سَرَقْ

ومنها:

ماءُ الجمال في رياض خدِّها ... راقَ لناظِري وُرُودُه وَرَقْ
ماذُقْتُه وماءُ صَفْوِي كدِرٌ ... بِهَجْرِها فكيف لي منه شَرَقْ
وِرْدٌ بأفْواهِ المُنَى مُستَعذَبٌ ... كوِرْد بحرٍ قد نفَى قَذَى الملَقْ[2]
عبدُ العزيز مَن بعِزِّ مجْدِه ... أحيى زماناً فيه للفضْل رَمَقْ
رَوْضٌ سحابُ الفضل جادَ نَوْرَه ... حتى زهَا مُقْتَطَفاً ومُنتَشَقْ
للفضلِ مالكٌ وفي مِضْمارِه ... من أشْهبٍ بقَصَب السَّبْقِ أحَقّ
خُذْها عروساً لبست ثوبَ البهَا ... سعَتْ إليك بين خَبٍّ وعَنَقْ[3]
لو صُرَّ دُرٌّ طَرَقَتْ أسماعَه ... أهْدَى لها دُرَّ الثناء في طَبَقْ[4]

---

(١) الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، الإمام: أبو منصور الثعالبي الأديب اللغوي، ولد سنة: ٣٥٠، وتوفي سنة: ٤٢٩، له الكثير من التصانيف منها: أحاسن المحاسن، والتمثيل والمحاضرة، والتوفيق للتلفيق، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب، وفقه اللغة، واللطف واللطائف، ويتيمة الدهر، ويتيمة اليتيمة. انظر هدية العارفين: ١/ ٦٢٥ .

(٢) مَلَقَ الفرس ملقاً: كان عدوه لطيفاً مسرعاً.

(٣) الخبب: يقال: خَبَّ الفرس: نقل أيامنه وأياسره جميعاً في العدو، والعَنَقُ: ضربٌ من السير فسيحٌ سريع للإبل والخيل.

(٤) صرّ درّ: علي بن الحسن بن علي البغدادي، توفي سنة: ٤٦٥هـ شاعر مجيد، كان يقال لأبيه: صر بعر لبخله، قال الذهبي لم يكن في المتأخرين أرق منه طبعاً مع جزالة وبلاغة، تقنطر به فرسه فهلك بقرب خراسان. الأعلام ٤/ ٢٧٢ .

Marfat.com

قد وصف السِّحرَ لسانُ طِرْسِها ... بعارِضٍ خُطَّ على خَدِّ الورَقْ
حتى غدَا العنبرُ يُلْقي نفسَه ... في النَّار من غَيْظٍ لديه وحَنَقْ

ومدحه صاحبُنا الأَديب أبو المعالي الطَّالُوِيّ بقصيدة أنشدنيها، منها: [الطويل]

لعبدِ العزيز الأوْحدِي الثَّعالِبي ... بدائعُ فاقتْ مُبْدَعاتِ الثَّعالبِي
فما بعدَها في الدَّهرِ تُلْفَى يَتيمةٌ ... ولا قبلَها وَشَّتْهُ أقلامُ كاتبِ
سَوادُ سطورٍ في بياضِ مَهارِقٍ ... وشَامٌ على خَدٍّ لحسناءَ كاعبِ
وإلاَّ لَمَى وَسْطَ الشَّفاهِ يُعَلُّ مِن ... جَنَى النَّحلِ ممزوجاً بماءِ المذَانِبِ[1]
وإلاَّ رياضٌ قد كسَتْها يدُ الصَّبا ... طرائفَ وَشْيٍ من نسيجِ السَّحائبِ
كأنَّ عليها عَبْقَرِيُّ مَطارِفٍ ... ومن حُلَلِ الدِّيباجِ وَشْيُ عصائبِ
فكيف ترَى عينٌ يتيمةَ دهْرِها ... وأُمُّ سجَاياهُ وَلودُ الغرائبِ
فللَّهِ مولًى قد شهدْنا بما وَشَى ... مُكاتبةَ الصَّادَيْن صابٍ وصاحبِ[2]
وحَكَّم في نظْمِ القريضِ خواطراً ... أبتْ غيرَ نظمِ النَّيِّراتِ الثَّواقبِ
فما يَشْكُرِيُّ القَومِ يوماً وإن شدَا ... بنظْمِ القوافِي عنده غيرَ ناعبِ[3]
فكم بنت فكرٍ قد جلاها بنَانُه ... علينا وما غيرُ الأديبِ بخاطبِ
كأنَّ صَبَا دَارِينَ فَضَّتْ عشيَّةً ... على عِطْفِها الميَّاس مِسْكَ الحقائبِ
ومرَّتْ بوادي الشِّحْرِ مُجتازَةَ اللِّوَى ... لِوَى الرَّملِ فيه البانُ مُرْخَى الذَّوائبِ
تُجاذِبُ من نجْدٍ شَمِيمَ عَرارِهِ ... فيزْنُو لها الحَوْذانُ منْ لَحْظِ غاضِبِ[4]
ووَافتْ حِمَى الزَّوراءِ ليلاً فساجلَتْ ... على الكرْخِ داراً بالدُّموعِ السَّواكبِ
وللمغْربِ الأقْصَى ثنَتْ من عِنانِها ... تَؤُمُّ حِمَى البيْضاءِ عَزَّتْ لِطالبِ
بحيث تَرى البيْتَ الإمامِيَّ معتلًى ... تطوفُ به الأمْلاكُ من كلِّ جانبِ
مَجَرُّ العوالِي السَّمْهَرِيَّة والقَنا ... ومجْرَى الجيادِ المُقْرَباتِ السَّلاهِبِ[5]
عليها أسودُ الإنْس في يوم سِلْمِها ... وفي الحرْبِ تُلْفَى دامِياتِ المَخالبِ
بها يكْلأُ اللهُ الخلافةَ في حِمَى ... مليكٍ قصِيِّ العزْمِ داني المواهِبِ
حِمَى الملكِ المنْصورِ مَوْلايَ أحمدٍ ... إمامِ الهدى رامِي العِدى بالمقَانِبِ[6]

---

(١) المذنب: سيل الماء، والجدول إذا لم يكن واسعاً.
(٢) الصابي: أبو إسحاق إبراهيم بن هلال، والصاحب: إسماعيل بن عباد.
(٣) يعني المنخل اليشكري الشاعر المشهور، ناعب: يقال: نعب الغراب نعباً ونعيباً ونعاباً: صاح وصوّت، ويقال: نعب البعير نعباً: أسرع في سيره.
(٤) الحوذان: نبت يرتفع قدر ذراع، له زهرة حمراء في أصلها صفرة، وورقته مدورة.
(٥) المقرّبة من الخيل أو الناقة تكرّمُ فيقرّب مربطها ومعلفها، والسلهب: الطويل.
(٦) المقانب: جمع قنب: الجماعة من الفرسان والخيل دون المئة تجتمع للغارة.

Marfat.com

أُسودٌ على مَتْن السَّراحِيبِ غابُها ... من الأَسَل الخَطِّيِّ دامِي الثَّعالبِ[1]
تَلوَّى بأيْدِي الدَّارِ عينَ كأنَّها ... صِلالُ نقاً مَذْعورةٌ في مسارِبِ
تَرى السَّرْدَ نَهْياً والقَتِيرَ حَبابَهُ ... فتكرَعُ في حوضٍ من الدَّمِ راغبِ
مُؤيِّدُ دينِ اللهِ مُشْتجِرُ القَنا ... ومُعترِكُ الهَيْجا بماضِي القواضِبِ
سليلُ الوغَى إن ينْتضي يومَ مَعْرَكٍ ... وفيه المنايَا مُزِّقتْ في الكتائبِ

ومنها:

فيا ابْنَ الأُلَى هذِي مناقبُ فخرِهِمْ ... وهل بعد هذا الفخرِ شَأْوٌ لطالبِ
لَعِنْدي على بُعْدِ الدِّيارِ ونأيِها ... قلائدُ نظم كالنُّجوم الثَّواقبِ
ولكن قوافِي الشِّرِ كيف أُجِيدُها ... وفيكمْ أتَى التَّنْزيلُ يا آلَ طالبِ
وإنِّي لأهْوَى أن أكونَ مع الصَّبا ... رسولاً إلى البيْضاءِ تُقْضَى مآرِبِي
لدَى مِلِكٍ داني النَّوالِ وكفُّهُ ... لراجِيهِ أنْدَى من غيوثٍ سَواكِبِ
على كلِّ خطٍّ من أسرَّةِ وجْهِه ... دليلٌ على أن الرَّجا غيرُ كاذبِ
لِسُدَّتِه مأْوَى العُفاةِ بَعثْتُها ... قوافٍ عسى عنِّي تقومُ بواجبِ
عليها من المدْحِ الإمَامِيّ جوْهرٌ ... ترَقْرَق ماءً في متونِ القواضبِ

وأنشدني الفاضل عبد العزيز بقُسْطَنْطِينيَّة قصيدةً، منها: [البسيط]

زُجاجةُ الفجْرِ أبدتْ خَمْرةَ الشَّفَقِ ... ولُجَّةِ الصُّبحِ أخْفتْ نَرْجِسَ الأُفُقِ
فبات في زُهُرِ الأقْداحِ زَهْرُ طِلاً ... وليس غيرُ دخانِ النَّدِّ من غَسَقِ
والليلُ قد قلَّد الإصْباحَ حين بدَا ... كأسْودٍ لابسٍ طوْقاً من الورِقِ
وما محَا الصُّبحُ نِقْسَ الليلِ واسْتَترتْ ... سَوْسَانةُ الفجْرِ يوماً وَرْدةَ الشَّفَقِ
لكن دمُ اللَّيلِ لمَّا سالَ عَنْدَمُه ... أتَتْ لتقْطعَه كافورةُ الفَلَقِ
في روضةٍ أودعَتْها السُّحْبُ سِرَّ شَذاً ... فنَمَّ وَفْدُ الصَّبا عن نَشْرِه العَبِقِ
فيها لكُمْتِ كؤوسِ الرَّاحِ مُعْتَرَكٌ ... وليسَ غيرُ احْمرارِ الوردِ مِن عَلَقِ
حيثُ الأسِنَّةُ زُرْقٌ من بَنَفْسَجِه ... وخُضْرُ أوراقِهِ فيهنَّ كالدرَقِ
وللشَّقيقِ احْمرارٌ في جوانِبِهِ ... كأنَّهن جِراحاتٌ على نَسَقِ
والرِّيحُ فوق مُتُونِ الماءِ طالعةٌ ... بِيضاً على زَرَدٍ مفْكوكة الحَلَقِ
والرَّوضُ مثلُ أبي حفْصٍ وبهْجتُه ... كخُلْقِه وشذَا ريَّاهُ كالخلَقِ
نَجْلُ السَّرِيِّ أبي العباسِ من ظهَرتْ ... آياتُ سُؤْددِه في وجْهِه الطَّلقِ

وعلى مِنْوالها قولُ الحِلِّيّ: [البسيط]

فَيْرُوزَجُ الصُّبحِ أم ياقُوتَةُ الشَّفَقِ ... بدَتْ فهيَّجتِ الورْقاءَ في الورَقِ

---

(١) السَّرحوب: الطويل المتناسب الأعضاء، والثعلب: طرف الرمح.

Marfat.com

وبيت الشَّقيق من قول القاضِي عِياض[١]: [السريع]

انْظُر إلى الزرْعِ وخاماتِه ... تحكي وقد ماسَتْ أمامَ الرِّياخ
كَتِيبةً خضراءَ مهزومَةً ... شقائِقُ النُّعمانِ فيها جِراخ

ولابن الزَّقَّاق الأَنْدَلُسِيّ[٢]: [السريع]

نُثِر الوَرْدُ في الغدِيرِ وقدْ ... درّجَه بالهُبُوبِ نَشْرُ الرِّياخ
مثل دِرْعِ الكَمِيِّ مزَّقَها الطَّعْـ ... ـنُ فسالتْ بهِ دِماءُ الجِراخ[٣]

٤٩- العلامة محمد دكروك المغْرِبِيّ

عابد زاهد، فهو مِشْكاةُ نورٍ تعلَّق قلبُه بالمساجِد.

فأحاديثُه مصابيحُ الأنوار، وذاتُه مِشكاةُ العلومِ والأسْرار، وآثارُه مُشْرِقةٌ بالكمال، وحِماهُ مَرْتَعٌ لسَوارِح الطَّلب والآمال.

تَعْبَق أرواحُ العُلا من حلاه النَّادّ، وتفُوح في مجامِر الذَّكاء الوقَّاد، وتُبشِّر بالنَّجاح، وتُنادي: حَيَّ على خيْر الفَلاح.

مع صِيتٍ هو المِسْك الفَتِيق، والروضُ المثمِرُ الأَنِيق، وخُلُقٍ بكلّ ذكرٍ جميل خَلِيق، فلا يُدرِكُه مُبارٍ خلْفَه جَرَى، هيهات هيهات فات ذَا أثراً.

وكنتُ وأدْهَمُ الشَّبِيبة طَرِب العِنان، وَوَرَقُها خَضِرٌ مائِس الأفْنان، ووُرْقه مُطَّوقةٌ بروائع الافْتِنان، أرُودُ مساقِطَ النَّدى، حتى عَلِق به حَبْلُ الرَّجا، وأنا في إبَّان الطلب، أتَّجِر في بِضاعة الأدَب، فنزلْتُ بساحتِه، وحطَطْتُ رَحْلي على ماءِ سماحتِه، كما قال الكِنْدِيّ: [الكامل]

وحطَطْتُ رَحْلِي في بني ثُعَلٍ ... إن الكريمَ للكريمِ مَحَلّ

فورَدْتُ مَنْهَل إفادتِه الصَّافِي، وقرأْتُ عليه عِلْمَي العروضِ والقوافِي، وهو شِفاءُ الغليل، لاسِيما في علم الخليل، فقد تخَرَّج به طُلاَّبُه، وضُرِبَتْ به أوْتادُه وامتدَّتْ أسبابُه، حتى قامَت به الأدِلَّة، وسلِمَتْ بلا فاصلةٍ من كلّ عِلَّة، وجرَتْ في بحارِه مياهُ الفضائل، حتى كاد أن يكذب القائل: [البسيط]

---

(١) القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض بن عمر، القاضي أبو الفضل اليحصبي البستي المراكشي، المحدّث المالكي، ولد سنة: ٤٧٦ وتوفي سنة: ٥٤٤، له من التصانيف: أخبار القرطبيين، وجامع التاريخ، وغنية الطالب وبغية الكاتب، ومشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث. انظر هدية العارفين: ١/ ٨٠٥ .

(٢) ابن الزقاق الأندلسي: هو علي بن عطية بن مطرف البلنسي اللخمي شاعر غزل، توفي سنة: ٥٢٨، مقدمة ديوانه، والبيتان في ديوانه: ١٣١ .

(٣) الكمي: لابس السلاح والشجاع المقدام الجريء، كان عليه سلاح أو لم يكن.

٤٩- لم أعثر على ترجمة له.

Marfat.com

مـثـلُ الـعـروضِ لـه بـحـرٌ بـلا مـاءِ[١]

فكم وَشَّى رِداءَ الآدابِ ووَشَّع، وردَّ شمْسَها من المغرِب كما رُدت ليُوشَع، ولكل عصرٍ يُوشَعُ يَردُّ شمسَ الفضْل بعد الأُفول، وتشرِق شمسُ العصْرِ على القصْرِ والطُّلول.

يُقْرِي وفودَ الطَّلب بيانا، ويُقِرُّ عيونَ الأمل حُسْناً وإحْسانا.

وله في المعالي أَرُومة، وفي مغارِس الفضْل جُرْثُومة.

غُذِّيَ بلِبانِ الفضْلِ وليدا وُعدّ لَبيد إذا قِيس بفصاحتِه بَليدا.

رَاق في جِيد دهْرِه قِلادَةُ الأوْصاف، وتَحلَّت بعَذْبِ مدائحِه أفواهُ الرُّواة من سائرِ الأطراف، حتى تَهادَتْه الدُّوَل، تَهادِيَ لَذِيذِ الكَرَى للمُقَل.

فهو أنْدَى على الأكْباد من قَطْر النَّدى، وأَلَذُّ في أفواهِ الأجْفانِ من كُحْلِ الكرَى: [الكامل]

فـالـكـونُ إمَّـا نـاطِـقٌ فـمُـعـظِّـمٌ حُـرُمـاتِـهِ أو نـاطـقٌ فَـمُـسـبِّـحُ

ثم إن الدهرَ اقتطف ثمرةَ فؤادِه، وقطَع فِلْذَة كبدِه ببعض أولادِه، فهاجر إلى طَيْبَةَ وقال بها في ظِلال النَّعيم، إلى أن دعاهُ لِجوارِه المولى الكريم.

وكنتُ كتبْتُ إليه أُسلِّيه، وأُصبِّره في بَنِيه وأُعزِّيه: [السريع]

كُـنِ الـمُـعـزَّى لا الـمُـعـزِّى بـهِ إن كِـانَ لابُـدّ مـن الـواحـدِ

لعل اللهَ يُخلِف ما أخذ من بَنِيك ومالِك، ويجعلُ الباقيَ منهم كما قيل في المَثَل: فَتًى ولا كمالِك[٢]. وأنت لا تعدِم أجْرَ الصبرِ على كمالِك.

فكم نبَتَ من غصنٍ غصون، وطلع من حبَّةٍ سنابُ حبّاتُها دُرٌّ مَكْنون.

وفي الله الخلَفُ من كل ضائع، وما المالُ والأهْلون إلا ودائِع. والسلام.

وكان أمْلَى عليَّ من أشعاره، وبدائع فوائدِه وآثاره، ما حسَدني عليه الدهرُ فمزَّقه أيْدِي سَبَا، وهجم عليه الضَّياعُ والنِّسيان فنَهَب وسبَى: [الطويل]

وسـهـمُ الـرَّزايـا بـالـنَّـفـائـسِ مُـولَـعُ[٣]

---

(١) عجز بيت للغزي إبراهيم بن عثمان، وصدره:

فـهـو الـوزيـر ولا أزر يـشـدُّ بـه

وفيات الأعيان: ١/ ٤١ .

(٢) فتًى ولا كمالك: قاله متمم بن نويرة في أخيه مالك بن نويرة لما قتل في الردّة، وقد رثاه متمم بقصائد، وتقديره: هذا فتى، أو هو فتى. انظر مجمع الأمثال: ٢/ ٧٨ برقم (٢٧٦٢).

(٣) عجز بيت للحزيمي، إسحاق بن حسان، وصدره:

وأَغـدَدْتُـهُ ذخـراً لـكـلّ مُـلِـمَّـةٍ

التمثيل والمحاضرة: ٨٤، وفيه: «بالذخائر مولع».

Marfat.com

تتمَّة وفائدة مهمَّة

في تفسير هذا المثل، قال ابن خَالَوَيْه في كتاب «ليس»[١]:

ليس أحدٌ سمَّى نواة النَّخلة جَريمةً إلا أوساً الأنْصارِيّ، في حديثٍ له، وهو أن أوس بن حارثة لم يكن له ولد إلا مالِك، ولأخيه خمسةُ أولاد، فلما حضَره الموتُ، قال له قومه: كنَّا نأمرُك بالتَّزوُّج في شبابِك فلم تفعل!

فقال: لم يهلِك هالك، ترك مالِك، وإن كان الخزرجُ ذا عَدَد، فليس كمالكٍ وَلَد.

فلعل الذي استخرج النَّخلةَ من الجَرِيمة، والنارَ من الوَثِيمة، أن يجعل لمالِكٍ نسْلا، ورجالاً بُسْلا.

يا مالكُ، المنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّة، والعتابُ قبل العِقاب، والتجَلُّد لا التَّبلُّد.

واعلم أنَّ القبرَ خيرٌ من الفقر.

وشَرُّ شاربِ المُشْتَفّ، وأقبحُ طاعم المُقْتَعِفّ[٢].

وذَهابُ البصر، خيرٌ من كثيرٍ من النَّظر.

ومن كَرَم الكريم، الدِّفاع عن الحريم.

ومَن قلَّ ذَلَّ، ومن أَمِر فَلّ.

وخيرُ الغِنى القناعة، وشرُّ الفقر الضَّراعة.

والدهرُ يومان، فيومٌ لك، ويومٌ عليك، وكلاهما مُسْتَحْذَر، وإنما تَغُرُّ مَن تَرى، ويغرُّك مَن لا تَرى، ولو كان الموتُ يُشْتَرى، لسلِم منه أهلُ الدنيا.

الشَّريفُ: الأبْلَج، واللَّئيم: المُعَلْهَج.

والموتُ المَقِيت، خيرٌ من أن يُقال هَبِيت.

وكيف السَّلامة، لمن ليست له إقامة.

وشرٌّ من المُصِيبة سوءُ الخُلق، وكل مجموعٍ إلى تَلَفٍ، حَبَاك إلهُك.

قالوا: فكان مِن نَسْل مالك بعدَد الخَزْرَج، أو نحوهم.

تفسيره:

الجريمة: التمرةُ تُسمَّى بها النَّواة؛ لأنها منها.

والوَثيمة: حجَر القَدَّاحة.

---

(١) لم أجد هذا الخبر في الكتاب المطبوع، انظر مجمع الأمثال: ٢/ ٧٨، وفيه أن صاحب المثل متمم بن نويرة.

(٢) الشارب المشتف: الشارب الذي بلغ نهاية الشرب، ولم يبق شيئاً، والمقتعف: الذي يشتف ما في الإناء، أو: يستأصله.

Marfat.com

وأمِر بمعنى: كَثُر.

والهَبِيت: الضعيف الجبان.

والأبْلج: السيد الوَضَّاح.

والْمُعَلْهَج: المختلِط النسب.

خاتمة

اعلم أنّي كنتُ في رحلتي مُتَّجِراً في بضائع الفوائد، مُغرَماً بصَيْد الشَّوارِد وقَيْد الأوابِد، واسْتِعلام خبرِ مَن لم أرَه من الأدباء والفضلاء، فسألتُ مَن لقِيتُه من المغرب عمَّن قرُب عهدُه بها من الأعيان، وعن خَبايا الدَّفائن التي ادّخروها وهم أقلُّ من القليل، والدَّهرُ حَسود بخيل.

فمِمَّن تعطَّرتُ بطِيب أخْبارِه، وتفكَّهْتُ بباكورَةِ ثمارِه، بالمغرب:

٥٠- حسام الدِّين بن أبي القاسم الدَّرْعِيّ المغْرِبِيّ

أديبٌ حُسامُ طَبْعِه مُرهَف، ومَشْرفِيُّه بحُلَى الآداب والعلم مُشرَّف.

قدرُه أعْلَى من النُّجوم الزَّاهية، ومِسْك مدادِه يُرخِص شَذاهُ الغالِية.

فاخَرت الأرضُ السماءَ بمطالعِ شمْسِه، وعَلِم قُطْرُه به أن يومَه خيرٌ مِن أمْسِه.

فهو رَوْضٌ تُقبِّل الأرضَ فيه ثغورُ الزُّهور، وتُطرَّز بُرودُ الآداب بمالَه من المنظومِ والمنْثور.

أخبرني صاحبُنا محمد بن إبراهيم الفَاسِيّ - لا زال في رَوْح ورَيْحان، ولا برِح جَدَثُه روضة من رياض الجِنان - أنه أنشده لنفْسِه مُضمِّنا، يخاطب محمد بن يعقوب الأنْدَلُسِيّ: [الطويل]

ولي صاحبٌ قد هَذَّبتْ لي يدُ الصَّفَا ... مَودَّتَه في غِيبَةٍ وعَيانِ

ولكن هَوائي مَعْ هواهُ تخالفَا ... تخالُفَ رُؤْيَا السِّجْنِ للفَتَيانِ

فيَهْوَى بني نجْدٍ ولِينَ خُصورِهمْ ... وأهْوَى بناتِ الغَوْرِ طولَ زمانِي

يُذكِّرُنِي حالِي وإيَّاهُ قولَه ... رَفيقُك قَيْسِيٌّ وأنْتَ يَمانِي[1]

٥٠- حسام الدين الدّرعي: حسين بن قاسم بن أحمد بن محمد، المغربي، المالكي، العتيق الدرعي، ولد سنة ٩٧٨ بوادي درا، تتلمذ على مشايخ عصره ومنهم: المبخوري والإمام الحميدي والزفوري والقدومي وابن القاضي، قدم دمشق، ثم زار بلاد الروم، ثم حج وقطن في مدينة العلا، توفي سنة: ١٠١١ غرقاً. انظر خلاصة الأثر: ٢/١٠٢-١٠٤ .

(١) خلاصة الأثر: ٢/١٠٣، وفيها قبل الأبيات: وذكره الفيومي في متنزهه...».

Marfat.com

٥١- عبد العزيز الفِشْتَالِيّ

أديبٌ عَذْبُ اللِّسان، ماضي شَبَا السِّنان.

له دَمَثُ أخْلاق وشمائِل، تجرُّ وراءَها ذُيولَ الصَّبا والشَّمائِل.

ألطفُ من وَجَناتِ وَرْدٍ عِذارُها الآس، وأسحرُ من عيون الغِيد إذا غازَلها النُّعاس.

إن خَطَّ زَيَّن بُرْدَ البلاغةِ ووَشَّاه، وتغَايرَ على أخْذِ الرِّقَّةِ لفظُه ومعْناه: [السريع]

فيَطرَب السَّمعُ لألْفاظِه ... ويرْقُص القلبُ لمعْناهُ

بهمَّةٍ هي خِدْن القَضَا، ولُطْفِ طبعٍ ألَذّ من ذنْبٍ محاه الرِّضا.

فرِيدٌ هِمُّه إلى هضَبات الهمَّةِ ناظِرَة، وحيدٌ تقفُ دون اشْتهارِه الأمثالُ السَّائرة.

عبَثَت بالبيان راحاتُ فكرِه السَّاحرة، فأيقظَتْ من مَهْدِ الألفاظِ عيونَ المعاني الفاتِرَة.

وكان قبلَ ما جرَّ عليه الدهرُ ذُيولَه قام لإقْبالِه، وقرَّبه في الدولة العَلويَّة الأحمدية على أمْثالِه.

فممَّا ارتشَفَه فمُ السمع والآذان، وروِيَ بنَمِيرِه العذبِ ظامِئُ الأذْهان، قولُه: [الخفيف]

حين أزْمعتُ عند خوفِ البعادِ ... وعَدَتْني من الفِراقِ العوادي

قال صَحْبِي وقد أطلْتُ الْتِفاتي ... أيُّ شيءٍ تركْتَ قلتُ فؤادِي[1]

٥٢- عبد السلام بن سَنُوس المَغْرِبِيّ

أديب فَاس، ومِسْك غِزلان ذلك الكِناس، ورَيْحانُهُ أهْدَى نفْحُه خبرَه إلى الصَّبا الطِّيب الأنْفاس.

فلِلَّه طيب الأخْبار، وما أهْداه لي من المَسارّ، مِن كلّ حديثٍ هو لعيْن الفخر قُرَّة، وفي وَجْهِ دُهْم الليالِي غُرَّة.

ألفاظُه تضحكُ على ثُغورِ الأنوار، الضاحكة لبُكاء الأمْطار.

أنشدني له بعضُ الأدباء: [الوافر]

وبدرٍ لاح من تحتِ السلاهِمْ ... يقولُ لكلّ قلبٍ قد سلاهُمْ

٥١- عبد العزيز بن محمد أبو فارس المغربي، المعروف بالفشتالي، كاتب الملك المنصور مولاي أحمد صاحب المغرب، أديب عذب البيان، توفي سنة: ١٠٣٠ أو ١٠٣١ . انظر خلاصة الأثر: ٢/ ٤٢٥ .

(١) الأبيات في الخلاصة وقد زاد عليها المحبي انظر: ٢/ ٤٢٥-٤٢٦ .

٥٢- لم أعثر على ترجمة له.

Marfat.com

لئن خشُنَتْ ملابسُه عليهِ فقد خشنَتْ على الوَزْدِ الكمائِمْ

السلاهم: جمع سلهامة، وهي بلغة أهل المغرب بُرْنس أبيض خشِن.

وأنشدني عبد العزيز الثّعالِبيّ شعراً له في القمر، منه: [السريع]

دَعْ ذَا وقل للناسِ ما طارقٌ يطرُقُهمْ جَهْراً ولا يَتَّقِي
ليس له رُوحٌ على أنهُ يركبُ ظهرَ الأدْهَمِ الأبْلَقِ
شيخٌ رأى آدمَ في عصْرِه وهو إلى الآن بِخَدٍّ نَقِي
وهو بوَسْط البحر مَعْ قومِه لا يَنْثنِي عن نَهْجِه الضَّيِّقِ
هذا ويمْشِي الأرْضَ في ليْلةٍ أعجِبْ به من مُوثَقٍ مُطْلَقِ
فتارةً ينزلُ تحت الثَّرَى وتارةً وَسْطَ السَّما يَرْتَقِي
وتارةً يُبْصَرُ في مغرِبٍ وتارةً يُبْصَرُ في مشرِقِ
وتارةً تُبْصِرُه سابحاً يجْرِي بشاطِي البحر كالزَّوْرَقِ
وتارة تحسَبُه وهْوَ في ضَيْعَتِه والبعضُ منه بَقِي
ذُبابةً من صارم مُزْهَفٍ بارزةً من جَفْنِه المُطْبَقِ
يدْنُو إلى عُرْسٍ بَهَا حُسْنِها يَخْتَطِفُ الأبْصارَ بالرَّوْنَقِ
حتى إذا جامَعَها يرْتَدِي بحُلَّةٍ سوْداءَ كالمُخْرَقِ
وهْوَ على عادتِه دائماً يُجامِعُ الأنْثَى ولا يَلْتَقِي
ثُم يجُوبُ القَفْر من أجْلِها مُشْتَمِلاً في مِطْرَفٍ أزْرَقِ
حتى إذا قابَلها ثانياً تشُكُّه بالرُّمْحِ في المَفْرِقِ
وبعد ذا تُلْبِسُه خِلعةً يا حُسْنَها في لَونِها المُونِقِ
فجسْمُه من ذهبٍ جامدٍ وجلدُه صِيغَ من الزَّنْبَقِ
ثم يُرَى في حال إتْمامِهِ مثلَ مِجَنِّ المِحْرَبِ المُلْتقِي
وهْوَ إذا أبْصَرْتَه هكذا أحسنُ مِن صاحِبَةِ المَفْرِقِ

وقد نُسِب هذا لغيره.

٥٢- السيد عبد الخالق الفَاسِيّ

أديبٌ تَجْتَنِي منه الألْبابُ يانِعَ ثمراتِها، وسماءٌ لم تخرُج بدُورُ كمالِه عن هالاتِها.

فرعٌ من شجرةِ النُّبوّة، المَسْقِيَّة بماءِ الوَحْي والفُتوّة.

فعَلاَ وسَمَا، فأصلُه ثابت وفرعُه في السَّما.

٥٣- لم أعثر على ترجمة له.

Marfat.com

فطِرازُه مُذْهَب على كُمِّ المجْد، لأنه من ذُؤابةٍ تَنُوس بين تِهامة ونجْد.

عِقْدٌ على صدْرِ المناقب العليَّة، وتاجٌ معقودٌ برأسْ العصابة العَلَويَّة: [الطويل]

تَـولَّـد بـيـن الـمـصـطـفـى ووَصِـيِّـهِ ولا غَـرْوَ أن تـزْكُـو هـنـاك الـغَـرائِـسُ

شَمَّامةٌ في يدِ الأدب، ورَيْحانة من رياحِين العرب.

لم تزل سيَّارةُ المسائل تَلَقَّط أخبارَه، ورُكْبان الأخبار تَتزوَّد وتَمْتَار أشعارَه.

فمما أنشدني له الأديب محمد الفَاسِيّ: [الوافر]

إذا مـا رُمْـتَ نُـضْـحَ الـنَّـاسِ طُـرًّا تـحَـرّ الـمُـقْـبِـلـيـن ذوِي الإيَـابِ

فـلا تُـسْـمِـعْ سِـوى مَـن كـانَ حَـيًّـا وإلا لا خَـــراجَ عـــلـــى خَـــرابِ

٥٤- السيد يحيى القُرْطُبِيّ

هو فيما بلَغني روضق مُخصِب ربيع، من وادٍ بالفضل مَرِيع.

مِن فُرُوعِ الدَّوْحَةِ العَلِيّة العَلوية، وثمراتِ تلك الشجرةِ النبوية، الباسِقة بما سقَاها من ماءِ الندى، والمُورقة المُثْمرة بالعلم والهُدَى: [الطويل]

فَخَارٌ لو أنَّ الشمسَ تُكْسَى سَناءَهُ لـما غشِيَتْها المُظْلِماتُ الدَّوَامِسُ

أُسِر بالأندلس في وَقعةٍ أَسَرَتْ أفراحَ القلوب، وشَقَّت قلوبَ المؤمنين قبل الْجُيوب، فأصبحَ في حالٍ تعُدُّ المنَايا أمانيَا، ويَرى لضَعْفِ الدِّين الموتَ طبيباً شافيا.

إذ عَثُرتْ خيولُ الفِتَن والنِّقَم، بذَوِي المروءةِ والنِّعم، فأرسلَ قصيدةً نَعَى بها الإسلام، ونادى ملوكَ الرُّوم وعلمَاءَها الأعْلام، فلم يجد بها صَفِيّا، يقول له لقد أسْمَعْتَ لو ناديتَ حَيّا، وذلك في عهد السلطان سُلَيمان، الذي دخل في خبر كان، وهي هذه[1]: [البسيط]

لـكـلِّ شـيءٍ إذا مـا تـمَّ نُـقْـصـانُ فـلا يُـغَـرُّ بـطـيـبِ الـعـيـش إنـسـانُ

هـيَ الأمـور كـمـا شـاهـدْتَـهـا دِوَلٌ مَـن سـرَّه زمـنٌ سـاءتْـه أزْمـانُ

وعـالَـمُ الـكـونِ لا تـبْـقَـى مـحـاسـنُه ولا يـدومُ عـلـى حـالٍ لـهـا شَـانُ

يُـمـزِّقُ الـدهـرُ مـنّـا كـلَّ سـابِـغـةٍ إذا نَـبَـتْ مَـشْـرَفِـيّـاتٌ وخُـرْصـانُ[2]

ويـنْـتَـضِـي كـلَّ سـيـفٍ لـلـفـنـاءِ ولـو كان ابن ذِي يَزِنٍ والغِمْدُ غُمْدانُ[3]

أينَ الـمـلـوكُ ذوو التِّـيـجـانِ مِن يَـمَـنٍ وأيـنَ مـنـهـم أكـالـيـلٌ وتِـيـجـانُ

٥٤- لم أعثر على ترجمة له.

(١) هذه القصيدة مشهورة في كتب التراث على أنها للشاعر أبي البقاء الرندي، وهي في نفح الطيب: ٦/ ٢٣٢، وانظر: في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي: ١١٥ .

(٢) الخرص: الدرع والجراب.

(٣) غمدان: قصرٌ باليمن في صنعاء، قيل: بناه سليمان بن داود عليهما السلام لزوجته بلقيس.

Marfat.com

وأيــن مــا شــادَه شَــدَّادُ مــن إرَمٍ ... وأين ما سَاسَهُ في الفُرْسِ سَاسانُ
وأيــن مــا حــازَه قــارونُ مــن ذهــبٍ ... وأيــن عــادٌ وشَــدَّادٌ وقَــحْــطــانُ
أتــى عــلــى الــكــلِّ أمــرٌ لا مَــرَدَّ لــه ... حتى قَضَوْا فكأنَّ الكُلَّ ما كانُوا
وصار ما كان مِن مُلْكٍ ومِن مَلِكٍ ... كما حكَى عن خَيالِ الطَّيْفِ وَسْنانُ
دار الــزَّمــانُ عــلــى دَارَا وقــاتِــلــه ... وأمَّ كِــسْــرَى فــمــا آواهُ إيــوَانُ
كأنَّما الصَّعْبُ لم يُسْهِل له سبَبٌ ... يوماً ولم يَمْلِك الدُّنْيا سُليمانُ
فَــجــائِــعُ الــدَّهْــرِ أنــواعٌ مُــنــوَّعــةٌ ... ولــلــزَّمــانِ مَــســرَّاتٌ وأحْــزانُ
ولــلــمــصــائــبِ سُــلْــوانٌ يُــهــوِّنُــهــا ... ومــا لِــمَــا حــلَّ بــالإسْــلام سُــلْــوانُ
دَهَــى الــجــزيــرةَ خَــطْــبٌ لا عَــزاءَ لــه ... هَــوَى لــه أُحُــدٌ وانْــهــدَّ ثَــهْــلانُ
أصابَها العينُ في الإسْلام فامْتُحِنتْ ... حتّى خلَتْ منه أقْطارٌ ويُلْدانُ
فَسَلْ بَلَنْسِيةً ما شأنُ مُرْسِيَةٍ ... وأيــن قُــرْطُــبَــةٌ أم أيــن جَــيَّــانُ[1]
وأيــن حِــمْــصٌ ومــا تــحْــويــهِ مــن نُــزَهٍ ... ونــهــرُهــا الــعــذبُ فــيَّــاضٌ ومَــلآنُ[2]
كــذا طُــلَــيْــطُــلَــةٌ دارُ الــعــلــوم فــكَــمْ ... مــن فــاضــلٍ قــد سَــمــا فــيــهــا لــه شَــانُ
وأيــن غَــرْنــاطَــةٌ دارُ الــجــهــادِ وكــمْ ... أُسْدٍ بــهــا وهُــمُ فــي الــحــرْبِ عُــقْــبــانُ
وأيــن حَــمْــراؤُهــا الــعَــلْــيــا وزُخْــرُفُــهــا ... كــأنَّــهــا مــن جِــنــانِ الــخُــلْــدِ عَــدْنــانُ
قــواعــدٌ كُــنَّ أركــانَ الــبــلادِ فــمــا ... عــسَــى الــبــكــاء إذا لــم تَــبْــقَ أرْكــانُ
والماءُ يجْرِي بساحاتِ القصورِ بها ... قــد جَــفَّ جــذولَــهــا زَهْــرٌ ورَيْــحــانُ
ونهرُها العذبُ يحْكِي في تَسَلْسُلِه ... سيوفَ هِنْدٍ لها في الجوِّ لَمعانُ
وأين جامعُها المشهورُ كم تُلِيتْ ... فــي كــلِّ وقْــتٍ بــه آيٌ وفُــرْقــانُ
وعــالِــمٌ كــان فــيــه لــلــجَــهُــول هــدًى ... مُــدرِّسٌ ولــه فــي الــعِــلْــم تِــبْــيــانُ
وعــابــدٌ خــاضــعٌ لــلــهِ مُــبْــتــهِــلٌ ... والــدَّمعُ منه على الخدَّيْنِ طوفانُ
وأين مَالَقَةٌ مَرْسَى المراكِبِ كمْ ... أرْسَــتْ بــســاحــتِــهــا فُــلْــكٌ وغِــرْبــانُ
وكــم بــداخِــلــهــا مــن شــاعــرٍ فَــطِــنٍ ... وذِي فُــنــونٍ لــه حِــذْقٌ وتِــبْــيــانُ
وكــم بــخــارِجــهــا مــن مَــنْــزَهٍ فــرجٍ ... وجَــنَّــةٍ حــولَــهــا نــهــرٌ وبُــسْــتــانُ
وأيــن جــارتُــهــا الــزَّهْــرَا وقُــبَّــتُــهــا ... وأيــن يــا قــومُ أبْــطــالٌ وفُــرســانُ
وأيــن بَــسْــطــةُ دارِ الــزَّعْــفــرانِ فــهــلْ ... رأَى شبيهاً لها في الحُسْنِ إنْسانُ
وكــم شــجــاع زعــيــم فــي الــوغَــى بطَلٍ ... بــدَا لــه فــي الــعِــدى فَــتْــكٌ وإمْــعــانُ
كــم جَــنْــدلــتْ يــدُهُ مــن كــافــرٍ فــغَــدا ... تــبْــكــيــهِ مــن أرْضِــه أهــلٌ ووِلْــدانُ
ووَاديــاً مَــن غــدَتْ بــالــكــفــر عــامــرةً ... ورُدَّ تــوحــيــدُهــا شِــرْكٌ وطُــغْــيــانُ

---

(١) بلنسية ومرسية وقرطبة وجيّان: مدن وممالك في الأندلس.
(٢) حمص: هي إشبيلية، لأن الأمويين عند دخولهم الأندلس سموا المدن بأسماء مدنهم في الشام.

Marfat.com

كذا الْمَرِيّةُ دارُ الصَّالحين فكمْ ... قُطْبٍ بها عَلَم غَوْثٍ له شانُ
تبْكِي الحَنِيفِيَّةُ البيْضاءُ مِن أَسَفٍ ... كما بكَى لفِراقِ الإلْفِ هَيْمانُ
حتَّى المحارِيبُ تبْكي وهْيَ جامدةٌ ... حتَّى المنابرُ تبكي وهْيَ عِيدانُ
على ديارٍ من الإسْلامِ خاليةٍ ... قد أقْفَرتْ ولها بالكفر عُمْرانُ
حيثُ المساجد قد أمْسَت كنائسَ ما ... بهِنَّ إلا نَواقِيسٌ وصُلْبانُ
يا غافلاً وله في الدَّهرِ موعِظةٌ ... إن كنتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يقْظانُ
واشياً مرِحاً يُلْهِيه موطِنُه ... أبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ المرْءَ أوْطانُ
تلك المصيبةُ أنْسَتْ ما تقدَّمَها ... وما لَها مَعْ طويلِ الدَّهْرِ نِسْيانُ
يا راكبينَ عِتاقَ الخيْل ضامِرةً ... كأنَّها في مجالِ السَّبْقِ عِقْبانُ
وحاملينَ سُيوفَ الهنْدِ مُرهَفةً ... كأنَّها في ظلامِ الليلِ نيرانُ
وراتِعينَ وراءَ النَّهرِ من دَعَةٍ ... لهم بأوْطانِهمَ عِزٌّ وسُلطانُ
أعندكُمْ نَبَأٌ من أمْر أنْدَلُسٍ ... فقد سَرَى بحديثِ القومِ رُكْبانُ
كم يسْتغيثُ صنادِيدُ الرِّجالِ وهُمْ ... أسْرَى وقتْلاَ فلا يهتَزُّ إنْسانُ
ماذا التَّقاطُع في الإسْلام بينكمُ ... وأنتُمُ يا عبادَ اللهِ إخْوانُ
أَلاَ نُفوسٌ أبِيَّاتٌ لها هِمَمٌ ... أمَا على الخيرِ أنصارٌ وأعْوانُ
يا مَن لنُصْرةِ قوم قُسِّموا فِرقاً ... سطَا عليهم بها كُفْرٌ وطُغْيانُ
بالأمْسِ كانوا مُلوكاً في منازِلهمْ ... واليومَ هم في قُيودِ الكفرِ عُبْدانُ
فلو تراهمْ حَيارى لا دليلَ لهمْ ... عليهمُ من ثِيابِ الذُّلِّ ألْوانُ
فلو رأيتَ بُكاهُمْ عند بَيْعِهمُ ... لهالَكَ الأمرُ واسْتَهْوَتْك أحْزانُ
يا رُبَّ طفلٍ وأُمٍّ حِيلَ بينهُما ... كما تُفرَّق أرواحٌ وأبْدانُ
وغادةٍ ما رأتْها الشمسُ بارزةً ... كأنَّما هيَ ياقوتٌ ومَرْجانُ
يقودُها العِلْجُ عند السَّبْي صاغِرةً ... والعينُ باكيةٌ والقلبُ حَرَّانُ[1]
لمثْل هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ ... إن كان في القلْب إسْلامٌ وإيمانُ
هل للجهادِ بها من طالبٍ فلقدْ ... تزَخْرَفَتْ جَنَّةُ المأْوَى لها شَانُ
وأشرفَ الحُورُ والوِلدانُ مِن غُرَفٍ ... فازَتْ لَعَمْرِي بهذا الخيْر شُجْعانُ
ثُمَّ الصَّلاةُ على المختارِ من مُضَرٍ ... ما هبَّ رِيحُ صَباً واهتزَّ أغصانُ

فصل

هنا تُسكَب العَبرات، لتُطفِىء نِيران الحسَرات.

فهذه الأنْدلُس دارُ الإسلام، ملكها الكُفّارُ وبُدّل نورُها بالظّلام.

وجوامعُها صارت كنائِس، وأسودُها لكِلاب الكفرةِ فرائِس.

---

(١) العلج: الرجل من كفار العجم.

Marfat.com

وجامعُ قُرْطُبَةَ الكبير مملوءٌ بالكتُب مسدُودُ الباب، ومأْوًى للحشَرات ومَرْقَدٌ للكِلاب.

وأسطولُ الرُّوم يُنْفَق عليه الأموال، فتخرجُ رؤساؤُهم بعُدَد الحرب والرِّجال، ويأخذون الجِزْيةَ من فقراء المسلمين، فإذا عادوا عَدُّوا أنفسهم غُزاةً غانِمين.

ولولا أهلُ المغرب والجزائِر، لم يكن للدِّين مُعِين ولا ناصر.

وقد سلَّط الله عليهم بني الأصْفر، فصار عَيْشُهم أسودَ بالموْتِ الأحْمر.

وسلَّط على قُسْطَنْطِينيَّة دوامَ الطَّاعون الجارِف، فقلوبُهم راجِفة وعيونُهم بالدِّماء ذوارِفِ.

وتَرى حريقَ تلك الدِّيار، لا يخمُد في ليلٍ ولا نهار، لما بِها من ظَلَمة الوُزَرَا، وإنَّما طَغَوْا بعُلماء سوءٍ وقضاةٍ عمَّ جهلهُم سائر الورَى: [الطويل]

لعَمْرُكَ قد عمَّ الحريقُ ببَلْدَةٍ ... بها علماءُ الرُّوم في الجهل والعَمَى
ومن مالكٍ وافَى رسولُ حريقهمْ ... دعاهُم إلى نارِ الجحيم جَهَنَّمَا
فقال اقْفِلوها واقبضوا أُجْرةً لها ... فإن هُدِمت يُبْنَى بها ما تهدَّمَا
فطالبَهم خُزَّانُها بوَقودِها ... وما صَرفوهُ في زمانٍ تَقدَّمَا
فأفْتَاهُمُ المفْتِي بأنَّ ضَمانَهُ ... عليهمْ وأن الغُرْمَ للبُطْء مَغْنَمَا
ومن كثرةِ الدَّيْن المحيط بمالِهمْ ... أباح رِشْاً قد كان رَبِّيَ حرَّمَا

فهذه إنْذارات ثلاث، جرت عادةُ الله بعدَها بالخَراب، واسْتِئْصال مَن بها بأشدِّ العذاب والعِقاب، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وهذا المعنى في الحريق ظَنَنْتُ أنِّي لم أُسبَق إليه، ثم رأيتُه في شعر أبي الحسن المنجِّم[1]، حيث قال: [الطويل]

أقولُ وقد عاينْتُ دارَ ابْنِ صوزةٍ ... وللنَّار فيها مارِجٌ يتَضَرَّمُ
كذا كلُّ مالٍ أصلُه من نَهاوِشٍ ... فعمَّا قليل في نَهابِرَ يُغرَمُ[2]
وما هُو إلا كافرٌ طالَ حَبْسُه ... فجاءَتْه لمَّا اسْتَبْطأَتهُ جَهَنَّمُ

ومثله قول الآخر، فيمن انكَسرت يدُه: [البسيط]

قالوا فلان على ما فيهِ من عِبَرٍ ... قد أصْبَحَتْ يدُه مَذْمومَةَ الأَثَرِ
تأَخَّرَ القطْعُ عنها وهْيَ سارِقةٌ ... فجاءَها الكسْرُ يسْتَقْصِي عن الخبرِ

وقوله «يستقصي» إلخ فيه لُطف، يعرفه من له شَمَّة من الأدب.

---

(١) أبو الحسن المنجّم: علي بن هارون بن علي، كان راوية، شاعراً، أديباً، متكلماً، توفي سنة: ٣٥٢. انظر معجم الأدباء: ١٢/١٥.

(٢) النَّهَاوِشُ: المظالم والإجحافات بالناس، والنَّهَابِرُ: الحفرة بين الآكام، حَبْلٌ من رحل صعب المرتقى.

Marfat.com

ذكر مكة المشرَّفة ومن بحِماها، صانها الله وحَماها

وزادها تشريفاً وتكريماً وتعظيماً

لمَّا امْتطَيْتُ مطايَا الهِمَم، ووجَّهتُ وَجْهَ عزْمي إلى قِبْلة الأمم، ورَعيْتُ بالأخْداق حدائقَ تلك المسارح، وقد سالَتْ بأعْناق المَطيِّ الأباطِح، في وَفْدٍ ركب عزمُهم غارِبَ المَسرَّة وامْتَطَى، وهدَتْهمُ النُّجْبُ إلى أَوْدِيةٍ يضلُّ فيها القَطَا، فقطعُوا مَهامِهَ وأطْلال، يخاف أن يَسْرِي بها طَيْفُ الخيال.

فكم لاحَتْ جداولُ موارِدِ النُّوقُ جُسُورُها، وسارت بهم سفائِنُ بَرٍّ والسَّرابُ بحُورُها.

فكأنَّها أَشْجار، يحرِّكها صَبا الأسْحار.

تَسْقيها من السُّرى غمائِمهُ، وتزهو على نَوْرِ الخدودِ كمائِمهُ.

بليلٍ يُعاطَى فيه الرَّكْبُ من خَمْر النُّعاس، راحاً لم تذُقْ نشْأَتَها مراشِفُ كاس، والشَّمالُ تخْدُوهم بمِسْكِيِّ الأنفاس، والسماءُ حديقةُ نَرْجَس بين رَيْحانٍ وآس.

حتى الْتَقط كفُّ الصَّباحِ زُهورَ زُهْرِه، وقطفَتْ بَنَفْسَجَ الظَّلْماءِ راحةُ فجْرِه، ووَرَد سِرْحانهُ غديرَ الصَّباح، ونادَى القُمْرِيُّ على منارِ الدَّوح: حيَّ على الفلاح.

ولم أزل أذأبُ في التَّسْيار، إلى أن نفضْتُ عن منكِب المشقَّة غُبارَ الأسْفار، فنزلتُ بجوار بيْت الله الحَرام، وتطيَّبْتُ بمِسْك تراب الحَطِيم والمقَام.

وقلتُ: [الوافر]

بمكَّةَ لي غَناءٌ ليس يفْنَى ... جِوارُ اللهِ والبيتِ المُعظَّم

ففيها كِيمِياءُ سعادةٍ قد ظفِرْتُ بها من الحَجر المُكرَّم.

فلما أَفَضْتُ من تلك المناسِك بتلك البِقاع، طُفْتُ بها بل بالمسَرَّة طَوافَ الوَداع، وخرجتُ من أحَبِّ البلاد، والله لا يدعُو إلى دارِه إلا مَن اسْتَخْلصَه من العباد: [البسيط]

وما دَرَى البيتُ أني بعد فُرْقتِه ... ما سِرْتُ من حرَم إلاَّ إلى حَرَمِ[1]

قاصداً طَيْبةَ الطَّيْبة المُطَيَّبَة، وارداً موارد آمالي المُسْتَعْذَبة: [الطَّويل]

وقد قيل في زُرْقِ العيونِ شآمَةٌ ... وعنْدِيَ أن اليُمْنَ في عيْنِها الزُّرْقَا

---

(١) هذا البيت نسبه صاحب نفحة الريحانة إلى العمادي. انظر النفحة: ٤/ ٣٥٩ .

Marfat.com

فكلَّما سَرى في الصَّبا نَسْرُ بطاحِها، وَدَدْتُ لو أعارَتْني العُقابُ خِفافَ جناحِها، إلى أن لمعَتْ أنوارُ الهُدَى، من سماءِ العُلا وقِباب الحمَى: [البسيط]

لِمَهْبِط الوحْي حقًّا ترحلُ النُّجُبُ ... وعند هذا المُرَجَّى ينْتَهِي الطَّلَبُ

فنزلْتُ أعتنِقُ الأراكَ مُسلِّما، وكِدْتُ ألثَمُ أخْفافَ الرَّواحل، إذ أوْصَلتْني إلى أعذبِ المناهِل، ولم أقُلْ على قَلق الوَضِين[1]، أشْرَقي بدَم الوَتِين[2]: [الكامل]

فإذا المَطِيُّ بنا بلَغْنَ مُحمَّداً ... فظُهُورُهنَّ على الرِّجالِ حَرامُ

قرَّبْنَنَا من خيرِ مَن وَطِىءَ الثَّرَى ... فلَها علينَا حُرْمَةٌ وذِمامُ

فحَلْتُ في أرفعِ مَقام، تُفاخِر فيه الرُّؤوسَ الأقْدام، ويشهدَ نَشْرُ المِسك بفضل غُبارِه، وتُقِرُّ الجواهرُ بأنَّها دون حَصاه فضْلاً عن أحْجارِه:

وفاخَرتِ الشُّهْبَ الحصَى والجنادِلُ

فلذا صحَّ رَمْيُ الجِمار، بحَصْبائِها الصِّغار، ولم يصِحَّ بالجواهِر والدُّرَر، وما ذاك إلا لِشَرَفٍ خصَّه بها خالقُ القُوَى والقُدَر.

فنزَّهْتُ عيونَ أملِي في روضةٍ ذاتِ أنوار، وعلِمتُ وهي من رياض الجنَّة أنِّي لا أدخلُ بعدَها النَّار.

وأنا الآن منتظِرٌ لألْطاف رَبِّي، وهو في كلِّ الأمورِ حسْبي، أن يُعِيدني لجوارِه، واجْتلاءِ نُورِ حَبِيبه ومُخْتارِه، به إليه مُتوسِّلا، وفي نَيْلِ رجائي مُتوكِّلا لا مُتأكِّلا.

وقد تأمَّلْتُ دعوةَ أبي الأنبياء إبراهيم، وقولَه: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] إذ لم يقل: اجْعل الناسَ تهْوِي إليهم؛ لأن المرادَ أنَّ الشوق يجذبُهم إليه، ويُعلِّق مِشْكاة قلوبهم بسلاسلِ أنوارِه؛ حتى يراهم بغيرِ اخْتيارٍ له مُتوجِّهين، وهم على تحمُّلِ المشاقِّ بوَعْثاءِ السفر غيرُ متضجِّرين: [البسيط]

كأنما هو مِغْناطيسُ أنفسِنا ... فحيثُما كان دارَتْ نحوَهُ الصُّوَرُ

ولذا جعل الطائِفُ البيتَ على يَسارِه؛ لأن القلبَ في جِهةِ اليَسار، وقد كان قبل الوُصولِ مائلاً إليه، فلما وصل دام على ما كان عليه.

كما قلتُ: [الوافر]

قل لمَن لامَ على سَعْيي له ... قصِّرِ اللَّوْمَ وإن شئتَ لُم

مَن أتى قلْبي إليه ساعِياً ... كيف لا يسْعَى إليه قدَمِي[3]

---

(١) الوضين: حزامٌ عريض منسوج بعضه على بعض من سيور أو شعر، أو لا يكون إلاّ من جلد يشدُّ به الرحال على البعير، وقيل: يصلح للرَّحْلِ وللهودج.

(٢) الوتين: الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب.

(٣) البيتان لأبي نواس في ديوانه: ٤٠٨ .

Marfat.com

ذكر الدولة الحسَنيَّة

ومن بها من بَقِيَّة العلماء والشعراء والأعيان

هو بيتٌ أُسِّسَتْ عُمُدُه على الخِلافة، وقُطِّرت من شَعْبِ شجَرتِه مياهُ اللَّطافة، وغرِست بين أثلاثِ المجدِ أعوادُه، فاستراحَتْ عنده الآمالُ وتعِبتْ حُسَّادُه.

قَصْرُ مَعالٍ يردُّ الطرفَ كليلا، ونسيمَ الشمالِ عَليلا: [البسيط]

أعْلَى الممالِكِ ما يُبْنَى على الأسَلِ[1]

فهو سُورُ الخُطوب، وخليفةُ أخْلاق الصَّبا والجَنوب.

تُقصَد بتُحَفِ المدائح، فيشْترونَها بنَقْد المنائح.

فعندهم مَحَطَّ الرُّكْبان من الأطْراف، وربحُ المحامِد مَتْجَرُ الأشْراف.

فإذا كان الدَّهرُ قاتِمَ الأعْماق، مُسْوَدَّ النَّواحِي، فوجوهُهمْ نُجومِي ووَضَّاحُ غُرَرِهم صَباحِي.

فكم راضُوا الزمنَ بعد الحِرَان، فأصبحَ سَهْلَ القِيادَ رخِيَّ العِنان.

تتحلّى بذكرِهم الأفْواه، ويفوحُ نَشْرُ الطِّيب خالطَتْه الأفْواه[2].

وغُرَرُهم في جِباه اللَّيالي والأيام، يعجَزُ عن وصفِها أفْواه الدُّوِيّ وألْسنةُ الأقلام.

في سماءِ موَعالٍ ماءُ مَجَرّتها مَورُود، ينبتُ في حافاتِه شقائِقُ الشَّقيقِ مُتورّدة الخدود.

فاكتحَلتْ بالسحَر مُقْلَةُ دياجِيها، وقُلِّدتْ بجواهر النُّجوم لَبَّاتُ لياليها. إلى أن أُدّيتْ أمانةُ المُلْكِ إلى:

٥٥- أبي نُمَيّ بن بَرَكات

فهطَلتْ منه على رياضِ الحرمَيْن سحائبُ البركات.

وله شعرٌ بليغٌ نفحاتُه ذكِيَّة، وفصاحتُه عَلِيَّة عَلَويَّة، كقوله في المقام اليُوسُفِيّ بمصر والأداهم أخْجال، والقُيود كما قيل خلاخِيلُ الرِّجال، وقد لمعَ بَرْقُ الحِجاز فكاد يطيرُ شوقاً لِحَمَى حجَبه النَّوَى والحِجاز: [البسيط]

---

(١) صدر بيت للمتنبي، وعجزه:

«والطَّعْنُ عند مُحبّيهِنَّ كالقُبَلِ»

ديوانه: ٢٦٥.

(٢) الأفواه: مفردها: فُوهٌ وهو: التابل يعالج به الطعام، والطيب.

٥٥- الشريف أبو نمي محمد بن بركات، ولد بمكة سنة: ٩١١ وتوفي سنة: ٩٩٢، تولي بعد أبيه سنة: ٩٣١ وعمره عشرون سنة، كان ذاهمة. انظر شذرات الذهب: ٨/ ٤٢٢.

Marfat.com

ما يلْمعُ البرقُ من تِلْقا ديارِهمُ إلا ولِي مذمَعٌ بالسَّفْح هَطَّالُ
واللهِ لولا قيودٌ في قوائِمنا من الجميل وفي الأعْناقِ أغْلالُ
لكان لي في بِلادِ اللهِ مُتَّسَعٌ وفي الملوكِ لُبانَاتٌ وآمالُ
لِي حُرْمةُ البيتِ والجارِ القديم ومن أتاكُمُ وكُهولُ الحيِّ أطْفالُ
أتيْتُكُمْ وجلابيبُ الصِّبا قُشُبٌ فكيفَ أرْحلُ عنكمْ وهْيَ أسْمالُ

وفي البيت الأخير معنى لطيفٍ، وهو كقولي: [الكامل]

تاللهِ ما فارقْتُ لي وطناً به بُرْدٌ جرَرْتُ من الشبيبةِ زَاهِي
إلا لأنِّي أسْتحِي من رَدِّهِ خَلَقاً أُرَقِّعُه بعُذْرٍ واهِي

ومن فحول شعرائِه المقلِّدين جِيدَ محبَّتِهم بطَوْقِ ولائِه:

٥٦- شهاب الدين أحمد الفَيّومِيّ

أديبٌ نَسَق من جواهرِ كلامِه أكاليلَ دُرٍّ ما لمنْظومِها سِلْك، وجرَت مياهُ البلاغة في رياضِ نِظامِه فذابَتْ كذَوْب التِّبْر أخْلصَه السَّبْك.

إذا امتَدَّ خَطْوُه إلى المجدِ وكرَم الخِيم، فهو أسرعُ من رَجْع يدِ الذِّئب وأوْسع من خَطْو الظَّلِيم.

جمعضتْ له الحظُوظُ من تِلالِها ووِهادِهَا، وقِيدَت له القلوب بأزِمَّةِ ودادها.

وأنشده يوماً قصيدةً بائيَّة، امتدَحه بها، فلما وصَل إلى قوله فيها: [الكامل]

يهْتزُّ من تحت السِّلاحِ كأنَّه رَيْحانةٌ لعِبتْ بها رِيحُ الصَّبَا

جَثَى على رُكْبتيْه ووَثَب، وتطايَر من أحداقِه شَرَرُ الغضب، وكاد أن يُكلِّمه بألْسنةِ السُّيوف، ويخلعَ عليه خِلعةً حمراءَ بلا أزْرار فصَّلَتْها يدُ الحُتوف، فلما قال بعده:

في كلِّ مَنْبِتِ شَعْرةٍ من جسمِه أسَدٌ يمُدُّ إلى الفرِيسةِ مِخْلَبَا

قال: عفوتُ عمَّا فات، أولئك يُبدِّل اللهُ سيِّئاتِهم حَسنات.

«وديوان» شعره مشهور، ودُرُّ بَراعتِه في نادي الأدب مَنْثور.

ولما ارْتحل إلى القاهرة، قال مُتشوِّقاً بأُمِّ القُرى معاهدَه ومآثرَه: [السريع]

يا ربِّ لا وَصْلٌ ولا سَلْوةٌ لا زَوْرةٌ مِن طَيْفِهمْ لا لِقَا
إن لم يكنْ في وَصْلِهمْ مَطْمَعٌ فلا تُعذِّبْ مُهجتِي بالبَقَا

وله فيه مدائح عديمةُ الأمثال، سائرة في الآفاق سَيْرَ الأمثال، منها قصيدته التي عارض بها قصيدة صَفِيِّ الدِّين الحِلِّيّ، التي مطلعُها: [الوافر]

أذابَ التِّبْرَ في كأسِ اللُّجَيْنِ رَشاً بالرَّاحِ مخْضُوبُ اليَدَيْنِ

٥٦- لم أعثر على ترجمة له.

Marfat.com

وأوّلها:

بـدَتْ فـأرَتْـكَ شـمـسَ الـمَـطْـلـعَـيْـنِ فـتـاةٌ أسْـهـرَتْ بـالـمَـطْـلِ عَـيْـنِـي

وعلى مِنْوالها قصيدة الشّهاب المنْصُورِيّ، أحد الشُّهب السَّبعة، وأوّلها:

بـكـيْـتُـكَ يـا غـزالَ الأجْـرعَـيْـنِ وقـد ربِـحـتْ عـلـيْـكَ الأجْـرَعَـيْـنِـي

ومن شعره قوله مُضمِّنا: [الكامل]

لقد عذَلْتُ فلانَ الدِّين حين علا عليه عَبْدٌ فقال اقْلِلْ من العذَلِ
فإن عَلانِيَ مَن دوني فلا عَجبٌ لِي أُسْوةٌ بانْحاطِ الشَّمسِ عن زُحَلِ

وله أيضاً: [م. الكامل]

أواخِرُ الخمر فيها على الأوائلِ فَضْلُ
تمُرُّ دَوْراً فَدَوْراً وكلَّما مَرّ يَخْلُو

وله في مَن اسمه حسين[1]: [السريع]

تركْتَ جَفْنِي واصلاً والكَرَى راءٌ فجُدْ بالوَصْل فالوصلُ زَيْنْ
ولا تُجِبْنِي عن سؤالِي بلاَ فالقلبُ يخْشَى كَرْبَ لاَ يا حُسَيْنْ

وفي قوله: «زين» إيهامٌ غيرُ زَيْن، لأن العامّة تقول في حروف الهجاء زين، والصحيح فيها زَاء بالمدّ والقصر، ويقال زَيْ بزنة كَيْ، كما قاله ابن جِنّي[2].

وأما هذه فتحريف قبيح. وله أيضا: [م. الرمل]

حَجّ للبيْتِ اخْتِلاساً وفَساداً للأنَامِ
مُذ رآهُ النَّاسُ قالوا حَجَّ للبيْتِ الحَرامِ

٥٧- السيد حسن بن أبي نُمَيّ

ثم خلفَه ابنه حسن، ومَن حديثُ مناقِبه مستفيضٌ حسَن:

وما محاسِنُ شَيْءٍ كلُّهُ حَسَنُ[3]

فقد سارتْ بمآثره الرُّكبان، وتحلّى بذكرِه كلُّ لِسان.

فالحِلّ يعرفُه والحَرَم، والمجدُ ينطِقُ بمحامدِه والكَرَم: [الكامل]

---

(١) البيتان في نفحة الريحانة: ٣/٣١٦ .
(٢) انظر اللسان: مادة (زوى) ومادة (زي ي).
٥٧- الشريف حسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن محمد، ولد سنة: ٩٣٢، استقلّ بسلطنة الحجاز وقام بها أحسن القيام وضبط الأمور والأحكام على أحسن نظام، وأمنت البلاد واطمأنت العباد، كان صاحب فضل باهر، وأدب غض ومحاضرة فائقة، توفي سنة: ١٠١٠، انظر خلاصة الأثر: ٢/ ٢-١٥ .
(٣) نفحة الريحانة: ١/ ١٠١ .

Marfat.com

وإنـمـا الـمـرءُ حـديـثٌ بـعـدَهُ فـكُـنْ حـديـثاً حَـسـنـاً لـمـن وَعـى

فقد خَفَقتْ في الخافِقَيْن راياتُ مَكارمِه، ونُصِبتْ على أعلام كُماتِها بين مَعالِمه، وسرَتْ سحائبُ كرمِه ولها من غُرَّتِه بَرِيق، وتفرَّقت أنهارُ جُودِه في كلِّ فَرِيق، حتى طَفت على هضَباتِ العُذَيْب والعقِيق.

وله فَصْلُ فضاءٍ عَلوِيّ حلَّ بين الرِّفْق والبَاس، وأيِس عن إدْراكِ حَدْسِه فيه إياس[1]، بين حماسةٍ وسماحة، وفصاحةٍ وصَباحَة: [الطويل]

إذا زان قـومـاً بـالـمـنـاقـبِ واصِـفٌ ذكَـرْنـا لـه فـضْـلاً يَـزِيـنُ الـمـنـاقِـبَـا

وجلالةُ هيْبةٍ لا تُرِيد حاجِبَا، وشِيَمٌ شُمٌّ لو تجسَّمت كانت بوجهِ الدَّهر عَيْناً وحاجِبا.

فكم أوردَ النَّجِيعَ سيفَه المجرَّد عن العلائِق، وأصدَرَه ناثرا على غَدِير لاَمتِه من الدِّماء شقائِق.

مِن فِتْية إذا تصافحوا بالصِّفاح، تهلَّلتْ ضاحكةً بالنَّجِيع ثُغورُ الجراح: [الطويل]

حَـلِـيـمٌ إذا مـا الـحِـلْـمُ فَـكَّ حِـزامَـهُ وَقُـوفٌ ولو كان الوُقُوفُ على جَمْرِ

مع محاضراتٍ لو سمع بها الرَّاغب[2] سعَى لها راغِبا، وأبكارُ أفْكارٍ لا يكافِئها إلا مَن كان بمتاع الحياةِ خاطِبا: [الكامل]

مـا عُـذْرُ مَـن ضـربَـتْ بـه أعْـراقُـه حـتَّـى بـلـغْـنَ إلـى الـنَّـبِـيِّ مُـحَـمَّـدِ

أنْ لا يَـمُـدَّ إلـى الـمـكـارم بـاعَـهُ ويـنـالَ غـايـاتِ الـعُـلا والـسُّـؤْددِ

مُـتـخـلِّـقـاً حـتَّـى تـكـونَ ذيُـولُـه أيْـدِي الـزَّمـانِ عـمـائـمـاً لـلـفَـرْقَـدِ

بلَغني أن بعض بني عمِّه ورَد نَدِيَّه، جارًا لِذيْل التِّيهِ والحَمِيَّة الهاشِميَّة، فتصدَّر عليه شخصٌ في ذلك النَّادِي، فتجعَّدتْ أساريرهُ وسيفُ حِدَّتِه من غِمْد التَّصَبُّر بادِي، فلما فطِن لذلك قال: إنه ليقودُنِي زِمامُ العجَب، ويهُزُّ عِطْفَ أرْيَحِيَّتِي ساعِد الطَّرب، بقصيدةِ المُتَنبِّي، التي أوّلها[3]: [الوافر]

فـؤادٌ مـا تُـسـلِّـيـهِ الـمُـدامُ وعُـمْـرٌ مـثـل مـا تـهَـبُ الـلِّـئـامُ

فتسلَّى بذلك وتعلَّل، وتبسَّمَ وجهُ مسرَّتِه بعد القُطوب وتهلَّل، إذ فهِم تلْويحَه، لقوله فيها:

---

(١) إياس بن معاوية المزني، أبو واثلة، كان فقيه البدن، دقيق المسلك، وكان صادق الحسّ، وكان عجيب الفراسة ملهماً، توفي سنة: ١٢٢ . وفيات الأعيان: ١/ ٢٢٣ .

(٢) يعني به: الحسين بن محمد بن مفضل الإمام أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني (الأصبهاني) نزيل بغداد، توفي سنة: ٥٠٠، له من الكتب: أخلاق الراغب، وأفانين البلاغة، ومحاضرات الأدباء، ومفردات ألفاظ القرآن، وغيرها. انظر هدية العارفين: ١/ ٣١١ .

(٣) ديوانه: ٩٢ .

Marfat.com

ولـو كـان الـمـكـانُ لـه عُـلُـوٌّ لـطـارَ الـجـيْـشُ وانْـحَـطَّ الـقَـتـامُ

وفي معناه قولي، من فصل:

لو كان الشَّرفُ بالمكان، ما انحطَّتْ النارُ وعَلاَ الدُّخان.

وقولي من قصيدة: [الكامل]

لـم أدْرِ يـومَ الـحربِ هـل ثـار الثَّرَى أم خَيْـمـةٌ نُـصِـبـتْ عـلـيـه وقـد سَـرَى

أم نـالَـهُ شـرَفٌ بِـمَـسِّ نِـعـالِـه فَـعَـلا رُؤُوسَ عِـداهُ حـيـن تـكـبَّـرَا

أم راح مُـشْـتـكِـيـاً إلـى خَـلاَّقِـه دَوْسَ الـجِـيـادِ عـلـيـه حـتَّـى يُـنْـصَـرَا

ومما يحسُن إيراده هنا قول أحمد المعرّيّ: [الكامل]

قـل لـلـرَّئـيـس أبـي مـحـمَّـدٍ الـرِّضَـا قـولَ امْـرىءٍ أبْـلاَه حُـسْـنَ بـلاءِ

مِـن حـوْلِ بـزْكـتِـك الـبـهـيَّـة سـادةُ الْـ ـعـلـمـاءِ والـفـضـلاءِ والـرؤسـاءِ

لـو أنْـصـفـوك وهـم قِـيـامٌ أشْـبَـهَـتْ أشـخـاصُـهـمْ أمْـثـالَـهـا فـي الـمـاءِ

ومنه أخذ الأرَّجَانِيّ قوله[1]: [البسيط]

هـذا الـزمـانُ عـلـى مـا فـيـه مـن كَـدَرِ يـحْـكِـي انْـقـلابُ لـيـالـيـهِ بـأهْـلـيـهِ

غـديـرَ مـاءٍ تـراءَى فـي أسـافِـلِـه خَـيـالُ قـوم تـمَـشَّـوْا فـي نَـواحِـيـهِ

فـالـرِّجْـلُ تُـنْـظَـرُ مـرفـوعـاً أسـافِـلُـهـا والـرأسُ يُـنْـظَـر مـنـكَـوسـاً أعـالـيـهِ

وقوله «على ما فيه من كدر» من حَشْو اللَّوزِينَج، أما ترى قول المعرّيّ: [البسيط]

والـخِـلُّ كـالـمـاءِ يُـبْـدِي لـي ضـمـائِـرَهُ مـع الـصَّـفـاءِ ويُـخْـفِـيـهـا مـعَ الـكَـدَرِ

وأحسن من هذا كله قولي: [الطويل]

خـلـيـلَـيَّ ذِي الـدنـيـا الـدَّنِـيَّـةُ لـم تـزَلْ تُـعـادِي فـتًـى حُـرًّا شـريـفَ الـمـنـاقـبِ

أسـافِـلُـهـا تـعـلُـو أعـالِـيـهَـا كـمـا يَـراهُ لـبـيـبٌ عـارفٌ بـالـعـواقـبِ

إذا صُـوِّرتْ لـلـنَّـاسِ مـعـكـوسـةً بـدَتْ فـلا تَـعْـجَـبَـنْ والـدَّهـرُ بَـحْـرُ الـعـجـائـبِ

عَوْدٌ إلى سيرة ابن سيِّد النَّاس، الذي تسِير الصَّبا بعَبِير لطفِه طَيِّبَةَ الأنْفاس:

كنتُ قبل أن تُعرّى أفراسُ الصِّبا، ويتفرّق شمْلُ الأيام أيْدِي سَبَا، لمَّا ارْتحلْتُ مع والدي لذلك المُمَجَّد، لنجْتلِيَ وجهَ المليحةِ في الخِمارِ الأسْود، رأيتُه وقد ابْيَضَّ عَنْبَرُ لِمَّتِه، وثقَب الشيبُ مِغْفَرَ هامتِه، وقد علا هامَ السِّتِّين، وتَرقّى شرَف السَّبْعين: [الطويل]

وإن امـرأ قـد سـار سـبْـعـيـنَ حِـجَّـةً إلـى مَـنْـهـلٍ مـن وِرْدِه لَـقـريـبُ

مُشمِّراً لِمَخاضِها، واقفاً على حِياضِها، بفكْرةٍ ما كانت النِّيرانُ تخْمُدُ لو رُزقتْ بعضَ ذكائها، وبِكْرِ هِمّة إذا جُلِيتْ لا يُعَدُّ غير المجد من أكْفائِها.

---

(١) ديوانه: ٤٣٦ .

Marfat.com

قد قَلَّمَتْ يدُ عزائِمه أظفارَ الخُطوب، وكادت لا تطأُ الحرمَ بغيْرِ إذْنِه الصَّبا والجَنوب.

يسوق لأعْدائِه جُنودَ الحُتوف، ويرى وُجودَهم ذنْباً لا يعتذِرُ عنه غيرُ ألسنةِ السُّيوف.

فكل حديث صدَر منهم وحَدَث، لا يرفعُه إلا التَّيمُّم بتراب الجَدَث: [البسيط]

ولي صَوارِمَه تكْذيبَ قولِهِمُ فهُنَّ ألْسِنةٌ أفْواهُها القِمَمُ

إذا تربَّعَ رأيهُ في نادٍ واحْتَبَى، قامتْ بين يَدَيْه الهِمَمُ وحُلَّت الحُبَى.

يَضْطرب لِهَيْبتِه إذ هبَّت رياحُ النَّضر سُمْرُ الرِّماح، وسالَت بسوابح الجُرْدِ وأعْناق المطايا الوِهادُ والبِطاح.

وكان من سُنَّةِ سَلفِه، ومَن خَلَفهم مِن خير خَلَفِه، أن يُقدَّم للإمامة مَن قدَّمَتْه الأيَّام، وفي المَثل: «أكبرُ منك بيومٍ أعرفُ منك بعام».

وكان يليه سِنًّا ذُو الرَّأي الصَّائب، أغرُّ السَّعْد والوجهِ والمناقب:

٥٨- أخوه السيد الأجلّ ثَقَبَة

مَن لو وَجَّه لدُرِّ الكواكب سِنانَ هِمَّتِه ثَقَبَه.

ومِشْكاةُ بصيرتهِ مُشْرِقَةٌ بنُور اليقين، وكلامُه ينثُر على الفصاحة نِثارَ الجوهر الثَّمين.

وكُلَّ مَن نَسَله يُحدِّث نفسَه بالإمامَة، وأن يتْلُوَ في صحفِها آياتِ مجدِه أمامَه.

فمنهم من جعل لذلك وَسيلتَه، الدُّخولَ في حواشِيه ومُصاهرتَه، ولسانُ حالِه يُنادي فيما يُبْدِئُ ويُعيد: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩].

فلما برع:

٥٩- حسين

وترغْرَع، ولبِس لأَمَةَ[1] النَّجابةِ وتدرَّع.

وهو بحرُ نَوالٍ أمواجُه الهِمَم، وروضُ سيادةِ الفخْرِ والكَرَم.

لم يزَل يرسلُ له هدايا وتُحَف، ويتضرَّع له بمودةٍ بانواع الخلوص تُحَفّ.

فقال له والده يوما في أثناء الكلام: إيذَن لحسين في أن يليَ الرِّفادة في هذا العام.

٥٨- ذكره المحبي عند ذكره أخيه حسن، وبدون تفاصيل تذكر، انظر الخلاصة: ٢/٢ .

٥٩- حسين بن حسن بن أبي نمي.

(١) اللأْمَةُ: أداة الحرب كلها من رمح، وبيضة، ومنفر، وسيف، ودرع.

Marfat.com

فقال له: تريد أن تُضِيف السِّباع، وهذه ضِباع المُنْحَنَى جِياع!

فلما علم ما في هذه الكناية، صرع من النِّكاية، صرَّح اليأسُ بجوابِه، وهجم على قلبه همٌّ أحلَّ تباريحَ الجَوَى بهِ.

فرجع بخُفَّيْ حُنَين، وشاهد منه كَرْبَلاء حسين، حتى ذاق بسيفِ الحسرة طعمَ الشَّهادة، ولبِس عليه الدَّهرُ من دياجِيه حِدادَه.

فسقَى قبرَه رَيِّقُ الغوادي الباسمةِ البُروق، وإن كان فيه بحرُ كرمٍ يَعذُب في أفْواهِ الأمانيّ ويَرُوق.

ثم نهض أخوه:

٦٠- مسعود

على قدمِه، طالعاً بدرُه المسعود بين نجوم أتْباعِه وخَدمِه.

وهو إذ ذاك في المعرفة عَلَم، وفي طريق المجد ثَبْتُ القلب ثابتُ القَدَم.

يتبسَّم لغُرّتِه وجهُ النَّهار، ويُناجِيه السَّعدُ بما في ضمائرِه من الأسْرار.

وله حسناتُ شعرٍ ما خُطَّ في مجموع الدَّهرِ مثلُها، ولا سجَعت وُرْقُ الفصاحةِ بلحْنه في ذُؤابةِ هاشميةٍ قبْلَها.

ومسعود لو مَسَّ عوداً بسعْدِه أوْرَق، لِما جال في بِئْر مُحيَّاه من ماء النَّدى وترَقْرق.

مع شجاعةٍ يرتعد لها الأسدُ والأَسَل، ويَعُدّ الصَّعنَ في الهيْجاء كالقُبَل.

كما قلتُ فيه: [الكامل]

قومٌ غزوتَهمُ رأيتَ جسومَهمْ ... مُقَلاً لهنَّ إشارةُ المتكلِّم

من كلِّ مُقْلةِ طَعْنةٍ نجلاءَ مُذْ ... نظَرتْ فِراقَ الرُّوح تَبْكي بالدَّم

رمِدتْ فكحَّلها مَراوِدُ سُمْرِه ... من إثْمِدِ النَّقْع المُثار المظْلم[1]

وكأنَّما رَمدتْ لخوفِ قواضِبٍ ... صَلَتْ فتسجُدُ وهْي ذاتُ تيمُّم

فلم يزل يخطُب من المُلْك كواعبَ أبكارِه، حتى أدركَه الغرقُ في حِياضِ مماتِه المُترَعَة من بحار أفكاره.

فأرسَى بسواحل شَعُوب، وأنشدتْه الحالُ بلسان الخُطوب: [الطويل]

عَياءٌ به مات المحِبُّونَ مِن قبلْ[2]

---

(١) الأثْمِدُ: مادة بلّورية هشّة، يكتحلُ به.

(٢) عجز بيت للمتنبّي، وصدره:

عزيزٌ أسَىً مَن داوَه الحدق النُّجلْ

ديوانه: ٣٩.

Marfat.com

فبلغ في سفينة أملِه وفاتَه، وسبقه الأجلُ كما سبق السَّيفُ العَذَل وفاتَه.

فرأيت جَنازتَه والدموع حوله طُوفان، وقد أرْسَت سفينةُ تابوتِه على جُودِيّ الفَناء والأحزان.

فلما بدَّل الأُمْنِيَّة بالمنِيَّة، وسقاه الدهرُ كاسَ المَنُون رَوِيَّة، قام مقامَه:

٦١- أبو طالب

مترشِّحا لأمرها، مترقِّبا بعد موت ثَقَبَة لاجْتلاء بدرِها.

وكان قبلُ لا يرِد مورداً من مناهل آمالِه، إلا وقد غَصَّ بقَذَى رُقبائِه وعُذَّاله:

[الخفيف]

لـم تـرِدْ مـاءَ حـسـنِـك الـعـيـنُ إلاَّ شَـرِقـتْ قـبـل رِيِّـهـا بـرقـيـبِ

فأراد والدُه أن يقلِّده بصارمِها، ويجعلَ هياكلَ جِيادِه في أجْيادها مُقامَ تمائِمها، فأرسل الأميرَ بَهْرام، فَرَطاً يستسْقِي له ماءَ المَرام، وهو منتظِرٌ لها انتظارَ ليلةِ القَدْر، راجياً أن يحُلَّ منها محلَّ القلب من الصَّدر.

فنثَر على ذلك الرسول، جواهرَ الإحسان والقَبُول، وأهدى له مع كتاب العهد خِلَعاً حِسان، أزْهَى مما توشَّحت به معاطفُ الكُثبان، وألبستْه عطايا الربيع قدود الأغصان.

فكان كما قيل: [السريع]

قـرَّت عـيـونُ الـمـجـد والـفـخـرِ بـخِـلْـعـة الـشـمـسِ عـلـى الـبـدرِ

زَرَّ عـلـيـه الـمـلـكُ فَـضْـفـاضَـهـا وإنـمـا زَرّ عـلـى الـبـحـرِ

مـا هـو إنـعـامٌ ولـكـنَّـه مـا خـلـعَ الـغـيـثُ عـلـى الـزَّهـرِ

فأُفِيضَت عليه خِلْعةٌ مُعْلَمة، وأصبحت قلائدُ الجود في جِيد السِّيادة مُنظَّمة.

مما تَقَرّ به عينُ الزَّهْرا، ويرفع الله به لآلِ البيتِ ذِكْرا.

وأمرُه بالدهر عابث، وأغصانُ المنابر بِاسْمِه مُورِقة أثائِث[1].

وأمطَر عليه عِهاد[2] الكرَم وَسْمِيًّا ووَلْياً، وتلَى منشورَه المُعرِب عن أنه أصبح لأبيه وَلِيًّا.

٦١- أبو طالب بن حسن بن أبي نمي، الشريف الحسني، ولد سنة: ٩٦٥، آلت إليه إمارة مكة بعد أخيه الشريف مسعود، نيابة عن أبيه، ثم أمر أبوه أمراء الحجاز أن يلبسوه الخلعة الكبرى، وألبسوا أخاه عبد المطلب الخلعة الثانية واستصدر من السلطان محمد بن خان بن مراد تقريراً بذلك، فأجيب إلى ملتمسه، ولما مات أبوه ثم لحقه أخوه عبد المطلب استقلّ بالملك، كان حسن الهيئة، شديد الهيبة، كريماً، توفي سنة: ١٠١٢ . انظر خلاصة الأثر: ١/ ١٣١، ونفحة الريحانة: ٤/ ٦٢، وسمط النجوم: ٤/ ٣٨٤ .

(١) نبت أثيث: كثير الفروع.

(٢) العهد: أول مطر الربيع.

Marfat.com

فتبوَّأَ صدرَ الخلافةِ والجلالة، وورِثها عن أبيه حيًّا لا عن كَلالة[١].

فأقرّ بعهْدِه لسانَا السيفِ والقلم، ونُودِيَ هذا الذي تَعرِف البطحاءُ وطْأتَه والحِلّ والحرَم.

قام فطاف بالبيت شُكْراً لذلك الإنْعام الجسيم، فكاد يُمسِكه عِرفانَ راحتِه لما اسْتلم الرُّكنُ والحَطِيم.

وصورة منشورِه[٢]، وهو مما أنشأْتُه بأمر رئيس الكُتَّاب:

«الحمد لله الذي نشَر على الخافِقَيْن أعلامَ عدْلِه، وزيَّن حُلَل الوجود بجُوده وفضلِه.

ونشكره شكراً تطوف وُفود الإخلاص حولَ كعبتِه، وتقصر الفصاحةُ بعد التَّحليق في أفق البلاغة عن أن تكون مُزدَلِفةً من شُكْر نعمتِه، وتسجد له الأقلام في كعبة الطِّرْس المكسُوِّ بسَواد مِدادِه، وتسعى للصَّفا في مواقف إصْدارِه وإيرادِه.

وصِلاتُ الصَّلاة المِسْكيَّة النَّسيم، العَنْبَرِيَّة الشَّمِيم، تَتَوالى توالي القطر المُكرَّر على تلك الأقْطار، والمَثْوَى الذي تُرابُه إثْمِد البصائر والأبْصار: [البسيط]

حيّاكِ يا تُربةَ الهادِي الرسولِ حَياً ... بمنطقِ الرعدِ بادٍ من فم السُّحُبِ
ضمَمْتِ أعْظَمَ مَن يُدعَى بأعْظَم مَن ... يسعَى إليه أخو فضلٍ ولَم يخِبِ
وحُزتِ أوضحَ مَن يَهْدِي وأفصحَ مَن ... يُبْدِي وأرجحَ مَن يُعزَى إلى نَسَبِ

محمدٍ المرسَل بكتابٍ تمسَّك بأهْداب سِحْر البلاغة والإيجاز، واستَوْثَق دون بُلغاءِ العرب بعُرَى الإعجاز، فرَمى قلوبَ المعارضين بجَمَراتِه، وكحَل بصائرَ المُطيعين بمِيل الهداية فأقرُّوا ببيِّنات آياتِه.

وعلى آلِهِ وصحبِه، وجُندِه وحِزْبه، أولياءِ عهده، والخلفاءِ من بعده، ما جُرِّدت صوارمُ البُروق من أغْماد الغَمائم، وسرَى نسيمُ نجد فابتسَمتْ له ثغورُ النَّوْر في الكمائم.

هذا، وقد أظهر اللهُ عزَّ سلطانه كنزَ سرِّه المكنُون، بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فعُلم به سِرُّ الأمْر، في قوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فإنه ليس بعد النُّبوَّة والرِّسالة إلا مراتبُ الصَّلاح، ولهذا كانت الرَّعايا بلا سلطان كالأجْسام بلا أرْواح.

---

(١) الكلالة: من لا والد له ولا ولد.
(٢) انظر خلاصة الأثر: ١/ ١٣٢-١٣٣ .

Marfat.com

وما الشَّريعةُ إلا روضةٌ زاهيةُ الثِّمار، مُتفتِّحة الأنْوار، تَجري من تحتها الأنهار، والسلطان مُتعهِّد لها بالحراسة، يحمِيها من كل جَانٍ بشَوْكة السِّياسة.

وإذا كان ظلَّ اللهِ في أرضهِ، وشمسَه المتَّضِحَ بأنوار سَنَن سُنَّته وفرْضِه، فعلى مَن طلَعت عليه الشمس أن يجنَحَ لظِلِّه، ويَقِيل في دَوْحَة إحسانِه وفضلِه.

فإنه الشمسُ الذي تضيءُ بدورُ الكواكب بأنْواره، والبحرُ الذي تستمدُ جداولُ الأمراء من أنهاره.

والسماءُ الذي تتَمنْطَق الجوزاءُ لِخدمته، ويخافُ الأسدُ أن يَمُدَّ إليها يدَ سَطْوته.

والجنَّةُ التي تحت ظِلال السُّيوف، والمُتقرَّب إليه بمحاسن الأعمال، والمُستَجار به من الصُّروف.

والحَرمُ الذي يأمَن فيه الخائف، وكعبة اللَّطائف البادِية لكلِّ طائف.

والربيعُ الذي اعتدلتْ أيامُه بالعَدالة، فصدَحتْ حمائمُ الثَّناء على أغصانِها المَيَّادة المَيَّالة: [الطويل]

وتـهْـتـزُ أعـوادُ الـمـنـابـرِ بـاسْـمِـهِ فـهـل ذكَـرتْ أيَّـامَـهـا وهْـيَ أغْـصـانُ

وممَّا ينبغي أن يُرسَم في صحائف الأفكار، ويُجعَل طِرازاً على كعبةِ المحاسن والآثار، أنه من أهمِّ ما يهْتمُّ به مَن جعَل الحِجا زِيَّه، خِدمةُ طَيْبَةَ الطَّيِّبة، ومكَّةَ المُشرَّفَ بها سائرُ الأقطار الحِجازيّة، مَعدِن جوهرِ النبوّة، ومهبِط آيات الوحْي المتلُوَّة، ومشرِقُ شموس الأنوار المحمَّديّة، ومظهرَ الآثار العُلْويّة العَلِيَّة.

ومثْوَى مَن شرَّف الله به نوعَ الإنسان، والأُنموذَج الذي صاغَه الله تمْثالاً لِلجنان، كما ورد في السُّنَّة: «مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّة»[1].

وكذلك أوَّلُ بيتٍ وُضِع للنَّاس، وأُسِّس على التَّقوى منه الأساس: [البسيط]

كـأنَّـمـا هـو مِـغْـنَـاطِـيـسُ أنـفـسِـنـا فـحـيـثُـمـا كـان دارتْ نـحـوَه الـصُّـوَرُ

وكان أوْلَى ما يقلِّدُه الإنسانُ عقودَ جواهر الإحسان، ويجتهد في تقليده، وتأبيد تأْبِيده، ويُتَوِّجُهُ بتاج التَّكْريم، ويُعمِّمُه بحُلَل التَّبْجيل والتَّعْظيم، ويُجزِل الصِّلةَ لجنابه الموصول، ويُضمِر له في القلوب القَبول، بدُورَ فلك السعادة، وصُدورَ مُسنَد السيادة، السادة الأجلاء الأشراف، فخر آل عبد مناف.

وكيف لا يزدادون حُبًّا، بعد قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] [المديد].

---

(١) الحديث في صحيح البخاري بلفظ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»، أخرجه في باب التطوع برقم ١١٣٧، وأخرجه مسلم بلفظ: «ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة» في باب الحج برقم: ١٣٩٠.

Marfat.com

كـلُّ مَـن لـم يَـرَ فـرضـاً حُـبَّـهـمْ فـهْـوَ فـي النَّـار وإن صـلَّـى وصـامَـا

وبالجملة، فإن مادحَهم كمن قال للأسد: ما أشدّ شجاعَتك. وللبحر المحيط: ما أوسع ساحَتَك.

لاسيما طَوْدُ المجد الشَّامخ المُنيف، المرفوعُ عليه علَمُ العِزِّ والنَّسب الشريف.

تاجُ هامة بني الحسن والحسين الجَناب العالي، مَغْرِس ثَمَرات المعاني والمعالي.

العريق الحسيب، الأصيل النَّسيب.

ذُخْرُ الأنام، فخرُ اللَّيالي والأيام.

زهرة الشَّجرة العَلَويّة، فرع الدَّوْحة النَّبويّة: [الطويل]

إذا وجـهُـه أو رأيُـه أو فِـعـالُـه تبلَّجنَ في ليلٍ تجلَّتْ غياهِبُهْ

صارمُ الخليفة الْمُغْمَد في رقاب أعدائِه، ورحمتُه المُمْطِرة دُرَرَ سحابِها على أوليائِه.

الحسنُ الذَّات والصِّفات، أبو المحاسن حسن بن أبي نُمَيّ بن برَكات، أيَّده الله بنصرٍ لا يبْلَى جديدُه، ولا تنْثِر بيد الحوادث عقودُه، آمين.

وقد ورد من جانبه رسول، تلقَّاه من سُدَّتِنا نسيمُ القَبول.

إذ جاب الفَيافِيَ من حَزْنها وسهْلها، وأدّى الأماناتِ إلى أهلها.

وكان كالمِيل سلَك بين الجُفون فأجاد، ومتَّع العيونَ بإثْمِد الصَّلاح والسداد.

ومعه مَنْشورٌ أرقّ من نسيم السَّحر، مُعرِب عن العيْن بالأثَر.

فأخبر أنَّ مرسِلَه أراد الفراغ، ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩].

وتضمَّن منْشورُه المذكور، أنه أراد الاسْتراحة من نَصب المناصب، والتَّقاعدَ عما بها من المراتِب، رغبةً عن زُخْرُف الحياة، إلى خدمة سيِّده ومولاه.

وأن نجلَه النجيب الجليل، الحسيب الأصيل.

النَّاشىء في حِجْر الشَّرف الباهر، المُستَخرَج من أكرم العناصر.

لَيْثَ غابةٍ بِيض الصِّفاح، وسُمْرِ العسَّالة الرِّماح.

عليه أمارةُ الإمارة، ومخايِلُ النَّجابةِ والصَّدارة: [الكامل]

بـلـغ الـسِّـيـادةَ فـي ابْـتـداءِ شـبـابِـه إن الـشَّـبـابَ مَـطِـيَّـةٌ لـلـسُّـؤدَدِ

وسأل أن نقلِّدَه صارمَ إمارة تلك الديار، وما يتْبعُها من البُلدان والأقطار[1].

(١) انظر خلاصة الأثر: ١/ ١٣٢ .

Marfat.com

على ما جرَتْ عليه عادةُ سَلفِه الذي سَلَف، وقانونُ مَن خَلفَهم من الخَلَف.

فأجبْناه إلى مَرامِه ومُرادِه، وأمددْناه بإسْعافِه وإسْعادِه؛ لأنه إنما نزَع صارِمَها من يدِه الأخرى، وجعل خاتَمَها بعد يُمْن اليُمْنَى في يَسار اليُسْرَى.

فسارت الإمارة من حَرَم إلى حرَم، ولم تخرج من جيرانِ نجْدٍ وذِي سَلَم.

فعليه، بعد ما خلَعْنا عليه حُلَلاً تأنَّق واشِيها، ورقَّت على نَسيج وحدِه حواشيها، ونظرْنا إليه بنَظَرنا الذي هو إكْسِير، أن يُحسِن في العمل والتَّدبير.

وينظرَ إلى الرَّعايا بعيْن الرِّعاية، ويصونَهم عن أهل الضَّلالة والغِوَاية.

ويُؤمِّن تلك المناسِك، ويحرسَ تلك المسالِك.

ويختارَ من قومه مَن يحرُس أطرافَها من الأعدا، ويحمِيها من كل قاصرٍ في فعله تَعدَّى.

ويبطلَ ما فيها من المكُوس والمظالم، ويقيمَ الحدودَ على مستحقِّيها من كلِّ باغٍ وظالم.

ليُخلِّد في صحائِف تلك البلاد الحَسناتِ، ويمحُوَ ما فيها من آثار السَّيئات.

ويتصرَّف في بَنْدر جُدَّة على العهد القديم، ومَن جاور ذلك المقامَ فليُسْعِفْه بالنَّعيم المقيم، ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

ويحرسَ الوافدين إلى ذلك البلد الأمين، لإقامة شعائر الدِّين.

ويحمِي بحمايتِهِ مَن وَرَد أو صَدَر، ويحرسَ مواردَهم الصافيةَ من الكَدَر.

ويلاحظَ ما للخليل عليه الصلاة والسلام من صالح الدَّعَوات، في قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

ثم لْيَعلمْ كلُّ مَن كَحل بصرَه بإثْمِد منشورنا الكريم، وشنَّف مسامعَه بلآلىء لفظِه النَّظيم.

مِمَّن في دَارَةِ تلك الدِّيار، أو هالةِ تلك الأقْطار، وانتظم في سِلْك سُكَّان القُرَى والأمصار.

مِن السَّادات الكرام، والقُضاة والحُكَّام، ووُلاة الأمور والأعْيان، والوافِدين على تلك الديار والسُّكان.

أنَّ إمارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر، وما أحاطَتْ به من الأصاغر والأكابر، وسائر الوظائف والمناصب، والجِهات والمراتِب، مُفوَّضةٌ إلى السيد السَّنَد أبي طالب.

ناظراً بعين الإنصاف، مُتجنِّبا سبيلَ الاعْتِساف.

مُصرِّفا جميع المستحقِّين بحُسْن التَّصْرِيف، صارفاً من لا يستحقُّ برأيه الشريف.

Marfat.com

وقد أقمْناهُ مقامَ نفسِنا في ذلك المقام، وفوَّضْنا إليه النَّقْض والإبْرام.

والعلاَمة السُّلطانية حُجَّةٌ لما فيه مَرْقوم، مُحقِّقةٌ لما فيه من منطوقٍ ومفهوم.

فلْيتحقَّق من وقف على هذا الخطاب، ومَن عنده عِلمٌ من الكِتاب، من أهل مكة زادها الله شرفا وما في جوارها، وطَيْبَة الطيِّبة طيَّب الله ثراها وسائر أقطارها، وبقيَّةِ الثُّغور، الباسِمة لدولتنا بمباسِم السرور، من حاضرها وباديها، أنَّا أعطيْنا القوسَ بارِيها: [السريع]

فلم تكُ تصلحُ إلاَّ لهُ ولم يكُ يصلحُ إلاَّ لَهَا[1]

سدّد الله سِهامَ رأيه في أغْراض الصَّواب، وفَتح له بمفاتيح السُّمْر كلَّ مُغْلَقٍ من الأبواب.

ما سقطتْ من كفِّ الثُّريَّا الخواتِم، ورقَتْ على منابر الأغصان خُطباءُ الحمائِم، والسلام».

وإذ انتهينا إلى هذا المقام، فاصْغِ لما نقُصُّه عليك من عجائب الأيام، فإن المصْدورَ لابدّ له من نَفْثة، ومَن جهِده المسيرُ يطلب على الطَّريق مُكْنَة.

فاعلم أننا رأيْنا كل مُلْك له مُبْتَدأٌ تظهر فائدتُه وعائدتُه في خَبَره، وانتهاءٌ يقف السَّعدُ بعد وِزْده عند صَدْر صَدَره.

ثم يرجع ما جرَى إلى قَراره، فيُنذِر الإقْبال بإدْباره، ويعود تذْميرُه في تدْبيره ويُقدِّر صانعُ القدَر أديمَه على مِقدار تقديره.

وإلى الله ترجع الأُمور، وعلى بُحور الإرادة يجْري الفلَكُ ويدُور.

وقد تظهر قبل آخرِه فيه قُوَّة، فيُظهِر فِرْعون طغيانَه وعُتُوَّه، وللشمس زوَال إذا ارتفعتْ، وللثَّمرة سُقوط إذا زَهَت وأيْنعتْ.

وقد يزيدُ قبل الانْطِفاء نورُ المِصباح، ويحصل للمريض إفاقةٌ يُسمَع بعدها الصِّياح.

وتسمى هذه الأطِبّاءُ النَّعْشَةَ الأخيرة، فكم من نَعْشةٍ تُقرِّب من السَّقيم نَعْشَهُ، وهذا في غير الخلافة النبويَّة، فإنها بالحيِّ الذي لا يموت مَحْمِيّة.

وقد كان انْتهاء صُعود الشَّرف في الحجاز بالسيد حسن، وفي المغرب بمولاي أحمد، وفي الرُّوم بالسلطان مراد، ونحن الآن لا ندْرِي ما يريد ولا ما يُراد، فقد ذهب سليمانُ وانْحلَّت الشَّياطين، ووقف الرَّجاءُ على شَفَا جُرُفٍ هَارٍ بين قومٍ مجانين، فالجواد دون الحمار المِضْرِيّ، وأبو جهل وَعظ الحسنَ البصْرِيّ: [الطويل]

فقُلْ بعده للدهرِ يأتي بصَرْفِهِ وقلْ لليالي: افْعلِي ما بدا لَكِ

---

(١) البيت لأبي العتاهية في مدح الخليفة المهدي، ديوانه: ٣١١ .

Marfat.com

وقلت: [البسيط]

قد جُنَّ شَيْخي وفي الأمثال من قِدَم ... إن الشبابَ جُنونٌ بُرْؤُه كِبَرُهْ
يا ربِّ فاعقِدْ بقُولَنْجٍ له دُبُراً ... حتى يعودَ عليه بعد ذا ضَرَرُهْ[1]

٦٢- قطْب الدين المكِّيّ النَّهْروانِيّ أصلًا ومَحْتِدا

قطبُ مركزِ دائرة تلك الأقطار، والصدرُ المُسْتَوْدَع لما فيها من الأسرار.

وهو فاضل جرَى في بساتين فضْلِه جداولُ الآداب، وتمسَّك الشِّعرُ منه بأعظم الأسباب.

فوقف دون مَداه ضِدُّه وحسُودُه، ومَن قيَّدَه الكلالُ لا تنفكُّ قُيودُه: [الطويل]

فذاك كمن جارَى جواداً بِمُقْرِفٍ ... قوائمهُ مَشْكولةٌ بجِرانِ[2]

فسماءُ مجدِه مُطلِعة لكواكب شِعره، وزهرةُ عمرِه سُقِيتْ بماء سروره وبشْره.

تنقطع عند كرَمِه الآمالُ وتعجز الأماني، ويقصُر سِلْكُ الألفاظ عن نظم ما فيه مِن دُرَر المعاني.

وتُقبِّل أفواهُ الأقلام لَمَى مِدادِه، ويهيم سُوَيْداءُ كلِّ لبيب في سوادِه.

وتنفتح عيونُ الأنوار لتُشاهد ساطعَ أنواره، وتترنَّم حمائمُ الحرَم بأسجاعه وأشعاره.

ويهُبُّ نسيم نجدٍ لشَغفِه برقَّتِه عليلاً، ويجرُّ علىٰ ثَراه تِيهاً بمُضاهاتِه له ذيْلاً بَليلا.

لتَغَذِّيه بلِبان فصاحة نجْدٍ وذي سَلم، واقْتناصِه أوابِدَ المعارف بها فاعجَبْ لمن حلَّ له الصَّيدُ في الحَرَم.

وقد شحَذ مُرهَف طبعِه بيَدِ الكمال، وسنَّ أسَلَةَ[3] لسانِه فانْجَلَى به فِرِنْدُ سِحْرِه الحَلال.

حتى تفيَّأتْ فتْوَى تلك الأقطار ظلالَ براعتِه، وسالتْ مَسائلُ المسائِل في جِيادِ يراعتِه.

فكان قُطْبَ تلك الدائرة، وعليه مَدارُ فلك الفضلِ وبه الأمثالُ سائرة.

---

(١) القولنج: مرض معوي مؤلم، يعسر معه خروج الثفل والريح.

٦٢- قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد، النهرواني، الهندي، الحنفي، ولد سنة: ٩١٧، أخذ عن والده، وعن عبد الحق السنباطي، ومحمد التونسي، كان بارعاً متفنناً في الفقه والتفسير وعلوم العربية ونظم الشعر، وشعره في غاية الرقة، كتب تاريخاً لمكة المشرّفة، وألف «طبقات الحنفية»، توفي سنة: ٩٩٠ . انظر شذرات الذهب: ٤/٨٤٦ .

(٢) المُقْرِفُ: هو الفرس الذي يداني الهجنة من طرف أبيه، والهجنة تكون من طرف الأم.

(٣) الأَسَلَةُ: طرف الشيء المستدق، ومنه: أسَلَةُ النصل، وأسَلَةُ اللسان، وأسَلَةُ الذراع.

Marfat.com

فمُعوَّل أمورِها عليه، ومُنْصَرَفُ وجوهُ الإقْبال إليه.

حتى أصبح عاطلُ حالِه حَالِيا، ومرتفِع حظِّه عن وِهادِ الخمولِ عاليا.

فلا يرِدُ مكَّةَ أحدٌ من أهلِ العلم والصَّلاح، إلاَّ فَيَّأَه ظلالَ الكرم والسَّماح، وهزَّ عِطْفَ أملِه بنشْوةِ الارْتياح.

إلى أن تعدَّى الأجل، من القُطْبِ دائرةَ الأمل، فدارتْ عليه رَحَى المَنُون، وطحنَتْ دقيقَ أفكارِه السِّنون.

فدعاه اللهُ لجوارِ الجِنان، وتلقَّاه جَدَثُه برَوْحِ رحمةٍ ورَيْحان، وطافتْ بمَثْواه وفودُ الغفران.

وقد نَعاه الفضلُ والكرم، وناحتْ لِفراقِه حمائمُ الحَرَم: [الطويل]

حمائمُ أبْلَتْ في الحنينِ لِباسَها ... فلم يبْقَ منها غيرُ طَوْقٍ بجِيدِها

فممَّا تَهادتْه الرُّكبانُ من شوارِدِه، وعُلِّق في كعبةِ الفصاحة من نُتَفِه وقصائده، قوله[1]: [المنسرح]

أقبل كالغصْنِ حين يهْتَزّ ... في حُللٍ دون لُطْفِها الخَزّ
مُهَفْهَفُ القَدِّ ذو مُحَيَّا ... بعارِضِ الخدِّ قد تطرَّزْ
دارَ بخدَّيْه واوُ صُدْغ ... والصَّادُ من لَحْظِه تلَوَّزْ
الخمرُ والجمرُ في لَماهُ ... وخدُّه ظاهرٌ ومُلْغِزْ
يشكو له الخَصْرُ جَوْرَ رِدْفٍ ... أزعجه حملُه وأعْجَزْ
طلبتُ منه شِفاءَ سُقْمِي ... فقال: لَحْظِي لذاك أَعْوَزْ
قد غفر اللهُ ذنبَ دهرٍ ... لمثْلِ هذا المليحِ أبْرَزْ
جَزَّ فؤادي بسيفِ لَحْظٍ ... أوَّاهُ لو دام ذلك الْجَزّ
أقْديهِ مِن أغْيدٍ مليحٍ ... بالحُسْنِ في عَصْرِه تميَّزْ
كان نديمي فمُذْ رَآني ... أسيرَهُ في الهوى تعزَّزْ
حرَّم مِن وَصْلِه مُباحاً ... لمَّا أحلَّ القِلَى وجَوَّزْ
يا قلبُ لا تسْلُ عن هَواهُ ... واثْبُتْ وكُنْ في الغرامِ مَرْكَزْ

وقلت في عَرُوضه[2]: [المنسرح]

مَن علَّم الغصنَ حين يهْتَزّ ... مَيْلَ قُدودٍ تميلُ في الْخَزّ
غِيدٌ رماحُ القدودِ منها ... ليستْ بغير الفؤاد تُرْكَزْ
وإنْ يكن هَزُّها دَلالاً ... ليس لغيرِ الطِّعان ذَا الْهَزّ

(١) انظر القصيدة في: نفحة الريحانة: ١/ ٥٤٣، وشذرات الذهب: ٨/ ٤٢٠.
(٢) أشار إليها المحبي في نفحة الريحانة: ١/ ٥٤٤.

Marfat.com

كم وعدتْ بالوِصال مُضْنَى ... وُعودُه بالمِطال تُنْجَزْ
وما حَسودٌ إذا توارَى ... تَراهُ من غيْظِه تَمَيَّزْ
في ألِفَي القَوام لِينٌ ... بعَطْفةِ الصُّدغ منه تُهْمَزْ
خِطابُه يُطرِب الأَمانِي ... ولو بهُزؤٍ عليَّ طَنَّزْ
وشَتْمُهُ كالمديح يُطْرِي ... ومُسْهَبُ القولِ منه مُوجَزْ
كم لحظةٍ منه لي بطَرْفٍ ... فيها رِضاه عليّ مُلْغِزْ
له مُحيَّا بديعُ حُسْنٍ ... فيه جميعُ الجمالِ يُكْنَزْ
ولي به مَطلَبٌ مَصونٌ ... بقُفْلِ صُدغٍ له مُرزَّزْ
لو لم يكنْ حبُّه بقلبي ... ما كان بين الضُّلوع يُخْرَزْ
قضيبُ آسٍ على كَثيبٍ ... أزْعجه رِدفُه وأَعْجَزْ
كأنما خَصْرُه خَفاءً ... مَعْنىً له ذا الجمالُ ألْغَزْ
جلَّ الإلهُ البديعُ صُنْعاً ... ومَن لهذا المليح أبْرَزْ
فاغنَمْ زمانَ السرورِ واطْرَبْ ... ففُرصةُ العمرِ فيه تُنْهَزْ
وانظرْ بِساطَ الربيعِ يدعو ... لصَفْوِ عيشٍ عليه قد عَزّ
مَهَّدَهُ لاجْتماع شَمْلٍ ... مُنَبَّتٌ بُرْدُه مُطرَّزْ
تُنْحَرُ فيه الزِّقاقُ نحراً ... طُبِّق فيه مفاصِلُ الْخَزّ
والوُزْقُ في روضِه تنادى ... من ذَلَّ في الحبِّ فهْو قد عَزّ
كذاك قد ذلَّ في الورى مَن ... بغير ربٍّ له تعَزَّزْ
كطالب الصُّوفِ من لئيم ... وهو لجُرْبِ الكلابِ قد جَزّ
وكان من عَزَّ بَزَّ قِدْماً ... واليومَ من بَزَّ فهْو قد عَزّ
وهذه حُلَّةٌ ترقَّبْتْ ... عن نسجِ بُردٍ يرِقُّ أوْ قَزْ
لها على القُطْب دائِراتٌ ... أضحى لها في الحضيضِ مَرْكَزْ

وله في الوزير سنان[1] لما فتح اليمن: [الطويل]

لك الحمدُ يا مولايَ في السِّرِّ والجهرِ ... على عِزَّة الإسلام والفتح والنَّصرِ
كذا فليكُنْ فتحُ البلادِ إذا سعَتْ ... له الهِمَمُ العَلْيا إلَى شرَفِ الذِّكرِ
جنودٌ رمَت من كَوْكَبانٍ خِيامَها ... وآخرُها بالنِّيل من شاطئيْ مِصْرِ
تجرُّ من الأبْطالِ كلَّ غَضَنْفَرٍ ... بصَارمِه يسْطو على مَفْرِق الدهرِ

(١) سنان باشا، الوزير الأعظم، صاحب الآثار الإسلامية، ولي الحكومة في مصر أيام السلطان سليم بن سليمان، انتصر المسلمون تحت قيادته على الفرنج وأخرجوهم من تونس، توفي سنة: ١٠٠٤ . انظر خلاصة الأثر: ٢/ ٢١٤ .

Marfat.com

عساكرُ سلطانِ الزمانِ مَليكِنا ... خليفةِ هذا العصر في البَرِّ والبحرِ
حَمَى حَوْزَةَ الدِّينِ الحَنِيفيِّ بالقَنا ... وبِيضِ المواضِي والمُثَقَّفةِ السُّمْرِ

ومنها:

وحين أتاهُ أنْ قدِ اخْتلَّ جانِباً ... من اليمنِ الأقْصى أصرَّ على القَهْرِ
وساق لها جيشاً خَمِيساً عَرَمْرماً ... يَدُكّ فجاجَ الأرضِ في السَّهْلِ والوَعْرِ
لدى أسدِ شاكِي السِّلاحِ عرينُهُ ... طِوالُ الرِّماحِ السَّمْهَرِية والبُتْرِ
وزيرٌ عظيمُ الشَّانِ ثاقِبُ رأيه ... يُجهِّز في آنٍ جيوشاً من الفِكْرِ

ومنها:

سِنانٌ عزيزُ القدْرِ يوسفُ عصْرِه ... ألمْ تَرَهُ في مصرَ أحكامُه تجرِي

ومنها[1]:

وهل تطمع الأعْداءُ في مُلْكِ تُبَّع ... وتأخذُه من آلِ عثمانَ بالمكْرِ
أبَى اللهُ والإسلامُ والسيفُ والقنا ... وسِرُّ أميرِ المؤمنين أبي بكْرِ

ومن مشهور شعره قوله: [السريع]

الدَّنُّ لي والكاسُ والقَرْقَفُ ... وللفقيه الكُتْبُ والمصحفُ[2]
إن كان ما تُعجِبُه قِسْمتي ... فلْيَقْتسِمْها مثلَ ما يعرِفُ
كم يزْدرِي الكاسَ ويهزُو بها ... يُخْشَى على هذا الفتى يُقْصَفُ
يسُبُّ شُرّابَ الطِّلا عامِداً ... أليس في الحُكّام مَنْ يُنْصِفُ
فأتْرِع الكأسَ على غَيْظِه ... وعاطِنيها أيُّها الأهْيَفُ
وقل هو القطبُ ببَحْرِ الهوى ... قد عام واللهُ به يلْطُفُ

وله أيضاً: [الوافر]

أَحِبَّةَ قلْبي أنتمُ قد ورِثْتُمُ ... مَعِي مَنْهَلَ اللَّذّاتِ وهْو نَمِيرُ
ووالله ما استغْنَيْتُ عنكم بغيرِكمْ ... وإني إليكمْ ما حيِيتُ فقيرُ

وله أيضاً: [المنسرح]

أحسنُ من غَفْلةِ الرَّقيبِ ... ولَحْظَةِ الوعدِ من حبيبِ
وقُبْلةٍ كانت اخْتِلاساً ... في وَجْنَتَيْ شادِنٍ رَبيبِ
كَتْبُ أديبٍ إلى مُجِبٍّ ... طالتْ به مُدّةُ المغِيبِ
تَتْرَكُ مَن سُطِّرَتْ إليه ... أهْيَمَ مِن عاشقٍ طَرُوبِ

---

(١) البيتان في خلاصة الأثر: ٢/ ٢١٥ .
(٢) القَرْقَفُ: الخمر، والماء البارد الصافي.

Marfat.com

وله أيضاً: [الطويل]

بَـدَا عَـرَقٌ فـي خـدِّه فـسـألـتُـه ... إذا ما تَبدَّى قال لي وهْو يَمْزحُ
ألا إنَّ مـاءَ الـورد خـدّي إنـاؤهُ ... وكـلُّ إنـاءٍ بـالـذي فـيـه يـنْـضَـحُ

وهذا مثل أورده المَيْدانيُّ في «أمْثاله»(١)، ولم يزد فيه على قوله: كلُّ إناء يرشَح بما فيه. ويُروَى: ينضح بما فيه. أي يتحَلَّب. انتهى.

وقد سبقه إلى هذا مُجير الدين بن تميم(٢)، كما وقفتُ عليه في «ديوانه» بقوله: [الطويل]

سَقى اللهُ رَوْضاً قد تبدَّى لناظرِي ... بـه رَشَـأٌ كـالـغُـصـنِ يـلْـهُـو ويـمْـرحُ
وقـد نـضَـحـتْ خـدَّاه مـن مـاء وَرْدِه ... وكـلُّ إنـاءٍ بـالـذي فـيـه يـنْـضَـحُ

وعن الشيخ نصر الله بن مُجَلِّي أنه رأى في المنام سيِّدنَا أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهَه ورضي عنه، فقال له: يا أميرَ المؤمنين، تفتحون مكَّة، وتقولون مَن دخل دارَ أبي سُفيان فهو آمن، وقد تمَّ على ولدك الحسين منهم ما تمَّ!

فقال له: أما سمعتَ أبياتَ ابن الصَّيْفيّ، يعني به الحيْصَ بيْصَ(٣)؟

فقلت: لا.

قال: اسْمَعْها منه.

فلما انْتبهت ذهبت إلى دارِه، وذكرتُ له ما رأيتُ في منامي.

فبكى وحلف أنه نظمها في هذه الليلة، ولم يقف عليها سواه، وهي هذه، وأنشدها له: [الطويل]

مَـلـكْـنَـا فـكـان الـعـفـوُ مـنـا سـجـيَّةً ... فـلـمَّـا مَـلـكْـتُـمْ سـال بـالـدَّم أبْـطَـحُ
وحـلَّـلْـتُـمُ قَـتْـلَ الأسـارَى وطَـالَـمَـا ... غَـدَوْنـا عـلى الأسْـرَى نَـمُـنُّ ونـصـفـحُ
وحـسْـبـكـمُ هـذا الـتـفـاوتُ بـيـنـنـا ... وكـلُّ إنـاءٍ بـالـذي فـيـه يـنْـضَـحُ

وقد سبقَهم إلى هذا أبو الفتح كُشاجَم(٤)، فقال: [الطويل]

---

(١) أورده الميداني بلفظ: «كل إناء يرشح بما فيه» ويروى: ينضح بما فيه، أي يتحلّب، برقم: ٣١٥٩، ٢/ ١٦٢.

(٢) محمد بن يعقوب بن علي الإسعردي، مجير الدين بن تميم، سكن حماة، وخدم الملك المنصور، وكان جندياً شجاعاً، كريم الأخلاق، بديع النظم، توفي بحماة سنة: ٦٨٤. انظر فوات الوفيات: ٢/ ٢٧٢.

(٣) هو سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي، أبو الفوارس البغدادي المعروف بحيص بيص، توفي سنة: ٥٧٤، له ديوان شعر، ورسائل في مسائل الخلاف. انظر هدية العارفين: ١/ ٣٨٥، وفوات الوفيات: ٢/ ١٠٦، والقصة والأبيات فيه.

(٤) كشاجم: أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن أسدي بن شاهك الرملي المعروف بكشاجم،=

Marfat.com

ومُسْتهجِنٍ مَدْحي له أن تكُوئِدَتْ لنا عُقدة الإخْلاصِ والحرُّ يُمدَحُ
ويأْبَى الذي في القلبِ إلاَّ تَبَيُّناً وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنْضَحُ

وقلتُ في الهجاء: [الطويل]

فتًى كان مِن قبل الشَّبابِ مُؤاجَراً وقد لاطَ كهلاً وهْو تَيْسٌ سيَنْطَحُ
يبيعُ برأسِ المال في السُّوقِ ما اشْتَرى وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَرْشَحُ

وهذا المثل لم أرَ مَن شرح مَورِدَه ومضربه، وهو يحْتمِل معنيَيْن:

أحدهما، وهو الظّاهر المُتبادِر: أن كلَّ أحدٍ يلوح على ظاهره ما في باطنه، وإن أخفاه؛ كما قيل: مَن أسرَّ سَرِيرةً ردَّأهُ الله برِدائها.

والثاني: أن كلَّ أحدٍ يُجازَى مِن جنسِ عملِه، وهو الذي قصده الحَيْصَ بَيْص.

وقد قلتُ في بعض الفصول:

كلُّ عداوةٍ تزول إلا عداوةَ الحسد، وكل زارع لِمَا زرَع حصَد، وبَيْضةُ ابن دأية[1] النَّعَّاب، وإن جثا عليها طاوُس عَدْنٍ لا تُفْرِخُ إلاَّ الغُراب، وإن كان عُشُّه في سِدْرَةِ المُنْتَهى، وقد غَذَّيْتَها من ثِمَارِ الجَنَّة ومُنْتَهَا.

وفي صحيح الخبر: «النَّاسُ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وإن شَرًّا فَشَرّ».

وقد قيل: [م. الرجز]

مَن قال خيراً فلَه ومَن يقلْ شَرًّا فشَرّ

وقال قَطَرِيُّ الخارِجيّ مُتمثِّلا: قيل للعَقْرب: أنت محبوسة في الشتاء، أفلا تخرجين لمشارقِ الشمس بالغدَوات، كما تخرج الناس؟

فقالت: ما أحسنَ أياديَّ عندهم في الصيف حتى آنس بهم في الشتاء.

ولله دَرُّ أبي القاسم الدَّبُوسِيّ في قوله[2]: [الطويل]

أقول بنُصْحٍ يا ابنَ آدمَ لا تنَمْ عن الخير ما دامتْ فإنَّك عادِمْ
وإنَّ الذي لم يصنعِ العُرْفَ في غِنًى إذا ما عَلاه الفقرُ لاشكَّ نادمْ
فقدِّم صَنيعاً عندَ يُسْرِك واغتنِمْ فأنتَ عليه عند عسرك قادمْ

= الأديب الشاعر، المتوفى سنة: ٣٥٠، له أدب النديم، وخصائص الطرب، وديوان شعره، وكتاب الصبيح، وكتاب المصائد والطرائد. انظر هدية العارفين: ٢/ ٤٠١.

(١) ابن دأية النّعّاب: الغراب.

(٢) علي بن أبي يعلى بن زيد الحسيني، العلوي، الدبوسي، فقيه شافعي، كان إماماً في الفقه والأصول والأدب، توفي ببغداد سنة: ٤٨٢، وهو منسوب إلى الدبوسية وهي بلدة من أعمال الصفد في ما وراء النهر. انظر معجم البلدان: ٢/ ٥٤٨.

Marfat.com

٦٣- جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين

العلامة الإسْفَرَايِنِيّ

فاضلٌ نشَأ بمكَّة بين تِهامة ونَجْد، ورُبِّيَ في حِجْر المعالي والمجد، ففاق طبعُه رِقةً وطِيباً نسيمَ النَّرْجِس والوَرْد.

وخلعتْ عليه الأيامُ جمالَها، وأفاض اللهُ عليه فضْلَها وأفْضالَها.

واللهُ جميلٌ يحبُّ الجمال، والدهرُ قد يُسعِفُه وإن كان عدوًّا لأهل الكمال.

فحاز كرماً ومجدًا، وفاح عَنْبَراً ونَدًّا: [الطويل]

عَطاءٌ ولا مَنٌّ وحُكْمٌ ولا هَوًى ... وحِلْمٌ ولا عجْزٌ وعزٌّ ولا كِبْرُ

وهو في الفضل عِصاميٌّ عريق، وله عَذْبُ مَشْربٍ نشَأ بين العُذَيب والعَقِيق.

وأنا وإن لم أرَه فقد صاحبْتُ أخاه عليًّا، ورأيتهُ وقد رفعه الله مكاناً عَلِيًّا، ففُزْت بصُحْبته وقد طافتْ وُفودُ الآمالِ حولَ كَعْبتِه: [البسيط]

جمالَ ذِي الأرضِ كانوا في الحياةِ وهمْ ... بعدَ الممات جمالُ الكُتْبِ والسِّيَرِ

فمن شعره قولُه: [البسيط]

فِنْجانُ قَهْوَةِ ذَا المليحِ وعيْنُه الْـ ... ـكَحْلاءُ حارت فيهما الألْبابُ

فسَوادُها كسَوادِها وبياضُها ... كبياضِها ودُخانُها الأهْدابُ

قال أبو منصور الْجَوالِيقِيّ في كتاب «المُعرَّب»: الفنجان معرَّب، وصوابه فنْجانة، وفيه نظَر.

وتشبيه الدُّخان بالأهْداب تشبيه بديع.

ومثله في الحُسْن قولُ الصَّنَوْبَرِيِّ: [الرجز]

مُجَمَّرةٌ طاف بها الغِلْمانُ ... أبدَعَ في صَنْعتِها الزَّمانُ

كأنَّها فيما حكَى العَيَانُ ... فَوَّارةٌ وماؤُها دُخانُ

في بِرْكةٍ حَضْباؤُها نِيرانُ ... إذا تَبدَّتْ حَزِن الرَّيْحانُ

وسُرَّتِ الجُيوبُ والأرْدَانُ

وقلتُ فيها، من أرجوزة أيضاً:

لِلَّهِ ما أحْسنَها من مُجمَّرهْ ... أنْفاسُها طَيِّبةٌ مُعَطَّرهْ

كأنَّها ورِيحُها طُيَّابُ ... نَرْجَسَةٌ من فوقِها ضَبابُ

وعلى ذِكْر الأهْداب انْظُر حسنَ قولي، في مليحٍ لبس فَرْوة سَمُّور[1]: [الطويل]

٦٣- لم أعثر على ترجمة له، في هدية العارفين: ٢/ ١٥٣ ترجمة لوالده صدر الدين.

(١) البيتان في نفحة الريحانة: ١/ ٥١٥ .

Marfat.com

وظَبْيٍ مِن السَّمُورِ أُلْبِس فَرْوَةً وماسَ كما هزَّتْ صَبَاً سُحْرةً سَرْوَا
كأنّ عيونَ الناسِ من دَهْشةٍ به تُخلِّف أهْداباً فتحسَبُها فَرْوَا

ولشيخنا العِنايَاتِيّ، من قصيدة: [الخفيف]

قَهْوةٌ لا صُداعَ فيها نَعَمْ فيـ ـها مُزِيلٌ مِن الصُداعِ مُريحُ
صِينَ في الصِّينِ مِسْكُها فحكاها لَعَسٌ في بياضِ ثغْرٍ يلُوحُ
ليلُ وصْل في صُبْحِ لُقْيَا حبيبٍ طاب منها غَبُوقُها والصَّبوحُ

وللأستاذ محمد البَكْرِيّ، أو لمحمد مَامَاي المعروف بالرُّومِيّ: [م. الوافر]

أنا المعشوقةُ السَّمْرَا وأُجْلَى في الفَنَاجِينِ
وعودُ الهِنْدِ لي طِيبٌ وذِكْرِي شاعَ في الصِّينِ

وكتب جمال الدين للقطب المكّيّ، يهنّيه بشهر رمضان: [الرجز]

يا شيخَ أهل العلم في أُمِّ القُرَى رمضانُ هَلَّ ببَهْجةٍ لم تُوصَفِ
فَتَهَنَّ وحدَكَ إن ذاتَك أصبحتْ هي أشرفٌ في أشْرفٍ في أشْرفِ

فأجاب، وأجاد، وأجاز:

يا واحدَ الفُضلاءِ أنتَ جمالُنا فَتَهَنَّ بالشهرِ الشريفِ الأشْرفِ
شِعْرٌ بشِعْرٍ لا رِياً فيه وإن زاد العِيارُ فوزْنُ هذا الأشْرَفِي

الأشْرَفِيّ في العُرْف بمعنى الدِّينار، نسبةً للملك الأشْرف، وتوحيده جرَّته القافيةُ.

ولابن القَيِّم، وقد مدح مَن أجابه، وأجازه: [الطويل]

ولما مدحت الهِبْرِزِيّ بنَ أحمدٍ أجاز وكافَاني على المدْحِ بالمدْحِ
فعوَّضني شِعْراً بِشِعْرٍ وزادني عطاءً فهذا رأسُ مالِي وذَا رِبْحِي
لفظْتُ ملوكَ الأرضِ حتى لقِيتهُ فكنتُ كمَن شقَّ الظلامَ إلى الصُبحِ

وهذا من قول ابن سِنان الخَفَاجِيّ[1]: [الطويل]

طوَيتُ إليك الباخِلينَ كأنّني سَرَيْتُ إلى شمسِ الضُحَى في الغَياهِبِ

ومما يشبه هذا قولُ البَبَّغاء[2]: [الرجز]

زمنُ الوردِ أشرفُ الأزْمانِ وأوانُ الرَّبيعِ خيرُ أوانِ
أدرك النَّرْجِسُ الجَنِيُّ وفُزْنا منهما بالخُدودِ والأجْفانِ
أشرفُ الزَّهْرِ زارَ في أشْرفِ الدّهـ ـرِ فصِلْ فيه أشرفَ الخِلاَّنِ

(١) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، صاحب «سر الفصاحة» شاعر، أديب، تولّى قلعة عزاز من أعمال حلب، مات بها مسموماً سنة: ٤٦٦ . فوات الوفيات: ١/ ٢٣٣ .

(٢) البيغاء: عبد الله بن نصر بن محمد المخزومي، أبو الفرج البغدادي، الشاعر المعروف بالببغاء، توفي في بغداد سنة: ٣٩٨، له ديوان شعر مشهور. انظر هدية العارفين: ٢/ ٦٣٣ .

Marfat.com

ومدح البُحْتُرِيّ طاهرَ بن إسماعيل الهاشِميّ، فبعث له بدنانير، وكتب معها: [الرمل]

لو يكون الحِباءُ حسْبَ الذي أنْـ ... ـت لـدينـا لـه مَـحَـلٌّ وأهـلُ
لَـحُـبِـيـتَ الـلُّـجَـيـنَ والـدُّرَّ والـيـا ... ـقـوتَ حَـثْـواً وكـان ذاكَ يَـقِـلُّ
والشَّريفُ الظريفُ يسمحُ بالعُذْ ... ـرِ إذا قـصَّـر الـصـديـقُ الـمُـقِـلُّ

فردَّها، وكتب إليه: [الرمل]

بـأبِـي أنـتَ أنـتَ لـلـبـرِّ أهـلُ ... والـمساعي بَـعْـدٌ وسَـعْـيُـك قَـبْـلُ
والـنَّـوالُ الـقـلـيـلُ يـكـثُـر إن شـا ... ءَ مُـرجِّـيـك والـكـثـيـرُ يـقِـلُّ
غـيـر أنِّـي رَدَدتُ بِـرَّك إذْ كـا ... نَ رِبـاً مـنـك والـرِّبـا لا يـحِـلُّ
وإذا مـا جـزَيْـتَ شـعـراً بـشِـعـرٍ ... يـبـلُـغُ الـحـقُّ والـدنـانـيـرُ فَـضْـلُ

ومثله قول أبي القاسم الدَّاوُدِيّ: [الرمل]

ربـمـا قـصَّـر الـصـديـقُ الـمُـقِـلُّ ... عـن حـقـوقٍ بـهـنَّ لا يـسْـتـقِـلُّ
ولـئـن قـلَّ نـائـلٌ فـصَـفـاهُ ... فـي وِدادٍ ونِـيَّـةٍ لا يـقِـلُّ
أرْخِ سِـتْـراً عـلـى حَـقـارةِ بِـرِّي ... هَـتْـكُ بـرِّ الـصـديـقِ لـيس يـحِـلُّ

ولْنورد هنا رِبَا الشعر، وما قيل فيه؛ فإن الحديث شُجون.

وقد قال الصَّنَوْبَرِيّ: [الوافر]

لستُ أستحسنُ الرِّبَا في سوى الـ ... ـوُدِّ فأجْزِي مثْلاً بمثلٍ وأُضعِفْ

ولما هنَّأ الشعراءُ ابنَ طاهر بولاية خُرَاسان وأنشده تمَّام بنُ أبي تمام: [السريع]

هـنَّـاك ربُّ الـعـرشِ هـنَّـاكـا ... مـا مِـن جـزيـلِ الـمُـلْـكِ أعْـطـاكَـا
قـرَّتْ بـمـا أُعـطِـيـتَ يـا ذا الـحِـجَـا ... ـوالْـبـاسِ والإنْـعـامِ عـيْـنـاكَـا
أشْـرقـتِ الأرْضُ بـمـا نِـلْـتَـه ... وأوْرَقَ الـعـودُ بـجَـذْواكَـا

استضعف الحاضرون شعرَه، وقالوا: ما أبعدَ ما بينه وبين أبيه.

فأجابه بعضُهم بقوله: [السريع]

حـيَّـاك ربُّ الـنـاسِ حـيَّـاكَـا ... إنَّ الـذي أمَّـلْـتَ أخْـطـاكَـا
مـدحْـتَ خِـذْنـاً مـتـهـمـا مـا لـه ... ولـو رأى مَـذحـاً لـواسـاكَـا
فـهـاكَ إن شـئْـتَ بـهـا مِـذحـةً ... مـثـلَ الـذي أعْـطَـيْـتَ أعْـطـاكَـا

فقال: أعزَّ الله الأميرَ، الشِّعْر بالشِّعر رِباً، فاجعل بينهما مِنَحاً من الدراهم؛ حتى يحِلَّ.

فضحك، وقال: إن لم يكن معه شعرُ أبيه، فمعه ظَرْفُه. وأجزل جائزتَه.

Marfat.com

وقال السِّراج الورَّاق[١]: [الوافر]

وعوَّضَني على شِعْري بشِعْرٍ ... وجازَى بالمُحال على المُحالِ
ولستُ ألومُه فيما أتاهُ ... لِعادتِه قديماً بالبدالِ

وكتب دِعْبِل لأبي دُلَف، وقد انقطع عنه[٢]: [الطويل]

هجَرْتُك لم أهجُرْكَ كُفْرانَ نِعْمةٍ ... وهل يُرْتَجى نَيْلُ الزِّيادَةِ بالكُفْرِ
ولكنني لما أتيْتُك زائراً ... فأفْرَطْتَ في بِرِّي عجزتُ عن الشكرِ
فإن زِدْتني بِرًّا تزايدْتُ جَفْوةً ... فلا نَلتقي طولَ الحياة إلى الحشْرِ

فوجَّه له ألفَ دينار، مع رُقْعةٍ فيها: [الطويل]

ألا رُبَّ ضيفٍ زائرٍ قد بسطْتُه ... وآثرْتُه قبلَ الضِّيافةِ بالبشْرِ
أتاني بترْحيبٍ فما حال بينَه ... وبين القِرَى والبشْرِ من نائلٍ نزْرِ
رأيتُ له فضلاً عليَّ بقَضْدِه ... إلى أن يراني موضعَ الحمدِ والشكرِ
فزوَّدْتُه مالاً يقِلُّ بقَاؤُه ... وزوَّدني حَمْداً يدومُ على الدَّهرِ

فردّ دِعْبل الألفَ، وقال: الشِّعر بالشعر، والبرُّ رِباً.

ومثل قول دِعْبل لأبي العلاء المَعرّيّ: [البسيط]

لو اخْتصَرتُمْ مِن الإحْسانِ زُرْتُكمُ ... فالعَذْبُ يُهْجَرُ للإفْراطِ في الخَصَرِ

وكنت كتبتُ لبعض الناس شعْراً فأجاب عنه بشعْرٍ فكتبتُ له: [الوافر]

فدَيْتُك قد بعثْتُ الشِّعرَ دُرًّا ... نفيساً عِقْدُه مِنَنُ الرِّقابِ
فجئتَ بمثْلِه مِن غير وَزْنٍ ... يُعَفِّر في الوُجوهِ ولا يُحابِي
عملْتَ بسُنَّةِ المختارِ لمَّا ... منَنْتَ به سريعاً في جوابِي
وقلتَ بلا رِباً وفَّيْتُ مَدْحاً ... بِمَدْحٍ منك صِرْتَ به تُرَابِي

٦٤- اخوه علي العِصاميّ

كعبة المعالي، ومَن به حالُ الكمالِ حالِي.

---

(١) السِّراجُ الوَرّاق: عمر بن محمد بن حسن، شاعر مكثر، توفي سنة: ٦٩٥ . انظر فوات الوفيات: ١٠٧/٢، والأعلام ٦٣/١ .

(٢) طبقات الشعراء: ١٧١، وفيها أن الشعر لعلي بن جبلة العكوك، وفيها أبيات أبي دلف.

٦٤- علي بن إسماعيل صدر الدين بن العلامة إبراهيم بن محمد عربشاه الشهير بعصام الدين الإسفراييني، الشافعي، المكي، المشتهر بالعصامي، لم يفتخر بآبائه، ولم يبتهج بنضارة أصله، تولى قضاء الشافعية بمكة، له حاشية على شرح الاستعارات، توفي بمكة سنة: ١٠٠٧ . انظر خلاصة الأثر: ١٤٧/٣ .

Marfat.com

لا عيبَ فيه إلا أن لفظَه عطَّل الياقوتَ والدُّرّ، ولا عيْبَ في نَداه إلا أنه يسْتعبِد كلَّ حُرّ.

فهو غُرّة الجَمال، وصورةُ الكمال.

إذا نطق فما الروضُ زارَه الحَيا، وإذا تهلَّل فما النهر حيَّاه بَرْقُ السَّما.

ولَعَمْرِي إن جَدّه، أسْعَدَ الله بجَمْع شمْلِ الفضائِل جَدَّه: [الرجز]

نـفـسُ عِـصـام سـوَّدتْ عِـصـامَـا وعـلَّـمـتْـه الـكَـرَّ والإقْـدامَـا

وهذا الحفيد عِقْدُ المناصِب به نَضِيد.

لم يفتخرْ بآبائِه، ولم يبْتهِج بنضارةِ أصْلِه ونمائِه، لمَّا اعْتصَم بعُرْوةِ الفضْلِ الوُثْقَى، وصعَد إلى رَبْوةِ المجد وترقَّى، وقال أنا عِصَامِيٌّ لا عِظَامِي، وإن كنتُ لذِمارِ مآثِرِي حامِي.

فألَّف وصنَّفَ، ونوَّع قِرَى الأسْماعِ وأتْحَف.

وأفاد الطُّلاَّب، وحلَّ بأسْنان قلمِه عُقَدَ المُشْكلات الصِّعاب.

وأقام في جوار بيتِ اللهِ وحِمَاه، معتزِلاً عن الناسِ ولا بِدْع أن يعْتزِل جار الله.

وكان ممَّن وَرِيَ به زِنَادِي، ورَوِيَ من وِرْدِه فؤادي.

وسُعِرْتُ بالاسْتفادة منه نارِي، وفُكَّ من رِبْقَة الجهل بفضْلِه إسَارِي.

ولم يزل يُرسل إليّ وُفودَ أخْباره، ويُهدِي نسيم نجْدٍ إلى نَفَحاتِ آثاره.

إلى أن صُمَّ الخَبر، وعمِيَ قائدُ الأثر.

وبيني وبينه مُكاتباتٌ.

منها، ما كتبتُه إليه مع سَمَك:

مولايَ أطالَ اللهُ بقَاك، ورفعك على هام السِّماك.

أُنْهِي إليك، ناثِراً للآلىءِ المَعْذِرة بين يديْك، أني زرتُ البحرَ أخاك، ويدُ الرجاء مُدَّت لمَّا بُهتتْ عيونُ الشِّباك.

فأهدَى إليَّ من المَسرَّة، ما كدتُ معه أضْطادُ حوت السِّماك بِشباك المجرَّة.

وأرسلَ لزيارتي أمواجَه، فأنْساني الدهرَ وخَطْبَة فلا أدْرِي أأعْرَض عنِّي أمْ وَاجَه.

وأهْدَى إليَّ حِيتاناً كأنَّها خناجِر، قطعَتْ من الجوع الغَلاصِم والخناصِر.

فصيَّر جِيدَ أمالي حاليا، وأذْكَرنِي وما كنت نَاسِيا، بحرَ عَطاياك وهو أكْبر، ولكنَّ الشيءَ بالشيءِ يُذْكَر.

Marfat.com

فأرسلتُ وإن كنتُ كمَن أهْدَى للجِنان غَضَّ الزَّهَر، وأرسل الشَّمع للشمسِ والتَّمر لهَجَر[١]: [م. الرجز]

أرسلتُ أسْماكاً إلى مَن مجْدُه حلَّ الفلَكْ
أرأيتَ قبْلي مُهْدِياً أهْدَى إلى البحرِ السَّمكْ

وذكر مرَّة في درسه قولَ الرئيس ابن سِينا في بعض كتبه حديث: إنَّ الحكْمةَ لَتَنْزلُ مِنَ السَّماءِ فلا تَدْخُلُ قَلْباً فِيهِ هَمُّ الْغَدِ.

فقلتُ: إنه لم يُسْنِده، وهو بكلام النُّبوَّة أشْبَه.

وقد نظمْتُه، فقلتُ[٢]: [السريع]

مَن يَترك الدُّنيَا يسُدْ أهْلَها ويقْتطِفْ زَهْرَتها باليَدِ
لا تسكنُ التَّقْوَى ولا حِكْمةٌ منْزلَ قلبٍ فيه هَمُّ الْغَدِ

وللإمام الشَّافِعيّ رضي الله عنه قريبٌ منه: [البسيط]

كم ضاحكٍ والمنايا فوق هامتِه لوْ كان يعلم غَيْباً مات مِن كَمَدِ
مَن كان لم يُؤْتَ عِلْماً في بقاءِ غدٍ ماذا تفكُرُه في رِزْقِ بعد غدِ[٣]

٦٥- أحمد المدَنيّ، المعروف باليُتَيْم، مصغَّرا

دُرٌّ في حِقاقِ الدهر يَتيم، ودَوْحةُ أدبٍ هزَّها مُرورُ النسيم.

بعذْبِ طبعٍ مُسَلْسَل، وبُرْدِ فصاحةٍ على الشِّعر مُهَلْهَل، إذا نَسَج حُلَله على مِنوالِها فهو من الطِّرازِ الأوَّل.

فهو تَوْءَم نسيم السَّحَر، وشقيقُ الماءِ والزَّهر.

وربيبُ الحسن سَقاهُ ماءُ الصِّبا، وخِدْنُ الخمائِل قدِمَ عليها رسولُ الصَّبا.

مع خلاعةٍ ومُجون، وحديثِ صَبابةٍ كلها شُجون.

في فتيةٍ ينْظِمُهم الطَّرَب، نظْماً يرْقُص له الحَبَب: [البسيط]

لا يُجْمِعون على غير الحرام إذا تجمَّعُوا كحَبابِ الرَّاح وانْتَظَمُوا

فمن دُرِّه اليتيم، وعِقْده النَّظيم: [الكامل]

للَّهِ مُحكم قهوةٍ تُجْلَى لنا في أبْيضِ الصِّينيّ طاب شَرابُها

---

(١) في مجمع الأمثال للميداني: «كمستبضع التمر إلى هجر» ٢/ ١٥٢، برقم (٣٠٨٠).
(٢) خلاصة الأثر: ٣/ ١٤٨ .
(٣) خلاصة الأثر: ٣/ ١٤٨ .
٦٥- لم أعثر له على ترجمة.

Marfat.com

فكأنما هي مُقْلةٌ مكْحولةٌ ودُخانُها مِن فوقها أهْدَابُهَا

ونحوه ما قلتُه: [الخفيف]

زرتُ روضَ الحمى الأريض سُحَيْراً إذْ دعانِي إليه سَجْعُ الطُّيورِ
وكأن الشَّقيقَ تحت ضَبابٍ مِجْمَرٌ فوقه بُخارُ البَخُورِ

وقد مرَّ قريباً نحوُه.

٦٦- سراج الدين بن عمر الأشْهل المدَنيّ

سِراجٌ وهَّاجٌ أشرقتْ منه أنوارُ الفصاحة، وانْجَلتْ أبكارُ أفكارِه في حُلَل الملاحة.

حديقةُ سِخر، وحُقَّةُ شِخر.

تَقْطُر منه مِياهُ اللُّطْفِ الجارية، وتجْرِي برِقَّة الحجاز وظَرْف العِراق وجَزالة البادية.

ولم يزلْ مقيماً بجوار الرَّسول عليه أشرفُ تحيَّة، حتى أطفأ سِراجَه صَرْصَرُ المنيَّة.

فمن شعره قوله: [المنسرح]

أرسلتُ رُسْلِي لقهْوةٍ سَحَرَا فما أتَوْا سُرْعةً من الكسَلِ
فقيل صِفْها فقلتُ مُقتَبِساً جاءتْ على فتْرةٍ من الرُّسُلِ

وله أيضا: [م. الرمل]

ما الحالُ قالوا صِفْ لنا فلعلَّ ما بِكَ أن يُزَاحْ
فأجبتُ ما يَخْفاكُمُ حالُ السِّراجِ مع الرياحْ

وقد سبقَه لمثْله، في كثيرٍ من شعرِه السِّراجُ الورَّاقُ.

فمن محاسنه قوله[1]: [المتقارب]

بُنَيَّ اقْتدَى بالكتابِ العزيزِ فزدتُ سُروراً وزاد ابْتِهاجَا
فما قال لي أُفٌّ في عُمْرِه لِكَوْنِي أباً ولكَوْنِي سِراجَا

وله أيضا: [الطويل]

إلهِيَ قد جاوزتُ سَبْعينَ حِجَّةً فشُكْراً لنَعْماكَ التي ليس تُكْفَرُ
وعمَّرتُ في الإسلام فازْدَدْتُ بَهْجةً ونُوراً كذا يبدُو السِّراجُ المُعَمَّرُ
وعمَّمَ نورُ الشيْبِ رأسِي فسرَّنِي وما ساءَني أن السِّراجَ مُنَوَّرُ

وللسِّراج الورَّاق أيضا: [المنسرح]

٦٦- لم أعثر له على ترجمة.

(١) البيتان في فوات الوفيات: ٢/١٠٨ .

Marfat.com

كـم قـطـع الـجـودُ مـن لـسـانٍ قـلَّـد مـن نَـظْـمِـه الـنُّـحـورَا
فـهـا أنـا شـاعـرٌ سِـراجٌ فـاقْـطَـعْ لِـسـانِـي أزِذْكَ نُـورَا

وللشعراءِ المتأخِّرين كثيرُ أشعارٍ، تتعلَّق بأسمائهم، وقد نحوتُ نحوَهم لمَّا قلتُ[1]: [الكامل]

قـالـوا نَـراك سـقـطْـتَ مـن رُتَـبٍ أتـرى الـزَّمـانَ بـمـثْـلِ ذا غَـلِـطَـا
قـلـتُ الـشَّـيـاطـيـنُ الـلِّـئـامُ عَـلَـوْا ولـذا الـشِّـهـابُ مِـن الـعُـلا سـقَـطَـا

٦٧، ٦٨- عبد الرحمن، وعلي ابنا كثير المكِّيَّان

أديبان هما في وجهِ الكمال غُرَّة، وجَوادان سماءُ كرَمِهما للعافِين ثَرَّة.

امْتَطيا ظهْرَ المجد، ونزلا بطْنَ تِهامةَ وظهْرَ نَجْد.

بهِمّة إذا غزَتْها النَّوائب، كانت عن حَدِّ المُرْهَفات نوائِب.

الْتجآ في الدولة الحَسَنِيَّة إلى طِراز الدُّوَل، وأوَيا لها حيث لا عاصِمَ من طُوفان الخُطوب إلاَّ ذلك الجبَل.

فأصبحتْ يدُ الجود لأسْباب الغنَى رابِطة، ونُظِمتْ عقودُ الكرَم في جِيد أملِهما بلا وَاسِطة، ففي تلك الأكُفّ بِحارٌ تَغْرَق فيها الآمال، ويرشَح من عرَقِ الخجلِ لها جَبينُ السَّحاب الهَطّال.

من كل مَن مسَحَتْ راحةُ إحسانِه، قذَى الفقرِ عن عَيْنِ زمانِه.

فنادى لسانُ العيَان، قد وضَح الصُّبْح لمن له عَيْنان.

فمما أنشد لعبد الرحمن قوله: [الوافر]

كـبـارُ زمـانِـنـا أضْـحَـوْا صِـغـاراً وقـد غـضِـب الـزمـانُ عـلـى الـكـبـارِ
كـأنَّ زمـانَـنـا مـن قـومِ لُـوطٍ لـه وَلَـعٌ بـتـقْـديـمِ الـصِّـغـارِ

وفي معناه قول المِعْمار[2]: [السريع]

أيْـرِي مُـغْـرًى بـالـلِّـواطِ الـذي يـقـبـحُ لاسِـيَّـمـا عـلـى مـثْـلِـهْ
أوقَـفَ حـالـي لا تـسَـلْ مـا جـرَى وصـرتُ خـلْـفَ الـنـاس مـن أجْـلِـهْ

وقلت: [الكامل]

وزمـانٌ فـيـه الـصَّـغـيـرُ يُـقـدَّمْ أتُـراهُ لـذلـك الـذَّنْـبِ يـنْـدَمْ

---

(١) البيتان في فوات الوفيات: ٢/١٠٨، ونفحة الريحانة: ٢/٣٤٣ .
٦٧، ٦٨- لم أعثر لهما على ترجمة.
(٢) المعمار هو: أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الأسدي البغدادي، جلال الدين، كاتب، شاعر، أديب، فيلسوف، توفي بالحلة سنة: ٩٤٢ . انظر الأعلام: ٢/١٩٨ .

Marfat.com

لـعَـن الـلـهُ قـومَ لُـوطٍ فـهُـمْ قـدْ عـلَّـمـوهُ الـتَّـقْـديـمَ حـتَّـى تـقـدَّمْ

وقلتُ أيضا، وهو أحسن مما تقدَّم: [الطويل]

أقول لـهـذا الـدَّهْـرِ عَـتْـباً عـلـى م لا تُـقـدِّمُ مَـن قـد قـدَّمَـتْـهُ الـورَى حـقـا

فـهـمَّ بـتـقْـديـمِ الـمُـقـدَّم تَـوْبـة فـكـان الـذي قـد رامَ تـقْـديـمه عِـلْـقَـا

ومما أنشدته لعليّ بن كَثِير قوله: [المتقارب]

صـحِـبـتُ الأنـامَ فـألـفـيْـتُـهـمْ وكـلٌّ يـمـيـل إلـى شَـهْـوتِـهْ

وكـلٌّ يُـريـدُ رِضَـى نـفْـسِـه ويـجـلِـبُ نـاراً إلـى بُـرْمَـتِـهْ

فـلِـلَّـهِ دَرُّ فَـتًـى عـارفٍ يُـدَارِي الـزمـانَ عـلـى فِـطْـنـتِـهْ

يُـجـازِي الـصَّـديـقَ بـإحْـسـانِـه ويُـبْـقِـي الـعـدوَّ إلـى قُـدْرَتِـهْ

ويـلـبَـسُ لـلـدهـرِ أثْـوابَـهُ ويـرقـصُ لـلْـقِـرْد فـي دَوْلَـتِـهْ

وقوله: «يجلب ناراً إلى بُرْمَته» البرمة: قِدر من حجارة، بلُغة أهل مكَّة.

هذا المثل كقولهم في مثل آخر: «كلٌّ يحطِب في حبْلِه، ويجرُّ النارَ لِقُرْصِه»[1] أي رغيفِه.

وما أحسن قوله أيضا: [السريع]

ويـوم قَـرٍّ زاد أزيـاحُـه يـخْـمِـشُ الأبْـدانَ مـن قَـرْصِـهَـا

يـومٌ تَـوَدُّ الـشـمـسُ مـن بَـرْدِهِ لـو جـرَّت الـنـارَ إلـى قُـرْصِـهَـا

وفي معنى قوله: «ويرقص للقرد» إلخ، قولُ الأهْوازِيّ: [م. الرمل]

قُـلْ لـمـن لامَ لا تـلُـمْـنِـي كـلُّ امْـرِىءٍ عـالـمٌ بـشَـانِـهْ

لا ذنْـبَ فـيـمـا فـعـلـتُ إنـي رقـصْـتُ لـلـقـرْدِ فـي زمـانِـهْ

مـن كـرَمِ الـنـفـسِ أن تـرَاهـا تـخْـتـمِـل الـذُّلَّ فـي أوَانِـهْ

ولأبي تمَّام: [م. الرمل]

لابُـدَّ يـا نـفـسُ مِـن سُـجـودِ فـي زَمـنِ الـقِـرْدِ لـلـقُـرودِ

وتقدُّم الصغار داءٌ قديم، ممَّ ابْتُلِيَ به الثَّعالِبيُّ، وقد اشْتكاه بقوله، في قصيدة له: [الوافر]

لـكَ الـدُّنـيَـا ومـا فـيـهـا بِـلادٌ تُـلاحِـظُـهـا بـعَـيْـنَـيْـك احْـتِـقـارَا

تَـكَـبَّـر ذا الـزَّمـانُ عـلـى بَـنِـيـهِ فـعِـشْ حـتـى تُـعـلِّـمَـه الـصَّـغَـارَا

وصـار صِـغـارُهـمْ فـيـه كِـبـاراً فـدُمْ حـتـى تَـرُدَّهُـمُ صِـغـارَا

خدمْتُ لك الملوكَ أَرُوضُ نفْسِي لآمَـنَ تـحـت خِـدْمـتِـك الـعَـثـارَا

(١) مجمع الأمثال للميداني: ٢/ ١٧١ .

Marfat.com

ولـو كـانـتْ لـنـا الـدُّنْـيـا جـعـلْـنَـا لـك الـدُّنْـيـا ومـا فـيـهـا نِـثـارَا

٦٩- محمد بن أبي الْخَيْر ابن العلامة ابن حَجَر الهَيْتَمِيّ المَكِّيُّ منشأ وموطنا

بليغٌ عَذْب البَيان، نجيبٌ سَبْطُ البَنان، طويلُ النِّجاد وسيف اللِّسان.

رأيتُه وأنا بِالحجاز، وليس بينه وبين الكمال حِجاز.

وأنشدني له شعراً من خَيْر الأُمور، وقد يقع ما يجلُو طَيْفَ السُّرور.

إلا أنَّ أكثرَه في الأهاجِي، ومنه ما هو في المُعَمَّياتِ والأحَاجِي.

فممّا أنشدني له قوله: [السريع]

يـا ذَا الـذي مِـن خـالِـه حَـبَّـةٌ سَـوْداءُ فـي الـخـدِّ الـشَّـديـدِ الـصَّـفـا
دَعْـنِـي أُقَـبِّـلْـهـا تُـزيـلُ الـضَّـنَـى فـالـحَـبَّـةُ الـسَّـوداءُ فـيـهـا الـشِّـفـا

وله في مليح اسمه عليّ: [م. الكامل]

لِـعَـلِـيٍّ مـحـاسِـنٌ مـا لـهـا قَـطُّ مُـشْـبِـهُ
وبِـشَـامـاتِ خـدِّهِ كـرَّم الـلـهُ وَجْـهَـهُ

والدعاء بـ «كرَّم الله وجهه» مختَصٌّ بالإمام عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه في لِسان الناس؛ لأنه أسلَم صبيًّا، ولم يسجُد لغير الله، وقد روَى الشِّيعة فيه أثراً، وهو أن أُمَّه، رضي الله عنه، وهي حامل به، كانت إذا جاءت لصَنم أحسَّت بتحويلِ وجهه عنه في بطنها.

ولم نَرَ فيه نقْلاً لغيرهم. انتهى.

٧٠- العلامة شِهاب الدين أحمد بن حَجَر الهَيْتَمِيّ نزيلُ مكّة، شرّفها الله

علامة الدَّهر خصوصا الحِجاز، فإذا نُشِرتْ حُلَل الفضل فهو طِراز الطِّراز.

فكم حجَّتْ وفودُ الفُضلاءِ لكَعْبتِه، وتوجَّهت وُجوهُ الطُّلَب إلى قِبلتِه.

٦٩- لم أعثر على ترجمة له.

٧٠- أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حجر، الهيتمي، السعدي، الأنصاري، ولد سنة: ٩٠٩، ودرس بالجامع الأحمدي في طنطا وفي جامع الأزهر، تولى التدريس والإفتاء وعمره دون العشرين، برع في التفسير والحديث والفقه وعلوم العربية والتصوف، أقام أواخر حياته بمكة وتوفي فيها سنة: ٩٧٣ . انظر شذرات الذهب: ٨/ ٣٧٠، ونفحة الريحانة: ٣/ ٣٠٨ .

Marfat.com

إن حدّث عن الفقْهِ والحديث، لم تَتقرَّط الآذانُ بمثل أخباره في القديم والحديث.
فهو العَلْياء والسَّنَد، ومن تَفُكُّ سِهامُ أفكارِه الزَّرَد.
تآليفُه غُرَرٌ مُنِيرات، أضاءتْ في وُجوه دُهْمِ المشكلات.
فكم أغْنَى بتُحَف أفكارِه مُحْتاجا، وأوضح للإرْشادِ مِنْهاجا.
وكفَّ المُبْتدِعة «بالصَّواعِقِ»(١) و«الزَّواجر»(٢)، وفاق بأقوالِه المعتمَدة الأوَّلَ والآخِر.
وَلُود اللَّيالي عن مثلِه عَقيم، ودِرْياق نَفثات طبعِه السَّليم شِفاءُ كلِّ سَقيم.
نُشِرتْ على الدنيا خِلَعُ الفرَح، وتزيَّنتْ ببديع صفاتِه المِدَح.
أقلامُ فَتاواه مفاتيحُ ما أُرْتِج مِن المسائل المُشْكلة، والعلمُ بابٌ مُقْفَلٌ مفتاحُه المسألة.
وهو مِن أجلِّ مشايخِ والدي، الذي ورِثْتُ من عِلمِه طَرِيفي وتالدِي.
رحمه الله تعالى.

٧١- علاء الدين بن عبد الباقي

صاحب كتاب «الطِّراز المنقوش، في محاسِن الحبوش».
رأيتُه فرأيت منه عَذْبَ بيانٍ بديع، في صورة أديبٍ خليع.
ورأيت كتابَه هذا وهو في وجْهِ أدبِه شامَة، وعَيْناً في مُحيَّا عمرِه نظَر به الدهرَ وشامَه.
وله ربيعُ أدبٍ وَرِيق، وسُلافة خَلاعةٍ نَقْلُها قُبَلٌ وَرِيق.
وأنشدني من شعره، طرَفاً لم يتعطَّر كتابي بنَشْره.
وكتاب ابن الجَوْزِي في معناه، فاحَ من مِسْك مِدادِه عَرْفُ طِيبِهِ وشَذاه: [السريع]

مُصوَّرٌ مِن حَدَقِ الحِسانِ ... مُركَّبٌ من مُلَحِ الخِلانِ
كأنَّه في ناظرِ الزَّمانِ ... إنسانُ عينِ الحسنِ والإحسانِ

٧٢- القاضي حسين المالِكِيّ المَكِّيّ

سماءُ سحائبِ الكرَم، وصائدُ قَنَص المعالِي في حِمَى الحَرَم.

---

(١) إشارة إلى كتابه: «الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة».
(٢) إشارة إلى كتابه: «الزواجر عن اقتراف الكبائر».
٧١- لم أعثر على ترجمة له.
٧٢- لم أعثر على ترجمة له.

Marfat.com

إذا نُشِرتْ صحفُ نَداه طُوِيَ ذكْرُ حاتمِ طَيّ، أو رُفِعتْ راياتُ عُلاه فليس غيرُ السُّؤْدُدِ فَيّ.

أو ذُكِر الكرامُ فهم له خدَم، أو أينعتْ رياضٌ مُحَبَّرة دارتْ أنهارُ جودِه حولَها خدم.

ذو هِمَّة نظَمتْ راحتُها عِقْدَ الكرام، وبدَّدتْ ما تجمَّعَ من خُطوب الأيام.

بطبعٍ ألذَّ من محادثةِ الحبيب، وأعذبَ من مُفاكهةِ الصديق الأرِيب.

وغُرَّةٍ أشهرَ من مثَل، وعن الملوك فلا تسَل.

شريفُ النَّسب، سَرِيُّ الحسَب.

إذا أخصَبتْ بماء النَّدى عذَباتُه الخُضْر، أجدبَتْ ساحتُه من الحُمْرِ والصُّفْر: [الرجز]

إن قال يا عَنْبَرُ جاء الشذا أو قال يا ياقوتُ جاء الذَّهبْ

يُشرِقُ نورُ النُّبوَّة من بارِق أسِرَّته، وتطلع بدورُ الهدى من هالةِ أسرَّته.

ثم لم تزل السُّعود في خِدْمتِه قائمة، وعيونُ النوائبِ عن معالِيه نائِمة.

راقياً من مطالِع الكمال أوْجَها، بمُحَيًّا يفيضُ سَناً من بُدور التَّمّ أوْجَهَا.

إلى أن تولَّى قضاءَ طَيْبَةَ الطَّيِّبة، وأمستْ خِيامُ سَعْدِه على هام الفلَك مُطنِّبة.

فبَدا مِحَاقُ بدرِه، وخُتِمتْ بيد القضاءِ صُحفُ عُمْرِه.

ويقال: إنه هبَّتْ عليه شَعوبُ بعواصفِ السَّموم، وجرَّعه ساقي أجلِه كأسَ السُّموم.

وكان في شَرْخ شبِيبتِه، وإقْبال رايةِ طليعتِه، في خُمولٍ يُرِي الدهرَ الصَّبرَ كيف يكون، ويعِزُّ والخُطوب عليه تَهُون: [الكامل]

هِمَمُ الفتى في الأرضِ أغْصانُ الغِنَى أبداً وليستْ كلَّ حينٍ تُورِقُ

٧٢- شيخنا العلامة عليُّ بن جَار الله

المَكِّيّ، الحنَفِيّ، الخطيب، مفتي الحرمين الشَّريفين

خطيبٌ مِصْقَع، لفظُه بالفصاحةِ مُوَشًّى مُوشَّع.

٧٣- القاضي علي بن جار الله بن محمد بن أبي بكر بن علي، المخزومي، القرشي، الظهيري، الحنفي، مفتي مكة، الشهير بابن ظهيرة، كان المفتي والخطيب في الحرم المكي، له آثار بديعة، اشتغل بالعلم وحظي منه على أوفر نصيب، وانتفع به جماعة من الكبار، توفي في مكة بعد أن كفّ بصره وتجاوز التسعين سنة: ١٠١٠ . انظر خلاصة الأثر: ٣/ ١٥٠، له: تذكرة الظهيرية، وحاشية على شرح إيساغوجي، وحاشية على شرح التوضيح، وديوان شعر، وفتاوى الظهيرية. هدية العارفين: ١/ ٧٥١ .

Marfat.com

إذا انْحدَر من تَلْعتِه ماءُ بلاغتِه، وسال ببَطْحاء أُمِّ القرَى سَلْسَال براعتِه، شهد بفضْله الناسُ من فاجرٍ وبَرّ، وكاد يخْضرُّ تحته أعوادُ كل مِنْبر: [الطويل]

فتهْتزُّ أعوادُ المنابرِ باسْمِه فهل ذكرَتْ أيَّامَها وهْيَ أغْصانُ

فعطَّر المحافِل طِيبًا، فلا ندرِي أضمَّخ طيباً أم ضمَّ خطِيبًا.

رأيتُه وقد طَعن في السِّنّ وليس له غير العصَا قَنَا، وقد رَقِيَ شرَفَ السَّبعين وهي سُلم الفَنَا.

وهو ينشرُ في نادِيه حِبَرَ الربيع الأثِيث، وتُرفَع له الفَتاوَى في عضْرِه وأسانيدُ الحديث.

ووردْتُ مَنْهَلَ إفادتِه رائِقاً، وأخذتُ من إجازاتِه ما صرْتُ به على الأقْرانِ فائِقَا.

وهو في مذهب النُّعمان لِشيْخِنا المَقْدِسِيّ[1] شَقِيق، وأمُّ القُرَى لم تلدْ مثلَه من نجيبٍ عريق.

٧٤- علي الكيزواني المغربي

نزيل مكَّة المشرَّفة

صُوفيٌّ أقام بمكَّةَ لابساً بُرْدَ التقى، حتى أحرمَ وتجرَّد من لِباس البَقَا.

وله شعر على طريقة أرْباب الحقيقة.

كقوله: [الكامل]

رقَّ الشرابُ ورَقَّتِ الكاساتُ وتشابَها فأضاءتِ المِشْكاةُ

اشرَبْ هنِيئاً إن فهِمْتَ حديثَنا أنتَ الكليمُ وذاتُك المِيقاتُ

وهو كقول الصّاحب ابن عبّاد[2]: [الكامل]

رَقَّ الزجاجُ وراقتِ الخمرُ وتشابَها فتشاكلَ الأمْرُ

فكأنَّما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنَّما قدَحٌ ولا خَمْرُ

---

(١) المقدسي: نور الدين علي بن محمد بن علي الخزرجي المقدسي، من علماء الحنفية في عصره، وستأتي ترجمته في قسم مصر.

٧٤- قطب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الحموي الشافعي، المعروف بالكيزواني، نسبة إلى «كازو» وكان يقول: «أنا المكي زواني»، ولد سنة: ٨٨١، وتوفي سنة: ٩٥٥، صنّف: آداب الأقطاب، وتنبيه الطالبين على مقاصد العارفين، وكشف القناع عن وجه السماع، وكنز الدواني... وغيرهم. انظر هدية العارفين: ١/ ٧٤٥.

(٢) ديوانه: ١٧٦.

Marfat.com

٧٥- معين الدين بن البكَّاء

نزيل مكَّة المكرَّمة المُعظَّمة، شرّفها الله

نديمٌ دَمِث الأخْلاق، مُتوشِّحٌ ببرُودٍ لُطْفُ حواشِيها رِقاق.

فهو للأدباءِ صَدْر، ونادِيه مثلُه واسعُ الصَّدر.

نبتَتْ دوحتُه في رِياض الحسَب، فاجْتَنى منها زَهرةَ الحياة وفواكهَ الأدَب.

وله من طِيب الأنْفاس، ما تسكَر منه الحُميَّا والْكَاس، ممَّا هو أحْلَى من ثَمراتِ الأمانِي غِبَّ مَرارةِ الْيَاس.

وهو ممَّن ساجلْتُه وأنا للأدبِ مُمْتاح، ونادَمْتُه والعمرُ مُورِقٌ بالمَسرَّة مُثْمِرٌ بالنَّجاح: [الطويل]

لياليَ أعطيْتُ البَطالةَ مِقْوَدِي تَمُرُّ اللَّيالي والشهورُ ولا أدْرِي

وكان بعد ما وقع له بالرُّوم هاجَر لبني حسن، وأقام في ظِلِّهم بمكة مُؤتلِفاً بهم ائتلافَ المُقْلة بالوَسَن.

فأينعتْ زَهْرتُه بعد الذُّبول، وسقاه صَيِّبُ كرمِهِمْ وهبَّتْ له نسماتُ القبول.

فلما تُوُفِّي السيدُ مسعود، تبدَّل بالنَّحس السُّعود.

فجدَّد ديباجتَه وارْتحل، عملاً بقولهم: إذا نَبَا بك منْزلٌ فتحوَّل.

ولأمْرٍ ما ثَنَى القِرْنُ عِطْفَه، وجدَع قَصِيرٌ أنْفَه[1].

وكانت أيامُه غَضَّةً نَضِرة، تكاد في عصْرِه تقطُر منها مياهُ المسرَّة.

وكان في جَمْع المعارف والنَّوادر ممَّن لم يَرَ الدهرُ نَظيرَه، ولم يطِنَّ[2] على سمعِه حديثٌ كأحاديثِه النَّضيرة.

فهو ذُكاء الفلك[3]، وما هو بشَرٌ بل مَلَك.

فمما ترشَّح من قطَراتِه، وجرى في المسامع من عذْبِ كلماتِه، قوله[4]: [المديد]

٧٥- معين الدين بن أحمد البلخي الأصل، المصري المولد والمنشأ، الشهير بابن البكّاء، سافر إلى مكة ثم المدينة وسكن بها إلى وفاته سنة: ١٠٤٠، له رساة المعمى. انظر هدية العارفين: ٢/٤٦٧، وخلاصة الأثر: ٤/٤٠٦ .

(١) مجمع الأمثال للميداني: ١/٢٢٣، برقم: ١٢٥٠ .

(٢) طنَّ: صَوَّتَ.

(٣) ذُكَاء: اسم علم للشمس.

(٤) خلاصة الأثر: ٤/٤٠٦، والبيت الثاني هنا، ترتيبه الرابع في الخلاصة وهو كما يلي:

فبحق الودّ إلاّ صُنْتَهُ لحقيرٍ روحه قد شُعِرتْ

Marfat.com

يـا شـقـيـقَ الـروح والـجـسـم ويـا ... دَوْحـةً بـالـوُدِّ فـضْـلاً أثْـمَـرتْ
بـحـيـاةِ الـوُدِّ إلاَّ صُـنْـتَـه ... لِـمُـحِـبٍّ روحُـه قـد سُـعِّـرتْ
كـنـتُ لا أخْـشـى حـسـوداً لا ولا ... عـيـنَ واشٍ إنْ بـسُـوءٍ نـظـرَتْ
وأرى الـوُدَّ وهَـي بُـنْـيـانُـه ... مـا كـأنَّ الـعـيـنَ إلا أثَّـرتْ

ومن شعره تذْييل لبيت القاضي الفاضل[1]: [الطويل]

تـراءتْ ومـرآةُ الـسـمـاءِ صَـقِـيـلـةٌ ... فـأثَّـر فـيـهـا وجـهُـهـا صـورةَ الـبـدرِ
ولاحتْ عـلـيـهـا حَـلْـيُـهـا وعُـقـودُهـا ... فـأثَّـر فـيـهـا صـورةَ الأنـجـم الـزُّهْـرِ

وله أيضا[2]: [الكامل]

حـاذِرْ زُوَيْـلـةَ أن تـمـرَّ بـبـابـهـا ... وطـعـامَـهـا كُـنْ آيـسـاً مـن خـيْـرِه[3]
فـمُـوسَّـط الـقـتْـلـى يـقـول بـهـا انـظُـروا ... مَـن لـم يـمُـتْ بـالـسـيـفِ مـات بـغـيْـرِه

وهو تضمين لقول ابن نُباتة السَّعْديّ من قصيدة: [الكامل]

ومَـن لـم يـمُـتْ بـالـسـيـف مـات بـغـيـره ... تـعـدّدتِ الأسـبـابُ والـداءُ واحـدُ

ومن شعره قوله في تقْسيم الأيام[4]: [البسيط]

الـدهـرُ أربـعـةٌ أيـامُـهُ انـحـصَـرتْ ... صَـحْـوٌ وغَـيْـمٌ ورِيـحٌ ثـم أمـطـارُ
فـالـصـحـوُ ظَـرْف لإصْـلاح المآرِبِ إذْ ... تُـقْـضَـى مـن الـصَّـيْـد يـومَ الـغـيْـمِ أوْطـارُ
ويـومُ ريـح لـنَـوْمٍ لا حَـراك بـه ... ويـومُ هَـطْـلِ الـسَّـمـا لـلـكـأسِ مِـذرارُ
والـيـومَ قـدْ نُـثـرتْ دُرًّا سـحـائـبُـه ... عـلَـى بِـسـاطِ رُبـاً يـكْـسـوه أزْهـارُ
فـبـادِرِ الـكـأسَ يـا بـدرَ الـزمـان فـمِـنْ ... ضَـيـاءِ وجْـهِـك لا فـي الأُفْـقِ أقـمـارُ

٧٦- العلّامة عبد الرحمن الخِيَارِيّ

نزيل المدينة المنوَّرة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

فاضلٌ إذا جُمِعت الفضائلُ فهو مُنتَهى الجُموع، وكاملٌ كمالُه كثَمَر الجنَّة غير مقْطوع ولا مَمْنوع.

---

(١) خلاصة الأثر: ٤/٤٠٦ .
(٢) خلاصة الأثر: ٤/٤٠٧ .
(٣) زُوَيْلَةُ: قال المحبي: «زويلة مُصَغّرة: محلة بمصر، كباب زويلة، ووجه تسميتها يعرف من الخطط، وتواريخ مصر».
(٤) خلاصة الأثر: ٤/٤٠٧ .
٧٦- عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري، الشافعي، نزيل المدينة المنورة وخطيبها ومحدثها الجليل الشأن/ المشهور في الآفاق، أخذ عن علماء مصر، وتصدّر للإقراء في الأزهر، وأخذ عنه كثيرون، هاجر إلى المدينةالمنورة سنة: ١٠٢٩، وانتفع أهلها به، توفي سنة: ١٠٥٦ . انظر خلاصة الأثر: ٢/٣٦٧ .

Marfat.com

لمَّا رأى الوقتَ سيفاً لا يقطَعُ إلاّ الأعمار، وأن المرءَ قبل فَوْتِ الفرصة على أيامِه بالخِيار، لم يَمْضِ له وقتٌ في غير العبادة، ولا ساعةٌ في غير الاسْتفادة والإفادة.

بوجهس أبْلجَ وضّاح، يلوح من غرّته نورُ السَّداد والصَّلاح.

كأنَّ اللهَ جمع له المناقبَ فاختارَ منها وانْتَقَى، ورأى أن أحْسنها وأكرمها التُّقَى.

وآثارُ أقلامه يحسدها الحورُ واللَّمَا، ويعرق خجلاً منها خدُّ الرَّوْض بالنَّدى: [البسيط]

أبْدى صنيعُك تقْصيرَ الزمانِ ففي ... خدِّ الربيعِ طلوعُ الوردِ من خجلِ

وكان في زمن الطَّلب، ومنافسة إخواني أُولي الأدب، صديقَ روحي وشقيقَها، ورَيْحانَ مَسرَّتِي وشقيقَها.

وعودُ الزمان خَضْرٌ وَرِيق، ووجهُ بِشْره بسَّامٌ طَلِيق.

ولما رأى أنَّ اللهَ أوصى بالجار، رحل لطَيْبَةَ الطيِّبة وسكن في جِوار النبيِّ المختار.

فدخل رَوْضةً من رِياض الجنة في حياتِه، وإذا أنعم اللهُ على عبدٍ حَباه بِنعْمةٍ لا يسلُبها منه بعد مماتِه.

فكتبتُ له مُتشوِّقا للقائِه، ومُلتمِساً صالحَ دُعائه[1]: [المديد]

يا نسيماً من نحو طَيْبةَ سارِي ... مُهْدِياً عِطْرَ نَدْها والعَرارِ

مُزْرِياً نَشْرُه بعنْبرِ شِحْرٍ ... في حشا جَوْنَةِ الفتَى العطَّارِ

خُذْ فؤادي فذاك مَجْمَرُ شوْقٍ ... وغرامٌ بمُضْمَر الوجْد وارِي

مُوقداً فيه عنْبراً من مديحي ... لحبيبِ المُهيْمِن المُختارِ

لمقامٍ بمُقْتضاه بليغٍ ... لا يُوفَّى بلاغة الأشْرارِ

وفصيحٍ فصاحةُ اللفْظِ فيه ... زادَ حُسْناً بكَثْرةِ التِّكْرارِ

ولمَن في ذُراهُ مِن كلِّ جارٍ ... حاز حِفْظاً لعَيْشِه بالجِوارِ

فهمُ خَزْرجِي وأوْسِي وإن لم ... يُسعِفِ الدهرُ بالمُنَى أنْصَارِي

سيَّما صِنْوِيَ الشقيقُ لروحِي ... وهْوَ عبد الرحمن حامي الذِّمارِ

قد تملَّى برَوْضةٍ حاز فيها ... مُثْمِرَ السَّعدِ مُزهِرَ الأنْوار

باع دنيا دنَتْ بأخرى تسامَتْ ... فغدا في مَبِيعه بالخِيارِ

فعساه يمُنُّ لي بدعاءٍ ... مُستَجابٍ في ليلهِ والنهارِ

ليحوز الشُّهابُ أعظمَ سُؤْلٍ ... وأمانٍ من مطْلَع الأنْوارِ

ما ارْتدَى الليلُ من بُرود الدَّياجي ... حُلَّةً طُرِّزتْ من الأسْحارِ

---

(١) خلاصة الأثر: ٢/٣٦٨ .

Marfat.com

فأجاب سقى الله ثراه[١]: [الخفيف]

بعد إهْدا أَسْنَى السلام السَّارِي ... من رُبا طَيْبةٍ أجلِّ الدِّيارِ
فائقاً طِيبُه شذا كلِّ مسكٍ ... فاتقاً نُورُه دُجَى الأسحارِ
لحبيبٍ في الله خِلٍّ وفيٍّ ... طيِّبِ الأصل ذي الثَّناء السارِي
أحمدُ الفعلِ والشِّهابُ المُرجَّى ... كاشفُ المشكلاتِ كنزُ الفَخارِ
دام في نعمةٍ وعزٍّ ولُطفٍ ... من إله الورى الكريمِ البارِي
مُحْيِياً سُنَّةَ الأُلى سبقوه ... باتِّباع الأُلَى وحسنِ الوقارِ
وصلاةٌ مع السَّلامِ دَواماً ... للنبيِّ المُمجَّد المختارِ
ولآلٍ وصَحْبِه ما اضْمحلَّتْ ... ظُلَمُ الظلم باجْتِلا الأنْوارِ

فإني أحمَد الله تعالى وأصلِّي وأسلم، على نبيِّه ﷺ.

وأعرض كثرة الأشواق، وتزايُدَ الوِداد، الذي لم يغيِّره تعاقُبُ المُدَدِ والبِعاد.

ودوامَ الدُّعاءِ المرجوِّ القَبول، لاسيَّما تِجاه أشْرفِ نبيٍّ وأكْرمِ رسول.

ووصول مكتوبكم الكريم، وحصولَ السُّرور بلوامِع مَضْمونه، وبدائع مكْنُونه.

وقد بلَغنا حسنُ سيرتكم في المناصب، ومزيدُ العِفَّة، فجزاكم الله تعالى خيرا، وأعانكم وسدَّدكم.

ولا تقطعوا أخبارَكم السَّارَّة، جُمع اللهُ لنا ولكم خَيْري الدُّنيا والآخرة، بجاه المصطفى الأمين، آمين.

نفحة من نَفحات اليمن، ومَن بلغنا خبرُه في هذا الزَّمن

ممن بَقِيَ بها من الفضلاء والشعراء، وكان قريب العهد

فمنهم، رحمهم الله تعالى:

٧٧- عبد الله بن شمس الدين بن مُطهَّر اليَمنيّ

فرعٌ من ذُوابةِ هاشم، ونَبْعة من وَشِيجِ تلك المكارم.

من آل مُطهَّر وهم ملوكٌ مُكرَمون، لا يمَسّ صحف مجدِهم إلا المطهَّرون، من حدَث البشريَّة، ودَنَس الهَيُولَى[٢] الدَّنِيّة.

مِن كلِّ مَن قضى للعلْياء وَطَرهَا، وتلَى آياتِ المجد وسُوَرَها.

---

(١) خلاصة الأثر: ٢/ ٣٦٨.

٧٧- لم أعثر على ترجمة له.

(٢) الهَيُولى: مادة الشيء التي يصنع منها، أو مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل في شتى الصور، وهي التي صنع الله تعالى منها أجزاء العالم المادية.

Marfat.com

تعبَق منهم أنفاسُ النُّبوَّة، وتجرُّ على وجه البَسيطة أذيالَ الفُتُوّة.

لم تُمْحَ محاسنُهم من صحف الليالي والأيام، ولا تُثْمِر بمثلها أغصان اليَراع والأقلام: [الطويل]

مغارسُ طالتْ في رُبَا المجدِ فالْتَقتْ ... على أنبياءِ الله والخلفاءِ
إذا حمل الناسُ اللواءَ علامةً ... كفاهُم مُثارُ النَّقْعِ كلَّ لِواءِ

حتى أغارت عليهم جيوشُ ابن عثمان فذَوَى ذلك الثمر، واستَفَّت الأيامُ ماءَ حياتِهم فلم يَبْقَ إلا الكدَر.

فالْتجأ إلى جبلِ كَوْكبان، واستظلَّ به من هَجِير حوادثِ الحِدْثان.

وهو جبلٌ تضيء فيه قناديلُ النجوم، وتلْتفُّ على هامتِه عصائبُ الغُيوم.

يزاحِم الأفلاكَ بالمناكِب، وتكاد أن تلْتقِط سُكَّانُه لآلىءَ الكواكب: [السريع]

عالٍ كأنَّ الجِنَّ مُذ مَرَدَتْ ... جعلَتْه مَرقاةً إلى السِّرّ

وهو الآن تاجٌ على رأس الزَّمن، وخالٌ تَتزيَّن به وَجَناتُ اليمن.

كأنما شَمخ كِبْراً بمُجاورةِ مَن به نزَل، وصار كبيرَ أناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّل[1]. [الطويل]

وطَودٍ على ظَهْرِ الفلاةِ كأنه ... طُوالَ اللَّيالي مُطرِقٌ في العواقبِ
يلُوثُ عليه الغَيْمُ سُودَ عمائم ... لها من وَمِيضِ البرْقِ خُضْرُ ذوائبِ

تحيى به آثارُ آبائِه بعد مماتِها، ويَرُدُّ روحَ المكارم للآمالِ بعد وفاتِها وفواتِها.

فمما التقطته من بعض السَّيَّارة من أشْعاره، وأهدَتْه إليَّ تِجارُ اليمن من تُحَف آثاره، قوله من قصيدة مدح بها أخاه عزّ الدين[2]: [الكامل]

خطرَتْ فقال الغصنُ صَلِّ على النَّبي ... وبدَت فقالت للشُّموسِ تحجَّبي
وسُموطُها دارت على لَبَّاتِها ... وزهَتْ فقلنا للنُّجوم تغيَّبي
لاحتْ لنا كالبدرِ ثم تبَرْقعتْ ... فرأيتُ بدراً حلَّ قلب العَقْرب
وبخدِّها خالٌ أراه عَمَّه ... حُسْناً وناسَبه بلوْنٍ أجنبي
فلطَرْفِها عزُّ انكسارِ جفونِها ... ولِعطْفِها تِيهُ المُدِلِّ المُعجب

ومنها:

مُنِّي عليَّ بزَوْرةٍ أحيى بها ... في أُنسِ قُربك أوْ عِدِيني واكْذِبي
رِقِّي بعِزِّك يا سعادُ لذِلَّتِي ... مُنِّي ومَنِّيني أمانيَ أشْعَب
ما أحسنَ الأطْماعَ يُرْجَى نَيْلُها ... والصَّبُّ بين مُصدِّقٍ ومُكذِّب

---

(١) البِجَادُ: كساءٌ مخططٌ، ومزمّل: ملفف.

(٢) عز الدين بن دريب بن المطهّر اليمني الحسني، كان سرياً، فاضلاً، عارفاً بالفقه، مسعوداً، ميموناً، عُرف بالمعلم، توفي: ١٠٦٢ . انظر خلاصة الأثر: ٣/ ١١٠ .

Marfat.com

ومنها:

يا ليتَ شِعْرِي هل أفوزُ بمَطْلبِي ... مِن لَثْمِ ذَيَّاكَ الخُدَيْدِ المُذْهَبِي
مَن لي بشمسِيِّ الجمالِ مُمَنَّعٌ ... ما دونَه لِمُحبِّه من مَذْهَبِ
مُتلوِّنٍ كمَدامِعي فوُعودُه ... لقَّبْنني بالخائفِ المُترقِّبِ
يا قلبُ مالك ما انْقلبْتَ عن الهوى ... والقلبُ قد قالوا كثِيرُ تقلُّبِ
خَلِّ النَّسيبَ فقد أطلْتَ وَعدِّ عن ... ذكرِ الصَّبابةِ واشتغِلْ بالأنْسَبِ
كَفِّرْ زخارِفَ زُورِ لهوٍ بالثَّنا ... وانشُرْ مُلاآتِ الحديثِ الأطْيَبِ
بصفاتِ عزِّ الدين والدنيا ومَن ... ما قلتَ فيه من الثَّنا لم تكذِبِ
حدِّثْ وقلْ ما شئتَ في أوصافِه الْـ ... ـحُسنَى وحَيِّ بكلِّ فنٍّ مُعجِبِ
أسدٌ تخافُ الأُسْدُ ثعلبَ رُمْحِه ... وعجبْتُ من خوفِ الأسودِ لثَعْلَبِ

قوله[1]: «صل على النبي» المراد به التعجب، والناس يستعملونه بهذا المعنى كثيرا، كقول شيخ الشيوخ الأنصاريّ، بحمّاة: [الرجز]

فمن رأى ذلك الوِشا ... ح الصَّائمَ صَلِّى على محمد

وقال عَرْقَلة: [الطويل]

أقبلَ يهتزُّ في غُلالتِهِ ... مَن ليس يَشفِي لعاشقٍ غُلَّهْ
فقال كلُّ امْرِئٍ تأمَّلَهُ ... ألفُ صلاةٍ على رسُولِ اللهْ[2]

وقد تابعتُهم، فقلت في قصيدة: [السريع]

ظَبْيٌ على الصَّبِّ حين سلَّمْ ... صلَّى على المصطفَى وسلَّمْ
مُذْنَفُهُ والدموعُ بحرٌ ... بتُرْبِ أقْدامِه تيمَّمْ

ومثله قولهم: «الله أكبر»، كما قال ابن النَّبِيه: [البسيط]

الله أكبر ليس الحسنُ في العربِ ... كم تحتَ كُمَّةِ ذا التركيِّ من عَجَبِ[3]

وهو قد اقتدى بعليّ بن الجَهْم، في قصيدة مدح بها بعض الخلفاء: [البسيط]

اللهُ أكبرُ والنبيُّ محمدُ ... والحقُّ أبْلجُ والخليفةُ جعفرُ

وقد عابه شعراء عصره؛ حتى قال فيه مَروان يهجوه: [البسيط]

لمَّا وصلتَ إلى الإمامِ عشيَّةً ... وكذَبْتَهُ ومدحْتَهُ بأذانِ

---

(١) انظر نفحة الريحانة: ٢/٤٥٤، ٢/٤٤٧ .
(٢) عرقلة: حسان بن نمير، الكلبي، النديم، أبو الندى، الأعور، وعده السلطان صلاح الدين حين كان من أمراء نور الدين أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار، فلما سيّر إليه الأموال بعد ملكه مصر، فجأه الموت، توفي سنة: ٥٦٧، وقد قارب الثمانين. انظر فوات الوفيات: ١/١١٢، ٢/٤٤٧ .
(٣) الكُمَّةُ: القلنسوة المدورة.

Marfat.com

وقال أيضا: [الطويل]

أراد عـلـيٌّ أن يـقـولَ قـصـيـدةً بـمَـدْحِ أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـن فـأذَنَـا
فـقـلـتُ لـه لا تـعْـجَـلَـنْ بـإقـامـةٍ فـلـسـتُ عـلـى طـهـرٍ فـقـال كـذا أنَـا

والإمام النَّووِيّ، رحمه الله تعالى، صرَّح في «الأذْكار» بأن الصلاةَ على النبيِّ ﷺ في مثلهِ ممنوعةٌ شرعاً، والوراد في مثْلِه «سبحان الله».

وقال الحَلِيميّ من أئمة الشَّافعية: إنه جائز بلا كراهة، وبيَّنوا وجهَه في فِقْهِهم.

لطيفـة

من غريب التَّمليح[1] ما وقع في مجلس أبي بكر بن زُهْر[2]، من أن بعضَ أدباء الأندلس كان عنده، فدخل فاضلٌ من أهل خُراسان عليهم، فأكرمه ابن زُهْر، وأجلَّه.

فقال الأنْدَلُسِيّ: ما تقولُ في علماءِ الأندلس وأدبائهم وشُعرائِهم؟

فقال: كبَّرْتُ.

فلم يفهمْ جوابَه، واسْتَبْرده.

فلم يفهم ابن زُهْر إنْكارَه.

ثم قال: أقرأتَ شعر المُتنبِّيّ؟

قال: نعم، وحفظتُه.

قال: أما سمعتَ قولَه: [البسيط]

كـبَّـرتُ حـولَ ديـارهـمْ لـمَّـا بـدَتْ تلك الشموسُ وليس فيها المشرِقُ

فعلَى نفسِك فلْتُكبِّر، ولِفهْمِك فاتَّهِمْ وأنْكِر.

فخجل، واعتذَر.

أقول: هكذا فلْتكن مُحاوَرة الأدباء.

وأراد أبو الطَّيِّب بتكْبيره التَّعجُّبَ.

وقوله في القصيدة: «أسد» إلخ[3]، فيه إيهامٌ بَدِيع؛ فإن الثَّعلب طَرفُ الرُّمح الداخل في السِّنان، والحيوان المعروف.

---

(١) انظر نفحة الريحانة: ٢/ ٤٥٣.

(٢) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي، الأندلسي، الإشبيلي، لم يكن في زمانه أحذق منه بصناعة الطب، له شعر رقيق، وموشحات انفرد في عصره بإجادة نظمها، توفي سنة: ٥٩٥. انظر معجم الأدباء: ١٨/ ٢١٦.

(٣) أي قصيدة المترجم السابقة التي أولها:

يـا لـيـت شـعـري هـل أفـوز بـمـطـلـبـي .....

والبيت المقصود هو الأخير فيها، انظر الصفحة (٢٠٥).

Marfat.com

ومثله قول ابن السَّاعاتِيّ[١]: [البسيط]

ولو يمْلِكُ الملكُ الأهلَّةَ عنده أبى فخرُها إلا نِعالاً لجُرْدِهِ
إذا مدَّ جيشاً للعدوِّ تلاعبَتْ ثعالبُ أطرافِ الرِّماح بأُسْدِهِ

وقوله: «أو عديني واكذبي» يقطُر منه ماءُ اللطافة، كقول مِهْيار: [السريع]

يا ماطِلِي بالدَّيْنِ ما ساءني إليك تَزْدادُ المواعِيدِ بي
إنْ كنتَ تُنْجِز ثم لا نلْتقي فدُم على المَطْلِ وقُلْ واكْذِبِ

وللشريف الرَّضِيّ[٢]: [السريع]

يُعجبُني مَطْلُ غَريمِ الهوَى لطُولِ تَزْدادِي إلى الماطِلِ

ومثلُه حسَن كثير، قديماً وحديثاً، كقول الطُّغْرَائِيّ: [السريع]

وتُعْجبُني المواعِدُ كاذباتٍ لتَزْدادِي إليه على المِطالِ

ولابن الفارض[٣]، رضي الله عنه: [الطويل]

عِدِيني بوَصْلٍ وامْطُلِي بِنَجازِه فعنْدِي إذا صحَّ الهوَى حَسُنَ المَطْلُ

٧٨- السيد حسين بن مُطهَّر اليَمَنِيّ

رحمه الله تعالى

هذا أيضاً من أشراف العصريِّين.

وقد أنشدني له بعضُ أصحابنا شِعْراً يفوح منه عَرْفُ تِهامَة ونَجْد، ويُتَرْجِم عمَّا فيه من المجْد.

كقوله، من قصيدة له: [البسيط]

مِن أين يَخلُق وجدُك المُتجدِّدُ . ويزول عنك حَنينُك المُتردِّدُ
وقد استفَزَّك بالرَّحيلِ مُوَدِّعٌ قالوا الرَّحيلُ غداً عدِمْتُكَ يا غَدُ
يا نازِلينَ على العُذَيْبِ وثَهْمَدٍ بأبي وبي كيف العُذَيْبُ وثَهْمَدُ[٤]
أخُزامُه وبَشامُه وأراكُه خَضِرٌ على ما تعهَدون وأغْهَدُ

---

(١) ابن الساعاتي: علي بن محمد بن رستم، بهاء الدين، الدمشقي ثم المصري، المعروف بابن الساعاتي الأديب، توفي بمصر سنة: ٦٠٤، له ديوان شعر في مجلدين، مفاتيح العلوم، ومقطعات النيل. انظر هدية العارفين: ١/ ٧٠٤ .
(٢) ديوانه: ٢/ ٧١٢ .
(٣) ديوانه: ٢/ ١٥٦ .
(٤) العذيب: بينها وبين القادسية حائطان متصلان بنخل. معجم البلدان ٣/ ٦٢٦، وثهمد: جبل أحمر فارد، من أخيلة الحمة، ويقل: موقع في ديار بني عامر. معجم البلدان: ١/ ٩٤٢ .

Marfat.com

ومنها: [الكامل]

الـحـجُّ يُـقـصَـد كـلَّ عـامٍ مـرَّةً ولـك الـعـوالِـمُ كـلَّ حـيـنٍ تـقْـصُـدُ

وهذا المعنى كثير مسبوق إليه، كقول بعض العصريِّين: [الخفيف]

كـعـبـةٌ أُسِّـسـتْ عـلـى الـفـضـلِ لـكـن كـلَّ حـيـنٍ لـهـا تـحُـجُّ الـوُفـودُ

وأصله قول سعيد بن سلام، وقد قال له بعض نُدمائِه في بستان: ما أحسن هذا البستان!

فقال له: أنت أحسنُ منه؛ لأنه يُؤْتِي أُكُلَه كلَّ عام، وأنت تُؤْتِي أُكُلَك كلَّ حِين.

وممن قرُب عهدُه باليمن:

٧٩- عبد الهادي السوديّ

صاحب «الديوان» المشهور.

فاضلٌ جمع في أغصان الألفاظ ثمارَ المعانِي، وعارفٌ بالله جَناهُ في كلِّ حين دَانِي.

شيخُ الطَّريقة، العابرُ من قنطرة المجاز إلى الحقيقة.

جمع مِن بضائِع الأدب ما راق صُنْعا، وحسدَتْهُ لرِقَّة نسْجِه بُرودُ صَنْعا.

ونسج من مُهَلْهَل الأشْعار في السُّلوك، ما كأنَّ قلمَه على مِنْوال طِرْسِه مَكُّوك.

وشعرُه مطْبوع، وعلى أكُفِّ القبول مرفوع.

تلَذُّ به الأسماع، وتطرَب على السَّماع.

وأكثرُه على لسان أهل العِرْفان، الذي هو للحَضْرة الإلهِيَّة تَرْجُمان.

كقوله: [المديد]

كـيـف حـازُوا فـيـكَ وَاعـجَـبـا يـا مُـنَـى سـمْـعِـي ويـا بـصَـرِي

أنـتَ لا تـخْـفَـى عـلـى أحـدٍ غـيـر أغْـشَـى الـفـكـر والـنَّـظـر

حِـيـرةٌ عـمَّـتْ فـأيُّ فَـتًـى رامَ عِـرْفـانـاً ولـم يَـحَـر

وقوله من قصيدة: [المديد]

عـاذِلِـي فـي الـحـبِّ أو خـطَـرِهْ لـسـتَ مـن لـيـلِـي ولا سَـمَـرِهْ

أنـا فـي وادٍ أظـنُّـك مـا قِـلْـتَ فـي الأفْـيـاءِ مـن شـجَـرِهْ

لا تُـطِـلْ فـيـه الـمَـلامَ إلـى أن تـذوقَ الـخَـلْـوَ مـن ثـمَـرِهْ

٧٩- عبد الهادي بن محمد السودي، الصنعاني الصوفي، ولد بعد سنة: ٨٧٠، وتوفي سنة: ٩٣٢.

Marfat.com

يـا حُـلـولَ الـشِّـعْـبِ مـن إضَـمِ أنْـشِـقـونـي الـنَّـشْـرَ مـن زَهَـرِهْ

وهذه على مِنْوال قصيدة أبي نُواس، التي مطلعها[1]: [المديد]

أيُّـهـا الـمُـنْـتـابُ مـن عُـفُـرِهْ لـسـتَ مـن لـيـلـي ولا سَـمَـرِهْ
كَـمُـن الـشَّـنـآنُ فـيـه لـنـا كـكُـمُـونِ الـنَّـارِ فـي شـجَـرِهْ
لا أَذُودُ الـطـيـرَ عـن شـجَـرٍ قـد بـلَـوْتُ الـمُـرَّ مـن ثَـمَـرِهْ

وهي طويلة في «ديوانه».

وممن قرُب عهدُه أيضا:

٨٠- إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن عليّ العَلَوي الزَّبِيديّ الشَّافعيّ من ذرية اليمنيّ

شارح «الكشاف».

أغرُّ يَمانِي، منه تُجْنَى ثمار الأماني.

سحابُ فضله أوْطفُ الأهْداب، أخصبَتْ به رياضُ المعاني والآداب.

نَقَّابٌ مُحدِّث تنمُّ فكارُه على أسرار الغيوب، وربيعٌ مَرِيع إذا أنبَت الربيعُ البَقْلَ أنبت رَيْحانَ القلوب.

ولد بزَبِيد، وبيت شرفه فيها مَشِيد: [الكامل]

ولـدتْ بـه أمُّ الـسِّـيـادةِ أوْحـدَا مُـتـضـمِّـنـاً مـعـنـى الـعَـديـدِ الأكْـثـرِ

وللدهر فيه عِداتٌ لا تَعرِف المَطْل، ومُقدِّمات مُرتّبةٌ لِنتائج الفضْل.

حتى ظهرتْ له اليدُ البيضاء في الفنون العقليّة والنَّقليّة، لاسيَّما ما أبدعه في «شرح الجامع الصغير» من دقائق العربية.

فكم شَفى أفهاماً مِراضا قلوبُها، ولا يعرف الأدْواءَ إلا طبيبُها.

كما قال تلميذه الصَّدرُ فيه من قصيدة: [السريع]

وإن تـكـن لـلـنـحـوِ أضْـلاً فـلا غَـرْوَ فـإسـمـاعـيـلُ أصـلُ الـعـربِ

مع شرَف الحسَب، وعُلُوّ شجرةِ النَّسَب.

فهو مُكرَّم مُفضَّل، مُعَمّ مُخْوَل[2].

---

(١) ديوانه: ٤٢٧ .

٨٠- لم أعثر على ترجمة له.

(٢) المُعَمُّ: الكريم الأعمام وكذلك المُخْوَلُ.

Marfat.com

والفَخار فنون، كما أن الحديثَ عنه شُجون، والأخبارُ الصادقة على محاسِنه عُيون.

وقد رأيتُ من آثاره أبْكارَ عَرائِس، وحُوراً مَقْصُوراتٍ في خِيام الأفكار أوانِس.

لا تَرْتَضِي الثُّرَيَّا عِقْداً والزُّهرَةَ قُرْطَا، ولا تَلْبَسُ المجرَّة رداءً ومِرْطا.

كـ «شرح الجامع الصغير»، و«تعريف البيان، في شرحِ لَقْطة العَجْلان»، للزَّرْكَشِيّ[1] في المنطق والأصْلَيْن والجَدَل.

وهو كما قال فيه نَسيبُه الفاضل عفيف الدين: [البسيط]

يا سائِلي جَهْلاً عن اسماعيلَ عَن ... مِقْدارِ رُتْبتِه ورِفْعةِ شَانِهِ
أنصِتْ تجدْ تعْريفَه وبيَانَهُ ... كافِيكَ عن تعْريفِه وبَيانِهِ
أو لا فعُذرُك فيهُ عُذْرٌ واضِحٌ ... والشيءُ قد يخْفَى لبُعْدِ مَكانِهِ

ولشُعراء عصره فيه مدائح كثيرة، كقول عامر بن هارون الْمَوْزَعِيّ: [الوافر]

رَأَوْك فضَلْتَهمْ أدباً وسَمْتاً ... فنالوا منك عُدواناً وبَهْتَا
ورامُوا النَّقْصَ منك فأكْذَبْتَهُمْ ... ظُنونُهمُ وعاد الذمُّ نَعْتَا
حَماهُمْ نجمُ سعدِك أن يحُلُّوا ... مَحلَّك أو يحُوموا حيثُ حُمْتَا
تَصرَّفْ يا ابنَ إبراهيم فيما ... حوَيْتَ من المعارفِ حيث شِئْتَا
وكيف يسومُك الحُسَّادُ خَسْفاً ... وأنت أجلُّهمْ حَظًّا وبَخْتَا[2]
وأبرعُ مَن تلفَّتت المعالي ... إليه ومَن بَرَى قلماً وأفْتَى
وقد ناديتُ لما سِرْت ربِّي ... بما ناده ذُو النُّونِ بنْ مَتَّى[3]
بأن يكفيكَ عاديةَ الليالي ... وتصْحبَك السَّلامةُ حيث كُنْتَا
وقد أُوتيتُ سُؤْلِي فيك إذْ لمْ ... تزلْ فَوقاً ومَن عاداك تَحْتَا
فدُونكها عروساً من صديقٍ ... تمُتُّ بصُحْبةِ الآباءِ مَتَّا
وخُذْها غَضَّةً من منطقٍ لا ... بألْثَغَ لا يَبِينُ ولا أرَتَّا[4]
ربطتُ بها معالي الشمس قَسْراً ... وقوَّمْتُ القوافي فيك نَخْتَا
يودُّ البدرُ لو ترْضَى به أن ... يكون لها أخاً والشمسُ أُخْتَا

---

(١) الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين المصري الشافعي، ولد سنة: ٧٤٥، وتوفي سنة: ٧٩٤، له من الكتب إعلام الساجد بأحكام المساجد، والبحر المحيط في الأصول، والبرهان في علوم القرآن، ولقطة العجلان وبلّة الظمآن، وغيرها كثير. هدية العارفين: ٢/ ١٧٤.

(٢) البَخْتُ: الحَظُّ.

(٣) يعني به: يونس عليه السلام وقوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

(٤) الأَرَتُّ: الألثغ، ومن كان في لسانة رُتَّةٌ أي: عُجْمة.

Marfat.com

وقد حاز قدراً عالياً ووَجاهة، ونشَر من الفضل ما أيَّد اللهُ به عِزَّهُ وجَاهَه.
مع زُهد ليس طَرفُه لزُخْرُف الدُّنْيَا بِرَاني، ولا بِدْع فالحكمةُ يَمانية والإيمان يمانِي.
روَّح الله رُوحَه، وزاد من نعيم الجنانِ فُتُوحَه.

آخر الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني، وأوله:

القسم الثالث

في مصر وأحوالها، وسبب العود لرسومها وأطلالها

Marfat.com

فهرس محتويات الجزء الأول

ترجمة المصنف ٣
المقدمة ٥
القِسم الأوّل ١٢
١- أحمد العِنايَاتِيّ ١٢
تتمـــة ١٣
٢- محمد الصَّالِحِيّ الهِلاَلِيّ ١٩
ســانحة ٢٢
فصــل ٢٦
٣- حسن بن محمد البُورِينِيّ ٢٩
٤- أبو المعالي دَرْويش محمد الطَّالُوِيّ ... ٣٦
٥- محمد بن قاسم الْحَلَبِيّ ٥٢
فصـل ٥٦
فائـدة ٥٩
فصــل ٥٩
٦- الأمير أبو بكر الْحَلَبِيّ ٦٣
٧و٨- إبراهيم، ومحمد ابنا أحمد الْحَلَبِيّ، المعروف بالمُلاَّ ٦٤
٩- يوسف بن عِمْران الْحَلَبِيّ ٦٧
١٠- سُرور بن سنين الْحَلَبِيّ ٧١
١١- حُسَين بن أحمد الْجَزَرِيّ الْحَلَبِيّ ٧٢
١٢- أبو بكر تقِيُّ الدين التاجر، المعروف بابن الجَوْهَرِيّ ٨٠
١٣- شمس الدّين محمد، المعروف بابن المِنْقَار ٨١
١٤- ابنه عبد اللطيف ٨٢
١٥- شيخ الإسلام عماد الدّين الْحَنَفِيّ الشَّامِيّ ٨٣
١٦- بدر الدّين بن رَضِيّ الدّين الغَزِّيّ، العَامِرِيّ، الشَّامِيّ ٨٦
١٧- أبو الصَّفاء مصطفى بن العَجَمِيّ الْحَلَبِيّ ٩٠
١٨- تقيُّ الدّين بن معروف ٩٣
فائدة مهمة ٩٥
١٩- محمد بن الرُّومِيّ، المعروف بمَامَاي ابن أخت الخَيَّالِيّ ٩٧
٢٠- زَين الدّين الإِسْعَافِيّ ١٠٠
٢١- أبو بكر الجَوْهَرِيّ الشَّامِيّ ١٠١
٢٢- شمس الدّين محمد بن إبراهيم الْحَلَبِيّ، المعروف بابن الْحَنْبَلِيّ ١٠٢
٢٣- أبو الفتح بن عبد السلام المالِكِيّ المغْرِبِيّ ١٠٤
تكملة ١٠٩
٢٤- علاء الدّين بن مَلِيك الْحَمَوِيّ ١١٣
٢٥- القاضي مُحِبُّ الدين بن تَقِيّ الدين الْحَمَوِيّ ١١٦
٢٦- شهاب الدين الكَنْعَانِيُّ الشَّامِيّ ١١٧
٢٧- معروف الشَّامِيّ ١١٧
٢٨- نجم الدين بن معروف ١١٩
٢٩- محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشْنُوق ١٢٠
٣٠- فتْح الله بن بدر الدين محمود البَيْلُونِيّ الْحَلَبِيّ ١٢٠
٣١- القاضي ظهير الدين الحَلبيّ ١٢١
٣٢- بهاء الدين محمد بن الحسين العَامليّ الْحَارثيّ ١٢٢
٣٣- خَضِر المَوْصِليّ ١٢٦
فصل ١٢٧
٣٤- المولى عبد الرحمن بن عِماد الدّين الشَّامِيّ الْحَنَفِيّ ١٣٠
٣٥- أحمد بن شاهين الشَّامِيّ ١٣٣
٣٦- الأمير منجك ابن الأمير محمد بن منجك ١٣٥
٣٧- الفاضل أبو الطِّيب بن رَضِي الدين الغَزِّيّ، ١٥٠

Marfat.com

٣٨- عبد الحق الشَّامِيّ، المعرف بالحِجازِيّ ١٥٢
٣٩- أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهّاب الشَّافِعيّ العُرْضِيّ الْحَلَبِيّ ١٥٦
٤٠- أخوه محمد بن عمر العُرْضِيّ ١٥٨
٤١- عمر بن عبد الوهّاب العُرْضِيّ ١٦١
٤٢- صلاح الدين الكُورَانِيّ الحَلَبِيّ ١٦٢
٤٣- السيد أحمد بن النَّقِيب الْحَلَبِيّ ١٦٣
القِسْم الثاني ١٦٥
٤٤- مولاي أحمد أبو العباس المنصور بالله ١٦٥
فصل ١٧١
٤٥- أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين ١٧١
٤٦- محمد الفِشْتَالِيّ ١٧٦
فصل ١٨٢
تَتِمَّـة ١٨٥
فصـل ١٨٩
٤٧- محمد بن إبراهيم الفاسِيّ ١٩٠
فصـل ٢٠٢
٤٨- الوزير عبد العزيز الثَّعالِبيّ الأديب ...٢٠١
٤٩- العلامة محمد دكروك المغْرِبِيّ ٢٠٥
تتمّة وفائدة مهمّة ٢٠٧
خاتمة ٢٠٨
٥٠- حسام الدِّين بن أبي القاسم الدَّرْعِيّ المغْرِبِيّ ٢٠٨
٥١- عبد العزيز الفِشْتَالِيّ ٢٠٩
٥٢- عبد السلام بن سَنُوس المَغْرِبِيّ ٢٠٩
٥٣- السيد عبد الخالق الفَاسِيّ ٢١٠
٥٤- السيد يحيى القُرْطُبِيّ ٢١١
فصل ٢١٣
ذكر مكة المشرَّفة ومن بحِماها، صانها الله وحَماها وزادها تشريفاً وتكريماً وتعظيماً ٢١٥
ذكر الدولة الحسَنيّة ومن بها من بَقِيّة العلماء والشعراء والأعيان ٢١٧
٥٥- أبو نُمَيّ بن بَرَكات ٢١٧
٥٦- شهاب الدين أحمد الفَيّومِيّ ٢١٨
٥٧- السيد حسن بن أبي نُمَيّ ٢١٩
٥٨- أخوه السيد الأجلّ ثَقَبَة ٢٢٢
٥٩- حسين ٢٢٢
٦٠- مسعود ٢٢٣
٦١- أبو طالب ٢٢٤
٦٢- قطب الدين المكّيّ النَّهروانِيّ أصلاً ومَحْتِدا ٢٣٠
٦٣- جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين ٢٣٦
٦٤- أخوه علي العِصاميّ ٢٣٩
٦٥- أحمد المدَنيّ، المعروف باليُتَيِّم، مصغَّرا ٢٤١
٦٦- سراج الدين بن عمر الأشْهل المدَنيّ ٢٤٢
٦٧، ٦٨- عبد الرحمن، وعلي ابنا كثير المكّيّان ٢٤٣
٦٩- محمد بن أبي الْخَير ابن العلامة ابن حَجَر الهَيْتَمِيّ المَكّيّ منشأ وموطنا ٢٤٥
٧٠- العلامة شِهاب الدين أحمد بن حَجَر الهَيْتَمِيّ ٢٤٥
٧١- علاء الدين بن عبد الباقي ٢٤٦
٧٢- القاضي حسين المالِكِيّ المَكّيّ ٢٤٦
٧٣- شيخنا العلامة عليّ بن جَار الله المَكّيّ، الحنَفِيّ، الخطيب، مفتي الحرمين الشَّريفين ٢٤٧
٧٤- علي الكيزواني المغربي ٢٤٨
٧٥- معين الدين بن البكّاء ٢٤٩
٧٦- العلاّمة عبد الرحمن الخِيَارِيّ ٢٥٠
٧٧- عبد الله بن شمس الدين بن مُطهَّر اليَمنيّ ٢٥٢
لطيفـة ٢٥٥
٧٨- السيد حسين بن مُطهَّر اليَمَنِيّ ٢٥٦
٧٩- عبد الهادي السوديّ ٢٥٧
٨٠- إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل ابن عبد الله بن عبد الرحمن ٢٥٨

Marfat.com

Marfat.com

RAYḤĀNATUL- ALIPĀ
WA ZAHRATUL- ḤAYATID-DUNYA

(Authors, Writers, and Poets' biographies)

by

Šahābud-Dīn Aḥmad Ben Muḥammad Al-Ḫafāji

Edited by

Aḥmad ᶜInāyah

volume I

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon

Marfat.com

رَيْحَانَةُ الأَلِبَّا
وَزَهْرَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا

تأليف

شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الخَفَاجِيُّ
المتوفى ١٠٦٩ هـ

وَضَعَ حَوَاشِيَهُ وَفَهَارِسَهُ
أَحْمَدُ عِنَايَةُ

الجزءُ الثَّانِي

مَنشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية بيروت لبنان

Marfat.com

Marfat.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القسم الثالث

في مصر وأحوالها، وسبب العَوْد لرسُومها وأطلالها

لما كانت مصر القاهرة، ربوعُها بالفضلاء والأدباء عامرة، وهي عشُّي الذي منه دَرَجْت، ووَكْري الذي به رَيَّشْت، ومن بَيْضةِ بلدته خرجت. [الطويل]

بلادٌ بها نيطتْ عليَّ تمائِمي ... وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جلدي تُرابُها

رأيتُ أهْنأ العيش ما كان في الوطن، والنَّعيمُ المقيمُ إنما يكون في الأهل والسَّكن.

إلا أنها أبْدَت العقُوقَ من حين عقَّت التَّمِيمة، وأذاقَتْني الأذى وجرَّعتْني الدَّمَ في المشمَة.

وأخرجتْني من مَضِيق لمَضِيق، وشدْت في المهْدِ قَيْدِيَ الوَثِيق.

وما كشفتْ عن وجْهِيَ القِنَاع، حتى فطَمْتني قبل الرَّضاع. [الطويل]

لِما تُؤْذِنُ الدُّنيا به من صُروفِها ... يكون بكاءُ الطفل ساعةَ يُولَدُ

وإلاَّ فما يُبْكِيه منها وإنها ... لأوْسعُ مما كان فيه وأرْغَدُ

إذا أبصرَ الدنيا اسْتَهلَّ كأنه ... بما سوف يلْقَى من أذَاها يُهدَّدُ

فنفَرْتُ من ظِليِّ، وأسأتُ الظنَّ بسَمِيرَيْ فكرِي وعقلي، وعادتْني نفسي فما ظنُّك بأهْلِي.

وأعْدَى عدوِّك بين جنْبَيْكَ، فما لك بغيرك إن كان لك أو عليك. [السريع]

قلبي إلى ما ضرَّني دَاعي ... يُكثِر أسْقامِي وأوْجاعي

كيف اخْتراسِي من عدوِّي إذا ... كان عدوِّي بين أضْلاعِي

فقلتُ أهلٌ بأهلٍ ودارٌ بدار، والعمرُ فرصة فالبِدار البِدار.

فالدهر عقِب والعَجْز نصَب.

وكلُّ ما تَهْواهِ حسَن، وليس لما قرّت به العينُ ثمن.

ومَن كان من تُرابٍ فالناسُ كلُّهم أقاربُه، وما خاب حُرٌّ رفيقُه الرَّجا والعزمُ نجائبُه.

Marfat.com

وما أحسن الثّبْتَ إن ساعدت الأقْدار، وما أجمل الصَّبْرَ لو صبَرتِ الأعْمار.

وما قال اللّه تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] إلا إرْشاداً لك للرَّحيل، وأن كلَّ دارٍ سقْفُها السماءُ ظِلُّها ظَلِيل. [الطويل]

وكم نَبَتِ الأوْطانُ يوماً بأهْلِها ... فأوْرثَهمْ عِزَّ الحياةِ التَّغَرُّبُ
وهذا رسولُ اللّه فارق مَكَّةً ... على جَفْوةٍ لم تَرْضَها فيه يَثْرِبُ

ففِي كلِّ قوم أوْسٌ وخَزْرَج، ومن العَمُود إلى العمود فرَج.

وكليمُ اللّه آنسَ ناراً ذهب ليأْتيَ منها بقَبَس، فكلَّمه اللّهُ جلَّ جلالُه حتى اقْتبَس من نُور النُّبوَّة ما اقْتبَس.

ولمَّا ارْتحلتُ حَمِدْتُ السُّرى، ونبَّهْت عيونَ حظِّي من سِنَةِ الكرَى.

تركتُ بها من ساداتِنا العلماء، والأدباء والرؤساء، عِصابةً وأيُّ عصابة. [م. الكامل]

أهلُ السَّماحةِ والرَّجا ... حةِ والأصالةِ والإصابَةْ

كرامٌ إذا أخْلَفت الأنْواءُ خلَفوا سحابَةْ، وإذا اسْتعبد الكرمُ الأحْرارَ ملكوا رِقابَه.

ففارقْتُ مَن فارقت غيرَ مُذَمَّم، ويَمَّمْتُ من يَمَّمْتُ غيرَ مُيَمَّم.

وهكذا الدهرُ مُولَع بالبَيْن، فكأنه خاف اللَّحن فلا يَجْمع بين ساكِنَيْن. [المتقارب]

ومِمَّا أعان عليَّ الزَّمانَ ... عُفافُ يَدِي وعلُوُّ الهِمَمْ
فإنِّي من العَرَبِ الأكْرَمينَ ... وفي أوَّلِ الدهر ضاعَ الكَرَمْ

فممن كان بها في ذلك الزمان، ثم دخل بعد ذلك في خبَرِ كان:

٨١- محمد بن يس الْمُنُوفي

فاضل أديب، وصديق لي صادِق الوُدِّ نَجِيب.

علَّم أقْلامَه نفَثاتِ السِّحْر، وَعمَّمها بغَالِيةِ مِدادٍ أزْخَصتْ مِسْك الشِّحْر.

٨١- محمد بن يس المنوفي الشافعي العالم الفاضل البارع الكامل، ولد بمصر وبها نشأ واشتغل بالعلوم اشتغالاً تاماً، وأخذ عن جمع منهم أبو بكر الشنواني ومحمد الميموني، ومحمد الخفاجي، وأحمد السنهوري وغيرهم وأجازوه. وتعاطى النظم فبلغ فيه الغاية القصوى وارتقى إلى أن زاحم بمناكبه أكابر الشعراء. ورحل إلى الديار الرومية وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة، ومدح من بها من الموالي العظام. وتولى بنواحي مصر المناصب العديدة، ثم ترك القضاء وعكف على عبادة الله تعالى واعتزل عن الناس إلا أفراداً منهم، وترك النظم إلا ما كان استغاثة ومدحاً في النبي ﷺ.
وكانت وفاته بمصر سنة اثنتين وأربعين وألف، ودفن بالقرافة الكبرى جوار السادة الوفائية. خلاصة الأثر (٤/٢٦٦).

Marfat.com

فما مِسْك تُبَّت، عند نَفْحةِ رياضٍ له لرياحِين العقول تُنْبِت.

فكم حلَّ عُرى النومِ عن مُقْلِته، فاقتنص أوابد المعالِي ببَاز هِمَّته.

واجْتنَى ثمراتِ المعارفِ من جِنان أمِله، وغُصْنُ شَبابِه مُعتدِل لم تطْمَع الحادِثاتُ في مَيله. [الخفيف]

مَـأْمـنُ الـظَّـرفِ عـنـده الـدَّهْـرَ ثَـاوٍ كَـمُـنَ الـظَّـرْفُ عـنـده ابـنَ سَـبـيـلِ

وكانت لنا معه أُوَيْقات، هي في صحائف العمرِ حسَنات، وَخَمائلُ الشبَّابِ دانيةُ القِطاف زاهية الزَّهَرات.

في عُنْفُوان عُمْرِي، وإقْبال طَلِيعة أمْرِي.

وماءُ الحياةِ مُغْدِق، وغصنُ الشَّبيبة مُورِق.

مُتفيِّئاً في هاجِرة التَّحْصيل أفْيَاءَ الصِّبا، نازِلاً حيث لا عَلِيل إلا عيونُ الغِيد ونَسِيمُ الصَّبَا.

ولا باكِيَ غيرُ طَرْفِ النَّرْجِس بدَمْع النَّدَى، ولا ساهِرَ إلا عُيونُ النجوم التي هي للسَّارِين هُدَى.

والدهرُ طَلْقٌ طيّب الأخْلاق، وسُوق الفضائل لا ينْفَق فيه النِّفاق.

لا كهذا الزمان الذي كسد فيه الأدب وبَار، حتى قيل فيه نفَق الحِمار، وبارَت الأشْعار.

فمّما جاد به طَبْعُه المَرِيع، وزَها به فكرٌ له في كلّ زمانٍ رَبيع، قوله من قصيدة يرْثي بها الوالد رحمه الله تعالى: [الكامل]

مـا بَـالُ أيْـدِي الـنَّـائِـبـاتِ تَـخُـونُ وتُدِيم رَضْفَ المجدِ وهْو رَصِينْ

يا دهرُ لا عُتبَى عليك ولا رضًى كـلُّ الـمـصـائـبِ بـعـد ذاكَ تَـهُـونْ

تَعِدُ الورى البُؤْسَى فتسرِعُ وَقعَها وإذا وعـدتَ بـمـا يَـسُـرُّ تَـمِـيـن

ومنها:

لـو كـان يُـجْـدِي الـنَّـوْحُ مَـيْـتاً قـبـلَه نـفْـعـاً لـنـاحَـتْ أعـصـرٌ وقـرُونْ

يـا واعِـظـاً بـسُـكـونِـه حَـرَّكْـتَـنـا ولأنْـتَ بـالـوعْـظ الـمُـفـيـد قَـمِـيـنْ

ومنها:

وغـدا ضَـجِـيـعَ الـرَّمْـس إلاّ أنـه فـي قـلـبِ كـلّ مُـوحِّـدٍ مَـدْفـونْ

حفَّتْك رحمةُ ذي الجلال وعَفْوُه وسقَى ثَرَى جَدَثٍ حواكَ هَتُونْ[1]

وسرَتْ محاسِنُ ما صنَعْتَ حَوامِلاً حُسْنَ الثَّناء يحُثُّها التَّأْمِينْ

---

(١) الهتون: هتنت السماء تهتن، هثناً، وهتوناً وهتاناً وتهاتنت: انصبت، أو هو فوق الهطل، أو الضعيف الدائم. القاموس المحيط، مادة /هتن/.

Marfat.com

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة أخرى: [المنسرح]

تـائـهـةٍ بـالـدَّلالِ يـثْـنـيـهـا ... عـن حـائـرٍ فـي الـهَـوى تَـثـنِّـيـهَـا
قَـرَّحَ فـيْـضُ الـدُّمـوع مُـقْـلَـتَـه ... فـاشْـتـبـك الـمـاءُ فـي مَـآقِـيـهَـا
ومَـن نَـمَـتْ فـي سـوادِ مُـهْـجـتِـه ... لـواعِـجُ الـشـوقِ كـيـف يُـخْـفِـيـهَـا
يُـبْـعـدُهـا الـصـدُّ والـهـوى مِـحَـنٌ ... عـن نـاظـرِي والـغـرامُ يـدْنـيـهـا
هـل بـارقٌ مـا أرى أم ابْـتَـسـمَـتْ ... فـانـتـظـم الـدُّرُّ فـي تَـراقِـيـهَـا
عـن فَـتْـكِـهـا قَـدُّهـا يُـحـذِّرُهـا ... وَلَـحْـظُـهـا بـالـصُّـدودِ يُـغْـرِيـهـا
إن سَـفَـرتْ فـالـهِـلالُ طَـلْـعـتُـهـا ... أو خـطَـرتْ فـالـغـصُـون تَـخْـكِـيـهـا
أو نـظَـرتْ فـالـظـبـاءُ فـي حـجَـلٍ ... أو نـكَـهـتْ فـالـعَـبِـيـرُ فـي فِـيـهَـا
أسْـخَـطـتُ فـي حُـبِّـهـا وقَـلَّ لـهـا ... كـلَّ صـديـق عَـسَـاهُ يُـرْضِـيَـهـا
لـو سـمَـحـتْ بـالـكـرَى لأرَّقـنِـي ... وَهْـنـاً مـن الـلـيـل خـوف واشِـيـهَـا
أو بـعـثَـتْ طَـيْـفَـهـا لـعَـرَّفَـهـا ... مـا ذَاقـهُ الـصَّـبُّ مـن تَـجـنِّـيـهـا
شُـقَّـةُ بَـيْـنٍ لـهـجْـرِنـا نُـشِـرَتْ ... فـلا يـكـاد الـزَّمـانُ يـطْـوِيَـهـا
جَـرَّعِـنـي الـدهـرُ بـعـدهـا غُـصَـصـاً ... أكْـتُـمـهـا تـارةً وأُبْـدِيـهَـا
يـا بـائـعـاً نـفْـسَـه بـلا ثـمَـنٍ ... أرْخَـصْـتَـهَـا فـالـهَـوانُ يَـشْـرِيَـهـا
مـا بـالُ هـذا الـزمـانِ يُـتْـحِـفُـنِـي ... بـمُـضْـمِـيـاتٍ إلـيَّ يُـهْـدِيـهَـا
طـلائـعِ لـلـمـشِـيـبِ ضـاحـكـةٍ ... بـعـارِضٍ والـشـبـابُ يَـبْـكِـيـهـا

ومنها:

خُـذْ رَوْضـةً فـيـك طـاب مَـغْـرِسُـهـا ... مـنـهـا ثـمـارُ الـمـديـح تَـجْـنـيـهَـا
فـي لَـهَـواتِ الـرُّواةِ أنْـبَـتَـهـا ... ذِكْـرُ عُـلاكَ الـذي يُـرَوِّيـهَـا

ومن أهاجِيه: [البسيط]

ومُـسْـبِـلِـينَ عـلـى لُـبْـسِ الـوَقـارِ لـحِـىً ... يَـشْـكُـو ظُـلامَـتَـهـا صَـدْرٌ وأكْـتـافُ
يـشُـكُّ نـاظِـرُهـمْ فـيـهـم إذا ركِـبُـوا ... حـتـى كـأنَّ وُجـوهَ الـخـيـل أرْدافُ

وله أيضاً: [الطويل]

ومَـن تَـمْـسـحِ الأيـامُ رأسَ شَـبـابِـه ... بـراحـةِ بَـلْـواهـا يـشِـبْ قـبـل مَـسْـحِـهَـا
ومَـن يَـرْعَ سـمْـعـاً لـلـنَّـصـيـحـةِ مَـن عَـدَا ... يـجِـدْ مـا تَـحـامـى فـي أسِـرَّةِ نُـصْـحِـهَـا

وله أيضاً: [الخفيف]

سَـاومَـتْـنـي الـهـمـومُ والـحـزنُ مـمَّـن ... كـان يـرْعَـى عـلـى الـبِـعـادِ جِـوارِي
كـنـتُ أبْـكـي بُـعْـدَ الـدِّيـارِ اشْـتِـيـاقـاً ... فـدَهـانـي بُـكـاءُ قُـرْبِ الـديـارِ
أيُّ قـلـبٍ يـقْـوَى عـلـى فـقْـدِ إلْـ ... ـفَـيْـنِ رهـيـنِ الـثَّـرى ونـائِـي الـدَّارِ

Marfat.com

وله أيضاً: [الكامل]

ما حالُ مَن رمَتِ النَّوَى بعد الجوَى ... في عارِضَيْه وقلبِهِ بهُمومِ
ففؤادهُ في أرضِ مصرَ وجِسْمُه ... شابَتْ مَفارِقُه بأرْضِ الرُّومِ

وله أيضاً: [المتقارب]

صحبْتُ الليالي فأَفْنَيتُها ... وعذَّبْتُ فكرِي بطُولِ السَّهَرْ
وخُضْتُ البِحارَ وما خِفْتُها ... وأَخرجت منها نفيسَ الدُّرَرْ
وفصَّلْتُها ثم نظَّمْتُها ... وعلَّقْتُها في رِقابِ البقَرْ

وله من قصيدة: [الخفيف]

ما لِعضرِ الشبابِ رَثَّتْ بُرودُهْ ... ولَوتْ جِيدَها عن الوصْلِ رُودُهْ
ولِمَيَّادِه وما طال عَهْدٌ ... مِن سَقيطِ النَّدَى ذَوَى أُمْلُودُهْ
وسَوادُ العِذارِ عاد مَرِيضاً ... فأتى ناصِعُ البياضِ يَعُودُهْ
ما لِحِبٍّ يحنو عليه ولكن ... بزِمامٍ إلى الحِمامِ يقُودُهْ

وله أيضاً: [الوافر]

ومَن تُخْطِئْه نِيرانُ القوافِي ... فسوف يُصِيبه ألَمُ الدُّخانِ
وأبْلغُ مِن مَذاقِ الموتِ يأسٌ ... جَناهُ المرءُ من رَوْضِ الأمانِي

وله أيضاً: [م. الوافر]

قَضِيبٌ للرُّبَا وافَى ... فخدُّ الوردِ في خَجَلِ
وعينُ النَّوْرِ شاخِصةٌ ... وشخصُ الظِّلِّ لم يَملِ

وله في رأسِ على رمح: [الخفيف]

هامَةٌ في الحياة طاوَلتِ الشُّهـ ... ـبَ وما نالَها هبُوبُ الرياحِ
أنِفَتْ بعد موتِها التُّرْبَ فاخْتا ... رَتْ لها مَسْكناً رؤوسَ الرِّماحِ

وهذا كقول البُحْتُرِي في غريق: [الوافر]

ولما لم يسَعْهُ البرُّ قَبْراً ... غدا البحرُ المحيطُ له ضَريحاً

ومن بدائِه الأستاذ البَكْرِيّ البديعة، أنه الْتَمس منه بعضُ الأدباء شفاعةً لبعض الوزراء، فأخذ القلم ليكتب له ما أراد، فسقط القلمُ من يدِه، فقال بَدِيهة: [الوافر]

ولمَّا ضاق عنه الطِّرسُ وَضْفاً ... جعلتُ له بَسِيطَ الأرْضِ طِرْساً

وأصل هذا كله قولُ ابن الأنْبَارِيّ في مَرْثيَّة الوزير ابن بَقِيَّة، لما صُلِب، وهي مشهورة: [الوافر]

ولمَّا ضاق بطنُ الأرْضِ عن أنْ ... يُضمَّ عُلاكَ مِن بعد المَمَاتِ
أنابُوا الجوَّ قَبْرَك واسْتنابُوا ... عن الأكْفانِ ثوبَ السَّافِياتِ

Marfat.com

ومما أنشدني بعضُهم للمُنُوفيّ: [م. الكامل]

حـلَـف الـمُـتَـيَّـمُ أن يَـوَدَّهْ بـلَـغ الـمُـنَـى أو نـال صَـدَّهْ
عـكَـفـتْ عـلـيـه الـعـاذِلا تُ يَـلُـمْـنَـه ويُـرِذْنَ رَدَّهْ
والـلّـهُ يـعـلـم أنَّـهـنّ بـعَـذْلِـهـنّ يَـزدْنَ وجْـدَهْ
سـلَـب الـفـؤادَ ولـيـس مِـن شَـرْطِ الـمـلاحـةِ أن يَـرُدَّهْ

وهذا الشعر ليس له، وإنما هو لشاعر مكّيٍّ عصرِيّ، إلا أن اسمه نسجتْ عليه العناكِب، وهبَّتْ على رَسْمِه الصَّبا والجَنائِب.

٨٢- عبد الوهَّاب المحَلِّيّ الحَنفِيّ

شابٌّ غَضُّ الشباب، كان لي من أجلِّ الأصدقاء والأحباب، لمَّا قدِم لمصر في طلب العلم مُرْتدِياً رداءَ الاغْتراب.

وكان في عُنْفُوان شَبِيبة الأمل بالمحَلَّة، إذا رجا من الدهر أملاً رآه أهْلَه ومَحِلَّه.

وقد نُسِجت بيد المحاسن شَمْلةُ شمائِله، وبُهِتتْ عيونُ الأزهار لربيع خَمائله.

وقد غرَّدتْ في رياض المحامد بَلابِلُه، وسيفُ طبْعِه المشْحوذ قد عُلِّقتْ في عاتقِ المجد حمائلُه.

وفصاحتُه تفعل ما لا يفعلُه المُسْكران: سُكْرُ الشباب، وَسُكْرُ الشَّراب، وتخلُب بما لا يُؤثِّره السِّحران: سحرُ النَّفثات، وسحرُ الكلِمات العِذاب. [الخفيف]

هـو شَـرْطُ الـنَّـبِـيِّ إذْ قـال حَـقّـاً اطْـلـبُـوا الـخـيرَ مـن حِـسـانِ الـوُجـوهِ

وتباشيرُ صُبْحِ نَجابته بِاسمةُ الثنَّايا، تقول إن في الرِّجال بقَايا.

وظلُّ مَجْده سَجْسَج، وروضُ فضلِه مُدبَّج.

وجودُه سحابةٌ وَطْفاء سقَت ظَمْآنَ القِفار، وأيقظ رَشاشُها أحْداقَ النُّوَّار.

بِطلْعةٍ إذا لاح سَناها، فالعيونُ مِن بعض أَسْراها.

تفُديه إذا تقاطر منه ماءُ الظَّرف والنَّدى، وتقول له إمَّا مَنّاً بَعْدُ وإمَّا فِدَا.

وقد جرى بيني وبينه في مضْمار الصُّحْبة، بِدُهْمِ الليالي والأيام طِرادُ خيلِ اللهوِ في حَلْبة المحَبَّة.

فحاز قَصَبَ السَّبْق مِن الأقلام حيثُ النَّسيم عَلِيل، والوقتُ سَحَرٌ وأصِيل.

حتى قطَفتْ يدُ الأجَلِ نُوَّارَه، وأطفأت رياحُ المنيَّة أنوارَه.

فبينما بَديهَتُه تُرشِف الأسماع على ظَمأٍ زُلالا، فاجأه الأجلُ فخِلْنا موتَه كان ارْتِجالا.

Marfat.com

فممَّا أمْلاه، وطرَّز بُرْدَه ووَشاه، قوله من قصيدة أهداها لي: [الطويل]

أثَغْرٌ بدَا يفترّ أم شَنَبُ الزَّهْرِ ... زَها أم سَقِيطُ الطَّلِّ أم أنْجُمُ الزُّهْرِ
أم القُضْبُ في خضر البُرودِ رَواقِصٌ ... لها نقَّطتْ أيْدِي الغمائم بالقَطْرِ
فأرْخَيْنَ من تلك الكِمامِ مُعَصْفراً ... ومِسْنَ كغِيدٍ في ملابسها الخُضْرِ
ودَبَّجَ وَشْيُ الرَّوْضِ منها مَطارِفاً ... مُطرَّزةٌ منها الكمائمُ بالزَّهْرِ
ووَلَّى هَزِيمُ الليلِ مُذ سَلَّ صارِماً ... عليه ضِياءُ الصُّبحِ من مَغْمَد الفَجْرِ
وبات يُعاطِيني الغزالُ مُشنِّفاً ... من الكأسِ رَاحاً قد أُذِيبَتْ من التِّبْرِ
رَخِيمٌ من الأتْراكِ هِنْدِيُّ لَحْظِه ... يصولُ بقَسْرٍ وهْوَ في غاية الكَسْرِ
إذا رُمْتُ ضَمّاً منه ينصِب عامِلاً ... غدا ماضِياً فينا ويجْزِم بالهَجْرِ
ويبْعثُ خَلْفاً منه شَعراً مُنشَّراً ... مليحٌ أتى في الحسنِ بالبعْثِ والنَّشْرِ
وتحسد رَبَّاتُ الشُّنوفِ وِشاحَهُ ... ومن قلَقٍ قد بات يشكو ظَمَا الخَصْرِ
يُراضِعني ثَدْيَ اللَّمَى من مُدامَةٍ ... براحٍ لنا منه مُعطَّرةِ النَّشْرِ
نعِمْنا بها كأساً إذا ما تشَعْشَعتْ ... ولاحَت رأيتَ الشَّمسَ في راحةِ البَدْرِ
كأنَّ نِثَارَ الدُّرِّ فوق كؤُوسِها ... رسائلُ ذي فضلٍ تَنَظَّمْنَ من شِعْرِ

وكان ذهب في يوم نام فيه الحِدْثان، وغفِل عن صَفْوه رقيبُ الزمان.

إلى روضةٍ طرَّزها الربيعُ ووَشَّاها، وصحيفةٍ نقَّطها القطرُ لمَّا رأى النباتَ حَشاها.

والطيرُ يُبْدِي في قراءةِ أوْراقِها وُلوعَه، وقد أوقد لها الزَّنْبقُ في حافاتِها شمُوعَه.

وهي شاكرةٌ للدِّيَم، محدِّثةٌ بِلسان النَّسيم عَمَّا لها من النِّعم.

ومِطْرَفُ الجوِّ مُمسَّك مُعَنْبَر، والماء فِضِّيُّ القميصِ وطَيْلَسان الروضِ أخضَر.

وقد غنَّت بلابِلُها، وصفَّقت طرَباً جداولُها.

وتضرَّجت خدودُ أزْهارِها الجَنِيَّة، وتلفَّعتْ أردافُ ذوائِبها بمُلاءتِها السُّنْدسِيَّة.

وتعَذَّرتْ أنهارُها بعوارِض الرَّيْحان، يكاد السِّحرُ يعبدُها إذا تحيَّر في وصفِها البَيان.

فكتب لي يدعوني إلى التَّمتُّع بعَبِير شَمِيمِها، وأن نعود على فرش الرُّبا عليل نسيمها. فقال: [الرجز]

مولايَ إن الروض من وَشْيِ السُّحُبْ ... يختال في زَهْو الحُلا على الكُثُبْ
مُعَنْبَراً مُمسَّك الأذْيالِ ... مُعطَّرَ الأزدان بالأوْصالِ
مُفَوَّفاً آذانَه باللُّدُرَرِ ... مُدبَّجاً أكْمامَه بالزَّهَرِ
قد صافحَتْ أزهارَه الغمائِمُ ... فضاحكَتْها بالرُّبَا الكمائِمْ
وفرَّك الرِّيحُ على مَتْنِ النَّهَرْ ... جُيوبَه وفكَّ أزرارَ الزَّهَرْ

Marfat.com

وأظهرتْ حُلا الرُّبا الأمْطارُ وطارحتْ أشْجانَها الأطْيارُ
وقام يعلو مِنْبَرَ الأشْجارِ خطيبُها مُحرِّكَ الأوْتارِ
مُنَمَّقَ الدِّيباجِ قد تتَوَّجا مُطوَّقاً مُقَرْطَقاً مُدَمْلَجَا
مُطرِّزاً أكْمامَه بالعسْجَدِ مُرَصَّعاً من مَعْدِنِ الزَّبَرْجَدِ
يدعوك شوقاً مُغْرِباً بشَجْوِه فكُن أمامِي مُسْرعاً لنحْوِهِ
وانْفِ الهمومَ والغمومَ والتَّرَحْ واستجْلِبِ الأنس خليلي والفرَحْ
فهاكَ أوْقات السُّرورِ قد دنَتْ مُبَشِّراتٍ بالهنَا وأغْلنتْ
ودعْ مَقالَ كلِّ واشٍ يغْذِلُ فالعذرُ حقّاً ليس في ذَا يُقْبَلُ
ودُمْ تُكاتِبْ برقيقِ الفكْرِ عبداً على حكمِ الهوَى في الأسْرِ
قد قيَّدتْه غُربةُ الأوطانِ عن الدُّمَى وخُرَّدِ الغِزْلانِ[1]
لا زال مولانا الشِّهابُ الثَّاقِبُ لعبْدِه وقِنِّهِ يُكاتِبُ
ما دَبَّجتْ بوَشْيِها الأقلامُ مُحبَّرَ الأوْراقِ، والسَّلامُ

ولما فارقني لوطنِه، كتب إليَّ يشتكي أمراً نزل به، فأجبتُه بقوْلِي:

مولاي يشتكي من الدهرِ وهو أبو العِبَر، وفي المثَل مَن سابَق الدهرَ عثُر.

فانتظِرْ عُقْبَ الزمان عليك، وكِلْ إلى اللّه أمرَ مَن أساء إليك.

فإن الدهرَ دُوَل، وللّه جنودٌ منها العَسَل.

وكم أغْنَتِ الوُحوش، عن صَدمات الجيوش.

وما سُمِّيت الحالُ بالحال، إلا لسُرعة التحوُّل والانْتقال، فأيامُه يومٌ بِيَوم وحربُه سِجال.

فما عبَس مساءٌ بوجهِ أُفُقِه، إلاّ وبعده صباحٌ يضحَك عليه فَمُ شَرْقِه.

فأوقِدْ مصباحَ فكرك إن أظلم الدُّجى، واصبرْ فإنَّ الصبرَ يفوح منه أرَجُ الرّجا.

وإن جفَتْ قُرَيْشٌ فلِلّه أنصار، وإن نبَتْ بك دارٌ فللّه ديار.

وإذا كان انتظارُ الفرَج عبادة، فأوقاتُ الضِّيق كلُّها سَعادة.

وقربُ الأشْرار، أعظمُ مصائبِ الأحرار.

وللّه دَرُّ القائل: [الطويل]

مرِضْتُ من الحَمْقَى فلم أُدْرِكِ المُنَى تمنَّيتُ أن أُشْفَى برُؤْيةِ عاقلِ

فإن لم تجدِ الشفاء، فالْزَم الاحْتماء. كما قيل: [الطويل]

أرَى مرَضَ الحمْقَى بعَدْواه مُهْلِكاً فمَن لي بذِي لُبٍّ به يشْتَفِي بَاسِي
بئسْتُ ولم أنظُرْ حكيماً فلا شِفَا سوى حِمْيَتِي بالبُعْدِ عن سائرِ النَّاسِ
جزى اللّهُ عنِّي اليأسَ خيرَ جزائِه فإنِّيَ لم أظفَرْ بأعْقلَ مِن يَاسِي

---

(١) الخرود: البكر التي لم تمسس، القاموس المحيط، مادة /خرد/.

Marfat.com

وقد قلتُ في الفصول القِصار:
في التَّرْكِ غِنىً بلا مِنَن؛ والحِمْيةُ دواءٌ بلا ثَمَن.
والسلام.

٨٣- عبد المنعم المحَلِّيّ الطرينيّ

أديبٌ اجتمع بي، وأنشدني ما تهُزُّ له الفصاحةُ أعْطَافَها، من كلماتٍ إذا انْتَسَبْنَ عَدَدْنَ الدُّرَّ أصْدافهَا.

من كلِّ عِقْد تَبْسَم العقودُ لمحاكاة انتِظامِه، وتَحْيَى النفوسُ بماء الحياة الذي في مِداد أقلامه.

والدُّرُّ مُجتَلب من الظُّلُمات، ولطيفُ شِيَم ليس للرياض أخلاقٌ كما لَه، ولا للبدرِ ولو تكلَّف أن يَحْكِيَ كمالَه.

وقد درَس آيات الفضل وتلاها، واقتنص شواردَ الآداب وما تَلاَهى.

والشبابُ لَفَّ شَمْلَه بشَمْله، ومُرادُه وسَعْدُه أطوعُ من ظِلِّه.

حتى اقتنَصَه في ليلِ شبابِه صَيَّادُ المنيَّة، وضرب سوراً بينه وبين الأُمْنِيَّة.

فمن نَفثاتِ أسْحَاره، ونَسَمات أسْحاره، قوله من قصيدةٍ أنشدنيها: [الطويل]

أمَوْلىً به روضُ الفضائل مُزْهِرُ ... ويانعُ أغصان المآثر مُثْمِرُ
لك اللّهُ من مولىً به يفخَر العُلا ... وتشرقُ شمسُ الفضلِ منه وتظهرُ
بِشاطئ بحرِ الطِّرْسِ منك جواهرٌ ... ولا عَجَبٌ من ذا ففكرُك أبْحُرُ
وهتَّان سُحْبِ الفكر هل أنت مُنبتٌ ... به أيَّ معنى من مَبانِيه يسْتُرُ
رفعتُ إليك الحالَ يا خيرَ سيِّدٍ ... وإن كان رَفْعُ الحالِ لا يُتصَوَّرُ
نظمْتَ فخِلْناه الدَّرارِي تنَظَّمتْ ... نَثَرْتَ فقُلنا النَّجْمُ في الأفق يُنْثَرُ
عَلِقْتُ بظَبْي بابلِي السِّحْرِ لَحْظُهُ ... فأجْفانُه كالبيضِ والقَدُّ أسْمَرُ
لئن لاح يوماً وجهُهُ مُتَهلِّلاً ... لَهَلَّل كلُّ الناس من ذا وكَبَّروا
إذا ماس قال الغُصْنُ ما أنا قَدُّهُ ... ويُكْسَف بدرُ التَّمِّ إذ هو يُسْفِرُ
ويُزْرِي لَعَمْري بالغزالةِ في الضُّحَى ... إذا ما رَنا شَزْراً فلا لاح جُؤذُرُ
تجمَّع كلُّ الحُسْنِ طُرّاً بوجْهِهِ ... ألم ترَ نَقْطَ الخالِ خَتْماً يُخبِرُ
وإن لِصُّ لحظِي رام يسْرِقُ نظرةً ... ففي جَنباتِ الخدِّ تبدو وتظهرُ
علِقتُ به لا عن مُرادٍ وإنَّما ... محاسنُه نادتْ فلبَّيْتُ أعْثُرُ
سُحرتُ بلَحْظٍ بابِليٍّ ولم أكُنْ ... أظُنُّ من الألْحاظِ أنيَ أُسْحَرُ
تعدَّتْ مواضِي مُقْلتيْهِ بمُهْجَتِي ... بعاملِ قدٍّ كَسْرُه ليس يُجْبَرُ
تنازَع فيه عاملا البَيْنِ والقِلى ... فأمْسَى وكلٌّ في الضَّمِيرِ مُؤثِّرُ

Marfat.com

إذا قلتُ صِلْنِي راح بالهجْر جازِماً ... وينصِبُ ماضِي القَدِّ والجَفْنَ يكْسِرُ
أُلِينُ له عِطْفِي فيزْدادُ قَسْوةً ... أذلُّ له جُهْدِي يَعِزُّ ويكبرُ
بذَلْتُ له روحي ابْتِغاءَ وِصالِه ... فلم يَرْضَها إذْ راح منِّيَ يسْخَرُ
فهل تَعْلَمَنْ وُقِّيتَ كلَّ كريهةٍ ... سبيلاً إلى ما أبْتغِيه يُيَسِّرُ
فلا برِحَتْ هامُ العُلا لك مَوْطِناً ... بأعْلى سماء المجد لا زِلتَ تخْطُرُ
مدَى الدهر ما حَنَّ المَشُوقُ لأهْلِه ... وزَمْجَر رعدُ الشوق والجَفْن يُمطِرُ

وقوله: «رفعت إليك الحال» فيه إغراب مَسْبوق إليه، كقول الصَّفيّ الحلّيّ: [البسيط]

رفعتُ حالِي ورَفْعُ الحالِ مُمْتنِعٌ ... إليكمُ وهْوَ للتَّمْييزِ مُحْتمِلُ

وأحسن منه قولي:

أأشْكُو الحالَ والرَّزاقُ أدْرَى ... بها وهو الغنيُّ عن السؤالِ
وإنِّي مُخْطِي إن عُدتُ يوماً ... لنحو شِكايةٍ ورفعْتُ حالِي

قوله: «فلا لاح جؤذر» كقول ابن مَطْرُوح: [الكامل]

وأقولُ يا أخْتَ الغزالِ ملاحةً ... فتقولُ لا عاش الغزالُ ولا بَقِي

وهاهنا نكتة بيانيَّة، لم يتَفطَّنوا لها، وهو أن التَّشْبيه البليغ له أنواع:

أدناها، أن يُدَّعى اتِّحاد ما بينهما، فيُحمَل أحدُهما على الآخر، كزيد بدر، ونحوه. وأعلاها التَّجْريد.

وبقي من نوعٌ أبْلَغ من كلِّ ما ذكَروه، وهو أن يُنْفَى التَّشْبيه، فيقال: ما هو بحرٌ، فإنه عَذْب زُلال، يقذِف الدُّرَّ في كلِّ حين، والبحرُ إمَّا ماءٌ أجاج، أو عذب ليس فيه دُرٌّ ثَمين، ونحوه، مما هو كثير في كلامهم.

والنَّفيُ بحَسَب الأصل يدلُّ على أنه في شأنه أن يُنسَب له في الجملة، ولذا لا يقال للحائط ليس بعالم من كلام البلغاء إلاَّ لنُكْتة، فلذا كان تشبيهاً أبلغ مما عَداه. فأحْفظه. وقوله: [الطويل]

نثرت فقلنا الدرّ في الأفق ينْثر

وأحسن منه في مدح كلام منثور: [الطويل]

وفصلٍ من النثْرِ البديع قرأتُه ... فقلت حَبَابٌ تحته الخمر مُسْكِرُ
أو الطِّرْس رَوْضٌ زَهْرُه متفتِّحٌ ... بلَى هو عِقْدُ الزَّهر في الصبح يُنْثَرُ

٨٤- محمد بن الخيَّاط المَحَلِّيّ

شابٌّ أديب نشَأ بالمَحَلَّة، لم يحلَّ أحدٌ في خِياطة حُلَل السِّحْرِ مَحَلَّه. وكان كعبةَ ظُرفائِها، وقِبْلةَ نُدَمائِها. من سابَقَه في طُرُقِ الرِّقَّة، بَعُدتْ عليه الشُّقَّة.

Marfat.com

فمن شعره قوله: [الطويل]

لنا صاحبٌ ما زال يُتْبِعُ بِرَّه ... بمنٍّ وذاك البِرّ بالمنِّ لا يَسْوَى
سَلَوْناه لا بُغْضاً ولا عن مَلالةٍ ... ولكنْ لأجْلِ المنِّ تُسْتعملُ السَّلْوَى

ومثله قول التِّلمسانِيّ: [الطويل]

هَواكُمْ هو المنُّ الذي ما له سَلْوَى ... وحُبُّكُم عندي هو الغايةُ القُصوَى

ومن محاسن الأرْدُبِيليّ قولُه في غلام يهودِيّ: [السريع]

مِن آل إسْرائيلَ عُلِّقْتُه ... أوْقَعنِي بالصدِّ في التِّيهِ
قد أُنْزِلَ السَّلْوى على قلْبِه ... وأُنْزِل المنُّ على فِيهِ

ومثله ما قلتُه: [السريع]

بالمنِّ لا يُوزَنُ إحْسانُ مَنْ ... صِرْنَا على إحْسانِه نَقْوَى
أما ترى الرَّزَّاقَ جلَّ اسْمُه ... قد قرن المنَّ مع السَّلْوَى

وقوله «يسوى» بمعنى يُساوي، وقال بعضهم: إنه من خطأ العوام.

وليس كما قالوه، ففي «تهذيب» الأزْهريّ بعدما ذكر «لا يساوي» ما نصه: «لم يعرف الفَرَّاء لا يَسْوَى، وقال اللَّيث: هي نادرة، ولا يقال منها سَوِي ولا سَوَى، وهي لغةُ أهل الحجاز، وأما لا يُسوى بالضم فليس بعربي صحيح» انتهى.

وفي «الارْتشاف» لأبي حيَّان: «عدّ البهَارِيّ فيما لا يتصرّف من الأفعال يسوى وقال ابن الحاجّ: بمعنى يُساوِي» انتهى.

أقول: قد عُلِم ممَّا نقلناه أنَّ يَسْوى بزِنة يَرْضى لغة صحيحة فصيحة حجازية وما ضعَّفها إلاّ ابْتذالُها، وهي من الأفعال التي لا تتصرَّف، أي لم يُسْمَع منها إلا فعل واحد، وذلك يكون بالاقْتصار على الماضي، كعسَى، وتبارك، وقد يكون على المضارع، كيَسْوى، وينبغي، قي قولٍ، وأن تَرْك لفظٍ من مادّةٍ دون غيره فإماتة كماضي يدَع ويذر، على المشهور. وهذا مما ينبغي حفظه.

٨٥- القاضي تقيّ الدين التَّميميّ

بحرٌ تدَفَّق منه أدبُه الجارِي، وتضَوَّع في طَيِّ أزْدان فضلِه نشْرةُ الدّارِي. فسَنَّت الأيامُ من أسِنّةِ لِسانِه فُولاذَها، وأطْعمتْه المعالي على خُوانِ الدَّهر من كبِدها أفْلاذَها.

٨٥- القاضي تقي الدين التميمي الغزي الحنفي، صاحب الطبقات، العالم العلم الفاضل الأديب الجم الفائدة المفنن، أخذ عن علماء كثيرين وجال في البلاد ودخل الروم وألف وصنف وأحسن ما له من التآليف «طبقات الحنفية» وقد جمع فيها جملة من علماء الروم وعظمائها وأكابر سرائها ورؤسائها.
وكانت وفاته بمصر سنة عشر وألف. خلاصة الأثر (١/ ٤٧٩).

Marfat.com

ولما آل إليه كتابُ وَقْفِ جَدِّه تميم، انتظم في جِيدِه من الفخار عِقْدٌ نظيم. ثم اختلَسَتْه منذ يدُ الدهر، فأذاقَته حَنْظَلَ الفقر والقهْر. حتى أضْرم في فؤادِه غليلاً، بعد ما ورد من الحياة على ظَمَاءٍ سَلْسَبِيلاً.

وكان في أول أمْرِه، وإقْبال طلائِع عُمْرِه، حِرْفتُه الزَّهادة، وحانوتُه السَّجَّادة. ثم ساقه القدرُ إلى القَضا، فرضِيَ بما قدَّره اللّه وقَضَى.

بعد ما كان يقول: [الخفيف]

مَن تمنَّى القضَا فلا تَغْبِطَنَّه واجعل الموتَ سابقاً للقْضاءِ

وقد قالوا: مَن تولَّى القضاء ولم يفتقِرْ فهو لِصّ والآن قد افتقرتِ اللُّصوص، لمَّا سرقتِ الأُمراءُ من الخواتِم الفُصوص.

والسَّارِق إذا سرَق من سارقٍ فقد عاملَه برأْس مالِه، وقالوا: الرِّبحُ والفائدةُ السَّلامةُ من الخُسْرانِ ووَبالِه.

وما يسلُب قاطعُ الطريق العُرْيان، بل يهْديه للسَّبيل ويُعْطِيه الأمان.

فكلّ قاضٍ منقوصٍ أبْدَى غَضَبَه، وأظهر مع كلِّ عاملٍ نَضَبَه.

ورَفْعُه وجَرُّه لم يزل يُنْوَى، وحاله لم يِطب وإن عمّتْ به البَلْوَى.

ودودُ الخَلِّ يموت إذا رُمِيَ في العَسل، وطِيبُ الوَرْد فيه هَلاك الجُعَل.

وله تصانيف سمعْناها منه، منها «طبقات الحنفيّة»، وهي في مجلدَّاتٍ جمع فيها من شقائِق النُّعْمان كلّ ثمرةٍ جَنِيَّة.

وله نظم ونثر، كقوله وقد لبس من القضاء خُلَعَ المَذَلَّة، وحاكَتْ له الأطْماعُ من نَصَبَ المناصِب حُلَّة: [الكامل]

أحْبابَنا نُوَبُ الزَّمانِ كثيرةٌ وأمَرُّ منها رِفْعَةُ السُّفَهاءِ

فمتى يُفيقُ الدهرُ من سَكراتِه وأرى اليهودَ بذِلَّةِ الفُقَهاءِ

وله أيضاً: [م. الكامل]

ما أبصَرتْ عينُ امْرئ في الدَّهرِ يوماً مِثْلَنَا

عِشْقٌ وحِرمانٌ بهِ أبداً ترانا في عَنَا

الدُّونُ لا نَرْضى به والعالُ لا يرْضَى بنَا

«والعال» بمعنى العالي، كقولهم لم نبل إلا أنها لغة عامِّيَّة مُبْتذَلة.

وقيل لابن المقفعِ: لِم لا تقول الشِّعْر؟ فقال: ما يجيءُ ما نَرْضاه، وما نَرْضاه ما يَجِيء.

وله أيضاً: [الطويل]

إذا أكْثَرَ العبدُ الذُّنوبَ ولم يكُنْ له شافِعٌ مِن حُسْنِه يُوجِبُ العُذْرَا

Marfat.com

وأبْصَرْتَ مَولاهُ مع الذَّنْبِ مُنعِماً عليهِ فحقِّقْ أن بينهما أَمْرا

وله في عبد الرحيم القَسَّام: [الكامل]

في مصرَ قَسَّامان كُلٌّ يدَّعِي في العلم تَوْسِعة له ويُحاوِلُ
فسُئِلتُ أيُّهما أجلُّ فضيلةً فأجبتُهمْ عبدُ الرحيم الفاضلُ

وله أيضاً: [الكامل]

وإذا أساء إليكَ خادِمُ سيِّدٍ فأقَرَّهُ فازحَلْ ولا تتوَقَّفِ
واعلمْ بأنَّك قد ثَقُلتَ وأنه أعْطاك إذْناً للرَّحيلِ فخفِّفِ

وله مُضمِّناً: [البسيط]

لنا صديقٌ له في الغانياتِ هَوىً وأيْرُه لا يزال الدَّهْرَ طَرَّاقا
كأنَّما هو حِرْباءُ الهَجِير ضُحىً لا يُرْسِلُ السَّاقَ إلاَّ مُمْسِكاً ساقا

وقد سبقَه لهذا ابن نُباتَة المِصْرِيّ، فقال:

لا يشْغَلَنَّك شيءٌ في زمانِك عَنْ وَصْل المِلاح وحاذِرْ كلَّ ما عاقا
وكُنْ كما قيل في الحِرْباءِ مِن فَطِنٍ لا يُرسِلُ السَّاقَ إلاَّ مُمْسِكاً ساقا

وهو تضْمين من قول بعض شعراء الجاهلية: [البسيط]

أنَّى أُتِيحَ له حِرْباءُ تَنْضُبَةٍ لا يُرسِلُ السَّاقَ إلاَّ مُمْسِكاً ساقا

والساق فيه: غصن الشجرة، ومن الإنسان معروف، وبه قامت التَّوْرِية.

وضرَبه بعضُ العرب مثلاً لألدِّ الخِصام، الذي كلّما انقضَتْ له حُجَّةٌ أقام أُخرى.

والحِرْباء دُوَيبَّة تسمى أم حُبَيْن، تتلوَّن ألواناً مع الشمس، وتُكْنى أبا قرّة.

ويقال: حِربا تَنْضُب، كما قيل: ذئب غَضَا، وهو شجر يُتَّخذ منه السِّهام جمع تَنْضُبَة.

وفي المثل «أحزَمُ من حِرْباء»؛ لأنه مع تقلّبُه مع الشمس لا يُرسِل يدَه من غُصْنٍ حتى يُمْسِك آخر، وهو الذي عَناه الشاعرُ.

وضربه ابن الرُّومِيّ مثلاً للقبح، ويُضْرَب به المثلُ في كَثير التَّقلُّب أيضاً.

وكان بيني وبينه مَودَّة أكِيدة، ومكاتبات ومراسلات بالرُّوم.

فمما كتبْتُه له: [البسيط]

يا رَوْضَ مجدٍ بماء المَكْرُماتِ سُقِي وجامعاً شَمْلَ فضلٍ غير مُفْترِقِ
لا أتَّقِي زمَناً أضْبخْتَ أوْحدَه فأنت حِصْنٌ لريبِ الحادثاتِ تَقي

وكتبتُ له مرَّةً أستدْعيه: [الطويل]

ولمَّا نزلْنا مَنْزِلاً طَلَّه النَّدَى أنيقاً وبُسْتاناً من النَّوْرِ حالِيا
أجدَّ لنا طِيبُ المكانِ وحُسْنُه مُنىً فتمنَّيْنَا فكنتَ الأمانِيَا

Marfat.com

يا غاية الأماني، وسَلْوة الحزين العاني.
قد دعاني الربيعُ بلِسانِ النَّسيم، وصاحت الطُّيورُ: هَلُمُّوا إلى النعيم المُقِيم.
وعيونُ الأزْهار شاخِصَةٌ للطريق، وقدُودُ الأغصان واقفةٌ لانْتظار الرَّفيق.
فباللّه عليك إلا جعلْت يومَنا بك عِيداً، وجدَّدْتَ لنا بك سُروراً جديداً.
والسلام.

ولم يزل كذلك حتى طلَع ثَنِيَّة الوَداع وهبط منها لوادِي الفناء، وبلغ ساحِل الحياةِ فركب سفينة نَعْشِه واسْتراح من العَناء.

٨٦- يوسف المَغْرِبِيّ

عزيزُ مِصْرِه بنَاناً وبيَاناً، ويوسُف عصره حُسْناً وإحْساناً.
نشأ بمصر يتعاطَى صناعة الأدب، وثبَّت بأوْتادِ شِعْره كلَّ سَبَب.
يُشارِك في تجارةِ الفضلِ بنَصِيب، ويرْمى لأغْراضِها كلَّ سَهْمٍ مُصِيب.
بطَبْعٍ ألْطفَ من نَسَمات الشَّمال، سرَتْ سُحْرةً بلَيلةَ الأذْيال.
مُتتابِعةَ الأنْفاس، فنَبَّهتْ طَرَف نَوْرٍ في مَهْد الرِّياض نُعاس.
وقد خمّشت الصبَّا خَدَّ الشقيق، وخاضَتِ بحارُ الدَّياجي في كلِّ فَجٍّ عَمِيق.
مُرتدِية برداء السَّحَر، مُعانِقةً لقدُود الشَّجر.
حتى ألْقَى هِنْدِيُّ العَنْبَر في النَّار نفسَه من حَسَدٍ عليه، وتفتَّتتْ سُوَيْدَاءُ المِسْك حيثُ لم تصِلْ إليه.
وكان سابقاً في مَيْدان التَّصابي بين العُذَيْب وبَارِق، مَجَرٌّ عَوالِينا ومَجْرَى الجيِاد السَّوابق.

فرَوَيْنا كلَّ حديثٍ حسَن، صحيح يُسْنِدُه رَاوِي الزَّمن.
حيث الدهرُ غَضُّ الشباب، والآمالُ المُورِقةُ فَسِيحةُ الرِّحاب.
وله مَوْرِدٌ من الأدب صَفِيّ، وديوان سَمَّاه «الذَّهبَ اليُوسُفيّ».
فمما أنشدني منه، قوله من قصيدة له: [الكامل]

هـذِي كُـنـوزٌ فُـتِّـحـتْ أم مَـبْـسَـمُ ... والـبَـرْقُ لاح أم الـغَـوانِـي تَـبْـسَـمُ
هـذِي شـمـائـلُ قـد نـزَلْـنَ جَـوانـحِـي ... وجَـوارِحِـي يـبْـقَـى الـنَّـزيـلُ ويَـسْـلَـمُ

وله أيضاً: [م. الرجز]

٨٦- يوسف بن زكريا المغربي، نزيل مصر. الأديب الشاعر. قرأ بمصر وأخذ عن يحيى الأصيلي وبه تخرج، والبدر القرافي، وأبي النجا سالم السنهوري، والأستاذ محمد البكري.
وكانت وفاته بمصر سنة تسع عشرة بعد الألف. خلاصة الأثر (٤/ ٥٠١).

Marfat.com

أُوصِيكَ إنْ شَخْصٌ غَدا يَضْحَكُ أنْ مرَّ بِكا
لا تَغْتَرِزْ بِضِحْكِهِ فإنَّ هذا كَلْبُكا

وله في العامِلِيّ: [السريع]

إنَّ اليَهُودِيَّ غَدَا عامِلاً في النَّاسِ بالجَوْرِ وبالبَاطِلِ
يعمَلُ في الدِّين كما يشْتَهِي فَلْعَنَةُ اللّهِ على العامِلِي

وله من قصيدةٍ أخْرى: [السريع]

اشْرَبْ ولا تَغْتِبْ على عاذِلٍ فَمْثلُه في النَّاسِ لم يَعتبِ
وإن تكنْ يا سَيِّدي طالِباً دُرّاً وياقُوتاً من المَطلَبِ
فالكأْسُ والصَّهْباءُ فيها الغِنَى فخُذْ حديثَ الكَنْزِ عن مَغْرِبي

وله من قصيدة: [الكامل]

جعلُوا الشُّعورَ على الخُصورِ بُنُودَا والرَّاحَ رِيقاً والشَّقِيقَ خُدودَا
جعلوا الصَّباحَ مبَاسِماً ثم الظَّلا مَ ضَفائراً ثم الرِّماحَ قُدودَا
والوردَ خَدّاً والغُصونَ مَعاطِفاً والشمسَ فِرْقاً والغزالةَ جِيدَا
ورأتْ غُصونُ البانِ أنَّ قُدودَهمْ فاقتْ فأضْحتْ رُكَّعاً وسُجودَا

وهذا كقول ابن قَلاقِس، من قصيدة له: [الكامل]

عقَدُوا الشُّعورَ معاقِدَ التِّيجانِ وتقلَّدُوا بصَوارِمِ الأجْفانِ
وتوشَّحُوا زَرَداً فقلتُ أراقِمٌ خلَعتْ ملابسَها على عِقْيانِ

ومنها أيضاً: [الكامل]

وهلالُ شَوّالٍ يقول مُصدِّقاً بِيَدِي غصَبْتُ النُّونَ مِن رَمَضانِ

وله في مليح اسمه رمضان: [الخفيف]

رمضانٌ قد جئتُه رَمضانا وهو بدرٌ يفوق كلَّ الحسانِ
قلتُ صِلْنِي فقال وهْوَ مُجِيبٌ لا يجوز الوِصالُ في رَمضانِ

وهذا كقول الآخر: [الوافر]

بُلِيتُ به فقيهاً ذا جِدالٍ يجادلُ بالدَّليل وبالدِّلالِ
طلبتُ وِصالَه والوَصْلُ حُلْوٌ فقال نَهَى النَّبِيُّ عن الوِصالِ

واعلم أنَّ هذا كله ليس بشعرٍ ترتضِيه الأدباء، وهو كلُّ شعرٍ أُكْثِر فيه من البديع.

قالوا: وأوَّلُ من أتلف الشِّعرَ العربيّ بهذا النَّمَط مُسلم بن الوليد، ثم تبعه أبو تمّام. وأحسنُ هذه الصنعة التَّجنيسُ والتَّوْرية، وهما في الشعر كالزَّعْفَران، قليلُه مُفْرِح، وكثيرهُ قاتِل؛ ولذا لم نجِد في أهل مصر مَن يعرف الشِّعر ولا ينْظِمه.

ومنهم من غلِط في ذلك فأكثر من اللغات الغريبة، وتوهَّم أنه بذلك يصير بليغاً،

Marfat.com

على أن باب التَّوْرية قفَله ابنُ نُباتَة والقِيرَاطِيّ، ثم رمَيا المِفْتاحَ في تلك النَّاحية. وهذا لا يعرفه إلا مَن له سَلِيقة عربيَّة.

وليُوسف المَغْرِبيّ يمدح أستاذَه يحيى الأَصِيلِيّ؛ فإنه تخرَّج عليه: [الوافر]

مدحتُ البحرَ إذا أضحى يُحاكِي ... علومَ البَرِّ ذي الفخْرِ الجليلِ
وإنِّي إن مدَحتُ البحرَ يوماً ... فمَدْحِي فيه للبَرِّ الأصِيلِي

فكتَب له مُخَمِّساً ومُقرِّظاً:

حَمْداً لمن أطلَع من الأفق الغَرْبيّ بدرَ بلاغته مُشْرِقاً، وشكراً له إذْ أبدع جمالَ دِينه بما أوْدَع فيه من الكمالات التي زيَّنتْ مغرِباً ومَشْرِقاً.

وصلاةَ وسلاماً لمن أضاء الوجودَ برسالتِه مُتألِّقَا، حبيبِ اللّه عزَّ وجلَّ، الذي مَتعَّه بدَوام وُصْلِته بلقائه فلم يقُلْ متَى اللِّقَا، وأرشد أُمَّتَه إلى حُسْنِ الأدب بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وبعد، فإن الشيخَ الأديب، الكاملَ الأرِيب، الكاتبَ الشاعر، النَّاظمَ النَّاثر، ذا النِّظام الجَوْهَرِيّ، والنِّثار الذَّهبيّ، أبا المحاسن يوسفَ جمالَ الدين الأزْهَرِيّ المَغْرِبيّ، أدام اللّهُ عزَّ وجلَّ مَحاسِنَه ومحاسنَ كَمالِه، وأبَّدَ جمالَ رَوْنَقِهِ ورَوْنَقَ جمالِهِ، ممَّن جمع اللّهُ له بين الحُسْن والإحْسان، وبَراعةِ البَنان وبَراعةِ البَيان.

فقد أرْبى بنَضارةِ كلامه على زَهْر الخَمِيلة، ورقَّتْ دقائقُ بدِيعِه على دَرَجِ المعالي الجليلة الجميلة. حتى صار مع صِغَر سِنِّه شيْخَ الآداب، وظهر فضلُه كالشمس وقْتَ الظهيرة في عَصْر الشباب.

وكان كثيراً ما يُجامِلني بحُسْن المُجالسة، ويعامِلُني بلُطْف المُؤانَسة. وُينْعِم باجْتلاء جواهرِ محاضراتِه، واجْتِناء زَواهرِ مُحاوراتِه. فتفضَّل بإهْداء بيْتَيْن مُطِربَيْن ولا طَرَب المثالِث والمثَاني، مُغْنِيَيْن عن أجمل الغَواني.

جلا فيهما عرائسَ صفاتِه في مِرْآتي، وأشرق مِصْباحُ ذاتِه في مِشْكاتي. فأوسَعني، أوْسَعه اللّهُ من فضِله المَزِيد مُجابرةً وتأْنيساً، والتمس منِّي، حرسَه اللّهُ بسِرِّ التَّوْحيد، أن أجعل له تخْمِيساً، قاصداً بذلك، أنجَح اللّهُ مقاصدَه وكثَّر فوائدَه، تَنْويهَ ذكْرِي.

فأجْبتُه لذلك مُطِيعاً لأمْرِه، حافظاً - ولا أقول مُضَيِّعاً - لطِيب ما انطَوى فيهما من عاطرِ نَشْرِه، مُعْتِرفاً بأنَّ نَظْمَه ثَوْبٌ لم أكُنْ من بَزِّه، ووَشْيَ فكْرِي مقْصورٌ على رَخِيم خَزِّه. فأبقاه اللّهُ عزَّ وجلَّ لإعْلاء أعلامِ العلوم، وتَحْلية أجْياد الآداب بجواهر المنْثور والمنْظوم.

والبَيْتان العامِران، بل الرَّوْضان الزَّاهِران، والكَوْكبان الزَّاهِران، قد تقدَّما.

Marfat.com

والتَّخْميس المذكور هو قولي: [الوافر]

رأيتُ الشيءَ يُمْدَحُ باشْتِراكِ ... لآخَرَ في صفاتِ الفضْل زَاكِي
ألم ترَني بَعَزْمٍ وانْهماكِ ... مدَحْتُ البحرَ إذْ أضْحَى يُحاكِي
عُلَومَ البَرِّ ذي الفَخْر الجليلِ
أَصيلِيٌّ جفا في العلْم نَوْماً ... وبَرٌّ قد غَلا في المجْدِ سَوْمَا
وَلَجَّجَ في بِحارِ الفضلِ عَوْمَا ... وإنيٌ إن مدَحْتُ البحرَ يَوْمَا
فمَدْحِي فيه للبَرِّ الأَصِيلِي

أهلُ مصرَ تقول لِمَا بلغ الغاية: راح للبرِّ الأصِيل، وهو مشهورٌ، ومعناه ظاهر.

ولمَّا خمَّس قصيدة البرْدة بعضُ المتشاعرِين من أهل الرُّوم، قلتُ: فتح اللّه عينَ بصِيرته، أتَى في تخْميس البرْدة بما يدُلُّ على جُمودِ قريحَتِه، فخمَّس بل حَمَّس، ودَلَّس بغُموض معانيه بل دَنَّس.

والبُرْدة بُرْدٌ لا يحتاجُ جديده لتَرْقيع، بمثل كلماتِ هذا الأحْمق الرَّقيع.

وبالجملة فالأصلُ دُرٌّ ثَمِين، بل جوهرٌ نفيس يجِلُّ عن التَّثْمين. لما فيه من عَظِيم التَّوْحيد، والتَّنْبيه بمَدْح النَّبيِّ المجيد.

فهو روضٌ في شباب الرَّبيع، لا يحتاجُ لِمِنَّةِ غيثٍ مَرِيع، وأما الفرع فَشوكٌ في رِياضها أو دَنَس يحْتاج للتَّسْبيع. [الطويل]

إذا خَمَّس الناسُ القصِيدَ لحُسْنِهِ ... فَحُقَّ لِشعْرٍ قاله أن يُسَبَّعَا

٨٧- يحيى الأصِيلِيّ

أديبٌ ماهِر، وشاعِر ساحر، عبَقتْ بالدِّيار المصْريّة، أنفاسُه النَّديَّة النَّدِيَّة، بطبْعٍ يُعِيرُ عيونَ الحُورِ سِحْرَه، ويفضَحُ رِقَّةَ الصَّبا إذا نبّهت جُفون الأنْوارِ سُحْرَة.

نشأ بدِمياط وقد ابتسَم بمُحيَّاه ثَغْرُها، ودَرَّتْ عليه سحائبُ نِعَمِها فللّه دَرُّها. ثم هاجر لمصر وعودُ شبابه خَضِر، وروضُ محاسِنه بماء الصِّبا بَهِجٌ نَضِر. فتخرَّج بالنُّورِ العُسَيْلِيّ حتى حلاَ في ذَوْقِه شَهْدُ آدابه، وتزيَّنتْ حِقاقُ أفْكارِه بفرائِد خِطابه.

وكان يتغَنَّى بالقرآن، ويَقْرِي بصَوْتِه الحسن الآذان. وله أنفاسٌ في الغِناء تُميت

٨٧- يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد الأصيلي المصري، الأديب الشاعر. ولد بدمياط وبها نشأ، ثم هاجر إلى مصر فتخرج بالنور العسيلي حتى حلا في ذوقه شهد آدابه وتزينت حقائق أفكاره بفرائد خطابه، وكان يتغنى بالقرآن ويقري بصوته الحسن الأذان، وكان فرداً في فنون الغناء والطرب:
وكانت وفاته سنة عشر بعد الألف بمكة. والأصيلي نسبة لأصيل الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عثمان بن أيوب. خلاصة الأثر (٤/ ٤٨٠).

Marfat.com

الهموم وتُحيْي الطَّرَب، وتَرشُف منها الآذانُ ما تَسْكر منه ابنَةُ العِنَب، فإذا ترنَّم في نادي سادةٍ أعْيان، فكأنه نسيمُ الصَّبا والقومَ أغْصان، فأنفاسُه أطْرَبُ من عُود، وذكرهُ الجميل أطْيبُ من عُود. [الهزج]

فـــإنَّ الـــعُـــودَ مُـــشْـــتـــقٌّ مـــن الـــعُـــودِ بـــإيـــقـــانِ
فـــهـــذا طِـــيـــبُ آنـــافٍ وهـــذا طِـــيـــبُ آذانِ

ولم يزل بعد العُسَيليّ يُدِير سُلافَة اللَّطافة، وما برح بدِيوانٍ في محلِّ خِلافةٍ لا يرْضَى خِلافَه.

يقطِف ثمَراتِ المُنَى، ويَقِيل تحت ظِلالِ الهَنا، حتى مَدَّ الغناءُ له في الغِنَى، مع ما له في فنون العلم والآداب من المآرِب. [الطويل]

فـلـلـهِ مِـنـهُ جـانـبٌ لا يُـضِـيـعُـه ولِـلَّـهْـوِ مـنـه والـخَـلاعـةِ جـانِـبُ

مع أنه خفيفُ الرُّوح، خفيفُ الشُّقةِ على سائر الناس، فمحبتُه لذلك تجري مع الأنفاس. [الكامل]

وإذا أحـبَّ الـلّـه يـومـاً عـبـدَه ألْـقَـى عـلـيـهِ مَـحـبَّـةً لـلـنـاسِ

ولم يزل كذلك حتى قصد الحجّ يطُلب من شريف مكّة أملَه وتنْويلَه، ولم يذْرِ ما أضمرتْ له سُودُ الليالي وما تَنْوِي له. فلما ألْقَى العصا بها واستقرَّتِ النَّوى، قضى مناسِكَ حجِّه وأخلَص للّهِ ما نَوَى. ودعاه الكريمُ إلى دارِه، فحلَّ مُمتَّعاً بالرحمةِ في جِوارِه. واقفاً في عَرَفات إحْسانِه، مُحْرِماً في إزار أكْفانِه. وكان بيني وبينه وُدٌّ جميل، إلاَّ أنه لضِيق وقْتِه كشمسِ الشِّتاء عند الأصِيل، فمما نطق به لسان قلمِه، وأوْدَعه من نَوْر معانيه في كِمام كلمِه، قوله: [الكامل]

مَـن مُـنْـصـفِـي مـن ظـالـمٍ بَـيْـتُ الـمـظـالـم بَـيْـتُـهُ
أُخْـفِـيـه خَـشْـيـةَ بـأسِـهِ وأوَدُّ لـو سَـمَّـيْـتُـهُ

وهذا كقول السِّراج الورَّاق: [السريع]

رُزِقْـتُ بـنْـتـاً لـيـتـهـا لـم تـكـنْ فـي لـيـلـةٍ كـالـدهـرِ قَـضَّـيْـتُـهـا
فـقـيـل مـا سـمَّـيْـتـهـا قـلـتُ لـوْ مُـكِّـنْـتُ مـنـهـا كـنـتُ سَـمَّـيْـتُـهـا

وقد قيل عليه: إن التَّوْرِية لم تُعْقَد له؛ لأنه إنما يقال من السُّم سَمَمْتُها.

وقيل: مثله يُسمَّى إيهامُ التَّوْرية. والصَّحيح أنه من باب تقَضَّى البازِيّ، بمعنى تقَضَّض. وفي كلام بعضهم ما يقتِضي اطِّرادَه.

وله أيضاً: [الطويل]

Marfat.com

ألا إنّ لـي يـا آلَ صِـدِّيـقِ أحْـمَـدٍ لَشمْسُ هدًى منكم به الكربُ يَنْجلِي
فـلـي مـنـه أسْـتـاذٌ ولـي مـنـه مُـرشِـدٌ ولي منه قُطْبٌ ذُو اتِّصالٍ ولي وَلِي

وهذا نوع من البديع، زعم ابن الوَرْدِيّ أنه اخترعه، وسماه إيهامَ التأكيد. وهو في القرآن، كقوله تعالى: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. ومثله قول ابن مَكانِس: [م. الرجز]

نـعَـمْ نـعَـمْ مَـحـضْـتُـهـمْ صِـدْقَ الـوَلا تَـطـوُّلاَ
ومـا رَعَـوْا عـهـداً ولا مَـوَدَّةً ولا ولاَ

وله أيضاً: [م. الكامل]

لـي صـاحـبٌ مُـتَـمـرِّضٌ مـقـتـلِّـقٌ فـي ذاتِـهِ
يـا ربِّ صَـبِّـرْنِـي عـسَـى أقْـوَى عـلـى مَـرْضـاتِـهِ

وله مُماجِناً: [م. الكامل]

لا بُـدَّ يـا مـولايَ أنْ تـسْـمُـو لـديْـكَ مَـواكـبُ
إنِّـي رأيُـتـك كـاشـفـاً وأنـا وراءَك راكِـبُ

وله أيضاً: [م. الرجز]

ولِـي عَـروضِـيٌّ إذا أبْـصَـره الـبـدرُ اخـتـجَـبْ
أعـطـافُـه لِـصَـبِّـه فـاصِـلـةٌ بـلا سَـبَـبْ

وله أيضاً: [م. الكامل]

يـا ذا الـعَـرُوضِـيِّ الـذي أضْـحَـى بـسـيـطَ الـحُـسْـنِ كـامِـلْ
وعـن ابـن قَـطَّـاع روَى هـلاَّ رويْـتَ عـن ابـنِ واصِـلْ

وله أيضاً: [السريع]

يـا حُـسْـنَ جَـنَّـانٍ لـه وَجْـنـة مـن وَرْدِهـا بـالـلَّـثـم حَـيَّـانِـي
أتـحـفَـنـي يـومـاً بـمـا راقـنِـي مـن رُطَـبٍ حُـلْـوٍ وحـيَّـانـي

وله: [المتقارب]

أتـيـتُ جُـنَـيْـنـةَ أُسْـتـاذِنـا وقـد جـمـعـتْ كـلَّ مـعـنـىً كَـمُـلْ
بـهـا أيُّ وردٍ وآسٍ بـه تـفـرَّق شَـمْـلُ عِـداهُ وفُـلّ

والفُلّ نوع من الياسَمين، بلغة أهل اليمن، ذكيّ الرائحة.

ولم يذكره أهلُ اللغة فهو لغة مُولَّدة، وسماه ابن البَيْطار في «مفرداته» بالنَّمارِق.

وكتب لخاله بثَغْر الإسكندريّة: [الطويل]

لـخـالـي فـي الإسْـكَـنـدريَّـة رَغْـبـةٌ ومن بعِده قد حال لي في الهوى حالْ
فإن يكُ أضْحَى ثغرُها موطناً له فيا حبَّذا في ذلك الثَّغْرِ لي خالْ

Marfat.com

وكتب لشيخنا الصَّالِحِيّ، يستأذنُه في الدخول إليه، لما قدِم مصر: [المتقارب]

على الباب مَن كاد من شَوْقِهِ ... يموتُ وذلك يحيى الأصيلِي
أتى يتغَنَّى بأوْصافِكُمْ ... فهل تأذنون له في الدُّخولِ

فأجابه رحمه اللّه، بقوله: [المتقارب]

لمولاي يحيى رقيقُ الطِّباعِ ... ولُطْفُ السَّماعِ وحُسْنُ القَبولِ
أمولايَ هل خارجٌ ضَرْبُكُمُ ... لتَحْتاجَ للإذْنِ عند الدُّخولِ

والدُّخول: مصدرٌ معروف، ويستعمله المُولَّدون بمعنىً آخر، وهو حُسْنُ الصَّوْت الجاري على قانون الموسيقا، وضدّه خُروج.

والضَّرْب: النَّقْرات التي تُوزَن بها النَّغمات، ويُسمُّونها أصُولاً.

ومنه عُلِم حُسْنُ الإيهام هنا، كما في قول أبي الحسين الجزَّار: [المتقارب]

أمولاي ما مِن طباعِي الخرُوجُ ... ولكنْ تعلَّمْتُه في خُمولِي
أتَيْتُ لِبابِك أرجو الغِنَى ... فأخْرجني الضَّرْبُ عند الدُّخولِ

وللأصِيليّ أيضاً: [م. الرمل]

قيل لي إن فلاناً ... قد تعالى وتكَبَّرْ
ولمن قد ساءَ رَأْسٌ ... قلتُ لا بل رأسُ مَنْسَرْ

وله أيضاً: [م. الرمل]

شفَّنِي فاحِمُ شَعْرٍ ... حسَنُ الجُمَّةِ سَبْطُ
شَجَني يُمْلِي عليه ... وهْوَ في الأرضِ يَخُطُّ

وهو كقول مِهْيار: [الوافر]

بعيدةُ مَسْقِطِ القُرْطَيْنِ تُقْرَا ... خطوطُ ذُؤابَتَيْها في التُّرابِ

ولابن سَناء المُلْك: [الطويل]

وأشكُو إلى ليلِ الغدائرِ غَدْرَها ... وأُمْلِي عليه وهْوَ في الأرضِ يَكْتُبُ

وله أيضاً: [م. الرجز]

مُذْ بانَ مَن أهوَى هَمَتْ ... عيْنِي بماءٍ مُنْهَمِزْ
فقلتُ للقلبِ إذا ... لم تُلْفِ صَبْراً فاسْتَعِزْ

وله أيضاً: [م. الرمل]

رُبَّ قاضٍ قَبِلَ الرِّشْـ ... ـوةَ لمَّا أن تَمَلَّكْ
قال للظَّالم إني ... سَأُنَجِّيكَ وأهْلَكْ

وله أيضاً: [السريع]

رسالةٌ من لُطْفِها أشْبَهتْ ... ريحَ الصَّبا مرَّتْ بزَهْرِ الرُّبَا

Marfat.com

ولـم يـزلْ مـا بْـيـن أهـلِ الـهـوَى رسـائـل الـعُـشـاقِ رِيـحُ الـصَّـبـا

وقريب منه قولي: [السريع]

يـا يـوسُـفَ الـحسْـنِ الـذي لـم يـزَلْ عَـذابُـه لـلـصَّـبِّ مُـسْـتَـغـذَبَـا
سـرَى نـسـيـمٌ مـنـك فـي طَـيِّـهِ نَـشْـرٌ لـكَـرْبِ الـقـلـبِ قـد أذْهَـبَـا
لـو لـم أكـنْ يـعـقـوبَ حُـزْنٍ لـمَـا أزال أحْـزانـي نـسـيـمُ الـصَّـبَـا

وله من قصيدة يرثي بها العلامة النِّحْرِيريّ البصير، خاتمةُ المُفسِّرين: [الخفيف]

إن عَصاني شِعْرِي لفَقْد شُعورِي فـدمـوعـي تَـرْثِـيـكَ بـالـمـنْـثـورِ
يـا إمـامـاً لـمَّـا سـكَـنْـتَ جِـنـانـاً فاض دمْعي عليك فَيْضَ البُحورِ
وبـكـى الأزْهـرُ الـمُـعـمَّـرُ بـحـراً كـان فـي الـلّـهِ ربَّ دمْـع غـزيـرِ
فـمـصـابـيـحُـه بـأحْـشـائِـهـا الـنَّـا رُ عـلـيـه مـن لَـوْعـةِ الـتَّـذْكـيـرِ
ومـحـاربـيـهُ لـفُـرْقـةِ ذاك الـصَّـ در أضْـحـتْ مُـقـوَّسـاتِ الـظُّـهـورِ

وهذا معنىً حسن، سبقَه إليه بَلَدِيُّنا ابن نُبَاتة، في قوله من قصيدة، مطلعُها: [الطويل]

على مثلِ ذَا فَلْتَبْكِ أعيُنُنا العَبْرَى وتُطْلَقَ في مَيْدانِها الشُّهْبُ والحَمْرَا
فقَدْنَا بَنِي الدنيا فلمَّا تلَفَّتتْ وُجوهُ أمانِينَا فقَدْنَا بَنِي الأُخْرَى
سيعلم كلٌّ مِن ذِوي المالِ في غدٍ إذا نُصِبَ المِيزانُ مَن يشْتكي الفَقْرَا
كأن المحاريبَ القِيامَ بصَدْرِه لفُرْقةِ ذاك الصَّدْرِ قد قُوِّسَتْ ظَهْرَا

وله أيضاً: [المنسرح]

لا يُـهْـدِيَـنَّ الـفـتـى لـصـاحـبـه آلـةَ قَـطْـعٍ كـالـسَّـيْـفِ والـنَّـصْـلِ
إلاَّ ومـع ذاك إبـرةً لِـتَـكُـنْ مـعَ آلـةِ الـقـطْـعِ آلـةُ الـوَصْـلِ

٨٨- شمس الدين محمد النِّحْرِيرِيّ الحَنفِي البَصِير

خاتمة المُفسِّرين والقُرَّاء، والمُحدِّثين والفقهاء.
عَلَمٌ فضلُه مشْهور، على عاتِقَي الخافِقيْن منْشور.
ذو بَيان عذْبٍ طَلِيق، وروْضِ فضْلٍ هو للنُّعْمان شَقِيق.
تَفجَّر منه يَنْبُوعُ الحِكْمة مَعِيناً، فنادَى لسانُ حالِه لو كُشِف الغَطاء ما ازْدَدْتُ يَقِينا.
فله في كلِّ لفْظٍ بُرْءُ سَاعَة، وفي قلبِ كلِّ عبارةٍ بَراعة.
عليه حُلَلُ الفضلِ سوابغ، وبجِيد الدَّهر قلائدُ من كَلِمِه النَّوابغ.
وكان في إبَّان أمْرِه، وإقْبال طلائِع عُمْرِه، سَعْدُه في كَمِين الخُمول، يراقِب فُرْصةً يطلُع منها له القَبُول.
إن غرَس غِرَاسَ المُنَى، جنَى منه ثَمَرَ العَنا لا الغِنَى. الكامل]

Marfat.com

ومـع الـعَـفـافِـة ثَـرْوةٌ لـوْ أنَّـهـا نَـوْمٌ لـمـا شـعُـرتْ بـه الأخْـداقُ

وله أخٌ شقِيق، وصِنْوٌ عرِيق، مُتَسَرْبِلٌ بسِرْبال الثَّرْوة، شارِب من كلِّ وِرْدٍ صَفْوَه.

فاتَّفَق أن زارَه الحِمام، وحيَّاه طارِقُه بالسَّلام. فقرَّب رُوحَه لِقِرَاه، ولم يكنْ له وارِثٌ سِواه. فبُدِّل فقْرُه بالغِنَى، ونَوَّر له رياضُ الآمالِ والمُنَى. [الطويل]

بـذا قـضَـتِ الأيـامُ مـا بـيـن أهْـلِـهـا مـصـائـبُ قـوم عـنـد قـوم فـوائـدُ

وقد حضرتُ نَادِيَه وهو يُمْلِي «التَّفْسير» ويَقْرِي المسامعَ بالمواعظِ والتَّذْكير.

ثم يكسُو الوفودَ دِيباجَ الحقيقة، ويُحَلِّي وادِيَه بنَوْرِ كلماتِه الأنيقة.

ويُجْرِي أمطارَ عَبْرَتِه حتى تعشَّب ذلك الوادي، ويَرْعَى بربِيعه المُخْصِب سَرْحَ كلِّ حاضرٍ وبادِي.

فَتودُّ الأعْضاءُ لو أنها كلَّها مسامِع، والأذهانُ لِمَا يُمْلِيه عليها لو أنها كلَّها دفاترُ ومجامِع.

وبالجملة، فهو فَذْلَكةُ كِتاب الدَّهر، ومنطِقُه نتِيجةُ مُقدِّمات السِّحْر.

ممَّن تنْقِشع بذِكْرِه سحائبُ النَّقْمة، وتنبُع منه ينابيعُ الحكمة.

لا زالت هَتَّانةً على جَدَثٍ حَواه هواطِلُ الرَّحمة، ولِداتِه وأتْرابِه، وأقرانِه وأصحابِه.

٨٩- محمد الحنفيّ المفتي

المعروف بالذِّئب

وما هو ذئب بل أسَد، له رأيٌ في مذهب النُّعمان أسَدّ.

وحَبْرٌ تكحَّلت بحِبْرِه عُيون الفَتْوَى، وبحر تُرْوَى المسامعُ بما عنه يُرْوَى.

ارتفع من حَضِيض التَّقليد إلى ذُرَا الفضائل، وسابَق في حَلْبسة[1] العلوم فحاز قصَبَ الفواضِل.

فبحرُه لا تكدِّرُه الدِّلاء، ومورِدُه العَذْبُ لا تنْزَحه الرِّكاء.

ونجُله سَرى في ليل المجد فباكَره فَلاحَا، وحطَّ رحلَه في نادي الكرم فما ترك مِن أبيه مَغْدَى ولا مَراحَا. [الرجز]

ومَن يُشابِهْ أبَهُ فما ظلمْ

فأفتى ودرَّس، ونزل في ساحة الفضل وعرَّس.

---

(١) الحَلْبَسُ: الشجاع. القاموس المحيط، مادة /حلبس/.

Marfat.com

وكنْتُ قُلت فيه في زمن الشَّباب، وقد اجتنيتُ من ثمرِه المُسْتطاب: [م. الرجز]

لـلـذئـبِ نـجـلٌ فـضـلُـه ... لاح عـلـى غـيـرِ نَـمَـطْ
حـاكَـى أبـاه فـي الـعـلا ... فـهـل رأيـتَ الـذئـبَ قَـطّ

وهو كقول ابن لُؤْلُؤ: [م. الرجز]

وذي قَـوام أهْـيَـفِ ... بـيـن الـنَّـدامَـى قـد نـشِـطْ
قـام يـقُـطُّ شـمـعـةً ... فـهـل رأيـتَ الـظَّـبْـيَ قَـطّ

وللشِّهاب الحِجازيّ: [م. الرجز]

وبـدرِ تِـمٍّ قـد سـعَـى ... بـكـأسِ راحٍ وانْـبَـسَـطْ
حـيَّـى وقـطَّ كـأسَـه ... فـهـل رأيـتَ الـبـدرَ قَـطّ

وقلت أنا: [م. الرجز]

وكـاتـبٍ كـأنـه ... غـصـنُ الـنَّـقـا إذا نـشـطْ
يـقُـطُّ أقـلامـاً لـه ... فـهـل رأيـتَ الـغـصـنَ قَـطّ

فائدة: القَدُّ والقَطُّ متقاربان معنىً، وهما نوعان من القطع.

وفيه لطيفة اتِّفاقية، لأن القدَّ قطعُ الشيء من نصفِه، أو قطْعُه نصفين، والقطُّ قطعُ الطَّرف كما في الشَّمع والقلم؛ فكأنه لكونه قليلاً من القطْع نقص منه العين.

ثم إن هذا النوع من التَّشبيه غريب بديع، تعرَّض له المبرّد في «الكامل»، ونقله الإمام المَرْزوقِيّ في «شرح ديوان أبي تمام». وأهل المعاني لم يتعرّضوا له. وسماه المرزوقيّ بالإيماء، وهو غريب في بابه. ومنه قول المَنَازِيّ، في وصف نهر: [الوافر]

تـروعُ حـصـاهُ حـالـيـةَ الـعـذارَى ... فـتـلْـمـسُ جـانـبَ الـعِـقْـدِ الـنَّـظـيـم

وقد بسطنا الكلامَ عليه في كتابنا «طراز المجالس». وفيه فوائد لا تُوجَدُ في غيره. والشيء بالشيء يذكر، فلنذكُرْ هنا بعضَ مَن أدركناه من العلماء الأعلام، الذين هم مسك الختام. ولله دَرُّ من قال: [الكامل]

يـا دهـرُ بِـغْ رُتَـب الـمـعـالـي بـعـدَهـمْ ... بَـيْـعَ الـسَّـمـاحِ ربِـحـتَ أم لـم تـربـحِ
قـدِّمْ وأخِّـر مَـن تـشـاء وتـشْـتـهِـي ... مـات الـذي قَـد كـنـتَ مـنـه تـسْـتَـحِـي

فمنهم:

٩٠- شيخ الإسلام عليّ بن غانم المقْدِسِيّ

إمام اقتدَتْ به علماءُ الأمصار.

٩٠- علي بن محمد بن علي بن خليل بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن غانم بن علي بن حسن بن إبراهيم بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة سيد الخزرج. نشأ بمصر وحفظ القرآن وتلاه بالسبع على الشيخ الفقيه الورع الزاهد شهاب الدين أحمد بن الفقيه -

Marfat.com

وتنزّهتْ من فضائله في حدائقَ ذاتِ بهْجةٍ وأنْوار.

أثمرت أغصانُ الأقلام في رياضِ فضائله، وسالتْ في بِطاح المكارمِ بحار فواضِله. [الكامل]

فـالـنـاسُ كـلـهـمُ لـسـانٌ واحـدٌ يـتـلـو الـثـنـاءَ عـلـيـه والـدنـيـا فَـمُ

فالعلمُ مدينةٌ وعليٌّ بابُها، وكعبةُ حجٍّ حجَّتْ إليها آمالُ الفضلا وألْبابُها.

لو مسَّتْ راحُته السحابَ أمطر كرماً ومجداً، أو النجومَ السيَّارةَ جرَيْنَ في الربيع سَعْداً.

لو رآه النعمانُ لقال هذا أخِي وشقيقي، أو الصاحب لقال له أنت في طريق المعالي رفيقي: [المنسرح]

صـفـاتُـه لـم تـزِدْهُ مـعـرفـةً وإنـمـا لَـذَّةً ذكـرْنـاهَـا

وله في كلِّ فنٍّ كعبٌ عَلِيّ، وفكرٌ بنَقْد جواهرِه جَلِيّ.

مع نباهةٍ تحلَّت بها الأشعار، وصِيتٍ طار بأجنحة الثناءِ في الأقطار.

وقطع كلّ سهْلٍ وجبل، كأنه بِكْرُ معنىً سار في مثَل.

كما قال من قصيدة: [البسيط]

لـلّـه درُّكَ يـامَـن نـظـمُـه دُرَرٌ قِـلادةٌ لـنُـحـورِ الـغِـيـد تُـدَّخَـرُ

أو روضُ فَضْلٍ نَصِيرٌ لا نظيرَ له فـي دَوْحِـهِ ثـمـرٌ مـا مـثـلـه ثـمـرُ

مسكُ الفصاحة مِن فَحْواه مُنتشَق واللؤلؤُ الرَّطبُ من معناه مُنْتثِرُ

وكنت في زمن الصِّبا، وأنا مسْنونُ الأسنَّة حادُّ الشبَا، دخلتُ ناديَه والكونُ متعطِّر بنَشْره، والدهرُ مبتسِمٌ لُلْقياه بثغر سرورِه وبشْرِه.

وقرأت عليه طرفاً من العلوم وحديثَ الرَّسول، فأمدَّني بدعاءٍ لا أشك أنه على أكُفِّ القَبول محْمول.

حتى كان ينُوِّه باسْمي، ويفتح جريدتَه برسْمي.

= علي بن حسن المقدسي الحنبلي، وأخذ عن قاضي القضاة محب الدين أبي الجود السديسي، ومن مشايخه: المحقق شهاب الدين أحمد بن يونس الحلبي الشهير بابن الشلبي، والشيخ الشهاب الرملي، وغيرهم. وتفوق على أهل عصره في كل علم، وأفتى مدة حياته وانتفع به الجم الغفير من كبار أهل زمانه. وولي المناصب الجليلة كإمامة الأشرفية ومشيختها، وحج مرتين، ورحل إلى القدس ثلاث مرات. وألف التآليف النافعة في الفقه وغيره، منها: شرح نظم الكنز، سماه الرمز، وشرح الأشباه والنظائر.
وكانت ولادته سنة عشرين وتسعمائة، وتوفي سنة أربع بعد الألف، وصلي عليه بجامع الأزهر في محفل حافل، ودفن بين القصرين بتربة المجاورين قبلي مدفن السراج الهندي. خلاصة الأثر (٣/ ١٨٠).

Marfat.com

وأنا أجتني باكورةَ التَّحصيل، فكتبت له عند وُرودِ البَشائرِ بوفاء النِّيل، بيْتين، هما: [الخفيف]

قَسَماً ليس نَيْلُ كفِّك كالنِّيـ ... ـلِ إذا رايـة الـمـكـارم تُـنْـشَـرْ
أنـت عـنـد الـوفـاءِ طَـلْـقُ الـمُـحَـيَّـا ... وأرى الـنـيـلَ فـي الـوفـا يـتـكـدَّرْ

فنثر عليهما نِثارَ الاسْتحسان، وقال: هكذا ينبغي أن تُنْظَم عقودُ الجُمان.

وله شعر كان ينظِمه لرياضِة الخاطر، ولا يرتضي أن يُلصَق باسْمه سِمةُ الشاعر.

فلذا لم يعْتَنِ بتشْييد أركانِه، ولا تمْييز ياقوتِه من مَرْجانه، لاشْتغاله بالتأليف والفَتْوَى وتهذيب نفسِه القُدْسَّية اللابسة حُلَلَ التقْوى.

وله «شرح نظْم الكنز» المسمى «بالرمز». ورسائل كثيرة منها: «الشمعة، في أحكام الجمعة». التي يقول فيها شيخ الإسلام عليّ بن أمر اللّه الحِنَّائيّ: [الطويل]

لـقـد آنـسـتْ عـيْـنـايَ لـمـعـةَ شـمـعـةٍ ... تَـوقَّـدُ مـن مِـشْـكـاةِ عـلـم وإتـقـانِ
جـلا نـورُهـا الـبـادي بـصـبـحِ كـمـالِـه ... غـيـاهِـبَ شـكٍّ كـان فـي لـيـلِ نُـقْـصـانِ

وكتبت عليها أنا، لما طالعتها: [الرمل]

شـمـعـةٌ تـقـطـع رأسَ الـشـمـعِ إذْ ... سـرق الأنـوارَ مـنـهـا والْـتَـقـطْ
ضـوءُهـا مـن غـيـرِ قَـطٍّ سـاطِـعٌ ... مـا رأى شِـبْـهـاً لـهـا ذا الـدهـرُ قَـطّ

واعلم أن ابنَ بَسَّام قال في «الذخيرة»: أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثِه بَيِّنةُ التكليف، وشعرُهم الذي رُوِيَ لهم ضعيف، حاشا طائفةً كخلَف الأحمر وقُطْرُب.

وليس كما قال، وعندي أنه كدعوة البخيلِ وحَمْلة الجبان، على ما يعرفه من له أدنَى إذْعان.

٩١- محمد الدِّمْياطيّ الحنفيّ

تلميذ شيخنا المقْدِسيّ، المفتي بمصر بعدَه.

فاضل مقدَّم في نتائج الفضل وغيرُه التَّالِي، ومشيِّدُ بنيان المكارم بطبعه العالِي.

بوقار تزِلُّ عنده الرَّاسياتُ الشوامِخ، ومحكمِ مجدٍ لا يرِدُ على آياتِه البيِّنةِ نواسِخ.

إن خطّ فما خطُّ الربيعِ والعِذار، أو تكلَّم فما مُطرِبات الأطْيارِ والأوتار.

٩١- محمد بن يوسف بن عبد القادر الدمياطي المصري الحنفي، المفتي، الإمام. لازم شيوخ الحنفية من المصريين؛ كالشيخ الإمام زين بن نجيم وأخيه الشيخ عمر وشيخ الفقهاء في وقته الشيخ علي بن غانم المقدسي، وغيرهم وأجازوه. وتصدر للتدريس ونفع الناس. وكانت وفاته بمصر سنة أربع عشرة وألف. خلاصة الأثر (٤/ ٢٧٠).

Marfat.com

ورد عليَّ بالروم إذ جاب الفيافي والبوادِي، وعزمُه لِعنان مطايا الهمَّة ثانٍ وحزْمُه لها حادِي. وأنابها عديمُ الأنِيس، حتى اليعَافِيرُ وحتى العِيس.

وشَوْقي إلى الكرام، كما قال أبو تمَّام: [الخفيف]

واجِدٌ بالخليل من بُرَحاءِ الشـ ـوقِ وجْدانَ غيره بالحبيبِ

فأنْعَم برقيق المكاتبة، وجاد عليَّ بالمؤانسة والمصاحبة.

ففُزْت منه بأوفى نصيب، وكلُّ غريب للغريب نسيب.

فمما كتبتُه لاسْتِجْلاء أنوارِه، واقْتطافِ جَنِيِّ ثماره: [الطويل]

أيا روض مجدٍ مُنْبِتاً زهَرَ الحمدِ ... ومَن ذكرهُ أزكى من العنبرِ الوَرْدِ

ومعدنَ فضلٍ منه تبدو جواهرٌ ... نفائسُ عزَّتْ أن تقابَل بالنَّقْدِ

أرى ثغرَ دِمْياطٍ بكمْ كان باسماً ... ومذِ سرْتَ أمسى عابساً وهْو ذو وَجْدِ

وكم شرفٍ في الروم مِن شمسِ ذاتِه ... بمَقْدمِه قد بدَّل النحسَ بالسعدِ

أُحِبُّك حبّاً لو تقسَّم في الورى ... غدَوْا في أمانٍ من عدوٍّ ومن ضَدِّ

وفي القلبِ جمرٌ من بِعادك فوقَه ... يفوحُ ثنائِي فيك كالعُودِ والنَّدِّ

ومَن كان في القلبِ المتيَّم حاضراً ... يجاور فيه خالصَ الحبِّ والودِّ

فسيَّان منه القربُ عنديَ والنَّوَى ... على أن قربَ الدارِ خيرٌ من البعدِ

فلا زلتَ ذا فضلٍ يُخلَّد ذكرُه ... ويظْهرُ في جيدِ المكارم كالعِقْدِ

فأجاب: [الطويل]

أفائقَ أهل العصرِ في كلِّ ما تُبْدِي ... وأوحدَ هذا الدهرِ في الحَلِّ والعَقْدِ

ومَن فاق سَحْبَاناً وقُسّاً فصاحةً ... ومَن نَظْمُه المشهورُ بالجواهرِ الفَرْدِ

نظمتَ قريضاً في حلاوة لفظِه ... وفي الصوغ أزْرَى بالنُّباتيِّ والوَرْدِي

وضمَّنْتَه معنى بديعاً فمن يَرُمْ ... لإدْراكِ شَأوٍ منه يُخْطِئْ في القصْدِ

ملكتَ أساليبَ الكلام بأسْرِها ... فأنتَ بإرْشادٍ إلى طُرْقِها تَهْدِي

لقد كنتَ في مصر خلاصةَ أهلِها ... وفي الروم قد أصبحتَ واسِطةَ العِقْدِ

وحقُّ شهابٍ أصلُه الشمسُ أن يُرَى ... حَرِيّاً بأن يرقَى إلى غايةِ البُعْدِ

فمعذرةً منِّي إليك وما ترى ... من العجزِ والتَّقْصير قابلِهُ بالسَّدِّ

فلا زلتَ في أوجِ العُلاَ مُتنقِّلاً ... وشانِئُك الممقوتُ في العكْسِ والطَّرْدِ

ولا برِحتْ أبياتُكَ الغُرُّ في الذُّرَا ... وأبياتُ من عاداك في الدَّكِّ والهدِّ

ودمتَ فريداً للفرائِد رائقاً ... مناهلَ فضلٍ منهلاً طيِّبَ الوِرْدِ

فقلتُ لما ورد هذا الجواب: [الطويل]

رعى اللّهُ إخواناً لنا من ذوِي الوُدِّ ... لقد خيَّموا في روضةِ المجدِ والسعدِ

أناسٌ كماءِ النِّيل صافٍ ودادُهمْ ... بهم أمَلِي الظمآنُ يُرْوَى من الوِردِ

Marfat.com

لقد شرب الدهر الخؤونُ صفاهمُ وأبقَى وجوهاً كدَّرتْ موردَ الحَمْدِ
غسلْنَا بماء النيلِ ما دنَّس الوفا وقد صبَغوا من مثلهم أزرقَ الحقْدِ
وعَهْدي بهم وِزْدٌ إذا ما تكدَّرتْ مشاربُه فيها وَفَى لذوِي المدِّ
وقالُوا لنا حدٌّ به يذْهب الجفا جَفاءَ فتمَّ الحدُّ بالعكْسِ والطَّرْدِ

٩٢- شيخ الإسلام سراج الدين الحانوتيّ الحنفيّ المفتي

السراجُ الوهَّاج، والبحر المتلاطِم بالأمواج. مَن حاكتْه الشمس نوراً فكانت سِراجاً، وفاخرت البدورَ فزادت ابتْهاجاً.

روضٌ نضير، ما له في سائر العلوم نَظِير، وهو في فقه أَبي حنيفة «الجامعُ الكبير».

وقور حليم لا يعرِف الطيْشَ والخِفَّة، وله ثروة عظيمة وعِفَّة. حَسن اللِّباس، منقطعاً عن سائِر الناس، قائلاً لطارِق الوَسْواس: [الطويل]

ونفسَك أكْرِمْ عن أمورٍ كثيرةٍ فما لك نفسٌ غيرَها تسْتعيرُهَا

ولم أرَ في عْصِره من يضاهيه، إلا الشمسَ وهيهات لها نَيْلُ مَعاليه، وإن لم يكنْ لها ثانياً، ولا سميراً في السماء مُدانِياً. فللّه دَرُّه ما أعرفه بالزَّمان، وأقدرَه على الأنس بالوحدة وتَرْك الإخوان. كما قلت: [الخفيف]

لا تلُمني على انْفرادِي وحبِّي وخْدتي واعتزالَ أطْماع وَهْمِي
علَّمْتني الأيامُ مذ كنتُ حملاً خلوةَ الأربعين في بطن أُمِّي

لا زالت سحبُ الرحمة تحْدُوها له الصَّبا والجَنوب، حتى تشقَّ على ثرى جدثه غُرُّ السحاب الجُيوب. آمين.

٩٣- عبد الرحيم العبَّاسِيّ

أنا وإن لم أرَه، فهو لقرب عهده سمعتُ خَبَره.

حسيبٌ طرَّز كُمّ المجد، وأعار رِقَّةَ شمائله نسماتِ نجد.

أنجبتْه أمُّ الفضل كريم الحسب سعيداً، فأبى أن يكون على الفضائل إلاَّ مأموناً ورشيداً.

وله راياتُ فضلٍ عَلِيَّة، تعممت الأقلامُ بسواد أنْقاسِها العبَّاسيّة، وكتائبُ ثناءٍ تعطَّرت الكتبُ بنَفحاتِه القُدسيّة.

طفح سُكْراً بشَمُولها فمُ الكاس، وابتسم فرحاً بها كلُّ زمانٍ عبّاس. [الكامل]

Marfat.com

وإذا أردتَ مديحَ قومٍ لم تَمِنْ في مدحهِمْ فامدَحْ بني العباسِ

فنسَبه ناهِيكَ به من نَسَب، وعَرْفُ معارفه إذا رآه الروضُ نادَى عليه: أصبحَ الوردُ عجَب.

ابنُ عمِّ النبيِّ واللابسُ الفخْرَيْن من نُورِه ومن بُرْهانِه. ولما ارتحل إلى الروم وبها بقيَّةٌ من الأعيان، أجلَّه علماؤها لِمَا رواه به من نوادر الزمان. وكان المولى عبد الباقي عَيْبةَ لُطْفِه، وظَرْفاً ترشَح منه رشحاتُ ظَرْفِه. فإنه ممَّن فُدَّ من بُرْدِ الشَّمال شمالُه، وارتضعتْ أخْلافَ المُزْن مع طفل النَّوْرِ خِلالُه. يقطُر منه ماءُ البَراعة، وتُثمِر بمآثره أغصانُ البَراعة.

وله تآليف وآثارٌ سطورُها سَبجٌ إذا رآتها سبَّحت الأقلام، وكبَّرت عجباً بها ألسنةُ الخاصِّ والعامّ. إذا قدِم معناها على الأسماع، برزتْ لاستقبالِه طلائعُ الأفهام. وتسجد الأبصارُ لرُوائه، وتخضع الرِّقابُ لزَهْوِه وحسن بهائِه. ولم أرَ مِن آثاره غيرَ «معاهدِ التَّنْصيص»، في شرح «شواهد التلخيص»، وسمعت له «شرحاً على البخاريّ». ورأيت له شعراً وإنشاء ومدائح في المولى المحقِّق سعدي. فمما رويناه من شعره قوله:

[مخلع البسيط]

أرْعَشَني الدهرُ أيَّ رَعْشِ وكمنتُ ذَا قُوَّةٍ وبَطْشِ
قد كنتُ أمشِي ولستُ أعنَى فصرتُ أعيَى ولستُ أمشِي

وقوله أيضاً: [الكامل]

ما لي أرى أحبابنَا في الناس صاروا كمثل حَبابِنا في الْكاسِ
بَيْنا يروقُك عند أوّلِ نَظْرةٍ كاللُّؤلؤ المُتناسِق الأجْناسِ
فإذا أعدتَ الطَّرفَ فيهم لم تجدْ شيئاً وصار رجاؤهم كالْياسِ

وقوله أيضاً: [السريع]

من يبْغ بالفضل معاشاً يَمُتْ جُوعاً وإن كان بديعَ الزمانْ
تبغي الحِجَى ثم ترومُ الغنى يا قلَّما تجتمعُ الضَّرَّتانْ

وله أيضاً: [البسيط]

ألؤلؤٌ نَظْمُ هذا الثَّغْر أم حَبَبٌ وقَرْقَفٌ طعمُ ذاك الرِّيقِ أم ضَرَبُ
وما أَراه بصَحْنِ الخدِّ ورَّدها أو وَجْنةٌ بدمِ العشاقِ تختضِبُ

وله أيضاً: [الرمل]

لستُ عن وُدِّ صديقي سائلاً غيرَ قلبي فهْو يدرِي وُدَّهُ
فكما أعلم ما عندي له فكذا أعلم ما لي عندَهُ

وله أيضاً: [السريع]

Marfat.com

لـو كـان ذا الـكـاشِـحُ فـي بـلـدتـي لـم يـسـتـطـعْ يُـومِـضُـنـي وَمْـضَـا
وكـنـتُ فـي الـعـزِّ سـمـاءً لـه وكـــان لـــي مِـــن ذُلِّـــهِ أرْضَـــا

وله أيضاً: [الخفيف]

يـعـقِـدُ الـنَّـقْـعُ فـوقـهـا سُـحـبـاً كـالـلـ ـيـل فـيـه الـسـيـوفُ أضـحـتْ نـجُـومَـا
ومـتـى مـا رأتْ سـوادَ شـيـاطـيـ ـن بُـغَـاةِ الـحـروب عـادتْ رُجـومَـا

وله أيضاً: [الوافر]

رأيـتُ لـئـيـمَ قـوم فـي مَـمَـرٍّ وبـيـن يـديْـه أشـخـاصٌ لِـئـامُ
فـسـلَّـم مـن جَـهـالـتِـه ابـتـداءً فـقـلـتُ لـه مـتـى كـسَـد الـسـلامُ

وله أيضاً: [م. الرجز]

حـالُ الـمُـقِـلِّ نـاطـقٌ عـمَّـا خـفـي مـن عـيْـبِـهِ
فـإن رأيـتَ عـاريـاً فـلا تـسَـلْ عـن ثَـوْبِـهِ

وهذا كقول الحَرِيرِيّ: [المتقارب]

فـكـلْ مـا حَـلا حـيـن تـؤتَـى بـه ولا تـسـألِ الـشُّـهـدَ عـن نَـحْـلِـهِ

وقول الآخر: [المتقارب]

كُـلِ الـبَـقْـلَ مِـن حـيـث تُـؤتَـى بـه ولا تـسْـأَلَـنَّ عـن الـمَـبْـقَـلَـهْ

وأمثاله كثيرة، كما بيَّنَّاها في غير هذا الكتاب.

وله أيضاً: [الوافر]

إذا مـا كـنـتَ فـي قـومٍ غـريـبـاً فـعـامِـلْـهـمْ بـفِـعـلٍ يُـسـتـطـابُ
ولا تـحـزَنْ إذا فـاهُـوا بـفُـحْـشٍ غـريـبُ الـدارِ تـنـبَـحـه الـكـلابُ

وهذا إشارة إلى ما جرَت به العادةُ مِن نَبْح الكلاب على مَن لم تعرِف، وكذلك أيضاً تنْبَح على الفقراء.

وفي «أنس الحكمة» للزندوسي: الكلبُ ينبح على الفقير دون الغنيّ، لأنه من جنسه، ولأنه يرجو منه المُواساة، بخلاف الفقير، ولذا قال الشاعر: [الكامل]

حـتـى الـكـلابُ إذا رأتْ ذا بِـزَّةٍ ذلَّـتْ لـديْـه وحـرَّكـتْ أذنـابَـهـا
وإذا رأتْ يـومـاً فـقـيـراً عـاريـاً هـرَّتْ عـلـيـه وكـشَّـرتْ أنـيـابَـهـا

وقوله أيضاً: [المتقارب]

أرى الـدهـرَ يُـكـرِم جُـهَّـالَـهُ وأعـظَـم قَـدْراً بـه الـجـاهـلْ
وأنـظـرُ حـظـيّ بـه نـاقـصـاً أيـحـسـبـنـي أنـنـي فـاضـلْ

ولما سمعه البدرُ الغَزِّيّ أجابه بقوله: [المتقارب]

أعـبـدَ الـرحـيـم سـلـيـلَ الـعـلا ويـا فـاضـلاً دونـه الـفـاضـلْ

Marfat.com

أتــغــتِــبُ دهــراً غَــدا مُــوقِــنــاً ... بــأنــك فــي أهــلِــه الــفــاضــل

وقرأت في ديوان الزَّمَخْشَرِيّ: [الطويل]

فلا تَرْضَ يا صدرَ الكُفاةِ بأن ترى ... أعــالــيَ قــومٍ أُلْــحِــقُــوا بــالأســافــلِ

وإلاَّ فــوقَّــعْ لــلــزمــانِ فــإنــه ... غلامُك يجعلْني كبعضِ الأراذلِ

وللدَّبَّاسِيّ البغداديّ: [السريع]

إنــي رأيــتُ الــدهــر فــي صَــرْفِــهِ ... يــمــنَــح حــظَّ الــعــاقــلِ الــجــاهــلاَ

فــمــا رآنــي نــائِــلاً ثــروةً ... أظــنُّــه يــحــســبــنــي عــاقــلاَ

ولمجُير الدين بن تميم: [الكامل]

الــدهــرُ عــنــدي لا مــحــالــةَ أحــولُ ... فــاسْــألْ بــه مَــن كــان طَــبّــاً عــاقــلاَ

يــرنــو لــيــلــحَــظ فــاضــلاً فــيَــرُدُّهُ ... حــوَلٌ بــعــيــنــيْــه فــيــلــحــظُ جــاهــلاَ

وللباخَرْزِيّ: [الرمل]

كــيــف لا يــمــسِــكُ عــنِّــي بَــرْقَــهُ ... بــعــد مــا أمــســك عــنِّــي وَبْــلَــهُ

ســاءنــي الــدهــرُ لأنــي عــاقــلٌ ... لــيــتَ أنِّــي مــثــل غــيــري أبْــلَــهُ

وأجاد القائل: [الطويل]

ومــا لــي لــدَى دهْــرِي ذنــوبٌ أعُــدُّهــا ... سوى تُهمَةِ الأعداء لي بالفضائلِ

وإنِّــي مــنــه تُــبْــتُ تــوَبــةَ نــادمٍ ... مُــقــرّاً بــأنــي الــيــومَ أجــهــلُ جــاهــلِ

وفي معناه قول المَنْجَنِيقيّ: [السريع]

إن كــان ذنــبــي أنــنــي شــاعــرٌ ... فــاصْــفَــحْ فــقــد تُــبْــتُ عــن الــشِّــعــرِ

وقال أبو تمام: [الطويل]

ينــالُ الــفــتــى مــن دهــرِه وهْــوَ جــاهــلٌ ... ويُــكْــدِي الفتى من دهره وهْو عالم

ولو كانت الأرزاقُ تأتي على الحِجَى ... هــلــكْــنَ إذاً مــن جــهْــلِــهــنَّ الــبــهــائــمُ

وما ألطف قول الوزير ابن زَيْدون، وقد سُجِن: [البسيط]

لــم تَــطْــوِ بُــرْد شــبــابــي كَــبْــرةٌ وأرى ... بَرْقَ المشيبِ اعترَى في عارضِ الشَّعَرِ

قبلَ الثلاثين إذ عهدُ الصِّبا كَثَبٌ ... ولــلــشَّــبــيــبــةِ غــصــنٌ غــيــرُ مُــهــتَــصَــرِ

أيُــهْــنِــئُ الــشــامِــتَ الــمــرتــاحَ خــاطــرُه ... أنِّي مُعنًّى الأماني ضائعُ الخطَرِ

هــل الــريــاحُ بــنــجْــم الأرضِ عــاصــفــةٌ ... أم الكسوفُ لغيرِ الشمس والقمرِ

إن طال في السجن إيداعي فلا عجبٌ ... قد يُودَعُ الجَفْنَ حدُّ الصّارِمِ الذّكَرِ

وله أيضاً: [الخفيف]

أما ترى البدرَ إن تأمَّلتَ والشْمـــــــسَ هما يُكْسَفان دون النجومِ

وهُــو الــدهــرُ لــيــس يــنْــفــكُّ يــنْــحُــو ... بــالــمُــصــاب الــعــظــيــم نــحــوَ الــعــظــيــمِ

Marfat.com

٩٤- سراج الدين عمر الفارسْكُورِيّ

فاضل قلَّد جيدَ دهرِه من فضائله بحُلِيِّها، ونظَم عقدَ محاسنه في صدرِ ندِيِّها.

جنِى من ثمراتِ العلوم الرياضيَّة فواكهَ ذاقتْها الأفهام، واجتنَى من رياضِها أنواراً لم تبرُزْ من الأكمام، واجْتَلى أبكارَها وعرَّفها وهْيَ حورٌ مقصوراتٌ في الخيام. فملك مِن ذلك الفنِّ خمائِلَه ورياضَه، وراض في مِضْمارِها جوادَ فكره أحسنَ رياضة. وكثيراً ما كنتُ أستَنْشِق عَرْفَ خبَرِه، وأتحلَّى مِن الشُّقَّة الفارسْكورِيّة رقيقَ حِبَرِهِ. فتكرَّر من كمالِه ما ثنى الإعْجابَ وعطفَه، وحقَّق أنَّ عمَرَ علَم في العدلِ والمعرفة. وأنه مُفَردٌ لا يُثَنَّى، وقد نال من الفضلِ ما تَمَنَّى. ورأيت له من الآثار، ما لم يسمَحْ به الفلَكُ الدوَّار. فكم دارَ عليه، فما رأى له مِثْلاً لديْه. ككتابه «ناشئة الليل»، و«نظم الارتشاف»، وغيره مما قُطِعتْ دونه توابعُ الأوْصاف. وله شعر، منه قوله: [الرجز]

شكلُ اشْتياقِي ما له من حَدٍّ ... ونُقْطةُ الصبرِ مَحاها وَجْدِي
وامتدَّ خطُّ الدمع من محاجري ... بلا تَناهٍ فوق سطح الخدِّ
وهيئةُ الجسم اضْمحَلَّتْ مُذْ نأى ... وانْحصَرتْ حبَّاتها بالبُعْدِ
وضاق صدري حَرجاً لما اشْتدا ... رتْ حركاتي حول قطب الصَّدِّ
وأصبحتْ كُراتُ حظِّي مرْكزاً ... مُسكَّناً في وَسْطِ جِرْمِ الجَهْدِ
ومِن قِسيِّ الهجرِ كم من أسْهُم ... نحْوِيَ ما شقَّت جيُوبَ وجْدِي
والزمن القطَّاعُ قد ألَّف ما ... بين محاجرِي وبين الشُّهدِ

واعلم أن استعمالَ ألفاظٍ اصطلح عليها أربابُ العلوم كما هنا، قالوا: إنه مما يُخِلُّ بالفصاحة، لأنها كالغريب بالنَّسَب، أو ضعيف التأليف. ولعلهم أرادوا الإكْثارَ منها، كقول الجاحظ على لسان طبيب: [الخفيف]

شرِبَ الوصلُ دَسْتِيج الهجرِ فاسْتطْلقَ ... بطنُ الوصالِ بالإسْهالِ[1]
ورماني حِبِّي بقُولَنْج بَيْنٍ ... جَالِنُوسُ منه بأكْسفِ بالِ[2]

وابنُ هذا بيني وبينه مودّة وصداقة. وهو:

٩٤- عمر بن محمد بن أبي بكر المصري الشهير بالفارسكوري العلامة الأديب المفنن. كان شافعي المذهب، وله من التآليف ما لم يسمع بمثله الفلك الدوار، منها: كتاب ناشئة الليل، ونظم الارتشاف، ورسائل شتى في علم الهيئة، ونظم القطر في علم النحو وسماه بالنبات وجعل أبياته على عدد لفظه، وله كتاب جوامع الإعراب وهوامع الآداب في العربية أيضاً نظم فيه جمع الجوامع وشرحه همع الهوامع للسيوطي، وله غير ذلك.
وكانت وفاته سنة ثمان عشرة وألف بدمياط، وحمل إلى بلده فارسكور فدفن بها. خلاصة الأثر (٣/ ٢٢١).

(١) الدستيج: إناء يحمل باليد. معجم المعربات الفارسية، مادة /دست/.

(٢) القُولنج: مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج شيء: القاموس المحيط، مادة /القولنج/.

Marfat.com

٩٥- تقي الدين بن عمر الفارسْكُورِيّ

فاضلٌ عرِيق، وأديبٌ في بِحار آدابه حاسدُه غَرِيق.

له خُلُقٌ خليقٌ بالألْطاف، وفضل تُقْطَع دونه النُّعوتُ والأوْصاف. [الخفيف]

ونُـهـىَ غـادرت ضـمـيـر الـقـراطِـيـ سس مُـصِـيـخـاً لألْـسُـنِ الأقْـلامِ

وهو بالروم صديقي، وفي الغُرْبة القارِظيَّة رفيقي. فكم دار بيني وبينه رَحِيقُ مُدامةٍ من الكدَر صفَا. [الكامل]

فحكى النَّسيم لطافةً لما سَرَى

وحديث: [الكامل]

كـتـحـدُّثِ الـمـاء الـزُّلالِ إذا صـفَـا فجرى النسيمُ عليه يسمع ما جرى

وللأمَل فيه عِدات يُرْجَى وَفاؤها، وله على الدهر ديونٌ بَيِّنة يحقُّ أداؤها. وممَّا أنشدني لوالدِه قوله: [الطويل]

إذا كـانـتِ الأفـلاكُ وهْـي مُـحِـيـطـةٌ عـلـيـنـا قِـسِـيّـاً والـسِّـهـامَ الـمـصـائـبُ

ورامـيـهـا الـبـارِي فـأيـن فِـرارُنـا وسـهـمٌ رمـاه الـلّـهُ لا شـكَّ صـائـبُ

وكان إنشادُه لي لمَّا تذاكرْنا أمورَ الدهْر وتصدُّرَ الجهَلة. وأنشدتُه قولَ الشريف الرَّضيّ، رضي الله تعالى عنه: [البسيط]

أمـا تُـحـرِّكُ لـلأقْـدارِ نـابِـضـةٌ أمـا يُـغـيِّـر سـلـطـانٌ ولا مَـلِـكُ

قـد هـادَن الـدهـرُ حـتـى لا قِـراعَ لـه وأطـرق الـخـطـبُ حـتـى مـا بـه حَـرَكُ

كـلٌّ يـفـوتُ الـرَّزايـا أن يـقَـعْـنَ بـه أمـا لأيْـدِي الـمـنـايَـا فـيـهـمُ دَرَكُ

أقـصَّـر الـدهـرُ عـجـزاً عـن لَـحـاقِـهـمُ وأيـن أيـن ذَمِـيـلُ الـدهـرِ والـرَّتَـكُ

أخـلَّـتِ الـسَّـبـعـةُ الـعـلـيـا طـرائـقَـهـا أم أخـطـأتْ نَـهْـجَـهـا أم سُـمِّـرَ الـفـلَـكُ

وقلت أنا في ذلك: [الوافر]

مـدافـعُ بـالـنـجـومِ وبـالـصَّـواعِـقْ بُـروجٌ أُرسِـلـتْ مـنـهـا شـواهِـقْ

مُـصـيـبـاتٌ تـخِـرُّ عـلـى الأعـادِي تُـزمْـجِـرُ بـالـرُّعـودِ وبـالـبـوارِقْ

٩٥- محمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر الملقب تقي الدين قاضي القضاة. الفارسكوري، المصري المولد، نزيل قسطنطينية. وكان وهو بمصر اتصل بخدمة قاضيها شيخ الإسلام يحيى ابن زكريا، وتوجه بخدمته إلى الديار الرومية وأقام بها ولازم على قاعدتهم ودرس. وكان عارفاً بكثير من الفنون كثير الاطلاع، وجمع مدائح أستاذه هذا التي مدح بها في بلاد العرب أيام قضائه بحلب ودمشق ومصر.

وكانت وفاته بدمشق وهو مار إلى القدس سنة سبع وخمسين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير بالقرب من بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه. خلاصة الأثر (٤/ ٨٢).

Marfat.com

ودارتْ دائـراتٌ قـد أحـاطـتْ ... مـن الأفـلاكِ مـا عـنـهـنَّ عـائِـقْ
ومـن كـلِّ الـجـوانـبِ رامـيـاتٌ ... قِـسِـيٌّ قَـرْطَـسـتْ هـدَفَ الـخـلائـقْ
قِـسِـيٌّ فـي الـركـوع لـه سِـهـامٌ ... أصـابُـعـهـا تُـشِـيـرُ إلـى الـبَـوائـقْ
سـتُـدركُ هـذه الأوتـارُ مـنـهـا ... قـلـوبـاً قـد غـدتْ فـي فـتْـر خـافِـقْ
فـلا تـيْـأسْ سـتُـفـتَـح عـن قـريـبٍ ... حـصـونٌ ذا الـرَّجـاءُ لـهـنَّ طـارِقْ
وسـهـمُ الـلّـهِ لا يُـخْـطِـي بـلَـيْـلٍ ... وإن أمسَى من الـظـلـمـاتِ غـاسِـقْ

وأنشدني له قصيدةً، مطلعها: [البسيط]

يـامَـن مُـحـيَّـاهُ يُـسْـتَـسْـقَـى بـه الـمـطـرُ ... وعـدلُـه كـاد يُـنْـسَـى عـنـده عُـمَـرُ

ومنها:

إن كنت تبْغي بنار الهجرِ تجْربتِي ... إنِّي على الحالتيْن العَنْبَرُ العَطِرُ
وأهـجـرُ الـمـاءَ إن كـانـتْ مُـعـلَّـقـةً ... بـه حـيـاتـي إذا مـا شـابَـهُ كَـدَرُ
وسوف يُنْبِيك عن صبري جفاك على ... لَـظـاهُ هـل أنـا يـاقـوتٌ أم الـحـجَـرُ

ومنها:

أراك دهـريَ مـا مـنـه تُـؤمِّـلُـه ... حـتـى نـراك ومِـن أنـصـارِك الـقَـدَرُ

وأنشدني له من أخرى: [البسيط]

مـا الدرُّ في حُقَّةِ الياقوتِ إن بَسما ... ومـا نـسـيـمُ الـصَّـبـا والـنَّـدُّ إن نَـسَـمـا

ومنها:

مـا شـقَّ سَـرْحُ عِـذارٍ رَوْضَ وَجْـنـتِـه ... حـاشـا شـقـائـقَـهـا أن لا تـكـون حِـمَـى
فـلـو سـواك غَـزانـي كـنـتَ تـمـنـعُـه ... عن ساحِتي لو يكون الشَّيْبَ والهِرَمَا

ومما أنشدنيه قوله مُضمِّناً: [الطويل]

تقول سليمى بعد ما بِنْتَ تُبْتَ عن ... هَـوايَ وعـن ذي الـخـالِ لسـتَ بـتـائـبِ
تُـواصِـلُ وَاواتٍ بـخـدٍّ مُـعـذَّرٍ ... وتـجـفُـو بـلا ذنـبٍ ذواتِ الـذَّوائـبِ
إلـيـكِ فـإنـي لـسـتُ مـمَّـن إذا اتَّـقَـى ... عِـضـاضَ الأفـاعِـي نـام فـوق الـعـقـاربِ

٩٦- محمد بن أحمد الحَتَاتِيّ

رَيْحانة النُّدْمان، وفاكهةُ الخُلَطاء والإخوان، وفاكهةُ الظُّرفاء وهديَّة الزمان.

٩٦- محمد بن أحمد المعروف بالحتاتي المصري، الأديب، الشاعر، الكاتب، المشهور. كان من أعيان الفضلاء وبلغاء الشعراء، وله شعر رقيق في نهاية الحسن والجودة، وكان ظريف الطبع، خليعاً، طروباً، وله في الطب باع طويل أخذ عن علماء مصر ثم دخل الروم، وأقام بها مدة طويلة، وولي قضاء أسيوط والجيزة في نواحي مصر.
وكانت وفاته بالجيزة وهو قاض بها في سنة إحدى وخمسين وألف. خلاصة الأثر (٣/٣٦٦).

Marfat.com

مهَر في الفنون، فأتَى بما تلَذُّ به الأسماعُ وتقَرُّ به العيون.
لا سيَّما في الطب والحِكمة، فإنه كان فيهما ذا هِمَّة.
ولما غلَب عليه الهوَى، سقط نجمُه من أفقِ السعادة وهوَى.
فلم يتنَبَّه حظُّه بغيرِ قَهْقهِة القَنانِي، ودَغْدغِة المثالثِ والمثَانِي.
إلاَّ أن له شعراً يحُطُّ قدرَ الحُطَيْئة، ويبلِّد لَبِيداً.
وذهناً يدَع إياس، من الذكاء في إياس.
وبَدِيهةً بديعة، كأن لها على كَمِين الغيْب طَلِيعة.
وقد كان كثيراً ما يسامِرُني فيُنْشدني من أشعاره، وينُثر في نادي الأدب فرائدَ نِثارِه.
فمن ذلك قولُه من قصيدة: [الكامل]

نُعْمٌ أتْتكَ فلا خِضابُ الموعدِ ... مُتنصِّلٌ تُبْدِي اعْتذارَ المجْتدِي
جاءتْك تدَّرِعُ السُّعودَ كأنها ... غصنٌ من الياقوتِ فوقَ زَبَرْجَدِ

وقوله أيضاً: [البسيط]

فكم ليالٍ كستْ بدرَ الدُّجَى شَرَفاً ... تمنَّتِ الشمسُ فيه رُتْبةَ القمرِ
أبْدَى لنا ضوءُه لُحْفاً بَطائِنُها ... ريحُ الصَّبا وافترَشْنا زَهْرَة الزَّهَرِ

ويقرُب من هذا قول بعض المغاربة: [الطويل]

وفتيانِ صِدْقٍ عرَّسُوا تحت دَوْحةٍ ... وليْس لهم إلا الهَناءَ فِراشُ
كأنهمُ والنَّوْرُ يسقُط بينهم ... مصابيحُ يهوِي نحوهُنَّ فِراشُ

وقوله أيضاً: [الوافر]

أجلَّ اللّهُ أعْطافَ الحبيبِ ... وأينَع قامةَ الغُصْنِ الرَّطيبِ
وأنْبتَ وَرْدَها غَضّاً طَرِيّاً ... وسَيَّجه برَيْحانِ القلوبِ
ولا زالتْ شَمائلُه نَشاوَى ... مُرنَّحةً كغصنٍ في كَثيبِ
وعطَّفَها نسيمُ الشوقِ حتى ... تميلَ إلى معُانقةِ الكئيبِ
وروَّى أرْضَها سَحَراً مَطِيرٌ ... بغَيْثٍ من سَما جَفْنٍ صَبيبِ

وقوله: [السريع]

عُمْرُ الفتى قالوا زمانُ الرِّضَى ... بالصَّفْوِ والأحْبابِ واليُسْرِ
صدَّقتُ ما قالوه كي يُقْبِلُوا ... لينظُروا شيْخاً بلا عُمْرِ

وهذا كقول الأمير أسامة بن مُنْقِذ: [الكامل]

قالوا نهَتْهُ الأربعون عن الصِّبا ... وأخو المَشيبِ يَحَارُ ثُمَّتَ يَهْتدِي
كم حار في ليلِ الشبابِ فدَلَّهُ ... صبحُ المشيبِ على الطريقِ الأقْصَدِ
وإذا عدَدْتَ سِنيَّ ثم نقَضْتَها ... زمنَ الهمومِ فتِلْكَ ساعةُ مَوْلدِي

Marfat.com

وللأمير أبي فِراس الحَمْدَانِيّ: [الرجز]

ما العمرُ ما طالتْ به الدهورُ ... العمرُ ما تمَّ به السرورُ
أيامُ عِزّي ونَفاذُ أمرِي ... هي التي أحسِبُها من عُمْرِي
لو شئتُ ممَّا قد قَلَلْنَ جدًّا ... عددتُ أيامَ السرورِ عَدَّا

وفي هذا أقول: [الطويل]

يقولون أوقاتُ السرورِ قصيرةٌ ... وأوقاتُ عمرِ الغَمِّ قد رُزِقتْ طُولاَ
فمَن كان بالهمِّ المُبرِّح لاَبِثاً ... يظنُّ بأن العمرَ صار طويلاَ

وللأمير أسامة بن مُنْقِذ أيضاً: [الكامل]

لا تحسِدَنَّ على البقاءِ مُعمَّراً ... فالموتُ أيسرُ ما يؤُولُ إليهِ
وإذا دعوتَ بطُولِ عمرٍ لأمْرِئٍ ... فاعلمْ بأنك قد دَعوتَ عليهِ

ومن بُيوت العلم بالقاهرة العَلاقِمَةُ. فمنهم:

٩٧، ٩٨- شيخنا العلامة إبراهيم العَلْقَمِيّ وأخوه شمسُ المِلّة والدين

أما الشمسُ صاحب «الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير» فشيخُ الحديث في القديم والحديث.

لم تزلْ سحبُ إفادتِه في رياض الفضلِ ذَوارِف، حتى صار وهو العلَمُ المفرَدُ من أعرفِ المعارف. فهو هَضَبة مجْد، وفي التُّقَى جوهرٌ فَرْد.

قد تحلّى بخدمة الجلال السُّيُوطِيّ كمالاً، ورقَى إلى سماء المعالي فازْداد جَلالاً.

وأما إبراهيم فللفضلِ خَلِيل، وطبعُه لُطْفاً يحْكيه النسيم لولا أنّه عليل. لازمتُ القراءةَ عليه في إبّان الطَّلَب، واجتنَيتُ ثمراتِه الجنيّة من كَثَب. فتبرَّجتْ لي عرائسُ مَعانِيه، وتَحلَّتْ لي على مِنَصَّة الكرم مَعالِيه.

ولَعَمْري إنه رُوحُ فضلٍ حلَّتْ في جُثْمان عُلاه، وسماءُ مناقبٍ تزيّنتْ بكواكب هدايتِه وحُلاَه. لا زالتْ تَهْمِي على جَدَثِه عيونُ الغمائم، كلمّا حيّتْه حسانُ الحور ضاحِكةَ المباسِم. وممّا مدَحتُه به، لمّا حضرتُ عنده وهو يفْتِي: [الوافر]

أنادِرةَ الزمانِ بَقِيتَ أنعِمْ ... بإصْغاءٍ إلى العبدِ الضعيف
زمانُك كلُّه أمسى ربيعاً ... خصيبَ الفضلِ ذا ظِلٍّ وريفِ
فما بالُ الفَتاوَى في انْتِثارٍ ... ببابِك نثْرَ أوْراقِ الخريف

وله كتاب «تهذيب الرَّوْضة للنَّوَوِي»، سمعتُه منه بقراءةِ الفاضل الشيخ منصور الطَّبْلاوِيّ.

Marfat.com

٩٩- أحمد بن علي العَلْقَمِيّ

نزيلُ الخانقاه السِّرْياقُوسِيّة.

شمسٌ تنْجلي به الأبصارُ والبصائِر، وإن كان وجهُ الشمسِ يُعْشِي ناظِرَ النَّاظر.

وروضُ فضلِه نَضِير، وما لَه في سَعِة الحفظ نَظِير.

ومع ذلك لم يُعرَفْ أسْتاذُه، ولم يحْتَجْ سيفُ ذهنِه إلى أن يشْحَذ فُولاذُه.

وله طبعٌ بالصلاحِ زَاهِ زاهد، ونَقْدُ فكرٍ لم يصرِفْ نُضارَه نَقْدُ ناقِد.

وشعرُه مُدامُ الطَّلِّ في كأسِ الزَّهَر، وحُلَلُ الربيع المنسوجةُ بأنامِلِ المطَر. [الطويل]

يـمُـدُّ عـلـى الآفـاقِ بـيـضَ خُـيـوطِـهِ فـيـنْسِجُ منـهـا لـلـثَّرَى حُـلَّة خَضْـرَا

وكان في إقْبالِ عُمْرِهِ لمعرفتِه بمَكْر دهرِه - فإن الشَّهوات أجْرة تُستخدَم بها النفوسُ في عِمارةِ عالَم الطبيعة لتَذْهَل عما يلزمها من التَّعب ويلحقُها من الكلام كما قال ابن التِّلْميذ الحكيم - اعتزلَ الناس، وارْتضى من سفرِ الحياة بغَنيمةِ الْيَاس.

فلذا جعل الخانقاه السِّرّياقُوسيَّة مَألفَ سكنِه، ومراتعَ آمالِه ومرابع وَطرِه ووطنِه.

ثم انتقل إلى مصر فدرَّس بها وأفاد، وترنَّمتْ وُرْقُ فصاحتِه بدَوْحِها الميَّال الميَّاد.

ثم اختار جوارَ بيْتِ اللّه المُعَظَّم، وظفِر من كِيمياءِ السعادةِ بالحجَرِ المْكرَّم.

وقد طُفْتُ بكعبةِ فضِله في ذلك المقام، ووردْتُ صفاءَ مواردِه بالصَّفا والمقَام. [الرمل]

ومـلأتُ الـسـمـعَ مـنـه كـلـمـاً يـحـسِـدُ الـقـلـبُ عـلـيـه الأُذُنَـا

وعَقِيب ذلك الاجتماع، طافت به المنِيَّةُ طَواف الوداع.

فانتقل لجوار الرحمن، واستوطن قُصورَ الجنان.

فجرَّعنا فِراقُه غُصَصاً عَلْقَمِيَّة، وما جُرِّد من لِباسِه حتى تردَّى حُلَلَ المغْفِرةِ السُّنْدُسِيَّة.

لا زال يسْقى رَبْعَه، ويرْوِي مَضْجَعَه: [الطويل]

سحابٌ حكى ثَكْلَى أُصِيبتْ بواحدٍ فعاجَتْ له نحو الرِّياضِ على قَبْرِ

ومما أنشدنيه من شعره قولُه من قصيدة: [المتقارب]

بـأبْـصـارِنـا وجْـهُـك الـمُـذْهَـبُ يـكـاد سَـنـا بَـرْقِـه يـذْهَـبُ

وأشْـواقُـنـا فـيـك لا تـنْـقَـضـي وشـمـسُ جـمـالـك لا تـغـرُبُ

وحُـبُّـك فـي الـمـاءِ مُـسـتـودَعٌ وأُشْـرِبَـه كـلُّ مَـن يـشْـرَبُ

وفـي كـلِّ قـلـبٍ وعَـيْـنٍ بـه مُـشـيـراً لـك الـمـنـزلُ الأرْحَـبُ

وذاتُـك جَـنَّـةُ أهـلِ الـنُّـهَـى ونـفـسُـك عُـنْـصُـرهـا طـيِّـبُ

فـمِـن غـيـر نُـطـقـك لا تُـشـتـفِـي ومـن غـيـر ذاتِـك لا تـطْـرَبُ

Marfat.com

وكـم لـك مـن رُتَـبٍ فـي الـعـلا تـعـالـى الـعُـلاَ إذْ لـهـا يُـنْـسَـبُ

وله من أخرى: [الرمل]

مُذْ نسيمُ الصَّبا على الرَّنْدِ هَبَّا سـحَـراً نـبَّـه الـفـؤادَ ونَـبَّـا
هـزَّ غُـصْـنَ الـقَـوام فـاهْـتـزَّ حـتـى مـال شـوقـاً إلـيـه شـرقـاً وغـربَـا
وروَى عـن عـريـبِ نـجْـدٍ حـديـثـاً فـدعـا قـلـبَ مـن يـحـبُّ فَـلـبَّـى
ورَكِـبْـنـا سـفـيـنـةَ الـصـبـر لـمَّـا حـال وَجْـهٌ دونَ الـسـفـيـنـةِ غَـصْـبَـا
وقـتَـلْـنـا غـلامَ مَـن عـاقـنـا عـنْ سَـيْـرنـا نـحـوهـمْ فـأوْرثَ قُـرْبَـا
وأقـمْـنـا جِـدارَ وجْـدٍ قـديـمٍ بـعـد مـا انـقَـضَّ أو أراد فـأزْبَـى

١٠٠- شمس الدين البَصير

ضريرٌ كأنَّ اللّهَ أراد ألاّ ينظُر إلاَّ إلى جِنانِه، فأغمَد صارِمَ طَرْفِه في قِرابِ أجْفانِه: [مخلع البسيط]

واللّـهِ مـا فـي الـزمـان شـيءٌ تـأسَـى عـلـى فـقـدِه الـعـيـونُ

ذكيٌّ لَوْذَعِيّ، فَطِنٌ ألْمَعِيّ.

عُجنتْ طينتُه بماء المعارف، وتآختْ طبيعتهُ مع العوارِف.

وكان في غِرَّة العمرِ رفيقي، وفي روضِ التَّحْصيل شقيقي.

إلى أن اخْتَرمَتْه في شبابِه يَدُ الأجَل، فقطعَتْ شمسُ عمرِه منطقةَ الأمل.

وغابتْ في عينِ حَمِئةٍ من قبرِه، حتى بكى الأفق دماً على أثَرِه.

فكأنَّ الدهر الحَسود لما رآه جمع الكمالَ جمْعاً جَمَّا ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢].

وكان يسكن الخانقاه وللفضل فيه أماني، وطرفُ الكمال إليه يُرانِي.

إلى أن آذنَتْ شمسُه بالزَّوال وغرُبتْ بعد ما طلَعتْ من مَشْرِقِ الإقبال.

فمن شموس معانيه، المشرقةِ من منازلِ مَبانيه، قوله: [المنسرح]

بـيـن حـروبِ الـعـيـونِ والـمُـهَـجِ دمـعِـي جـرى عَـنْـدَمـاً مـن الـوَهَـجِ
لا حُـلْـتُ والـلّـهِ أو أُقْـطَـعَ عـن رِيـمٍ مـن الـتُّـرْكِ كَـيْـسِ غَـنِـجِ
مُـكـحَّـلِ الـنـاظِـريْـن ذِي حَـوَرٍ مُـضَـرَّجِ الـوَجْـنـتَـيْـنِ ذي بَـلَـجِ
أمْسيْتُ من محنتِي عليه ومِن دمـعـي بـيـن الـلُّـجـاجِ والـلُّـجَـجِ
لا أنْـتـهـي عـن تَـهـتُّـكـي أبـداً لـيس على المُسْتَهامِ من حَرَجِ

قلت: ولا على الأغمَى حرج.

وأنشدني له أيضاً: [الرمل]

Marfat.com

قلتُ لما أراد مِسْكاً وخمراً ذُو دَلالٍ وأعْيُنٍ سَحَّارَهْ
لك واللّهِ نَكْهَةٌ في رُضابٍ تلك عَطَّارَةٌ وذِي خَمَّارَهْ

وهذا كقول ابن نُباتة المصريّ: [الرمل]

لا تَخَفْ عَيْلَةً ولا تخْشَ فقرَا يا كثيرَ المحاسنِ المُخْتالَهْ
لك عينٌ وقامةٌ في البرايَا تلك غَزَّالةٌ وذِي فَتَّالَهْ

ومما أنشدنيه أيضاً قوله: [البسيط]

أحْبِبْ به قارئاً أمسى له نغَمٌ أحْلَى وأملحُ من ضربِ النَّواقيسِ
يا حُسنَهُ من مليح راق مَبْسَمُه لكنه قارئٌ يرْوِي عن السُّوسِي

وهو كقول الفَيُّومِيّ: [البسيط]

نَسيمٌ من ديارِ الخِلِّ هبَّ عَلَى مَوْتَى الفِراقِ يحُاكِي النَّفْخَ في الصُّورِ
يرْوِي أطايبَ نَشْرٍ من ديارِكُمُ ما أحسنَ النَّشرَ إذ يُرْوَى عن الدُّورِي

١٠١- عبد الله الدَّنُوشَرِيّ

جامعُ التَّقْرير والتَّحْرير، الرَّاقي إلى رَبْوةِ المجد الخطير.
تآليفُه عقائلُ أصبح الدهرُ من خُطَّابها، وآثارُه تتشوَّق الأسماع إلى فواكِه آدابِها.
طالما جلاها عليّ، وأهدى باكُورَتها إليّ
إلا أنه كان يعُدُّ الشعر سَهْلا، ويمزُج بالجدِّ منه هَزْلا.
فهو في سماء الفضائل تحسد النجومُ سَناه، وأنَّى لها أن تُشَايِهَ عُلُوَّ مجدِه وعَلْياه.
وهْيَ تخْفَى عند الصباح وهذا ظاهرٌ في صَباحِه والمَساءِ
وكان بيني وبينه مَودَّةٌ وصداقة، وعَلاقةُ مَحبَّةٍ حقيقةٌ لا تحتاج لعَلاقة.
كثيراً ما يُجامِلني بالمُطايَبة، ويُتْحِفني بالمُكاتبة.
وهو جوهر نَفِيس في خزائن القَبول، وسِرٌّ مكتوم مُستتِر في ضمائِر الخُمول.
ويعرض عليَّ تآليف له مُفِيدة، وينُشدني من أشعارِه ما عنه القرائحُ بَعيدة.
كقوله: [الوافر]

أرَى في مصرَ أقواماً لِئاماً وهُمْ ما بين ذِي جهلٍ ونَذْلِ

١٠١- عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الدنوشري الشافعي، كان لغوياً نحوياً حسن التقرير باهر التحرير. ولد بمصر وبها نشأ وأخذ عن الشمس الرملي والشهاب بن قاسم العبادي والشمس محمد العلقمي وغيرهم. وتصدر بجامع الأزهر وأقرأ العربية وغيرها من العلوم وانتفع به جماعة أجلاء منهم: الشمس البابلي والنور الشبيامسي وغيرهما. وألف تآليف كثيرة في النحو منها: حاشية على شرح التوضيح للشيخ خالد، وله رسائل وتعليقات. ورحل إلى الروم وأقام بها مدة ثم عاد إلى القاهرة ورأس بها وبلغت شهرته حد التواتر.
وكانت وفاته بمصر سنة خمس وعشرين وألف. خلاصة الأثر (٣/ ٥٣).

Marfat.com

شجاعتُهمْ بألْسِنةٍ حِدادٍ وعيشُهمُ بجُبْنٍ وهْوَ مَقْلِي

وفي معناه قول الآخر: [الطويل]

أقولُ وقد شَنُّوا إلى الحربِ غارةً دَعُونِي فإنِّي آكِلُ الخبزِ بالجُبْنِ

ومما كتبَه إليَّ، بعد المُهاجرة من مصر: [الوافر]

نَوالُكَ يا شهابَ الدِّينِ زائدْ وبحرُ نَداكَ يا مولاي زَابِدْ
تركتَ العبدَ لم تنظُرْ إليه وقد عوَّدْتَه أسْنَى العوائدْ
متى يأتيه منك جوابُ كُتْبٍ وتأْتِيه الصِّلاتُ مع العوائدْ
ويكحَلْ جَفْنَه مِيلُ التّلاقِي ويغْمِدُ سيفَ هجْرِك عنه غامِدْ
فلا برِح الثناءُ عليك عِقْداً نَضِيدَ النظم في جِيدِ المحامِدْ

وله في موسى قاضي مصر: [الطويل]

لقد كان في مصرَ الأمِينةِ حاكمٌ تَسَمَّى بفِرْعَونٍ وكان لنا مُوسَى
وفي عصرنا هذا لقِلَّة قِسْمِنا لنا ألفُ فِرْعَوْنٍ وليس لنا مُوسَى

وممَّا اتَّفق لي في نظيره قولي: [السريع]

يا مَن أذلَّ النفسَ من حِرْصِه جُرحُكَ بالمَرْهَم لا يُوسَى
لا تلُم الناسَ فأنت الذي أعطيتَ فِرْعَوْن عَصا مُوسى

وركِب ثوراً بعضُ الشهود تشهيراً له، فكتب له: [السريع]

إن ركَّبوكَ الثورَ في مصر إذْ جَرَّسْتَ بالظلم وبالجَوْرِ
فاصبِرْ ولا تحزَنْ لِمَا قد جرى فالناسُ والدنيا على ثَوْرِ

قلتُ: وعلى ذكر فرعون، فقد ورد في مُناجاة موسى أنه قال: يا ربِّ لِمَ أمْهلتَ فرعونَ، وقد كفَر بك؟ فقال: إنه كان سهل الحِجاب، فأحببْتُ أن أكافئه على ذلك في الدنيا. وقد قلتُ أنا: [السريع]

في مصر جَبَّارٌ علينا اعْتدَى حكَّمَ فينا بخلافِ الصَّوابْ
إن كان فِرْعَوْنَ فما بالُه لم يحْكِهِ إذْ كان سَهْلَ الحِجابْ

وله شعر كثير، لم يعْلَقْ بسَمْعي منه إلاَّ اليَسير، وقد عرفتَ أن خيرَ الكلام ما دعا بلفظه الأسماع إلى حفظِه.

يستنْبِطُ الرُّوح اللطيفَ نسيمُه أرَجاً ويُؤكَلُ في الضمير ويُشرَبْ

١٠٢- عبد الواحد الرَّشِيدِيّ

شيخٌ عدَّه بعضهم حسنةً بها ذنبُ الزَّمانِ غُفِر، وأصبح به الدهر عمَّا قدَّم من إساءتِه يعْتذِر.

١٠٢- عبد الواحد الرشيدي البرجي الشافعي، الشيخ الفاضل والإمام الكامل والورع، الزاهد. كان -

Marfat.com

وعندي أن عُذرَه أقبحُ من ذنبه، وتوبتَه لا أراها مقبولة عند رَبِّه. [الكامل]

والشوكُ يَعملُ في ثِيابي مثْلَما ... عمل الهجاءُ بعِرْضِ عبد الواحدِ

فمن لُؤلؤِه الرَّطْب، ورَشْحِ قلمه العَذْب، قوله: [م. الخفيف]

قلت للنائبِ الذي ... قد رأيْنا معائِبَهْ

لستَ عندي بنائبٍ ... إنما أنتَ نائِبَهْ

وهذا كقول الآخر: [المتقارب]

وقاضٍ لنا حكمُه باطلٌ ... وأحكامُ زَوْجتِه ماضِيَهْ

فيالَيْته لم يكن قاضياً ... ويالَيتها كانتِ القاضِيَهْ

وللأرَّجانيّ: [م. الكامل]

ومِن النَّوائبِ أنَّني ... في مثلِ هذا الأمرِ نائبْ

ومن العجائبِ أن لي ... صبراً على هذِي العجائبْ

وأنشدني له بعضهم: [البسيط]

لا تحسَبَنْ أن هَجْوِي فيك مَكْرُمَةٌ ... شِعْرِي بهَجْوِ لئيمٍ قطُّ ما سمَحَا

لكن أجرِّبُ طْبِعي فيك فهْوَ كما ... جرَّبْتَ في الكلب سَيفاً عندما نَبَحَا

وهو كقول الآخر: [الوافر]

هجَوْتُكَ لا لأنَّك أهلُ هَجْوٍ ... ولكن كي أجرِّب فيك سَبِّي

وليس يضرُّ شَفْرةَ لَهْذَمِيٍّ ... إذا ما جُرِّبتْ في جِلْدِ كلْبِ

وكان مع أنه بزِيِّ أهلِ الصّلاح، تصدُر عنه كلماتٌ سخيفةٌ قِباح.

كما أنشدني له بعضُهم في رَشيد وكثرةِ أمطارها: [الرمل]

كلُّ قَطْرٍ عند مَن يدرِي مُحاذِ ... قِطْعةً مِن فلَكٍ من غير شَكّ

فلئن صحَّ مقالُ الناسِ ذا ... فرَشِيدٌ تحت سنْداس الفلَكْ

وسنْداس: لفظة عامِّيَّة، معناها بيتُ الخَلاء.

وهذا: مع سَخافته، وما فيه من رائحة الكُفْر الكريهة لمَّا سمعتُه قلتُ: للّه دَرُّه، ما أعرفه، لو لم يصْدُق فيما جرَى، لم يخرُج منها مثل هذا الخَرا.

وأين هذا من قول ابن لُؤْلُؤ الذَّهبيّ لما توالتْ الأمطار: [الرمل]

= عارفاً بعلوم شتى، وكان يستحضر أشياء كثيرة من النوادر. وله من المؤلفات كتاب: نزهة السامرة في أخبار مصر والقاهرة، ذكر فيه الوزراء الذين تولوا مصر إلى الوزير الأعظم محمد باشا.

وكانت وفاته بمصر سنة ثلاث وعشرين وألف، ودفن بتربة الجلال السيوطي، وبلغ من العمر مائة فأكثر، والبرجي تبين أنها نسبة لبرج مغيزل. خلاصة الأثر (٣/ ٩٩).

Marfat.com

إن أقام الغيثُ شهراً هكذا جاء بالطُّوفانِ والبحر المُحِيطْ
ما همُ من قوم نوحٍ يا سمَا أقْلِعي عنهم فهُمْ من قوم لُوطْ

١٠٣- رمضان الهُوِّيّ

شيخٌ مهوي أقبح وأحْمَقُ من الشيخ المهوي.

طال عمرُه على الأيام وثَقُل حتى أقْلقَها، ولبِس حُلَلَ الجديدَيْن حتى أخْلقَها. [الخفيف]

وَسِخُ الثَّوبِ والعمامةِ والبزْ ذَوْنِ والوجهِ والقفَا والغُلامِ

ذو أخْلاقٍ مُجعَّدَة، وألفاظٍ مخْلُولةٍ مُبدَّدة.

أثْقَلُ من القَهْر، وأكثر ذنوباً من الدَّهر.

وأشْأم من طُوَيْس[1]، وأثْقَلُ على الرَّاجي من لا وليس.

يعْتنِي كثيراً بغريب الكلام، والتَّصرُّفِ في أنواع الالْتِزام.

حتى عارَض «المَقاماتِ الحَرِيريَّة»، فأصْمَتِ الأسْماعَ كلماتُه الحُوشِيَّة.

ولم يزَلْ مُبتَلًى بالفقرِ لِمَا له من بذاءةِ لسانٍ وقُبْح كلمات، ولقد أنصفَ الدهرُ في مَقْته ولِلْبُله إصابات.

فهو على ما به من مكرٍ وكَيْد، كما قال الصاحبُ في أبي زَيْد: [السريع]

انْظُرْ إلى وجهِ أبي زيدِ أوْحشَ من حَبْسٍ ومن قَيْدِ
وُحوشُه ترتَعُ في ثوبهِ وظُفْرُه يركب للصَّيْدِ

وهُوّ: بلدة بالصعيد، لم يخرُجْ منها نجيبٌ ولا سعيد، وما يسوءُ الفؤادَ إلاَّ هُو.

١٠٤- أحمد بن عبد السلام

رأيتُ والدهَ وقد أحالت الأيامُ سَبَجَه فِضَّة[2]، وقد ذبُلَت بعواصِف الهَرم زهرةُ حياتِه الغَضَّة.

مُتَّسِماً بسمَةِ الصلاح، قد لبس حُلَلَ الخلاعةِ واسْتَراح.

وأما ولدُه فكان في رَيْعانِ عمرِه، يتَّجر في بضائع شِعْرِه.

---

(١) أشأم من طويس: طويس كزبير، مخنث، كان يسمى طاووساً فلما تخنث تسمى بطويس، واسمه عيسى بن عبد الله، وكني بأبي عبد المنعم، أول من غنى في الإسلام، ويقال: «أشأم من طويس» وكان يقول: إن أمي كانت تمشي بالنمائم بين نساء الأنصار، ثم ولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله ﷺ، وفطمتني يوم مات أبو بكر، وبلغت الحلم يوم مات عمر، وتزوجت يوم قتل عثمان، وولد لي يوم قتل علي، فمن مثلي؟

(٢) أي تغير لون شعره من السواد إلى البياض.

Marfat.com

ثم ارتحل إلى الروم فلبس حِدادَ فقْرٍ كاد لابسَه، وابتسمتْ في وُجوهِ آمالِه ثغورُ حظِّه العابسَة.

إلاّ أنه مِكْثار، مُتشدِّق متَفَيْهق ثَرْثَار.

ولعدم تهْذيبه، لا تزال أفكارهُ تَهْذِي به.

وربَّما عَزَّتْ عليه مطالبُه، حتى نظَّم الجِزْعَ ثاقبُه.

ولم يزل كذلك حتى اجتُثَّت دَوْحتُه بعد ما سقاها ماءُ الشباب، وقَطَعتْ يدُ المَنونِ ثمراتها العِذاب.

ومن شعره قوله من قصيدة له: [الكامل]

في كلِّ حينٍ يطلعون على ذُرَا ... فلكِ المعالِي طالِعاً مَسْعودَا

لم يَمْضِ دونَ المُلْكِ أن ملَكوا به ... ملكاً على مَرِّ الجديدِ جديدَا

تُجْنَى لهم ثمراتُ هذا المُلْكِ إذْ ... غرَسوا به لَدْنَ القَنا أُمْلودَا

وثمراتُ هذه الأغصان، من بدائع المعاني الحِسان.

ومما يُضاهِيه قولُ البُحْتُرِيّ في السيف: [الكامل]

حملتْ حمائِلُه القديمةُ بَقْلةً ... من عهدِ تُبَّعَ غَضَّةً لم تذْبُلِ

إلا أن هذه بَقْلةٌ حَمْقاء. والأحسن فيه قولُ ابن هانِئٍ الأنْدَلُسِيّ: [الكامل]

وجنَيْتُمُ ثَمَرَ الوقائعِ يانعاً ... بالنَّصْرِ من ورَقِ الحديدِ الأخْضَرِ

ولقد أخذ منه عباءَهُ، ورَدَّ دِيباجَه.

ومن شعره أيضاً: [الخفيف]

قيل شَبِّهْ لنا الشَّقيقَ وقد كُنَّا نَشاوَى جميعنا بالرَّحيقِ

قلتُ قُضْبٌ من الزَّبَرْجَدِ يحْمِلْ ... نَ على الْهامِ أكْؤُساً من عَقيقِ

وهذا من قول غيرِه في النَّرْجِس: [م. الرجز]

أنامِلٌ من فِضَّةٍ يحْمِلْنَ كأساً من ذهبْ

ومن المعاني الغريبة فيه أن العجمَ والروم في ليالي الزِّينة يصبُّون في طَشْتٍ ذهباً، ويدور به إنسانٌ في الأسْواق، يعلنون به الأمان، ويُشْهِرون به عدلَ السلطان في ذلك الزَّمان.

فقال عليّ البَاخَرْزِيّ في قصيدةٍ له: [الرجز]

إن شئتَ أن تعرف أن عَدْلَهُ ... قد فرَش الأمْنَ فلاقِ النَّرْجسَا

إذْ حمَل الطَّسْتَ من التِّبْرِ على الر ... أس فلولا أمْنُه لاخْتَرسَا

والمشهور هنا قولُ الصَّنَوْبَرِيّ، في قصيدة له: [م. الكامل]

وكأنَّ مُحمرَّ الشَّقيـ ... ـقِ إذا تصوَّبَ أو تَصعَّدْ

Marfat.com

أغْـــلامُ يـــاقـــوتٍ نُـــشِـــرْ نَ عـــلـــى رِمـــاحٍ مـــن زَبَـــرْجَـــدْ

وله: [الوافر]

وجـوهُ شـقـائـقٍ تـبْـدو وتـخْـفَـى على قـضُـبٍ تَـمِـيسُ بـهِـنَّ ضَـعْـفَـا
إذا طَـلـعـتْ أرَتْـكَ الـشـمـسَ تَـذْكُـو وإن غـربـتْ أرَتْـكَ الـسُّـرْجَ تُـطْـفَـى

وللقاضي عِياض: [السريع]

انـظُـرْ إلـى الـزَّرْعِ وخـامـاتِـه تـحْـكِـي وقـد مـاسَـتْ أمـامَ الـرِّيـاحْ
كـتـيـبـةً خَـضْـراءَ مـهْـزومـةً شـقـائـقُ الـنُّـعـمـانِ فـيـهـا جِـرَاحْ

ونحوه قول ابن الزَّقَّاق: [الخفيف]

نُـثِـر الـوردُ فـي الـغـديـر وقـد درَّجـه بـالـهُـبـوبِ نَـشْـرُ الـرِّيـاحِ
مـثـلَ دِزْعِ الـكَـمِـيِّ مـزَّقـه الـطَّـعْـ ـنُ فـسـالـتْ بـه دمـاءُ الـجِـراحِ

ومما قلتُه هنا: [م.الرجز]

كـأسُ الـشَّـقـيـقِ امْـتَـلأتْ خـمـرَ نَـدىً لـم يُـعْـصَـرِ
كـمِـجْـمـرٍ مـن ذهـبٍ فـيـه بـقَـايـا عَـنْـبَـرِ
أو مِـشْـعَـلٍ يُـهْـدَى بـه لِـلَّـهْـوِ مَـن لـم يَـشْـعُـرِ

وهذا أمرٌ استَطْرَدْناه قَضاءً لحقِّ الآداب، ولولا خوفُ الملَل أرَيْناك هنا من السِّحر الحلال من ثَمرات الألْباب، ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ، لتعلمَ ما منَّ اللّه به علَيْنا من الوقوفِ على كنوزِ مطالبَ لم يقِفْ عليها غيرُنا.

١٠٥- محمد بن بدر الدين الزَّيَّات

شاعر كان في عُنْفُوان شبابِه، قبل أن تجِبَ عليه زكاةُ نِصابِه، يحترفُ بالزَّيْت والأسْمان من قومٍ سَمْنُهم في أديمهم، جِفانُهم مملوءةٌ للوافدين لِحَريمهم.

من أولاد جَفْنَة، أتْرَع فيها زَيْتَه وسَمْنَه.

حتى ترعَّتْ به هِمَّتهُ عن مِيزان السِّعْر، إلى ميزان الشِّعر.

والدهر كالميزان يخفِض ويرفع، ويُعطي مَن يريد ويمنع.

إلاّ أنه كان مُولَعاً بالسَّرِقة ولِصُّ البيت لا يُؤْمَن، فإذا أنشد شعراً قيل له: أحسَن الناسُ، وللّه دَرُّ مَن أحسن. [الكامل]

ومـن الـعـجـائـبِ أنـه لا يُـشْـتَـرى ويُـخـانُ فـيـه مـع الـكَـسـادِ ويُـسْـرَقُ

فراقتْ آدابُه، وإن لم تساعِدْه أحسابُه.

فكان كما قيل في المثَل، كُلِ العسلَ ولا تسَلْ.

Marfat.com

فممَّا أنشدني قوله في الفاضل العِزِّيّ: [الطويل]

إلى الفاضلِ العِزِّيّ وجَّهتُ مَطْلَبي ... لأظفرَ منه بالذخيرةِ والكنزِ
وقالوا تذلَّلْ تبلغ المجدَ والعلا ... فقلتُ لهم قد نلتُ ذلك بالعِزِّي

وهذا العِزِّيّ ممَّن له بيتُ شرفٍ وفضل بالقاهرة. فمنهم:

١٠٦- صفيُّ الدِّين بن محمد العِزِّيّ

ماجد إذا تُلِيْت آياتُ أوصافِه ركع لها القلمُ وسجد، تفرَّد بعُلُوِّ سَنَدِه في الحديث فأصبح دارَ علْم بين العَلْياء والسَّنَد.

فحديثُه في الفضل مرفوع، وأثرُ سِواه ضعيفٌ ومقطوع.

فلفظُه ممَّا يستحقُّ أن يُرْسَم بنور البصر، في عُنوانِ صحائف الأذْهان والفِكَر.

وسُكَّر طبعْهِ المصريّ مما يحلُو مُكرَّرُه ومُعادُه، ولم يزلْ بالقاهرة وثناؤهُ يتلوه لسان الدهر ويحفظُه فؤادُه. وهو أحدُ شيوخي الذين رويتُ عنهم «السُّنن»، وتشرَّفتُ بلقائِه وروَيْتُ حديثَه الحسَن.

فمما أنشدني له في مليح نحّاس: [البسيط]

عليُّ رفقاً بمن ذابَتْ حَشاه ضنىً ... صَبٌّ أزالَ الكَرى من مقْلَتَيْهِ وَصَبْ
حديدُ قلبك يا نحَّاسُ يمنعهُ ... لُجَيْنُ جسمِك والنومُ المَصُون ذَهَبْ

وله في صديقه الصِّحافِيّ: [المجتث]

يا عاذِلي في هواهُ ... تَلافَ قبل تَلافِي
وهاتِ لي الدَّنَّ واجمعْ ... بيني وبين الصِّحافِي

١٠٧- أحمد بن علي العِزِّيّ

أحد أترابي ولداتِي، ورفيقي في اجْتِناء لَذَّاتِي

وهو شابٌّ رقيق الجِلْباب، يقطُر من إهابِه ماءُ اللطف والشباب.

تأدَّب وبرَع، ووَعَى ما جمَع.

معتكِفاً في زوايا الخمول، قانعاً بشَقاشِق آبائه الفحول.

وكان في إبَّان الطلب خِدْنِي، يجْني من خمائِله كما أجْني.

حتى قطع عليه الطريقَ الأجَل، وناداه عجِلاً فقال: أجَل.

فمما سمعتُه من شعره قوله: [الكامل]

لا زال هذا الجمعُ جمعَ سَلامةٍ ... لا نقصُ يعْرُوهُ ولا تَغْيِيرُ

Marfat.com

والـجـمـعُ مـن أعـدائِـكـمْ فـي قِـلَّـةٍ ونـقـيـضُ تـلـك الـقِـلَّـةِ الـتَّـكـثـيـرُ

ووالده من شيوخ العربية، وصدور أنديتها النّديّة.

١٠٨- عمر العِزِّي

أديبُ نظَم ونثر، وشعَر بعد ما شعر.

في حالةٍ أضْيَقَ من فم الحبيب، وصدرِ العاشقِ إذا حضَر الرَّقيب.

كمصحفٍ في بيت زِنْديق، أو سرٌّ في صدرِ أحمق غير صَديق.

ومن شعره قوله: [مخلع البسيط]

رُبَّ ثـقـيـل إمـام قـوم يَـؤُمُّ بـالـنـاسِ ثـم يَـجْـحَـفْ

خـالَـف فـي الـفـعـل قـول طـهَ مَـن أمَّ بـالـنـاسِ فـلْـيُـخـفِّـفْ

١٠٩- رجب الشَّنوَانِيّ

ناظمُ قلائدِ المِدَح، وخاطبُ خرائدِ المَلح. مضى له بمصر زمنٌ وهو يُهْدِي نِثارَ كلماتِه، ويُطلع في رياضِها النَّضِرة غَضَّ نَباتِه. ويأتي العلوم من أبوابها، ويجرُدُ مُرْهَفاتِ لَسَنِه من قِرابِها. ومولده بشَنَوان، وهي بلدة بالمُنوفِيَّة صُوِّرتْ بها الجِنان.

كانت مُخَيَّم لَذَّاتِه، ومَنْبِت أترابِه ولِداتِه. ثم ارتحل إلى الجامع الأزهر، فأثمر به غصنُه الرَّطيبُ وأزْهَر. ولم يزلْ به معانِقاً للخمول، وروضُه بطَلِّ آدابه مَطْلول. وكنتُ كثيراً ما أجْتلي وجهَ وِدادِه، وأوقد نار الفكرِ بقَدْح وَارِي زِنادِه.

وأستظلّ بدَوْحِه المَريع، وأستمِدُّ من بحرِ فكرِه السَّريع. وأسامِره بما يُذكرُنا عهودَ الرَّقْمتين وأتَنزَّه من صفاتِ رجَب وذَاتِه في الرَّبيعيْن. كما قيل: [الوافر]

وكـانـتْ بـالـعـراقِ لـنـا لـيـالٍ سَـرقْـنـاهُـنَّ مـن رَيْـبِ الـزَّمـانِ

جـعـلْـنـاهُـنَّ تـاريـخ الـلـيـالـي وعُـنـوانَ الـمـسـرَّةِ والأمـانـي

وكانت مفاكهةُ أسمارِه، ألذَّ عندي من فواكِه أشعاره. وأخلاقُه ونُقوذ آدابه نَضَّةً أطوعَ من الكأسِ للنَّديم، ومن قُدودِ القُضْب لأيادِي النَّسيم. فمن رأى رجَبا، فقد رأى عجبًا، وبدا عيد السرور والطَّرَب.

وقال مَن شاهدَه: من رأى عيداً في غُرَّة رجَب. [البسيط]

يا ليتَ أنّ شهوري كلُّها رجبُ

لا زال ضجيعَ الغُفْران، وجليس ملائكةِ الرِّضْوان. فمن حَباب مُدامِه، الرائق في انْتِظامه، قوله: [الوافر]

Marfat.com

عِـذارُ مُـعـذِّبـي قـد خـط خَـطـاً ... مـن الـرَّيْـحـانِ فـي روضِ الـدَّلالِ
كـتـابٌ بـالأمـانِ لـه أتـانـا ... وعـنـوانِ الـمـسـرَّةِ والـوِصـالِ

ومما كتبَه إليَّ وأنا بالروم: [الطويل]

أقـبِّـلُ بـالأجـفـان يـا سـادتـي أرْضـا ... وبالقرب لا بالبُعْدِ من حَيِّكُمْ أرْضَى
وإن سار نـجـمٌ فـي الـسـمـاءِ ذكـرتُـكـمْ ... وحنَّتْ لكم من بعدكمْ سائرُ الأعْضَا
وإن جـعـل الـنـاسُ الـمـحـبَّـةَ سُـنَّـةً ... جعلت على طول المدَى حُبَّكم فرضَا
ووالـلّـه إن الـعـيـنَ مـن بـعـدِ بُـعْـدِكـمْ ... جفاها الكرَى عمْداً فليستْ ترى غَمْضَا
وإن لـم تـفُـزْ مـنـكـمْ بـرؤيـةِ وجـهـكـم ... فـأرْواحُـنـا حـتـى جـوارحُـنـا مَـرْضَـى

وأنشدني له أيضاً: [م. الرجز]

لا تـجـعـلَـنَّ عـلـى الـلِّـحـا ... ءِ وغـيـرِهـا مَـأسَـفـتَـكْ
واعـشَـقْ مـلـيـحـاً أهـيـفـاً ... كـالـرمـح إن مـاسَ فـتَـكْ

وله من قصيدة: [الطويل]

تـهـلَّـلَ وجـهُ الـدهـر بـالـنُّـورِ والـهـدى ... وأشرق روضُ الزَّهرِ بالقطرِ والندَى
وفـتَّـح أحْـداقَ الـحـدائـقِ هـاطـلٌ ... مـن الـطـلِّ خـدُّ الـورد مـنـه تـورَّدَا
ومِن لطفِ خُلْقِ النِّيلِ جاء مُخَلَّقاً ... ومن عُظْمِ غيْظِ البحر أرْغَى وأزْبَدَا
ومـا يـسْـتـوي الـبـحـران هـذاك مـالـحٌ ... أجـاجٌ وهـذا طـاب لـلـنـاسِ مَـورِدَا

١١٠- القاضي بدر الدين القَرافيّ المالِكيّ

القاضي الفاضل، والحاكم العادل الفاصِل. بدرُ كمالِه من أُفق المعالي مُشْرِق وغصنُ دَوْحِه من سحائب الفضل مُورِق.

رأيتُه ولياليه مُحَمرَّة خدودِ الشَّفَق، وعيون النجم في خدمةِ سَعْدِه لا تكتحِل بغير الأرَق. وقد طلعَ بدرُه في هالةِ التَّدريس، وأحاطتْ به منطِقةُ نادٍ له المجدُ جليس.

١١٠- محمد بن يحيى بن عمر بن يونس الملقب ببدر الدين القرافي المصري المالكي القاضي بالباب المصري رئيس العلماء في عصره وشيخ المالكية. أخذ المختصر عن الشيخ الفقيه القدوة عبد الرحمن بن علي الأجهوري وعن الشيخ زين بن أحمد الجيزي وعن والده، ومن مشايخه أيضاً: التاجوري، وسمع الحديث عن الجمال يوسف بن القاضي زكريا والنجم الغيطي والصالح أبي عبد الله بن أبي الصفا البكري الحنفي. وولي قضاء المالكية، وألف كتباً منها: شرح ابن الحاجب، وذيل الديباج لابن فرحون، وشرح الموطأ، وشرح التهذيب.
وقد ولد سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، وتوفي سنة ثمان بعد الألف، وصلي عليه بجامع الأزهر، ودفن بتربته التي أنشأها مع الضريح بجوار القبة المعلقة المدفون بها بالقاهرة فيما يقال بالقرب من البيت الذي ينزل به قضاة العساكر. خلاصة الأثر (٤/٢٥٨).

Marfat.com

وأقلام الفَتاوَى تسعى لخدمتِه على رأسِها، وتجعل وجهَ الطِّرسِ كعبةً مستورةً بسَواد أنْقاسِها.

فتحُجُّ لها الأبصارُ والبَصائر، وتعتكِف في حرَم إفادتِها الأسماعُ والضَّمائر. وآثارهُ في فِقْه مالك «مُدوَّنة»، وفواضله «بموُطَّأ» أخلاقِه مُعنَوْنَة. وشرَح «مختصر خليل»، شرحاً شفى به الغَليل. وله «القول المأْنُوس، في حلِّ مشكلات القاموس». كادت له «الصِّحاح» الجَوْهريّة، تغوُص في البحار خجلاً من اتِّساق عُقودِه الدُّرِّيّة.

ولم يزل في القضاءِ على سَنَن السُّنَّة سالِكاً، ولمُحرّر رَقِّها المُوَشَّى بالكتابة مالِكاً. فهو ثالثُ العُمَرَيْن، ونديمُ القمريْن. أظهرَ فيه اليدَ البَيْضاء، ولم يلتفتْ بهِمَّتِه المُسوَّدة إلى الصَّفراء والبَيْضاء. [السريع]

وما سمعْنا قَطُّ أنَّ امْرَأً ... أهْدَى له شيئاً ولا قد رَشاهْ

والآن، قد قام مَن غَلِطَ الدهر بوُجوده فاحْتاج للحَكّ، وجهِل الحُكْمَ والتَّسْجيل فاحتاج للصَّكّ. ولم يزل طالعاً في أُفق العِزّ حتى غرب بدرُه، وانْمحَق بسِرارِ الضَّعف فكُسِف عمرُه. فبدَا زَوالُه، وتمَّ كمالُه. [مخلع البسيط]

إن فِراقَ الكمالِ صَعْبٌ ... حتى على البدرِ في السَّماءِ

وله شعرُ العلماء، ونثرٌ طارَ مع العَنْقاء.

تأنقَّ فيه وتصَلَّف، ولا عجَب للبدرِ أن يتكلَّف. كقوله: [البسيط]

منك البَداءةُ بالإحسانِ حاصِلةٌ ... مَلَّكْتنِي الرِّقَّ فضلاً منك لي سارِي
ألْهَمْتنِي بعده عِتْقاً لتُكرمني ... فاخْتِمْ بخيرٍ به عِتْقِي من النارِ

وفي معناه قول النور بن حجَر العَسْقَلاني: [الكامل]

يا ربِّ أعضاءُ السجودِ عتَقْتَها ... من فضلِك الوافي وأنت الواقي
والعتقُ يسْرِي بالغنَى يا ذا الغنَى ... فامنُنْ على الفاني بعِتْقِ الباقي

ولغيره في معناه: [البسيط]

إن الكرامَ إذا شابَتْ عبيدُهمُ ... في رِقِّهمْ عتَقوهمْ عتقَ أبرار
وأنت يا خالقي أوْلَى بذَا كرماً ... قد شبتُ في الرِّقّ فاعتقْني من النار

وهو ممن يروي عن خاتمة المحدِّثين الدِّيَمي، وفيه يقول: [الطويل]

وشيخ حديثٍ طبَّق الأرضَ علمهُ ... وصار بعلم في الأنام كما العَلَمْ
هو الدِّيَمِي كالغيثِ مُنهَلٌ فضلِه ... فلا تعجبَنْ فالغيث تأتي به الدِّيَمْ

وأحسنُ منه قولي مضمناً، وكتبتهُ على «شرحه للبخاري»: [البسيط]

فاق الورَى الدِّيَميُّ الحَبرُ حين أتى ... في خدمةِ السُّنَّةِ الغرّاءِ كالعلَم
وكلُّهمْ من رسول الله مُلتمِسٌ ... غرفاً من البحرِ أو رشفاً من الدِّيَم

Marfat.com

١١١- أحمد بن عوَّاد

أديب اسْتَمْرَى أخْلافَ الصِّناعة، وجلَب إلى مدينة العلم المعمورة مَتاعَه. إلاَّ أنه جعل الشعر له سلاحاً، وسَطا، وجاء شعره في أمِّتِه أمَّةً وسَطاً.

فمما أورد له صاحبنا علاء الدين المَكِّيّ في كتابه «الطراز المنقوش»، قوله في بعض الحُبوش: [الكامل]

حبَشيَّةٌ حسَنيَّةٌ أبصرتُها ... تهتزُّ كالغصن الرَّطيبِ المُثْمِرِ
فسألتُها عن جِنْسِها مع ما خفِي ... قالتْ فما تبغْيه جنْسِي أم حرِي

وهذا كقول الآخر: [الكامل]

بي أمْحريٌّ ناعمُ الخدَّيْنِ ذُو ... شَرْطيْن فعلُهما كفعْل السَّمْهَرِي
لم أدْرِ إذ صافحتُ صفحة خدِّه ... وردٌ زَهيٌّ أم خدَيْدٌ أمْ حَرِي

وللنَّواجِي: [البسيط]

رُمْتُ التَّغزُّلَ في أجفانِه فبدا ... عِذارُه فوق وردِ الوجنتيْن طَرِي
وقال قلبي لا تحفَلْ بغزْلِهما ... وخُصَّ عارِضَه بالمدْحِ فهوْ حَرِي

وهاهنا أمرٌ لا بدّ من التَّنْبيه عليه، وهو أنهم عَدُّوا مِن أنواع البديع الاكْتِفاء.

وقد ألَّف فيه النَّواجِيّ كتاباً سماه «الشفا في بديع الاكتفا». وقد طالعته، وهو كتاب لطيف، كما قال هو فيه: [البسيط]

مِن كلِّ معنى بديعٍ لو يمرُّ على ... فهْم السَّقيم ولو في نومِه شُفِيَا
وقلَّما أبْصرتْه عينُ ذي أدبٍ ... إلاَّ وَراحَ بذاك البرِّ مكتفِيَا

ومما أفاده فيه، أن ابن رَشِيق حدَّه بقوله: «وهو أن يدُلّ موجودُ الكلام على محذوفِه».

واعترض عليه بدرُ الدين بن الصَّاحب، بأنه يدخل فيه كلُّ حذفٍ وتقدير. وقال: إنه لم يجدْ له حدّاً سالماً من الاعْتِراض.

ألا ترَى أنه دخل فيه نحو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وليس منه. والمشهورُ من شواهده قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]. وهو على أنواع: فمنه، ما يكون بجُمْلة. ومنه ما يكون بكلمة. ومنه ما يكون بكلمتين فأكثر. ومنه ما يكون ببعض كلمة، حرفٍ، أو نحوه.

وهذا إما أن يخرجه إلحاقُها عن الوزن، أو لا. وكل منهما إمَّا مع التَّوْرية، أو بدونها.

واعلم أنه في الآية المُستَشْهَد بها نكتةٌ لطيفة، لم ينبِّهوا عليها، وهو أنه إنما

Marfat.com

اقتصر على الحرِّ لأنه أهمُّ هنا، لما عُرِف من غلبة الحرِّ على ديار العرب، ثم إن ما يَقِي الحرَّ يحصل به برُودةٌ في الهواء، في الجملة، فوقاية الحرِّ إنما هي لتحصيل البرد، وهذا فيه من اللطف ما هو ألطفُ من النسيم، فللّه دَرُّ التنزيل، فكم فيه من أسرار لا تتناهى!

بقي هاهنا بحثٌ جليل، وهو أن المتأخرين من أصحاب البَديعيَّات لمَّا أكثروا من أنواع البديع، وفيهم بعضُ من لا خِبْرة له بدقائق المعاني والعلوم، زادوا فيها أنواعاً مدخُولة.

فمنها: الاكتفاءُ ببعض الكلمات، وتبعهم مَن بعدهم كالدَّمامِينِيّ في «شرح الخَزْرجيّة» حيث ذكره، وأنشد عليه قول ابن نُباتة المصْرِي: [الطويل]

برُوحِي أمَرُّ الناس نأياً وجَفْوةً ... وأخْلاهُمُ ثغراً وأملحهمْ شكلا
يقولون في الأحلام يُوجَد شخْصُه ... فقلتُ ومن ذا بعده يجدُ الأحْلاَم

ولابن مكانِس: [السريع]

لم أنسَ بدراً زارني ليلةً ... مُستوْفِزاً مُمتِطياً للخَطَر
فلم يقمْ إلا بمقْدارِ أنْ ... قلت له أهلاً وسهلاً ومَرْحبا

وللبدر الدَّمامِينيّ: [الكامل]

الدمعُ قاضٍ بافْتضاحِي في هوَى ... رَشأٍ يغارُ الغصنُ منه إذا مشَى
وغدا بوجْدي شاهداً ووشى بما ... أُخْفِي فياللهِ من قاضٍ وشَاهد

وله أيضاً: [الوافر]

يقولُ مُصاحبي والروضُ زَاهٍ ... وقد بسَط الربيعُ بِساطَ زَهْرِ
تعالَ نُباكِرُ الروض المُفَدَّى ... وقمْ نَسْعَ إلى روضٍ ونَسْرِين

وقال ابن جِنّي في كتاب «التعاقب» باب الإيماء، وهو الاكتفاء عن الكلمة بحرف من أوّلها، كقوله: [الرجز]

قد وَعَدَتْنِي أمُّ عمرو أنْ تَ

أي: أن تسمح. وليس منه: [الرجز]

قلنا لها قفي قالت قافْ

لأنه اسمٌ لا حرف. ومنه قول النبي ﷺ: «كفَى بالسَّيْفِ شَا»[1].

يريد شاهداً. وقول عَلْقمَة: [البسيط]

مُفَدَّمٌ بَسبا الكَتَّان مخْتومُ

أي: بسَبائب. وقول لَبِيد: [الكامل]

دَرَس المَنَا بمُتَالِعٍ فأبَانِ

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٢٥٧).

Marfat.com

أراد: المنازل. اهـ.

وذكر الحديث، وذكر أنه اكتفاء عن شاهد، كقول ابن الرُّومي: [المنسرح]

والـدَّمُ فـي الـنَّـصـلِ شـاهـدٌ عـجَـبُ

وهو ثقَة. وقال غيره: إنه مُكتفًى به عن شافِي، وله وجه.

مع أنهم ذكروا أيضاً من الاكْتفاء ما اكْتُفِيَ فيه بحرفِ الجرّ عن مجروره، كقوله: [الكامل]

إن غاب عن إنْسانِ عيْني فهْو في

وما حُذِف منه شرطٌ ومجزوم، وصلة موصول، ونحوه. ويرِد عليهم قاطبةً أن المُحسِّنات البديعيّة إنما تُعَدّ مُحسِّنة بعد مراعاة الفصاحة، فما خالفها يُعَدّ قبيحاً ممنوعاً عند أهل العربية.

وقد صرَّحوا بأنه لا يجوز حذفُ بعض الكلمة إلا في تَرْخِيم المُنادَى على اللغتيْن بشروطه، وما عداه وإن سُمِع من العرب شاذٌّ، مُنافٍ للفصاحة، فعدُّهم له محسِّناً لا يصحُّ وكونهُ مع التَّوْرية كما مرَّ لا يُسوِّغه، ولو صَحَّ كان المحسِّنَ له التَّوريةُ، لا هذا الاكتفاء، فعدّهم له منها وهْم على وَهْم.

نعم، لو جرَى هذا على وَفْق العربيَّة كان حسَناً؛ وقد نظمتُ له مثالاً لم أُسْبَق إليه، فقلت: [الكامل]

رمـتُ الـنِّـداءَ لـمـالـكٍ وَفْـراً لـكَـيْ ... يُـولـي الـجـمـيـلَ لِـرِقَّـةٍ فـي الـحـالِ

فـنَـهـانـيَ الـصـبرُ الـجـمـيلُ وقـال لـي ... لـلـكـيـس نـادِ وقـل لـه يـا مَـالِ ك

ففيه اكتفاء وتوْرية مستوفِيَة لشروط التَّرخيم، وهذا من السِّحر الحلال، الذي يعرفه مَن له ذَوْق.

فإن قلتَ: ما وقع في الحديث من قولِه: «كَفَى بالسَّيْفِ شا» إن كان صحيحاً فصيحاً نقض ما قلتَه، وإلاَّ يلزمُك أن يصدُر من النبيِّ ﷺ كلامٌ غيرُ فصيح، وهو أفصحُ الفصحاء.

قلتُ: أفعاله وأقواله لا يُقَاس عليها غيرُها، وكما كان يتكلَّم مع كلِّ قوم بلُغَتهم حتى صدر منه أحياناً ألفاظٌ فارسيَّة وَحْشِيّة وغيرها، مما لا يُوصَف بالفصاحة، فعُدَّت من معجِزاته ﷺ، جاز صدورُ مثلِ هذا عنه، لِسرٍّ، ظاهرٍ أو خفيٍّ.

وأما ما قاله شارحُ البُرْدةِ السيد الغبريني المقري من قوله: إن كونه أُمِّيّاً معجزةٌ له، كما قرَّروه، حتى لا يرتابَ أحدٌ في كلام الله.

يرِد عليه أنه لو تمَّ قيل عليه: لِم خُلِق أفصحَ الناس، ولم يُخْلَق غيرَ فصيح؟ حتى يعلم أن ما يتلوه من الكلام المعجز ببلاغتِه ليس كلامه.

فليس بشيءٍ، لأن الأُميَّة شائعةٌ في أكثر فصحاء العرب، وهم في غَناءٍ عن الكتابة.

Marfat.com

وأما عدمُ الفصاحة فَلُكْنةٌ وعَيْب عظيم، مُنَزَّه عنه عالي مَقامِه، وطاهرُ فطْرتِه، وجوهرُ جِبِلَّتِه.

ومن هذا عُلِم أن الحروفَ المُقطَّعَة في أوائل السُّوَر ليستْ من حذفِ بعض الكلمات المحْظُور.

وهذا البحثُ ممَّا لا تراه في غيرِ كتابنا هذا.

وممَّن صنَّف في جَمْع أنواعِ البديع في عصرِنا، ولم يُهذِّبْه حتى كان بيني وبينه مُنافاة ومُنافسة لأجل هذا:

١١٢- عبد الرحمن بن محمد الحُمَيْدِيّ

شيخُ أهل الوِراقة، بالقاهرة

الأديب الذي تفتَّحتْ بصَبا اللطفِ أنوارُ شمائِله، ورقَتْ على منابرِ الآداب خطباءُ بَلابِله. إذا صدحَتْ بلابلُ معانِيه، وتبرَّجتْ حدائقُ مَعالِيه. [الطويل]

جلَبْنَ الهوى من حيثُ أدْرِي ولا أدْرِي

نظَم في جِيدِ الدهر جُمانَه، وسلَّم إلى يدِ الشرفِ عِنانَه، خاطِراً في رداءِ مجدٍ ذي حَواشٍ وبِطانَة.

ناثراً فرائدَ بيَانٍ ينثُرها اللِّسان، فتُودَع حِقاقَ الآذان.

وله في الطِّبِّ يَدٌ مَسِيحيَّة تُحيي مَيْتَ الأمراض، وتُبدِّل جواهرَ الجواهر بالأغْراض: [السريع]

مُبارَكُ الطلعةِ مَيْمونُها لكن على الحَفَّار والغاسل

«وديوان شعره» شائعٌ وذائع، إلاَّ أني اسْتَوْدَعْتُه النِّسْيان. [الطويل]

ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

ولمَّا نظَم بديعيَّتَه أرسلها إليَّ، فنظرت فيها في الأوائل والصَّبا تنافس على أرجه وقد فاح، مِسْك الليلِ وكافورُ الصَّباح: [الطويل]

ولا عقربٌ إلاَّ بصُدْغ مليحةٍ ولا جَوْرَ إلاَّ في ولاية ساقي

ومما اعْترضْتُ عليه فيه، تَشابُهُ الأطْراف، فإنه أخطأ في حدِّه ومِثالِه. فلما كتبتهُ له، ووافقني فيه بعض الأصحاب، لم يعترفْ بخطئه، وكتب أبياتاً، منها: [الكامل]

بِكُما علمتُ تشابُهَ الأطْرافِ مِن فَنِّ البديعِ ببَحْثِهِ وجِدالِه

فكتبتُ له مُتهكِّماً:

١١٢- انظر ترجمته في خلاصة الأثر (٢/ ٣٧٦، ٣٧٧).

Marfat.com

مولايَ أسرفْتَ في الامْتِنان، وأسأْتَ لنا قبلَ الإحسان.
وعاقَبْتَ من غير جِنايةٍ سابقة، وحرمْتَ من ليس له فيك آمالٌ رائِقة.
فكانت حالي معك كما قيل: إنَّه هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ فصاح الناسُ: القيامةَ القيامةَ.
فقال بعضُ المُجَّان: ما هذه القيامة على الرِّيق! وأين الدَّجَّال والمَهْدِي وأشْراطُها؟

وفي ذلك أقول: [السريع]

أسْرفْتَ في الصدِّ فخَفْ خالقاً ... لا يرتضِي إسْرافَ مخْلوقِ
يا هاجراً من لم يذُقْ وصلَهُ ... جرَّعتَه الصبرَ على الرِّيقِ

١١٣- الرئيس داود الحكيم

ضريرٌ بالفضل بَصِير، كأنما ينظُر ما خلْفَ سِتارةِ الغيْب بعينِ فكرٍ خبير. لم ترَ العين بل لم تسمع الآذان، ولم تحدِّث بأعجب منه مُساءَلةُ الرُّكْبان. إذا جَسَّ نَبْضاً لتشخيص مرضٍ عرَض، أظهر من أغْراضِ الجواهرِ كلَّ غَرَض.

فيفتِن الأسْماعَ والأبْصار، ويُطرِب بجَسِّ النَّبْض ما لا يطربُه جَسُّ الأوتار: [السريع]

يكادُ من رقَّةِ أفْكارِه ... يجولُ بين الدَّمِ واللحمِ
لو غضبَتْ روحٌ على جسمِها ... ألَّفَ بين الرُّوح والجسمِ

فسُبحان من أطفأ نورَ بصرِه وجعل صدرَه مِشْكاةَ نور: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وله في كلِّ علم سهمٌ مُصِيب، ومنطقٌ مُحلًّى بتهْذيب التهذيب.

وكنتُ قرأتُ عليه الطِّبَّ وغيرَه في سنّ الصِّغَر، فسمعتُ منه ما يَغار له نَسيمُ السَّحَر، ويطرَب من لطفِه نغَماتُ الوَتَر. ينثُر فيه نِثارَ العلوم، على عرائسِ المنْثورِ والمنْظوم. وكان يقول: لو رآني ابنُ سِينا لوقَف ببابي، أو ابن دَانيال لاكْتحَل بتُراب أعْتابي.

١١٣- هو الحكيم داود بن عمر البصير الأنطاكي نزيل القاهرة، الحكيم والطبيب المشهور، رأس الأطباء في زمانه، وشيخ العلوم الحكمية، وأعجوبة الدهر، ذكره أبو المعالي الطالوي في سانحانه، ثم قال وقد سألته عن مسقط رأسه، ومشتعل نبراسه فأخبر أنه ولد بأنطاكية بهذا العارض، ولم يكن له بعد الولادة تعارض، قال: ثم إني بلغت من السن عدد سيارة النجوم، وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار. حفظ القرآن وهو صغير، ولقن مقدمات تثقيف اللسان، وتعلم اللغة اليونانية، وهاجر من مصر إلى بعض مدن سواحل الشام، ودخل دمشق المحمية، فاجتمع ببعض علمائها من مشايخ الإسلام، كأبي الفتح محمد بن محمد بن عبد السلام، وكشمس علومها البدر الغزي، والشيخ علاء الدين العمادي وبعدها عاد إلى مصر. انظر ترجمته في خلاصة الأثر (٢/ ١٤٠ - ١٤٩).

Marfat.com

إلاّ أنه على مذهب الحكماء، ومَشْرَب النُّدَماء. ولذا كثُر كلامُ الناس في اعتقاده، ونُقِل عنه رَشْحُ قطَراتٍ من خَفيِّ إلْحادِه. ثم لما كثُر اللَّغَطُ فيه ارتحل للبيتِ العتيق، فطافتْ به المنِيَّةُ من كلِّ فجٍّ عمِيق. فقضَى نَحْبَه، وَلقِيَ رَبَّه.

ومما سمعته من شعره قوله: [الكامل]

من طولِ إبْعادٍ ودهرٍ جائرِ ... ومَسِيسِ حاجاتٍ وقلَّةِ مُنْصِفِ
ومَغِيبِ إلْفٍ لا اغْتِياضَ بغيرِه ... شَطَّ الزمانُ به فليس بمُسْعِفِ
أَوَّاهُ لو حلَّتْ ليَ الصَّهْباءُ كيْ ... أنْشَى فأذْهَلَ عن غرامٍ مُتْلِفِ

وهو كقول شيخ المَعَرَّة: [الطويل]

تمنَّيْتُ أنَّ الخمرَ حلَّتْ لنَشْوةٍ ... فتُذْهِلني كيف اطْمأَنَّتْ بيَ الحالُ
فأذْهَلُ إنِّي بالعراقِ على شَفاً ... رَدِيءُ الأمانِي لا أنيسٌ ولا مالُ

وله تآليف، منها: «شرح قصيدة ابن سِينا في الروح»، و«التَّذكِرة الكبرى»، و«الصغرى» في الطب، وغير ذلك، رحمه الله تعالى.

١١٤- محمد بن بدر الدين القُوصُوني الطبيب

سماءُ مجدٍ أشرق بدرُها، ودرَّتْ سحائبها كمالاً فللّه دَرُّها. فيا له من بدرٍ في سماء الكمال وَحِيد، صبٌّ بعقائل المجد المخدَّرةِ عميد. قَلِيب كرمٍ لا يرُدُّ رِشا ماتح، فهو لَعمْرِي غَفْلَةُ المْستوفِزِ وعَقْلَةُ لِسانِ المادِح.

وهو في الطبِّ رئيسٌ لم يخرُج عن القانون، وفارسٌ في حَلْبتِه لا تدركُه سوابِقُ الظُّنون. فلو راجعَه الهلالُ لأبرأه من المِحاق والدَّنف، بلا تكلُّفٍ من وَضْمةِ البرَص والكَلَف. ارتحل إلى فخر آل عثمان، المرحوم السلطان سليمان، فاعتكف عنده في حرم الإحسان. فاصْطاد في حرَمِه أوابدَ الكرم، فوا عَجباً حلَّ له الصَّيْدُ في الحرَم. فداوَى سِقامَه، وقد قبَّل النَّقْرِسُ أقدامَه. وله مآثر لها الدهرُ مُسْتزيد، والمجدُ سامعٌ له مُستفِيد.

منها ما كتبه لفضلِ الله الرُّومِي، وقد أهدى له «شرحَ الموجز» للنَّفِيسِي: [الوافر]

سُطورٌ أُودِعتْ بطنَ الطُّروسِ ... أم السِّحرُ المُؤثِّرُ في النفوسِ
ومكْتوبٌ بديعُ اللفظِ وَافَى ... أم الصَّهباءُ تُجْلَى في الكُؤوسِ
قرأناه فأنْشأنا كأنَّا ... طربْنا باختساءِ الخَنْدريسِ
فقبَّلْنَاهُ تعظيماً وشوقاً ... لمُنْشِئِه الرئيسِ ابنِ الرئيسِ
تفضَّلَ ثم كاتَب عبدَ رقٍّ ... فأعْتق رقَّه من كلِّ بُوسِ
ولم يُقْنِعْه إهداءُ القوافِي ... تحلَّتْ بالجواهرِ كالعَروسِ

Marfat.com

فـــزاد هـــديـــةً أُخْـــرى فـــأهـــلاً ... وسـهـلاً بـالـنَّـفـيـسِ مـن الـنَّـفـيـسِ
أبـا الـفـضـلِ ابـن إدريـس فـأكْـرمْ ... بـه نـسـبـاً يـضـيءُ ضِـيـا الـشُّـمـوسِ
قـبـولُ الـعـذر مـأمـولٌ فـإنـيٌ ... أجـبْـتُكَ عـن جـليـلِك بـالـخـسـيسِ
وهـل أبـكـارُ فـكـرِك لائـقٌ أن ... تُـقـابَـل بـالـعـجـوز الـدَّرْدَبـيـسِ
بـقـيـتَ الـدهـرَ مـسـروراً مُـهـنـا ... وشـانِـيـك الـمُـعـنَّـى فـي عُـبـوسِ

١١٥- إبراهيم بن المبَلِّط

أديبٌ أدار على الألباب رحيقَه المُصَفَّى، إن قصَّر سواه فإبراهيم الذي وَفَّى. ملأ بيوتَه جواهرَ وياقوتاً، وغيرُه من الشعراء ينْحِتون من الجبالِ بيُوتاً. حتى هدم بما بَناه من الأشْعار، ما شيَّده من قصورِه المِعمار.

فالتحق بصناعة الشِّعر بالأشراف، فغاص في بحوره واستخرج منها لآلئَ لها الآذانُ أصداف. وكان شيخ سُوق الوِراقة بالقاهرة، وثمرات آدابِه في رياضها زاهيةُ الأوراق زاهِرة.

إلاَّ أنه كان يجيد نسج مُقطَّعات الأبيات، ويُقصِّر إذا نظم المُطوَّلات. وقد طالعتُ «ديوانه» فمن معمور أبياتِه، ومباني كلماتِه، قوله من قصيدة له: [الخفيف]

حـدَّثـتْ بـانـةُ الـحِـمَـى عـن صِـبـاهَـا ... عـن ثَـنِـيّـات مـكـةٍ عـن صَـفـاهَـا
إنَّ عـصَـر الـلـقـاءِ آن ووَافَـى ... وزمـانَ الـنَّـوَى انْـقـضـى وتـنـاهَـى
ونـسـيـمَ الـصَّـبـا يـؤدِّي الأمـانـا ... تِ إلـى أهْـلِـهـا كـمـا قـد رواهـا
كـمـا نـسـيـم سـرَى فـسـرَّ قـلـوبـاً ... شَـفَّـهـا الـبـعـدُ والـنَّـوى فـشـفـاهَـا
تـعـرفُ الـعـاشَـقـيـن مـنـهـا نُـسَـيْـمـا ... تٌ وهـم يـعـرفـونـهـا بـشـذاهَـا
إنَّ أيـدي الـفِـراقِ جـارتْ عـلـيـنـا ... فـي الـقـضـايـا فـحـسـبُـهـا وكـفـاهَـا
آهِ وا وَحْـشـتـي لأحـشـاءِ قـلـبـي ... وقـلـيـلٌ قَـوْلـي عـلـى الـبـعـدِ آهـا
كـان لـلـبَـيْـن سـاعـةٌ يـا لـهـا مـن ... سـاعـةٍ إن نَـسِـيـتُ مـا أنْـسـاهَـا
حـمَّـلـوا الـعِـيسَ بـالـهـوادجِ حـتـى ... ضـلَّ فـي ركْـبـهـا الـفـؤادُ وتـاهـا
واسـتـقـلَّـتْ ظـهـورُهـا بـبـدورٍ ... طـال فـي ظُـلْـمَـةِ الـدَّيـاجِـي سُـراهَـا
وظـبـاءٍ عـهْـدي بـهـا فـي قـصـورٍ ... فـإذا بـالـظِّـبـاءِ وَسْـطَ فـلاهَـا
ولـكـم فـي غـصـونِـهـا مـن غـصـونٍ ... قـد حَـلا تـمـرُهـا ومَـرَّ نـواهَـا
مـا أمـرَّ الـفـراقَ طـعْـمـاً وأهْـنَـى ... سـاعـةَ الـمُـلْـتَـقـى ومـا أحْـلاهَـا
وقَـسِـيـمِـي فـي الـشـوقِ ذاتُ جِـنَـاحٍ ... ظـاهـرٌ حـزنُـهـا وبـادٍ جَـواهَـا
فـارَقـتْ مـن تُـحِـبُّ مـثـلـي ولـكـنْ ... مـا هـوايَ الـمـصـونُ مـثـلَ هَـواهَـا
فـعـيُـونـي عـلـى الـدَّوامِ دَوامٍ ... وهْـي لـم تَـبْـك مَـرَّةً عـيْـنـاهَـا

Marfat.com

وكتمتُ الهوى عن الناس طُرّاً وهْيَ باحتْ به لمن في حِماهَا
وهجرتُ الرِّياضَ وهْيَ ثوتْها ورَقَتْ من غصونها أغْلاهَا
فاجتمعْنا في صورةٍ من بعيدٍ وافترقْنا من بعدُ فيما عَداهَا

وهذا كقول ابن لُؤْلُؤ الذهبي من قصيدة له: [الكامل]

وتنبَّهتْ ذاتُ الجناح بسُحْرهِ في الواديين فنبَّهتْ أشْواقِي
وَرْقاءُ قد أخذتْ فنونَ الحزنِ عن يعقوبَ والألحانَ عن إسْحاقِ
قامتْ على ساقٍ تطارحني الجوى من دون صحبْي بالحمَى ورفاقِي
أنَّى تُباريني جوىً وصَبابةً وكآبةً وأسىً وفَيْضَ مآقِي
وأنا الذي أُمْلِي الهوى من خاطرِي وهي التي تُمْلِي من الأوْراقِ

ونظائره كثيرة لا تُحصَى. ولصاحب الترجمة: [الكامل]

يا عائباً لسَوادِ قهوتِنا التي فيها شفاءُ النفسِ من أمراضِهَا
أفلا تراها وهْي في فِنْجانِها تحْكِي سوادَ العينِ وَسْطَ بياضِهَا

١١٦- بدر الدين الأزْهَرِي

شاعرٌ عصريّ

طلَع في هالةِ الكمالِ بدراً، وسابَق في حَلْبةِ الآداب نظماً ونثرَاً. فصحَّتْ معانيه، وقوِيتْ مَبانيه. ولَذَّتْ بأفْواه القائلين، وساغتْ بأسماعِ السامعين. فحلاوتُها على اللِّسان، وموقِعُها في الآذان، مواقعَ ماءِ المُزْنِ في البلدِ القَفْر. أورد له بعض أدباء عصرِنا شعراً، فاخترتُ منه قوله: [الرجز]

شكا إليَّ مَن أُحِبُّ دُمَّلاً في رِدْفِه وقال قولَ جازعِ
يطلُع في كلِّ مكانٍ ضيِّقِ فقلتُ ذا في أوْسع المواضعِ

وفيه كناية فيها نِكاية، مع تلْميحِه لمثَل العوَامّ، لمن يجيءُ في غير محلّه: «كالدُّمَّل يطلُع في أضيقِ المواضع». وقوله أيضاً: [الوافر]

لقد عثَرتْ بجُنْحِ الليلِ رِجْلِي على شخصٍ ولم يَكُ في حسابي
فقال مُجازِياً لي أنتَ أعْمَى فقلتُ نعم ودَوّاسُ الكلاب

وله: [م. الرجز]

هذا حشِيشٌ أخضرُ مُخدِّرٌ للجسدِ
يقولُ مَن يبلَعُه يا رجُلاً خُذْ بيَدِي

وله: [الرجز]

أمِنْتُ من خوفِ العِدا وشرّهمْ مُذْ جاءني بخاتمِ الأمان

Marfat.com

وله:

لا تُرجِّي الشفاءَ إلاَّ من اللّـــــــــهِ فإن الحكيمَ ربُّ الوجودِ
وعـجـيـبٌ فـي ذا الـزمـانِ غـريـبٌ مُسلِمٌ يرْتجِي الشِّفا من يهودِي

إشارةً إلى ما عرف مِن غِشِّ اليهود للمسلمين، وإلى «ما خلا يهوديٌّ بمسلمٍ إلا همَّ بقتْله»[1].

ومما قلتُه في معناه: [الطويل]

أيُمْرِضُني الدهرُ الخَؤونُ بما دهى ويُخلِف في وقتِ المَضِيقِ وعُودِي
فإن رُمْتُ من يشفي الفؤادَ بطِبِّه فيَوْمِيَ سَبْتٌ والطبيبُ يهودِي

وله أيضاً في شَبَّابة: [الكامل]

يا حُسْنَها شَبَّابةٌ لم ينقْطعْ مَوْصولُها لما غدتْ تترنمُ
بالرَّمْز تُفْهِمني إشاراتِ الهوى أوَ ما تراها بالعيونِ تَكلَّمُ

وهذا كقولي مُضمِّناً: [الطويل]

لنا مجلسٌ فيه من اللهوِ مُطْرِبٌ وآدابُنا ما بيننا تتَرنَّمُ
ونَايٌ يُناجِينا بأسرار رَبِّهِ فنحنُ سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ

ومثله قول مُجير الدين بن تميم، مُضمِّناً: [الطويل]

وناطقةٍ بالروح عن أمرِ رَبِّها تُعبِّر عمَّا عندها وتُتَرْجِمُ
سكتْنا وقالت للقلوبِ فأَطْربتْ ونحن سكوتٌ والهوى يتكلَّمُ

وله أيضاً: [م. الرجز]

مُماطِلي رِجْلي شكَتْ تَرَدُّدِي إليهِ
وكان لي سَرْمُوزَةٌ قطَعتُها عليهِ

«وسَرْمُوزَة»: لفظ فارسي عرَّبوه، وهي النعل المعروف. والعامّة تقول له: «سَرْمُوجَة» على قاعدة التَّعريب، فإنه تُبدَل فيه الزَّايُ جيماً.

١١٧- محمد الأَبْيارِيّ القَبَّانيّ

لبيبٌ إن ذُكِر الحساب فهو أوّلُ من يسجُد له البيان، أو الشعر تلا لسانُه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

إهابُه ظَرْفٌ مُلِئَ بالظَّرف، وبوارِقُ فكرِه أَسرعُ من لَمْحةِ الطَّرْف. فما نسيمُ الصَّبا، وما عَتْب صَبٍّ صَبا.

ومع ذلك فكوكبُ سَعْدِه لم يزلْ ساقطاً، وعاثِرُ جَدِّه لم يبْرَحْ في ظلماتِ الخُمولِ هابطاً. [الكامل]

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٦٣٤٠). وابن حبان في المجروحين (٣/ ١٢٢).

Marfat.com

والـدهـرُ كـالـمـيـزانِ يـرفـعُ نـاقـصـاً أبـداً ويـخـفِـضُ كـامـلَ الـمـقْـدارِ
فإذا انْتَحى الإنْصافَ عادَل عَدْلُه فـي الـوزنِ بـيـن حـديـدِه ونُـضـارِ

إن أنشَد الشعرَ أقام أوْزانَه، وأهدَى دُرَّهُ المنظومَ من فكرِه أو زانَه. فمن دُرِّه المكْنون، وتِبْرِه الموْزون، قوله: [الطويل]

وهَيْفاءَ تهْوَى الراحَ قالتْ لِصَبِّها بمجلسِ أُنسٍ وهْو يخْشَى مَلالَها
إذا لم تُدِرْ لي الكاسَ مَلأَى فإنني أُبيتُكَ مَهْجوراً فخاف مَلالَها

وهو كقول البدر الدّماميني: [الطويل]

يقول لها هلاّ حكيْتِ بناظري مَهاةً سبَتْني إذ سمعتُ كلامَها
وأعْرض عنِّي ثم وَجَّه عَتْبَه لها حين لم تُشْبِهْ غزالاً ولاَ مَها

وقول ابن مَكانِس: [الطويل]

أقولُ لِحِبِّي قُمْ ومِسْ يا مُعذِّبي كَمَيْسةِ خَوْدٍ حرَّك السُّكْرُ رَاسَها
ولا تَسْهَ عن شيءٍ إذا ما حكيْتَها فقام كغُصْنِ البانِ لِيناً ومَاسَهَا

وله: [الرمل]

رَوْنَقُ البدرِ في صفا الماءِ لَمَّا جعَّدتْه أيْدِي الصَّبا كالأسارِيرْ
شِبْهُ جامٍ من لؤلؤٍ يتَلالاَ فوق صَرْحٍ مُمرَّدٍ من قَوارِيرْ

وله من قصيدة: [الطويل]

لقد حلَّ في مصرَ بَلاءٌ من البَرْشِ به غدَتِ الأرْواحُ والمالُ في أرْشِ
وكان بها حَرْثٌ ونَسْلٌ فَمُزِّقوا وأُهْلِك ذاك الحرثُ والنسلُ بالبَرْشِ

«والبرش»: اسم معجون معروف، وأصله بَرْشَعْثا، ومعناه: برء ساعة باليُونانيّة، فعُرِّب. وهو نوع من الحراثة عند أهل مصر، وبه يتم التَّلْفِيق والتَّوْرِية. والله أعلم.

١١٨- يحيى بن الخطيب القَبَّانِي

غلامُ هذا الأديبِ المُقدّم، وممن صحبه فأصبح طِرازُ مجدِه به مُعْلَم. ففتحتْ صَبا اللطفِ نَوْرَ شمائِله، وسُقي رَبْعُ كماله بطَلِّ أدبِه ووَابِله. وصُحْبةُ الأَلِبَّاءِ صَيْقَلُ الألْباب، كما أن الشجاعة صَيْقَل الأحْساب.

وكان كثيراً ما يخُصُّني بأُنْس مُذاكرتِه، ويُتْحفني بهدايا مُفاكهتِه. فكتب إليَّ مرّةً يدعوني لبيت له على الخلِيج: [الوافر]

نُحِيطُ علومَ مولانا بأنَّا على النَّهَرِ المُقَلَّد بالخليجِ
فإن شئتمْ تفضَّلْتُمْ وجئتمْ إلى سكن يقول إلى الخلِي جِي

وكتب له بعض أدباء الشام يُفاكِهُه: [البسيط]

ما قولكمْ سادِتي في أهْيَفٍ خَطَرَا غَصَبْتُه قُبْلةً مذْ صرتُ في خَطَرِ

Marfat.com

فرَام قَتْلي بلحظٍ للنُّهَى سَحَرَا ... وبتُّ منه أُراعِي النجمَ للسَّحَرِ
هل جائزٌ قِتْلِتي أفْتُوا لمن حضَرا ... لِبابِ مولى رئيس البدوِ والحَضَرِ

فأجاب بقوله: [البسيط]

يا سائِلاً عن حبيبٍ بدرُه سَفَرا ... عن بَرْقِ ثَغرٍ هدَى الرُّكْبانَ في السَّفَرِ
فراح يغصِبُ لثَمْاً عندما نَظَرا ... في عاقِباتِ مَرامي ذلك النَّظَرِ
وغايةُ الغاصِبِ اسْتِرْجاعُ ما صَدَرا ... منه بعَذْبِ اللَّمَى في الوِرْد والصَّدَرِ
وفي القصاصِ حياةٌ للذي ظَفِرَا ... بلَثْمِه ومَآلُ الصبر للظَّفَرِ
واللهُ يغفر للَجاني الذي شَجَرَا ... بمَن إليه سعَى جِذْعٌ من الشجَرِ

وفي «ذخيرة» ابن بَسَّام: روي أن رجلاً قبَّل امرأة فشكَتْه إلى النبي ﷺ. فقال له: «ما تَقُولُ»؟ فقال: صدقَتْ يا رسول الله، فاقْتصَّها منِّي. فتبسَّم النبي ﷺ، وقال له: «لا تَعُدْ». فقال: لا أعود.

وإلى هذا نظر ابن نُباتة في قوله: [المجتثّ]

لئن لثَمْتُكَ يوماً ... وللسرورِ اقْتِناصُ
فهاك فاقْتَصَّ مني ... إن الجروحَ قِصاصُ

وللقاضي أبي عامر الجُرْجانِي: [الطويل]

ومُنْتقبٍ بالوَرْدِ قبَّلتُ خدَّه ... وما لفُؤادِي مِن هواهُ خَلاصُ
فأعرضَ عنِّي مُغْضَباً قلتُ لا تَجُرْ ... وقبِّلْ فمِي إنَّ الجروحَ قِصاصُ

وللقاضي عبد الوهَّاب المالِكِي البغدادي: [الطويل]

ونائمةٍ قبَّلْتُها فتنبَّهَتْ ... وقالتْ تعالَوْا فاطلُبوا اللِّصَّ بالحدِّ
فقلتُ لها إنِّي وحقِّكِ غاصِبٌ ... وما حكَمُوا في غاصبٍ بسِوَى الرَّدِّ

وتلَطَّف مَن قال: [المجتث]

بالرِّدْفِ قد قتلَتْني ... وقاتلُ النفسِ يُقْتَلْ
قالتْ فنُعمانُ خَدِّي ... نفى قِصاصَ المثَقَّلْ

١١٩- شِهاب الدين أحمد السَّنَفِيّ المعروف بقَعُود

بليغٌ سحَب ذيلَ بلاغتِه على سَحْبان، وروضُ أدبٍ في كلِّ ورقةٍ خَطَّها بُسْتان.

١١٩-ذكره الإمام المحبي في خلاصة الأثر (١/ ١٥٩)، فقال: هو أحمد بن أبي بكر النسفي الخزرجي المالكي، كان أحد العلماء المشاهير بمصر حسن النظم والنثر، أخذ عن النجم الغيطي والناصر اللقاني، ومن في طبقتهما، وألف مؤلفات كثيرة، نظماً ونثراً، منها: منظومة في النحو، ومنظومة في الزحافات والعلل العروضية، وتذكرة جمع فيها من لقيه من الشيوخ ومن عاصره، وأخذ عنه جماعة من العلماء، وانتفعوا به منهم: ولده أبو بكر، والشهاب أحمد الخفاجي، وكانت وفاته =

Marfat.com

ألفاظُه أرقُّ من دمعِ السحاب، وأطربُ من كأسٍ يضْحك بثَغْر الحَباب. سطورُ شِعْرِه قُضُبٌ عليها من قَوافيه حَمام، وعصرهُ وإن تأخَّر لِمُدام الأدبِ مِسْكُ خِتام. إن وَرَّى فالكلماتُ لحيائِها ذاتُ تَوارِي، أو زَفَّ أبكارَ أفكارِه فالكُنَّسُ لشُهْبِها جَوارِي.

وهو من أعيان مصرنا فضْلاً وأدباً، وممَّن مال لرِقَّتِه كلُّ نسيمٍ وصَبا. وربما جعل الشعرَ لكَسْبه سبباً، واتخذ سبيله في البحر عجَباً.

وله مكارمُ أخلاق، تجدِّدُ مآثرَ الجود الأخْلاق. كما قال فيه صاحبُنا الأصِيليّ: [البسيط]

لِلّه دَرُّ شِهابِ الدين مُرتقِياً ... في الجودِ والنسبِ السَّامِي على السَّلَف
مَن رام يبْغي وَفاً أو مُنْتَقَى نسَبٍ ... قالتْ فضائلُه في ذا وذَا سَنَفِي

ومع كَوْن طبعه يهزأ بالشَّمال والشَّمول، أدركته حِرْفَةُ الأدَب فاعتكف في زَوايا الخُمول. ومن شعره قوله: [مخلع البسيط]

يا صاحبَيّ اتْرُكا مُعَنًّى ... أو فاغْذُلاه وعارِضاهُ
فما تُطيقان رُشْدَ غاوٍ ... بما يُلاقِي وَعَى رِضاهُ
سَبَا حَشاهُ والعقلَ منه ... عيْنا غَزالٍ وعارِضاهُ
يا جَمْعَ مَن صيَّرُوا التَّصابِي ... في الحسنِ عاراً بالعارِ ضاهُوا

وله: [الخفيف]

لي حبيبٌ مِن هجرِه زادَ سُكْرِي ... وسُلُوّي هَواهُ أقبحُ ذَنْب
جاءنِي داعياً وقال ائْتِ إنّي ... أُولِمُ اليومَ قلتُ قلبَ المُحِبّ

ولابن مَكانِس: [الخفيف]

قال خِلّي لحبيبي صِلْ فَتًى ... فيكَ قد أضحى مُعَنًّى مُغْرَمَا
قال هل يُولِمُ إن واصَلْتُه ... قال إن فاز بثَغْرٍ أوْلَمَا

وله: [الطويل]

وحقِّك لو أتلفتُ مالِي جميعَه ... لما رَضِيَ الواشون فيك مَكارِمِي
ولو أنّني أوْلَمْتُ ألفَ وَليمةٍ ... لأجْلِك لم يشْكُرْ عذولِي ولائمي

= سنة سبع بعد الألف، وسبب شهرته بقعود: أنه جمع مع الأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري، فأركبه قعوداً كان هو يركبه لأجل المنام في الطريق، فاتفق لما وصلا إلى المدينة بعد تمام الحج أن الجمّال جاءهما وأخبرهما أن القعود مات، فاغتم صاحب الترجمة حينئذ، فقال له الشيخ: لا تغتم نركبك أحسن منه، فلم يفده فذهب وهو متغير الحال إلى النبي ﷺ وذكر ذلك تجاه الضريح، وإذا بالجمّال رجع متعجباً إلى الشيخ يخبره إن القعود حي فاشتهر من ذلك الحين بقعود. هكذا رأيته بخط بعض المصريين.

Marfat.com

وللصَّلاح الصَّفَدِي: [المجتث]

يـــا مَـــن إذا مـــا أتـــاهُ ... أهـــلُ الـــمـــحـــبَّـــةِ أوْ لَـــمْ
أنـــا مـــحـــبُّـــك حـــقّـــاً ... إن كـــنـــتَ فـــي الـــقـــوم أوْ لَـــمْ

وله من قصيدة: [الوافر]

تـــفُـــتُّ فـــؤادَك الأيـــامُ فَـــتّـــاً ... وتنحَتُ جسمَك الساعاتُ نَحْتَا
وتـدعـوك الـمَـنُـونُ دعـاءَ صِـدْقٍ ... ألا يـا صـاحِ أنـتَ أريـدُ أنـتَـا

ومنها في العلم: [الوافر]

وكـنـزٍ لا تـخـاف عـلـيـه لِـصّـاً ... خفيفِ الحملِ يُوجَدُ حيث كُنْتَا
ستـجْنِي من ثمارِ الجهلِ عَجْزاً ... وتـصـغُـر فـي الـعـيـون إذا كـبِـرْتَـا

وله: [السريع]

هِـمْ بـابْـنـةِ الـبُـنِّ فـقـد وَدَّهـا ... لـلُـطْـفِـهـا ربُّ الـحِـجَـى وَالـدَّهَـا
مـذ سـادتِ الـعـنْـبَـر لـونـاً شـدَا ... لا تـدْعُـنِـي إلاَّ بـيـا عَـبْـدَهَـا

ونحوه قول القِيرَاطِي: [السريع]

فـي خـدِّ مَـن أحـبَـبْـتُـه شـامَـةٌ ... مـا الـنَّـدُّ فـي نَـكْـهـتِـهـا نَـدَّهَـا
والـعَـنْـبـرُ الـرَّطْـبُ غـدَا قـائـلاً ... لا تـدْعُـنِـي إلاَّ بـيـا عـبـدَهَـا

وهو تضمين لقول الشاعر: [السريع]

لا تَـدْعُـنِـي إلاَّ بـيـا عَـبْـدَهـا ... فـإنَّـه أشـرفُ أسْـمـائِـيـا

١٢٠- محمد البُلْيَنِي

فاضلٌ شافعيُّ المذهب، ولبيبٌ طِرازُ فضلِه بالآداب مُذْهَب، وشَمْأَل لطفِه سَلْسَلٌ ماءُ براعتِه رائقُ المشرب. من القوم الذين هم في طرُقِ الخيراتِ ساعُون، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

إلاّ أنه تجاوَز عن رِقَّة النسِيب، إلى كثرة التجنيس والوحشِي الغريب. فلذا لم أُثبت من شعرِه إلا النَّزْر القليلَ. فمنه قوله من قصيدة، أولها: [البسيط]

أهـلاً بـه مَـلَـكـاً فـي زِيِّ إنـسـانِ ... أهـلاً بـدُرٍّ أتـى فـي شـهـر نِـيـسـانِ

ومنها أيضاً: [البسيط]

وانْـتـاشَـنِـي بـالـيـدِ الـبـيْـضـاءِ سُـؤْدُدُه ... مِن أسْودِ الخطبِ لـمَّـا أن تـخَـطَّـانِـي
قد كنتُ غَصَّانَ بالماءِ الزُّلالِ وهلْ ... يـجْـرِي سوى الـمـاءِ فـي ثَـغْـرٍ لـغَـصَّـانِ

١٢٠-هو محمد بن ناصر الدين بن علي البليني المصري الأديب الشاعر، والبليني بضم أوله ثم لام ساكنة بعدها تحتية مفتوحة نسبة لبلينة بحري هو بلد من الصعيد، وكانت وفاته بمصر يوم الخميس حادي وعشرين من شوال سنة تسع عشرة وألف. خلاصة الأثر (٤/ ٢٣٦ - ٢٣٨).

Marfat.com

ومنها:

حجبْتَ غيرَك عمَّا ظَلْتَ تملكُه إرْثاً من الفضلِ حَجْباً حجْبَ حِرْمانِ

وهذا على ما تراه معنى مبْذول، كقول الشاعر: [البسيط]

مَن غَصَّ داوَى بشُرْبِ الماءِ غُصَّتَه فكيف يصْنعُ مَن قد غَصَّ بالْماءِ

وهو في معنى قوله: [الخفيف]

كنتُ مِن مِحْنتِي أفِرُّ إليهمْ وهمُ مِحْنتِي فأين الفِرارُ

ولأبي فِراس: [البسيط]

غَصَصْتُ منكَ بما لا يدفعُ الماءُ وصحَّ حُبُّكَ حتى ما بِه دَاءُ

وله: [الكامل]

قد كنتَ عُدَّتَي التي أسْطُو بها ويدِي إذا اشتدَّ الزمانُ وساعدِي
فرُمِيتُ منك بضِدِّ ما أمَّلْتُه والمرءُ يشْرَقُ بالزُّلالِ البارِدِ

والأصل فيه قول عَدِي بن زيد: [الرمل]

لو بغيرِ الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اغْتِصارِي

ومن كلام ابن المعتزّ: ربما شرِق شاربُ الماء قبل رِيِّه.

ومن فصولي القصار: واعجباً لمن اكْتحَل بالعمَى وغَصَّ بالظَّما.

وقلتُ مضمِّناً: [البسيط]

قد كنتُ أرجوك للجُلَّى إذا طرَقتْ فصرْتَ عَوْناً لحُسَّادِي وأعدائِي
من غَصَّ داوَى بشُرْبِ الماءِ غُصَّتَه فكيف يصنعُ مَن قد غَصَّ بالماءِ

ومن البديع هنا قولي: [البسيط]

يا مَن أطال مِطالِي في مُضايَقتي المَطْلُ في شِدَّةِ الممْطولِ يُزْدِيهِ
إذا المِياهُ أطالتْ مَطْلَ ذي غُصَصٍ فمِن حِياضِ المنايا المَطْلُ يُزْوِيهِ

١٢١- محمد الأسيُوطي التاجر

تاجرٌ ربحت بالآداب منه التِّجارة، وبدت وجوهُ كمالِه وعليها من رَوْنَقِه نضارَةِ. فنُشِرتْ بين يديهِ بضائعُ الأدبِ الزَّاهر، وقالتْ لِلُطْف طبعه النُّقَّاد على عَيْنِك يا تاجِر.

وكان بينه وبين والدي عهودُ مودَّة، وعروةُ مِيثاقٍ أحكمت يد الأيام عَقْدَه، وله شعرٌ محَتْه من صحفِ الفكر السِّنون، ولم يعلق به إلاَّ قوله في المُجون، والهزل أحياناً جلاءُ العقول: [البسيط]

لنا صديق له في الصَّلج معرفةٌ تُفْضي إلى أنه يُمْنِي بغير تَعَبْ
إذا رأى أمْرداً كالوردِ وجْنتُه تذكَّر الشامَ ممَّا قد رأى وحلَبْ

و«الصَّلْج» بصاد مهملة وجيم: لغة عامِّية رديئة، معناها: النظر بشهوة.

Marfat.com

١٢٢- القاضي أحمد المَحَلِّي المالكي

فاضلٌ فضائلُه مُدوَّنة، ومآثرُه بأنْوار فواضِله مُلوَّنة. لم يزل فيما مضَى مرفوعاً بنصْبِ القضاء مع قطع وقته النفَّيس، في أنواع الإفادة والتَّدريس.

وكان جمَعني وإيَّاه نِطاقُ الزّمان، في هالةِ نادٍ طلَعتْ فيه بدُور الإخوان. فرأيتُه يظنُّ النملة جملاً، ويرى مشهور المسائل مُشْكِلاً. [البسيط]

إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنَّه رجلاً

فقال لي: لم مُنِع صَرْفُ أشياء مع صَرْف أسماء؟ فقلت له مُلاطِفاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ [المائدة: ١٠١]. ثم كتبتُ له مضمِّناً: [البسيط]

أشياءُ لفعاءُ في وزنٍ وقد قلَبوا ... لاماً لها وهْي قبل القلب شَيْآءُ
وقيل أفعال لم تصْرَف بلا سببٍ ... منهم وهذا لوجهِ الضعف إيماءُ
أو أشْيئاء وحذفُ اللام عن ثقلٍ ... وشَيْئِئٌ أصل شيءٍ وهْي آراءُ
وأصل أسماءَ أسماو كباب كسا ... فاصْرِفْه حتماً ولا يغرُرْك أسماءُ
ومنعُ صرفٍ إذا ما كان في علم ... لأجل تأنيثه والأصلُ وسماءُ
فقل لمن يدعِي في العلم توسِعةً ... حفظت شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ

١٢٣- سَرِيُّ الدين بن الصّائغ الحنفي

سَرِيٌّ طابَق اسمه مُسمَّاه، وكاد أن ينِطق بلفْظِه معناه.

تدفَّقتْ جداوِلُ علمه، ونبتَتْ في شاطئها حدائقُ نثْرِه ونظمِه.

ترفَّعَ عن صِناعة الصِّياغة، لمَّا وصَل إلى مَعْدِن جواهر البلاغة.

فأصبحتْ ذاتُه للمعالي إلْفا، ولبِس حُلَل الكمال فأيْن منه السّريُّ الرَّفَّا.

أبرَز في الطِّبِّ نفيسَ جواهر لم يدرِكْها ابنُ النَّفِيس، وجرى في الشِّفاء على قانون الصناعة حتى لُقِّب بالرئيس.

١٢٣- محمد بن إبراهيم الملقب بسري الدين الدروري المصري الحنفي المعروف بابن الصائغ السري كان والده من أكابر التجار المياسير خلف له أموالاً كثيرة، ثم اشتغل بقراءة العلوم فقرأ على أبي بكر الشنواني، ثم لزم المولى حسين المعروف بباشا زاده نزيل مصر، واختص به وب تفوق على نظرائه، وكان يعرف اللغة الفارسية والتركية حق المعرفة، ودرس بمصر في المدرس السليمانية والمدرسة الصرغتمشية، وكان يكتب الخط المدهش، وألف حاشية على شرح الهدا للأكمل وحاشية على شرح المفتاح الشريفي، وحاشية على البيضاوي، ورسالة في المشاكلة وسافر إلى الروم بطلب من شيخ الإسلام أحمد بن يوسف المعيد مفتي السلطنة ورزق م قبولاً تاماً ووجه إليه رتبة قضاء القدس، ودخل دمشق ذهاباً وإياباً.
وكانت وفاته في سنة ست وستين وألف ودفن بمقبرة المجاورين. خلاصة الأثر (٣/٣١٦).

Marfat.com

فأصبح به وَشْيُ صناعتِه مُطرَّزا، وعُدَّ الكلامُ المُسْهَب في إخْصاءِ أوصافِه مُوجَزا.
وله فرائدُ أخْلاق، في سِلْك الأيام ذات اتِّساق.
حكت الروضةَ الغَنَّا، إذا وقع قطرُها بلَلا وبُلْبُلُها غَنَّى.
في مَعالٍ لو رآها ابنُ جَلا، ستر وجهَه ورأسَه خجَلا.
كأنما الصبحُ تنفَّس عن مُحيَّاه، والعنْبَرُ الرَّطْبُ فاح منه رَيَّاه.
صاغ بفضِله حُلَى المكارِم، فمنها في سواعِد المجدِ أساوِرُ وفي أكُفِّها خواتِم.
سَمْحُ البديهة ليس يملك لفظَه فكأنما ألفاظُه من مالِه
وجرَت بينه وبين ابن نُجيم مكاتباتٌ معسولة الألفاظِ مُدنَّسة المعاني، أكثرُها من رسالة ابن زَيْدون منحولة المباني.
ومما صاغَه من تِبْرِه، وصَبَّه في قالب شعره، قوله: [المجتث]

ما الناسُ إلاَّ حَبابٌ والدهر لُجَّةُ ماءِ
فعالمٌ في طُفُوّ وعالم في انْطِفاءِ

ومنه قولي: [م. الرمل]

إنما الدنيا ظِلالٌ في أُوَيْقاتٍ قليلَهْ
أو رَاذاذٌ مُتَوالٍ فوق كُثْبانٍ مَهيلَهْ

١٢٤- منصور البلبيسيّ

نَدْبٌ اتَّجر في حِرْفة الأدب، واقتطَف بيدِ فكره فواكه الفضَّة من كَثَب.
ثم غلبتْ عليه السَّوداء، ولعبتْ به الصَّفْراء والبَيْضاء.
فانعكَست تلك الفنونُ بالجنون، والجُنون كما يُقال فُنون.
فجعل دساكِر[1] القهوةِ رحْلة صيفِه وشتائِه، وهوَى الأحبَّة منه في سُوَيْدائِه.
فمما أنشدنيه قوله في التَّاج بن الجَيْعان، حيث رماه بمرض أكابر الزمان. [الخفيف]

قلتُ لتاجِ الدين في خَلْوةٍ وقد علاه عبدُه الأكبرْ
التاجُ يعلو فوقه غيرهُ قال نعم ياقوتُ أو جوهرْ

١٢٥- عبد النافع الطَّرابُلُسيّ

نزيل مصر

فاضلٌ تَوَدّ العيونُ قُرْبَه، وترى القلوبُ وُدَّه أعظم قُرْبَة.

---

(١) الدساكر: بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي. القاموس المحيط، مادة /دسر/.
١٢٥-عبد النافع بن عمر الحموي، نزيل طرابلس الشام، الحنفي، الفاضل، الأديب. كان في غاية -

Marfat.com

وأديبٌ هو بديعُ زمانِه، وتاجٌ مرصَّعٌ بجواهرِ المناقب على رؤوس أقرانِه.
يستعيرُ المجدُ مَقامَه الرَّفيع، ولا تُنْكَر الاستعارةُ من صاحب البيانِ البديع.
درَّس وأفْتى، وصنَّف في فنون شتَّى.
إلاَّ أنه اقتدى في شعرِه بابن حجَّاج، كقوله في هجاء من لُقِّب بالتَّاج: [السريع]

أقبحُ خلق اللّه في خلقِه ... وخُلْقه وهْوَ خَسِيسٌ وَضِيغْ
لُقِّب بالتاج ولكنَّه ... تاجُ الخُصَى ومجازٌ وسِيغْ

١٢٦- صاحبنا عبد المنعم الماطي

أديبٌ أسْكرنا بلفظه العَذْب الانْسِجام، وأدار علينا من مُدام لطفِه في مجالس الأُنْس جَام.
وكان في شَرْخ الشباب، والعيش غضٌّ أغصانه الرِّطاب.

زماني به كالوردِ طِيباً وبَهْجةً ... فياليتَ ذاك الوردَ كان نصيبي

ونشرُ أفكارِه دَارِيّ، ومن موارد أنْسِه لنا رِيّ، وإنه مع ذلك توقُّد ذكائه لناريّ.
وله أخلاق، ذاتُ حَواشٍ رِقاق. إلا أنه على الشعر مقصور وليس له من الإعراب نصيب، فطبعُه على عامِّيَّته يخطئ وقد لا يصيب. وأكثرُ شعرِه نُتَفٌ وهَجْو وهَزْل، وقلَّما يقع فيها المطبوعُ الْجَزْل.
كقوله: [الطويل]

إذا رام محفوظٌ يريني للشرا ... من الدفن قطراً لا نظير لحسنِهِ
فقُولا له إني وحقِّ حياتِه ... مُرادِي أرى تعليقَه قبل دفْنِه

وقوله: [الوافر]

وعن كبش الذَّبيح سألتُ يوماً ... خبيراً بالعلوم أتى إليَّا
أيحيا الكبشُ بعدَ البعثِ أيضاً ... فأخبرني بأن الكبش يحيَى

وهاهنا أمر نفيس، نمحو به السيئات، وبحث عظيم، نُحيي به عظامَ الرُّفات.

= من الذكاء والفطنة والتضلع من أنواع الفنون، وكان في أول أمره ساقط الرتبة فخدم القاضي محمد بن الأعوج بإقراء أولاده القرآن فجعله كاتباً بمحكمة حماة ثم أنه ترقى إلى أن أفتى وانفرد بالفتوى من حمص إلى معرة النعمان. وألف، ومن تآليفه: منظومة في العقائد سماها الرسالة الهادية إلى اعتقاد الفرقة الناجية، وتفسير سورة الإخلاص في مجلد. وكان على شهامته بذي اللسان مغرى بالهجاء حتى هجا بني الأعوج وأطلق فيهم لسانه فضاق عليه حمى حماة فأقلع إلى طرابلس الشام وسكنها، ثم هرب بعد حين إلى حلب بسبب هجائه لأمير طرابلس الشام، وكان يتردد من حلب إلى البلدان التي بقربها، ومنها إدلب الصغرى التي توفي بها في سنة ست عشرة وألف. خلاصة الأثر (٣/ ٩٠).

Marfat.com

وهو أن الحيوانات هل يُحيِيها اللّه تعالى وتُحشَر ويُقتَصُّ لبعضها من بعض؟

فأكثر أهل الحديث والسنَّة والأصول على أنه كذلك، لوروده في القرآن، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، ولقول سيِّد المرسَلين ﷺ، في خبر القِصاص يوم القيامة: «يُؤْخَذُ لِلْجَمَّاءِ[1] مِن الْقَرْنَاءِ».

وخالفهم الإمام أبو الحسن الأشعريّ، فقال في كتاب «الإيجاز» ما نصه: لا يجب على اللّه تعالى أن يعوِّض البهائمَ والأطفالَ والمجانين وجميعَ الخلق الذين خلق فيهم الألم، خلافاً للقدَريّة حيث قالوا: إن اللّه تعالى إذا آلم الحيوانَ لا على سبيل الاستحقاق وجبَ عليه أن يعوِّضَهم، وألا يكون ظالماً.

ودليلنا أن العقل لا يُوجب على اللّه شيئاً، وإذا ثبت أن البهائم وغيرَها من الحيوان الذي خُلِق فيه الألمُ من غير جُرْمٍ ولا ذنب لا يستحقُّون ذلك، لم تجبْ إعادتهم ولا نشرُهم ولا حشرُهم يوم القيامة.

وقالت القدَريَّة: إن لم يعوِّضْهم في الدنيا فإنه يجب عليه حشرُهم في الآخرة، وبعثُهم كبعث المكلَّفين.

فإن قالوا: قد قال النبيّ في خبرَ القِصاص: «حتَّى يُؤْخَذَ لِلْجَمَّاءِ مِنَ القَرْنَاءِ».

قلنا: «المرادُ به حتى يؤخذ للضعيف من القويَ فكنَى بذلك عنهم، لأن الدليل قد قام على أنهم غيرُ مكلَّفين، ومن لا تكليف عليه لا يعاقَب، ولا يُقتَصّ منه» انتهى.

وفي «سراج الملوك»: اختلَف السلفُ في هذا:

فقال ابن عباس رضي اللّه عنهما: حشْرُها موتُها، وهو تأويلٌ بعيد؛ لأن الحشرَ الجمعُ، وليس في موتها جمعُها، بل تفريقها بتمزيقها.

ومعظَم المفسِّرين على أنها تُحشَر كلها حتى الذباب يقتصّ منها، ثم يقال لها: كُوني تراباً.

وقال بعضهم: لا يُقطعُ بإعادتها كالمجانين، ومن لم تبلُغه الدعوةُ وتوقَّف بعضُهم في ذلك.

والدليل عليه الآية: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، والحديث الصحيح، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه: «لَتُؤَدُّنَّ الْحقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ[2] مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ».

وأنكره الأشعريّ لأنها غير مُكلَّفة، والخبرُ تمثيل لشدّة التقصي في الحساب.

وقال الإسْفَرايينيّ: يقتصُّ منها بما تفعله في الدنيا.

---

(١) الجلحاء: التي لا قرن لها. القاموس المحيط، مادة /جلح/.

Marfat.com

ورُدَّ بأنها ليست مكلَّفة، فهي في المشيئةِ يفعلُ اللّه بها ما أراد. انتهى.

أقول: قد حصَل بهذا التَّفْصيل الوقوفُ على الأقوال الأربعة، وأدلَّتها، والحق الذي تشْتفي به الصدورُ، ألاَّ تؤوَّل الآيةُ والحديث بما هو خلاف الظاهر، والشبهة الدَّاعية له من أنها غيرُ عاقلة ولا مكلَّفة، والحشرُ والحساب مبْنيٌّ على ذلك، فإذا سقط الأساس سقَط ما بُني عليه.

فالجواب عنها أن نسلِّم أنها غيرُ مكلَّفة؛ لأنها لا تعقِل، والنِّزاع فيه مُكابرة.

إلا أنها لما كانت في المشيئةِ يفعل اللّه بها ما يُريد، وهو لا يُسئَل عمَّا يفعل باتفِّاق أهل السنَّة، بل العقلاء، فنقول إن اللّه تعالى يعيدها، وينصِف بعضها من بعض، بما فعلْته بإرادتها، لإدراكها للجزئيات، وليس هذا بتكليف، ولا مبْنيٌّ عليه، لأن جزاءَ التكليف إنما يكون في داريِ الخلود؛ الجنة والنار، وهي تعود تراباً قبل دخول أهلَيْهما فيهما.

وأما فعلُ الحكيم القدير لذلك: فلِيعرفْ أهلُ المحشر أنه عز وجل لا يترك مِثقالَ ذرَّة من العدل؛ ليتحقَّق أهلُ النعيم ما لَهم من النعيم المقيم، وأهلُ الجحيم ما أُعِدَّ لهم من العذاب الأليم، تنويراً لهم وإرشاداً، لأن يعلموا عظمة كبريائِه وتساوِيَ جميع مخلوقاته عنده بالنسبة لذلك.

ولك أن تقول: قولُ ابن عباس: «حشرُها موتُها» معناه أن حشرَها لأجْل أن يفُنيَها، ويقول لها: كوني تراباً.

ولولا بُعْدُ كلام الأشْعريّ بتصريحه بما يُنافيه حملْنا أنه تمثيلٌ على ما ذُكِر، أو قلنا: إنه إنما أنكر الوجوبَ، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبع.

وهذا مما ينبغي أن يُكتب بالنور على صحُف خدودِ الحُور. وإنما ذكرْنا هذا مع طوله وعدم مناسبته لموضوع الكتاب، تصدُّقاً على مَن طالعه بجواهر الفرائد. ومما ينْبغي إيرادُه هنا، ما قلته في عتاب بعضِ الناس، وهو: [الرمل]

قل للَّذِي لامَ ولم يختشمْ ... لخبْثِ لؤمِ حشو طبْع دَنِي

هَبْ أنك الثَّورُ تغيرنّ على ... جَمٍّ له مَرْعىً فلم يُذعنِ

أما تخافَنَّ غداً مالِكاً ... يقتصُّ للجمِّ من الأقْرَنِ

١٢٧- حسن بن الشَّاميّ

ماجد صِيغَ من مَعْدِن السَّماح، وابتسمتْ في جبينه غُرّةُ الصَّباح. اللطفُ حَشْوُ إهابِه، والفضلُ لا يلبس غيرَ جِلْبابِه. [المجتث]

لو مُثِّل اللطفُ جسماً ... لكان للطُّفِ رُوحا

١٢٧- حسن بن زين الدين الشهيد، العاملي، الشهير بالشامي، نزيل مصر. من مصنفاته: كتاب =

Marfat.com

إذا نزل بنادٍ ارتحلتْ الهموم، وارتضع من أخْلاقه أخلاقُ بنت الكروم. فمما أنشدنيه من أبياته، ونزَّه سمعي في رُبا مقطَّعاتِه، قوله: [الكامل]

مصرٌ تفوق على البلادِ بحسْنِها ... وبنيلها العالي ورقَّة ناسِها
من كان يُنكر فالتَّحاكمُ بيننا ... في روضةٍ والجمعُ في مِقْياسِها

١٢٨- إسماعيل بن الحسين

كاتب السرّ الخَزْرَجِيّ

تاجُ مَفْرِق عصرِه، وعِقْد ترائِب نحره.

اشتعلتْ فحمةُ الليلِ بأسْمارِه، وسال نهرُ الصبح في أخبارِه. فَتخمَّرتْ طينُته بالنَّدى، وأُفرغت في قالب الهدى. وسقى عصرَه صيِّبُ الأفْضال، حتى أورقتْ به رياضُ الكمال.

وهو قريبُ العهدِ فمَن لم يرَه، فقد سمع في بديعِ الآثار خبَرَه. وقد طالعت «ديوانه» فلم أرَ فيه ما يلَذُّ به الذَّوقُ السليم، ويعترف به الطبعُ المستقيم. كقوله في سَطْل[1]: [المتقارب]

ضُربْتُ وأُدخلتُ نارَ الجحيم ... فنِلْتُ بصبري نعيماً مقيماً
وصُيِّرتُ بينكمُ عِبْرةً ... لمن شاء منكم أن يستقيمَا يسْتقِي ما

ومثلُه قولي مضمِّناً: [الوافر]

يقول مؤاجَرٌ غضَباً لماذا ... أيورُ الناس أمستْ لن تقومَا
وكنتُ إذا غمزْتُ قناةَ قومٍ ... كسرتُ كعوبها أو تسْتقيمَا تسْتقي ما

ومن البيوت بمصر بيوت الغَزّيّة:

١٢٩- فمنهم محيي الدين الغَزّيّ

بدرُ سماءِ الكمال، كوكبُ غُرّة الإقبال.

= منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، وكتاب المعالم، والاثني عشرية، ومنسك الحج وغير ذلك.
وكانت ولادته في سنة أربع وخمسين وتسعمائة، وتوفي في سنة إحدى عشرة بعد الألف. خلاصة الأثر (٢/ ٢١).

(١) السطل: طسيسة لها عروة، جمع سطول. القاموس المحيط، مادة /سطل/.

Marfat.com

فاح من أخلاقِه رَوْحُ الجِنان، وفضَحت كلماتُه عقودَ الدُّرِّ والمَرْجان.
رأيته بمصر ومورِدُ عيشه صافي، وبُرْدُ نعيمه على معاطفِ النِّعمة ضافي.
وله شعرٌ ردِيّ، وربما ورد فيه ما هو نَدِّيٌّ نَدِيّ.
فمنه قوله يداعب صديقاً له يُسمَّى الخُصوصِيّ: [مخلع البسيط]

يـا راكـبَ الـبـغـلـةِ الـشَّـمـوصِ ... وقـائـدَ الـمُـهْـرةِ والـقَـلـوصِ
بـسـاحـل الـمَـزْجِ لا تُـعـرِّجْ ... وانْـزلْ عـلـى سـاحـلِ الـخُـصـوصِ
أُحـبُّ مـصـرَ الـتـي تـسـامَـتْ ... فـفـضـلُـهـا جـاء بـالـنُّـصـوصِ
لأنَّ مَـقْـتَ الإلـه ربِّـي ... قـد حـلَّ فـي الـروم بـالـخُـصـوصِ

١٣٠- أحمد الغَزِّي

ابـنُـه

شهابٌ طلع في أفُق الكمال غُرَّة، وجرَّ أذْيالَ همَّتِه على ساحل جدولِ المجرَّة.
فنثَر ونظَم، ومن يشابِهْ أبَهُ فما ظلَم. فمن لَمَعات ذلك الشِّهاب، وقطراتِه العِذاب. قوله من قصيدة: [البسيط]

الـجـوهـرُ الـفَـرْدُ مـن مَـعْـنـاك مـنـتـثِـرٌ ... والـمَـنْـدَلُ الـرَّطـبُ مـن رَيَّـاك مـنـتـشِـرُ

ومنها:

كـلُّ الـشـهـورِ ربـيـعٌ عـنـد مَـقْـدَمِـه ... وكـلُّ شـهـرٍ سـوى أيـامِـه صَـفَـرُ
يـا مَـن أيـادِيـه أبـكـارٌ أفـوزُ بـهـا ... ومَـن زمـانـي لـديْـه كـلُّـه بُـكَـرُ

ومن بيوتها بيوت الطُّورِيّة، ومنهم:

١٣١-٠ عبد القادر الطُّورِيّ

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١-٢]، لَهُو صديقٌ لي تجرُّ بهِ المودّةُ حُلَلَ الحُبور. وروضُ مجدٍ ناضر، وبحرُ أدبٍ وافر. لكن طبعُه أمُّ الصقور، مِقْلاتٌ نَزور. ولم يُورِق حتى احتُضِر، ومضَى بأمر عزيزٍ مُقتدِر.

١٣١- عبد القادر بن عثمان القاهري الحنفي الشهير بالطوري. مفتي الحنفية بمصر من بيت أئمة الحنفي، وكان عالماً فاضلاً، فقيهاً، أديباً، وله وجاهة ونباهة في أنواع العلوم، وكان ملازماً على الإفتاء والتدريس بجامع الأزهر. وله تصانيف منها: شرح على الكنز في الفقه، وتكملة البحر الرائق، وله كتاب في الأدب جمعه من نظمه ونثره سماه: الفواكه الطورية.
قال المحبي: «وقد تفحصت عن وفاة الطوري كثيراً فلم أظفر بها سوى أني رأيت في مجموع بخط بعض الأفاضل الأدباء وكان ممن قرأ على الطوري أنه كان موجوداً في سنة ست وعشرين وألف». خلاصة الأثر (٢/ ٤٤٢).

Marfat.com

فمما أنشدني قوله: [الوافر]

تنوَّر بُغْيتي ببديعِ صُنْعٍ ... معاني حُسْنِه أضحتْ غَزِيرَهْ
له قَدٌّ رشيقٌ ثم جسمٌ ... عليه حين لاح رأيتُ نُورَهْ

وفي «تحرير التحريف»: يقولون: تنوَّر الرجل من النُّورة، والصواب انْتَور وانْتار، ولا يقال تنوَّر من النُّورَة، بل إذا أبصر النار.

قال امرؤُ القيس: [الطويل]

تنوَّرْتُها من أذْرِعاتٍ وأهلُها ... بيَثْرِبَ أدنى دارِها نَظَرٌ عالِي

انتهى.

وقد صرَّح بعضُ أهل اللغة بخلافِه.

وكنا يوماً في جمعٍ جَمٍّ، بسفح الجبل المُقطَّم، وبعض المشايخ يدعو بالاسْتِسقا والسحابُ قد تمطَّى عَلى وسادة الجوِّ واستْلَقى. فلما دعا ارتفعتْ حجبُ السماء بدعائِه، حتى لا تحولَ بينه وبين سمائِه. فأنشدني قولَ الشاعر، وهو لبعض شعراء الأندلس: [الكامل]

خرجوا ليستسقُوا وقد نشأتْ ... غَرْبيَّةٌ غَدَقٌ بها السَّحُّ
حتى إذا اصطَفُّوا لدعوتِهم ... وجرى لبعضِ دموعِهمْ سَفْحُ
كُشِف السحابُ إجابةً لهمُ ... فكأنما خرجوا ليستَضْحُوا

فأنشدتُه قولَ التَّنُوخِيّ: [الطويل]

خرجْنا لنستسْقِي بيُمْنِ دعائِه ... وقد كاد هُدْبُ الغيمِ أن يبلغَ الأرْضَا
فلما ابتدَا يدعو تقشَّعتِ السما ... فما تَمَّ إلا والغَمامُ قد انْفَضَّا

ثم قلت أنا: [الخفيف]

ووَلِيٍّ قُطْبٍ لربِّ السماءِ ... أسرع الصَّخو إذ دعا بالماءِ
في صُراخٍ وأدْمُعٍ وهْوَ يُغنِي ... عن رعودٍ مُنهلَّةِ الأنْواءِ
كان في الجوِّ للغَمام ازْدحامٌ ... فاشتفَى صدرُه ببَرْدِ الدعاءِ
فكأن السحابَ كان مريضاً ... مات لمَّا دعا بالاسْتِسْقاءِ

وكان رجل مَنْحوس له قميصٌ واحد، إذا غسله يجلس في بيته حتى يُنشْفَه، كما قيل: [الكامل]

قومٌ إذا غسلوا الثيابَ رأيتَهمْ ... لبسُوا البيوتَ وزرَّرُوا الأبوابَا

فإذا نشَره لم تزل السماءُ مُغيمة ماطرة، فرأى الناسَ منصرفين من الاسْتِسقاء، وقد أُجيب دعاؤُهم لمَّا غسَل ثوبَه، فقال: [الطويل]

غدا الناسُ يستسقُون من كلِّ وِجْهةٍ ... بكلِّ كريمٍ للدعاءِ مُجابِ

Marfat.com

فوافاهمُ الغيثُ الذي سمَحتْ به ... يَدُ المُزْنِ هطَّالاً بكلِّ سحابِ
وفي ظنِّهمْ أن قد أُجيبَ دعاؤُهمْ ... وما علِموا أنِّي غسلتُ ثيابِي

وما أحسن قول القائل: [الخفيف]

قام قومٌ بسُنَّةِ الرِّيّ حتى ... غلبَ النُّجْحُ بالإجابةِ ياسَا
فكأن الغمامَ لمَّا أتاهمْ ... ضاحكاً ظن في الورَى عبَّاسَا

ومما كتبته له مضمِّناً: [الرجز]

أيا صديقاً عَرْفُه نَدِيُّ ... وكفُّه من النَّدَى نَدِيُّ
لم يخلُ من بعدك لي نَدِيُّ ... وبلدةٌ ليس بها طُورِيُّ

١٣٢- علي بن الخَزْرَجِيّ شيخ الشيوخ بالسُّيوفيَّة، الضرير

فاضل مكفوف، وأديب بالمعروف معروف، له شِعرٌ وَسَط، وأثر عن عُلُوّ مرتبتِه مُنْحَطّ.

كقوله فيمن عابه بالعمَى: [السريع]

ليس العمَى داءً ولكنَّه ... شَطْفَةُ تشْريف على ضُرِّهِ
ما الهمُّ والداءُ وكلُّ البَلا ... إلا ابتلاءُ المَرءِ في دُبْرِهِ
فالحمدُ للّهِ الذي صانَنا ... ممَّا يَحارُ الطبُّ في أمْرِهِ

أنشده في كتاب له سمَّاهُ «نيلُ المُنَى في الكلام على أولاد الزِّنا»، وذكر فيه حديثاً: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ابْنُ زَانِيةٍ».

وقال فيه: إن ولدَ الزنا في أصله خبيث، وهو في نفسه خبيث، وذلك الخُبْث يدلُّ على سَلْبِ الإيمان منه، وكذا المَلُوط، وذو الأُبْنَة المستمرّ على ذلك.

أقول: في «اللآلئ المصنوعة» للسيُوطيّ، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَدُ زِنىً وَلاَ وَلَدُهُ، ولا وَلَدُ وَلَدِهِ».

وفي رواية: «فَرْخُ الزِّنَا لا يَدْخُلُ الْجنة».

وفي رواية: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلاَ شَيْءٌ مِنْ نَسْلِهِ إلى سَبْعَةِ آباءِ».

قيل: هذا لا يصح.

وفي «الحِلْية» له رواية.

وقال عبد الرزَّاق، عن ابن التَّيْميّ، قال: حدّثني أبو بكر، وكان عندَنا مثلَ وَهْب عندكم: أنه قرأ في بعض الكتب أن ولدَ الزِّنا لا يدخلُ الجنة، إلى سبعة آباء، فخفَّف اللّه عن هذه الأمّة فجعلها إلى خمسة آباء.

Marfat.com

وسأل بعضهم أبا الخير الطَّالْقانيّ عن هذا في جمع من الفقهاء، فقال بعضُهم: هذا لا يصحّ، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

وذكر بعضُهم، قال في معناه: إنه إذا عمل عملَ أصْلَيْه، وارتكب الفاحشة لا يدخلُ الجنة.

وزيفه بأنه لا يختَصّ بولد الزِّنَا، بل حال ولد الرِّشْدة مثله.

ثم فتَح اللّه عليَّ جواباً شافياً، لا أدري هل سُبِقْتُ إليه أو لا، فقلت: إنه لا يدخل الجنةَ بعمَلِ أصْلَيْه، بخلاف ولد الرِّشْدة، فإنه إذا مات طفلاً وأبَواه مؤمنان أُلْحِق بهما، وبلغ درجتَهما بصلاحِهما؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ [الطور: ٢١].

فولد الزِّنا لا يدخل الجنة بعمل أبويْه.

أما الزَّانِي فَنَسبُه منقطِع، وأما الزانية فشُؤْمُ فعلها منَع مِن وُصول بركة علمها إليه، انتهى.

وقد يقُال: إنه لِخُبْث طِينته ونُطْفتِه، وفسادِ بذره يُقدِّر اللّهُ ويكتبُ شَقاوتَه في الأزَل، بخلاف ولد الرِّشْدة، ولا بُعْدَ في هذا وكونه من الإخْبار بالمُغَيَّبات.

ومن كُفْرِيّات أبي العلاء المعرِّيّ قولُه في «لزوم ما لا يلزم»: [الطويل]

إذا مـا ذكـرْنـا آدمـاً وفـعـالَـه ... وتزْويجَه لابنيْه بنتَيْه فى الْخَنَا

علمْنا بأن الخلق من نَسْلِ فاجرٍ ... وأن جميعَ الناس من عُنْصُرِ الزِّنَا

وأجابه الحسن بن أبي عُقامَةَ اليمنيّ، بقوله: [الطويل]

لَعَمرُك أمَّا فيك فالقولُ صادقٌ ... وتكذبُ في الباقين مَن شطَّ أو دَنَا

كذلك إقرارُ الفتى لازمٌ له ... وفي غيره لغْوٌ كذا جاء شرْعُنَا

وفي الحديث نكتة، وهي: أنه سمَّى ولدَ الزنَا فرخاً، وهو استعارة بديعة، وعليها استعمالُ أهل الحجاز، فيقولون في الشتم: هو فَرْخ، بمعنى ولد زناً؛ لأن الفرخ لا يُعَرف له أب، وإنما تُعرف الدجاجة التي باضَتْه، ففيه لطفٌ لا يخفى.

ومما قلته: [المنسرح]

كم من كريم قد بات في دَعَةٍ ... أتاه سَيْلُ الصباح بالنَّكَدِ

ورُبَّ فَرْخٍ أراشَه زمَنٌ ... فصار بالعِزْ بَيْضَةَ البلدِ

١٣٣- زينُ الدين محمد الأنصاريّ الخَزْرَجِيّ الحَنْبَلِيّ

زَينُ زمانِه، وعين أعْيانِه. دُرَّة تاجِه، عقيلةُ نَتاجِه.

كان في عصره بيتَ القصيدة، وعنوانَ الأدب وأوّل الجريدة. لم تُعقَد على مثله الخناصِر، ولم تحمِلْ بتوءمٍ له بطون الدفاتر. ولم يدُر على نظيره نِطاقُ نادي، ولم

Marfat.com

تحمِل كتُحَف أخباره الركبانُ من حاضرٍ وبادي. تفقَّه على مذهب أحمد بن حنبل، فكان لطُلاَّبه سهلَ المورِد عذبَ المنْهل. [الطويل]

وللناسِ فيما يعشقون مذاهبُ

وهم في كلِّ عصرٍ أقلُّ من القليل، وهكذا الكرامُ كما قيل: [الطويل]

يقولون لي قد قلَّ مذهبُ أحمدٍ ... وكلُّ قليلٍ في الأنام ضئيلُ
فقلتُ لهم مهلاً غلِطتمْ بزَعمِكم ... ألم تعلموا أن الكرَامَ قليلُ
وما ضرَّنا أنَّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ

وهو جوادٌ لم يهَبْ أن وهَب، فالذهبُ عنده كاسمه ذهَب.

وكان له بالقطب المكيِّ صحبةٌ واجتماع، حتى كأنه نديمُ جَذِيمَةَ وجارُ القَعْقاع.

ولم يزل كذلك حتى أغار عليه الدهرُ وانتهَب، ورآه هِبةً نفيسةً فرجع فيما وهَب.

فمما كتبه للقطب المكيِّ: [الطويل]

يقبِّلُ أرضاً أشرقتْ شمسُ عِلْمها ... به شرُفتْ أصلاً وفرعاً ومَحْتِدَا
محبٌّ يرى بذلَ الدعاء فريضةً ... لمأوَى العلا والشوقُ قد زاد واغْتَدى
تُرَنِّحُه ذكرَاكُم كلَّ ساعةٍ ... على ما به من حرِّ وجدٍ توقَّدَا
يهيمُ إلى مَغْناكُم وفؤادُه ... أقام وبُعْدُ الجسم قد زاد في المدَى
فيا آل ليلى هل أبيتُ بحيِّكمْ ... وطائِرُ ليل الوصل يمسي مغرِّدا
وهل تسمح الأقدار يوماً بعودة ... فأطرب في تلك المعالم منشدا
أعيناي ناما طالما قد سهِرتُما ... فهذا زمانُ الوصل أَصبح مُسْعِدَا
لكم من محبٍّ ألفُ ألفِ تحيةٍ ... لها المسكُ يغْنُو بالخضوع تعبُّدَا

فأجابه: [الطويل]

إذا كتبَتْ كفِّي كتاباً إليكمُ ... مَحَتْهُ دموعٌ طولَ أوقاتها تجري
وإن سطَّرتْ سطراً تمنيَّتُ أنَّني ... أكون من الأشْواقِ في ذلك السطرِ
عليكم سلامُ اللّهِ ما لاح بارِقٌ ... وما سارتِ الركبانُ في البرِّ والبحرِ
وإني مُحِبٌّ مستمِرٌّ على الدعا ... لحضرتكم في الصبحِ والليل إذ يسْرِي
وأسألكم ردَّ الجواب فما عسى ... يفرِّج مما قد تمكَّن في صدرِي
فأوراقكُمْ عندي أجلُّ من الرِّضى ... وأحلَى من الإيسارِ عند ذوي العُسْرِ

١٣٤- نور الدين بن الجزَّار الشافِعيّ

بدرٌ أشرقت من أُفُق الكمال أنوارُه، وخُطَّت في صحائف المحاسن آثارُه. جُنيتْ إليه ثمراتُ الألباب، فجبَى زكاتها لفقراء الطُّلاَّب. عذبُ المْشرَب، واسع المذهب.

Marfat.com

ضاعَف اللّه حُبورَه، ويأبى اللّهُ إلا أن يتمّ نُورَه. دعاه النَّدى فأجاب، ورمى حَدَق المعاني فقَرْطَس وأصاب. فلم تكن الآراءُ في فواضلِه تختلف، فابنُ الجزَّار يعرِف من أين تؤكَل الكتِف. إذا طبَّق مفاصلَ الأشعار، أنسى محاسنَ الشوَّاء والجزَّار. نحرَ الأمور نَحْرا، وقتل الدهرَ خُبْرا.

فمن محاسنِه قوله في الوَجْه، وهو مَنْهل معروف بطريق مكة، شرَّفها اللّه تعالى، آمين: [الطويل]

ولما رأيتُ الوَجْهَ سال من الحيَا ... وقد طاب فيه للحَجِيجِ مقامُ
وعايَنْت رَكْب الحج حلّ بسفحِه ... وقد ضُربت في جانبيْه خِيامُ
ومدُّوا إلى الغيثِ الهَطُولِ أكفَّهُمْ ... فجاد عليهم بالعطاءِ غَمامُ
فقلتُ على الوَجْه المليح تحَّيةٌ ... من اللّهِ ما سَحَّ الحَيا وسلامُ

ومثله لابن أبي حَجَلة: [الطويل]

أيا سادةً في الوجهِ فُزْتُ بقُربهمْ ... ولم أدْرِ أن القربَ يُؤذنُ بالبعدِ
سَريتمْ إلى أكْرى فشرَّدتمُ الكرَى ... وخلَّفْتُمُ في الوَجْهِ دمعي على خَدِّي

ومثله للقطب المكّيّ أيضاً: [الطويل]

أقول ووادي الوجْهِ سال من الحَيا ... وقد طاب فيه للحَجيج مقامُ
على ذلك الوجْهِ المليح تحيَّةٌ ... مُباركةٌ من ربِّنا وَسَلامُ

وللقِيَراطِيّ أيضاً: [الوافر]

أتيتُ إلى الحجاز فقلتُ لمَّا ... تبدَّى وَجْهُه لي وارتويتُ
وكم في الأرضِ من وَجْهٍ مليحٍ ... ولكن مثلُ وجهِك ما رأيتُ

وقلتُ فيه عند قِلَّة مائه: [الطويل]

أقول وقد جئْنا إلى الوجْهِ مرَّةً ... عِطاشاً وكلٌّ خاب فيه رجاؤُهُ
إذا قلَّ ماءُ الوجْهِ قلّ حياؤُهُ ... ولا خيرَ في وَجْهٍ إذا قلّ ماؤُهُ

وللفارِضِيّ في بعض مناهله أيضاً: [م. الرمل]

رَوِّني من ماءِ نَبْطٍ ... لو يكنْ في العمر مرَّهْ[1]
ودَعِ الحَوْرَا فإني ... أبغضُ الحورا وأكْرَهْ[2]

ولابن حجَر العَسْقَلانِيّ: [الطويل]

أحِبَّتنا لا تنسَوُا العهدَ من فتىً ... غريبِ أليفِ الحُزْنِ مُقْلتُه عَبْرَى
تذكَّرتُ في دِرب الحجاز عهودَكمْ ... فلم يَبْقَ سِنٌّ في العهود ولا أكْرَى

(١) النبط: واد بناحية المدينة. القاموس المحيط، مادة /نبط/.
(٢) الحورا: موضع قرب المدينة، وهو مرفأ سفن مصر. القاموس المحيط، مادة /حور/.

Marfat.com

وقد جعل أكْرَى مقصوراً، وغيره جعله بالهاء، فكأنه منقول من الفعل، وهو الجاري على الألسنة.

١٣٥- محمد الفَارِضِيّ

فاضلٌ جرَتْ في مِضْمار الأدب سوابقُه، وتألَّق في سماء الفضل من خلال سحائبها بوارقُه. حتى ترنَّمت بمآثره وُرْقُ الحمائم، ومُزِّقت طرباً لها جيوبُ الغمائم، وطال عمرُه حتى لفَّ الدهر على هامتِه ثلاثَ عمائم. وصفا ماؤُه فتلوَّن بلَوْن إنائِه، ونفض الزمانُ عليه صِبْغَ صباحِه ومسائِه.

وله سهمٌ عائلٌ في العربيَّة والفرائض، وبَدِيهة في ارتجالها تسبِق لما يعجز عنه ألفُ رائض. فإذا خاطب بالخطابة تهتزُّ له أعوادُ المنابر، ويُورِق بفضل فضائِله روضُها الناضر. وإذا ارتجَز فلا يَشُقُّ رؤبةُ غُبارَه العَجَّاج، وإذا أحَمضَ بهَزْله ذهبت مجاناً لطائفُ ابن حجَّاج. وربما مال إلى جعْلِه مِقْراض الأعراض منهَجا، سالكاً بحُروف الهجاء مسلكَ مَن هجَا.

وشعرُه بديارِنا يتلوه فمُ الدهر، وتتفكَّه الأسماعُ منه بغَضِّ الثمر والزهر.

فمنه قوله في قصيدة يهنِّي بوفاء النيل: [الطويل]

أناسٌ بهذا البحر قاسُوا نوالكمْ ... وبينكما فرقٌ يحقِّقه الخُبْرُ
ففي العام جَبْرُ النيلِ يحصُل مرَّةً ... وفي كلِّ يومٍ من نَداكمْ لنا جَبْرُ

وقوله مضمِّناً: [الكامل]

لي جُوخةٌ مجرودةٌ يا طالمَا ... قد كنتُ ألبسُها بغير تكلُّفِ
كم رُمْتُ أقلبُها فقالتْ جَهْرَة ... قَلبي يُحدِّثني بأنك مُتْلِفِي

وهذه الجوخَة لو رُكِّب عليها فَرْوة ابن نُباتة وابن سارة، وأُسْدِل عليها طَيْلَسانُ ابن حرب، كانت أفخرَ لِباس يُهْدَي لملوك الإفْلاس. كما قال ابن سارة: [الكامل]

أوْدَتْ بذاتِ يديَّ فروةُ أزنبٍ ... كفؤادِ عُرْوةَ في الضَّنَى والرِّقَّةِ
لو أن ما أنفقتُ في إصلاحها ... يُحْصَى لزاد على رمالِ الرَّقَّةِ
إن قلتُ بسم اللّه عند لِباسِها ... قرأتْ عليَّ إذا السماءُ انْشَقَّتِ

ومما أنشدتُ له أيضاً قوله: [الدوبيت]

في مصرَ من القضاةِ قاضٍ وَلَهُ ... في أكلِ مَواريثِ اليتامَى وَلَهُ
إن رمتَ عدالةً فقم عُدَّ لَهُ ... مَن عَدَّ لَهُ دراهماً عَدَّلَهُ

وله أيضاً: [الوافر]

ألا يا أيها القاضي تيقَّظْ ... لأمْرِك واحترِزْ من تَرْجُمانِكْ

Marfat.com

ألـم تـنـظُـرْ يـداه كـلَّ حـيـن بِـمـكْـروهٍ وسُـوءٍ تَـرْجُـمـانِـكْ

وهذا مأخوذ من قول المِيكَالِيّ: [الخفيف]

صِـلْ مُـحِـبّـاً أعْـيـاهُ وصـفُ هـواهُ فـضَـنـاهُ يـنـوب عـن تَـرْجُـمـانِـهْ
كـلـمـا رافَـه سِـواكَ تـصـدَّتْ مُـقْـلـتـاهُ بـدَمْـعِـه تَـرْجُـمـانِـهْ

وله أيضاً: [السريع]

كـونُـوا عـلـى الـحـقِّ لـكـي تـسـلَـمـوا مـن مَـغْـرَم يـذهـب بـالـمـالِ
لـو سـلـك الـنـاسُ سـبـيـلَ الـتُّـقَـى مـا اسـتـفـتـح الـقـاضـي ولا الـوالِـي

وله: [م. الوافر]

تـزوَّدْ حـكـمـةً مـنِّـي وخـلِّ الـقِـيـلَ والـقـالاَ
فـسـادُ الـدِّيـن والـدنـيـا قـبـولُ الـحـاكِـم الـمـالاَ

وله: [السريع]

يـصـلُـح لـلـحـكّـامِ فـي عـصـرنـا وذاك فـي الأحْـكـام مـمَّـا يَـجِـب
الـصَّـلْـبُ لـلـوالـي عـلـى شُـغْـبـةٍ والـضـربُ بـالـدِّرَّةِ لـلـمُـحْـتَـسِـبْ

وله في العلامة منوش التُّونِسيّ: [الوافر]

تـوفـي الـتُّـونُـسـيُّ فـقـلـتُ بـيْـتـاً يُـؤرِّق كـلَّ ذي شَـجَـن ويُـونـسْ
أتُـوحِـشُـنـا وتـونِـسُ بـطـنَ أرْضٍ ولـكـن مـثـلـمـا أوْحَـشْـتَ تـونـسْ

ونحوه قول الشّهاب المنْصُوريّ في مليح اسمه يُونُس: [السريع]

لـسـتُ لأغـصـانِ الـنَّـقَـا مـادِحـاً لأن حِـبّـي قَـدُّه أمْـيَـسُ
ولـسـتُ بـالأقـمـارِ مُـسْـتـأنِـسـاً لأن عـنـدِي قَـمَـرِي يُـونـسُ

ومن هزْليّاته قوله: [الطويل]

إذا قـام فـي سُـوقٍ مُـنـادٍ لـحـاكـم معاشِرَ جمع الناس ينصِتْ مَن حَضَرْ
فـغـايـةُ مـا يـأتـي بـه أن يـقـولَ مـا مُـقـدَّمُ بـاب الـلُّـوقِ إلا أبـو عـكـرْ

وله قصيدة مقصورةٌ عارض بها مقصورةَ ابن دُرَيد، وهي: [الرجز]

انْـهَـضْ إذا خِـفْـتَ كـلالاً أو وَجَـا بـعَـيْـسَـجُـور أَلِـفَـتْ جَـذْبَ الـبُـرَا[1]
وسِـرْ بـهـا الـوَخْـد إذا عـلَّـلْـتـهـا أو الـذَّمِـيـلَ مـا تـحـرَّيـتَ الـوَحَـا[2]
مـهِّـد لـهـا ظـلال شِـعْـبِ الـمـنْـحـنَـى ورِدْ بـهـا مـاءَ نَـمِـيـراً بـالـنُّـقَـا
إن قُـصـارَى الـعـزم حَـمْـدٌ وغِـنـىً وقيل جِدُّوا تَحْمَدُوا غِبَّ السُّرَى

---

(١) العيسجور: الناقة الصلبة، والسريعة. القاموس المحيط، مادة / العيسجور/ .
(٢) الوخد: السير السريع. القاموس المحيط، مادة / وخد/ .
الذميل: السير البطيء. القاموس المحيط، مادة / ذمل/ .

Marfat.com

مَن طلب العلياءَ يشْقَى دونها ... وعدم السباب أحْلَى مُجتَنَى
مَن قعد الجبن وآثر الثَّرا ... بجانب المجد فقد أغْيَى الأسى
فلا يهوُلَنَّك بُقْعٌ بُتَّكُ ... إن لُحْنَ يُورِين المنايا في المُنَى[1]
يا رُبَّ خَبْتٍ جُبْتُه في حالكٍ ... بمُشْمَخرٍّ دون مَرْمَاهُ الحِمَى
يمُور موْراً كظليم نافرٍ ... أهْوَج مخبوك القِرَى عَبْلِ الشَّوَى
ثم انْبَرى يخُبُّ في حَزْنٍ وما ... تمزَّقتْ بعدُ سرابيلُ الدُّجَا
أطلبُ نجداً وبنجدٍ شَجَنِي ... مهاجراً من الهوى إلى الهوى
للّهِ حينٌ سمح الدهرُ به ... في دَارة تم بها ثَمَّ المنَى
كنتُ بها لم أخْش بَيْناً آمِناً ... أرفُل بين الأخْشبيْن فمِنَى
بها وفَوْدِي فاحمٌ هِمْتُ فما ... أسلُو وللشيب برأسي مُخْتطى
لم يُثْنِه العَذْلُ ولا يعطفُه ... طولُ المدى ولا تُداوِيه الرُّقى
أقْصِرْ أخا اللوم مَلاماً أو أطِلْ ... صَبٌّ صبا لا يلْتوي عن اللِّوَى
لو جُرِّع الصَّابَ كؤوساً ما سَلا ... فاقْطَعْ رجاً وقل قد انقْدَّ السَّلَى
لا يَطَّبِيه دون سَلْع مَرْبَعٌ ... ولم يرُقْه للبقا إلاَّ النَّقَا

ومنها:

أين الجَهامُ الخلَّبُ البَرْقُ مِن الْـ ... كَنهُورِ الواهِي العَزَالي بالحيا

وهي طويلة، عديمة الطَّوْل، والبَغْرة تدل على البعير.

ومن الوافدين عليها من الفضلاء الأعلام، وكرام مشايخ الإسلام:

١٣٦- العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المَقَّرِيّ المغربيّ المالكيّ نزيل مصر

فاضلٌ لغُرِّ المناقب مَشْرِق، وبدرٌ لعلوّ همتَّه سار من المغْرب للمشرق. وهو رفيق السداد، وبيتُ مجدِه منتظمِ الأسباب ثابتُ الأوْتاد. وهو كما قيل فيه دمِثٌ من

---

(١) البقع: ما فيه سواد وبياض، والأدبة: السيف. القاموس المحيط، مادة /بقع/.
البتك: القطع. القاموس المحيط، مادة /بتك/.

١٣٦- أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد أبو العباس المقري التلمساني المولد، والمالكي المذهب، نزيل فاس ثم القاهرة، حافظ المغرب. كان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزاً باهراً في الأدب والمحاضرات، وله المؤلفات الشائعة منها: عرف الطيب في أخبار ابن الخطيب، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة، وغيرها.
ولد بتلمسان ونشأ بها وحفظ القرآن، وقرأ وحصل بها على عمه الشيخ الجليل العالم أبي =

Marfat.com

غير خَفَر، وليِّنُ جانب من غير خَوَر. ذو رأي يردُّ اللبن في الضَّرع والنارَ في الزَّنْد، وله آثار يُثنَى عليها ثناءَ النسيم على النَّدّ. وأدب امتزج باللطف امْتزاجَ الماء بالخمر، وفَيْصل حكْم رفع به التنازعَ بين زيد وعمر. وهو لفِقه مالك، أكرمُ سيِّدٍ مالِك.

وقد بوَّأه اللّه في الحديث تَكْرِمةً بين العلْيا والسَّنَد، وجدًّ في إرث المجد بغير كَلالةٍ عن أكرم أب وجدّ. [الكامل]

مضتِ الدهورُ وما أتَيْنَ بمثِله ولقد أتى فعجزْنَ عن نُظَرائِه

أما الشعر فهو أصْمَعيُّ باديتهِ، وسلْمان بيته، وحسَّان فصاحتِه.

فما مَسَّ قُضبَ الأقلام إلا سجدتْ شكراً إذ رأتْهُ قِبْلة الآمال، وأقسمتْ إن من البيان لسحْراً لكنَّه السحرُ الحلال. وهو من قوم تعاويذُهم الصَّوارم، وآثارُهم في كلِّ جيد تمائم. أنفْق عمَره في كسْبِ الخير الرَّابح، لمَّا علم أن مآلَ المال غاد ورائح.

ولمَّا رأى ما بمصر من الحسَد والنِّفاق، وتجارةَ الآداب ليس لها بسُوقِها نَفَاق. ولم يرْضَ بالكساد، ومسابقةِ الحمير للجواد. ارتحل للشأم ذاتِ العماد، فقال له رائدُ السَّداد: [الرجز]

من سابَق الجواد بالحمارِ جنَتْ يداهُ ثمر الغُبارِ

وقد كنتُ أسْتقْطِر خبرَه وأسْتَوْدِقُه[1]، وأؤمِّل أن ربيع التلاقي يخضرُّ ورقُه.

ويرِد عليَّ منه ما يسرُّ الثكالى، وينسيها صِعابَ الآفات والرَّزايا. مما يستنزلُ العصمَ للوهاد، وتُصْغي له أوابدُ الأيام حتى تُصاد. وعصرُ اللئيم لئيم، وزمان الكريم كريم. [الطويل]

والوردُ في زمنِ الربيعِ طلوعُه والعِقدُ ليس يزَين غيرَ الجِيدِ

فضَنَّ عليَّ بالأثَر والعين، ولم يرْضَ أن يجمع بين ساكِنَيْن. فسبقتِ المنايا الأماني، وجاءني بنَعيه من كنتُ أرجوه بشيرَ التَّهاني. [م. الكامل]

فبكيتُ للظِّلِّ الذي لم ينْبسِطْ حتى انطوى

= عثمان سويد بن أحمد المقري مفتي تلمسان ستين سنة. ورحل إلى فاس مرتين، وكان بها الملك الأعظم مولاي أحمد المنصور المشهور بالفضل والأدب، وإن الفتوى صارت إليه في زمنه ومن بعده لما اختلت أحوال المملكة ارتحل تاركاً للمنصب والوطن قاصداً حج بيت الله الحرام، ثم ورد إلى مصر وتزوج بها وسكنها، وظل يتنقل بين مصر، ودمشق، ومكة، وبيت المقدس، يفيد بعلمه أينما حل، وفي دمشق حضره غالب أعيان علمائها، وأما الطلبة فلم يتخلف منهم أحد. وفي نهاية مطافه دخل مصر واستقر بها مدة يسيرة ثم طلق زوجته وأراد العود إلى دمشق للتوطن بها ففاجأه الحمام قبل نيل المرام، وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بمقبرة المجاورين. والمقري نسبة إلى قرية من قرى تلمسان وإليها نسبة آبائه. خلاصة الأثر (١/ ٣٠٢).

(١) استودقه: طلب المطر الغزير. القاموس المحيط، مادة /وَدَقَ/.

Marfat.com

وعـــلـــى إنـــاءِ شَـــبِـــيـــبـــةٍ فـــي وقـــتِ مـــا امْـــتـــلأَ انْـــكـــفَـــا

وقد نزَّهتُ طَرْفي في رياض آثاره، وملأتُ أرْدانَ المسامع بجَنِيِّ أخباره. فرأيت له نظماً ونثرا، ومحاسنَ تملأ الأفواهَ والأسماع دُرًّا.

ومن تآليفه: «أزهار الرياض، في أخبار عياض». و«فتح المتعال، في وصف النِّعال». وغير ذلك.

ولما مرّ في طريقه بمحمد بن يوسف التَّاوليّ المغربيّ، كتب له يستدْعِي منه الإجازة: [الطويل]

أمُوقِظَ جَفْنِ العلم من بعد ما أغْفَى وباسطَ كفِّ البذْلِ من بعد ما كَفَّا
ومُحيي رُسوم الأكْرمين التي عفَتْ ومُجري مَعِينِ الفضل من بعد ما جَفَّا
أجِزْني بما قد قلتَه وروَيْتَه ففضلُك يا ذا الفضلِ قد حيَّرَ الوصْفَا

فأجابه بقوله، سقى اللّه ثراه، وعطَّر مثْواه: [الطويل]

أيا فاضلاً أعْيَتْ محاسُنه الوصفَا وإنسانَ عينِ الوُدِّ والمنْهلَ الأصْفَى
ومِشْكاةَ أنوارِ القراءاتِ والأدَا وساحبَ أذْيال الكمال على الأكْفَا
وحائزَ أشْتاتِ الفضائل إذ غدَتْ مُفاخِرةً في أذْنِ مَغْرِبِنا شَنْفَا
بَعثْتُم بطِرْسٍ بل بروضٍ بلاغةٍ تعطَّرتِ الأرجاءُ من نَشْرِه عَرْفَا
وأمَّلْتمُ أعْلَى الإلهُ مَقامَكمْ وألْبسكُمْ من عِزِّه المِطْرَفَ الأضْفَى
من القاصرِ الباع الضعيفِ إجازةً ألم تعلموا أن الصوابَ هو الإعْفَا
ولستُ بأهْلٍ أن أُجازَ فكيف أن أُجيزَ على أن الحقائقَ قد تخْفَى
فأضواءُ فكرِي أظْلَمتْها حوادثٌ فآونةً تبدو وآونةً تُطفَى
ولولا رَجائِي منكمُ صالحَ الدُّعَا لمَا سطَّرتْ يُمْنايَ في مثلِ ذا حَرْفَا
فأرجُو من الرحمنِ جلَّ جلالُه ومن فضلِه أن يقبلَ العَدْلَ والصَّرفا
وها أناذا أشْهدتُ أنِّي أجزْتُكمْ على سَنَن المألوفِ والمَقْصدِ الأوْفَى
جميعَ تآليفي ونظْمِي وإن وَهَى ونَثْري وإن حاز الرَّكاكةَ والضَّعْفَا
وكلَّ الذي أرْوِيه عمْن لَقِيتُه من السادةِ الغُرِّ الأُلَى أحْسَنوا الوَصْفَا
كسيِّدنا شيخ الأئمةِ عمِّنا سعيدٍ فكم نِلْنَا معارفَه قَطْفَا
عن أشْياخِهم من أهل فاسَ وغيرِهمْ كمثِل ابنِ هارونٍ فأعْظِمْ بهم كَهْفَا
وهذا هو الشيخ ابنُ غازِي ووصفُه شهيرٌ فلم يحْتَجْ لتشْهيرِه كَشْفَا
رعَى اللّه عهداً كان فيه إمامَنا ووَالَى على مَثْواه رحمتَه عَطْفَا
ولا تُغْفِلوني من دعائِكمُ إذا مدَدْتُمْ بابِ اللّه سبحانه الكفَّا
وعند ضريحِ الأولياءِ وذكْرِهمْ عسى نَرْتَوِي من بحرِ غُفْرانِهمْ رَشْفَا

Marfat.com

وإن جهِل الناسُ الحقوقَ بعصْرِنا فمثلُك مَن راعَى الحقوقَ ومَن وَفَّى
وكاتُبهُ المَقْرِيُّ أحْمدُ مُرْتَجِ من اللّه جلَّ العوْنَ والبرَّ والعطْفَا
بجاهِ شفيعِ الخلقِ مَأْمَلِنا الذيَ نُؤمِّل يومَ الدِّين من حَوْضِه رَشْفَا
عليه من الرحمنِ ألفُ تحيَّةٍ نَنال بها حسنَ الخِتامِ مع الزُّلْفَى

وله في مثال نعل النبيِّ ﷺ: [الطويل]

لكَ اللّهُ من تِمْثالِ نعلٍ كريمةٍ بخيرِ الورَى فاقتْ سَناً وسَناءَ
يحِقُّ لذِي داءٍ يلازِمُ وَضْعَه على جُرْحِه منه ينالُ شِفاءَ
وذاك قليلٌ في مآثِر مَن علا على كلِّ أوْجٍ إذ أجاب نداءَ
ومَن ذا الذي يُحْصِي فضائلَ أحمدٍ وقد جوَّد القرآنُ فيه ثَناءَ
عليهِ من الرحمنِ أزْكَى تحيَّةٍ تؤسِّسُ للمدْحِ الشريفِ بِناءَ

وله: [الجوبيت]

يا مثلَ نِعالِ خيرِ فخرِ العُرْبِ يس أجَلِّ واطئٍ للتُّرْبِ
كم رُمْتُ مديحَه بقصِد القُرْبِ والعذرُ أجلُّ والمعاني تُرْبِي

وله: [الدوبيت]

أعْظِمْ بمثالِ نعلِ عزِّ العرَبِ مَن أرْشدَنا إلى أجلِّ القُرَبِ
قَبِّلْه وكنْ بحقِّه مُعتنِياً واجْعَلْه وسيلةً لدَفْعِ الكُرَبِ

وله: [الكامل]

ومثالُ نعلٍ عَرْفُهُ متأرِّجُ في الخافقيْنِ ونُورُه مُتَبلِّجُ
حاكَى نعالَ أجلِّ مَن وَطِئَ الثرى وبدَتْ كواعبُ مجدِه تتبرَّجُ
فاجْعَلْه خيرَ وسيلةٍ ترجُو بها دَفْعَ المكارهِ حين ضاق المَخْرَجُ
صلَّى الإلهُ على مُشرِّفِه الذي أشْكالُ منطقِه الهدايةَ تُنْتِجُ

ولما وقفتُ على كتابه «فتح المتعال» قلت مضمناً لبيْتَي المعَرِّيّ: [الوافر]

حكى المحرابَ تمْثالٌ ففيهِ لنا سَجَداتُ تقبيلٍ توالى
أقولُ لنْعلِ خيرِ الخلقِ طُرّاً وقد حاز المهابةَ والجلالا
وعَزَّ به التُّرابُ فكلُّ مِسْكٍ لريّاهُ لقد هجَر الغزالا
لِيَهْنِكَ في المكارمِ والمعالي كَمالٌ علَّم القمرَ الكمالا
وأنَّك لو تعلَّقتِ الثُّريَّا بشِسْعِكَ ما قطعْتَ له قِبالا

وكتب له صاحبنا عبد العزيز الفِشْتالِيّ، بارك الله فيه: [الكامل]

يا نَسْمة عطِسَت بها ريحُ الصَّبا فتضمَّختْ بعَبيرِها حُلَلُ الرُّبا
هُبّي إلى ساحاتِ أحمدَ واشْرَحي شَوْقِي إلى لُقْياهُ شرحاً مُطْنِبا

Marfat.com

وصِفِي له بالمُنْحَنَى مِن أضْلُعِي قلباً على جَمْرِ الغَضا مُتقلِّبَا
بَان الأحبَّةُ عنه حَيٌّ قد ثَوَى منهمْ وآخرُ قد نأى وتغيَّبَا
فعساك تُسْعِد يا زمانُ بقُربهمْ فأقول أهلاً باللقاءِ ومرحبَا

أقول: استعارة العُطاس للنَّسيم غيرُ مستحسَنة، والمعروف في كلام فصحاء العرب عطِس الصبحُ والفجرُ.

وفي «شرح الفصيح» للمَرْزُوقِيّ: يُقال: عطس إذا فجأَتْه صَيْحة من غير إرادة، ومصدرُه العَطْس، والعُطاس الاسم، جُعِل كالأدْواء.

ويقال: أرغم اللّهُ مَعْطِسَه، أي أنَفه.

وعطس الصبحُ: انفجر على التَّشْبيه.

ولأبي إسحاق الغَزِّيّ، في قصيدته المشهورة، التي أوّلها: [البسيط]

أمِطْ عن الدُّرَرِ الزُّهْر اليواقيتَا واجعل لحَجِّ تَلاقينا مواقيتَا
كم من بُكورٍ إلى إخْرازِ مَنْقَبةٍ جعْلتَه لعُطاسِ الفجرِ تشْميتَا

ومن لطائف بعض المتأخِّرين قوله: [مخلع البسيط]

قلتُ له والدُّجى مُوَلٍّ ونحن في الأنس بالتَّلاقِي
قد عطِس الصبحُ يا حبيبي فلا تشمِّتْه بالفِراقِ

وكتب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي على كتابه «زهر الرياض، في أخبار عياض»: [السريع]

أهذه أزهارُ هذي الرِّياضْ أم هذه غُدْرانُها والحِياضْ
يبيتُ معتَلُّ الصَّبا عندها يرْوِي حديثَ الشِّفا عن عِياضْ
فَيا إماماً جامعاً للعُلا ومَن غدا بحراً على الناسِ فاضْ
أبكارُ فكري بين أبوابكُمْ تُنزِّه الأحداقَ بين الرِّياضْ
إليكمُ قد رفعتْ أمرَها فاقْضِ على الأفْكارِ ما أنتَ قاضْ
قد بايعَتْ بالحقِّ سُلطانَكمْ تَوْفِيةً للعْهِد دون انْتِقاضْ

ومن البيوت بمصر، بيت الجَيْعان وأولاده، وآثارهم تدلّ عليهم.

وممن أدركناه منهم، وهو آخرهم:

١٣٧- القاضي أحمد بن الجيْعان

شقيقُ النسيم، ربيبُ النعيم. رَيْحانة الأدب، شَمَّامة الطَّرب. طِراز كُمِّ المكارم، خليفةُ هطَّال الغمائم. جوادٌ طِليق، غصنٌ في ساحةِ المجد عريق. مَلَكيُّ الصفات، مَلِكيّ السِّمات، بسَّام العشيَّات. راحتُه سحابةٌ نَداها يرْوِي الأقطار، وبَرْقُها اللَّامع في

Marfat.com

أياديه النُّضار. إذا قدِمتْ وفودُ الحاجات كان رحيبَ النَّادي، وإذا ضاق صدرُ الدهر فنَدِيُّه واسعُ الصدر للحاضر والبادي. غَضّ الأدب، مُورِق الحسَب.

لم يزل يجْنِي زهرة الحياة من حدائق الأيام، ويحْسُو صَفْوَها من مناهل اللَّذَّة والناسُ صِيام. حتى كدَّر الموتُ وِرْدَه، وبدَّد الدهرُ الحسود بنوائبِه عِقْدَه.

وكان كثيراً ما يُذكرني الآداب والمعارف، ويأخذ منِّي على رغم الزمن تُحَفَ اللطائف. في أُوَيْقاتٍ كانت لعينِ الفضل قُرَّة، وعلى مكْتوب العمرِ عنوانَ المسرَّة. [الطويل]

إذا ما مضَى يومٌ ولم أصْطنِعْ يَداً ... ولم أقتبِسْ عِلْماً فما ذاك من عُمْرِي

والدهرُ يهُمُّ بالإحسان، ويلُفُّ بُرْدَ الشَّملِ على أعطافِه الحسان. وهو لا يحسِب من عمره غيرَ أوقات صَفْوِه، ولا يسطر في صحفِ أعماله غيرَ لذَّته ولهوِه.

كما قلتُه له مخاطبًا، وأنشدتُه مداعبًا: [البسيط]

لا تبْكِ هنداً ولا تعتِبْ بأسْماءِ ... واصرِفْ زمانَك في لهوٍ وأهْواءِ

يوماً ببَرْشٍ ويوماً بالحَشِيشِ وبالْـ ... أفْيونِ يوماً ويوماً كأس صَهْباءِ

وسألني يوماً أن أصِف له الشَّمَّعْة، وأذكُر من السِّمات على لسانِها لُمْعة.

فقلت له: لم يترك الأرَّجانيّ في قوس الوصفِ لها مَنْزَعا، ولا لأهل البيان لمعانيها مَطْمَعا. ثم بدا لي امْتثالُ أمرِه، لِما كان له من حقوقِ ألْطافه وبرِّه.

فقلت: [الوافر]

لعَسَّالِ الشموعِ سِنانُ نارِ ... إذا ما لاح ينْهزِمُ الظلامُ

أقول له وقد وَافَى ببشْرٍ ... كأنك في فم الدنيا ابْتِسامُ

لمَّا لاحت الشمعةُ وهي صاحب مستقيم، ولطُفت حتى ضَرَّها مرورُ النسيم.

مُسامِر أينما طلبتَ كان معك، وصاحبٌ يضرُّ نفسَه لينفعَك.

يقف طولَ ليلهِ في خدمةِ الأصحاب، وُيؤتَمن على الخَلْوة بالحريم والأحْباب: [الكامل]

لما رأتْ أن الظلامَ يَكِيدُها ... ويكاد يُؤذِن شَمْلَها بشتاتِ

أكلتْ من الغيظِ المبرِّح نفسَها ... وتلمَّظتْ كتَلمُّظِ الحيَّاتِ

فقامت على الكرسيّ تجلُو نفسَها في الظُّلُمات، ذاتُ غُرَّةٍ تشق قَناتُها جيوبَ الدياجي عن صدرِ الخَلَوات.

لا يرتضِي ثالثٌ سواها، إذا اخْتَلى المُحبُّ بحبيبِه في دُجاها: [الكامل]

فلئنْ قضيْتَ لنا بصُحبةِ ثالثٍ ... يا ربِّ فلْتتكُ شمعةً في المجلسِ

أحببْتُ أن أُلَذِّذ السمع، بوصفِ محاسنِ الشمع.

فأقول:

Marfat.com

هي غصنُ فضة مُثْمِر بالنُّضار، أو هْنديَّة تحرِق نفسَها بالنَّار. بأنْفاس النسيم يدنُو مَماتُها، وبقطْع رأسِها تزدادُ حياتُها.

تدِبُّ النارُ في جسمها كما دبَّ في العمر الأجَل، وتبْكى فما ندري أذلك لحُرقةِ النار أم لفُرقةِ العسَل.

ويقول لسانُها للحوادث لما أدْنَتْ بَيْنَهُ، وفرَّقتْ بيدِ الدهر بَيْنها وبيْنه: [الكامل]

بالنارِ فرَّقت الحوادثُ بيْننا وبها نذَرْتُ أعودُ أقتلُ رُوحِي

تَساقَطُ على مِعْصَمِها من الدمع، سلاسلُ فضة أو شماريخُ طلْع. كأنها عاشقٌ ناحِل، مُلتهبُ الأحشاءِ ذو مَدْمعٍ سائل. وموتها من قلبها وهو عجيب، فإن القلوبَ تُحْيي أجسامَها وهذه لها تُذِيب.

إذا جَنَّ الظلامُ زادتْ أشواقُها، وظهر اشْتعالُها واحتراقُها.

وكيف تُحاكِيه وهي تنعْمُ بالنهار وتعذَّب بالليل، وذلك في كلّ حينٍ حريقٌ بشَجَنٍ كالنار وغريقٌ بدمْم كالسَّيْل. [البسيط]

هيهات ما أنتَ مثْلي أنت في دَعةٍ طولَ النهار ويوْمِي كلُّه حُرَقُ

لا يرجع عن معْشوقِه ولو بقطعِ رأسِه، ويُنشد إذا رفع صَدْرَ أملِه براحةِ يأْسِه:

علِقْتُ به كالنارِ في الشمعِ فهْي لا تفُكُّ يداً عنه ولو جُزَّ رأسُها

وفي معناه قولي: [المجتث]

وَيْلاهُ مما أُقاسِي إذْ صرتُ في الناس سُمْعَهْ

قد أُحرِقَ القلبُ منِّي حتى كأنّيَ شمعهْ

وأنَّى يسْتوِي مَن عذابهُ في عذباتِه، بمن نارُه في أحشائِه بعد ما أحاطتْ بسائر جِهاتِه.

غُصنٌ أثماره تجني على مَن يجْنِيها، تُميتها الليالي وهي تبيت تحييها.

طُرَّة صُبْحٍ تحت أذْيال الدُّجَا

غُرةٌ في وجه أدْهم الليل إذا دَجَا.

سَحَّارة إذا أخذ منها المِقَصُّ وردةً ردَّها عَنْبرا، وإذا بدت في مَحَلٍّ مظلم جعلتْه مُقْمِرا. [المتقارب]

ويُقْطَف من من رأسِها الجُلَّنارُ فيرجعُ إهْلِيلَجاً أسْودَا

أظهرتْ قَبسها ناراً على علَم، ونضَّدتْ بمِعْصَمِها دُرّاً ما ثُقِب فكيف انْتظم.

فتاةٌ اشْتعل بالشيبِ رأسُها، وحِميتْ من حرارة القلب أنفاسُها. [البسيط]

أو ضَرَّةٌ خُلِقتْ للشمسِ حاسدةً فكلَّما حُجِبَتْ قامتْ تُحاكِيها

أُم يتولَّد منها سَنا لُطْف، فإيَّاك أن تقولَ لها أُفّ.

Marfat.com

فهي على ما تريد من طرَب واقْتراح، في وقت عبادةٍ أو وقتِ رَاح.

تارةً في مجلسِ شَراب، وَطَوْراً في وسَطِ محْراب.

فللّهِ منها جانبٌ لا تُضِيُعه ... وللَّهوِ منها والخلاعةِ جانبُ

تبكي في حالةِ التَّداني، قائلةً: [الطويل]

من عُظْم ما قد سرَّني أبْكاني ... فقد تدمَعُ العينان من شِدَّةِ الضِّحْك

ومِن غريب أُمُورِها، حرارةُ دمِعها في وقت سُرورِها.

ألِفٌ عليها همزةٌ من النُّضار، همزةُ قَطْع لا تزال تستفهِم عمَّا خَفِيَ من الأسرار.

شجرةٌ تُسْقَى أسافُلها من أعاليها، أطْلَعتْ وردةً لا شوك لها تجْنِي على يدِ جانيها.

قامةٌ هَيْفاء لو لمحَتْ صِبْغَ الدُّجَى لمحَتْ، ولولا خوفُ نارِها لغنَّتْ الوُرْقُ عليها وصدَحت.

فالوَجْنةُ الوردُ إلاَّ في تَناوُلِها ... والقامةُ الغصنُ إلاَّ في تثنِّيها

ظلَّتْ على مُشابهةِ الخدود تجْترِي، فقُطِع لسانُها وهذا جزاءُ المفترِي.

إذا أشارت إلى الظلام بلسان أفعَى شمَّر ذيْلَه وهرَب، وإذا وافَتْ النارَ حاسرة رأسَها أعادَتْه بتاج مِن ذهَب.

وإذا أرْخَت الليالي أستارَها السُّود أمسَتْ بنُورِها مُطرَّزة، ولو رام المُتنبِّيَ وصفَها بكافُورِيَّاتِه كانت له مُعَجِّزة.

صدَّقتْ رأيَ المانَوِيّة المشهور، في القول بأن الخير مخلوق من الثُّور.

وأظنُّها لمَّا تلهَّبَ قلبُها ... حسداً أسالَتْ دمَعها مِذرارَا

وغدتْ لفَرْطِ الغَيْظ تُعطي كلَّ مَن ... وافى ليقْطَع رأسَها دينارَا

سرقتْ ما في وجَناتِ الغِيد من الإشراق، وما في قلب الصبِّ الكئيب من الاختراق، فلزِمها بحكم الهوى جِنايةُ السُّرّاق.

فانتدَب المقصَّ ونشِط. وقام لقطْع رأسها فقطّ.

فواعجبا والسارقُ يُقْطَع منه اليدُ والبَنان، فلم قطعوا منها الرأسَ واللِّسان.

فكأن ذلك الجَلْم، رأسُ غُراب أسْحم، أو فراشٌ رفْرَف على اللَّظى، أو طائرٌ يلْتذُّ بقطفِ شقيقِ السَّنا. [م. الرجز]

كأنه نعامةٌ ... يقطفُ منها الهَبا

وما قصَّها عند ظهور لَهيبها، إلاَّ لظنّه أنها ذوائبُ اشتعلت بمشِيبها.

فزاد ذلك القطْعُ في الأنوار، كما تنمو بالتَّقْليم الغصونُ ذاتُ الأنوار.

فمحيَّاها مبتسم مسرور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

Marfat.com

كما قلت: [الرمل]

وتـرى الـشـمـعَ إذا زاد الـسَّـنـا ضـاحـكـاً مـبـتـسِـمـاً مـن بِـشْـرِهِ
كـالـفـتـى قـد سـرَّه أوقـاتُـه وهـي نـقـصٌ زائـدٌ مِـن عـمْـرِهِ

تُغْنِي النَّدامَى عن الفَلَق أضواؤها، وإن مرضتْ فضربُ العنقِ شفاؤُها.

فطرْفُها من اللَّهب، قطعةُ سَبَج ملبَّسةٌ بذهَب.

أو بنَفْسَجٌ تحت وَرد، أو كافورٌ على جَنيٍّ نَدّ.

أو إصبَع يشير إلى الصباح، أو لسانُ أخْرس يتحرَّك ولا يقدر على الصِّياح.

مُشَعبِذة تلعب بالرِّيح فتصيِّره أُنْمُلَة، ثم تُسِيله على يدِها فتُبدِي منه سِلْسِلة.

وتارةً تجوِّفُه فتصيِّره مُذْهُنَة، وطوراً تنشِّره فتراه أوراقَ سَوْسَنة.

وآونة تنشُره مِنْديلا، وترفعه فوق رأسِها إكْليلا.

وطوراً تُسدِّده سِناناً، ثم تحرِّكه فتراه لِساناً، وتارة تطْويه ثعباناً.

ثم تدقُّه إبرَة ذهَب، أو تجعلُه حُمَةَ عَقْرَب.

فإذا طلَع الصَّباح، انطفأ منها المِصْباح.

فهي صَبٌّ أظهر ما في سُوَيْدائِه، وأفناه ما تقَطَّر من دموع بكائِه.

وليس مُعذَّب بنار عَذَبَاتِه كمعذَّب نارُه في أحشائِه. [الطويل]

يـقـول لـسـانُ الـشـمـع لـلـنـارِ عـنـدمـا بـكـى بـدمـوع عِـقْـدهـا ظـلَّ يُـنـثـرُ
تـرفَّقْ فـمـا هـذِي دمـوعـي الـتـي تـرى ولـكـنَّـهـا نـفـس تـذوبُ فـتـقْـطـرُ

في أوّل عمرِها ترى فِرْقها شاب، ثم إذا طفئت يرجع إليها سوادُ الشباب.

وإذا أَسْبل الليلُ أذياله، تراها واقفة كأنها تريد صيدَ الغزالة.

لكنها إذا دنَتْ تهرب، فكأنها خافتْ من الصبح إذْ خرجَ خائفاً يترقَّبْ.

وإذا أوقدتْ بجانب الغُدْران، تخالُها بانْعكاسها خِياماً على عُمُد من المَرْجان.

وكأنما الخليجُ وسَناها الْتهب، صَرْحُ زجاج على عُمُد من ذهب. [الكامل]

والـشـمْـع فـوق الـبـحـر تـحـسَـبُ أنـه مـن لُـجَّـة قـد أطـلْـع الـمـرْجـانُ
والـمـاءُ دِرْعٌ والـشـمـوعُ أسِـنَّـةٌ ولـهـا إذا خـفَـق الـنـسـيـمُ طِـعـانُ

تارةً تبدو سافرةً كالعَروس، وتارةً تحتجب في خِدْرِ الفانُوس.

فتراه حانياً ضلوعَه على النِّيران، متنفِّساً من حَرارة الأشجان.

مُتصبِّراً على الأوْصاب، تعُدُّ ضلوعَه من تحت الثياب.

في حالةٍ ليستْ تُنْكَر، لكنه لكتمانه يتستَّر. [الكامل]

انـظُـرْ إلـى الـفـانـوسِ تَـلْـقَ مُـتـيـمًّـاً ذُرِفـتْ عـلـى فـقـدِ الـحـبـيـبِ دمـوعُـهُ
يـبْـدُو تـلـهُّـبُ قـلـبِـه لـنـحُـولِـه وتُـعَـدُّ مـن تـحـت الـقـمـيـصِ ضُـلـوعُـهُ

فهو رُواقُ النور، ونديمُ السرور.

Marfat.com

والشمعةُ منه في حِجاب، كنجم خلف رقيق سحاب.
كليمٌ لا يخاف الرَّدَى، إذا وجَدَ على النار هُدى.
ويستر نورَ الشمع بكمائمه، ويُفني قلبَه فيجد قلباً آخر مِن مُنادمِه.
وقد جُنَّت القناديلُ لغيرتها منه فهي مُسَلْسَلة، وصارت بنار الهوى مشتغلة مشتعلة.
فاشتعلت النارُ على رأسها مُعْلنة بالشكوى، متظلمةً إلى عالم السِّرِّ والنجْوَى.
وقال لسانُها وهي بخضاب السَّنا مُخَلَّقة، وَلاَ تميلُوا كلَّ المَيْل فتَذَرُوهَا كالمَعَلَّقَة.
وكيف لا وقد أفنتْ نفسَها في خدمةِ مَن أشرقتْ بهجةُ ذاته، واشتعل رأسُ الشمس وحاجبُ الهلال شيباً وما أبصرا نظيراً لِسَنا صِفاتِه.
وإني لأعجبُ كيف لقَّب بالجَيعان، والدهر من موائدِ كرمه يذوق ألوانَ الإحْسان.
وكلُّ سمع ظمآن، من موارِد نداه رَيَّان. ومَن سمع قام في مجلسه منتصباً، لم لا ينثني مِن سروره برؤياه طرِباً! [المتقارب]

كأن الشموعَ وقد أظهرتْ ... من النار في كلِّ رأسٍ سِنانَا
أصابعُ أعدائِك الخائفينَ ... تَضرَّعُ تطلبُ منكَ الأمانَا

كما أعجَبُ من قلم مسَّه بأناملِه، كيف لا يُورِق وقد سقَتْه بحورُ فضائِله.
وأظن الشموعَ ما أذرَّتْ دموعَها، وأطالت ولَهَها ووُلوعَها.
إلاَّ لأنها علمتْ فِراقَها رُؤياه، وبُعْدَها عن وجهٍ تستمِدُّ من سَناه، ويعوِّض الليلَ عن الشمسِ مُحيَّاه. [الخفيف]

ليس فيه عيبٌ يُعَدُّ سوى أنَّ ... م أياديه تجعلُ الحرَّ عبْدَا

فهل نادِيه سماءٌ طلعتْ فيها الدَّرارِي، أم النجومُ هوَتْ ترجو سَعْدَ إقْباله السارِي.

أم أنتَ يوسفُ موعوداً وقد سجَدتْ ... لك النجومُ وهذا كلُّه حُلُمُ

ولو كان الشمعُ اسْتَجار، ما قدِرتْ تسطُو عليه يدُ النارِ.
فإن حِماه جَنَّةٌ من الجِنان، فكيف يُعذَّب فيه بالنِّيران.
كما أنِّي لمَّا لُذتُ بجنَابه، وانتظمتُ في سِلْك أحْبابه.
اعتذر إليَّ الزمانُ عمَّا جنَى، ولم أعرِفْ مِن أحواله إلاَّ الغِنَى.
فخلَّص روحي من يدِ الأجَل، وتركني أصْحَبُ الدنيا بلا أمَل.
وقد اهتديتُ لسُدَّتِه بأضْوائِه، ولولا نَداه خِفْتُ عليه نارَ ذَكائِه. [الكامل]

كنْ محسناً مهما استطعتَ فهذه الدُّ ... نيا وإن طالتْ قصيرٌ عمرُهَا
إن المآثرَ في الورَى ذُرِّيَّةٌ ... يفْنَى مُؤثِّرها ويبْقَى ذِكرُهَا
فترى الكريمَ كشمعةٍ من عنبرٍ ... ضاءتْ فإن طُفِئتْ تضوَّع نَشرُهَا

Marfat.com

لا زال حِماهُ روضاً تُقْطَف منه زَهْراتُ الأماني، ولا تصِلُ إلى سِياجِ حِمايتِه يدُ الجاني.

ما تلا لسانُ الشمع سُورة النُّور، ونسَخ سورةَ الليل من صحائف الدَّيْجُور.

وجلَى كفُّ الصباح نور النجوم، وانْحَلَّ من جِيد الدُّجَى عِقدُها المنْظوم.

وأراها ما أهلَكتْ نفسَها بالنار، إلاَّ لأنها لم تقفْ بين يَدَيِ النبيِّ المختار.

حتى تقْتَبِس من أنواره، وتقطِف من روضتِه مُعطَّرَ أنواره.

صلَّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه، ما دامت الشموعُ معتكِفةً بين مَرْقَدِه ومحْرابه.

قولي: «إنها لم تقفْ بين يدَي النبيِّ المختار» إشارة إلى أن النبيَّ ﷺ لم يُوقَدْ في مجلسه شمعٌ أصلاً، وإن كان الشمع موجوداً في عصره، وقبلَه.

وقد سُئل خاتمة الحفاظ الجلال السُّيُوطِيّ عن ذلك.

فأجاب: بأنه كان في القديم، وقبل عصر النُّبوَّة، وأوّلُ من أَوْقده من العرب جَذِيمة الأبْرَش، وكان موجوداً في زمِنه ﷺ، ولم ينْهَ عنه، فهو مُباح.

وقد رُوي في حديث أنه أُوقِد للنبيّ ﷺ عند دفنِه عبد اللّه ذا البِجادَيْن.

وله فيه مؤلف سماه «مسامرة السموع في ضوء الشموع».

وقد نحونا في هذه الشمعة نحوَ القاضي ناصِح الدين الأرَّجانيّ في قصيدته الشَّمْعية.

وهي من بدائعه. وهي هذه: [البسيط]

نمَّتْ بأسرار ليلٍ كان يخفِيها ... وأطْلعتْ قلبَها للناسِ مِن فِيها

قلبٌ لها لم يرُعْنا وهو مكْتَمِنٌ ... إلاَّ ترقِّيهِ ناراً من تراقِيها

سفيهةٌ لم يزلْ طول اللسان لها ... في الحيّ يجْنى عليها ضربَ هادِيها

غريقة في دموع وهْي تحرقُها ... أنفاسُها بدوام من تلظِّيها

تنفَّستْ نفَسَ المهجور إذ ذكَرتْ ... عهْدَ الخليطِ فباتَ الوجدُ يبْكيها

يخشى عليها الرَّدى مهما ألمَّ بها ... نسيمُ ريح إذا وَافى يُحيِّيهَا

بدتْ كنجم هَوى في إثْرِ عِفْرِيَةٍ ... في الأرض فاشتعلتْ منه نواصيها[1]

نجمٌ رأى الأرضَ أوْلى أن ينوِّرها ... من السماءِ فأمسى طوعَ أهليها

كأنها غُرَّةٌ قد سال شادِخُها ... في وجهِ دَهْماءَ يُزْهِيها تجلِّيهَا

أو ضَرَّةٌ خلِقتْ للشمس حاسدةً ... فكلَّما حُجِبتْ قامت تحاكِيهَا

وحيدةٌ بسنان الرُّمح هازِمةٌ ... عساكرَ الليل إذ حلَّتْ بواديهَا

---

(١) العفرية: الخبيث. لسان العرب، مادة /عَفَرَ/.

Marfat.com

ما طنَّبتْ قطُّ في أرضٍ مُخيِّمةً ... إلاَّ وأقمر للأبصار داجِيها
لها غرائبُ تبدو من محاسنها ... إذا تفكَّرْتَ يوماً في معانيها
فالوجنةُ الوزْدُ إلاَّ في تناوُلِها ... والقامةُ الغصنُ إلاَّ في تثنيِّها
قد أثمرتْ وردةً حمراءَ طالعةً ... تجْني على الكفِّ إن أهْوَيْتَ تجنيهَا
وَرد تُشاكُ به الأيدي إذ قُطفتْ ... وما على غصنِها شوكٌ يُوقِّيها
صُفْرٌ غلائلُها حمرٌ عمائمُها ... سُودٌ ذوائبُها بيضٌ لياليهَا
كصَعْدةٍ في حشا الظَّلْماء طاعنةٍ ... تسقي أسافلها غيْثاً أعاليهَا
كلَوَّةِ الليل مهما أقْبلَتْ ظُلَمٌ ... أمستْ لها لحظة للصبح تُذْكيها
وصيفةٌ لَسْتَ منها قاضياً وطراً ... إن أنت لم تكْسُها تاجاً يحنِّيها
صفراءُ هنْديْةٌ في اللون إن نُعتتْ ... والقدُّ واللِّين إن أتْمَمْتَ تشْبيها
فالهندُ تقتُل بالنيران أنفسَها ... وعندها أن ذاك القتل يُحييها
ما إن تزال تبيتُ الليل لاهيةً ... وما بها علَّة في الصدر تُلهيها
تحيي الليالِيَ نوراً وهْي تقتلُها ... بئس الجزاءُ لَعَمْرُ اللّهِ تَجْزيها
قُدَّتْ على قدرِ ثوبٍ قد تبطّنَهَا ... ولم يقُدّ عليه الثوبَ كاسيهَا
غرَّاءُ فَرْعاءُ ما تنْفكُّ فالِيةٌ ... تقُصُّ لِمَّتَها طوراً وتَفْليهَا
شيْباءُ شعْثاءُ لا تُكْسَى غدائرُها ... ليلَ الشَّبيبةِ إلاَّ حين تُبْليها
قَناةُ ظلْماءَ ما تنفكُّ يأكلُها ... سنانُها طول طعن إذْ يُشظِّيهَا
مفتوحةُ العين تُفْني ليلَها سهَراً ... نعم وإفْناؤُها إيَّاه يُفْنيهَا
وربما نال من أطْرافِها مرَضٌ ... لم يَشْفِ منه بغير القطع شافِيها
أهلاً بها في سوادِ الليل مُسْعِدةً ... إذا الهموم دعتْ قلبي دَواعِيها
لولا اختلافُ طبائعنا بواحدةٍ ... وللطِّباعِ اختلافٌ في مَبانِيها
بأنَّها في سوادِ الليلِ مُظْهِرةٌ ... تلك التي في سَوادِ القلب أُخْفيها
وبيننا عبَراتٌ إن همُ نظُروا ... غيَّضْتُها خوفَ واشٍ وهْي تُجْريها
ما عانَدتْها الليالي في مطالبِها ... ولا عدَتْها العوادي في مَباغِيها
ولا رمَتْها ببُعْدٍ من أحبَّتها ... كما رمتْني بقربٍ من أعاديهَا
ولا تكابِدُ حُسَّاداً أكابدُها ... ولا تُداجِي بني دهرٍ أداجيها
أبْدَتْ إليَّ ابْتساماً في خِلالِ بُكَى ... وغرَّني أن مَحْضَ الحزنِ يُمْرِيَها
فقلتُ في جُنحِ ليْلِي وهْي واقفةٌ ... ونحن في حضرةٍ جلَّتْ أياديها
لو أنها علمتْ في قربِ مَن نُصِبتْ ... من الورَى لثنَتْ أغطافَها تيهَا
ترى المصابيح زُهْراً من جوانبها ... وقد جلا صفحةَ الغَبْراءِ ذَاكِيهَا

Marfat.com

كـأنَّـهـنَّ نـجـومُ الأُفْـقِ نـازلـةً جاءتْ تُقبِّل أرضاً أنتَ واطِيها

وللصَّابِيّ فيها أيضاً: [البسيط]

غصنٌ من الذهب الإبْريز أثْمرَ في أعـلاه يـاقـوتـةٌ حـمـراء تَـسْـتَـعِـرُ
ترنـو بـعـيـنٍ لـهـا نـورٌ تـقـلِّـبُـه لـيـلاً وتُغْـمِـضُـه والـصبحُ يـنْـفـجرُ
حـتـى إذا قَـذِيـتْ كـان الـجِلاءُ لـهـا قـلـعَ الـسَّـوادِ فـعـاد الـنـورُ يـنْـتـشِـرُ
تأْتِيك ليلاً كما يأتي المُرِيبُ فإن لاح الـصـبـاحُ طَـواهـا دونـك الـحَـذَرُ

١٣٨- نور الدين علي العُسَيْلِيّ

نورُ حدَقةِ الزمان، ونَوْرُ حديقة الحسن والإحسان، وكحلُ عيون الفضلاء والأعيان.

وإنسان طَرْف الظَّرْف، وعارِض وَجَناتِ اللطف.

وقِبْلةُ وفودِ الفضلاء، وفاكهةٌ تتنَقَّل بحديثه النُّدَماء.

ألفاظُه ريحانةُ الأدب، وشَمَّامةُ الطرب.

وكان في عُنْفُوان عمره، يقطِف بالجامع الأزهر مِن رياض العلم غَضَّ زَهْرِه.

في رَبْوةٍ ذاتِ قرار، وجنَّةٍ تجري من تحتها الأنهار.

حتى عبِقتْ من شمائِله نسماتُ النَّدّ، وقطَّرتْ من سَلْسبيلِ أوصافِه مِياهُ المجد.

وما زال يشْتري متاعَ الحياة بجوهرِ عمرِه النَّفيس، معتكفاً في حرَم التأليف والتدريس.

حتى جذَبه ساعدُ الافْتِقار، إلى مخالطةِ دَهْماء الأمصار.

فاندرج في مَقُولةِ الكَيْف، وحاكت ذاتُه بالنُّحول ضَيْفَ الطَّيْف.

حتى قاسَى الأمَرَّيْن: الفقرَ والهَرَم، وهما أسوأُ من الفضيحتيْن:

المعصيةِ والنَّدَم: [الطويل]

ومـا كـلُّ إفْـضـالٍ وإن جـلَّ قـدرُه يـخِـفُّ عـلـى ظـهـرِ الـمـروءةِ حَـمْـلُـهُ
وأكـثـرُ مَـن تـلْـقَـى يـسـرُّك قـولُـه ولـكـن قـلـيـلٌ مَـن يـسُّـرك فـعـلُـهُ
وقد كان حسنُ الظنِّ بعضَ مذاهبي فـأدَّبـنـي هـذا الـزمـانُ وأهْـلُـهُ

فما كلُّ ثمرةٍ تحْلُو على نَمائها، ولا كلُّ بارقةٍ تجود بمائها.

فلما يئِس من الدهر والكرم، حَطَّ رَحْلَ أمله عند الأستاذ البَكْرِيّ في أجلِّ حرَم.

وصِيتُه لركاب أمِلِه حادي، ونورُ غُرَّته في ظُلَم الخطوب له هادِي.

ففتح عاديَّ الكنوز برقَّةِ أسْمائِه، ومَنْدَلِ ذكرِهِ وعِطْرِ آلائِه.

فحلَّ منه مَحَلَّ النوم من الأحْداق والمُدام من الأقداح، وتوجَّه وجْهُ أمِلِه بعد ما أحْرم من الرجاء إلى كعبةِ المجد والسَّماح.

Marfat.com

وَلَهَ به وَلَهَ المحبِّ بالحبيب، ونظرتْ إليه عيونُ أمانِيه نظرَ المريض للطبيب.
فقابله الدهرُ بوجهٍ طليق، واهْتزَّ في روضِ كرمِه غضنُه الوَرِيق.
فكانت غُرَرُ أزْمانه، تحت طِرازِ حُلَلِه وإحْسانه: [الوافر]

عـقـوداً فـي طُـلا الأيَّـام تُـجْـلَـى وطَـرْزاً فـوق أكْـمـام الـلَّـيـالِـي

حتى نَمَّ عليه الكمالُ نَمِيمَ ثغر النَّورِ بلسان النسيم، ونثر كفُّ الدهرِ حسَداً عِقْدَ ذلك الاجْتماع النَّظيم.
فأطفأ صِرْصِرُ الموتِ أنوارَه، ومحَى عيْنَه وما قدِر أن يمحُوَ آثارَه.
وله شعرٌ رائق، ونثرٌ فائق. فمنه قوله من قصيدة له: [البسيط]

هل بالحمى من بدُورِ التِّمِّ إمْكانُ أم في خِلال بيوتِ الحيِّ غِزْلانُ
أمِ الغوانِي تهادَى وهْيَ سافِرةٌ أم الشموسُ أقلَّتْهُنَّ أغْصانُ
سَقَى الحمى ولياليه التي سلفَتْ من أدْمُعِي ومن الوَسْمِيّ هَتَّانُ
حيثُ الرَّقيبُ عَمٍ والضِّدُّ ذو صَمَمٍ والحِبُّ ذو كرم والوقتُ إمْكانُ
وحيث نرْفُل فيَ بُرْدِ الشباب إلىَ تِيكَ القبابِ وغَصنُ العيش رَيَّانُ
يا صاحِ إن لم تَمُتْ من بعدها أسَفاً فإنَّ عيشَك بعد اليوم خُسْرانُ
لي في الديارِ سقَاها المُزْنُ صَيِّبُه غزالُ حُسْنٍ بديعُ الخَلقِ فَتَّانُ
يا رَبْرَبَ الحسن قد بالغتَ في تَلَفِي أما لِهَجْرِكِ يا لَمْياءُ هِجْرانُ
هلاَّ نظرْتِ إلى مُضْناكِ راحمةً فكان يشفعُ منكِ الحسنَ إحسانُ
ولائم ظلَّ يُبْدِي لي نصيحتَهُ لو لم تمُجَّ أُجاجَ اللَّوم آذانُ
وكانَ ظاهرُه عنوانَ باطنِه والوجهُ للقلب فيما قيل عُنْوَانُ

ومنها:

إنِّي امرؤٌ ما حَبِيتُ الدهرَ أمدحُكُمْ لَعلَّ جائزتي عَفْوٌ وغُفْرَانُ
حسَّنْتُ ظنِّي ومَدْحِي فِيكُمُ فعَسى يُقالُ إني على الحالَين حَسَّانُ

ومن مقطَّعاته قوله: [الوافر]

كأن الخالَ في شَفَةِ الذي قد كساني الشيبَ قبلَ أوانِ شَيْبي
قَطاةٌ أُفْرِدتْ من بين سِرْبٍ ترومُ الوِرْدَ من ماءِ العُذَيْبِ

وقوله: [السريع]

كل فِعالِ الحِبِّ محمودةٌ وإن تَجافَى وتَجَنَّى وتَاهْ
فوَصْلُه قطعٌ لِدَاءِ الأسَى وهجْرُه قطعٌ لقولِ الوشَاهْ

وقوله: [م. الرجز]

دَبَّتْ له ذؤابة كحيَّةٍ من خلفِهِ
تحمي ضعيف خَضرِه من خارجيٍّ رِذفِهِ

Marfat.com

وقوله: [الطويل]

كأن الذي أهْوَى على نفِسه جنَى ... فمال على تلك المحاسن بالفَتْكِ
فأغْرق خدَّيْهِ بماء جَماله ... وأوْقع في الظلماءِ ناظرَه التُّرْكي
وألْقَى بنارِ الخدِّ خالاً كأنه ... من المِسْكِ مطبوعٌ فناديْتُ يا مِسْكي
وها جَفْنَه يبكي عليه من الضَّنَى ... وها خَصْره من ثِقْل أرْدافه يشْكي

وقوله: [م. الرجز]

صحيفةُ الخدِّ التي ... للحُسْنِ فيها سُوَرُ
مُذْ حُشِيتْ بعارضٍ ... لم يَبْقَ فيها نظرُ

وفيه توجيه وَجيه.

وفي معناه قول ابن النَّبيه: [المنسرح]

كأن ذاك العِذارَ حاشيةٌ ... خرَّجها كاتبٌ لنسْيانِهْ

ومما قلته من الرُّباعيّات في معناه: [الدوبيت]

غُصُنٌ غضٌّ له المعاني ثمرُ ... يجنى فيظَلُّ دائماً يعْتذرُ
لم ألْقَ شبِيهَ وجهِه في أحدٍ ... إلا المِرْآ صفَتْ وفيها نظرُوا

وقوله: [السريع]

وفاعلٍ يترُكني عامداً ... وهو لرقِّي في الهوى مالكي
أقولُ للناس ألا فاعْجبوا ... من صُنْع هذا الفاعل التَّارِكِ

الفاعل: بلغة أهل مصر، خادم البناء، ويقال: الفاعل التارك عندهم كناية عن القبائح، ففيه إيهام ظاهر. وله: [الطويل]

بكفِّكَ طوفانٌ تروِّي به الورَى ... وعهدِيَ بالطُّوفان يأتي بتنْكيدِ
ولا غَرْوَ أن أرْسَتْ بنا سفنُ الرَّجَا ... ببابِك يا مُولى النَّوال على الجودِي

وله في عبدٍ له يسمى فرَجاً: [البسيط]

إني ابْتُليتُ بزنجيٍّ قبائحهُ ... ليست تُعدُّ على ما فيه من عِوَجِ
كلُّ الأمُور إذا ضاقتْ لها فرَجٌ ... إلاَّ أموري إذا ضاقت فمن فَرَجِ

وله: [المجتث]

يا بحرَ جُودِ نوالٍ ... نَداه للناسِ مَطْمغ
لا تخْشَ في الدهر سُوءاً ... إنَّ انحدارَك يقْلغ

وفيه تورية على مُتعارَف أهل مصر، يعرفها من له خبرة باللسان.

وله في دولاب: [الوافر]

ودولاب مرزْتُ به سُحَيْراً ... يئنُّ كأنَّةِ الصَّبِّ المرُوعِ

Marfat.com

غـدتْ أضـلاعـه تـنْـعَـدُّ سُـقْـمـاً ... ويُـفْـنـي جسـمَـه صَـبُّ الـدمـوعِ
يـدور كـمـن أضـلَّ الإلْـفَ مـنـه ... وذاق تـشَـتُّـتَ الـشَّـمـل الـجـمـيـعِ
فـقـلـتُ لـه فـديْـتُـك مـن كـئـيـبٍ ... كـسـاهُ الـهـمُّ أثـوابَ الـخُـشـوعِ
عـلامَ أراكَ تـبْـكـي كـلَّ وقـتٍ ... وتـهـتـفُ فـي الـمـنـازل والـرُّبـوعِ
فـقـد قـرَّبْـتَ لـي حُـزْنـاً بـعـيـداً ... ونـحَّـانـي نُـواحُـك عـن هُـجـوعِـي
فـقـال أمـا عـلـمْـتَ بـأنَّ مـثْـلـي ... خـلـيـقٌ بـالـصـبَّـابـة والـوُلـوع
فـإنـي كـنـت فـي روضٍ رفـيـعـاً ... أبِـيـتُ مـن الأزاهـر فـي جـمُـوعِ
ولـي فـي الـمـنْـتـمَـى أعـراقَ صِـدْقٍ ... أصـولٌ أنْـجـبـتْ أزكـى فـروعِ
إذا مـا الـوردُ قـابـلـنـي وحـيًّـا ... تـضـرَّجُ وجْـنـتـاه بـالـنَّـجـيـع
ويـصـفَـرُّ الـبَـهـارُ لـديَّ خـوفـاً ... كـصُـفْـرةِ عـاشـقٍ صَـبٍّ مَـرُوعِ
وإن قـصـدتْ بـنـو الآداب رَبْـعـي ... أجـودُ مـن الـنِّـثـار عـلـى الـجـمـيـع
فـقـيَّـضـنـي الـشـقـاءُ إلـى غـبـيٍّ ... شـديـدِ الـبَـطْـش جَـبَّـار قَـطـوعِ
فـألْـقـانـي عـلـى رأسـي صـريـعـاً ... وأنـت مُـشـاهـدٌ حـال الـصَّـريـعِ
وقـطَّـع لُـطْـفَ أوْصـالـي بـعُـنْـف ... وصـار يـدُقُّ عـظْـمِـي فـي ضـلـوعـي
فـصـرتُ أرى الـذي قـد كـان دُونـي ... أنـافَ وصـار ذا شـأوٍ رفـيـع
عـلـى قـلـبـي أدورُ عَـنـاً وأبـكـي ... عـلـيـه أسـى كـمِـقْـلاتٍ هَـلـوعِ
فـكـيـف أُلامُ إن أدمـنْـتُ نـوْحِـي ... وجُـذْتُ بـمـدْمَـع الـطـرفِ الـهـمُـوعِ
وحـالـي نـاصـحٌ أبـنـاءَ جـنْـسِـي ... فـلا تـعـتـد بـالـجـذْع الـمـنـيـع
فـإنَّ الـدهـر كـالـصَّـيَّـادِ كَـيْـداً ... وأسـبـابُ الـقـضـا شَـرَكُ الـوقـوعِ

والدولاب: لفظة معرّبة، لها معان، منها الساقية، وهو المراد. وللشعراء فيه معان كثيرة، من بديعها قول الأمير مجير الدين بن تميم، رحمه الله تعالى:

ودُلاب روْضٍ كان من قبل أغْصُنا ... تـمـيـسُ فـلـمَّـا فـرَّقـتْـهـا يـدُ الـدَّهْـر
تـذكَّـر عـهـداً بـالـريـاضِ فـكـلُّـه ... عيونٌ على أيام عهدِ الصِّبا تجري

وله مضّمناً: [الطويل]

إذا حـمـل الـشـيـخ الـكـبـيـرُ لـه عَـصـا ... فـقـد رحَـلـتْ عـنـه الـلَّـذاذةُ والـهـوى
وعـمَّـمـه الـدهـرُ الـلـئـيـمُ عِـمـامـةً ... ثـلاثـةَ ألـوان بـهـا تـكْـسَـف الـقُـوَى
وجاءتْ له الأحزانُ من كلِّ جانب ... وألقتْ عصاها واستقرَّ بها النَّوَى

والمصراع الأخير مُضمَّن من قصيدة مُعَقِّر بن الحارث البَارِقيّ. وقبله: [الطويل]

تـهـيَّـبـك الأسْـفـارُ مـن خَـشْـيـةِ الـرَّدَى ... وكـم قـد رأيـنـا مـن رَدىً لا يُـسـافِـرُ
وألْـقَـتْ عـصـاهـا واسـتـقـرَّ بـهـا الـنَّـوَى ... كـمـا قـرَّ عـيـنـاً بـالإيـابِ الـمُـسـافِـرُ

Marfat.com

وإلقاء العصا تجعله العرب كناية عن الإقامة، وقد يُجعل عبارة عن الظَّفَر والمسرَّة. ولقد أجاد الباخَرْزيّ في قوله: [م. الكامل]

حملُ العصا للمبْتَلى بالشيبِ عنوانُ البِلَى
وُصِفَ المسافرِ أنه ألْقَى العصا كي يَنْزلاَ
فعلى القياس سبيلُ مَن حمل العصا أن يَرْحَلاَ

ولعمر بن أبي جَبَلة الدِّمَشقيّ وينسب لغيره: [البسيط]

ولي عصَا من جريدِ النخل أحملها فما أقدِّم في نقْل الخُطا قدمِي
ولي مآربُ أخْرَى أن أهُشَّ بها على ثمانين عاماً لا على غَنمِي
كأنَّني قوسُ رَام وهْي لي وَتَرٌ أرْمِي عليها برِيدَ الشيْبِ والهَرمِ

ولأبي العلاء المعرِّيّ: [الطويل]

رُمَيْح أبي سعد حملتُ وقد أُرى وإني بلَذْنِ السَّمْهرِيِّ لرامحُ

أبو سعد: كنية الهَرَم. ورُميح أبي سعد: عصا الشيخ الهَرِم.

وقال صدر الأفاضل: هو أبو سعد بن عاد، وكان من المعمَّرين، وهو أول من اتَّكأ على العصا. وقال بعضُ المعمَّرين: [الطويل]

أعار أبو زَيْد يميني سلاحَه وبعضُ سلاح الدهر للمَرْءِ كالمُ

وأبو زيد: كنية الدهر.

ويقال له: أبو سعد أيضاً، وسلاحه العصا التي يتوكأ عليها الشيخ.

وقيل: إنه كُنْية الهَرم.

وقال ذو الإصْبَع العَدْوانيّ المعمَّر: [الخفيف]

أَمَا ترىٰ شِكَّتي رُمَيْحَ أبي سَعْـ ـد فقد أحمل السلاح معا

وفي «شرح أبيات الكتاب»: أبو سبعد، لُقَيم بن لقمان، وكان كبر حتى مشَى على العَصا.

وقال الجاحظ: رُمَيْحه، عصاه، ولذا صُغِّرت.

وقلت أنا: [الطويل]

رُمَيْحُ أبي سعدٍ إذا حملَتْ يَدٌ وفي السِّنِّ طَعْنٌ ليس عنه يحُولُ
فقد حارب الأيامَ في حَوْمةِ الفنا ومن نازَل الأيامَ فهْو قَتِيلُ

وقلت أيضاً: [الوافر]

إذا حمل العصَا شيْخٌ فأمْسَى ولا يكْفِيه رِجْلانِ اثْنَتانِ
فسوفَ يزيدُها حتى تَرَاها وقد تمَّتْ ثلاثتُها ثَمانِ

كناية عن الموت؛ فإن تابوتَه يُرْفَع بأربعة رِجال. ومما قيل فيها: [م. الخفيف]

قوَّس الدهرُ قامتِي فاتَّخذْتُ العصَا وَتَرْ

Marfat.com

وقال أُسامة بن مُنْقِذ: [م. الرجز]

جـفـانـيَ الـدَّهْـرُ وأبْـ لَـتْـنـي الـلـيـالِـي والـعِـبَـرْ
فـصـرتُ كـالـقـوسِ ومِـن عـصـايَ لـلـقـوسِ وَتَـرْ
أهْـدِجُ فـي مَـشْـيِـي وفـي خَـطْـوِي فُـتـورٌ وقِـصَـرْ

وقال الشَّرِيشِيُّ: [البسيط]

لـمـا تـقـوَّسَ منِّي الـظـهـرُ من كِـبَـرِ وابْـيَـضَّ ما كـان مُـسْـودّاً من الـشَّـعَـرِ
جـعـلـتُ أمْـشِـي كـأنِّي نـصـفُ دائـرةٍ لاحتْ على الأرضِ أو قوسٌ بلا وَتَرِ

وقوله: «وعمَّمه الدهر ثلاث عمائم وثلاثة ألوان»، هي عبارة عن ألوان الشَّعر، فإنه يكون أسود، ثم يصير أشْمَط، ثم يصير أبيض.

وهذا معنى وقع في كلام العرب قديماً، كما قال بعضُ العرب: [الكامل]

قـصَـر الـلـيـالـي خَـطْـوَه فـتـدَانَـى وحـنَـوْنَ قـائـمَ صُـلْـبِـه فـتَـحـانَـى
يـا مَـن لـشـيـخ قـد تـخـدَّدَ لـحـمُـه أفْـنَـى ثـلاثَ عـمـائـم ألْـوانَـا
سـوداءَ حـالـكَـةً وسَـحْـقَ مُـفَـوَّفٍ وأجـدَّ لـونـاً بـعـد ذاك هِـجـانَـا[1]
والـمـوتُ يـأتـي بـعـد ذلـك كـلَّـه وكـأنـمـا يـغْـنِـي بـذاك سِـوانَـا

وله تآليف كثيرة، أجلها: «شرح المغني»، وهو تأليف جليل عما سواه مُغْنِي.

وقال فيه: إنه هذَّب معانيه، وأودع فيه حُوراً عِيناً في جنةٍ أبوابها ثمانية، يشير إلى قول البدر الدَّمامِينِيّ: [الطويل]

ألاَ إنَّـمـا مُـغْـنِـي الـلـبـيـبِ مُـصـنَّـفٌ جـلـيـلٌ بـه الـنَّـحْـوِيُّ يـحْـوِي أمـانِـيَـهْ
فـمـا هـو إلاَّ جَـنَّـةٌ قـد تـزَخْـرفَـتْ ألـم تـنـظـر الأبـوابَ فـيـه ثـمـانِـيَـهْ

وهو من قول الحسين بن مُصدّق الواسِطِيّ، من شعراء «الخريدة»:

دِمِـشْـقُ فـي أوصـافِـهـا جـنَّـةُ خُـلْـدٍ راضِـيَـهْ
أمـا تَـرى أبْـوابَـهـا قـد جُـعِـلـتْ ثـمـانِـيَـهْ

وقلت أنا: [م. الرجز]

مُـغْـنِـي الـلـبـيـب جـنَّـةٌ أبـوابُـهـا ثـمـانِـيَـهْ
أمـا تـراهـا وهْـيَ لا تـسـمـعُ فـيـهـا لاغِـيَـهْ

ومن البيوت العامرة بمصر، بيت السادة الوَفائِيَّة: فمنهم:

---

(١) سحق الثوب: أبلاه، القاموس المحيط، مادة /سحق/.
ثوب مفوف: ضرب من برود اليمن، أو ما فيه خطوط بيض. القاموس المحيط، مادة/ فوف/.
الهجان من الإبل: البيض. القاموس المحيط، مادة /هجن/.

Marfat.com

١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢- السيد علي وفاء، وأولاده

المُعلَّق على عاتقِ السيادة نِجَادُه

ساداتُ السادات، لهم المجدُ والزهدُ عادات.

لهم أنفسٌ قُدْسِيَّة، أُفِيضتْ عليها العلومُ اللَّدُنِّيَّة.

لم يخالفْ أحدٌ منهم مِلَّةَ جدِّه المختار، إلا أنه نظَم جواهر الأشْعار.

ولهم شوارِد مَقال، لها السمعُ مُناخٌ والعقلُ عِقال، تخالها تربَّتْ في سُوَيْداء البِطاح وآباطِ الجبال.

بحارٌ طمَتْ وعلَت رُبَا المعالي والقُلَل، فتوارت البحارُ في منْخَفَض الوِهاد من الخجَل.

وبيتُهم الآن معمور، ولواءُ فضلهم على كاهل الدهر منْشور.

ولهم مَساعٍ ومآثِر، ورِثوها كابِراً عن كابر.

وَرِيُّ زَنْدِهم ولم يَقْدَح فيه قادح، فضرِبتْ لهم آباطُ المفاوِز. [الطويل]

وسالتْ بأعناقِ المَطيّ الأباطحُ

وتوقَّدت من مِشْكاةِ الحقيقة مصابيحُهم ذاتُ اللألاء، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

ما منهم إلا صاحبُ ديوان، نافِذ في سبيل البلاغةِ بسُلْطان.

ألطفُ من الأمطار، إذا وَسَمتْ بالنَّبْتِ شِفاهَ الأنْهار.

فمن «ديوان السيد علي وَفا» قوله: [الطويل]

تغيَّبتَ عن عيني فغْيبُك شاهدِي ... ووجْهُك مشهودِي وما عنْك عائِقُ

فإن غبتَ فالأشْباح منِّي مَغارِبٌ ... وإن لُحْتَ فالأرْواحُ منِّي مشَارِقُ

ولأبي اليقْظان الوَفائِيّ: [البسيط]

كأنَّ وجهَك مِغْناطيسُ أنفسِنا ... فحيثُما دُرْتَ دارتْ نحوَه الصُّوَرُ

ولأبي التَّداني الوَفائِيّ: [الخفيف]

كلُّ ما في الوجودِ منكَ مَلِيحُ ... ليس فيه يا نورَ عيْنِي قبيحُ

مَذْهبي فيك يا وُجودِي وعيْنِي ... مذهبٌ صادقٌ قويمٌ صحيحُ

لم تزلْ قائلاً لكلِّ مُحِبٍّ ... كلُّ ما يفعل المليحُ مليحُ

ولسيدي محمد بن أبي الفضل الوَفائِيّ، من قصيدة له: [الطويل]

ألا صاحِبٌ كالسيفِ حُلْوٌ شمائِلُهْ ... يسائِلُني عن فِتْنتي وأُسائِلُهْ

يدورُ غرامٌ بيْنَنَا كلما انْقضَتْ ... أواخرُه عادتْ علينا أوائلُهْ

Marfat.com

رعَى اللّهُ أياماً أهاج بَلابِلي ... إلَيْهِنَّ روضٌ قد تناجَتْ بَلابلُهْ
فما راقنِي في الماءِ إلاَّ صَفاؤُه ... ولا شاقنِي في الغُصْنِ إلاَّ تمايُلُهْ
كأنَّ به القُمْرِيَّ صبٌّ له الصَّبا ... رسولٌ وأوراقُ الغصونِ رسائلهْ
مَصارِفُ هَمِّي في مُناجاةِ طَيْرِه ... إذا أنْفذتْ لي ما حوَتْهُ حَواصِلُهْ

منها:

رَشاً فيه قد أمَّلْتُ ما لا أنالُه ... مُغالَطةً حتى كأنِّيَ نائلُهْ
وكان حسابي أنَّ غَلْطاتِ خاطرِي ... تصِحُّ إذا بالجَبْر منه يُقابِلُهْ

وله أيضاً: [الطويل]

على وجْنَتيْهِ جنَّةٌ ذاتُ بهْجةٍ ... ترى لعُيونِ الناسِ فيها تَزاحُمَا
حَمى وَرْدَ خدَّيْه حُماةُ عِذارِه ... فيا حسنَ رَيْحانِ العِذار حَماحِمَا

حَمَى حِمَى

والحماحم: نوع من الرَّيحان معروف في اللغة والعرف.

وله أيضاً، قدّس الله سرّه: [الكامل]

يا مَن يبالغُ في سَقِيَّةِ خدِّه ... ماءَ الحيا ولذاك قيل مُورَّدُ
في خدِّك الراحُ التي بكؤُوسِها ... سكِرتْ لحاظُك فهْيَ فيَّ تُعَرْبِدُ
سُدْتَ الأنامَ غداةَ خدُّك أبيضٌ ... واليومَ خدُّك بالعِذارِ مُسَوَّدُ
نسَخ العِذارُ مَلاحةً بملاحةٍ ... قلَمٌ بِسعدِك لا يزال يُجوِّدُ
قلبٌ يميلُ إلى حديثِك هل له ... فيما يُؤمّل من ورائِك مُسْعِدُ
عكَفتْ على مُضْناكَ أرواحُ الضَّنَا ... فلأنْتَ للطَّرَبِ المحرِّكِ مُبْعِدُ
فعلى مُحيَّاك السلامُ فَديْتُه ... بالنَّفْسِ بل بالعينِ فهو مُؤَكَّدُ
وعلى فؤادِي المسْتجِيرِ تحيَّةٌ ... ما طار نحوَ رُبا الرياضِ مُغرِّدُ

وفيه مع التَّوْرية مُراعاة النَّظير، التي ليس لها في الحسن نَظير.

لما فيه من الجمع بين التبْييض والتَّسْويد، المعروف بين المصنفِّين.

وكذا التجويد؛ فإن معناه التَّحْسين، ويُطلَق في العرف العام على تحسين الخطّ، وفي عرف أهل الأداء على تحسين مَخارج الحروف وهيْئاتها.

ومما يعجبني هنا قول القاضي الفاضل في وصف المسوَّدات:

«المسوَّدات للأقوال، كالأخْشاء للأجِنَّة والحجور للأطْفال.

إن خرج منها ما لم تُنْضِجْه الأرْحام، لم يبلغ التَّمام.

وإن فُطِم قبل بلوغ أشُدِّ الفِطام، فربما كان عُرْضَةً للسّقام.

وما جعلت إلاّ ليسْتنِد لها صاحبُها، لأنها بِذْلة الخاطر تارة يخلع الثياب فيكون عريانا، وتارة يأخذ مِغول قلَمِه فينْقُب من الناس جدرانا».

Marfat.com

ومنهم الآن شيخ السالكين، ورأس العلماء العاملين:

١٤٣- شيخنا أبو المكارم، وأبو الإسعاد

قدّس الله سرَّه

ولما عاد من الحج أدركه الأجل، فقلتُ أرْثيه: [الطويل]

قَضى نَحْبَه والحجَّ قطبٌ لرُوحِه ... دعا ربَّه نحو الجِنانِ فلَبَّتِ
فمن حَجَّ للبيتِ العتيق على تُقىً ... فرُوحُ أبي الإسْعادِ للّهِ حجَّتِ
ومَن حجَّ للرحمن إحرامَ حِجَّةٍ ... مجرّدة عن جسمهِ دون مَوْقِتِ
فلا برحتْ سُحْبُ الرِّضَى فوق قبْرِه ... مُظلّلةً هطّالةً سُحْبَ رَحْمةِ

ومن البيوت التي كانت بالفضائل آهِلة، ومن مِياه النعيم المُقيم ناهِلة، بيتُ الطَّبْلاَوِيّ. فمنهم:

١٤٤- العلامة ناصر الدين

وقد أدركتُه في زمَن الطُّفوليَّة، فرأيت به رُتْبةً عِليَّة، وآثاراً في التحقيق والتَّدْقيق جَليَّة.

وحفيدُه صديقي وفي زمن التَّحصيل رفيقي وهو:

١٤٥- العلامة منصور

حاملُ عَلَم المجدِ وناشرهُ، وجالبُ مَتاعِ الفضل وتاجرهُ.

١٤٣- يوسف بن عبد الرزاق الأستاذ أبو الإسعاد بن أبي العطاء بن وفاء المالكي المصري. كان علامة زمانه في التحقيق، وله الشهرة التامة بالمعرفة التامة، وله الشعر الحسن، والنثر الذي يعجز عن محاكاته أرباب الفصاحة. أخذ العلوم عن أبي النجاء السنهوري، وأبي بكر الشنواني، والدنوشري، والشيخ فايد الأزهري والأجهوري، ولبس الخرقة وتلقى طريقتهم الوفائية الشاذلية عن عمه الأستاذ محمد. وحج مرات وأتى البيت المقدس.
وكانت وفاته في مرجعه من الحج سنة إحدى وخمسين وألف، وصلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن في زاوية سلفه السادات بني الوفاء. خلاصة الأثر (٤/٥٠٣).

١٤٥- منصور سبط شيخ الإسلام ناصر الدين الطبلاوي، نسبة لبلدة بالمنوفية من أقاليم مصر، الشافعي الشيخ العالم المحقق. برع في التفسير والفقه والحديث والنحو والتصريف والمعاني والبيان والكلام والمنطق والأصول وغيرها من العلوم. ولد بمصر وبها نشأ وحفظ القرآن بالروايات واشتغل بعلوم الشرع والمعقولات، وأخذ الفقه عن الشمس الرملي والعربية عن أبي النصر بن ناصر الدين الطبلاوي، ولازم في العلوم النظرية المحقق الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وبه تخرج. وحصل وجمع وأفتى ودرس ولازمه بعده جل تلامذته. وألف المؤلفات=

Marfat.com

وكان ممن شَدّت إليه مُسائلةُ الفضل رِحالَها، إذ وَرِث من سماء المعالي بدرَها وهِلالَها.

وحوَى طارِفَها وتَليدَها، وأرضع من دَرِّ العلوم كهْلَها ووَليدَها.

ووضع الهِناء مواضِع النُّقَب[1]، وسفَرتْ له خرائدُ العلوم رافعةَ النُّقُب[2]، وتزيَّنتْ بمنظومِه ومنثورِه صدورُ المجالس والكُتب.

مع رياضِ مكارم عَطِرٌ نفَحاتُها، عليلٌ من فَرْطِ الدَّلِّ نَسَماتُها.

وكانت تهُبُّ عليَّ بالمكاتبة نَسَماتُ أسْحاره، ولم أزلْ أتلَقَّى الرُّكْبانَ لاشْتراء أخبارِه.

حتى طَنَّ نَعْيُه على آذاني، فكدَّر عليَّ مَشْرَبَ الحياةِ وآذاني.

ومن أتْباعه ومواليه، الواردين لماءِ الحياة بنَادِيه:

١٤٦، ١٤٧- السيد محمد، وأخوه عبد اللّه

هما روْضا فضلٍ وبيَان، فيهما من الفضل عيْنان تجرْيان.

وبَحْرا مجـدٍ يحفُّهما مَرْجان، ويخرُج منهما اللُّؤلُؤ والمَرْجان.

وهما زَهْرتان من شجرةِ النُّبوَّة، ونَبْعتان من وَشِيج الفُتُوّة.

سُقِيا بماء المكارم، وسحَّت على رياضِ سَجِيَّتهما غُرُّ الغَمائم.

حتى تدفَّقتْ جنَباتُهما، واخضرَّتْ بالنَّدى عَذَباتُهما.

= السنية، ومن مؤلفاته: شرح على الأزهرية، ونظم عقيدة النسفي، ونظم الاستعارات وشرحها، وغير ذلك من كتب ورسائل.
وكانت وفاته بمصر في سنة أربع عشرة بعد الألف. خلاصة الأثر (٤/ ٤٢٨).

(١) النُّقَبُ: القطع المتفرقة من الجرب. القاموس المحيط، مادة /نَقَبَ/.

(٢) النقاب: ما تتنقب به المرأة. القاموس المحيط، مادة /نَقَبَ/.

١٤٧- السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني المغربي الأصل، ثم القاهري الشافعي المعروف بالطبلاوي لنزوله بمصر عند الشيخ العلامة ناصر الدين الطبلاوي الشافعي، وكان أعظم شيوخه، وأخذ عنه عدة علوم منها: علم القراءات وساد فيها سيادة عظيمة بحيث أنه كتب فيها حواشي على شرح الشاطبية للجعبري. وانفرد بعلم اللغة في زمنه على جميع أقرانه بحيث أنه كتب نسخاً متعددة من القاموس واختصر لسان العرب وسماه «رشف الضرب من لسان العرب» لم يكمل، وكان عارفاً بارعاً بعلم العروض، وله شرح على تأنيس المعروض في علم العروض، وله شرح على عقود الجمان في المعاني والبيان تأليف الجلال السيوطي، وله حاشية على حاشية العلامة البدر الدماميني على مغني اللبيب لابن هشام. كان من المشتغلين بالعلم فقهاً وأصولاً، ومن أعيان الأدباء نثراً ونظماً، وكان خطه يضرب به المثل في الحسن والصحة.

وكانت وفاته في سنة سبع وعشرين وألف، وصلي عليه بالأزهر، ودفن بالقرب من العارف بالله تعالى سيدي عمر بن العارف، وقد ناهز السبعين، وكان مولده بقرية يقال لها أبو الريش بالقرب من دمنهور الوحش بالبحيرة. خلاصة الأثر (٣/ ٦٦).

Marfat.com

وكُسِيا من سُنْدُس الجنَّات، ونشرا بخصِيب أوْبتِهما الحسَنات.
فاخضَلَّ بهما وادي الهُدَى، حتى أثقلَتْه ثِمارُ المكارم والنَّدَى. [الطويل]

تكاد يدِي تندَى إذا ما لمسْتُه ... وينْبُت في أطْرافِها الورَق الخْضرُ

مصابيح فكرِهما مشارقُ الأنْوار، وأحاديثُ كمالهما صحيحةُ الآثار.
ومَطارِف نادِيهما مُوشَّاةٌ بالحُبور، ورياضُ نَداهُما مُبتسِمةُ الثُّغور.
وطِرْف هِمَّاتهما في مِضْمار العَلْياء سابِق، ومُخَيَّم عُلاهما لَهُ على الأثيرِ سُرادِق.
ولسانُ براعتِهما بالبلاغَةِ ناطق، وجعْفَر فضلِهما إذا وعَدَ وارداً عليه فيا له من جعفرٍ صادق.
وشعرُهما ونثرُهما مأثور، ولواءُ حَمْدِهما على كاهل الدهر مَنشور.
وقصيدة السيد عبد اللّه التي مَدح بها أستاذَه ناصرَ الدين، والتزم في قوافيها تجْنيس الخال التي مطلعها: [السلسلة]

يا سِلْسِلة الصُّدغ من لواكِ على الخالْ

مشهورة.
ومما روَيْناه للسيد محمد قوله: [المنسرح]

لم أنْسَ يا روضةَ المحاسن إذْ ... خَلاَ بكِ الصَّبُّ والخَلِي جُمعَا
ونحن في روضةٍ مُمنَّعَةٍ ... يروقُنا البحرُ والخَليجُ معَا

وقوله: [البسيط]

لم أدْرِ أيُّهما أحْرَى بمَرْحَمةٍ ... قلبي وعيني على الإحْراقِ والسَّهَرِ
حتى أنار فؤادي صبحُ حُجّتِه ... وقال إني على طول الزَّمَانِ حَرِي ق

وقوله: [المجتث]

يا ربَّةَ الخالِ كُفِّي ... عبْدَيْكِ عمَّا أمَرْتِ
قد سلَبْتِ البرايا ... بأمْحرِي وسحَرْتِ

وقوله رحمه اللّه تعالى: [الكامل]

يا ربّ أطْلُبُها وتنْفِر دائماً ... لمَّا ترى منِّي تملُّق صائِد
إن رُمْتُ أنظرُها تقول عواذِلي ... أو رُمْت أمدحُها تمَلُّ قصائدِي

وقوله: [مخلع البسيط]

سرقْتَ نومِي بالبُعْدِ عنِّي ... فعَزَّ صبرِي وقد تعَسَّرْ
وسُرَّ ضِدِّي بطولِ صَدِّي ... فكنتَ في ذَاك رأسَ مَنْسَرْ

وهذا كقول صاحِبنا يحيى الأصِيليّ: [م. الرمل]

قيل لي إن فُلاناً ... قد تعالى وتكبَّرْ
ولمن قد ساءَ رأسٌ ... قلتُ لا بل رأسُ مَنْسَرْ

Marfat.com

والمَنْسَر: قوم من المكابرين السَّرَّاقين معرفون.
ومن البيوت بمصر بيت السادة البَكْريّة، وهو البيت المعمور: [الكامل]

إن الذي سمَك السَّماءَ بَنَى لنا ... بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطْوَلُ

١٤٨- الأستاذ أبو الحسن البَكْرِيّ

وهو جامعُ الفضائلِ والمحاسِن، ومُظهر اسم الظاهر والباطن.
الذي شيَّد لهم مَنارَ الطريقة، وجاز من قَنْطرة المجازِ إلى الحقيقة.
وتآليفُه وآثارُه، وكلماتُه التامَّة وأخبارُه.
غنيَّةٌ عن البيان، مُسطَّرة في صحفِ الإمْكان.
ثم خلفَه من بعدِه، ونشَر في الخافقيْن لواءَ حمدِه:

١٤٩- الأستاذ محمد بن أبي الحسن

وله فروعٌ بسقتْ من دَوْحة المجد، ورَبَتْ في رُباه بين تِهامة ونجد.
من كلٍّ من لبس رداءَ النجابة في صِباه، ولاح عنوانُ المكارم على صحائف عُلاه.
ولم تقصُر عليه أثوابُ مجْدِه، التي ورِثَها عن أبيه وجدِّه.
فعلى جبينه نورُ نسَب، يُخبر أن خلف الدُّخان لَهَب.
وتحت الرَّغْوة الفصيح، من اللَّبن الصَّريح.
غادةُ دَوْلتِه سابغةُ المِرْط، بعيدةُ مَهْوَى القُرْط.
يُصغي له الدهرُ إذا نهى وأمر، إصغاءَ نَشْوان إلى صوت وَتر. [البسيط]

مُستيْقظُ الحزْم واري العزم ثاقبُه ... هُمومُه حين تبْلوهنَّ هِمَّاتُ
صافِي الطَّويَّةِ مِن غِلٍّ يكدِّرُها ... وأوّلُ المجد أن تصْفُو الطَّويَّاتُ

ولقد جرتْ بينهم منافسات، وأمور تُسْكَب عندها العَبَرات.
فلم يزل كلٌّ منهم ينقُص أخاه ويغُضُّ منه، ويقول لسانُ حاله: أخوك البَكْريّ فلا تأمَنْه.
كما قال الصَّنَوْبَريّ: [الخفيف]

أحمَدُ اللّه قد ألاحتْ بروقٌ ... منكَ بالوُدّ لا تزال مَليحة
حسنُ قوْلٍ وسوءُ فعلٍ كما سمَّـ ... ـى المسمّى في وقتِ ذَبْحِ الذَّبيحة

ومنه أخذ ابنُ الوزْدِي قوله: [م. الرمل]

قد بُليْنا بأميرٍ ... ظلَم الناسَ وسبَّخ
فهو كالجزّار فيهم ... يذكرُ اللّهَ ويذبخ

Marfat.com

١٥٠- والأستاذ زين العابدين

زَينُهم ونُور غُرَّتهم، وقائدُ جيش أسْرتهم، وحاملُ لواءِ عزَّتهم.
لم يزلْ سَمْحَ السَّجيَّة، بَسَّام العِشيَّة.
لم تِلنْ لغامزِ قَناتُه، ولم تغَصَّ بماءِ بشْره عِداتُه.
إلى أن أصابته الرَّزايا، ورمَتْ فؤاده بسهام المنايا.
فنضَبتْ جداوِله، واستراحَتْ حُسَّادُه وعواذِلُه.
وصمَّ صَداه، وسُرَّت عِداه.
وله نظم ونثر، وفضلٌ طيِّبُ النَّشْر. وخلفه:

١٥١- الأستاذ الإمام أبو المواهب البكريّ

بدرٌ لاح في سماءِ المناقب، وسما شرفاً على الكواكب.
فأوْرق رَوْضُ نداه وأثْمَر، ونادَم العيشَ والعيشُ أخْضر.
وله شعر، منه قوله: [م. الرجز]

عبدُ النَّبيِّ قاتِلي بعَيْنه وحاجِبهْ
واعجباً لَعَبْدِه يقتُلُ نجلَ صاحِبهْ

أما أصلُ هذه الشجرة فهو نادرةُ الدَّهَر، وغرَّة وجْهِ العُصُر.
إنسانُ عين الأقاليم، فريدُ عِقْد المجد النَّظيم.
مَوْردُ فضلٍ عذُبَتْ مناهلُ وِرْدِه، وربيع كرم تقطِف أيدي الآمال غضَّ وَرده.
سائلُه يَرْفُلُ في بُرودِ الغِنى حالياً، ويكْفيه تسليمهُ عليه تقاضِياً.
فالنِّيل يُشِير بالأصابع إلى وَفائه، والعَنْبَر الرَّطْب عبدٌ لحرِّ جودِه وثنائِه. [م. الكامل]

مَن ليس يشْرَقُ بالسُّؤْا لِ ولا يغَصُّ من الندامَهْ

جامعُ ما تفرَّق من شمل الفضائل، تهزُّه الأريحيّة بشمائل الشمائل.
مالك أزِمَّة البيَان، سابقٌ لمن يُجارِيه في مِضْماره من الفُرْسان.

١٥١- أبو المواهب بن محمد بن علي البكري الصديقي المصري الشافعي. ولد في حياة أبيه ونشأ في عزة وافية، وكان في بداية أمره مائلاً إلى الخلاعة وكانت مجالسه مشحونة بأنواع الطرب من المسمعين وصنوف الملاهي، وكان لما مات والده جرى بينه وبين إخوته منافسات وأمور تسكب عندها العبرات حتى استقر الأمر لزين العابدين إلى أن وقع قلبه وكان أبو السرور مات قبله فسمت الرتبة إلى أبي المواهب. وتصدر للتدريس وإملاء التفسير ودرس بالمدرسة الشريفة المشروطة لأعلم علماء الشافعية تلقاها عن والد زوجته الشمس محمد الرملي، وكان ينظم الشعر، وله ديوان يشتمل على دقائق ورقائق.
وكانت ولادته في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، وتوفي في سنة سبع وثلاثين وألف، ودفن بتربة آبائه بالقرافة. خلاصة الأثر (١/ ١٤٥).

Marfat.com

أوْحد الفضلاء مجداً، وأصْفاهم من قذى الرياء وِزْداً.
حديثُ أخلاقه الغُرّ، وغُرَر سِماته الزُّهْر، عنوانُ كتاب المكارم.
ورياضُ فضائله الخضْرِ، ورقيق نائله الحرّ، لمآثر حاتم خاتم.
ناظمُ ما انتثر من المآثر، فَذْلكةُ دفتر كمالِ الأوائل والأواخِر.
تِرْبُ الحدائق جرّ عليها النسيمُ أذْياله، فتنبَّهتْ عيونُ أزهارها وتثنَّتْ قدودُها الميَّادة الميالة.

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٢] لَلأرضُ بمسِّ نِعاله يفاخرُ العنبَر الرَّطبَ ثراها.

فعلمُه حدِّثْ عن البحر ولا حرَج، وبراعةُ منطقِه تنتج سلْبَ الألباب والمُهَج.
مع حسنِ منظر تتزاحم عليه وفودُ الأبصار، وفيضِ نوالٍ تضطرب لِغيرتها منه البحار.
كم سارتِ الصَّبا مُعطَّرةً بنشْره، ونشرت له صِيت كرمٍ طوى ذكرَ حاتم طيئ بنشْره.
سار سِيَرة الملوك، ونثَر فرائد النصائح من أسْلاك السُّلُوك.
لِيُحسن نظمَها في عِقْد العلم والعمل، وتُصان في حِقاق الآذان ذخيرةً للأمل.
فلو فهمت الوُرْق سَجْعه في الخُطَب، خلعت عليه أطواقَها من الطَّرَب.
وقد اجتمع فيه من الكمال، ما تُضرَبُ به الأمثال.
إن ذُكِر جودُه فما الطَّائيّ، أو فصاحته فما أبو تمام الطَّائيّ.
أو حِدَّة ذكائه فما إياس، أو همَّته الهاشميَّة فما أبو فِراس.
وزمانُه كان عُرْسَ الفلَك، فكم قال له الدهرُ أمَّا الكمال فلَك. [الكامل]

بحرٌ من الفضل الغزير خِضَمُّه طامِي العُباب وما له من ساحلِ

ولم يزل كذلك حتى غرُبت شمسُه، ووراها في عينِ حَمِئة رَمْسه.
وقد رأيته وقد شُدَّت بالصِّبا أمْراسي، وطَيْلسان الذوائب عبَّاسيّ.
وتمائمُ الصِّبا في جِيد عمري، وما شبَّ عن طَوْق الصِّبا عمرِي.
ودخلت في إجازته العامّة، مع جملة الخاصة والعامّة.
فمما رويتُه من آثاره، وخَبَأْت في حقيبة الفكر من مَتاع أشعاره، قوله: [السريع]

يا يومَ بُولاقٍ وأُنسِي به حَكاكَ من شوّالَ يومُ الهلالْ
وأقبل النيلُ جُنوباً وما مِن عارِض إلا نسِيمُ الشَّمالْ
يا عارضاً أوجبَ للنيلِ ما سَلْسَلهُ وهْو طليقُ المجَالْ
وقهوةً تنضَح مسكاً ولا بِدْعَ ففي الفِنْجان شكلُ الغَزالْ
حَبابُها من فوقها مانعٌ نِفارَه فهْو شِباكُ اللآلْ

Marfat.com

تُديرُها هيفاءُ مَمْشوقةٌ خَودٌ تثنَّتْ في بُرودِ الدَّلالْ
كاد حِجَى مَن أقبلتْ نحوه يذهبُ من رَنَّاتِ تلك الحِجالْ
بغُرَّةٍ أو طُرّةٍ وَزَّعتْ أفكارَنا بين الهدَى والضلالْ
تقول للشمسِ وقد أقبلتْ تَلَثَّمِي ما أنتِ إلا خَيالْ

و«بيت الغزال» من السِّحر الحلال، وهو بيت القصيد. وقد قلتُ في معناه: [الطويل]

أقول وقد دارتْ بنادِيَّ قهوةٌ وقد سرَّني منها الغَداةَ صَبوحُ
أصورةُ غِزْلانٍ بفِنْجان قهوتِي إذا زفَّها ساقٍ إليَّ صَبِيحُ
أم الظَّبيُ حقّاً قد تردَّى به فمِن دمِ طَفَح المسك الذكيُّ يفوحُ

وقوله «حبابها» إلى آخره، كقول ابن حَمْدِيس: [البسيط]

بِكرٌ حَصانٌ إذا ما الماءُ واقَعَها أبْدَتْ لنا زبَداً من شدّةِ الغَضَبِ
كادتْ تطير وقد طِرْنا بها فرَحاً لولا الشباكُ التي صِيغَتْ من الحَبَبِ

ومنه أخذ القِيراطِيّ قوله: [الرمل]

صُبَّ في الكأسِ عَقِيقٌ فجرى وطفَا الدُّرُّ عليه فطفَخْ
نصَب الساقي على حافاتِه شَبَكَ الفضةِ فاصْطادَ الفرَخْ

وله أيضاً: [السريع]

ما أرسل الرحمنُ أو يُرْسِل من رحمةٍ تصعدُ أو تنزِلُ
في ملكوتِ اللّه أو مُلْكِه من كلِّ ما يَختَصُّ أو يشْمِلُ
إلاَّ وطه المصطفى عبدُه نبيُّه مختارُه المرسَلُ
واسطةٌ فيها وأصْل لها يعلَم هذا كلُّ مَن يعقِلُ
فلُذْ به في كلِّ ما ترتجي فهْو شفيعٌ دائماً يُقْبَلُ
وعُذْ به في كلِّ ما تخْتشِي فإنَّه المرجِعُ والمَوئِلُ
وحُطَّ أحمالَ الرَّجا عنده فإنه المأمَلُ والمعقِلُ
ونادِه إن أزْمةٌ أنشَبتْ أظفارَها واستحكَم المُغْضِلُ
يا أكرمَ الخلقِ على ربِّه وخيرَ مَن فيهم به يُسأَلُ
قد مسَّني الكربُ وكم مرَّةٍ فرَّجْتَ كرباً بعضُه يُذْهِلُ
ولن ترى أعْجزَ منِّي فما لشدَّةٍ أقْوَى ولا أحمِلُ
فبالذي خصَّك بين الورَى برُتْبةٍ عنها العُلا ينْزِلُ
عجِّل بإذْهابِ الذي أشْتكِي وإن توقَّفتَ فمَن أسأَلُ
فحِيلتي ضاقتْ وصبرِي انقْضَى ولستُ أدرِي ما الذي أفعلُ
فأنتَ بابُ اللّهِ أيُّ امرِئٍ أتاه من غيرِك لا يدخلُ

Marfat.com

صلَّى عليك اللّهُ ما صافحتْ زُهْرَ الرَّوابي نَسْمةٌ شَمْألُ
مُسلِّماً ما فاح عِطْرُ الحمَى وطاب منه النَدُّ والمَنْدَلُ
والآلِ والأصحابِ ما غرَّدتْ قُمْرِيَّةٌ أُمْلودُها مُخْضَلُ

ومما يقطُر منه ماءُ الفصاحة، وتمسَح وجهَ جوادِه راحةُ الملاحة.

من السهلِ الممتِنع، والعذبِ السائغ في مَذاقِ كلِّ مُستمِع.

قوله في مناجاتِه، وظهر أنوار التَّجلِّي بمِشْكاتِه: [الخفيف]

إن يوماً يمرُّ ذكرُك فيه ذاك عندي لأيِّ يوم مُبارك
ربِّ إني عبدٌ ذليلٌ ضعيفٌ فلِحالي باللطفِ منك تَدارَكْ
كلُّ قَطْرٍ أصابني منك بحرٌ كيف والحالُ فيَّ تجْرِي بِحارُكْ
كلُّ جزءٍ مني لسرِّك دارٌ عمَّر اللّهُ يا حبيبي ديارَكْ
مَن رآني رآك من غيرِ شكٍّ أيُّ شكٍّ وقد جُعِلتُ مَزارَكْ

وقوله: [السريع]

أقول وقد قيل لي كم مضَى أديبٌ له حُسْنُ نظم جليلِ
دَعُوا كلَّ ذي أدبٍ ينْقضي ويحيى العُسَيْلِي ويحيىَ الأصِيلي

وكان يوماً في مُنتزَه نِضر، تلاقَى في شاطئِه ماءُ الحياة والخَضِر.

في مَنازِه منازلِ انتظمتْ انْتظامَ النجومِ في نَهْرِ المَجرَّة، والنيلُ يجري مضطرباً لمفارقةِ ما في أوطانِه من المسرَّة.

ولسانُ النسيم يصفُ نَشْرَه، ويعطِّر بالثناء عليه بَرَّه وبحْرَه.

وحَصْباؤه تفوق الجوهر، ومُسْوَدُّ طِينه يفاخر المسكَ والعَنْبر.

فكتب إلى النُّور العُسَيْلِيّ ليتحلَّى بمفاكهتِه، ويجْتنيَ من أدبه غَضَّ فاكهتِه.

يسْتدعيه إلى أن ينزل بَدرُه في بُروج تلك المنازل، ويُسلِّيه عن عرَضِ ألمَّ بجوهر ذاتِه من الدَّمامِل. رقعةً صورتُها:

سيدنا البرُّ الذي يجري بحرُ الفضائل من برِّه، ويعذُب الوِرْد والصَدر بما يصدُر من صَدْره.

ويفيضُ إحسانُه نهراً لراجيه وآمِله، وتبتدِرُ الأنامُ لتلقِّي تَيار أناملِه.

وتتزاحمُ على سِيف زَخَّار علومِه، تزاحُمَ رقابِ أعدائه على سَيْفِه وخُصومِه.

ويخضَرُّ خَضارة الدوّ، وقد أسبَل عليها من صَوْبِ مَدَدِه بردُ الجوّ.

ولينام الأنامُ من ظلِّه بوَرِيفِه، وتأمَنَ من صُروفِ الدهرِ وحَيفِه.

أبقاك اللّهُ وبحرُ أفضالك في مَزيدٍ يُشار إليه بالأصابع، والوفاءُ طبائع، فغيْر المُخْلَق بُرْدُه إذا تخلَّق بمقْياسِك لكلِّ أصْفرِ فاقِع.

Marfat.com

والحبْر يمْتاح من كسْرِ عدوِّك بعاملِ الجرّ من الرفع إلى الخفض، فالمدُّ والإطْناب والوصل بهَمز القطع بالطُّول والعَرْض.

ممَّا لم يُدْرِكه فلَكِيٌّ ولو طرَح في نهر المجرَّة شباكَ الجداول، ولا رَصْدِيٌّ ولو تجاوز السَّرطانَ والسِّماك من المنازِل.

علِم سيدُنا لا زالت أمواجُ فضلِه تَنْثُر لآلئَ الإحسان وتنْثُل، ولا فتِئَ نَهْرَ اللّه إذا كان غيرُه نَهْرَ مَعْقِل.

أنَّ مدينةَ بُولاق هي مجتمَع البُحور، ومدارُ فلَك السرور بفُلْك الحُبُور.

طفَحت بالنيل لا جُزِر عن الجزر مَدُّه المدِيد، واستلَّتْ سيفَ النهر لقطْع حروف الجُروفِ من أقْصَى الصَّعيد، والمُنْتَهَى سعيدٌ رَشِيد.

غير أنها على طَمْوِ بحارِها اشْتاقتْ إلى مَدَدِ تلك العيْن، وقالت اسْتَفْتِ قلبَك هل مَدٌّ يشغَل عن هذا البحر الذي تقصُر عنه الأنهارُ من أين وإلى أين.

على أني أُقسِم بالفجر إن الفرَج لحاصِل، وإن مُعدَّل السَّطح لا يظهر فيه للْكُرةِ أثرٌ هائل.

واللّه جلَّ كبرياؤُه مُصغِّر الكبير بفَضْلِه، فلا حاجةَ للمَعونةِ بعَصْرِه وأهْلِه.

وعلينا أن نُلْقِيَ دلوَ الطَّلب ولوْ إلى ما تحتَ الحُوت، عسى يفيضُ فتجْرِي البحورُ في البُيوت.

ويحصُل توْشِيحُ هذا البيت بكلِّ خَرْجةٍ داخلَةٍ في الطَّرب، نادرةٍ على لزومِها المَقِيس ولا يُقاس عليها وهذا من العجَب. والسلام.

وهذا تَسْليةٌ له عن دُمُّلَةٍ أصابته، وإليه أشار بقلْب «هل مدّ» و«بالفجر». ومثله في التورية قول ابن نُباتَة: [الكامل]

لا تـخْـشَ مـن هـمٍّ كـغَـيْـم عـارضٍ ... فـلـسـوف يُـسْـفِـر عـن إضـاءةِ بَـدْرِهِ
إن تُـمْـسِ عـن عـبَّاس حـالِـك راوِيـاً ... فـكـأنـنـي بـكَ راويـاً عـن بِـشْـرِهِ
ولـقـد تـمرُّ الـحادثـاتُ عـلى الفـتى ... وتـزول حـتـى مـا تـمـرُّ بـفِـكْـرِهِ
ولَـرُبَّ لـيـلٍ فـي الـهـمـومِ كـدُمُّـلٍ ... صـابَـرْتـه حـتـى ظـفِـرت بـفـجْـرِهِ

«ونهر مَعْقِل» الذي ذكره، بالبصرة، وهو معقِل بن يَسار المُزَنيّ، البَصْرِيّ، الصّحابيّ.

وإليه ينسَب التمر المَعْقِليّ.

وفي المثل: إذا جاء نهرُ اللّه بطَل نهر مَعْقِل.

والمراد بنهر اللّه المطرُ والسيلُ؛ فإنه يغلب سائرَ المياه، ويطُمُّ على الأنهار كلِّها.

وله أيضاً، سقى اللّه ثَراهُ: [الخفيف]

Marfat.com

يـا ظِـبـاءً بـقـاعـةِ الـوَعْـسـاءِ ... ومِـلاحـاً بـأيْـمُـنِ الـجَـرْعـاءِ[1]
نـزلُـوا بـالـعـقِـيـقِ أنـضـرَ روضٍ ... نـسـجَـت بُـرْدَه يـدُ الأنْـواءِ
بـاكـرَتْـه هـواطِـلُ الـمُـزْنِ فـافْـتَـرَّ ... يُـريـنـا لالـئَ الأنْـداءِ
مـا خـيـامٌ عـلى الـنَّـقـا والـمُـصَـلَّى ... وقِـبـابٌ بـالـحِـلَّـةِ الـفَـيْـحـاءِ
مـا ارتـقـاءٌ مـن الـعُـلا لـمـقـام ... دون عَـلْـيـاهُ أنـجُـم الـجَـوْزاءِ
مـا سُـلَـيْـمـىَ وزيـنـبٌ وسـعـادٌ ... الْـغـوانـي عـن الـحُـلا بـالـبَـهـاءِ

ومنها:

إنـه الـعـبـدُ لـو تـمـلَّـك رُوحـاً ... كـان أغـطَـى هـدِيَّـةَ الـفـقـراءِ

وله من أخرى: [الكامل]

لا يُـعْـجـبـنَّـك مـنـه زُخْـرُفُ لَـهْـوِه ... أحـوالُـه أيـن الـهِـبـاتُ مـن الـهَـبَـا
فـبـعـزَّتـي آلَـيْـتُ مـا بَـعُـدَ امْـرؤٌ ... عـن نـفـسِـه إلاَّ وكـان مُـقَـرَّبَـا

وله من أخرى: [الطويل]

ولـي رتـبـةٌ تَـقْـضِـي بـأنَّ مَـشـاهـدِي ... جـمـيـعـاً بـهـا قـلـبـي إلـيـه مُـنِـيـبُ
فـأيَّـانَ يـمَّـمْـتُ الـمـعـاهـدَ يَـلْـقـنِـي ... حـبـيـبٌ إلـى كـلِّ الـقـلـوب حـبـيـبُ
تـفـاوَحَـتِ الأزهـارُ مِـن روضِ وَصْـلِـه ... فـرقَّ نـسـيـمٌ بـيـنـهـا ونـسِـيـبُ

وله أيضاً: [الخفيف]

يا نسيمَ الصَّـبا ويـا عَبْقـةَ الزَّهْـ ... ـرِ أفاحتْ لنا شـمِيمَ الحبيبِ
كـيـف قـالـتْ حـمـامـةُ الأيْـكِ لـمَّـا ... غـرَّدتْ فـوق بـانـةٍ بـالـكـثـيـبِ
هـل تُـرى بـلَّـغـتْ حـديـثَ غـرامـي ... واشْـتـيـاقـي لـمُـنْـيَـتِـي ونـصـيـبـي
أوْ تُـراهـا تـخـوَّفـتْ مـن عَـذولٍ ... وعـدوٍّ وحـاسـدٍ ورقـيـبِ
لـستُ أخْشَى إذا ذُكِرتُ لدى الحِـ ... ـبِّ مـقـالاً لـلائـم ومُـريـبِ
أنـا فـي خُـطَّـةِ الـسَّـقـام ولـكـن ... عَـرْضُ حالي على الحَبيب طبيبي
عَـمْـرُكِ الـلّـهُ يـا حـمـامـةَ جَـرْعَـي ... إن يـقُـلْ كـيـف حـالُـه فـأجـيـبـي
ذابَ مـن لـوعـةٍ وفَـرْطِ غـرامٍ ... واشْـتـيـاقٍ وأنَّـةٍ ووجِـيـبِ
عَـلَّ لَـيـلَـى تَـمُـنُّ بـعـدَ الـتَّـجَـافِـي ... بـبـلـوغِ الـمُـنَـى وفـتـحٍ قَـرِيـبِ
لـيـس واللّـه بـالـعـجـيـب انْـعـطـافٌ ... مـن حـبـيـبٍ قَـوامُـه كـالـقَـضِـيـبِ
لا ولا بـالـعـجـيـبِ أيـضـاً تَـلَـظِّـي ... مُـهـجـتِـي والـخـدودِ نـارَ الـلَّـهـيـبِ

وله من أخرى: [المتقارب]

حـبـيـبُـكَ دانٍ رقـيـبٌ قـريـبُ ... فـمـاذا الـبـكـاءُ ومـاذا الـنَّـحِـيـبُ

---

(١) الوعساء: ما سهل من الرمل. القاموس المحيط، مادة /وَعَسَ/.

Marfat.com

نعم هُو دَانٍ ولكنِني ... بعيدٌ فقيدٌ طرِيدٌ غريبُ
بُكائي عليَّ لأني بُلِيتُ ... بداءِ الصُّدودِ وَعَزَّ الطبيبُ
وفازَ المحبُّونَ دوني بما ... به كلَّ وقتٍ لديهم يطيبُ
فهَمِّي وفَهْميَ زادا فما ... بقائيَ في النَّقْصِ أمْرٌ عجيبُ
فيا هل ترَى بعد هذا البعادِ ... يزولُ الصدودُ ويرضَى الحبيبُ
نعمْ هو ذاك ستُعْطَى مُناكَ ... بأوفر حظٍّ وأوْفَى نَصيبِ
وتهْتزُّ بالبَسْطِ في مَرْبَعٍ ... به مرْتَعٌ للأماني خصيبُ
وحبْس الكواعبِ عيدانَها ... وجَسِّ رَبابِ الغزالِ الرَّبيبِ
وتقْضى حقوق الفؤاد المَشُوقِ ... بخَمْرٍ يروقُ وساقٍ أريبِ
يهُزُّ من التِّيهِ أعْطافَه ... فتحسَبه بانَةً في كثيبِ
ونحن عُكوفٌ على لَهْوِنا ... وليس سوى القبْضِ عنَّا يغيبُ

وله اسْتغاثات، يعجبني منها قوله: [م. الهزج]

إلى كم نحنُ في ظَمَأٍ ... وهذا المنْهل الأعْذَبْ
وهذا المَشْرَع الأحْلى ... وهذا المورِدُ الأطْيَبْ
وهذا بابُ مولانا ... وهذا بيتُه الأعْجَبْ
وهذا سِرُّه الأعْلى ... وهذا فَتْحُه الأقْرَبْ
وهذا السُّؤْلُ والمأمُو ... لُ والمقصودُ والمأرَبْ
حبيبُ اللّهِ نور النُّو ... رِ كنْزُ السرِّ والمطْلَبْ
ومَن في لَوْحِ حضرتهِ ... بدائعُ سِرِّه تُكْتَبْ
ومَن في تاءِ غُرَّتهِ ... مَراماتُ النهَى تُخْطَبْ
جَمالُ عصابةِ الرُّسلِ ... الكرامِ طِرازها المُذْهَبْ
ألا يا خيرَ مبْعوثٍ ... له مَولاهُ قد قرَّبْ
ومَن بالعينِ أبصَرَه ... فعنه قطُّ لا يُحْجَبْ
ويا مَن لا يَفي شخصٌ ... بمِدْحتِه ولو أطْنَبْ
أقِلْني عَثْرَةً عظُمتْ ... فإني ضاق بي المَذْهَبْ
وخَلِّصْني وخَصِّصْني ... بسرٍّ منه لا أُسْلَبْ
أغِثْ يا سيدِي لَهَفِي ... وإلاَّ مَن له أذْهَبْ
وقُلْ لي أنت في جاهِي ... فلا تخْشَ ولا تتْعَبْ
بكَ اسْتَنْصرتُ فانصُرني ... فمن تنْصُرْه لا يغْلَبْ
بكَ اسْتشْفَعتُ فاشْفَعْ لي ... فمِنْ ذَنْبي لك المَهْرَبْ

Marfat.com

ومن إشاراته قوله:

فيه تجرَّدتُ عن وَهْمٍ وعن شَبَهٍ ... للّه أحْرَمْتُ والتوحيدُ مِيقاتِي

وله أيضاً: [الخفيف]

لستُ أنْسَى يومَ اللِّقا خُذْ وهاتِ ... وأدِرْها بأكْؤُس اللَّذاتِ
فاجْلُها الشمسَ في بُروج زُجاجٍ ... من سَناها تألُّقُ المُزْهِراتِ
واسْقِنيها فِداً لنفْسِك نَفسِي ... بين صَحْبِي وَفِتْيَتي ولِداتِي
لا تُبالِي بعاذِليكَ عليها ... وأدِرْها رَغْماً لأنْفِ الصُّحاةِ
كيف أنسَى وكيف تُنْسَى حياةٌ ... فتَدانِيك يا حبيبي حياتِي
يومُ لُقْياك عِيدُ روحي ومغْنىً ... فيه ألْقاكَ أشرفُ الجنَّاتِ
فبِحقِّ الجمالِ إقْسامُ صَبٍّ ... أخْرقَتْه لواعِجُ الزَّفَراتِ
أرسل الدمعَ من جفونٍ فما المُزْ ... نُ استهلَّتْ بهاطِل المُنْشَآتِ
وبكى مُذْ بكى الحَمامُ عليه ... نائحاً من تَوَاتُرِ الأنَّاتِ
فكأنيٌ مع الحمام ثَكالَى ... نائحاتٍ لِمَا دها نائباتِ
لا أذوق الكرى وسَلْ أنجُم اللَيْـ ... ـلِ وهذا السَّقامُ من بيْناتِي
فأغِثْنِي فهل أتى خبرُ الْعَيْـ ... ـن أفاضتْ سحائبَ المُرْسَلاتِ
أو أتاك النَّبَا بأن فؤادِي ... لم يزلْ في اللهيبِ والنَّازِعاتِ
لم تزلْ من كِنانةِ الجَفْنِ تَرْمي ... قُرشِيّاً بأسهُم صائباتِ
أنا إيَّاه فازْبَحِ الأجرَ في نفْـ ... ـسِ نفيسِ الآباءِ والأُمَّهاتِ
وتدارَكْ فدَتْكَ روحي برُوحِي ... أيّ شيءٍ تنالُه مِن مَماتي
إن لي في الغرامِ خيرَ خِلالٍ ... باقياتٍ من الهوى صالحاتِ
أنا فيه من ألطفِ الناسِ طبْعاً ... وصِفاتي به أجلُّ الصِّفاتِ
بِيَ يفْتَرُّ ثَغْرُ وقتي سروراً ... ونسيمُ الصَّبا شقيقٌ لذاتي
قُم فهذا الشَّمالُ هَبَّ بشِيراً ... بتَدانِي اللِّقا وجَمْع الشَّتاتِ
ثُمَّ من بعد لَمْحةٍ شِمْتُ بَرْقاً ... لاح للعين من جميع الجهاتِ
قلتُ ما البارِقُ المُضِيءُ وما نفْـ ... ـحةُ هذا العبيرِ في النسماتِ
قيل سَلْمىَ أتتْ وهذا بشيرٌ ... بالتَّدانِي فقلتُ طابتْ حياتِي
وابتدَرتُ الطريقَ أسْعَى وأذْعُو ... يا صحابي لَيُهنِكُم لذَاتِي
أدْركَتْني عِنايةُ اللّهِ حتى ... وصَلَتْني سَلْمَى وتمَّتْ هِباتِي

وله أيضاً: [الطويل]

أمَا ونسيمُ الروضِ ينْفَحُ عن نَدٍّ ... وريحُ الصَّبا تهفُو بأغطافِه المَلْدِ

Marfat.com

لقد نعِمتْ نفسي بعِزَّةِ ليلةٍ ... فحدِّثْ بما تختارُ عن زمَنِ السَّعْدِ
وباتتْ تُعاطيني المُدامَ وتارةً ... حديثاً كما هبَّ النسيمُ من الوَرْدِ
وأجْنِي مُذابَ الأُقْحُوانِة من فمٍ ... وأثْنِي رشيقَ الْخَيزُرَانِة من قَدِّ
وقد مالتِ الصَّهباء سُكراً بها وبيَ ... فوَسَّدْتُها زَنْدِي وألْحفتُها بُرْدِي
وألْقتْ ذارعَيْها عليَّ حمائِلاً ... فعانقتُ منها السَّيْفَ جُرِّدَ من غِمْدِ
وما صدَّني طِيبُ الوصالِ عن العُلا ... ولم يُلْهنِي هَزْلٌ عن الجِدّ في المجدِ
فعزْمِي كما زاحمْت مَنكِبَ يَذْبُلٍ ... وبأسِي كما أُنبئتَ عن أسَدٍ وَرْدِ
أُنازِلُ بالعَضْبِ الصَّقيلِ بواسِلاً ... شَدَوا للوغى من فوقِ صاهِلةٍ جُرْدِ
ولَيْتَك شاهدْتَ الرِّقابَ تطايَرتْ ... بسَيْفي كما طار الشَّرارُ من الزَّنْدِ
ونظْمِيَ في رُمْحِ الرؤوس قلائداً ... وناهِيكَ من نظْمٍ وناهيك من عِقْدِ
فكُنْ واثقاً أني وإن كنتُ مفْرداً ... إذا ما لِقيتُ الجَيشَ أهزمُه وحدِي
وأني فَتى الحيِّ العزيزِ صِحابُه ... وطالِعُ مَن أهواه في فلَك السَّعدِ

وله من أخرى: [الخفيف]

رُبَّ وَرْدٍ قطفتُه بيدِ اللَّثْـ ... ـمِ من الوجْنَتَين وَرْدِ الخُدودِ
وقضِيبٍ عطْفُته بيدِ الضَّمِّ ... رشَيقٍ مُهَفْهَفٍ أُمْلُودِ
يا سقى اللّهُ يومَنا والأماني ... مُنْجِزاتٌ لنا جميعَ الوُعودِ
إذْ بدَتْ أنْجُمُ السعادةِ تزهُو ... طالعاتٍ لنا بسَعْدِ السُّعودِ
حيث كنَّا ولا رقيبَ ونِلْنَا ... كلَّما نبْتغي بغَيْظِ الحَسودِ
برياضٍ مكلَّلاتٍ بدُرِّ الدْ ... رّ تزهو على لآلِي العُقودِ
كم بناتِ الدِّنان زُوِّجْنَ بالما ... ءِ لدينا وكنتُ بعضَ الشهودِ
وأقمنا لهنَّ عُرْسَ التهاني ... بوَرِيفٍ من الهَنا ممْدُودِ

وله أيضاً: [المجتث]

يا أهْيَفَ القدِّ جاوزْ ... تَ في التَّمايُلِ حَدَّكْ
كم ذا تتِيه على من ... يرعى لك الدهرَ وُدَّكْ
واللّهِ مُذ مال قلبي ... إليك ما خُنْتُ عَهْدَكْ
كم نِمتَ عندِيَ أَجْنِي ... من روضِ خَدِّكَ وَرْدَكْ
وبِتَّ تشربُ نفسي ... وبتُّ أشْربُ خَدَّكْ

وله أيضاً: [الخفيف]

وحياةِ العيون تنفُث سحْراً ... وغصونِ القدودِ تثمِر بدرَا
وجمالٍ سبَى عيونَ البَرايا ... فهي سكْرى به وليست بسَكْرَى

Marfat.com

ويـمـيـنـاً بـمـنـطـقٍ يـنـثُـر الـدُّ ... رَّ عـلـى مَـفْـرِقِ الـبـلاغـةِ نَـثـرَا
مـا أرى فـي الـورَى سِـواكَ وإنـي ... مِلْتُ أشْـهَـدْتـنـي جـمـالَـك جَـهْـرَا
لا ولا فـي الـفـؤادِ غـيـرُك فـاشْـهَـدْ ... يـا حـبـيـبـي فـصـاحـبُ الـدارِ أدْرَى
أنـت ربُّ الـجـمـالِ حِـسّـاً ومـعـنًـى ... ومَـلِـيـكُ الـجـمـالِ نـهـيْـاً وأمْـرا
رُبَّ صَـبٍّ يـبـيـتُ حـيْـرانَ حـرَّا ... نَ بـه فـي الـغـرام أشْـعَـلْـتَ جَـمْـرَا
ذل فـي وَجْـدِه لـديْـك ولـكـن ... بـتَـصـابِـيـه عَـزَّ قـدْراً وصَـبْـرا
فـتـدارَكْـهُ وازبـحِ الأجـرَ أوْلا ... أعـظَـمَ الـلّـهُ فـيـه عـنـدَك أجْـرَا

وقال أيضاً: [الطويل]

هـل الـمـجـدُ إلاَّ عَـزْمـةٌ قُـرشِـيَّـةٌ ... تُـطَـأطـأ رَضْـوَى دونـهـا وثَـبـيـرُ
وصَـوْلـةُ فـتًّـاكٍ هِـزَبْـرٍ تـطـاوَلـتْ ... بـه رُتَـبٌ عـنـهـا الـسِّـمـاكُ قَـصـيـرُ
إذا اسْتَلَّ ما بين السِّماطيْن سيْفَه ... تـرَى الْـهـامَ فـوق الـهـام منه يـطـيـرُ
وإن هـزَّ أغْـطـافَ الـقـنـاةِ بـكـفِّـه ... تـرى ذِلَّـةَ الـشُّـجـعـانِ كَـيـف تـصـيـرُ
حليفُ المعالِي رَبُّها وإمامُها الْـ ... ـخليقُ بهـا والمُدَّعُـون كثـيـرُ
فـتـى لا يـؤُمُّ الـمـجـدُ غـيـرَ جَـنـابِـه ... ونـحـو سِـواه الـمـجـدُ لـيس يـسـيـرُ
مَـلِـيـكٌ سَـريـرُ الـعِـزِّ حـاكِـمـه الـذي ... لـه الـنـصـرُ جُـنْـدٌ والـفَـخـارُ وزيـرُ

وله أيضاً: [م. الرمل]

إن فـي الـشَّـاروخِ مـعـنـىً ... لـذوِي الألْـبـاب عِـبْـرَهْ
إن تـعـالـى فـهْـو فَـرْدٌ ... أو تـدَلَّـى فـهْـو كـثْـرَهْ

قلت: والشاروخ لفظة مصرية، وهي نوع من مَلاعِب النِّيران معروف.

وله أيضاً:

خـلـيـلـيَّ إمَّـا جـئْـتُـمـا حَـيَّ قـاتـلـي ... فـقـولا لـه مُـضْـنـاك ملتمِسٌ نَـظْـرَهْ
فـإن تـرَيـا فـي الـوجـهِ مـاءَ بـشـاشـةٍ ... فـإنـيَ لا أخـشَـى خـلـيـلـيَّ مـا أكْـرَهْ

وله أيضاً: [الكامل]

انـظُـرْ إلـى ثـمـرِ الـخِـيـارِ الـشَّـنْـبَـرِ ... كـالـغِـيـدِ تـخـطُـر فـي قِـبـاءٍ أخْـضَـرِ
أكْـمـامُـهـنَّ مُـعـضْـفـراتٌ أُسْـدِلَـتْ ... لـلرَّقْـصِ فـي روضِ الـجِـنـانِ الـمُـزْهِـرِ

وقال، من قصيدة يتشوّق بها إلى الكعبة المشرّفة: [السريع]

أوْدعْـتُـك الـلّـه سـلامـاً عـلـى ... وجـهِ سُـلـيـمَـى أيـهـا الـبُـرْقُـعُ
فـلـيـت إذ أدعُـو وقـد شَـطَّ بـي ... عـنـهـا مَـزارِي لـلـدُّعـا تـسـمـعُ
أسـتـغـفـرُ الـلّـهَ لـقـد أنـعَـمـتْ ... بـمـا أُرجّـيـه ومـا أطـمـعُ
حـتـى بـذكْـرِي حـولَـهـا دائـمـاً ... حـمـائـمٌ فـي حـيِّـهـا تـسـجَـعُ

Marfat.com

وقال، من قصيدة أخرى: [الكامل]

إن قلتُ فالدرُّ الثمينُ قلائدِي ... شرُفتْ به الأعناقُ والأطْواقُ
أو قلتُ في شرح الغُيوبِ فإنَّني ... ثمَرُ القلوب وغيرِيَ الأوْراقُ
هذا لسانُ محمَّدِ الحمدِ الذي ... مِن وَصْفِه تُتَعلَّم الأخْلاقُ

وله أيضاً: [م. الكامل]

أأكونُ وافدَ ساحتِكْ ... ونزيلَ دار كَرامتِكْ
ويُصيبُني أذنى أذًى ... كلاًّ وحقِّ سيادتِكْ

وقال أيضاً: [م. الخفيف]

صوَّح النبْتُ فاسْقِه ... قَطرةً من سحائبِكْ
وأغِثْنا فإننا ... في تَرجِّي مَواهبِكْ

وله أيضاً: [الخفيف]

بين أهلِ القلوبِ والحقِّ حالٌ ... وهْو سرٌّ يدِقُّ عنه المقالُ
ما لشخص إلى عُلاهمْ طريقٌ ... بل ولا في مَيْدانِهمْ ذا مَجالُ
احْذَرِ احْذرْ أهلَ القلوبِ وسلِّمْ ... أمرَهمْ إنهم فحولٌ رجالُ
لا يكُن منكَ ذَرّةٌ بنكيرٍ ... فسيُوفُ الأحْوالِ فيها صِقالُ
فإذا ما رأيتَ نُكْراً فأوِّلْ ... ليزولَ الإنْكارُ والإشْكالُ
لا تُرِد وُسْعةَ المقالِ بحالٍ ... رُبَّ حالٍ يضيق عنها المَقالُ
لو ترى القومَ في الدَّياجِي سُكارَى ... وعليهمْ أُدِيرتِ الجزْيالُ
كلُّ بَسْطٍ من بَسْطِهمْ مُسْتَفادٌ ... كلُّ عِطْفٍ بسُكْرِهمْ مَيَّالُ
شاهَدُوا الحقَّ من مَرايا نُفوسٍ ... جلَّ عن كشْفِها الرفيعِ المَنالُ
إنما العينُ بالحقيقةِ للعيْـ ... ـنِ تجلَّتْ فما هناكَ خَيالُ
تحت أسْتارِ عزَّةٍ وجلالٍ ... ما سِواها جميعُها أسْمالُ
يا لقَوْمي من سَكْرةٍ بِمُدَامٍ ... ما لعقْلِ النُّدمانِ منها خَبالُ
هاتِها هاتها على كلِّ حالٍ ... اسْقِنيها فما عليك وبالُ
كلُّ ذنبٍ لشارِبيها مُباحٌ ... وعِثارٍ لمُخْتَسِيها يُقال
لا تُبالي بعاذلٍ في هواها ... لم يذُقْها فقوْلُه بَطّالُ
فشِمالٌ والكأسُ فيها يمين ... ويمينٌ لم يخْلُ منها شِمالُ

وله أيضاً: [مخلع البسيط]

سِرْ بي إلى حيِّهمْ ودَغْنِي ... في أيِّ طَوْرٍ فلا أُبالي
فإن مولى الكرامِ منهمْ ... فأبْشِرُوا أيها المَوالي

Marfat.com

وله أيضاً: [السريع]

حدَّثَنا نَفْحُ عبيرِ الخُزامْ ... عن وَجْنةِ الوردةِ ذات الكِمامْ
عن عذَباتِ الرَّنْدِ مسْدولةً ... عن قامةِ الغصن رشيقِ القَوامْ
عن ناظرِ الأَغْيَنِ من نَرْجِسٍ ... عن ضاحِك الزَّهْر بدمْعِ الغَمامْ
عن سائلِ الجدْولِ في روضةٍ ... بدَوْحِها الأمْلَدِ غنَّى الحَمامْ
عن فتَياتٍ لُحْنَ وقت الضحى ... فنادتِ الشمسُ هَبُونِي لِثامْ
عن نُعسِ الأعْيُنِ مكْحولةً ... عن لُعسٍ فوق حَبابِ الْمدامْ
أنَّ سليْمى أسْعفتْ بالمُنى ... وأسْعدَتْنِي ببُلوغِ المَرامْ

وله أيضاً: [الطويل]

ألا قلْ لربَّاتِ الرُّبى والمعالمِ ... عقائلِ خِدْرِ الحيِّ من آل هاشمِ
أيا ساكناتِ المُنْحَنَى من أضالعِي ... هوَاكُنَّ حِزْرِي في الورَى وتَمائمِي
فلا افْتُتِحتْ إلا بكُنَّ فواتِحي ... ولا خِتمتْ إلاَ بكُنَّ خَواتمِي

وله أيضاً من قصيدة: [البسيط]

أزال من نورِه حُجْبَ الجَفا وجَلاَ ... من بعد ما ذُبْتُ من ذاكِ الجفا وَجلاَ
كم عاذلٍ قد لَحانِي في محبَّتِه ... وما درَى أنني لم أسمع العَذلاَ
تاللّهِ ما خطَر السُّلْوانُ في خَلَدِي ... أُعيذُ باللّهِ قلبي أن يُقال سَلاَ
وبي مليحٌ كغُصْنِ الْبانِ ذُو هَيَفٍ ... سقَيْتُه الدمعَ حتى أثمرَ القُبلاَ
أهْوَى هَواهُ ولو ذُقْتُ الهوانَ به ... وكيف والعِزُّ يهوْىَ مَن به اشْتغلاَ

وله من أخرى: [الطويل]

جريحُ ظُبا تِلك العيونِ النَّواعِسِ ... طَعينُ قَنا تلك القُدودِ المَوائِس
تَزايَد في لُبْنَى هَواهُ وبَثُّه ... فصيّر قيْساً ضحكةً في المجالس
رأى والهوى يُولى الفتى كلَّ مِحْنةٍ ... شُموساً تجلّتْ في زُواقِ الحَنادس
دُمَى صانَها عِزُّ الجلالِ توشَّحتْ ... بُرودَ جمالٍ من أرَقّ الملابس

Marfat.com

القسم الرابع

في ذكر الرُّوم، وما اتَّفَق لي فيها، وذكر مَن لقيتُه بها من رؤسائها، وعلمائها، وبقيَّة دَهمَائِها

لمَّا رأيتُ الدنيا مَيْداناً والأجْسادُ فيها خيْلٌ عِتاق، والمسابقة فيها إلى الخيرات من أجلِّ السِّباق.

واللّهُ الملِك الجواد المُجازِي، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ونبَتْ بيَ الأوْطان، وعاداني الزَّمان.

والأرضُ واسعةٌ إن ضاقتْ صدور الرجال، ولا يُصْلح النَّفْسَ إن كانت مصرَّفة إلاَّ التنقُّلُ من حالٍ إلى حال.

وأُقسم إن لم يُحْظِني الدهرُ بالِغنى ... لأمْتطيَنَّ الصبر إذ حَرَن الدهرُ

قمتُ لِعنان العزْم ثانياً والأملُ حادِي، وارتحلتُ للروم والقضاءُ والقدرُ سائقٌ لي وهادِي، وقلتُ إذا كان أصْلِي من تُرَابٍ فكلُّ الأنام أقاربي وكلُّ البلاد بلادي.

فإن ضاق على ناقتِي مرعَى الغَضَا، فزمامُها بيدي وما ضاق الفَضا.

وإن ضاق الفَضا على الرِّكاب، فلله سفُنٌ تجْرِي وبحرٌ عُباب، فلم يكْفِني البَيْنُ حتى ابْتُليتُ بالبيْن والغُراب. [الطويل]

وقالوا ركبتَ البحرَ شرقاً ومغْرِباً ... وقاسيْتَ في الأسفارِ هَوْلَ قِيامةِ

فحدِّثْ بما لاقيْتَه من عجائبٍ ... وأغْرَبِ ما لاقيتَ قلتُ سَلامتِي

وهو مَرْكَب كثيرُ المعاطِب، والإنسان مخلوقٌ من طينٍ والطينُ في الماء ذائب.

ولكنَّ اللّه تعالى منَّ علينا بالسَّلامة، وأنعمَ بلا كَدرٍ للوصول لدار الإقامة.

فرأيتُ فيها من العلماء والأشْراف، ما تنقطع دون بَيانِه النُّعوتُ والأوْصاف.

فنافَنْتُهمُ في مُدارَسة العلوم، واستفدتُ منهم ما تسْهَر لمُسامرتِه عيون النجوم.

لا سيَّما العلوم الطبيعية والرياضيّة، ومقاطِع الأنْظار المنْطقيَّة والكلاميَّة.

فظفِرتُ وللّهِ الحمدُ بما حمَدْتُ به عُقْبَى السُّرَى، وربحتُ فيما أنْفقْتُه من رأسِ مال العمرِ أنْفسَ مُشْتَرى.

وقلتُ نورٌ على نور، وتجارةٌ لن تبور.

فكان ممَّن لاقَيْتُه، وأدرتُ معه كؤوسَ المذاكرة فعاطاني وعاطَيْته عليّ بن

Marfat.com

الحِنَّائيّ، وهم بيتُ علم وأدب، فيه شرَفُ نَسب عليٌّ وحسَب. وعماد ذلك البيْت، الذي ليس فيه لَوْ ولَيت:

١٥٢- علي بن الْحِنَّائيّ بن أمر اللّه الحميديّ

كامل أخلاقهُ توْءمُ نسيم السَّحَر، وعيونُ آثارِه منازلُ عيونِ النُّوَّار غِبَّ المطَر.

فهي في مَذاق النُّهى ألذُّ من الأمَل، وأحْلَى من الحياة المقتنَصَة من يد الأجَل.

وأشْعارُه بالألسنة الثَّلاثة في وجوه الطُّروس تفضَح اللَّمَى والحَوَر، وتجذِب بأيادي لُطْفِها عِنانَ الفؤاد والبصَر.

تشابهَتْ معانيه الدقيقة، بكاساتِ كلماته الرقيقة.

فسَرَّ الدهر ذكرُه، وعطَّر بُرْدَ الوجودِ نشْرُه. [الكامل]

وأرى الحجيجَ إذا أرادُوا ليلةً ذِكْراهُ أخرج فِدْيةً مَن أحْرَمَا

أدار في الروم من الأدب كأسَ حُمَيَّاه، ونشر بأرجائها أرَجَ أنفاسِه حتى تعطَّرت برَيَّاه.

ببراعةٍ يصف لسانُ يَراعِها نَفَثاتِ السِّحْر، وفضائلَ أرْخصت صنائعُها بضائعَ الشِّحْر.

وعُلُوّ قَدْرٍ يعممُ هامةَ الراسيات، وسوابقَ عزم تقفُ دونَ مداه أصنافُ الصافِنات.

تشرَّف قضاءُ العسْكريْن بمُحْكم أحكامه، ونُشِرتْ على أعلام تلك الأقطار خافقاتُ أعْلامِه.

وله رحلةٌ لمصر ألْبَس فيها أعطاف مجدِه برودا، ونظم بها من الشعر العربي في جِيد الدهر عُقودا.

فممَّا صدحتْ به حمائمُ فصاحتِه على قُضُب اليَراع، وتلَتْ ألسن براعتِه ما ثنَى إليه أعِنَّةَ الأبصار والأسماع.

قوله: [الوافر]

أرى في صُدْغِك المُغوَجِّ دالاً عليها نُقْطةٌ من مسْكِ خالِكْ

فصارتْ دالُه بالنُّقْطِ ذالاً فها أنا هائمٌ من أجلِ ذلك

وهو أحسن من قول الخُوارَزْميّ: [الكامل]

وأراك خدَّيْهِ ولاح عليْهما صُدْغانِ ذُو خالٍ وآخرُ خَالي

فكأن ذا ذالٌ خلَتْ من نُقْطةٍ وكأن ذا دالٌ ونُقْطةُ خالِ

ومن قول أبي بكر الزُّوزَنيّ: [المجتث]

Marfat.com

نـقَّـطْـتَ صُـدْغـك ذالاً ... فـالـويـلُ مـن شـكـلِ ذلـكْ
لـو أنَّ ذَلـك ذالِـي ... سـجـدتُ شـكـراً لـذلـكْ

وله أيضاً: [الكامل]

أسَرُوه من ثَغْرِ العدوِّ فأصْبَحُوا ... أسْرَى بمَبْسمه الشَّهيِّ وثَغْرِه
أسروه كي يُمْسِي أمير جماله ... فهو الذي ملك الفؤاد بأسْرِهِ

وله أيضاً: [الكامل]

قالوا تبدَّى وجْهُ من أحْببتَه ... في عارضٍ لخيالِ وجْهِك فارضِي
شمسُ الجمال تستَّرتْ في عارضٍ ... دَعْ عنك دمعاً مثل بحر فائضِ
فأجَبْتُهمْ يا قوم إن محبَّتي ... ذاتيَّةٌ ليستْ تزولُ بعارضِ

وهو كقول أبي حيَّان: [السريع]

راض حبيبي عارضٌ قد بدا ... يا حُسنَه من عارضٍ رائضِ
فظنَّ قومٌ أن قلبِي سَلاَ ... والأصْلُ لا يُفْقَد بالعارضِ

وله أيضاً: [البسيط]

ولائم لامَ في حُبي لذى غَنَجٍ ... لمَّا رأى في حواشِي خدِّه لامَا
فقلتُ ذي لامُ تعليل بوجْنِتهِ ... تُبين عِلّةَ من في حُبِّه لاَمَا

هو كقول ابن نُباتة: [البسيط]

لامُ العِذار أطالتْ فيك تسْهِيدي ... كأنَّها لغرامِي لامُ تَوْكيدِ

وقول ابن رَشِيق: [البسيط]

يا رُبَّ أخْورَ أحْوَى في مراشِفه ... لو جاد لي بارْتشافٍ بُرْؤُ أسْقامِي
خَطَّ العِذارُ له لاماً بعارضِه ... من أجلِها يسْتغيثُ النَّاسُ باللاَّمِ

وله، وإن لم يكن ممَّا نحن فيه: [م. الرمل]

لك تذْريسٌ ولكن ... عينُ تذْريسك لاَمُ

ولصاحب الترجمة: [الطويل]

وافى وأنفاسِي تصعَّدُ من جَوىً ... فقال أمِنْ كأس الصَّبابةِ تغتَبِقْ
وهل تحت رِقِّ الحبِّ قلبُك في لظى ... فقلتُ أجَلْ إن القلوبَ لتخْتَرِقْ

ونحوه لابن المُبلِّط: [م. الرجز]

يا نائماً وقِنُّهُ ... من فوقِه كفَخْل جِنّ
يخْقِنُه بمائِه ... ما لي أراك تحتقِنْ

وللشِّهاب المنْصُورِيّ: [م. الكامل]

قلبي بحُبِّك قد عَلِقْ ... فامْنُنْ له وَصْلاً ورِقّ

Marfat.com

يـا مَـن يُـحـمِّـل مُـهْـجـتِـي فـي حُـبِّـه مـا لـم تُـطِـقْ
هـا قـد مـلـكْـتَ جـوانـحِـي فـانـظُـرْ تـجـدْهـا تـحـتَ رِقّ
عـيْـنـاكَ تـسْـتـرِق الـحـشَـا ولـكـلِّ حُـرٍّ تَـسْـتَـرِقْ

ولعليّ الحِنَّائِي في «شرح الكشّاف للسّعد»: [الطويل]

لقد قلتُ لمَّا أن تملَّكْتُ نُسْخةً لفاضلِ تَفْتازانَ من شَرْحِ كَشَّافِ
عليكَ سلامُ اللّهِ يا سعدُ إننا نُداوِي عليلَ الجْهل من شرحِك الشَّافِي

وله من قصيدة أخرى: [الطويل]

سقى اللّهُ عيْشاً في ظِلالِ رُبوعِهِم حَلا ذِكْرهُ في الذَّوْقِ وهْو مُدامُ
ليالٍ لنا في مصرَ وصْلٌ كأنها على وَجْنةِ الدهرِ المُمنَّع شَامُ
يحينُ حِمامِي من حَنِيني ولَوْعتي إذا ناح فوقَ الأيْكَتيْن حَمامُ

وتشبيه الليالي بالشَّامات هنا لا بأس به، ولكن أين هذا من قولي، لمن لا داءَ به

وله أذن واعية: [البسيط]

سقى الغَمامُ وحيًّا صَفْوُ مُزْنِته عصراً تقضَّى مع الأحْبابِ ألْوانَا
سُودُ الليالِي به شاماتُ لو ظهَرتْ في حُسْنِ وجهِ زمانِي كُنَّ خِيلانَا

وله رسالة قلميَّة، منها: [الطويل]

لك الحمد يا مَن أكرمَ الناسَ بعدما هداهُمْ إلى التقوَى وعلَّم بالقلَمْ
يُؤلِّف بين الكافِ والنونِ آمِراً وينقُش لوحَ الكَون من ذلك الرَّقَمْ
وسُحْبٌ من التَّسْليم يُسْكبُ وَبْلَها على مَرْقدٍ فيه المروءةُ والكرَمْ
تجافَى عن الأقْلامِ طَرْفُ بنَانِه وقد نُسِخَتْ من دونِه كُتُبُ الأُمَمْ

صِلاتُ الصلاة والسَّلام، عليه وعلى آله الكرام، وصَحْبه العظام.

ما لاحت علائم الأعلام في وجوه الأماثِل، وناحَتْ حمائمُ الأقلام من غُصون الأنامل.

وبعد، فإن بعضَ الموصوفين بالبَراعة، اغتنَى بوصف اليَراعة. وأحرز قصَباتِ السَّبْق في مِضماره، وحرَّم على مُصلِّيه أن يؤُمَّ شَقَّ غُبارِه. ورسَم بدائعَ المعاني على لوحِ البيان، فصار ما سطَّرتْه أناملُه يُشار إليه بالبَنان. وهذا نَسْخٌ على مِثاله، ونَسْجٌ على مِنْواله. وشَتَّانَ بين من إذا ركِب القلمُ أنامِلَه، خضعَتْ رقابُ الأنام له. وبين من يكتُب فيُلْغي، ويقول فلا يُصْغي. واللّه المُستَعان، وعليه التُّكْلان. يا سائلي عن صِفة القلم، إنه في العلْم علَم. علَم يتراءَى في بَيْداء النُّور ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ١-٣].

يعجِز عن بيَان غُرَر وصْفِه بَنانُ الأفهام، ولو أن ما في الأرْض من شجرةٍ أقلام.
ذُو اللسانَين واللَّسَن، والبَيان العَذْب الحسَن.

Marfat.com

فقيهٌ فائقٌ سرَّح في رياضِ الهِمَّة، فاقتطَف شقائقَ النّعمان، حكيمٌ حاذِق جلَس على خُوان الحِكْمة، فالتقَم حقائقَ لُقْمان.

درسَ العلوم الرَّسْميَّة فهو المعلّم الأوّل، وجدَّد ما درَس منها وما على رَسْمِ دارسٍ من مُعَوّل.

مدَّ باعَه في العلوم وقَدُّه قيْدُ شِبْر، حَبْرٌ ماهرٌ إذا رأيتَ أثرَه تقول ما أحسن هذا الحِبْر.

قادرٌ على تحريرِ العلم وتحْبيره، يتكلَّم فيذُرّ على الكافور عَنْبراً فيا حُسْنَ تعْبيره.

إذا أنشَأ أغْرَب، وإذا أنشد أطْرَب، وإذا أعجم أغْرَب.

وإذا أشكل رفَع الإشْكال، وإذا قيَّد أطلق العقول من العِقال.

يُتَرْجِم عن الوَحْي والإلْهام، وإذا رفعَه الإبْهام رفَع الإبْهام.

مُزْنٌ منه شآبيبُ العلوم واكِفَة، غصنٌ عليه طيورُ النُّهَى عاكِفة.

طالَما جال وجاب، وسأَل وأجاب، فأبْدَى العجَب العُجاب.

طَوْراً يشرَب من كُؤوس المحابِر، فيتمايَل كشاربٍ ثَمِل، وطَوْراً يخطُب على رؤس المنابِر، فتراه كشيْخٍ عبَراتُه تنْهمِل.

وتارة يجلس في الدَّسْت مثلَ الكرامِ الصِّيد، ويبيت على كهْفِ المِخْبرةِ باسطَ كفَّيْه بالوَصِيد.

متجرِّدٌ خَلَّى نفسَه للتزهُّد، متعبِّدٌ رافعٌ أُصْبُعَه للتَّشهُّد.

يحدِّث بأحاديثِ اللَّيالِي للأنام، ويظْهَر ما جرى على لسانِه في صفحاتِ الأيام.

كأنما يتنزَّه في مراتِع الطَّرَب، ويتَبخْتَر في ملابِس القَصَب.

إذا شَطَّ دارُه، فَشَطَّ عنه مزارُه.

فهو يبْكي كالغَمامة، وينُوح كالحَمامة.

يتذكَّر لِداتِه وأتْرابَه، ويحِنُّ إلى أوّل أرضٍ مسَّ جلدُه تُرابَه. [الوافر]

يـنُـوح عـلـى رسـوم دارسـاتٍ كـنَـوْحِ حَـمـامـةٍ بـالـرَّقْـمَـتَـيـنِ
وقـد يـنْـعـى إلـى أهـلِ الـتَّـصـابِـي نَـوَى الأحْـبـابِ مـثـلَ غُـرابِ بَـيْـنِ

ضربوا عُنقَه فطال عَناؤُه، وشجُّوا رأسَه فسال دماؤُه.

أوْلَج نفسَه في المهالِك، وأُدلج في ظلام حالك، فارْتَعد من خوفِ ذلك.

صَبٌّ ناحِل مُنِيَ بليْلِ الفِراق فترنَّح وَلَهًا، أو كريمٌ اجْتَداه مُعْدِمٌ ماحِلٌ فهو يهتزُّ لَها.

على مِنْبَر الأصابع خطيبٌ مِصْقَع، ألِفٌ تَراه تارةً في الدَّواةِ وأخْرى على الإصْبَع.

بَثَّ مَصُوناتِ السرائرِ فأُشِير إليه بالسيْف والنِّطْع، وسرَق مخْزوناتِ الضمائرِ فحُكِم عليه بالقطْع.

Marfat.com

يصبر مثلَ أيُّوب على البُوسَى، ويصِير كَلِيماً إذا مرَّ على رأسِه مُوسَى.
غريبٌ هجَر هنْدَه وواسِطَه، وصار بين الهند والروم واسِطَة.
يقوم في خِدْمةِ الناس، فإذا قلتَ له: اجْرِ، يقول على الرَّاس.
يتعيَّش بكسْبِ يمينِه، يقْتاتُ من عرَق جَبِينِه: [السريع]

أرضَعه الجدولُ من بعد ما ... رَبَّاه في منْزِلَةٍ شَطُّهُ
ما ظهَر الشَّعرُ على وجهِه ... فأعجبَ له كيف بدَا وَخْطُهُ

يُوسِع كالأحْرار جوداً وطَوْلا، ورقبتُه كالعبيد في يَدِ المَوْلى.
فهو على ما يُقاسِيه من الحُزْن والكآبة، لا يطلُب من مولاه إلاَّ الكِتابة.
مَدَّاح لكنه لا يفارِق الهِجَا، يستُر طُرَّةَ الصبح تحت أذْيال الدُّجَى.
مُعدَّل معروف بالاسْتقامة أمين، مجرَّد لا يميلَ إلى اليَسار فهو من أصحاب اليَمين.
بطَلٌ يطأ في الطِّعان على الرؤوس، علَم يأتيه الفتْحُ والظَّفَرُ وهو منْكُوس.
رمحٌ من رِماح الخَطّ، مارَس الطَّعن وما انْفَكّ عنه قَطّ.
طِرْف يجري في المَيْدان وهو مَعْقود، إذا قصدْتَه لا يحصُل المقصود.
وسهمٌ في الأغْراض مُصِيب، وليس له منها سهمٌ ولا نَصِيب.
ثعبان لا يزال يحرِق ما مرَّ عليه بأنفاسِه، تمشي الثعابينُ على بطونها وهذا يمْشي على رَأسِه.
أرْقَم يبلع الأساود، أدهم تُقيَّد به الأوابد.
حيَّة تنْغمِس في بحر رَنْقِ الماء، وتخرج منها وفي فمها دُودة سوداء.
يلدغ الأكْباد كأنه عسَّال ذابل، ويشْفي الفؤادَ كأنَّ فيه أزْياً اشْتارتْه أيدِ عواسِل.
أكمل أمرَه في السِّباحة، وأفنَى عمرَه في السِّياحة.
يقطع الفَيافِي، وهو رَجْلان حافي.
تارةً يُخرِج الفرائد من البُحور، ويجعلها قلائدَ بِيض النحور.
سَفَّاح ذو خَلاعة ومجون، رشيدٌ أمينٌ إلا أن طُغيانه غيرُ مأمون.
يجرُّ من الهنود جَحفلاً كالبحر ماجَتْ راياتُه، ولا تنقطع عن ممالك الروم دقائقُه وما جَرَياتُه.
يرتِّب الكتائبَ في المصافّ، ويصدُر عنه بالرُّمْح الرَّعَّاف.
شادٍ إذا غنّى شفى المفْؤود، كأنه أُوتي مِزْماراً من مزامير آل داود.
أشقرُ يحب أن يخُبَّ في المَرْج، ألف القطع إلا أنه لا يثبُت في الدَّرْج.
ألِف إذا فارق النون فهو صاد، حرفٌ نَفى كلّ دَالٍ عن عينِه الرُّقاد.
مُطْلَق لا يعتريه الأسْر، مرفوعٌ إلا أنه يدخل عليه الكسْر.
يُستعمَل مفرداً ويُجمَع ويُكسر على قِلّة، أجوفُ ويُعَدّ ناقصاً إذا كان في حرفِه عِلّة.
ثلاثيٌّ عينُه لام، صحيحٌ إلاَّ أن فاءَه عينُ السَّقام.

Marfat.com

مشتَقٌّ يصدُر مِن حرفه الأفْعال، عاملٌ إذا كُسِر يبطل عن العمل في الحال.
لسانُه ذَلِق، وقلبُه مَلِق.
لَفظُوا باسْمه فصيحاً وهو محرَّف، وأراد أن يصحِّفوه فلم يُصحَّف.
مِيزابُ عين الحكمة منه نابع، مقياسٌ يُبصَر العلم عليه بالأصابع.
لسانُه قارِي، يتكلم بعد ما حُزَّ رأسُه وهذه حكمةُ الباري.
تتعجَّب من أمره العقول، ويسأل عنه المُلْغِز ويقول: [الكامل]

ما أمْرَدٌ منه القَوامُ مُقوَّمٌ والرأسُ منكوسٌ كشيْخ فاني
أبصرتَه فرأيتَ منه عجائباً حَدَث ترغرع سنُّه إثنانِ

كفى من رُتَبِه أن اللّه أقسم به جَلّ، لو لم يكن قدرُه أجَلّ.
لمَا قبَّل يدَ المولى الهمام، ولما طوَّقت أياديه رقبة الحمام.
مولىً عيونُ ذوي الأنظار إلى مِرْوَد قلمِه مِيل، وذَرُورُ تُرْبةِ قدمِه يجلو جفونَ أُولي الأبصار من رَأْس مِيل.
إذا سحَّ سحابُ كماله ترى سَحْبانَ في روض الفصاحة باقِلا، وإذا فاض مَعِين أفْضاله ترى مَعْناً لحوض السماحة مادِراً باخلا.
إذا نثَر نثر الدُّرَر، وإذا نظَم نظَم الغُرَر.
حرفٌ من ذلك البَنان، وطَرْف من سِحْر البَيان.
سطرٌ من تلك الأنامل، وشِطْرٌ من حقائق المسائل. [البسيط]

في طرْفِه أدهمٌ يجْري على سَنَنٍ من رأسِ أُضْبُعه الغَرّاءِ غُرَّتُهُ
أبو العلاء إذا أضْحَى يعارضُه يَبينُ عنه وقد بانَتْ مَعَرَّتُهُ

إذا ألْقَى الدروس، يُحْيي رِباعَ العلوم بعد الدُّرُوس.
وإذا تعِب براحته قلمُ الفُتْيا، تصل إلى كلِّ راحةِ الدنيا، وتعلو كلمة اللّه العُلْيا.
قلمُه في بَنانِه المِدْرارِ، كأنه قضيبٌ نبَت في الأنْهار.
يسعى قدمُ العلم في مَدارِ محاسنِه وهو كسِير، وينقلِب بصرُ البصيرةِ خاسئاً وهو حَسِير.
وإني وإن أُعمِل صوارِمَ اليراعةِ ومَضاها، وأبلغُ من مسالِك البراعةِ مَداها.
وأَلْمَحُ من غُرَف الإبْداع غوانيَ المغاني، أُضْمِي بظُبَى الأقلام ظِباءَ المعاني.
لو رُمْت تَعْديدَ نجوم بروجِ فضائِله التي تتنافَس بها الأماثلُ وتتَباهَى، وتتَناهى الأيام وهي لا تتناهى.
لعرفتُ أني مخصورٌ في غيرِ مخصور، ولاعترفتُ بأني من جِنان مدائِحه في قصُور.
لقد غدا سابقاً في حَلْبةِ العلْياء أمثالَه، إذا تناولت الأقلامَ راحتُه تقول ما قصَباتُ السَّبْق إلاَّ لَه.

Marfat.com

لا زالت خمائلُ الفضائل برَشَحات أقْلامه مُخْضَلَّة، ونسائِمُ الأصائل بنَسَمات أنْفاسه مُعْتَلّة.

ولا برحت تضْحكُ ببكاءِ أقْلامِه الطرُوس، ويُرَى في صورةِ خُطوطِه حُظوظُ النفوس.

ما تغنَّت الأقلامُ بصَرِيرها، والأنهارُ بخَرِيرها.

وضحكت الأسْحارُ بشُروقِه، والأمطارُ ببُروقِه.

بحُرْمةِ مَن لولاه لم يُخْلَق اللوحُ والقلَم، ولم يُعلّم الإنْسان ما لم يَعْلَم.

وله رسالة سيْفيَّة. منها:

وبعد، فإن السيف في حَنادِس الوقائع شهابٌ ساطع، وإلى ممالكِ المعالي صِراطٌ واسع، وعلى مسائِل العزائم بَيانٌ قاطع، وإن كان في أواسِط الناس بالتقليدِ مشْهوراً، فأرَدْتُ أن أُرصِّعَه بجواهر التَّوْصيف، وأُحلِّيه بعلائِق التَّعْريف. ومنها:

يعرف ضروباً من فنون الحرب، وهو مُجِدٌّ في كلِّ كَرٍّ وكَرْب.

إذا شُهِر يُشْرِق النورُ من غَرْبِه فهو المشهور بالشرق والغرب.

ذو علائق لكن إذا جُرِّد يكون من أصْحاب اليمين، وقد يعتكِف في خَلْوةِ القِراب فيكون من المقرَّبين.

جدولٌ ربما يشُقُّ من الدروع بحراً مَوَّاجاً، يفتح بابَ النصر فترى الناس يدخلون في دينِ اللّه أفْواجاً.

ذو وَجْهين له طبعٌ حَدِيد، وبأسٌ شديد.

جدولٌ ما هبَّ عليه نسيمُ النصر، شعلةُ نارٍ تزْمِي بشَرَرٍ كالقَصْر.

نارٌ يُؤَجِّجه ضاربُه، ماء يغَصُّ به شاربُه.

نهر مَلآن، تُسقى به حِمى الأبدان.

فيجعلُها حدائق، ذات وَرْد وشقائق.

عالِم لا ينظُر إلى مَتْن إلاَّ ويُشَرِّحه، حاكمٌ لا يحضره شاهد إلاَّ ويُجرِّحه.

شارح له متْنٌ متين، يُمْلي في صحائِفه سورةَ الفتح المُبين.

حدُّه ذاتيٌّ وقولُه قولُ شارح، يُبِّين بدقائِق فَرْقِه وجَلِيِّ شرْحِه مشكلاتِ المطارِح.

عالِم في الضَرْب والتفْريق، ماهر في العلوم القطْعِيَّة على التحقيق. إذا طُلِب منه شرحُ الخفايا ينْشرح لها ويهتَزّ، طالما طبَّق المَفْصِلَ في الإبانةِ وأصاب المَحَزّ.

مِرآة ينْطبع عليها صورةُ الحَتْف.

ومنها: شُروق غَرْبه يُسْفِر عن فجر يوم الحرب. كأنه جدولُ ماءٍ جرى في ساحةِ روض فظهر منه رؤوسُ نَباتِه، أو لمْعةُ ضياءٍ دخلتْ من كُوّة بيتٍ فبدتْ على صورة ذاته. النَّبْل له كالخَدَم، والرمحُ يقوم في خدمتِه على القَدَم. بل الرمحُ من حُبِّه ذابل، فهو كالمِلك الجليل والرمحُ له عامِل. إذا رآه القوسُ يقول ما لي من جنس بسالتِك

Marfat.com

سهْم، وإذا لاقاه الدِّرْعُ يُدخِل حلَقه بعضَها في بعض من الوَهْم. نهر من بحر الحرب تُسْقَى به قصَباتُ الرِّماح، لم تبْدُ على غدير الدِّرْعِ أمْواجُه حتى هبَّت من شَطَّيْه للنصر رِياح. ذكَرٌ له حَيْضة طائر يقَع على البَيْضة. أغرَق أطْلال وجودِ العِدى بسيْلِ أقطارِ السهام وأنهار الصِّفاح، ونزَح حَمْأةَ أرواحِهمْ بدِلاء المغافِر وأرْشَاء الرِّماح. يُجْرِي بحاراً من العساكر، فيها أمواجُ الدروع وفواقِع المغافر.

ومنها: لا زالت ألِفُ سهْمِه مع نونِ قَوْسِه المشدَّدَة، لجملةِ خبر بَسالتِه وإيالتِه مُؤكدَة.

ولا برح شكْلُ دُبُّوسِه همزةً لقطْعِ الآجال، وسِينُ سْيفِه مُقَرِّبةً عُمْرَ العدوّ من الاسْتقبال إلى الحال.

ومنها: هذه جواهرُ مدح تُرصَّع بها هذه السَّيْفِيَّة، وحمائِلُ تُشَدُّ في جِيد الحَمِيَّة الأدبيَّة.

ومما يحسن هنا إيرادُه «الرسالة السِّكِّينيَّة»، وهي لابن حِجَّة:

يُقبِّل الأرض التي قامت حدودُ مكارمِها، وقطعَتْ عنا مكْروهَ الفقر بمَسْنون عزائمها.

ويُنْهى وصول السِّكِّين التي قطَع المملوك بها أوْصالَ الجفا، وأضافها إلى الأدوية فحصل بها البُرْءُ والشفا.

زرقاءُ كم شاهدت البيضُ منها ألوان، خرساءُ ومن العجائب أنها لِسانٌ لكلِّ عنوان.

ما شاهدَها مُوسى إلاَّ سجد في مِحْراب النِّصاب، وذلَّ بعد ما خضَعت له الرؤوسُ والرقاب.

كم أيقظَت طرف القلم بعد ما خَطّ، وعلى الحقيقة ما رُئِيَ مثلُها قَطّ.

كم وجَد بها الصاحبُ في المضائِق نفْعاً، وحكم بحُسْن صُحْبتِها قَطْعاً.

ماضيةُ العزمِ قاطعَةُ السِّنّ فيها حدَّة الشباب من وجهين، لأنها بالنَّاب والنِّصاب مُعْلَمة الطرفيْن.

أُنْمُلَة صُبْح تقنَّعت بسوادِ الدجى، فعوَّذْتُها بالضُّحى والليل إذا سَجا.

ولسانُ بَرْقٍ امْتدَّ في لَهَواتِ الليل، فتنكَّرت أشِعَّةُ الأنْجُم حتى ما عُرِف منها سُهَيل.

هذا وتقطيعُها موزون إذا لم يتجاوَزْ في عَرُوض ضَرْبها الحدّ، ومعلومٌ أن السيفَ والرُّمْحَ لم يعرِفا غير الجزْر والمَدّ. [الرجز]

من أجْلِنا تدخلُ في مضائقٍ ... ليس لسيْفٍ قطُّ فيها مَدْخَلُ
وكلُّ ما تفعله توجِزه ... والرمحُ في تعقيدِه يُطوِّلُ

Marfat.com

إن هجَعتْ بجَفْنها كانت أمضَى من الطَّيْف، وكم لها من خاصَّةٍ جازتْ بها الحدّ على السيف.

تُنْسِي حلاوةَ العسَّال فلا يظهر لطوله طائل، وتُغْني عن آلة الحرب بإيقاع ضرْبها الدَّاخل.

إن مرَّت بشكلِها المُحَلَّى تركت المعادنَ عاطلة، ولم يُسمَع للحديد في هذه الواقعة مُجادَلة.

شهد الرمحُ بعدالتِه أنها أقربُ منه إلى الصواب، وحكَم بصحَّةِ ذلك قبل أن يتكمّل لها النَّصاب.

ما طال في رأسِ القلم شعرةٌ إلا سرَّحتْها بإحسان، ولا طالعتْ كتاباً إلا أزالت غلطَه بالكَشْطِ من رأس اللِّسان.

تُعقَد عليها الخناصِرُ لأنها عدةٌ وعُدَّة، وتاللّه ما وقعتْ في قبضةٍ إلا أطالتْ لسانها وكلمت بحدِّه.

إن دخلت إلى القِراب كانت قد سُبكت على الدُّخول، أو أُبرِزَت من عَتْمةٍ كان على طَلْعتها الهلاليّة قَبول.

تطرِف بأشعَّتِها الباهرةِ عينَ الشمس، وبإقامتها الحدَّ حافظتْ الأقلامُ على الخَمْس.

وكم لها من عجائب تركتْ جذْولَ السيف في بَحْر الغِمْدِ وهو غريق، ولو سمِع بها من قبْلِ ضرْبِه ما حُمِّل التَّطْريق.

فلو عاصرَها الكمالُ لعَرَك من قَوسِه الأُذُنين، وقال له جَحَدْتُ رسالتَك يا ذا القَرْنين.

فإن جذَبْتَ إلى مقاومتِها وكان لك يَدٌ تمْتدّ، وصلتِ السِّكِّين إلى العظْم وصار عليك قطعٌ وانتهى أمرُك إلى هذا الحدّ.

وهل تُعانِد السِّكِّين صورةٌ ليس لها من تركيب النَّظْم، إلاَّ ما حملت ظهورُها أو الحَوايا أو ما اخْتلط بعَظْم.

ولو لمحها الفاضلُ لحقَّق قوله أن خاطرَ سِكِّينه كلّ، أو أذركها ابنُ نُباتة لما أقرَّ برسالةِ السَّيف وفُلّ.

وقال لقلمِ رسالتِه: أطلِقْ لسانَك بشُكْر مَواليك، وأخْلِص الطاعةَ لِبَاريك.

ولم يقصِد المملوك الإيجازَ في رسالة السِّكِّين ونظْمِها، إلا لتكون مختصَرة كحجْمِها.

لا زالت صدقاتُ مُهْدِيها تُتْحِف بما يَذْبح نَحْرَ فَقْرِي، وتأتي في كلّ حين بما يشْفِي داءَ الفقر ويَبْرِي، بمنِّه وكرمه.

Marfat.com

تتمة

قوله: «بنان الأفهام» استعارة ركيكة، فيها لُكْنة روميَّة، والطبع نزَّاع.

ولما قال الشاعر: [الطويل]

نوائبُ غالتْني فأبدَتْ فضائلي ... فكانتْ وكنتُ النارَ والعنْبَر الوَرْدَا
فلولا عُلاه عِشْتُ دهرِيَ كلَّه ... وكِيسُ كلامي لا أحُلُّ له عَقْدَا

قال ابنُ بَسَّام: كيسُ الكلام يُضْحِك من بَرْدِه ماءَ المَلام.

وقد قال الصاحب: كنا نعجَب من ماءِ الملام في بيت أبي تمَّام، حتى عَذُب عندنا بحَلْواء البَنين في قول المُتنَبِّيّ: [الطويل]

وقد ذُقْت حَلْواءَ البَنين على الصِّبا ... فلا تحسبَنِّي قلتُ ما قلتُ عن جهْلِ

فكيف لو سمع استعاراتِ هذا العصر، كقوله: [البسيط]

بُقْراطُ حسنِك لا يرْنو إلى عِلَلِي

وقول المِصِّيصِيّ: [الوافر]

إذا كانتْ جِفانُك من لُجَينٍ ... فلا شكَّ الغِنى فيها تُريدُ

وقول ابن بُرْد: [مخلع البسيط]

يا شاعرَ الحُسْنِ بي تَرفَّقْ ... لا تقْتُلَنِّي كذا بديهَا

وابن عَمَّار، وإن تبعه فقد ضعَّفه في قوله: [الكامل]

رَوِّى ليضْرِب وابتدَهْتُ بضَرْبةٍ ... إن الطِّعانَ بدايةُ الفُرسانِ

انتهى.

وقوله: «حتى يتوارى بعضها في بعض» هو كقول الآخر في كُرسيِّ المصحف: [الطويل]

حملتُ على ضَعْفي الذي كلماتُه ... لَهيبتِها يتصدَّعُ الجبل الرَّاسِي
تداخل مني البعضُ في البعضِ هَيْبةً ... لأن كتابَ اللّه أضْحَى على راسِي

ولظافر الحدّاد: [الكامل]

انْظُرْ بعيْنِك في بديع صنائعي ... وعجيب تركِيبي وحِكْمةِ صانعي
فكأنما كفًّا مُحِبٌّ شبَّكتْ ... يومَ الفراق أصابعاً بأصابع

ونحوه قول ابن رَشِيق في الدِّرْع: [الرمل]

كلَّما دارتْ بها أبصارُنا ... صوَّرت فيها مثالَ الحدقِ
أوْجَستْ في الحرب من وَخْزِ القَنا ... فتوارَتْ حلَقاً في حَلَقِ

وعكسه قوله في سُبْحة: [المتقارب]

Marfat.com

ومنظومةِ الشَّمل يخلُو بها اللـ ... ـبيبُ فيجمَع من هِمَّتهْ
إذا ذكَر اللّه جلَّ أسْمه ... عليها تفرَّق من هيْبتِهْ

ولابن عبد الظَّاهر فيها: [م. الرجز]

وسُبْحةٍ أناملِي ... قد شُغِفتْ بحبِّها
مثل مناقيرِ غدتْ ... مُلتقِطات حبَّها

وأما ذكره الحيض مع الذكورة فمعنى مشهور قديم، كقوله: [الكامل]

ومن العجائب أن بِيضَ سُيوفهمْ ... تلِدُ المنايَا السُّودَ وهْي ذكورُ

وممن تشرَّفتُ به مُتنبِّيّ ذلك اللسان.

١٥٣- عبد الباقي

ربيع مجدٍ هطلت سحائب فضله، وبحر شِعْر استخرَج جواهرَ غوّاصُ ذكائه ونُبْله.

مشْحوذُ أسَل العزمات، مصقولُ حدِّ همَّةٍ تكِلُّ عندها ألْسنة المُرْهَفات.

تضِيق عن جِيد مَعالِيه عقودُ التَّفاصيل والْجُمَل، ويلْقَى ظامئُ المسامع منه وِزْداً عذْباً لا يسْأمُه العَلَل والنَّهَل.

وهو معجزةٌ تحدَّى بها آلُ يافِث، وساحرٌ ألْقى العصا لكلِّ مَن كان فى عِقْد البيان نافِث.

أخلاقُه تفضح نسيم الصَّبا في الصباح، وتُسْكر بنَشْأة شَمولها أزواحَ الأقْداح، فيضحكُ حَبابُها على ثغور الكؤوس المملوءة برُضاب الرَّاح.

وهمَّته لم تغْمِد صوارِمَها إلا في أجْياد المطالِب، ولم تطأْ أقدامُ أقْدامِه وعزائمه إلاَّ على هامات المناصب. [الخفيف]

قد حكى الصارمَ المحلى سِوى أنَّ ... حُـلاه جـواهـرُ الآداب

وكان في عُنْفوان عمره يحسِن صناعة السروجِ وهو رخِيُّ اللَّبب، طَلْق العَنان لا يمسُّه في مِضمارها لَغَب.

١٥٣- عبد الباقي شاعر الروم وحسانها، الأديب الشاعر الفائق، الشهير بباقي. كان أوحد أهل عصره في الفضل والأدب، وله الشهرة الطنانة في الشعر البليغ، وأهل الروم يطلقون عليه سلطان الشعراء فيما بينهم. وذكر مبدئه أنه كان يتعانى حرفة السروج ثم تركها وتشبث بأذيال العلوم، واشتغل على كثير من علماء وقته، ووصل آخراً إلى شيخ الإسلام أبي السعود العمادي فواظب على درسه وفاز منه بالملازمة العرفية، وما زال صيته يسمو بحسن الشعر حتى وصل إلى مسامع السلطان سليمان فالتفت إله وصيره مدرساً، ولم يزل يترقى في المدارس إلى أن وصل إلى إحدى المدارس السليمانية، ثم بعد مدة ولي المدرسة السليمية بدار السلطنة، وولي منها قضاء مكة المشرفة، ثم نقل إلى قضاء المدينة المنورة، ثم استقضى بدار السلطنة ونال بعد ذلك قضاء العسكريين مرة بعد مرة.
وكانت وفاته في سنة ثمان بعد الألف. خلاصة الأثر (٢/ ٢٨٧).

Marfat.com

حتى رَمقه ناظرُ السعد، وابتسمت له مباسمُ المعالي والمجد.

فتشرَّف بخدْمة خاتمة المفسرين أبي السعود، فرنا إليه الدهر بعيْن الرِّضى وعيونُ الخَطْب رُقود.

فانْتبه طَرْفُ سعدِه من نَوْمةِ الخمول وتيقَّظ، وقال الدهرُ انْظُر إلى البخْتِ والحَظ.

في قصة شرحُها مُطوَّل، وعلى الجَدِّ بعد معونةِ اللّه المُعوَّل، فأظهرت ضمائرُ الأيام ما كانت تنويه، وصرَفت له الجدودُ العاثِرة كلَّ رفْعةٍ وتَنْويه.

حتى تولى قضاء العساكر، وراقَت له من مشاربِ آماله الموارد والمصادر.

وللّه في تصريف الدهر ما يجعل الآمال أمْوالا، ويقلِب الأمورَ حالاً وحالا.

وكنتُ لمَّا ألقيْتُ بسُدَّةِ الملك عَصا التَّسْيار، ونفضْت عن وجه الهمَّةِ قَتِيرَ الأسْفار.

رأيتُه وقد أحالت الليالي بَنفْسَجه ياسَمينا، وبدَّلتْ سَبَج شعرِه المسْوَدِّ لُجَيْنا.

[الرمل]

صِبْغةُ اللّه الذي جلَّ ومن ... يصْبُغ المسودَّ مبْيضًّا سِواهُ

وأنا بالروم أسير، وفي قُيود الغُرْبة أمْرَح وأسيِر. [الوافر]

مَلاعِبُ جِنةٍ لو سار فيها ... سليمانٌ لسار بتَرْجُمانِ

وبها من الشعراء كلُّ مضْقولِ أطْرافِ الحديث مشحوذِ شَبا اللسان، إذا تُلِيت لَطائفُه سجَد لها اليَراعُ وركع البَنان.

مما هو أشهرُ من الأمْثال السائرة، وأزْهَى من عيونِ أنوارِ الرياض الساهرة، عيونٌ ناضِرَةٌ إلى ربها ناظِرة.

ممن لبِستُ بمُسامرتِه حللَ المسرَّة، وأخرجتُ مُفاكهة العشرة من العسرة.

ثم انْقَشعت تلك الغَمامةُ وانْجَلت، وتلاَ لسانُ الدهرِ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤]. [م. الكامل]

إن الكرامَ قصيرةٌ ... أعمارُهم مثلَ الشبابِ

وأرى اللئامَ تجاوزتْ ... أعمارُهمْ حدَّ الحسابِ

يا ليتَهمْ إذ يمْرَضُوا ... شمْعٌ تجسَّد في الْتهابِ

فإذا عَرَتْهمْ مَرْضةٌ ... فشفاؤُها ضربُ الرقابِ

والديارُ مملوءةٌ بالفضلاء والأشْراف، معمورة الأقطار بالأعيان والأطراف.

ومن أجلِّهم أستاذي زُبْدة المحقِّقين، ونتيجةُ مقدِّمات البَراهين:

Marfat.com

١٥٤- فخر الزمان سعد الدين بن حسن جان

كانت أيامُه ربيعَ الأفاضل، وسُدَّتُه محطَّ رحالِ الآمالِ وسابلة المسائل.
تُلْقَى عنده عصا التَّسْيار، وتنزل بحَرمِ سعادته قوافلُ الأسْفار والأسفار.
فهي قَرارةُ ماءٍ سالت به الأباطِح، ومِيعاد تلاقِي كلِّ سانحٍ وبارحِ.
وقد جُمِع فيه من الكمال ما ليس له مِثال، وإن ضُرِبت به الأمثال.
أما خطُّه فابنُ مَقْلَةَ بعيْنه، وأما فصاحةُ لُغاتِه فما لابن دُرَيْد بـ «جمْهرتِه» والخليلِ بـ «عينه».

فلو رآه قُسُّ بن ساعِدة، والأسودُ رابضةٌ لديه ألْقَى له يدَ التسليم وساعِدَه.
أيامه تواريخُ النِّعَم، ومواسمُ الفضل والكرم.
فهو مجموعةُ عُطارِد، ونُسخة محاسنِه التي قيَّد فيها غُرَر الأوابِد.
جُمِع له من زهْرة الدنيا من المال والبَنين ما ملأ الملا ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].
فاجتمَع فيه وفي نسْلِه ما لم تكْتحِلْ بمثله العُيون، حتى تَلا ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣].
فهم ختامُ مِسْك العلوم والآداب. [الخفيف]

ربَّ خيرٍ يجيءُ في الخاتماتِ

ومُقدِّماتٌ هي نتائجُ العقول والألباب.

فهو مثل السلام في الصَّلواتِ

فتَمّ به وببنيه السعدُ حتى أصابتهم عينُ الكمال، ونزلَت نجومُ سعدِهم من سماءِ المعالي إلى حَضيضِ الزَّوال.
ففاجأتْهم أمُّ قَشْعَمٍ بَغْتةً بلا اعْتدال.
فقلتُ في ذلك، وهو معنى لم أُسْبَق إليه: [الخفيف]

مات مَن كان يستَحْي الدهرُ منه ... وله السعدُ خادمٌ في المنازِلْ

١٥٤- محمد بن حسن جان، المدعو سعد الدين بن حسن جان التبريزي الأصل، القسطنطيني المولد والمنشأ والوفاة مفتي الدولة ومعلم السلطان مراد بن سليم. ولد بالروم، وقرأ ودأب ولزم درس المولى شيخ الإسلام أبي السعود العمادي، وأخذ عنه وانتفع به ولازم فيه، ثم ترقى في المدارس وطنت حصاة فضله فنصبه السلطان مراد معلماً لنفسه، ولما توفي السلطان مراد تسلطن بعده ابنه السلطان محمد فأبقاه معلماً لنفسه أيضاً، ثم ولاه الإفتاء.
وكانت وفاته وهو مفت فجأة في سنة ثمان بعد الألف، ودفن بالقرب من أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. خلاصة الأثر (٣/ ٤١٨).

Marfat.com

والـمـنَـايَـا تَـهـابُـه فـلـهـذَا جـاءَه الـمـوتُ فَـجْـأةً وهْـو غـافِـلْ

وكان ممّن أخذ عن المولى أبي السعود بن محمد بن مصطفى العِمَادِيّ الإسكليني.

ولد بقرية قرب القُسْطَنْطِينيَّة، سنة ثمان وتسعين. ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاريّ. وكان طويلَ القامة، خفيف العارِضين.

وتربَّى في حِجْر والده يرضعه دَرَّ فضْله، ويسْقيه من مَنْهَل كمالهِ حتى علا فَرعُه على أصلِه.

حتى رَقِيَ لمرتبة الإفتاء بعد قضاء العسْكرين فتزيَّن الدهرُ برَشَحات أقلامِه، وأثمرت رياضُ الفضل بثَمراتِ أرْقامِه.

وعيونُ سعدِه ناظِرة، ورياضُ مجدِه ناضِرة.

إلا أنه أفرَط في محبَّةِ المال والجاه، قائلاً في ظلِّ المَلِك وباردِ هَواه.

يهُزُّ نخلاتٍ تساقطتْ عليه رُطباً جَنِيًّا، وتناثرتْ نَصِيرَ نُضارٍ مَلِيًّا.

وهو أوّل مَن جعل تقْديم الأطْفال سُنَّة، فبقيَت تلك السِّيرة كما سَنَّه.

فصارت سَبباً لانْطفاءِ نِبْراس العلم ودُروسِه، وتعْطيل أطْلالِ رسومِه ودُروسِه.

مع افْتِتانه بآثارِه، وروائِع كُتبِه وأشعاره: [الكامل]

والـمـرءُ يُـفْـتَـن بـابْـنِـه وبـشـعـرِه لـكـنَّ ذلـك فـتـنـةُ الـعُـقـلاءِ

على أنه لو قيل: إنه أشعرُ أهل جِلْدتِه، فالرائِدُ لا يكذب أهلَه فإنه أدرَى بِشعاب حِلَّتِه.

فمن جَزْرِ مَدِّه، الذي رواه طالعُ سَعْده، قصيدته الميميَّة التي عارَض بها المَعَرِّيّ: [الطويل]

وأينَ الثُّريّا من يد المُتَنَاوِلِ

وهيهاتَ هيهات العقيقُ من صُمِّ الجَنادل. وأوّلها: [الطويل]

أبعد سُلَيمى مطلَبٌ ومَرامُ

وستأتي إن شاء الله تعالى بتَمامِها.

وممن صحبْتُه بالروم إبَّان الشباب، فكان عوناً لي على الزمان:

١٥٥- عبد الكريم بن سِنان

فكنا نتراضَع تُدِيَّ الكؤوس، ونتجاذَب أهدابَ الأُنُس في الدروس.

وهو إذ ذاك ناشرُ أرْدِية الفضل والكرم، وعامر أبنْية الآداب والحِكَم.

فكان كما قلتُ في خطابه، مثنياً على غُرَر آدابِه: [الطويل]

وأنـت الـذي عـرَّفْـتـنِـي طُـرَقَ الـعـلا وأنـت الـذي أهْـديْـتـنِـي كـلَّ مَـقْـصِـدِي

Marfat.com

وأنت الذي بلَّغتني كلَّ رتبةٍ مشيْتُ إليها فوق أعناقِ حُسَّدِي

وكان ينظِم وينثُر بالألْسنَة، ويكتب من الخطِّ المنْسوب أحسنَه.

وله رسائلُ مشهورة، وكلمات على لسانِ الدهر مأثورة.

منها قوله في ذي بطْنَة، أخمدتْ نارَ الفِطْنَة:

فلان ضاعتْ أوقاتُه، وغلبتْ على حسناتِه سَيِّئاتُه.

متمحِّصاً للْفحْص عن أحوالِ الناس وأخبارِهم، متفرِّغاً لنَبْش خَبايا أسرارِهم.

يسأل كلَّ داخلٍ عن الحوادث، ويُكثِر من البحث عن الناس وفيه مباحث.

فليته يعرِف أن من غَرْبَل الناسَ نخَلُوه، وأن من أظهر لهم الصُّعوبة ذَلَّلُوه.

فلَهَفِي على إضاعةِ أوقاتِه في حديثٍ غَثّ، وكلام باردٍ رَثّ.

تمُجُّه نفسُ السامع، وتتلوَّث به المسامِع.

ولو أكل لقمان عاد نجساً من التُّخَم، وألْقاه إلى حيثُ ألقت رَحْلَها أمُّ قَشْعَم.

وله إخوانٌ تَخالُهم كلاب، أو ذئابٌ عليها ثياب.

وكان يتحرّش بي حين سخِنَتْ عينُه، وحان حَيْنُه.

وقد قيل: إذا جاء أجلُ البعير، حام حول البِير: [الكامل]

يا سالكاً بين الأسِنَّةِ والظُّبَا إنِّي أشُمُّ عليك رائحةَ الدَّمِ.

وممَّن صحبْتهُ بالروم:

١٥٦- السيد محمد بن برهان الحُمَيْدِيّ

كان أخِي شقيقي، وصِنْوَ روحي ورفيقي.

فاضِلٌ حِماه للمجدِ حَرَم، وكريمٌ يُجْلَى بغُرَّتِه صَدأُ الخطوبِ وتُكشَف الظُّلَم.

وكان يوماً بمنزلي مع الإخوان، فأرادوا الجرْيَ على العادةِ في الدُّخان، فأبى ذلك لأنه يراه من مُنْكَرات الزَّمان.

فقلت له بديهاً: [الوافر]

فديْتُك جُذْ بإذنٍ للنَّدامَى ليأتُوا بالدُّخانِ بلا توانِي

١٥٦- السيد محمد بن محمد بن برهان الحسيني، الشهير بشيخي وبالعلامة، الحميدي الأصل، القسطنطيني المولد، نقيب الأشراف بممالك الروم المحروسة. كان عالماً بارعاً، نبيهاً نبيلاً، صاحب أخلاق حميدة ومكارم جزيلة ومعرفة تامة بلسان العرب. لازم من شيخ الإسلام يحيى ابن زكريا، ودرس ثم تنقل في المدارس إلى أن وصل إلى المدرسة السليمانية ثم ولي منها قضاء حلب ثم صار قاضياً بالقدس، ثم قضاء الفلطه، ثم صار نقيب الأشراف مكان ابن عمه السيد محمد بن برهان الشهير بشريف، ووجه إليه رتبة قضاء العسكر بأناطولي، ثم عزل عن النقابة وأعطي قضاء مكة المشرفة فسافر بحراً على طبق ما أمر به من السلطان، فلما وصل إلى ثغر جدة أدركه بريد الحمام وذلك في سنة ثلاث وأربعين وألف. خلاصة الأثر (٤/ ١٧٧).

Marfat.com

تُـريـدُ مُـهـذَّبـاً لا عـيْـبَ فـيـه وهــل عُــودٌ يــفــوحُ بــلا دُخــانِ

فقال بدِيهاً، وأجاد: [الوافر]

إذا شُـرِبَ الـدُّخـانُ فـلا تَـلُـمْـنـي عــلــى لَــوْمــي لأبْــنــاءِ الــزَّمــانِ

مـن الإخـوانِ أهْـوَى طـيـبَ خُـلْـقٍ كـمـثْـلِ الـمـسْـكِ فـاحَ بـلا دُخـانِ

بيان أحوال الروم، وانقراض علمائها

ونشر الظلم والعُدوان بين أمرائها

لمَّا انهدم من الفضل بنيانُه، وانقضت عمُدُه وأركانه.

وقُوِّضت خيامُه، واندرست رسومُه وأعلامُه.

وصار أمرُ الفتوَى والقضاء والمناصب العلمية، بعد العلامة شيخ الإسلام أسعد مَلْعبةً وشَغْبذةً وسُخْرِيّة.

والمدارس مَأْوَى الحمير، وقُلِّد القضاءَ مَن ليس في العِير ولا في النَّفِير.

ظهرت أشراطُ القيامة، ولُبس لباسُ الجهل من النعل إلى العمامة.

ووَلِيَ الإمارةَ الفجَّار الأشرار، فصاروا أقسَى من الحجارة ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقد قال أفلاطون: إذا تسامَح في القضاة والأطباء دولةٌ فقد أدبرتْ وقَرُب انحلالها.

قلت: وكذا كثرةُ العَزْل والنَّصْب، وقد قيل: آخر الدور سماعِي.

فمما حدث بها لمَّا سجد الزمانُ فارتفع كل أسْفل، واتَّبعت نتيجةُ هذه الدولة الأخسّ الأرْذل.

أن فُوّضت صَدارة العلماء، ووُجِّهت قيادةُ الفضلاء.

لشخصٍ مُلقَّب بأسود الخُصَى، يفنَى دون عدد معائبه الرملُ والحصى.

فجرتْ بيني وبينه مُخاصمة، أدّت إلى المكابرة والمحاكمة.

فقلت في وصفه مقامة، هذه صورتها:

اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث، وألوذ بك يا نورَ النور إذا دجَت ظلمات الحوادث.

يوم تبْيضُّ وجوهٌ وتسودّ وجوه، ويبين كلُّ منقوص حتى يفرّ منه أبوه وأخوه.

فإنه مما صُبَّ من المصائب، أن حُمِل على كاهل الدهر عَيْبةُ المعائب.

نسخة القبائح، مُسوَّدة الفحش والفضائح.

جريدة العيوب، تمثال السيئات والذنوب.

إكْسِير الفساد، وشَماتة الأعداء والحسّاد.

Marfat.com

أُنموذَج الهموم، أظلم من ليلِ المرض والغموم.
قَحْط الرجال، قائد جيش الدَّجَّال.
قبيح الفعل والقول، إذا اعتذر عن إساءته غسل الغائطَ بالبول.
لئيمٌ غيرُ مَلوم، أجْوَر من قاضي سَدُوم[1] فصدارتُه هَجْوُ الزمان، وإظهارٌ لعداوة الأحرار والأعيان.
فلو لم يُخسَف بأهاليه، لما ارتفعت أسافلُه على أعاليه. [الكامل]

كالبحر ترسُب في أسافِله ... دُرَرٌ وتعلو فوقه جِيَفُهْ

جُعَل في بستان مُزْبَل، إذا أثمرت البساتين حَنْظَل.
إن لاح إنسانُ جَهْلٍ فهو لعينه، أو إبليسُ تَلْبيسٍ فذاك أستاذه وقَرِينه.
فلو عاين أحمد خداعَه لحيَّاه وأنشد: [المتقارب]

فلما نظرتُ إلى عقلِه ... رأيتُ النُّهَى كلَّها في الخُصَى

رِيقُه الزَّقُّوم، وأنفاسه السَّموم.
فهو لعَيْن الدهر قَذَى، لا ينطق بغير فحش وأذى.
الجهل رداؤه، والجُذام حِلْيتُه وبَهاؤه.
والجنون مِجَنة له من الأعداء، فذاتُه المكروهة عينُ السوداء.
ليس في خَلْقِه من الحكم والأغراض، إلا أن تقف الأطباءُ على ما جُهِل من الأمراض.
وتتَّضح به دقائقُ التشريح، ويُكثِر رائِيه من الاستعاذة والتسبيح.
تخرَّق منه الجسد، فكله عيونٌ تنظرُ من الحسد.
عِرضُه دَنِسٌ مُشقَّق، ووجهُه كقِرْطاس الرُّماة مُخرَّق.
أقبح من عُسْرٍ بعد يُسْر، لا يُعرَف أنه إنسان إلا أنه في خُسْر.
كلُّه مُنْتِن إلاَّ فَاه فاسْتثْنِه بخَلا، وكله بَلاءٌ لو سئِل عنه إبليس لقال بلَى.
يغلب بسلاح الوَقاحة في المبارزة، ويظُن أن الرِّشوة مباحة لأنها تُسمَّى جائزة.
ويزعُم لنفوذ أمرِه في الأنام، أن القول ما قالت جَذام لا ما قالت حَذام.
أشأَم من طُوَيس، وأثقل في السمع من ليس، ومعنىً يحمِل لِحْيَة التَّيْس.
يا عينَ الشُّوم، وحليفَة البُوم.
وسَلْحة الزمان، ونجاسة الديوان.
ألم يذرِ من صدَّرَك، ولم يخْشَ عُجَرك وبُجَرك.
أن زَوال الدُّول، باصْطِناع السَّفَل. [الوافر]

ومن يكنِ الغرابُ له دليلاً ... يمُرُّ به على جِيَفِ الكلابِ

---

(١) السدوم: قرية من قرى قوم لوط. القاموس المحيط، مادة /سَدَمَ/.

Marfat.com

يا خيبةَ الأمل، ومجْمع السَّفَل.
ونتيجة السُّقم، وضِنْءَ اليُتْم والعُقْم.
وعدوَّ الأدب، وأسْوَد اللقب.
أما استحى زمان حلَّ في صدرِه الخُصَى، وأصبح لقدْر العلم والمعالي مُرْخِصا.
ما دِرٌ لديْه حاتم، والحجَّاجُ أعدل حاكم. [السريع]

لـــو كـــان يـــدري جـــدُّه أنـــه يـخـرُج مـن إخـلـيـلـه لاخْـتـصَـى

قُرْبه أقبح من الحرمان، وبعدُه ألذُّ من وصلِ الحُورِ الحسان. قد نجَّس الأرض نجاسةً لا يطهِّرها الطوفان، قرّةُ عين أبي جهلْ فهو ينشد له بكل لسان: [المجتث]

نَـــغْـــلايَ أطـــهـــرُ مـــنـــه والـــكـــلـــبُ أطـــهـــرُ مـــنِّـــي

لا يهتدي إلى صواب، حتى يِشيبَ الغراب، أو يستِضيءَ شيطانٌ بشهاب.
سفيهُ الذَّم حِلْيَةٌ فيه، وكل إناءٍ يرشَح بما فيه.
أسجد من هُدْهُد في خَلْوته، خبيرٌ بأن يجنيَ العصا لسائر خدمته.
نحويٌّ كم نصَب وجرّ، وداوم على مذاكرة مشْتقَّةٍ من الذَّكَر.
رئيسٌ ليس له صِيت وسُمْعة، لم يبِتْ إلا وفي دِهْلِيزه شمعة.
أنْفٌ بالعُجْب في السماء، واسْتٌ من الأُبْنَة في الماء. [الكامل]

كـــأنـــه فـــرعـــونُ إلاَّ أنـــه مـن جـانـبِ الـوَجْـعـاء ذو الأوْتـادِ

كذَّاب فانظُرْ وجهه وسوادَه، كأنما أُلبِس الدِّينُ به حدادَه.
عارٌ على السلف والخلَف، أكذبُ ما يكون إذا حَلَف.
حَرّاقة فساد، قدحُ شررٍ شرُّه فساد، فإن كان أصلُه النار فهذ الخَلْف رَماد.
مفلس من دِينه وعقله، يقول إبليس: إنما تركت السجود لآدم؛ لأنه من نسله.
أقبح من النِّقَم، وأسوأ من زوال النِّعم.
أزْنى من ظُلْمَة[1] وأمرُّ من غَمَّةْ على غمة.
لم يزل يُبْدِي بانتقاصه الأفاضلَ غَرضا، لأنه من قومٍ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].
لا خير فيه إلا أنه لا يأثَم له مُغْتاب، بل يُحمَد ويجازَى بجزيل الثواب.
لم يُثْلَب وهو بهُجْر القول مُغرمَ صَبّ، ومَن ذا يعَضُّ الكلب إذا عضَّه الكلب.
[البسيط]

إن تهْجُه تهْجُ من في الأرض قاطبةً لأنـه مـن مـيـاهِ الـخـلـق قـد جُـمِـعَـا

فإن كان ذمُّ الناس جُلُّ مُناه، فما الناسُ إلا هو لا سِواه.

---

(١) ظُلْمَة: فاجرة هذلية، أَسَنَّت وفَنِيَتْ، فاشترت تيساً، وكانت تقول: «أرتاح لنبيبه»، فقيل: أقود من ظلمة. القاموس المحيط، مادة /ظَلَمَ/.

Marfat.com

لم تُبْقِه لصحةِ مِزاجِه السِّنون، وإنما ذلك لأنه عافَتْه المنُون.

وقد رُفِع عن هذه الأمّة المسخُ فما باله عاد ممْسُوخا، وتناهَى النسخُ للشرع فما باله عاد بصدارتِه منْسوخا.

قاضٍ لم يذر حجَّةً فما أحوجَه إلى الصَّك، وُجُوده غلَطٌ في صُحف الدهر مفتقِر إلى المحْو والحكّ.

نوّر به المانَوِيَّة الكلامَ، على أن مُوجد الشر هو الظلام.

والتَّناسُخِيُّ البيانَ على أن روحَ الحيوانِ تحلّ في الإنسان.

فلو لم ينْقرض نسلُ آدم، لما حُكِّم هذا القردُ في العالم. [الطويل]

فإن لقَّبوه بالرئيس سَفاهةً فإن الخُصَى تدعى رئيساً من الأعْضَا

وإذا كان من الدِّين، إعلانُ النصيحة لعامَّة المسلمين.

فعليك بالرأي الأسدّ: فِرَّ من المجْذوم فِرَارَك من الأسَد.

لأنه محرومٌ مَجْذوم، ليس فيه من صِفات العلماء إلاَّ أن لحمه مسْموم.

حمى اللّهُ مِزاجَ العصر من ساري مرضِه، وصان جوهرَ هذا الدهر عن عَرضِه.

وأنار بالزَّوال كُسوفَه، وصرَف بيد نَقَّاد المنِيَّة زَيُوفَه. والسلام.

فصل

وقد أدّى تصدُّر هذا وأمثاله إلى اختلالٍ في المُلْك وفِتَن، وكان ما كان حتى تضَعْضع الزمانُ ووَهن.

وآل ذلك إلى حَصادِ العلم والدين، وإن ورد في الحديث: «لاَ تَكْرَهُوا الْفِتَنَ فإنَّ فيها حَصَادَ المُنَافِقِينَ».

فظهرت أشْراطُ الساعة، وصارت كلمةُ الفحش والشُحّ مُطاعَة.

وفشا العُجْب والغرور، وتقدّمت أطفالٌ صدَّرتْهم أعجازُهم في الصُدور.

واختلطت الأحساب والأنساب، وعمَّر ربوع المعالي ذوو العقول الخَراب.

ووُسِّدت تَكْرِمةُ الشرع للأطباء وأهل النجوم، وصاد الصقورَ الضارية الغرابُ والبُوم.

وصار شيخُ السلوك طبيباً يخْقِن مَن أتاه، والطبيب شيخاً يقرّب من أتاه إلى اللّه.

وعلَت الجندُ المنابر والكراسي، وقال العبد للحُرّ: رأسُك كراسي.

وولدت الأمَةُ ربَّتها، وحاضت الدولةُ بعد اليأس فقضَت عدتَها.

وصار من فَدَى دينَه، يعبد العجل الذي حرَث فَدادِينَه.

واستتَرت الأقطابُ والأبْدال والنُجَبا، واغتَرب أربابُ العلياء واتَّخذوا سبيلَهم في البحر عَجَبا.

Marfat.com

واعتمد بقيةٌ منهم إلى ركن شديد إليه آوَى، وزكَّت القرودُ الشهودَ لما تولَّى القضاءَ ابنُ آوَى. [البسيط]

إذا ابْتُلِيْتَ بسلطانٍ يرى حسَنا عبادةَ العِجل قدِّمْ نحوه العَلَفَا

عجيبة

لما نام الرأيُ والهوى يَقْظان، ووُسِّد الأمر لغير أهلِه تصدَّر امرؤٌ رَطْبُ العِجان. [الكامل]

كالأُقْحُوان غَداةَ غِبِّ سمائِه جفَّتْ أعاليه وأسفلُه نَدِي

فولَّى ابنَه قضاءَ التَّخْت وإذا انفتح الحانوت بان العطَّار من البَيْطار، وقال للملك إذا سأله عنه: نعم القاضي قاضي جَبُّول فإنه من السادة الأخيار.

وقد كانوا يشدِّدون على القضاة في إثْبات غُرَّة رمضان، ولا يُبالون في غيره بزيادة ولا نُقْصان.

فلما هلَّ شَعْبان وانقَضى رجب، خالف المثل وقال: في شعبان ترى العجب.

فأمر الناس بالإمْساك والصِّيام، وقدَّم الغُرّة على المستهلّ بأيام.

ولم يكْتف بذلك حتى أثبت غرّة رمضان، بشهودِ زور وبهْتان.

فحار الناس في أمرِه، وسكتوا لخوْفهم من شرِّ أبيْه ومكره.

فكتبت في ذلك قصة رُفعتْ للمَلَك في قصْره، وهي على لسان شهر شوّال: [الخفيف]

قصتي قد أتتْ إماماً هُماماً تشْتكي الظلمَ حين صرتُ مضامَا
رقعةٌ في يد الهلالِ طَواها ليَراها المَليكُ في العزِّ دامَا
أنا شَوّالٌ الفقيرُ الذي قد خُصَّ بالعيد والصَّلاةِ مُدامَا
بعد شهرِ الصيام قد زُرْتُ قوْماً جائعاً أبْتغي لهم إكْرامَا
ولِيَ العيدُ حُلَّةٌ وهِلالي لِيَ طَوْقٌ من فوق جِيدِي تَسامَى
رمضانُ اعْتدَى عليَّ وأمسَى سارقاً ذاك لا يخافُ مَلامَا
أتَقاضَى ما كان شعبانُ منه سارقاً فاغْتدَى عليَّ انْتِقامَا
أخْتِشي ذَبْحَه بنصلِ هلالِي ثم سَلْخاً له وتَرْكِي المقامَا
إن دَعُوا الطولَ قيل ذا بركاتٌ أنا شهرٌ مُبارَكٌ صِرْتُ عامَا
غرَّقوا زَوْرقَ الهلال بشَهْرِي وببحرِ الدُّجا لقد كان عامَا
لا تُضيِّعْ حقِّي بشاهد زُورٍ هو أعْمَى بَصيرةٍ أو تَعامَى
جبهةُ الشاهدِ اكْوِها فهْو وَسْمٌ لكَذوبٍ عن زُورِه ما تَحامَى
إن كيَّ الخُسوفِ للشمسِ ظلمٌ وكذا الدهرُ لم يزلْ ظَلاَّمَا

Marfat.com

دُمْتَ في مطلَعِ السعادةِ بدراً ... يمْحَقُ الظلم نورُه والظلامَا

وكتبتُ بعد هذا: [م. الكامل]

يا سيِّداً أضحى الزَّما ... ن بأُنْسِه منه ربيعَا
أيامُ دهرِك لم تزلْ ... للناس أعياداً جميعَا
حتى لأوْشَك بعدها ... عِيدُ الحقيقةِ أن يضِيعَا

أسبغ اللّه ظلَّ الخلافة حتى يأوِيَ إليها كلُّ مظلوم، وينتصف هلالُ شوّال من رمضان فيعطيه حقَّه وينقُد له دنانيرَ النجوم.

فإن ما جرَى عليه في هذا العام، ما سمعتْ بمثله الليالي والأيام.

ولكنَّه ما جار واعْتدَى، وإنما القاضي المنقوص أتى ببدلِ غلطٍ ظنه بدلَ بَدَا.

وقد أساء عليه كما أساء ابن الرُّومِيّ في قوله لما ضلَّ وما اهتدَى: [البسيط]

شهرُ الصيام وإن عظَّمتُ حُرْمتَه ... شهرٌ طويلٌ ثقيلُ الظلِّ والحركَهْ
يمشِي الهُوَيْنَا فأما حين يطلُبنا ... فلا السُّلَيْك يُدانيه ولا السُّلَكَهْ
كأنه طالبٌ ثاراً على فَرَسٍ ... أجَدَّ في إثْرِ مطْلوبٍ على رَمَكه
أذمُّه غيرَ وقتٍ فيه أحْمَده ... من العِشاءِ إلى أن تصدَح الدِّيَكَهْ
يا صِدْقَ من قال أيامٌ مُباركةٌ ... إن كانَ يُكْنَى عن اسم الطولِ بالبركَهْ
لو كان مَوْلىً وكنا كالعبيدِ له ... لكان مولى بخيلاً سيِّئَ الملكَهْ

ولبعض الظرفاء: [م. الرمل]

أتَرى القاضيَ أعمى ... أم تراه يتعامى
سرق العيدَ كأنَّ الـ ... ـعيدَ أموالُ اليتامى

وقلت: [الخفيف]

سرق النجمَ والهلالَ أُناسٌ ... فشكا الناسُ فَرْطَ جَوْرِ القضاةِ
رَبِّ سلِّمْ شمسَ النهارِ فإن هم ... سرَقوها نَتِيهُ في الظلماتِ

وكانت هذه سبباً لهلاكِه وهلاك أبيه، ووقع بعدها حريقٌ اشتعل به الدهرْ وشابتْ نَواصِيه.

وعمّ ذلك بيوتَ علمائها، فلم ينْتبِهوا من نوْم الغَفْلة في ظُلْمة بلائها.

وكم قرَع لهم الدهر العَصا، وأمطرت السماءُ عليهم حجارة البَلا.

وصب عليهم ربُّهم سَوْطَ عَذاب، فما رجع أحدٌ منهم ولا تاب.

كما قلت: [الطويل]

لعمرُك قد عَمَّ الحريقُ ببلْدةٍ ... بها علماءُ السُّوءِ والجهلِ أظلما
ومن مالكٍ وافى رسولُ حريقهم ... دعاهُمْ إلى نار الجحيم جهَنَّمَا

Marfat.com

فقال اقْفِلوها واقبضوا أجْرةً لها ... فإن هدِمتْ يبنى الذي قد تهدَّمَا
فطالبَهم خُزَّانُها بوَقودِها ... وما صرَفوه في زمانٍ تقدَّمَا
فقال لهم رأسُ الضلال ضمانهُ ... عليهم وأن الغُرْمَ قد صار مَغْنَمَا
ومِن كثْرةِ الدَّيْنِ المُحيط بمالِهم ... أباح رِشاً قد كان ربِّيَ حرَّمَا

فصل

من طُرَف الأخبار، وتحَف هذه الديار، التي لم يرَ مثلَها أبو العجب وهو الفلَك الدّوَّار.

ما جرَى على النَّسَب العلَويّ من البلِيَّة، وما عَمَّ من دخول أولاد النصارَى في فروع هذه الشجرة العلِيَّة.

من كلّ مكروه غير مكرَه، أمُّه معرفةٌ وأبوه نكِرَه.

غرابٌ خرج من عُشِّ بُلْبُل، علويٌّ صحَّ نسبهُ عن الدُّلْدُل[1].

على أنه وحُرْمةِ البيت لو صحَّ هذا الشرف، لم يَمُت سرورُ قلبي على هذا النسب الطاهر من الأسَف.

وكنت أتجاوزُ عن قولهم: مولى القوم منهم، فأقول: حمارُ القوم منهم.

ولله دَرُّ بَشَّار فما أبصره مع عماه، إذ قال في دَعِيٍّ نسب ادَّعاه:

إن عَمْراً فاعرِفوهُ ... عربيٌّ من زُجاجِ
مظلمُ النِّسْبةِ لا يُغْـ ... ـرَف إلاَّ بالسِّراجِ

وله أيضاً: [البسيط]

ارفُق بنسْبةِ عمرٍو حين تنسبه ... فإنه عربيٌّ من قَواريرِ
ما زال في كِيرِ حدَّادٍ يُردِّدُه ... حتى تداعَى بناءً مظلمَ النُّورِ

وله أيضاً: [المنسرح]

همُ قعدوا فانتقَوا لهم حسَباً ... يدخل بعد العِشاء في العرَبِ
حتى إذا ما الصباحُ لاح لهم ... بيَّن سَتُّوقَهمْ من الذهبِ
والناسُ قد أصبحوا صَيارِفةً ... أعلمَ شيءٍ بزائِفِ النسبِ

وأغرب ما في هذا أن هذه الأنسابَ المجهولة، والدعاوَى التي لا تقوم عليها أدلةٌ مقبولة.

كان منشؤُها من القُرَى، وقد قيل لأهلها: أطْرِق كَرا.

ووُظِّفت عليهم الوظائفُ السلطانية، وقد عمَّ هذا سائرَ الناس إلا العصابةَ العليَّة العلويّة.

---

(١) الدلدل: بغلة النبي ﷺ. القاموس المحيط، مادة /دلل/.

Marfat.com

فللهرب من هذه الغَرامة، تعصَّبوا بهذه العِصابة والعلامة.

والعلامة شأنُ من لم يُشهَر، ونور النبوّة يُغنِي الشريف عن الطِّراز الأخضر.

وأكثر هؤلاء الأتراك لو طلب منهم الحسنُ والحسين درهماً ما أعطوه وتبرَّؤوا من نسبِه، وقطعوا سَببهم من سَببه: [الطويل]

وحقٌّ لمن قد صحَّ تمييزُ عَقله ... إذا ما رأى الدينارَ أن يترُك الفَلْسا

وقد جعلوا خضرةَ العمامة، علامةً للسيادة المستلزِمة للتقدّم والإمامة.

وربما جعلوا فيها شُطْفَة، تدلّ على أن فيهم من النبوّةِ والرسالة نُطْفَة.

وقد يفرّقون بين أولاد البنين والبنات، ولم يفهموا مشاركةَ حطَبِ الأغصان لهم والنَّبات.

ولم يدْرُوا أنه حجةٌ للنَّواصِب، وعُدّة لمصائب الدهر والنوائب. [الوافر]

كأنَّ اللّه لم يخلُقْه إلاّ ... لتْنعطف القلوبُ على يزيدِ

وقد قال أصحابُ التواريخ: إن أوّل حدوث هذه العلامة كان في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، لما أمر الملك الأشرف بمصر أن يُميَّز الأشرافُ عن الناس بعصائب خُضْر في العمائم، فقال فيه أبو عبد اللّه بن جابر الأنْدَلُسِيّ: [الكامل]

جعلوا لأبْناءِ الرسولِ علامةً ... إن العلامةَ شأنُ من لم يُشْهَرِ

نورُ النبوّةِ في كريم وجوههمْ ... يُغنِي الشريفَ عن الطِّراز الأخضر

وقال شمس الدين بن المُزَيِّن: [الكامل]

أطرافُ تِيجانٍ أتتْ من سُنْدُسٍ ... خُضْرٍ بأعلام على الأشرافِ

والأشرفُ السلطانُ خصَّهمُ بها ... شرفاً ليمْتازوا من الأطرافِ

وفي «الطبقات الكبرى» للإمام السُّبْكِيّ، أن من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى شارح «التنبيه» استنبط من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، أن ما يفعله علماء هذا الزمان في ملابسهم من سَعة الأكمام والعِمّة، ولُبس الطَّيْلَسان حسن، وإن لم يفْعَلْه السلف؛ لأن فيه تمييزاً لهم، وبذلك يُعرَفون، فيُلتفَت إلى فَتاويهم وأقوالهم. ا هـ.

ومنه يعُلم أن تمييز الأشراف بعلامةٍ أمرٌ مشروع أيضاً؛ لما سمعتَه آنفاً.

أقول: فيه أمران:

الأوّل: أن قولَهم إن أوّلَ ما جُعِل لباسُ الأخضر شِعاراً للعلويين في زمن الملك الأشرف يَرِد عليه ما نقله السَّخاوِيّ، في كتابه «مناقب العباس» من أن عليّاً الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن عليّ

Marfat.com

ابن أبي طالب رضي اللّه عنه، عهد له الخليفةُ العباسيّ، وجعلَه وليَّ عهده بعده، وبُويع فغيَّر لِباس العباسيِّين، وهو السواد بلُبْس الأخضر، فساء ذلك العباسيين، ولكنه عُوجِل؛ فإنه مات سنة ثلاث ومائتين، في حياة المأمون، وعَدّ ذلك من الألْطاف؛ لما فيه من سدّ باب الفتنة. انتهى

والثاني: ما نُقِل من أن زِيّ العلماء والأشراف سُنَّة، ردّه ابنُ الحاجِّ في «المدخل» بأنه مخالف لزِيِّهم في زمن النبيّ ﷺ، وزمن الخلفاء الراشدين، ومَن بعدهم من خير القرون.

فإن قيل: إنهم به يُعرَفون.

قيل: إنهم لو بَقُوا على الزِّيّ الأوّل عُرِفوا به أيضاً؛ لمخالفته لما عليه غيرُهم الآن.

وأطال في إنكار ما قولوه.

وقد يجاب عنه، فتأمَّل فيه.

تنبيه

العلامة التي توضع في العمامة تسمى شُطْفة، وهو لفظ محدَث، لم يذكرْه أهلُ اللغة، وكأنه بمعنى خِرْقة صغيرة، من قولهم في شطف من العيش، أي في قِلَّة وضِيق، فاعرفْه فإني لم أرَ من تعرَّض له.

فصل

في أُمراء الدولة وحكامها، وما انتهى إليه حالها في عهد السلطان مراد.

فاعلم أن قُسْطَنْطِينيَّة بها حصون عالية البنيان، محفوفة بالبساتين الزاهية والجِنان، والحَبُّ ذو العَصْف والرَّيْحان، والأوصاف التي تُمزِّق بُرودَ الإمكان.

وقصور عالية البناء، فيها أناس على مراتِب الهِمَم مُضَمَّخَةٌ بعبير الثناء، يفيض منها مياهُ الكرم، وتجعل بشائر البشر للجود أتمّ سلم.

وحولها أنهارٌ جارية، ومعادن بأنواع الجواهر حالية.

ذات غَوْر وأخادِيد، وأرحام حاملةٍ أطفال الفِلِزَّات والمواليد.

تُنْبت اللُّجَيْن والنُّضار، وتبعَث خواتيمَ اللّهِ في أرضِه لأخْذ كلّ درهم ودينار.

إلاَّ أن بها أسداً ضارياً غيرَ مقلَّم الأظفار، يمنع يدَ كلِّ جانٍ من قطْف تلك الأزهار، والتَّفكُّهِ بما في جِنانها من لذيذ الثمار.

ويحمي مَن بتلك المساكن، من أن يحوم حول جواهر المعادن.

Marfat.com

إلا إذا عَنَّتْ فرصةٌ لبعض شُطَّارها، على حين غفلةٍ من الأسد إذا ذهب لبعض أقطارها، إذا رام اقْتناصَ الصيد أو ورد نَمِيرَ أنهارها.

فيختِلس من تلك الجواهر، ويقتطِف من أيادي الروضِ غَضَّ الثمَر والأزاهر.

فبينما هم على تلك الحال، واقفين بين الآمال والأهْوال.

رجفَتِ الرّاجِفة، وجاءت سحابة تسوقها ريحٌ عاصفة.

فيها وعيد ووُعود، غامرةٌ بالبُروق مناديةٌ بالرعود.

فمدّت ستائرَ السحاب، وصبَّتْ على الأرض سَوْطَ عذاب.

وظلَّتْ بالرعد صاعقة، ورمَتْ ذلك الضَّيْغمَ بأعظم صاعقة.

فأنْشبتِ المنيَّةُ فيه أظفارَها، وأخذت الأيامُ منه ثارَها.

فلم يزل جاثماً بِفِنائها، باركاً في حَوْمةِ فَنائها.

والناسِ تَهابهُ كلما عاينَتْ جُثَّتَه، وتهرب منه وتخاف سَطْوتَه.

فلما رأَوْه وقد طال جُثومُه وقعوده، طال انتظارُهم لمُضِيِّه لصيْده وما كان يَرُوده.

فدنَوْا منه قليلاً قليلاً، فلم يرَوْا له حركةً تُنفِّرْهم فدنَوْا منه فرأَوْه قتيلاً.

فجاسوا خلالَ الديار، ووردوا الأنهار.

واقتطفوا الزهورَ والثمار، وأخذوا نفِيسَ الجواهر والأحجار.

ومكث شُطَّارُهم زمناً طويلاً يأخذون تلك المغانم، آمنين من بَطْشِ الأُسود الضَّراغِم.

فلما علم ذلك مَن بالحصن من دَهْماء الأراذِل؛ لكثرة تَردادِهم آمنين في هاتِيك المنازل.

خرجوا جميعاً لتلك الرياض، واستولوا على البساتين والمعادن والغِياض.

فاقتطفوا جميعَ أزهارها، وتجاوزوا عن اجْتِناء ثمارِها لقطْع أشجارها.

وكان ما كان، إن لم يدلّ على الحوادث ففيها النُّقْصان.

ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعد.

وإذا استولى النَّحْسُ على قُطْر نُفِيَ السعد.

فما قام للدين عَمود، ولا اخْضرَّ للإيمان عُود.

فبدت أهوالُ المَحْشَر، وقال قائلُهم: إنما أُكِلْتُ يوم أُكِل الثورُ الأحمر. [السريع]

مَن حُلِقتْ لحيةُ جارٍ له ... فلْيسكبِ الماءَ على لحيتِهْ

ولما مرض البَخْت، وكان الطبيبُ يهودياً واليومُ يومَ سَبْت. قلت: [المنسرح]

عنك فؤادي وحقّك ارتحلا ... وكان بالقضْرِ قبلَ ذا نزَلاَ

يا عادلاً عن رضاءِ خالقِه ... صدقْتَ إن قلتَ إنه عدَلاَ

لستُ لعذْلٍ أُصِيخ مرتقِباً ... أن يسبِقَ السيفُ عنده العَذَلاَ

فإنه قد أتى به مثلٌ ... ولستُ ممّن يكذّب المَثلاَ

Marfat.com

سُرِرتُ من دولةٍ ظفِرتُ بها ... ومن سرورِ النفوس ما قتَلاَ
مات مُرادُ الورَى ومالكهمْ ... تَبّاً لدهرٍ بمثله بخِلاَ
أبَعده زهرةُ الحياةِ زهَتْ ... أو أثمرتْ في رياضِها أمَلاَ
قالوا الليالي حُبْلَى فقلتُ لهم ... قد وضعَتْ بُومةً ببَيْتِ خَلاَ
ما بالُ مولايَ في وزارتِه ... يرفع فوق الأفاضل السَّفَلاَ
يأذنُ لي حاجبٌ بسُدَّتِه ... وهْو لباب الدخول قد قفَلاَ
ولي انْصرافٌ عنه بلا سبَبٍ ... فما لَه قد تكلَّف العِلَلاَ
مودَّةٌ تُشتَهى مُزوَّرةٌ ... عنها احتمى ذا المريضُ حين قَلَى
كم جُنُبٍ كنتَ قبلُ تخدُمه ... عاديْتَه اليوم ما الذي فعلاَ
إن أجنَبَ المَلْكُ إذ دعاك إلى ... خِدْمتِه هل أراه مُغتسِلاَ

*****

ولما انتهت الرحلة، وساق الأملُ إلى الوطن رَحْلَه.

غفرتُ ما جَناه عليَّ الزمان، وعلمتُ أن الدهر قد هَمَّ بالإحسان.

وعمِلت بقول أبي العلاء المعَرِّيّ: أما فسادُ الزمان والناس فأحلف ما حَلِم الأديم[1]، وإن ذلك لداءٌ قديم.

والهرّة بنتُ النمرة، والسَّمُرة أخْت السَّمُرَة.

وبقول البديع لما شكى له ابنُ فارس في رسالةٍ له: الأستاذ يقول فسد الزمان.

أقول: متى كان صالحاً؟

في الدولة العباسية وقد رأينا آخرها، وسمعنا أوّلها! أم في الدولة المرْوانِّية وفي أخبارها: [السريع]

لا تكْسَعِ الشَّوْلَ بأغْبارها
أم في السِّنين الحربيَّة. [م. الكامل]

والسيف يُغمَد في الطُّلَى ... والرمْحُ يُركَز في الكُلَى
والحَرَّتانِ وكَرْبَلاَ

أم في الهاشمية والعَشَرة بِرَاس، من بني فِراس!

أم الأيام الأُمويّة، والإمام والبعير في الحجاز، والبعوث على الأعْجاز!

أم في الإمارة العدَوِيَّة، وصاحبها يقول: هل بعد الركوب إلا النزول!

أم في الخلافة التيميَّة، وهو يقول: طُوبى لمن بات في نأْنأَة[2] الإسلام!

---

(١) حلم الأديم: أي وقع فيه الحلم، والأديم، دودة تقع في الجلد فتأكله. القاموس المحيط، مادة /حَلَمَ/.

(٢) النأنأة: الضعف والقُصر والعجز، فأراد، أول الإسلام. القاموس المحيط، مادة /حَلَمَ/.

Marfat.com

أم على عهد الرِّسالة، ويومَ الفتح قيل: اسْكُني يا فلانة، فقد ذهبت الأمانة!

أم في الجاهلية، ولبيد يقول: [الكامل]

ذهب الذين يُعاش في أكْنافهمْ وبقيتُ في خلْفٍ كجلد الأجْرَبِ

أم قبل ذلك، وأخو عاد يقول: [الطويل]

بلادٌ بها كنا ونحن مِنَ اهلِها إذ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ

أم قبل ذلك وقد يُروَى عن آدم: [الوافر]

تغيَّرتِ البلادُ ومَن عليها فوجهُ الأرض مُغبرٌّ قبيحُ

أم قبل ذلك، وقد قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ﴾ [البقرة: ٣٠]!

ما فسد الناس، وإنما اطَّرد القِياس.

وما أظْلمت الأيام، وإنما امتدّ الظلام.

وهل يفسُد الشيءُ إلاَّ بعد الصلاح، ويمسِي المرءُ إلا عند الإصْباح.

وهذا مأخوذٌ من قول عليٍّ كرّم اللّه وجهَه، في بعض خطبه: أيها الذَّامُّ للدنيا المغترُّ بغَرورها تذمُّها وأنت المتجرِّم عليها، أم هي المتجرِّمة عليك.

متى اسْتهوتْك، أم متى غرَّتْك.

أبمصارع آبائِك من البِلَى، أم بمضاجع أمهاتِك تحت الثرَى.

كم عُلِلت بكَفَّيْك، ومرضْتَ بيديْك.

إن الدنيا دارُ صِدقٍ لمن صدَقها ودارُ عافية لمن فهم عنها، ودارُ غِنى لمن تزوَّد منها، ودار موعظةٍ لمن اتَّعظ بها.

مسجدُ عبادِ اللّه، ومهبِط ملائكة اللّه، ومتْجَر أولياء اللّه.

اكتسبوا فيها الرحمة، وربِحوا بها الجنة.

فمن ذا يذمُّها وقد آذنتْ ببَيْنها، ونادت لِفراقها، ونعَتْ نفسَها وأهلَها.

فمثَّلتْ لهم ببَلائها البِلَى، وشوَّقتْهم بسُرورها إلى السرور.

وهي خطبة طويلة.

وقد حَذا هذا الحذْو صاحبُنا الفاضل الكامل، جامع شمْل الفضائل، القاضي أُوَيْس الروميّ.

فإنه لما ظهر الخوارج في زمن السلطان أحمد، سَلاّه وكتب له رؤيا واقعة باللغة التركية، ولكونها ليست على شرطنا تركناها.

تنبيه

قولي «مُزوّرة» هي اسم طعام يطبَخ من غير لحم، للمريض الذي يحتْمِي.

Marfat.com

ولهذا تظرَّف كُشَاجم في هَجْو من ادّعى الشرف، فقال: [المنسرح]

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفَهْ نِسْبتُه للمريض موصوفَهْ
لو مسَخ اللّهُ قَمْلَه غنماً لم يُغْطِ منها لسائلٍ صُوفَهْ

فقوله: «نسبته» إلخ، كناية فيها نِكاية.

سانحة

سميتُ هذه الرحلة ريحانة الندماء، وشَمَّامة الأدباء الظرفاء، وفاكهة الأعيان والفضلاء.

لأني ذكرت فيها الأحبابَ ممَّن هو موجود، فكأني بذكره أستنشق بالآذان طِيبَ عِطره، وممن هو مفقود، فبالثناء عليه والدعاء كأني أُهْدِي له ريحاناً، وأضع في القلوب من طِيب أحوالهِ طِيباً.

لأن قلوب الأحرار، قبورُ الأسرار، بل قبورُ الأخيار، لأنهم سرّ من أسرار اللّه.

وفي كلام بعض الكبار: إذا تحيَّرتُم في الأمور، فاستعينوا بأصحاب القُبور.

وليس بحديثٍ كما زعمه ابن كمال باشا في «أربعينيَّاته» وفيها موضوعاتٌ أُخر، فلا تغفلْ عنه كجهَلةِ الأزْوام.

وقد قال لي بعضُ من رأيته من أرباب الأحوال: المراد بالقبور فيه القلوب؛ لما مرَّ.

وإنما خصَصْتها بالريحانة لأنها يُشبَّه بها المحبوب، وقد قال النبيّ في الحسن والحسين: «هُمَا رَيْحَانَتَايَ».

وسأل أبَرْوِيز بعض ندمائه عن روائح الرَّياجين، فقال:

رائحة النَّرْجِس كرائحة الشباب، ورائحة الورد كرائحة الأحْباب، ورائحة الرَّيْحان كرائحة الأولاد، ورائحة المنْثُور كرائحة الأصدقاء.

وإنما خُصَّ هؤلاء بالريحان؛ لأن اللّه أنبتَه نباتاً حسناً، غضّاً، طريّاً سريع الزَّوال ولا يُتمتَّع به كغيره، فإذن أقول: [الوافر]

أمِن ريحانة الدَّاعِي السَّميعُ

أو أقول قولَ محمد بن المعذّل: [الرجز]

مَن يُهْدِ ريحاناً فإني مُهْدِي ريحانةَ الحمدِ لأهلِ الحَمدِ

أو كقوله: [الوافر]

وريحانُ النباتِ يعيشُ يوماً وليس يموتُ رَيْحانُ المقالِ
فلا تَكُ مُوثِراً رَيْحانَ شَمٍّ على ريحانِ أسماعِ الرجالِ

Marfat.com

تتمة

لم يزل الناسُ على وَضْع الريحان ونحوه من الخُضَر على القبور، وقد ورد هذا في الحديث، وفي الأشعار.

كقول العُتْبيّ في مرثيَّة ابن له:

كان رَيْحاني فأمسى ... وَهْو ريحانُ القبور
غرَسْته في بساتين البِلَى أيْدِي الدهورِ

وعليه عملُ الناسِ إلى الآن، حتى وقفوا لذلك أوقافاً.

وأنكره ابن الحاجِّ في «المدخل» والخَطَّابيّ، فقال: شَقُّ النبيِّ ﷺ له وإلْقاؤه على القبر، وقوله: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا ما لَمْ يَيْبَسَا» كما في البُخارِيّ وغيره، إنما هو ببركة مَسِّ يده له.

وجعَل بقاءَ الرطوبة حدّاً لما وقع به المسألة، من تخْفيف العذاب؛ لأن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس.

والعامّة يفرشون الخُوصَ على القبور، فكأنهم ذهبوا إلى هذا، وليس له وجه. انتهى.

وردَّه العلَّامة ابن حجَر في «شرح البخاريّ»، فقال: إنه عليه الصلاة والسلام أخذ جريدةً رَطْبةً فشقَّها نِصْفين، فغَرز في كلّ قبر واحدة، إلى آخره.

وأنكره الْخَطَّابيّ وغيرُه، وقال: إنما هو ببركة يدِه، أو لأمْرٍ مُغَيب، عُلِّل في قوله «لَيُعَذَّبانِ» إلى آخره. ولا يلزم من كوننا لا نعلم تعذيبه وغيره، أنا لا نتسبَّب في أمرٍ يخفِّف عذابه، كما ندعوا له بالرحمة. ولم يصرَّح في الحديث بمسِّه له.

وقد تأسَّى به بُرَيْدة الصَّحابيّ، فأوصى بوضْع الجريد على قبره، وهو أَوْلى أن يتُأَسَّى به. انتهى. ولك أن تقول: إنه معقول المعنى أيضاً.

ومما قلت في هذا: [السريع]

غُصْنٌ من الريحانِ رطبٌ إذا ... عاينْتَه حُزْتَ نعيمَ الصَّفَا
ولو على قبر امْرِئٍ عاشقٍ ... مرَّ لأضحى قائماً واشْتفَى
كذا رطيبُ الغصن مِن غَرْسِه ... يُرَى عذاب القبر قد خُفِّفَا

وأنشد ابن عَرَبيّ في «المسامرة» ما يدلُّ لما قلناه، وهو قوله: [السريع]

في القبر أسرارٌ يراها الذي ... عنه غِطاءُ الحسن مكْشوفُ
عاينتُ قوماً عُذِّبوا في الصَّدَى ... كان لهم نقْصٌ وتطْفيفُ
فهل لغصنِ الْبانِ من غارسٍ ... بقبْرِهم إذ فيه تخفيفُ

Marfat.com

ما دام رَطْباً يانعاً أخضراً ولم يعُمَّ الغصنَ تجْفيفُ
وفي تأسِّينا به عضْمةٌ مُنْجِيةٌ منه وتشْريفُ

وفي هذا تأييدٌ لما قاله ابن حجَر، تغمَّده اللّه برحمته.

فصل

عَزَم عزْمِي على شد الرِّحال، وزمِّ مَطِيّ الأماني والآمال، والهجرة عن مصر لمَّا فُقِد فيها الدين والدنيا والكمال.

فثبَّطني قولُ عبد المحسن الصُّوريّ لأحمد الفَخْريّ لما كتب إليه: [الوافر]

أعبدَ المحسن المرجوَّ لِمْ قدْ جثَمْتَ جُثومَ مُنْهاضٍ كسيرِ
فإن قلتَ العَبالةُ أقْعدتْني على مَضَضٍ وعاقتْ عن مَسيرِي
فهذا البحرُ يحمِل هَضْبَ رَضْوى ويسْتثنِي بُركْنٍ من ثبِيرِ
إذا استحْيا أخوك ولاك ظلماً فمثلُ أخيك موجودُ النظيرِ
ففارِقْهُ لكي تلْقَى كريماً تزول بقرْبِه إحَنُ الضميرِ
فما كلُّ البرية من تراهُ وما كلُّ البلادِ بلادُ صُورِ

فأجابه: [الوافر]

جزاك اللّهُ عن ذا النُّصْح خيراً ولكنْ جاء في الزمن الأخيرِ
وقد حدَّثْ لي السبعون حَدّاً نهَى عمَّا أمرْتَ من الأُمورِ
ومذ صارت نفوسُ الناس حولي قِصاراً عُذْتُ بالأمل القصيرِ

فقلت: لما حلّ العَقْل مُبْرِمُ عِقاله، وقطع العزمَ شِكالُ أشْكاله.

لست برجل قَصْعة وثَريد، ولا حِلْسا[1] يمهَّد للعجائز والعبيد.

وهذا رأيٌ فطير، والأرض واسعة ولست بعاجز ولا كسِير.

ومن النواسِخ ليت ولعل، وكل كُنْتيٌّ يُملّ.

وقد قلت: [الطويل]

ترحَّلتُ عن أرض يهُان بها العلا فقالتْ أبعد الشَّيْب تنأَى عن الأهلِ
فقلت مشيبي مُوقدٌ فوق هامتي مشاعلَ أسْفاري وقد قُرِّبتْ رَحْلِي
فإن خفتُ طعنَ السنِّ فالطعنُ قاتلٌ لفقرِيَ مُخْيٍ للمآثر الفضلِ

فستعلم النجائبُ أني على طَيِّ آفاته لجَسُور، وسيذْرِي الدهر أني على كثرة مكائده صَبُور. ألم تسمع قول البُرْقُعيّ: [المتقارب]

رأتْ عَزَماتي وطولَ انكماشي وطولَ التَّململُمل فوق الفراشِ

---

(١) الحلس: كساء يوضع على ظهر البعير. القاموس المحيط، مادة /حَلَسَ/.

Marfat.com

وقالتْ أراك أخا همَّة ستبْلغها فتُرى ذا انْتعاشِ
فهلاَّ أقمْتَ ولم تغْتَرِبْ فقلتُ القناعةُ طبعُ المواشِي

فصل

لما بُنِيَ بهذه الدولة المدارسُ الجليلة، ورُتِّبت الوظائفُ والعوائد الجميلة.
ليرتفع منارُ العلم والدين، وتُشرق شمسُ الفضل من مطالع اليقين.
قالت الدنيا الدنيَّة: عكسُ القضيَّة قضيَّة.
فكان ذلك سببَ انْدراس معالم العلوم، ومَحْو آثارِ أطْلالها والرُّسوم.
ودُرُوس الدُّرُوس، وتقدُّم الجهَلة بشفاعةِ الرُّهبان والقُسوس.
حتى آلتْ إلى الأطفال والعَبِيد، لمَّا انتصَب للتمييز كلُّ جبَّارٍ عَنِيد.
حتى تولَّى قضاءَ العسكريْن بعضُ العُلوج، وقام على رؤوس الرؤوس الموالي والزنوج. [الطويل]

ولو كان عبدُ اللّه مولى هجوْتُه ولكنَّ عبدَ اللّه مَولَى مَوالِيا

فكان إذا مرَّ في الطرقات قالوا: عبدٌ لبس ثيابَ مولاه، فلو رآه مولاه أوجعَه سَبّاً ونَفاه.
فتذكَّرْتُ بهذا قولَ عليّ بن محمد، يهجو العباسَ بن الحسن، لما تولَّى الوزارة: [السريع]

وزارةُ العباس من نحسِها تستقْلعُ الدولةَ من أسّها
شبَّهْتُه حين بدا مقبلاً في خُلَعٍ تخجَل من لبْسِها
جاريةَ الكُسْوة قد قدَّرتْ ثيابَ مَولاها على نفسِها

وفي تاريخ الأندلس، في اختلال دولة المنصور بن أبي عامر، وقد تربَّص أعداؤه في كلّ مركز أن تدور عليه الدوائر، وظلّ سعدُه مُقْعَداً بعد ما كان المثلَ السائر، أن بعض الشعراء هجا دولَته وجدُّها المدبِر عاثر. فقال: [السريع]

اقترب الوعدُ وحان الهلاكْ وكلُّ ما تحذره قد أتاكْ
خليفةٌ يلَعب في مكْتبٍ وأمُّه خُنْثى وقاضٍ يُناكْ

حتى آلت الخلافةُ إلى بَبَّغاءَ في قفص، إذا رأى نَقْدَ الرّشا نهق ورقص.
ولم يدْرِ أنه من بنى من أساس داره أعلاه، قُصارى قصره أن يهويَ به في الهاوية ما بناه. حتى تجبَّر وطغى، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].
فأهلكه اللّهُ أشدَّ الهلاك، وأنزله حضيض المذلّة بعد ما سمَا السّماك.
وردّ غُرْبَته في دنياه، إلى الهاوية التي هي مقرُّه ومأواه، وخذَل مَن كان أغواه.
كما قلت: [السريع]

Marfat.com

يـا عـلـمـاءَ الـسـوءِ لـي مُـشْـكـلٌ بـقـادِح الأخـزانِ يُـزْدِيـنـي
مـا لـذَّةُ الـكـفـر فـتـرْضَـوْنـه لأجـل شـهَـواتِ الـشـيـاطـيـنِ
وغُـرْبـةُ الـديـن كـمـا قـد بـدا وفَـقْـدُه الآن يُـعـنِّـيـنِـي
ومُـدَّةُ الـمـفـقـود قـد كُـمِّـلـتْ فـرحـمـةُ الـلّـهِ عـلـى الـديـنِ

ونقلتُ من خطِّ خاتمة العلماء الأعلام، نور الدين العُسَيْلِيّ، مما أنشدنيه غيرُ واحد من أعيان الفضلاء وفضلاء الأعيان، قصيدةَ واحد الزمان إنسانِ العين وعينِ الإنسان.

خاتمةِ المحقِّقين، ومسكِ خِتام المدقِّقين.

مولانا خوجا جلبي أفندي مفتي الممالك الرومية، وقاضي العساكر الإسلامية، المترجم من قبل، أستاذنا جوهرُ الكمال المكنون، وعالمِ الرُّبْعِ المسكون. العلامة شمس الدين محمد المغوشي التُّونُسِيّ بسماعي منه غيرَ مرّة بما لفظُه:

ما أحسَب أن يُعَد السَّيد الجُرْجَانِيّ مثلُه.

وناهِيك بمثل هذا التَّقريظ الغالي، من مثل هذا الجَناب العالي.

ولَعَمْرِي إنه بمثل ذلك لجدير، وإنه على ذلك لقدير.

وهذه الميميَّة من أدلِّ دليل على صحة هذا المدَّعَى، وأوضحِ سبيلٍ لسلوك هذا المبتغَى.

إذ مثل هذا النَّفَس الذي لو وقع لمثل المُتَنَبِّيّ لأقرّ الناسُ بمعجزته، أو لأبي تمَّام ما أمكن لحاسديه إلحاقُ النقصِ بِمَرْتبته.

أو للبُحْتُرِيّ لتبصَّر الأعمى خطأَه من وَسْمِ شعره بعبَث الوليد، ولما عدَّه غيرَ لبيد، أو لو أخطأه عَبِيد لما عُدّ مع حُرّ الكلام إلاّ مع العبيد.

خصوصاً من لم يسلُكْ ديارَ العرب، ولا أظلّه بيت شَعَر ولا شرَّق ولا غرَّب. ولا مضَغ شِيحَها وقَيْصُومَها، ولا اجْتَنَى أراكَها وتَنُّومَها[1].

أوضحُ برهان على رسوخ القدَم في فنون الأدب، وأبْينُ تِبْيان على بذْل الجِدِّ والدَّأَب.

حتى انْقاد الأبِيّ، ودنا القصِيّ، وأطاع العَصِيّ. [السريع]

ولـيـس عـلـى الـلّـهِ بـمـسْـتَـنْـكِـرٍ أن يـجـمـعَ الـعـالـم فـي واحـدِ

وهذه الميميَّة المشارُ إليها: [الطويل]

أبـعـد سُـلَـيْـمَـى مـطـلـبٌ ومَـرامُ وغـيـرُ هـواهـا لَـوْعـةٌ وغـرامُ
وفـوق حِـمـاهـا مَـلْـجـأٌ ومَـثـابـةٌ ودون ذُراهـا مـوقـفٌ ومَـقـامُ
وهـيـهـات أن يُـثْـنَـى إلـى غـيـرِ بـابـهـا عِـنـانُ الـمـطـايـا أو يُـشـدَّ حـزام

(١) التنوم: شجر له ثمر، شربه مع الماء يخرج الدود. القاموس المحيط، مادة /تَنَمَ/.

Marfat.com

هي الغايةُ القصوى فإن فات نَيْلُها ... فكلٌّ من الدنيا عليَّ حرامُ
سَلا النفس عنها واطمأنَّتْ لنأيها ... سُلُوَّ رضيعٍ قد عَراه فِطامُ
وصَبٌّ سقاه الدهرُ سُلْوانَ رُشْدِه ... فأمسَى وما في القلبِ منه هُيامُ
صَحا عن سُلافِ الغَيِّ بعد انْهماكِه ... عليه فبان الكأسُ عنه وجَامُ
مَحوْتُ نقوشَ الجاه عن لوحِ خاطري ... فأضحى كأنْ لم يجْرِ فيه قِلامُ
كدأْبِ ديارٍ قد عفَتْها يدُ البِلَى ... فلم يبْقَ فيها أرْسُمٌ وعَلامُ
نسيتُ أساطيرَ الفَخارِ كأنها ... حديثُ ليالٍ قد مَحاه عَيامُ
أنسْتُ بلأْواءِ الزمانِ وذُلِّه ... فيا عِزَّة الدنيا عليك سَلامُ
إلى كم أُعاني تِيهَها ودَلالَها ... ألم يأْنِ عنها سَلْوةٌ وسَآمُ
وقد أخْلَق الأيامُ خِلْعةَ حسنِها ... فأضحتْ ودِيباجُ البَهاءِ رِمامُ
على حين شَيْب قد ألمَّ بمَفْرِقي ... وعاد دُهامُ الشَّعر وهْو ثَغامُ
طلائعُ ضعفٍ قد أغارتْ على القُوَى ... وثارَ بميْدانِ المِزاج قَتامُ
فلا هي في بُرْجِ الجَمال مُقيمةٌ ... ولا أنا في عهْد المجُونِ مُدامُ
تقطَّعتِ الأسبابُ بيني وبينها ... ولم يبْقَ فينا نِسْبَةٌ ولِئامُ
وعادتْ قَلوصُ العزمِ عنها كليلةً ... وقد جُبَّ منها غارِبٌ وسَنامُ
كأني بها والقلبُ زُمَّتْ ركابُه ... وقُوِّض أبياتٌ له وخِيامُ
وسِيقتْ إلى دار الخمولِ حُمولُه ... يحِنُّ إليها والدموعُ رُهامُ[1]
حنينَ عجُولٍ غرَّها البَوُّ فانثنتْ ... إليه وفيها أنَّةٌ وبُغامُ[2]
وما مُسْتَهامٌ تاه في تِيهِ حَيْرةٍ ... فلم يسْتبِنْ خَلْفٌ له وأمامُ
غريبٌ عن الأوطانِ ناءٍ عن الورى ... مَباءتُه عُرْضُ الفَلا وأكامُ
يروح ويغدو في دموعٍ وغُصَّةٍ ... وليس سواها مَشْرَبٌ وطعامُ
بأقْطعَ حالاً منه إنَّ بلاءَه ... عظيمٌ جسيمٌ لا يُطاق عَقامُ
يسيح بتَيْماءِ التحيُّر مُفرَداً ... ولي مع صحبي عِشْرةٌ ونِدامُ
أعاشرُهم والقلب ليس بحاضرٍ ... وهل هو إلاَّ مِخنةٌ وغرامُ
فكم عِشْرةٍ ما أورثتْ غيرَ عُسْرةٍ ... وربَّ كلامٍ في القلوبِ كَلامُ
لقد تمَّتَ ازْمانُ المسرّةِ وانقضَتْ ... لكلِّ زمانٍ غايةٌ وتَمامُ
فسرعانَ ما زالتْ وولَّتْ وليتها ... تدوم ولكن ما لهنَّ دَوامُ
عصورٌ وأحْقاب تمرُّ وتنْقضي ... وليس لها في الانقضاءِ نظامُ

(١) الرهام: الكثير. القاموس المحيط، مادة /رهم/.
(٢) البغام: صوت الظبية. القاموس المحيط، مادة /بغم/.

Marfat.com

دهورٌ تقضَّتْ بالمسرَّةِ ساعةً ... وإن تتولّى بالمَساءَةِ عامُ
فللّه دَرُّ الغَمِّ حيث أمدَّني ... بطولِ حياتي والغمومُ سِمامُ
أرى عمرَ نوحٍ كلَّ آنٍ يمرُّ بي ... وما حامَ حامٌ حول ذاك وسَامُ
فما عشْتُ لا أنْسَى حقوقَ صَنِيعِه ... وهيهات أن يُنْسَى لَديَّ ذِمامُ
كما اعْتاد أبناءُ الزمان وأجمعتْ ... عليه فِئامٌ إثْرَ ذاك فِئامُ
تبدَّلتِ الأوْطارُ وانْحلَّ عِقْدُها ... وزال عن أذوارِ الزمانِ نِظامُ
وراح عن الأيامِ نُورٌ ورَوْنَقٌ ... وطَبَّق أكْنافَ البلادِ ظلامُ
خَبَتْ نارُ أعلامِ المعارف والهدى ... وشبَّ لنيرانِ الضلال ضِرامُ
وكان سريرُ العلم صَرْحاً مُمرَّداً ... يُناغِي القِبابَ السَّبع وَهْي عِظامُ
متيناً رفيعاً لَا يُطارُ غرابُه ... عزيزاً منيعاً لا يكاد يُرامُ
مهِيباً ومَحْمِيّ الحريم وأهلُه ... أعِزَّةُ أهل العالمين فِخامُ
مِحَطُّ رِحالٍ للأجلَّة قِبْلةٌ ... لكلِّ إمام يقْتديه إمامُ
مَطافاً لأرباب الفضائل والعلا ... فمنهم جُثومٌ حوله وقِيامُ
يلوحُ سَنا بَرْقِ الهدى من بُروجِه ... كبَرْقٍ بدا بين السحاب يُشامُ
له شرَف قد جلَّ عن أن ينالَه ... غوائلُ أيدي الحادثات قُدامُ
فحرّتْ عليه الرَّامِساتُ ذيولَها ... فخرَّتْ عروشٌ منه ثم دِعامُ
مَحَا الذَّارياتُ الهُوجُ آياتِ حسنِه ... فلم يبْقَ منها آيةٌ ووِسامُ
وسِيق إلى دار الْمَهانةِ أهلهُ ... مَساقَ أسيرٍ لا يزال يُضامُ
كذا تحكُم الأيامُ بين الورى على ... طرائقَ منها جائِرٌ وقِوامُ
فما كلُّ قِيلٍ قِيلُ علم وحكمةٍ ... وما كلُّ أفرادِ الحديدِ حُسامُ
فللدهر تاراتٌ تمرُّ علَى الورَى ... نعيمٌ وبُوسٌ صحةٌ وسَقامُ
ومن يَكُ في الدنيا فلا يغْتِبنَّها ... فليس عليها مَعْتَبٌ ومَلامُ
أجَدَّك ما الدنيا وماذا متاعُها ... وماذا الذي تبْغيه وهْو حُطامُ
وما هي إلا زحمةٌ ومشقَّة ... ولم يُرَ فيها راحةٌ وجَمامُ
تشَكَّل فيها كل شيءٍ بشكْلِ ما ... يُعانِده والناسُ عنه نِيامُ
فعِزٌّ بهَوْنٍ والهوانُ بعزَّةٍ ... تنبَّهْ فهاتيك الحياةُ مَنامُ
وجانبْ عن اللَّذاتِ واهجُرْ زُلالَها ... وأيْقِنْ بأن الرِّيَّ منه أُوامُ
يُرَى النقصُ في زِيِّ الكمال كأنما ... على رأسِ ربَّاتِ الحِجالِ عِمامُ
ولو زاحت اسْتارُ الحقائق لانْجلتْ ... لديهم كنَوْرٍ أبْرزَتْه كِمامُ
وظَلُّوا حيَارَى قارِعِي سِنَّ نادمٍ ... على ما مضَى والغافلون نِدامُ

Marfat.com

فما كان فيها غِبَّ ما مرَّ وانْقضى ... حُلومٌ أراها للنِّيام نِيامُ
وما هو عند السَّالكين إلى الهدى ... حقيقاً بأن يُلْوَى إليه زِمامُ
فدعْها وما فيها هنيئاً لأهلها ... ولا يكُ فيها رغبةٌ وسَوامُ
يَعاف العَرانينُ السِّماطَ على الخوَى ... إذا ما تصَدَّى للطعامِ طَغامُ
على أنها لا يُستطاعُ مَنالُها ... لما ليس فيها عُرْوةٌ وعِصامُ
ولو أنْتَ تسعَى إثْرَها ألْفَ حِجَّةٍ ... وقد جاوز الطُّبْيَيْنِ منك حِزامُ
رجعْتَ وقد ضلَّتْ مَساعيك كلُّها ... بخُفَّيْ حُنَيْنٍ لا تزال تُلامُ
هَبَ انَّ مقاليدَ الأمور ملَكْتَها ... ودانتْ لك الدنيا وأنت هُمامُ
جبَيْتَ خراجَ الخافقيْنِ بسَطْوةٍ ... وفُزْتَ بما لم يسْتطِعْه إمامُ
ومُتِّعْتَ باللذاتِ دهراً بِغِبْطةٍ ... أليس بحَتْم بعد ذاك حِمامُ
فبين البرايا والخلودِ تَبايُنٌ ... وبين المنايَا والنفوسِ لِزامُ
قضيَّةٌ انْقادَ الأنامُ لحكمِها ... وما حاد عنها سيِّدٌ وغُلامُ
ضَرُوريَّةٌ تقضِي العقولُ بصدْقِها ... سَلِ آنْ كان فيها مِرْيةٌ وخِصامُ
سلِ الأرضَ عن حالِ الملوك التي خلتْ ... لهم فوق فِرْقِ الفَرْقَدَيْنِ مُقامُ
أساطِينُ معروفون في كلِّ مشْهدٍ ... صَناديدُ عزٍّ حاكمون كِرامُ
مشاهيرُ في الآفاقِ شرقاً ومغرباً ... يُشير إليهم حاجبٌ وبَنامُ
بأبْوابهم للوافدين تَراكُمٌ ... بأغْتابِهم للعاكفين زِحامُ
لديهم ألوفٌ من خَمِيسٍ عَرَمْرَم ... له شوكةٌ تسْبِي النُّهى وعَرامُ
ترِدُّ عيونَ الناظرين كليلةً ... وإن كان فيها حِدَّةٌ ورَعامُ
فهل همْ على ما هم عليه وحولهمْ ... من العزِّ جُنْدٌ مُخضَرون لَهامُ
وما بال ذِي الأوْتادِ ما خَطْبُ قومِه ... وما صنَعتْ عادٌ وأين إرامُ
وما شاد شدَّادٌ فهل هو خالدٌ ... بجنَّتِه والعيشُ منه مُدامُ
وطُفْ ببلادٍ خَفَّ عنها قَطِينُها ... فأوْطَنها بُومٌ يصيح وهَامُ
ونادِ قصوراً قد عفَتْ غُرفاتُها ... كأنَّ بقَايا رسْمهنَّ رِجامُ
تُجنْكَ عن اسْرارِ الشؤونِ التي جرتْ ... عليهم جواباً ليس فيه كلامُ
بأنَّ المنايا أقْصدَتْهم نِبالُها ... وما طاش مَرْمِيّاً لهنَّ سِهامُ
فسِيقُوا مَساقَ الغابرين إلى الرَّدَى ... فأقْفَر عنهم منزلٌ ومُقامُ
وحَلُّوا مَحَلاً غيرَ ما يعْهدونَه ... وليس لهم حتى القِيام قِيامُ
ألَمَّ بهم رَيْبُ المَنُونِ فغَالهمْ ... فهم تحت أطْباق الرَّغام رَغامُ
وأمْسَوْا أحاديثاً وأصبح مُلْكُهمْ ... هَباءً وباد التاجُ ثمَّ وهَامُ

Marfat.com

فسبحان ربِّ العرش ليس لمُلْكِه تَـــنـــاهٍ وحَـــدٌّ مَـــبْـــدأٌ وخِـــتـــامُ

بيان حالي في خبر المبتدأ، وسبب

اقتدائي بالهجرة النبوية وما عَدا فيما بَدَا

سألْتني أعزَّك اللّه عن ابتداء حالي، وما آل إليه أمري ممَّا لم يجْرِ على أمثالي.

ولولا الإلْحاحُ في طلب الجواب، لما كان لهذه الجملة مَحَلٌّ من الإعراب.

فها أنا رافعٌ إليك القِصَّة، مُسِيغ بماء البِشْرِ هذه الغُصَّة. [الطويل]

ولا بدَّ من شكْوى إلى ذي مرُوءةٍ يُـواسـيـكَ أو يُـسْـلـيـك أو يـتـوجَّـعُ

فقد كنت بعد سِنِّ التمييز، في مَغْرِس طيِّب النبات عزيز.

في حِجْر والدي، ممتَّعاً بذخائر طَرِيفي وتالدي.

مُرَبَّىً بغذاء علمي الظاهر والباطن، في النَّعيم المقيم بأرفع المساكن.

ومَقام والدي غنيٌّ عن المدح، والوُرقُ بأوكارها لا تُعلَّم الصَّدْح.

فلما درَجْتُ من عُشِّي قرأتُ على خالي، سِيَبويْه زمانه علومَ العربية فجثَوتُ بين يديه على الرُّكب، ونافسْتُ إخواني في الجدّ والطَّلَب.

ثم ترقَّيْت فقرأت المعانيَ والمنطق. وبقيةَ علوم الأدب الاثني عَشَر.

ونظرت كتب المذهَبيْن، مذهبِ أبي حنيفة والشافعيّ مؤسِّساً على الأصْلين من مشايخ العصر، متنزِّهاً في حدائق السحر، موشِّحاً لآدابي بحُلَل النظم والنثر: [الوافر]

فـلـولا الـشـعـرُ بـالـعـلـمـاءِ يُـزْرِي لـكـنـتُ الآن أشـعـر مـن لَـبِـيـدِ

ومن أجلّ من أخذت عنه شيخُ الإسلام ابن شيخ الإسلام الشمسُ الرَّمْلِيّ.

حضرت دروسَه الفرعيّة، وقرأت عليه شيئاً من «مسلم» فأجازني بذلك، وبجميع مؤلفاته ومرويَّاته، بروايته عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنْصارِيّ، وعن والده.

وجلالُة قدره أشهر من الشمس، كما قلت فيه: [الطويل]

فـضـائـلُـه عَـدُّ الـرِّمـال ومَـن يـكـنْ لِيَحْصُر مِعْشارَ الذي فيه من فضْلِ

فـقـلْ لـفـتـىً قـد رام إحْـصـاءَ مـجـدِه تربْتَ استرِحْ من جُهْدِ عدِّك للرملِ

ومنهم: شافعيُّ زمانه، القطب العارف باللّه تعالى، الشيخ نور الدين الزِّيَّادِيّ، زاد اللّه حسناتِه. حضرت دروسَه زماناً طويلاً.

وهو كما قلت فيه: [الوافر]

لـنُـورِ الـديـن فـضـلٌ لـيـس يـخْـفـى تُـضـيءُ بـــه الـلـيـالـي الـمُـدْلَـهِـمَّـهْ

يـريـد الـحـاسـدون لـيُـطْـفـئـوه ويـأبـى الـلّـهُ إلاَّ أن يُـتِـمَّـهْ

Marfat.com

ومنهم: العلامة في سائر الفنون، عليّ بن غانم المقْدِسِيّ، الحنَفِيّ. حضرت دروسَه، وقرأت عليه الحديث، وكتب لي إجازة بخطه.

ومنهم: العلامة، الفهامة، خاتمة حُفَّاظ المحدِّثين، إبراهيم العَلْقَمِيّ. قرأت عليه «الشفاء» بتمامه، وأجازني به وبغيره، وشملني نظرُه، وبركةُ دعائه لي، وغير ذلك مما لا يُعدّ.

وممن أخذتُ عنه الأدبَ والشعر: شيخُنا العلامة، أحمد العَلْقَمِيّ، والعلامة محمد الصَّالِحِيّ الشامِيّ، والعِنَايَاتِيّ.

وممن أخذتُ عنه العروضَ: الشيخ محمد المغْرِبِي، المعروف بركروك.

وممن أخذتُ عنه الطبَّ: الشيخ داود البصِير.

ثم ارتحلت مع والدي للحرمين الشريفين، وقرأت ثَمَّة على الشيخ عليّ بن جار الله. وعلى حفيد العصام وغيره.

ثم ارتحلتُ إلى القُسْطَنْطينِيَّة، فتشرَّفتُ بمن فيها من الفضلاء، والمصنفين، واستفدت منهم، وتخرَّجت عليهم. وهي إذ ذاك مشحونةٌ بالفضلاء الأذكياء، كابن عبد الغني، ومصطفى بن عَزْمِي، والحبر داود، وهو ممن أخذتُ عنه الرياضات، وقرأت عليه أقليدس وغيره.

وأجلُّهم إذ ذاك: أستاذي سعد الملة والدين ابن حسن جان. ولما تُوفِّيَ قام مَقامَه صنعُ الله، ثم ولَداه. ثم انقرضوا في مدّة يسيرة، فلم يبْقَ بها عين ولا أثر، وصار الدين مَلْعَبة وسُخْرية، وآل الأمر إلى اجْتراء السلاطين والوزراء بقتْل العلماء وإهانتهم.

ولما عدتُ إليها ثانياً بعد ما تولَّيتُ قضاء العساكر بمصر، رأيت تفَاقُمَ الأمر، وغلبة الجهل، فذكرت ذلك للوزير ظنّاً بأن النصح يفُيد، فإذا هو كما قيل: [البسيط]

هــو الــوزيــرُ ولا أزْرٌ يُــشَــدُّ بــه ... مثلُ الـعـروض لـه بـحـرٌ بـلا مـاءِ

فكان ذلك سبباً لعزْلي وأمري بالخروج من تلك المدينة، وإظهار العداوة ممن هو في زِيّ العلماء، مع أنه لم يبْقَ بها أحد يُحسِن قراءة الفاتحة. وفي أثناء ذلك بعد أن مَنّ الله تعالى عليَّ بالسلامة من كَيْدهم ومكرهم، كتبت رسالةً لبعض رؤسائها.

وهذه صورتها: [الوافر]

رأيــتُ الــدهــر يــرفــعُ كــلَّ وَغْــدٍ ... ويـخـفِـض كـلّ ذي شِـيَـم شـريـفَـهْ

كـمـثْـلِ الـبـحـرِ يَـغْـرق فـيـه حَـيٌّ ... ولا يـنْـفـكُّ تـطْـفُـو فـيـه جِـيـفَـهْ

أو الـمـيـزانِ يـخـفِـض كـلَّ وافٍ ... ويـرفـع كـلّ ذي زِنَـةٍ خـفـيـفَـهْ

الحمد لله الذي جعل الدنيا الخافضةَ الرافعة للسَّفل الأنْذال، لا تستقرُّ على حالٍ فتسلَم من الفَناء والزوال. والصلاةُ والسلام على مَن لم يرْضَ بشيءٍ منها يصْطفِيه، وعلى آله وصحبِه الذين اقتدَوْا به في كلّ ما يرتضِيه.

وقد قيل: إن الدهرَ مُعلِّم إذا لم يُتعلَّم منه عاقب، وإذا تُعُلِّم أدَّب وهذَّب.

Marfat.com

ولم نَرَ معلِّماً أحسنَ تعليماً من زمان، ولا مُتعلِّماً أسوءَ تعلُّماً من إنسان.
وكم أدّبني وقرَع ليَ العصا، فغشَّني رائدُ الأمل وعصى.
وأنساني عِظَتَه أمراضٌ لا تُحَسّ، وعِلَلٌ نَبْضُها ببَنان البَيان لا يُجَسّ.
حتى لزمْتُ حِمْيَة الحميَّة، ولازمتُ الأزْم عن ذَوْقِ نِعَمِها الشهيّة.
ولكلِّ شيءٍ حِمْية، فحُسْن الاعتقاد حِمْية الجَنان، ولزوم الصمتِ حِمْيةُ اللسان.
كما أن التَّوَقِّيَ من الطعام والشراب حِمْيةُ الأبدان. فإن أكثرَ العِلَل والأوْصاب، يكون من الطعام والشراب. [الطويل]

ومن يلْقَ ما لاقيْتُ في كلِّ مُجْتَنىً من الشَّوْكِ يزْهَدْ في الثمار الأطائبِ

والأخْدان والخِلاَّن، وإن كانوا فاكهةَ الزمان. فهي سريعةُ الاسْتِحالة، شديدةُ الضَّرَر لا مَحالة. ومما يُعِين على الداء، الذي لا ينفع معه الدواء، البعدُ عن الأرضِ الوَخِيمة الهواء، كالمدينة البَخْراء، مَعْدِن البلاء والأسْواء. وكم كنتُ أتمنَّى البعدَ عنها، وأوَدُّ الخلاص من أهلها ومنها. حتى اتَّصلْتُ بمولىً امْتَنَّ بالحِرمان، وقد كان الناس يَمُنُّون بروائع الإحسان. فعاقبني بالبُعد عن سُدَّتِه، ولم يدْرِ أن من أعظم المِنن عدمُ رؤيته. ولم أر مثلي ومثَلَه إلا مثل أعرابيٍّ بوَاسِط بال فيها، فحبسَه لذلك الحجَّاجُ مع مُجْرِميها، فلمَّا انطلَق خرج منها وقال بديهاً: [الطويل]

إذا نحن جاوزْنا مدينةَ واسطٍ خرئْنا وبُلْنا لا نخافُ عِقابَا

ومُؤمِّل النفع من اللئام، كزارعِ السِّمْسِم في الحَمَّام. وكنت منتفعاً من دولته انتفاعَ ناكحِ عروسٍ في الأحلام، هَبَّ من نومِه بجنَابةٍ وأجْرة الحمَّام. فكأني لم أسمع قول القائل: [الطويل]

إذا ما الليالي جاوَرتَك بناقصٍ وقَدْرُكَ مرفوعٌ فعنْه تحوَّلِ
ألم تر ما لاقاه في جَنْبِ جارِه كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمَّلِ

فكما أن الكامل بصُحْبةِ الناقص ينْقُص. [الكامل]

بجيرانِها تغْلو الديارُ وترخُصُ

ولكنّ الذي غرَّ آمالي، في الترقِّي والصعودِ لرُتَب المعالي، ما عهدْناه من الشرفِ الباذخ في صَميم الموالي. من كل صحيح النَّسَب، فسيح الأدب. من أيِّ أقْطارِه أتيْتَ انْثَنى إليك بكرم الْمقال، وحسنِ الفِعال. [الطويل]

جميلُ المحيَّا والفِعال كأنما تمنَّتْه أمُّ المجدِ لما تمنَّتِ

مَن ركب مطايا الأمل لشكْرِه، رأى وراءَه حادياً من برِّه. ظاهرُ الفضل والآداب، سالمٌ من دَنَس الجهل ووَسخ الأحساب. وقد كان هذا إذا أوعد، وقَعْقَع سِنُّه وأبرق وأرْعد، أقول بَرْقٌ خُلَّب، وسحابةُ صيْفٍ عن قريب تقَشَّع. وما كلُّ ذنبٍ تُسمع أعذارُه، ولا كلُّ مجنون تصيبُ أحجارُه. وإن كان قيل: [الخفيف]

Marfat.com

وإذا ما المجنونُ قال سأرميـ ـك فهَيِّئ للرأسِ منك عصابَهْ

وقد سُمِع النحاةُ الأوائل يقولون: إذا اجتمع في لفظٍ عاقلٌ وغيرُ عاقل غُلِّب العاقل. فانتقَضتِ الأحكام، حتى في الكلام. فغُلِّب غيرُ العقلاء من الجهلة، وارتفع العدلُ مع السِّلْسِلة. وعلا قُطّاعُ الطريق، وملك السيدَ الرقيق. وصار الرُّعاة ذئاباً، والغنمُ والشياهُ كلاباً.

وقد كان بعضُ الحكماء قال لسلطانٍ: لو جعلتَ حكماءك وزراءَك، ووزراءَك حكماءك أصبتَ؛ لأن حكماءك يُحكِمون الفتل، ووزراءك لا يقدِرون على ذلك.

وبرَأْي هذا الحكيم عمل الناس الآن، فجُعل المنجِّمون والحكماء حكامَ شريعةِ المصطفى، وطَرد رئيسُهم العلماءَ ونفى. [الكامل]

انْفُوا المؤذِّنَ من بلادكمُ إن كان ينْفَى كلُّ من صدقَا

فصار المدَّعي يُنظر في قارُورته فإن صفَت قُبِل قوله، وقيل: إن القول الأصحَّ في مسألة الخُنْثى أن يُحْكَم بَولُه. وكان الشاهدُ يسأل عن الصلاة والقُنوت والواجبات، فصار يسأل عن القضايا والمُخْتِلطات. فإذا زكى امرؤ بدعوة الجنّ، سئل عنه من الحِنّ[1] والبِنّ. وكان الامتحانُ من كتب التفسير وشروح «الهداية»، فصار بالزَّايرجة السَّبْتية ونقاية الحكيم الكِنديّ للغواية. وكان القانون يُرجَع فيه إلى الطُّغْرائيّ مُفْتِيه، فصار أمره لكل بنَّاءٍ وغوَّاص سَفِيه.

وقيل لمن قرأ عيون الحقائق، في صنعةِ الدكِّ والطرائق، محقِّقٌ أدرك السَّلف، ومسَخ اللّه به علم الخلف. ونقَب له سدَّ يأجُوج ومأجوج، فقرأ في داخله على الأكْراد والزنوج. فنقَض القواعد، وجدَّد رُسُومَ الأوابد. وكذَّب أهل المعاني في أن الصدق مُطابقة الاعْتقاد أو الواقع، وقال: هو مُطابقةُ النِّفاق ورأْيِ الأمر القاطع. وعاب قصائد امْرِئ القيس، وجهَّل في النجوم بطليموس، وفي مُجرَّبات الطب جالينوس.

وقال بالشعوبيّة، وفضَّل اللغة النَّبَطيَّة على العربية. وزهِد في الحسن البصريّ والأبْدال السائحين بالبادية، وقال: لو كانت رابعةُ زوجتي طَلقْتها ثلاثاً ولم أرْضَها جارية. وجدَّد رَصْد الطعام بالديوان، وبنَى مدرسة يُنْكَح فيها الغِلمان.

وقال: الدرسُ العام لا يعرفه غيرُ العوام، وشرح «ديوان المتنبي» بإعجاز اللغة الكُرْدِيَّة، وشرح لطافة اللغة الفارسية بالنُّوبية. وزاد في أشكال أقْليدس على الشكل الحماريّ الشكل البَغْلي، وصحّح نَسب السادات بالانتهاء للدُّلْدُل لا لعليّ. وزاد في براهين المِجِسْطِي وعلم المناظر والمرايا، وزاد زاويةً رابعة وكم خَبايا في الزوايا.

---

(١) الحن: سَفَلَةُ الجن وضعفاؤهم. القاموس المحيط، مادة /حنن/.

Marfat.com

وادَّعى أن الجَذْر الأصمَّ مَنْطق، وقال الأرتماطيقي ومساحة جغرافيا حساب يستخرج من الزئبق.

وحكمة الإشْراق وهيئات أفلاطون والمريخ، تؤخذ من «كتاب سيبويه»، و«خاطِريات ابن جيى»، و«مقتضب المبرّد».

وزاد في العروض ضروباً وأعاريض لم يعرفها الخليل.

وحكم في المسألة الزّنْبوريّة بين سِيبَوَيْه والكِسائيّ فطرد نحلَها، وفرَّق على الأكْراد عسلَها. وسأل عن مسألة الكحل العميان، وسأل عن المُناسخة وطرقها الثلاثِ حَسَّان. وفضَّل الصحابة بقول الحجَّاج، وقرأ.«تهذيب المنطق» على العجَّاج.

وخطَّأ الأطباء فقال: إذا مرضتِ الأمعاء السبعةُ يُحْقَن الغلام، كما أنه إذا ضرِط المقتدِي فسدت صلاةُ الإمام.

وقال: ما يسَّر اللّه هذا كلَّه إلا ببقاء المولى أطال اللّه عمره، وبنى نَهْيَه وأعربَ أمره. وطلب من عزرائيل حجَّة شرعية، على طُول الأجل ودَيْن المنيَّة.

فعجز عن الإثْبات وقال له: إنك من المُنْظَرين، فعمل له دعوةً وضيافةً قرَّب له فيها أرواحَ الضعفاء والمساكين.

فحمِده على ما أوْلاه، ومدَحه على أن خلَّصه من تَعبه وعَناه. وأنشده:

[المنسرح]

قد شاب رأسُ الزمان واكْتَهل الـ ... ـهـعرُ وأثـوابُ عـمـرِه جُـدُدُ
فـقـلْ لـه إن رأيـتَ طَـلْـعَـتـه ... قـد ضَجَّ من طولِ عمرك الأبَدُ
يـا بِكْـرَ حـوّاءَ كـم تـعـيشُ وكـم ... تـسـحـبُ ذيـلَ الـحـيـاةِ يـالُـبَـدُ
قـد أصـبـحـتْ دارُ آدم خِـرْبـةٌ ... وأنـت فـيـهـا كـأنـك الـوتِـدُ
تـسـألُ غِـرْبـانَـهـا إذا لـعَـبـتْ ... كـيـف يـكـون الـصُّـداعُ والـرَّمـدُ

وجاءتْه ملائكةُ العذاب، وقالت له: استرخْنا وأغلقْنا الأبواب. وأنشدته:

[م. الرجز]

مـعـمَّـر كـأنـه ... صـالَـحَ صَـرْفَ الـنُّـوَبِ
قـد انـقـضـى الـدهـرُ ومـا ... كـان بـه مـن عَـجَـبِ
فـالـنـاسُ جـسـمٌ واحـدٌ ... وأنـت عَـجْـبُ الـذنـبِ

ثم جاءه الملكان، وقالا له: أنت دليلُ من قال بقِدَم الزمان.

وقالا: لا كَوْر بعد الحَوْر، يحكم بصحَّة التَّسَلْسُل والدَّوْر.

فالحمد للّه الذي حمانا من سؤالك، وأقرّ أعيننا بسماع شعرِك وضُروب أمثالك.

وأنشداه قول الخُوارَزْمِيّ: [السريع]

لـم أرَه إلا خـشـيـتُ الـرَّدَى ... وقـلـتُ يـا رُوحُ عـلـيـكِ الـسـلامْ

Marfat.com

يبْقى ويفْنى الناسُ من شُؤْمِه قومُوا انظرُوا كيف تموتُ الكرامْ
كيف نراه سالماً بيننا يا مَلَك الموتِ إلى كم تنامْ

فقلت له: ليس بطُول الأعمار، يتمُّ الشرفُ والافتخار.

فقد سمعنا عن سادة الناس وأوائلها: نجاحُ الأمور وسعادتها بأوائِلها.

وفي أمثال العامّة: «ليلةُ العيد من العصر ما تخفى». «واليوم المبارَك من أوّله يَبِين». «والديكُ الفصيح، من البَيْضة يصيح».

وقال باهل: [الوافر]

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً ولم يفْخَر فليس له افْتخارُ

فدع الجدال، وكثْرَة القِيل والقال.

فإن حياة الفاجر فضيحةُ الدهر، وعلوَّ الغُثاء غيرُ ضائرٍ للنهر.

ولكلّ حَزْن سَهْل، ولكل أحمد أبو جهل.

وما كنت أظن الشمس تخفى، وأن مثلي يُنْفَى، ويُهان ويُجفَى.

حتى تجاوز الدهرُ الحدّ، وتمَّم تعريفي بالعكْس والطَّرْد.

فبُعْداً وسُحْقاً لدار لا أجد فيها للمعالي طُرْقاً، ولا يلْمع فيها جوّها للفضْل بَرْقاً.

[الطويل]

وكل امرئٍ يُولِي الجميل محبَّبٌ وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العزَّ طيِّبُ

وقِدْماً قيل: الرفيقَ قبل الطريق، والجار ثم الدار.

ولذا قالت آسِية: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، فقُدِّمت عندك لهذه المِنَّة.

وقال ﷺ إذْ رأى الدار الآخرة به أوْلى: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفيقِ الأَعْلَى».

فطلب الرَّفيق في الجِنان؛ فإنما الدارُ بالسُّكان ثم بعد السُّكان بالجيران. [الطويل]

وليس بعارٍ أن أُهانَ وإنما على الدهر عارِي والعُلا والمناصب
ولا خيرَ في دارٍ مُهانٌ كريمُها ولم يَرَ عَوْناً من خليل وصاحب
بها الأسَدُ الضِّرْغامُ في غابِه اخْتَشى كِلاباً قد اعْتادَت بصَيْدِ الثعالبِ

تمت الرسالة.

وها أنا أُتمِّم الجواب. فإن أردتَ ما لي من المآثر، فمن تأليفي:

«الرسائل الأربعون»، و«حاشية تفسير القاضي» في مجلدات، و«حاشية شرح الفرائض»، و«شرح الدرة»، و«المَقامة طِراز المجالس»، و«حديقة السحر»، وكتاب «السوانح»، و«الرحلة»، و«حواشي الرضيّ والجاميّ»، و«شرح الشفاء»، وغير ذلك.

ولي من النظم ما هو مسطور في «ديواني» فلا حاجة لذكْره، وقد مرّ منه كثيرٌ في هذا الكتاب. ومن المنثور «رسائل ومكاتيب» لم أجمعْها.

Marfat.com

وها أنا أذكر لك منها هنا «الفصول القصار» و«المُقامة الروميّة» التي ذكرت فيها أحوال أهل الروم وعلمائها. وهي هذه:

المقامة الروميّة

أنبأنا النعمانُ بن ماء السماء عن شَقِيق، وقد نظَمني وإيَّاه سِلْك المَحَجَّة بوادي العقِيق.

قال: خرجت مُخْتبِطاً ورَق الكرم، وقد صوَّح ربيعُ الآمال والهِمَم.

حتى عزَّ الحطيم، ورُعِيَ الهشِيم.

فطوَّحتْني الطوائحُ بأُرْجوحةِ الأماني، وهزَّتْني الأشْعبيَّة إلى ماجدٍ يبارز الزمنَ الجاني.

سمْح السجيَّة بسَّام العشيَّات، رَحْب النادي إذا ضاق لَبَبُ العيش والْتقت حلقتا المُلمَّات.

جَناه ليدِ الأمل داني، إذا اقْتُطِف ثمرُ اللهو ورَيْحان التهاني.

نزهة النفس، وشَمَّامة الأنس.

تُعَصر من شمائله شَمولُ الفرح، على رغم أنفِ الإبْريق والقدَح.

فما روضُ الجمال الرائع، وما وردُ الخدودِ في أكمام البَراقع.

وما جآذِرُ الأعاريب، وشمسُ الحسن في سُحُب الجلابيب. [الكامل]

ولقد دعوتُ ندى الكرام فلم يجبْ فلأشْكرنَّ ندى أجابَ وما دُعِي

فلم أزل أذْأَب في الإسْآد والإعْناق، وأقلِّد خلافة الخَضِر ومِساحة الآفاق.

ولا أبرح في ملاعبِ الفضاء، كُرةً لصَوْلجان القدر والقضاء. [الطويل]

يخيَّل لي أن البلادَ مَسامِعٌ وأنِّيَ فيها ما تقول العواذلُ

أقْدَح بيدِ الجياد زَنْد عزم وارِي، وأذْرَع شُقَّةَ المهامِهِ بأيدي المَهارِي.

أتلفَّع بُرودَ الأسحار والأصائل، وأُشمِّر عن ساقِ الجِدّ لَخِوْضِ بحر دُجًى ما له غيرُ الفجر ساحل.

عَلَّ أن يفتح عينَه عما تُثْنِي عليه الحقائب، ويبتَسِم فمُ الأفق عن صبح وعدٍ صادقٍ أو كاذب. [الرمل]

قيل لي ترْضى بوعدٍ كاذبٍ قلتُ إن لم يَكُ شحمٌ فَمَرَقْ

ولما بَعُدت شُقّةُ الالتماس، وعميَت عيونُ الأخبار تابعْتُ جواسيسَ الحواسّ.

تقْفُوا أثر برِيد الانتظار فأتى جُهَيْنةُ خبرِها بعد حين، من سَبَإٍ بنبإٍ يَقين.

رافعاً عَقِيرة نذيرِ عُرْيان، ساحباً ذيْليْ بزْدٍ وحِرْمان.

صائحاً: ارتحلت الأظْعان، وأقفرتِ الديارُ من السُّكّان والجيران.

Marfat.com

والكرمُ أفلَ نجمُه، وركدتْ ريحُه وقلَّ عزمُه، وتضَعْضع ركنُه.
فما ثمَّ أنيس، ولا اليَعافيرُ ولا العِيس.
لم يبْق فيها من أثافِيها، إلا ثلاثُ نُقَطٍ يشُكُّ الشكُّ فيها. [الكامل]

خلت الديارُ فلا كريمٌ يُرتجى منه النَّوالُ ولا مليحٌ يُعْشَقُ

فحَللْنا عقدة الحزْم بأضْراس النَّدَم وأيدي الجياد، وامتطَيْنا غارب العزْم وما لنا غيرُ المُنَى ماءٌ وزاد.

ما بين ثَمِلٍ من خمر السُّرَى، وراكع وساجد في تهجُّد الكَرى.
مُختبِرٍ بمِسْبارِ عصا التَّسْيار غَوْرَ الأطْلال والرسوم، حتى حطَطْتُ رحالَ التَرْحال بقُسْطَنْطِينيَّة الروم.
لما قالوا: جاوِزْ ملِكاً أو بحراً، وهُماماً خبَراً وخُبْراً.
والبحرُ قد مدَّ لِعناقها ساعدَيْه، والأمواجُ تقبِّل الأرض بين يديْه.
فأسَمْتُ في رياضها سَوامِيَ النَّظر، وأجَلْت في حَلْبة الذهن قِداحَ الفِكَر.
فإذا هي جنَّة مُلِئت بالحُور والوِلدان، وحُفَّت بالشَّهوات إذ حُفَّت بالمكارِه الجِنان.

من كلِّ شادنٍ سرَق الْتِفاتَة الغزال، وتسلّلت لتَرى لُطْفَه الصَّبا والشَّمال.
لولا خوفُ الوُشاة والعِدى، تساقطَتْ القُبَلُ على وردِ خدِّه سقوطَ النَّدى.
جرَى فيه ماءُ النعيم والهَيَف، وحار فيه الرأيُ فلو رآه سَيْلُ تَلْعةٍ لوقَف.
فاق ذُكاءً سَناً وسناء، فلو حاكْته حازت الشرفَ صيْفاً وشتاء.
إذا جادَه صَيِّبُ الحياء والخجل، أنْبَت ورداً يُجتْنَى بأناملِ أهْدابِ المُقَل.
في كتيبةِ حُسْنٍ إن غزا القلوبَ كَمِينُها: [الكامل]

هَزُوا القدودَ وأرْهفُوا الأجْفانا

وإن هجمت على الصَّبِّ عيونُها: [الكامل]

فاطلُبْ لنفسِك إن قدِرْتَ أمانا

يوسُف حُسْنٍ ودلال، ليس له أخٌ يحسُده على الجمال: [المنسرح]

ما قُدَّ فيه القميصُ من دُبُرٍ بل قُدَّ فيه الفؤادُ من قُبُلِ
إن قطَّع النِّسوةُ الأكُفَّ فقدْ قطَّع قلبي بطَرْفِه الكَحِلِ

يستعير منه الوردُ خدّاً اسْتعارةً مُرشَّحة بالنَّدى، والسيفُ منه فتْكاً استعارةً مُجرّدة للرَّدَى.

ومن وراء تلك الظِّباء العِين، ملائكة من الكرام الكاتِبين.
غالِيَتُهم المِداد، وعَبِيرُ نشرِهم يفوح على جَمْر الذَّكاء الوقّاد.
إذا راشُوا بالبَنان سِهامَ اليَراعة، أصابتْ قَراطِيس البلاغةِ والبَراعة.
وإذا افتخرتِ الرماحُ السَّمْهَرِيَّة، انتسَبتْ إلى أقلامِهم السُّمْر فكانتْ خَطِّيَّة.

Marfat.com

وفرسانٌ هُم أَخْلاسُ الجِياد، وغصونُ رُباها إذا حَمِيَ وَطِيسُ الجِلاد.
كم وَلَجُوا لُجَجَ الغمَراتِ على زوارِق سُروجِ السَّوابح، التي هي قيْدُ أوابدِ البوارح والسَّوانح.
سيلٌ ينْحَطُّ من صَبَب، سيفُه العِنان وَقُور اللَّبَب.
إن صعد فمُسْتَجابُ دُعاء، أو هبَط فمُبْرَم قضاء.
يسبِق لَمْحَ البصر، ويكلُّ دونه حديدُ النَّظَر.
إذا جرى على مَهَلِه، لم يسابقْه غيرُ ظلِّه. [الكامل]
ويكاد يخرُج سُرْعةً من ظلِّه لو كان يرغبُ في فِراقِ رفيقِ
أسودُ غابِ الرِّماح، بدورُ غمام القَتام وبُروقُ الصِّفاح.
ما ترفَّع بطلٌ عن لَثْم أعتابِهم، إلاَّ بادرَ رأسُه لتقْبيل تُرابِهم.
نَبْلُهم رُسُلُ المَنُون، وبِيضُهم بأيدي النصرِ مفاتيحُ الحصون.
وسمْرُ الرماح أرْشِيةٌ لا تمتْاح، من قَلْب الأبدان غيرَ الأرواح.
وسادةٌ مُتصوِّفة، عن الصدقِ مُتعفِّفة.
حِرْفتُهم بَيْعُ الزَّهادة، وحانوتُ تجارتهم السِّجَّادة.
من كلِّ متكبِّرٍ كأنَّ يدَ الثُّريَّا له تُشِير، فيه شَرٌّ طويلٌ تحت ذيلٍ قصير.
لا يمَسُّ زهداً أوانيَ الفضة والذَّهب، ولو وجدَها في خَلْوةٍ بلَعها وكم مضَغها منه فمُ الطَّلب.
له جُنْدٌ كالبراغيث أكْلٌ ورقْص ودَبّ. [السريع]
مَشَوْا على الخبزِ ومِن عادةِ الزُّ هَّادِ أن يمشُوا على الماءِ
ثم عُجْتُ على معاهد ذلك الحمى، فإذا دساكِر وقصورٌ هي سُلَّمُ السما.
وقِبابٌ قناديلُها الزُّهْرُ الدَّرارِي، فقلتُ: لعل هنا بدوراً يُهتَدى بها في ظُلَم الخطوب الساري.
فإذا في تلك المعالم بُرودٌ وعمائمُ وأذيال تُقَبِّل التراب، بين لِداتِ جهْلٍ وأتْراب.
والدهر قد أرْخَص كلَّ غالي، وقال كلٌّ من ضرب العَيْر: لنا مَوالي.
فقلتُ: فتىً ولا كمالِك، وماءٌ ولا كصَدَّاء، ومَرْعىً ولا كالسِّعْدان، وفَيافٍ نادت كلَّ رائد: لا قريةَ وراء عَبَّادان.
فالشاشيَّة قبةٌ على قبرِ مَأتَم، والحُلَّة غطاءُ ميتِ جهلٍ خلفَه مَأْثم.
من كلِّ سَفِلة لو باتَ حِلْسَ داره أقْفَر منه المنزلُ والجَوْف، وأذاقه اللّه لباسَ الجُوع والخوف.
لا يخشَى لَوْمَة نَصِيحٍ ولائم، ضَحُكة أغْراسٍ وقُطْرب وَلائم.
كأمر اللّه يدخل كلَّ دارٍ حتى يصير قتيل أضْراسِه، شهيد قَصْعته وكاسِه.
وعند جُهَيْنة منه الخبرُ اليَقين، وفي الصَّحْن له أيادٍ عند القُدور تسْتبِين.

Marfat.com

يسرُّنا منه الفِراق، سرورَ زَوْرةِ صَبٍّ على يأسٍ من التَّلاق.
إذ هو أمَرُّ من البَيْن، وفي ثِقَل الرُّوحِ ثانِي اثْنَيْن.

يَـــهـــودِيٌّ بـــلا مـــالٍ وأغـــمَـــى مـــالـــه صَـــوْتُ

إذا سلَّم على أهل نادٍ رفيع، فتحيَّتُه ضَرْبٌ وَجِيع.
تسْتعذِب الأيدي مَذاقةَ صَفْعِه المُكرَّر، حتى كأن قَذالَه من سُكَّر.
غضَبُ اللّهِ على المشاهِد والمجالس، لا مُشخِّص له غيرُ جِنْس البُرود وفضْلُ القلانِس.
حمارٌ على فرَس، له من تَقْعير المخارج جَرس.
كأنما كلامُه دعوةُ الكواكب، أو رُقْيةُ الحيَّات والعقارب. [المنسرح]

بِـرْذَوْنُـه صـائـمٌ حـكـى فـرسَ الـشِّـ ـطْـرَنْـجِ والـصـدقُ غـيـرُ مُـلْـتـبِـسِ
فـكـلُّ يـوم عـلـيـه يـدرُس مـنـ ـه صـوبـةَ عـدّ الـبـيـوت بـالـفـرسِ

وأطفالٌ كأنما زُيِّنُوا للجِنان، أو لاسْتِقْبال دَهْقان سَدُوم إذ كان له مع الملائكة ما كان.

مولود تقول قَوابِله: هذا ما لم يُسَمّ فاعلُه.
لو درَى الحكماءُ أن ماهيَّتَهم على ذاك مجْبولة، ما وقع بينهم اختلافٌ في أن الماهِيَّات مجْعولة.
وقالوا: إن الهَيُولَى والصورة يتبادلان، وإن العناصرَ مُتناكِحةٌ قبلَ حُلول الأبدان.
وإن الكيْفيَّات ما بين فاعلٍ ومفعول، ولولاه كان تركيبُ الأمْزجَة غيرَ معقول.
ولذا كان ميزانُ الخليل، بين فاعلٍ ومفاعيل. [الوافر]

فـإنَّ زمـانَـنـا مـن قـومِ لُـوطٍ لـه وَلَـعٌ بـتـقْـديـمِ الـصِّـغـارِ

وشُبَّان وكُهول، فيهم بلا فضْلٍ فُضول.
جُفاةٌ أجْلاف، بَنُو عَلَّات وأخْياف[1].
ورِثوا علمَ السَّلَف والخلف، فأوصى لهم بتُراثِ العربيَّة سِيبوَيْه وخَلَف: [الخفيف]

خاطرٌ يضْفعُ الفَرَزْدَقَ في الشعـ ـر ونَحـوٌ يـنِـيـكُ أمَّ الـكـسـائِـي

ومشايخ في الطِّراز الآخِر من السَّفَل، كم فيهم من نادرةِ المرّيخ وزُحَل.
كأنما يحمل غاشِيَتُه دارًا، وزُحَل أشرفُ الكواكب دارا.
لو قارَنه السَّعدُ الأكبر في أعلى عِلِّيين، حملتْه بناتُ نَعْشٍ إلى أسفل سافلين.
أعمى البَصيرةِ والبصر، عارٌ على آدم أبي البشر.
إنما خُلِق اعتذاراً لإبليس في ترْك السجود، وأنّى يُقبَل له عذرٌ وهو كَفور جَحود.

---

(١) الأخياف: من أمهم واحدة وآباؤهم شتى. القاموس المحيط، مادة /خيف/.

Marfat.com

وهو أوّل مَن حسَد، والحسد أذوأُ داءٍ في الجسد.
داحِسٌ والبَسُوس إن نُسِبا لشُومِه، بُرَاقٌ يُتبرَّك بسعادة قدمِه وقدُومِه.
والبُوم وابن دَأْيَة الأعور، يُتَيَمَّن بسوانحِها ولا يُتطيَّر، والزَّقُّوم عنده يهزْأ بالسُّكَّرِ المكرَّر. [المنسرح]

قلتُ له لِمْ هواك في سَفَلِ النا ... سِ وشرُّ الأمور سافلُهَا
قال وجدْتُ الكعوبَ من قصب السُّ ... كَّرِ مُختارُها أسافلُهَا

فرَيثما يُضِيء لَمْحُ البصر، إذا دارٌ قَوْراءُ يسافر فيها النَّظر.
يردُها الناسُ أفواجاً أفواجا، هي برجُ ثورٍ لا يرضى الشمس والقمر سِراجا.
في جَنَّةٍ عَالِيَة، قُطُوفُها غيرُ دانية.
جرى فيها سَلْسَبيلُ مَعِين، كدموع اليتامى في عهْدِه والمساكين.
تفتَّحتْ عيونُ أنوارها وهي إلى ربها ناظرة، وامتدّتْ أوراقُ أشجارها داعيةً على مَن أعاد بها صَفْقَةَ الدين خاسرة.
يمرضُ في كلِّ يوم سَنَة، ويرجو عيادةً مُزْمِنَة.
مُقْعَدٌ أعْدَى زمانَه بالزَّمانة، وسَطِيحٌ نام في عهده شِقٌّ عن السحر والكَهانة.
مشْؤُوم مَنْحوس، إذا علا نسبُه انتهى للمَجُوس.
فبيْتُه بيتُ نار، تعبده الفجارُ والأشرار. [الطويل].

غدا عالماً يُؤتَى فيأتي بحُجَّةٍ ... على ذاك من أخبارِ علمٍ وآياتِ
تقولُ له الإسلامُ يعلو ولم يكنْ ... ليُعْلَى فقال العلم يُؤْتَى وَلا ياتِي

فلما منَّ اللّه على شمسِه بالزوال، عاد لِمَحَلِّه من هو أسوأ منه في الأقوال والأفعال.
في قومٍ يُعرَف ما لهم موصولٌ من الفُضول، بما على رؤوس الْحُمُرِ وأعْجاز الخيول.
كما يعرِف الطبيبُ صحةَ الأبدان، بما في قارورةِ البول من الألوان.

لو بال هذا الدهرُ في قارورةٍ ... بان الذي يشكوه للمتُطبِّبِ

كأنما أوحى اللّهُ إليه وإلى ذَوِيه: تمتَّعوا بأيَّامِكم، فإنما خُلِقتْ متاعاً لكم ولأنْعامكم.
فاجْتُثَّتْ عروقُ النسب مَبْدأً ومُنتهَى، فالطُّخْلُب عنده سِدْرةُ المنتهى.
فرفعتُه بلا طائل، وعلوُّ قدرِه له قائل: [الوافر]

لقد خرِئَ الزمانُ عليك حتى ... علوْتَ وكنت أسفل سافلينَا
كرَقْم كان في الأعدادِ فرداً ... بذَرْقِ ذُبابةٍ أضحى مِئينَا

فلو درَى الكافرُ إذ حلَّت به الندامةُ وقد سُيِّرت الجبالُ فكانت سَراباً، أنه خُلِق من ترابٍ لاستحيَى أن يقول لأهل القيامةِ: يا ليتني كنتُ تراباً.

Marfat.com

فما أحسَنه في زوالِ النِّعَم، وأقبحَه إذا قضى له الدهرُ بدولةٍ وحكَم.

فكم سعدٍ له رفيق، حُجَّةٌ وبرهانٌ لزِنْديق.

إن ذُكِر له الفقه والحديث وما فيه من الغريب، اهتزَّ عجباً وأجاب بغزَلٍ رائق ونسِيب.

أو أُنشد له حَوْليَّات زُهير، وقلائد المتنبِّيّ، وزهديَّات أبي العتاهية، نظر في «خِزانة الفتوى» و«الخلاصة»، وقال: تلك أُمَّةٌ خالية. [الخفيف]

فَهْو في الفقهِ شاعرٌ لا يُبارَى ... وهْو في الشعرِ أوحدُ الفقهاءِ

لا إلى هؤلاء إن نسَبوهُ ... وجَدوه ولا إلى هؤلاءِ

فكأنَّ اللّهَ أمره بتقديم الأجْهَل فالأجهل إذ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨] وكأنَّ الرسولَ وَكَله أن جعل الدين مَلْعبةً بنسْخ الشريعة فرعِها وأصلها: [السريع]

قل لِي أما ترهبُ ربَّ الورَى ... ولستَ تستحيِي من المصطَفى

«إذَا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

قد مات من كنتَ منه تستحِي وأُهِيل عليه التراب، ليجد الدهرُ ما ضاع من من جواهرِه في غابر الأحقاب. [السريع]

ومات مَن لا عمرُه ماتا

وقد سئمْتُ عتابَ الدهرِ والشكوى، ونفضْتُ جِراب الطمع عما جَفَّ من زاد المنِّ والسَّلْوَى.

فلا يُلام مَن أودعَ كِيسَه عند طَرّار، ولا يركَب من سأل عن البُراق الحمار.

فانصحِ السائل بغِشِّه، واجْعَلْه دَارِجاً في عُشِّه.

وبدِّلْ سُعودَه بالنُّحوس، فإنّ نَقْشَه نَقْشُ الفصوص صحيحُها المعكوس.

وقد أخْرَسني العجزُ فما أفتح فماً؛ ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]. [الطويل]

إذا كان خصمي حاكمي كيف أصنع

وقد قنَعتُ من صِبْغ الإدام، بعَضِّ السُّلامَى والسِّلام.

فحتى متى أنا من سَكْرةِ الحَيرة لا أستفِيق، كأنني مُصحف في بيتِ زنديق.

فإن تسألاني ما دوائي فإنّني ... بمَنْزلةٍ أعيى الطبيبَ سَقامُها

كجُرَذ بسِنِي يُوسُف في دارِ ذي مَتْربة، يأكل بالقرْض لازماً رَبَضَه، فإذا نفد القَرْض وسدّ اليأس مَذْهبَه. [المنسرح]

أكلتُ كُتبي كأنني أرَضَه

Marfat.com

رضيتُ من الغنيمة بالإياب، وعُذْت إلى طلب تمائم لي ضيَّعها الشباب. بين العُذَيب وبارق. [المتقارب]

مَـجَـرِّ الـعـوالـي ومَـجْـرَى الـسـوابـق

وقلتُ تعلُّلاً: إذا سئمْتُ الشِّيم وترفَّعتُ من حضيضِ المذلَّةِ إلى أوْجِ الشَّمَم:

إن جِـيـداً سـقـطَـتْ مـن عِـقْـدِه دُرَّةٌ مـثـلـي حَـقِـيـقٌ بـالـعَـطَـلْ

وعقدتُ أهدابَ النِّية بأهْداب الظَّعَن، إذ هتف بي شِقُّ الكهانة.

أصـمَّ أم يَـسـمـعُ غِـطْـريـفُ الـيـمـنْ

لما تجاذبتِ الآمالُ الداعية للنفس إلى حُبِّ الوطن.

قانعاً بأحسن الراحتيْن، وإن عدتُ بخُفَّيْ حُنَيْن.

وإن مِـن أصْـعـبِ مـا مـرَّ بـي شَـمـاتـةَ الـحـاسـدِ والـجـاهـلِ

فقلت لأملٍ غير مستريح: أنا بأنْبائك شِقٌّ وسَطيح.

فدعْ كلَّ لَوٍّ وعسى وليت، وتمسَّكْ بأذْيال الهِمم تمسُّك الزّوار بأسْتار البيت.

ولا تكن كمن أراق عَذْب الشراب، لمَّا تَراءَى لَه لَمْعُ السَّراب.

فقال: شكر اللّه مَسعاك، وجعل أبي وأُمّي فِداك.

الكريمُ يُغَرّ ويخدَع، ولستُ بأوّلِ ذي حِلم له العصا تُقَرَع.

وتنفيسُ الأعمار ثمين، فإنه قد يهْدِي لعلمَ اليقين.

فمن انْغَمس في ماءِ حياته، طُهِّر من أحْداث شُبُهاتِه.

والعلم نعمةٌ مَن نشرها شكَرها، ومن كتمَها عن أهلها كفرَها.

وكم من ذنب عقابُه فيه، وكم عبدٍ أبَق من مَواليه.

ثم آبَ مُلتفِتاً بمُسْتتِر ضميره، من غَيابة غيْبَتِه لحضوره.

فعُجْ على سُدَّة مُخصِبة للرُّوَّاد، وانزِلْ في ظلِّ كَرْمِها تظفَرْ بكلّ مراد. [البسيط]

وقـلَّـمـا أمَّـلـتْ عـيـنـاك مـن رجـلٍ إلاَّ ومـعـنـاه إن فـتَّـشْـتَ فـي لَـقَـبـهْ

فناهيك به من ملِك ينقاد له السعدُ والإسْعاد، وتهْوي الأفئدةُ طائعةً خاضعة له قبل الأجساد.

فسُدَّته كعبةُ الآمال ومَقْصِد الهِمَم، فإذا حجَّت لها الأماني تلاقتْ في آمَن حَرَم.

عُمَريُّ الذَّات والصفات، فاروق حُكْمِه دِرْياق السموم والآفات. [الطويل]

أرى الدهرَ إن يبْطِش فمنك يمينُه وإن تَبْسَم الدنيا فأنتَ لها ثَغْرُ

عَـطـاءٌ ولا مَـنٌّ وحـكـمٌ ولا هـوى وحِـلْـمٌ ولَا عَـجْـزٌ وعِـزٌّ ولا كـبـرُ

فمورِدُه عذبٌ نَمِير، ونَشْره ونَداه روضةٌ وغدير.

بَشاشتُه الروضُ الأنِيق، ورفيفُ الغصن الورِيق.

وكم له سَجِيَّة، وهِزَّة أرْيَحيَّة.

Marfat.com

وثباتُ وقار خَيَّم فيه الْحِلمُ والسَّداد، توَدُّ الرَّاسيات أنها لِخِيامِه أوتاد.
ومُساواة أحْساب وأنْساب، تتحيَّر فيها المعاني لمساواة الإيجاز والإطْناب.
وطِيبُ أُصول وفروع زكي طَيُّها ونَشْرُها، قد فُطِمتْ عن النقائص بعد رَضاع لِبانِ المعالي فلِله دَرُّها.
رقيقُ حواشِيه نسيجُ وَحْدِه، من الطِّراز الأوّل مُعْلَمُ بُرْدِه.
نسخةُ مجدِه مُقابَلةُ الأصول، مُنَمْنَمةُ الطِّراز بنتائج العقول.
فَذْلكَةُ مناقبِ السلاطين، حامي حِمَى الحرمَيْن جامع شَمْل الدين.
فإذا نزلَتْ بي كُرْبةٌ سئِمها القلبُ ومَلَّها، قلتُ: إن الذي عقَد عُقْدةَ المكارِه يُحسِن حَلَّها، ولعلها أن تنْجلي بهبُوب رياحِ إقْبالِه ولعلَّها. [الكامل]

ما قد قُضِي سيكون فاصْطبرَنْ له ... ولك الأمانُ من الذي لم يُقْدَرِ

وها أنا ذا أحمَد في صباح الظَّفَر السُّرَى، وأُنبِّه حظِّي من رَقْدة الخمول لا سِنَةِ الكَرى.
بعد ما وقفتُ على حبِّه فؤادي، ورتَّبت في جامع أمانِيه وظائف ودادي.
ولست لندىً مُستمِيحاً، ولا لنَيْل نَوالِ أُهدِي مديحاً.
فسَكَّابُ طبعي لا يُباع ولا يُعار، ولو نقَدْتَ له دراهمَ النجوم بكفِّ الثريا فهو خُسْر وبَوار.
على مذهب أبي الطيِّب، في قوله: [الطويل]

وما رغْبَتي في عسْجدٍ أستفيده ... ولكنها في مفخر أستجدُّهُ

ومذهب الطائيّ، حيث قال: [الطويل]

ومَن خدَم الأقوامَ يرجو نوالَهم ... فإنِّيَ لم أخْدِمْك إلا لأُخْدَما

فالحمد للّه الذي أذهب عنا الحَزَن، بمن أقرّ لنا عينَ المُنى وأخذ لنا الثَّارَ من الزمن.
تمَّت المقامة المسمَّاةِ بِعتاب الزمان، في سبب حَجْب بني الأعيان، حَجْبَ حِرمان ونُقصان واستفْتاء الكرام، في مُشكِل الليالي والأيام.

الفصول القصار

وهذه فصول فيها حكم ونصائح سميتها بالفصول القصار، في نتائج الأعمار.
منسوجة على مِنْوال ابن المعتزّ في فصوله. وهي هذه:
إقدارُ اللّهِ العبدَ على حمده وشُكْر إحسانه، من جملة إنعامه على عبده وامتنانه.
شكر المنعِم من الكرم، لأنه قِرىً لضيف النِّعَم.
ساعدٌ زيَّنْتَه بِسِوار المنائح، حَرِيٌّ بأن يَمْرِيَ لك ضروعَ الثناء والمدائح.

Marfat.com

من كان وارفَ الظلال، تَقِيل عنده القلوبُ والآمال.
نِعمٌ بها الألسنُ تُقِرّ، بها العيون والقلوب تَقَرّ.
رُبَّ مُوقدِ نارٍ بها يحترق، ومحسِنٍ للسَّبْح في اللُّجةِ غرِق.
خَلُّك أحلى من عسل غيرك.
كم طُرقٍ دون هضاب، بلغت السماءَ وارتدَتْ حُلَلَ السحاب.
إذا ملكٌ زار البلاد ألْبَسها بُروداً من القَتام مَزْرُورة بالجياد، مشدودةَ العُرَى بيد الحزْم والسَّداد.
طلَع البدرُ من إزارِه، ولم يعلَق الوِزْر بأزرارِه.
كيف ينجو من ظلمةِ الجهل المدلهمَّة، ويبغي نيلَ الفضل والحكمة، مَن كان مُقْعَد العزم عقيمَ الطَّلَب عِنِّين الهِمَّة.
فلان أخلَق الدهرُ قشيبَ ديباجتِه، وشرب اليأسُ من ماء بشَاشتِه.
شجاعةُ الملوك الثَّبات، وشجاعة الجند إقدامٌ وثبات.
أخلاق الخُلَطاء، والعادة طبيعةٌ ثانية.
الكَيْس يفتح الكِيس، كما يكسر الدَّيْنُ الدِّين.
في إغْماض العين وإغماد اللسان عقابُ العقلاء، وبلسانَيِ السوطِ والسيفِ عتابُ السفهاء.
سَلْوة الأحزان، تسليمُ مقاليد الأمور للدَّيَّان.
وقد روَينا في حديثٍ حسن: «الإيمان بالقَدَرِ يُذْهبُ الْهَمَّ والحَزَن».
الشروعُ مُلزِم، ومن تطوَّع لزمه أن يُتمّ.
المعالي تُملي المعاني بأفصح لسان، والنَّدَى يُنبت الشكر في حدائق الأذهان.
ذنبُ الحرِّ إلى ليال مدّتْ إليه يدَها وساعدَها، ذنبُ صِدارِ ثكلى فقدتْ واحدَها.
كيف لا يشُقُّ مطرٌ في سَفَر، والسفر بنقْطِه سَقَر.
هل أنا في الأعمال السلطانيَّة الدّارسِ رَسْمُها، إلا كالخمر نُسِخت منافعُها وبَقِيَ خُمارها وإثْمُها.
أو الحالم رأى أنه خرِئ لثقل ما حمل من العَيْن، فلما انتبَه وجد رَوْثَه ولم يجد لسواه أثراً ولاَ عيْن.
أو كداخلٍ بعَرُوسٍ في المنام، لزمَتْه في السَّحَر جَنابة وأُجْرة الحمَّام.
ما الربيعُ إلا حسناءُ في حُلةٍ خضراء فتحت يدُ الشَّمال أزرارَ زهورِها، لتشاهد عيونُ الأنوار من الغُدْران حُسْنَ ترائبها وبياضَ صدورها.
الصديقُ والسَّكَن، من تأْنَس به أُنْسَ العيْنِ بالوسَن.
شتَّانَ بين من عنوان أخلاقِه يُصدِّق مخائلَه، وصحيفةُ أحسابِه الصحيحة مُقابَلَة، وبين لئيم إذا نظرتَ إلى أحسابِه، فالطُّخْلُب أعرقُ من أَنْسابِه.

Marfat.com

من أمثال العامّة: حمار نزلتَ عنه لا تُبالِ بمَن يركبه، وشهر لا خيرَ لك فيه لا تعُدّ أيامَه.

قلت: [مخلع البسيط]

وكـــلُّ شـــهـــرٍ لا خـــيـــرَ فـــيـــه عـــدُّك أيـــامَـــه جـــنـــونُ

فلان لو تغنّى لأهل الْجحيم، لصارت نارَ إبراهيم.

كثرةُ الأتباع عِزٌّ ومَن يكُن مفرَداً يُحقَّر، ولذا قال النحاة: إن الجمعَ لا يُصغَّر.

ما كلّ جُنْدَبٍ يُدْعَى لِحَيْس، ولا كلُّ مُهاجرٍ مهاجر أمِّ قَيْس.

إياك أن تطلبَ عزيزَ الوجود، فإن الجودَ بذلُ الموجود.

وضيفُ السَّقَّاء، إنما يُكرَم بالماء.

وقد قيل: إن حمارَ القصَّار إن جاع شرِب، وإن عطِش شرِب.

قال خليل لي: خليل قبيحٌ مؤاجَر، خير من مليح خلفَ الستائر.

وشتَّانَ بين درهم النَّقْد، ودينارِ الوعد.

إذا اضطربت أمواجُ المقادير، لم تنفع سباحة رأيٍ وتدبير.

فمن عارض تيَّارَها بالسِّباحة، لم يصِل لساحلِ سلامةٍ ولا قَرارِ راحة.

في الأثَر: مُداومةُ أكلِ اللحم عشيَّةً وغُدْوة، تُورِث القلبَ غِلْظة وقَسوة.

وفلان يأكلُ ليلاً من أُيُور الغِلمان، ونهاراً بغِيبَة الإخوان.

انْطلاق ألسُنِ البرايا، جاسوسُ النوائب والمنايا.

احذَرْ أيدي الدعاء، إذا قَرَعْت أبوابَ السماء.

فلان مع بُخْلِه شقيقُ إبليس اللَّعين، و﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

لكل قلبٍ هوى، كما أن لكلّ داءٍ دواءَ.

فما اعْتلالُ نسيم الصَّبا، إلاَّ لحُب زهورِ الرُّبا.

الغِنَى مسكٌ لا يُكتَم شَذاه.

فلان اخْتُضِر، وأمسى له مع الملائكة شأنٌ مستمرّ.

أسلمتْه ملائكةُ الموت لمنكر ونكِير، وهما أدّيا أمانتهما إلى مالكِ خازنِ السعير.

كتاب تنَفَّس خطُّه عن بَنَفْسَج البِطاح، ولفظُه عن رياحين الأرواح، ومعناه عن سرّ الرَّاح، في ضمائر الأقداح.

فلولا ذُبولُه بجَسّ يد الدهر، وحلاوةُ ذَوْقِه خِلْتَني منه نَشْوانَ بين روضٍ ونَهْر.

إن دعتِ الضرورةُ إلى مَدْح غير ذِي شرف، فللشِّعر بحورٌ لا تكدّرُها الجِيَف.

إذا خلَت ضمائرُ الأكْياس، خلَت من المسرَّة قلوبُ الأكْياس.

إذا رفَّتْ أهدابُ النبات واختلَجت عيونُ الأزهار، بشّرتْنا بقُدوم نَسماتِ الأسحار.

إن كان الإبِطُ مَزْبلةَ الباطن، فاللسانُ مزبلة القلب.

Marfat.com

كم أخليْتُ فؤادَ القَناني، فأخلَتْ فؤاديَ من إخواني.
للّه كرمُ زمانٍ أقرضت أسحارُه والآصال، هواجرَه بَرْدَ النسيم على يدِ الشَّمال.
إذا جُرّ ذيلُ الفَناء على عالي القِباب والبيوت، تساوتْ قصورُ الجِنان وبيوتُ العنكبوت.
أنا في مفارقة من أُريد وصُحْبةِ من لم أُرِد، كواجدِ ما لا يشتهي ومُشْتَهٍ ما لم يجد.
أنعمُ ببارقِ رُعود، يتلوه وابِلُ جُود.
فما لَمَع وأشرَق، حتى اخضرَّ الأملُ وأوْرَق.
كريم جعل اللّهُ طولَ عمرِه، كحياة ذِكْرِه وشكرِه.
وعُمْرَ أعاديه، كعمر مواعيدِ أياديه.
رطَّب عودَ الدهر بما لَه من الآثار، حتى كادت تجري الصخورُ والأحجار.
لو همَّ الفلكُ برِفْعةِ ماجدٍ في الأبد، ما قدَّم الثوْرَ في منازلهِ على الأسد.
مَن باع الجزَعَ بالاصْطِبار، فله على الزمن الاخْتيار.
نُصْحُ البليد، عَناءٌ لا يُفيد. [المتقارب]
وصَقْلُ السيوفِ بلا جوهرٍ يُبَيِّنُ من عَيْبِها ما خفِي
مَن قال: الشرُّ بالشرّ يُطْفَا، فكأنه عطَّر النارَ بالحَلْفا.
لا بدّ لكلّ امرئٍ من صديق، وسالكُ بادِيةِ العمرِ لا يستغني عن الرَّفيق.
الصديقُ شَرِيك عِنان، في حالَتيِ السرورِ والأحْزان. [المتقارب]
بقَدْرِ المَثوبة عند الرضا تكون العقوبةُ عند السَّخَطْ
من لم يعرف زمانَه، عدَّ الخمول زمانَة.
ما سُمِّيَ الزمنُ زمناً إلاَّ لأنه يقول لك اقْعُد، كم فرخ من بيْضِه يلد، ورَماد بان خَلْف الجمرِ وقد وَقَد.
ما أنصف الشيبَ من سَتر وقارَه، فسوَّد وجهَه وأطفأ أنوارَه.
الدهرُ خَصْمٌ ألَدّ، وبلوغُ الأشُدّ البلاءُ الأشَدّ.
أتبْني بالأساسِ عُلوَّ الدار، وترقَع الجيبَ بأذيال الإزار.
الفحلُ البازِل، لا يفزَع من صوتِ الجَلاجِل.
والحوتُ لا يُهدَّد بالغرَق، والبحر لا يخاف من الشرَق.
ظنّ المرءِ قطعةٌ من عقلِه، ومُحْسِن الرَّمْي أدرى بمواقع نَبْلِه.
السعدُ مِن غير دَوام نُحوس والضحكُ من غير سرورٍ عُبوس.
الشهمُ لا يجود للِتَّقيَّة، وقطعُ سهم المؤلفةِ شهرةٌ عُمَريَّة.
من سلّم عِنانَ اختيارِه للقدير، انْقاد له الدهرُ بزمام التقدير، وصَرْف الدهر قد يُبدِّل الباءَ ميماً فيتَّحد التدبير والتدمير.

Marfat.com

أنا في شَرْط الوفاء للإخوان، وهم في جَزْم جزائِه بالهَوان.
كالواو والنون صانتا الاسْمَ عن التكسير، فخصَّهما من بين حروفِه بالنقص والتغيير.
هدايا اللئام تجارة، وقبولُها منهم خسارة.
المعروف والصنيعة، عند الأحرار وديعة.
أوّلُ هِراش الخيل شمام، وأوّل الحربِ كلام.
كما أن وُدَّ اللئام، مقدِّمةُ الخِصام.
أيادي الإحسان، تحُلُّ عُقَدَ الأضْغان.
من الشَّتْم نُصْحُ غيرِ الأكْفاء، وربما كان أمَرَّ من الداءِ الدواء.
من الأمراض روائحُ العقاقير لا شُرْبُ الدواء، وطولُ جلوس العُوَّاد والثُّقَلاء.
الحكماءُ الجُهَّال، رسلُ عَزْرائيل للاسْتعجال.
المَطْلُ طليعةُ جيش الحرمان، وسوءُ التدبير كَمِين الخُسران.
وسَّع اللّهُ على الأيام حتى تقِضيَ دينَ المكارم، وتنجزَ عِداتٍ تكفَّل بها الدهرُ والكفيلُ غارِم.
الحرّ إذا استدان جميلاً قضاه، فالسهمُ طار بريشِ الطيورِ فأطعمها قَتْلاه.
ليس الصديقُ مَن إذا رآك قام، بل من إذا أقعدكَ الحظُّ أقام.
مَن كان فصيحَ الشِّيَم، بليغَ الكرم، أوجَز مَقالَه، وأطْنَب أفعالَه.
طرَفا البحرِ بَرّ، فهو كاسْمِه بَرّ.
أنا من قوارِض اللومِ سليم، ولولا الصبر أخلَق الأدِيم.
إذا فرّتِ الغزالةُ إلى كِناس المغارِب، ألقتْ في سُرورِ البِطاح مسكَ الغياهب.
مَن كان بغير نفع في نفيسِ الملابس، كان كالصُّوَرِ المنقوشة في الكنائس.
تسُرّ الفُجّار، وتَسوء عقلاءَ الأبْرار. [المنسرح]

يا ساتراً للمشيبِ إذْ خضَبَهْ هلا خضبتَ الذُّبولَ والحَدَبَهْ

المحجوبُ مسجونٌ ذَنْبه وجودُه، فحاجبُه يأذَن لمن يُريده ويحجُب من لا يُريده.
ليس باتِّحاد الاسْما، تتَّحد ذاتُ المُسَمَّى.
فحُمرةُ الخدِّ جَمال، وحمرةُ العين اغتلال.
قد يحتجِب الحُرُّ لقِلّة اليَسار، كما احتجَب البدرُ عند السِّرار. [المتقارب]

وقد يُكْرَه الضيفُ لا ضِنَّةً ولكن مَخافةَ سوءِ القِرَى

مَن كان دليلُه الغراب، رضِيَ بالمنزل الخراب.
ومن كان طبّاخُه الجعَل، فلا يُسْأَل عما أكَل.
من كان خيّاطُه الخنافِس، كيف يكون حالُ الملابس.
اعتبِرْ باسم البشر، فإن أكثرَه شرّ.
في التَّرْكِ غِنىً بلا مَنّ، والحِمْيةُ دواءٌ بلا ثمن.

Marfat.com

فصل

أتحفْتني بتُحْفةِ ابن جُرْمُوز وبئست التحفة، فهو أهْون من ضَرْطةِ عَنْز بالجُحْفَة.

فلو طحنْتَ لي حبوبَ النجوم الزاهرة، برَحا الأفلاك الدائرة.

وخبزْتَ منها قرصَ الشمس وشوَيْتَ لي جَدْيَ البرُوج وحَمَلَها، وقَرنْتَ ثَوْرَها، وفرشْتَ ببساط كسرى منزلَها.

لم أُجِبْ دعوتَك، ولم أتحمَّل ثِقَلك ورؤيتك.

الاغْترارُ بفاكهة الحياة جَهالة، وشمُّ زهرةِ الدنيا ضَلالة، فإن الزهرةَ سريعةُ الذُّبول، والفواكهَ سريعةُ الاسْتحالَة.

إذا تمَشْيَخ الصبيُّ ضاع، واستعجَل الفِطام قبلَ الرَّضاع.

لا يقوم مُقْعَد الأيام، إلاَّ بمساعدة أيادي الكرام.

عنوانُ اللئيم خادمُه وصاحبُه، والعقربُ بوَّابُ الضَّبِّ وحاجبُه. [السريع]

اعتبِرِ الأرضَ بأسْمائِها واختبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

تعريفُ البخل عين اللئيم الواضع، لأنه الجامعُ المانع.

مَن لي بجليلِ همَّةٍ أتركُ له كلَّ حقير، وأصرفُ الناسَ به صَرْفَ الفلوس بالدَّنانير.

مضى السابقون إلى منازِل العدم، فظن المتخلِّفون أن السَّبْقَ في مِضْمار الكرم.

ومن جرَى وحدَه مغرور، وكلّ مَن يجري بالخلاءِ مَسْرور.

نَسَمات اللطف تفتحُ أبوابَ المُنَى بأيادي إحسانها، كما تفتح عيونَ الأزهارِ بلُطْف الشمائل قبل أوانِها.

الإلْحاح في الأمور، ربحُ تجارةٍ لن تَبُور.

تَرْكُ الجماعة عُقوقٌ للمؤمنين، وقَطْعٌ لرحِم وصلةِ الدين.

إذا نزلْتَ أرضاً فلا تمدحْ زهرَها، حتى تشمَّ رائحتها وعطْرها.

أنا في زماني يتيم، حضر مائدة جَبَّارٍ لئيم.

الجاهُ زكاةُ الشرف، ومَن أحسن لمن أساء إليه فقد انْتَصَف.

مُقابلةُ من لا تقاومُه خَرَف، ولولا مقابلةُ القمرِ للشمس ما انْكسَف.

إذا جُنَّ أميرُك فتذكيرُه بالحجارة عطَب، وإن عبَد النار فقدِّمْ له الحطب.

فصل

قالوا: الحركةُ بركة، وهذا إذا رافقها السعد، وهدَاها رائدُ الْجَدّ.

وإلا فهي حركة النَّشْوان، وفَتَّالِ الحبال، وبني إسرائيل في التِّيه. [السريع]

قالوا ارتحِلْ تظْفَرْ بفضلِ المُنَى وأينما سافرْتُ حَظِّي معِي

الكرمُ حبْلُه رخيم، والظلمُ مرتعُه وَخيم.

Marfat.com

فصل

ماذا أقول لقومٍ اجتنَوْا منّي ثمارَ مَقالٍ دانية القطاف، وقالوا في ظلالِ الرأفةِ والألْطاف.

فإذا عطف الدهرُ وهو لَهم مُساعِد، كنت لديهم ككفٍّ بغير ساعد.

فحالي معهم في المَبَرّة، كحال الناس والإبْرَة. [الطويل]

كسَتْ قيصراً ثوب الجمال وتُبَّعاً ... وكسرى وباتتْ وهْي عاريةُ الجسمِ

وكنتُ أعيب على الخُوَارَزْميّ قوله: [الطويل]

كفى حَزَناً أن لا صديقٌ ولا أخٌ ... يُفِيد غِنىً إلاّ تداخَلَه كِبْرُ

فما نال فوق القُوتِ مِثْقالَ ذَرَّةٍ ... صديقٌ ولا وَافَى على عُسْرِه اليُسْرُ

وما ذاك إلا رغبةٌ في وِصالِه ... وإلاّ حِذارٌ أن يميل به الدهرُ

ظَنّاً منّي أنه يدل على خُبْث الطَّوِيّة، وفساد العقيدة والنيّة.

فإذا هو قد حلَب الدهرَ أشْطُرَه، وذاق بلسان التجربة حلوَه ومُرَّه، فلله درُّه ما أخبرَه.

فصل

رُبَّ معنىً سارّ، بلباسِ آخر ضارّ.

فهذا الرشيد رأى في منامه أنه قُلِعت جميعُ أسنانِه فطلب لها مُعبّراً. فقال: ترى مصيبةً في جميع أهلك وموت أحبابك. فأمر بنَزْع جميع أسنانه. واستدعى آخر، وقصَّ ذلك عليه، فقال:

عُمْرُ الخليفة أطال اللّه بقاه، أطولُ من عمر كلّ من يلوذُ به ويَهْواه.

فقال: املؤوا فاه دُرّاً، وخلع عليه خِلَعاً أكسبَتْه فخراً.

ولما جعَل أحدَ أبنائه وهو طفلٌ وليّ عهده، وفوّض إليه الخلافةَ مِن بَعْده.

جلس للتهنئة، فقال له رجل مهنئاً: أقرّ اللّه عينَ كلّ عزيز، بخلافةِ مَن لم يبلغ سنَّ التمييز.

فساءه ذلك. فقام أبو يوسف بعده مهنئاً وقال: الحمد للّه الذي شرّفنا بخليفة لم يُكْتَب عليه شيءٌ من الأوزار، ولم يتعَبْ كُتّاب أعماله بليلٍ ولا نهار.

فأكرمه وأدناه، وتهلّل بالبشر مُحَيّاه. وقال: هلا أحسنتَ إذا خاطبتني العبارة، واحترست عما يكدّر مَشْرَب السّيارة. ألا ترى أن مَن قال لآخَر: أطال اللّه عُمْرَه، أعجبه ذلك وسرّه.

ولو قال له: أذهب اللّه شبابك، وجعلك شيخاً متغيّر الهيئة والقُوى، ساءه ذلك.

وقال أبو العَيْناء: لم أرَ أحسن أدباً من ابن أبي دُوَاد، كنت إذا انصرفت من عند

Marfat.com

غيره، يقول: يا غلام، خُذْ بيده. فإذا قمتُ من مجلسه، يقول: يا فتى، امْضِ معه. فكان مما يعجبني من حُسْن أدبه. وهكذا يحسُن المعنى ويقبح كثيراً في المركبات والمفردات، كما ستراه إن شاء اللّه تعالى.

وقد اقتديتُ في ذكْر أحوالي بابن الخطيب في «الإحاطة»، إذ ترجم نفسَه في آخره. وقد أعجبني قوله في ذلك: لما فرغتُ من تأليفه التفَتُّ إليه، فراقني منه صِنْوان دُرَر، ومَطْلَعُ غُرَر.

خلَّد مآثرهم بعد ذهاب أعيانهم، ونشرَ مفاخرهم بعد انطواء زمانهم.

فنافستُهُم في اقْتحام تلك الأبواب، وقنِعت باجْتماع الشَّمل معهم ولو في الكتاب، وحرصتُ على ألا أنال منهم قُرْباً فجريت على عقبهم أدباً وحُبّاً. كما قيل: ساقي القوم آخرهُم شرباً. انتهى.

قوله: «قنعت باجتماع الشمل معهم ولو في الكتاب» معنى لطيف، قريب من قول الآخر: [الخفيف]

فـاتَـنِـي أن أرى الـديـارَ بـطَـرْفِـي ... فـلـعـلـي أرى الـديـارَ بـسـمْـعِـي

وقلت أنا في معناه: [الكامل]

ذهب الكرامُ وجلدتي الحِزْبُ الأُلَى ... مـن قـبـلِ عـهـد الـقـارِظَـيْـن تـغـبَّـرَا
فـإذا دعـا داعـي الـغـرام لـقُـربـهِـمْ ... فـي ظِـلِّ أُنْـسٍ بـالـسـرورِ تـأزّرَا
أرْضَـى تـلاقـي ذكـرِنـا مـع ذكـرهـمْ ... فـي روضِ طِـرْسٍ بـالـمـعـانـي أثـمـرا

فصل

هذه ورقةٌ من رياحين الألباب، طارتْ بأجنحة النسيم من وَكْر رياض الآداب.

فأهدتْ لنا سنَا نفحةٍ ذكيّة، عرفْتُها من بين أصحابي وهزَّتْ معاطفَ الأريحيّة.

فأعادتْ عليَّ غصنَ شبابي فما كان أعطر تلك الصَّبا، وأنْدَى معاطف قُضبِ تلك الرُّبَا.

فذكرنا بقديم العهود، مَن قدِم علينا من الوفود.

فأتى من سَبَا اليأسِ بنَبا، وحديثٍ يحُلّ بيد النشاط الحُبا.

ونُقدِّم بين يديْ هذه الهمَّة السنيَّة، مَقاماتٍ نُسِجت على مِنْوال المقامات الحريريَّة. فمنها: مقامة الغُرْبة، المُسماة بدَفْع الكربة، بسلوة الغُرْبة.

مقامة الغربة

حدّثنا الربيع بن رَيَّان، عن شَقيق بن النعمان.

قال: لما هزَّتْني أريحيَّة الشباب، إلى اقْتِعاد سَنام الأرض على غارِب الاغْتراب.

Marfat.com

وقد أجدبت الأرض من كلِّ ماجد، يجتْني جَنَى المجد وتُجْنَى له ثمارُ المحامد.
وتعطَّلت من كريم تلْتفُّ عليه المحافل، وتسير في ظِلال أعلامه الجحافل.
وتبدَّلت بأُنْسِها وَحْشا، فلا ترى غيرَ جائع يتجَشَّا.
أقسمتُ ببيتٍ سالت ببَطْحائه أعناقُ المطايا، وثمِل رُكْبانُه بكأس السُّرى في الغَدايا والعشايا.

لَأغتربنَّ غُربةً قارِظيَّة يخفِق منها قلبُ الخافقيْن، وتدبغ أديمَ الجسد على مَرِّ الجديديْن، وتُنسِي صخرة السؤال عن حصين. وتُنسِي غطفان، غربةَ سِنان.
فقال لي خبير الأيام، الهجرةُ من سُنَن الكرام، كما فرّ موسى حين همَّ به القِبْط.
وقد كنتُ قرأت في بعض الأسفار، إذا أراد اللّه سَعَة رزقِ عبدٍ حبَّب له الأسفار.

ورويتُ في حديثٍ حسَن، أنه ﷺ كان يحبُّ الفَأْلَ الحسن.
فزجرْتُ السانح والبارِح، والطائر الغاديَ والرائح.
حتى رأيتُ الصبح انْبَلج، ومرّ بي طائرٌ أغرُّ من البَلَج.
فتمسَّكتُ بذيل الحزم، وصمَّمت على العزم.
وقلت: [الطويل]

بقولك طه سافرُوا تغنموا لقد ... بدا ليَ فَألٌ في المطالب رابحُ
فما خَطَّ في رملٍ ولا طرق الحصا ... كأيدي جيادٍ في السرابِ سوابحُ

وجَنَبْتُ الجيادَ إلى الْمَهارِي، ولبست حُلَّةَ دُجاً مُزرَّرة بالدَّرارِي.
مع صقور على متون أغوَجيَّات ورِكاب، بأقدامِ أقدام ترِفُّ بين غَزْزٍ ورِكاب.
على سُفُنِ ذَوْدٍ وزوارِق، وسروجِ سوابح في بحار السَّراب غوارِق.
فلم يزل يرفعنا الآل، بين رِفاقِ صحبٍ وآل.
على عِيسٍ ما لها غيرُ النَّصَبِ عِقال، وظهورِ سوابحِ ما لها غيرُ الكَلالِ شِكال.
حتى نزلنا على الخَوَرْنَق والسَّدِير، وأنخْنا مطايا العزم بين روضةٍ وغدير.
فسألْنا عن بَيْضةِ البلد، وطَوْدها الذي له بسفحها أرفعُ سنَد.
فقالوا: هو النَّضْر بن كِنانة، المُقَرطِس سهامَ آرائه من أعزّ كِنانة.
شيخٌ لبس عمائمَ دهره الثلاث، فهي على هامةِ همتّه ثُلاث.
من شجرةٍ مُورقة النَّسب، مثمرةٍ بيانعِ ثمار الحسَب.
جاهه عريضٌ طويل، فائضٌ على العدوّ والخليل.
وطِيبُ شمائله في كلّ ناد انْتشَر، فَغْمَةُ[1] روضاتٍ تزْدرِي الزَّهَر، هيِّجها نَضْحٌ من نضح السَّحَر.

---

(١) الفغمة: العبق. القاموس المحيط، مادة /فغم/.

Marfat.com

فقلت: بَخٍ بَخٍ الجاهُ زكاة الشرف، ومن أحسَن إلى من أساء إليه فقد انْتصَف.
ومن تردَّى بساطع الأنوار، واحْتبَى بحبِاء الوقار، ولم يبْقَ له ليل يصيح بجانبيْه نهار، فالسعادةُ له شِعارٌ ودِثار.
فقالوا: إن فيه عَيْبةً أعرابية، ولَوْقة[1] عُنْجُهِيّة، قد تُعرْبِد نفسُه الأبيَّة.
فقلت: مقاومة مَن لا تقدِر عليه خَرَف، ولولا مقابلةُ البدرِ للشمس ما انْكسف.
وإذا جُنَّ أميرُك فتذكيره بالحجارة عَطَب، وإن عبَد النارَ فقدِّمْ له الحطب.
وسأُفيض له وعليَّ أجملُ رِدَا، وأذهب إليه في رُفْقتِي غدا.
فلما عطِس الصباح، وشمَّتَتْه كلُّ ذات جناح.
ورفعتْ ذُكاءُ رأسَها من مشرق الأنوار، فأشرقتْ على عالم الكون والفساد لنشاهد ما فيه من الأسرار.
أتيتُ دارَه، فرأيت بدوراً لها المنازل دَارَة.
دارٌ يسافر بها النَّظَر، ويتسابق في محاسنها السمعُ والبصر.
داخلُها بُهُوٌّ وقُصور، وسُرادِق لا يعرف كَمالُه القُصور.
في صدرها هُمامٌ خَلْفَه وِسادة، أحدَق به وجوهُ أعيانٍ وَسادة.
يتنفَّسون بأنْفاس النُّعامَى، بين أوراقِ ريحانٍ وخُزامَى. [الخفيف]
قطفُوا الحلم من شَماريخِ رَضْوَى ... وجَنُوا اللِّينَ من قَنا الخَيْزُرانِ
حِذاءَ بِرْكةٍ صفَتْ كأخلاق أوِدَّائِه، وعذبتْ عذوبةَ خدَمِه ونُدمائِه.
لو أنْصفوه لقاموا في مجالسِه ... على الرؤوسِ قيامَ الظلِّ في الماءِ
فقلت له: حيَّاك اللّه وبَيَّاك، ولا زالت مِشْكاةُ أُنْسِك مشرقةً بمُحيَّاك.
فردّ التحيةَ بأحسنَ منها وما ردَّها، وأمدَّها بطلاقةِ بِشْرٍ كانت سُلَّماً لكَرامةٍ أعدَّها.
وحوله من حواشيه فِئام، وأغصانُ غلمان بناديه قِيام.
كأن على رؤوسهم الطير، يتهلَّل بِشْرُهم بكلِّ خيرٍ ومَيْر.
في روضِ نادٍ مثمِر مُورِق، عليه مخائلُ جَوْدِ جُودٍ مُغْدِق.
فتجاذبْنا أهدابَ الحديث، وأتى بنوادرَ حازتْ من كلِّ تَليدٍ وحديث.
حتى فاض المقالُ إلى السؤال، عن الداعي لشدِّ رحالِ التَّرْحال.
فقلت: قَحْطُ الديار من الأعْيان، وعُتُوّ الدهر وكَلَبُ الزمان.
وفَقْدُ كلِّ خِلٍّ رقَّتْ شمائلُه، إن سألْتَه تهلَّل حتى: [الطويل]

كأنك تُعْطيه الذي أنتَ سائلُهْ

[البسيط]

إنَّا لفي زمنٍ تَرْكُ القبيح به ... من أكثرِ الناسِ إحسانٌ وإقْبالُ

---

(١) اللوقة: المرة من لاق، ولاق عينه: ضربها. القاموس المحيط، مادة /لوق/.

Marfat.com

[الطويل]

فلما صحَا القلبُ وأقصر باطلُه وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبا ورواحِلُه

وقُوِّض بنيانُ المكارم، وقَعْقَع منه العُمُدُ والدَّعائم.

قلت: لم يقلِ اللّه: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ [العنكبوت:٥٦]، إلاَّ لنَسِير في مناكبِها إلى حَرَم الدِّين والدَّعَة.

وفي المثل: إذا ضربْتم في الأرضِ أميالاً، وجدتُم بَلالاً.

فدعا بالدواةِ والقلم، وأنعم بجزيل النِّعَم.

حتى سدَّ طرقَ الآمال والمطالب، وملأ المنازل والحقائب. [الهزج]

فلو كانتْ له الدنيا لأعْطاها وما بَالَى

فأغنى عن السؤالِ، وأراح الأمانيَ والآمال.

ثم تأوَّه آهَةَ الحزين، وأجاب نَفْثةَ المصدورِ منه الحنِين.

وقال: هذه نائبةٌ نابَتْ، ومصيبة عمَّتْ وما طابَت.

وسيوفُ اللّه ما أزَمتْ أفواهُ أغْمادها، وخيلُ اللّه إذا قيل لها ازْكبي يُركبُ سابقُ جيادِها.

وكم بين عُودَيْن كَمِينُ نار، يُورِي بالقدْح ويبدو له أُوَار.

وقد يأتي من الأحرار، مَن يقول النارَ ولا العار.

إلا أن خوفَ المنيَّة، قد يدفع صدرَ الأُمنيَّة، وربما أطفأ نارَ الحميَّة.

أما ترى عَمْراً لما بارز علياً وجَدَّلَتْهُ شَعُوب، كشف سَوْءتَه ولبس عاراً شَقَّ عليه الجيوب.

كما قال أبو فِراس: [الطويل]

ولا خيرَ في ردِّ الردَى بمَساءةٍ كما ردَّها يوماً بسوْءتِه عمْرُو

وأصابه مرَّةً داءُ الذَّرَب، فاسْتناب عنه خارجةَ ففاجأته المنيَّة لفضاءٍ وجَب. كما قال: [البسيط]

وليتها إذ فدَتْ عمراً بخارجةٍ فدَتْ علياً بما شاءتْ من البشرِ

وثالثة الأثافِي ما في «الاستيعاب»، من أن بُسْر بن أرْطاة، وهو من أبطال الأصحاب. كان مع معاوية بصِفِّين، وعليه تدور رَحَا حربها كلَّ حين.

فقال له: لو بارزتَ عليًّا، وسقيتَه كأسَ الحِمام نلْتَ مقاماً عليًّا.

وصار يَعِده ويُمنِّيه، ويُدَلِّيه بحبل الغرور في قَلِيب أمانيه.

حتى صرَعه أبو تُراب في تراب تُرْبتِه، ولم ينْجُ منه إلاَّ كما نجا عمرُو بكشف سَوْءتِه، فأعرض ضاحكاً من فضيحته.

وقال فيه الحارث بن النَّضْر السَّهْمِيّ: [الطويل]

أفي كلِّ يوم فارسٌ ليس ينتهِي وعورتُه وَسْطَ العَجاجةِ باديهْ

Marfat.com

يـكُـفُّ بـهـا عـنـه عـلـيٌّ سِـنـانَـه ... ويضحك منها في الخلاءِ معاويهْ
بدتْ أمس من عمرٍو فقنَّع رأسَه ... وعورةُ بُسْرٍ مثلُها حَذْوَ حاذيهْ
فقولا لعمْرٍو ثم بُسرٍ ألا انْظُرَا ... سبيلَكما لا تلْقيَا الليثَ ثانيهْ
ولا تحمَدا إلا الحيَا وخُصاكُما ... هما كانتا واللّهِ للنفسِ واقيهْ
ولولاهما لم تنْجُوَا من سِنانِه ... وتلك بما فيها عن العَوْدِ ناهيهْ
متى تلْقَيا الخيلَ المُشِيحةَ صُبْحةً ... وفيها عليٌّ فاتْرُكا الخيلَ ناحِيهْ
وكونا بَعِيداً حيث لا تبلغُ القنا ... نُحورَكما إن التَّجارِب كافيهْ

فلما قصَصْت عليه القَصَص، سَقاه ماءَ بِشْرٍ يُسِيغ جَرِيض[1] الغُصَص.

ثم قال لي: لو حدثتني بحديثِك مع الشيخ النَّجْدِيّ بدار النَّدْوة، وصعودِه مُتوكئاً على عصا رأيه كلَّ ربوة.

فقلت: هذا وقع فَلْتةً وقانا اللّه خوفَ شرّها، وقضى بلَيْلٍ من كَيْدِ طائفةٍ وقع كيدُها في نَحْرها.

رأيٌ ظن أنه جُذَيلُه المُحَككَّ، وعُذَيْقُه المُرجَّب.

فلم ينتِجْ له صواباً، فتصعَّد فيه وتَصوَّب.

فسوَّلت له نفسُه كلَّ أمرٍ غريب، تارة يخطئُ وتارةً لا يصيب.

وغرَّه سِنٌّ علا، فنزل أسفلَ سافِلين ولم يقلْ أنا ابنُ جَلا.

فلما عزَّتْ منه الحِيَل، قلت: للّه جُنودٌ منها العسَل.

وهو إن أظهر العداوةَ فالقلبُ مع هواه، وهو حبيبٌ تشفَّع له الودُّ حتى ترَضّاه.

فلما خُضْنا لُجَّة الحديثِ ووقفتِ الأقلام، على ساحل التَّمام.

قال لي: هاتِ من هنَاتِك، وأنشِدْ لي ما قلتَه من أبياتك.

فأنشدته منها: [الطويل]

عقاربُ منكمْ لا تزال لنا تسْرِي ... تَدِبُّ ولا تدري بأنّي بها أدْرِي
وتأكلُ لحماً لم يكنْ تَمَّ نُضْجُه ... على نارِ حقدٍ لا تُنَفَّى بها قِدْرِي
وعندِيَ نعلٌ قد أُعدَّتْ لمثلها ... تعاهدُها أن لا تدِبَّ إلى الحشرِ
ولي همةٌ لا تَرْتضِي دَفْعَ شِدَّةٍ ... بكشْفيَ سَوْءاتي لِخِلٍّ سوى صَبْرِي
كعمرو طَليقِ السَّوءتين وما لَه ... سبيلٌ إلى غير السبيلْين من شُكْرِ
وما أزَمَت منه سيوفٌ بها ارْتدَى ... أبو حسنٍ والخارِجيُّون من مصرِ
إذا اعْتقلُوا الخَطِّيَّ من فوق لامِهِمْ ... ترى غُصُناً لَدْناً على شاطئ النهرِ
أو الحيّةَ الرَّقْشاءَ ألقتْ قَشِيبَها ... بمُعترَكٍ حامي الوطِيس على بَدْرِ
وما طُلَقاءُ الفتح مثلَ الذي اغْتدَى ... رضيعاً بدَرِّ الوَحْيِ من مُحكَم الذِّكرِ

---

(١) الجريض: الريق. القاموس المحيط، مادة /حرض/.

Marfat.com

وليس يطيبُ العَرْفُ من ظَرِبانِه ... إذا ما اصْطلَى بالعنْبر الرطبِ في الشِّحْرِ
أبا حسنٍ قد طِبْتَ حيّاً وميتاً ... وفي نَجَفٍ أشرقْتَ كالكوكبِ الدُّرِّي
فما جدَثٌ طافتْ ملائكةُ الرِّضا ... به وله الزُّوّارُ تسعَى مدى الدهرِ
كمثلِ ضريحٍ ليس يعرفه امرؤٌ ... وليس سِوَى زيدِ النَّحاة به يدْرِي
فيا صاح لا تذكرْ أوابِدَ معشرٍ ... إذا ذُكِرت فاضتْ دموعي على صدرِي
وقل لابن هِنْدٍ من لسانِ مُهنَّدٍ ... أآكلةُ الأكْبادِ أغْرَتْك بالوَتْرِ
ورَيْحانةُ الزَّهْراءِ قد فاح عَرْفُها ... وهبَّتْ بها النَّفْحاتُ طيِّبةَ النَّشْرِ
عليهم سلامُ اللّه ما طَنَّبَتْ على ... مضاجعهمْ سُحْبٌ تحُلُّ عُرَى القَطْرِ
فحبُّهمُ في منزلِ القلبِ جارُهمْ ... ومن جاوَر الأشرافَ لم يخْشَ من ضُرِّ
ومَن كان خيرُ الخلقِ في مَلْجأ المُنَى ... له فَرَطاً يظْفَرْ بآمالِه الغُرِّ

فلما ارْتوَى الحديثُ من أعذب الموارِد والمصادر، ورجع الحوارُ حارَّ النَّوادر باردَ البوادِر.

قال: لا فضَّ اللّهُ فاك، ولا أقَضَّ في مهدِ الهنا مَثْواك.

فقد تركتَ بُنَيَّات الطريق، وجلَوْتَ خرائد فكرك في معرضٍ أنِيق.

ولم تنْثُر دُرَرَ المدامع، إلاَّ من دُرٍّ مُودَع في صَدَف المسامع.

وما أقصر الليلَ على الراقد، وأهونَ السُّقْم على العائد.

وقد أصبتَ دارَ المُقامة، فأنت جارُ أبي دُؤَاد بدارِ الكرامة.

فالْزَمْه لزومَ الطَّوْق جيد الحمامة.

فآمالكُ لا تظْمأ بهذا المُقام، وكيف يظمأ مَن كان جارَ الغَمام. [الكامل]

ما بين عصرٍ سابقٍ مُتلفِّتٍ ... شوقاً إليك ولاحقٍ يتطلعُ

فصل

في فوائد تتعلق بهذه المقامة

قوله: «سنام الأرض» هو خصيبها، كما في «أساس البلاغة».

قوله: «غربة قارظيَّة» إلى آخره.

كان ناس في الجاهلية تغرّبوا ففُقِدوا، ولم يُسمَع لهم بخبر.

منهم القارِظيّ، خرج ليأتي بقَرَظ الدباغة، ففُقِد، وضُرِب به المثل.

ومنهم سِنان بن حارثة الغَطَفانِيّ، من بني مُرّة.

وفي المثل: أضلُّ من سِنان، ولا أفعل كذا حتى ترجع ضَالَّةُ غطَفان.

وإياه عني زُهير بقوله: [الكامل]

إن الرَّزِيَّة لا رزيَّة مثلُها ... ما تبْتغِي غَطَفانُ يوم أضَلَّتِ

Marfat.com

قوله: «أغرّ من البلج»، هو طائر يُتيَّمن به، يقال له بالفارسية هماي، وتمثاله: ظلُّه، كذا في «الأساس».

قوله: «غرز» بغين معجمة وراء مهملة وزاي معجمة، هو للإبل كالرِّكاب للخيل.

قوله: «بيضة البلد» رئيسها.

قوله: «عمائم دهره الثلاث»: هي سواد شعر اللِّمَّة والرأس، ثم اختلاطه بالبياض ثم بَياضه كله.

قال: [الكامل]

يا مَن لشيخ قد تجرَّد لحمُه ... أفنى ثلاثَ عمائم ألوانَا
سوداءَ حالكَة وسَحْقَ مُفوَّفٍ ... وأجَدَّ لوناً بعد ذاك هجانَا
والموتُ يأتي بعد ذلك كلِّه ... وكأنَّما يعني بذاك سِوانا

قوله: «ولم يبق له ليل يصيح» إلى آخره، هو حلٌّ لقول الفَرَزْدَق: [الكامل]

والشيبُ ينهضُ في السوادِ كأنه ... ليلٌ يصيحُ بجانبَيْه نهارُ

قال ابن السِّيد في «شرح أدب الكاتب»: الليلُ هنا بمعناه المعروف.

وقيل: الليل فَرْخ الكَرَوان، والنهار: الحُبارَى، وهو وإن كان صحيحاً لغةً غيرُ مناسب هنا.

وهو مجاز؛ لأنه جعل الليل كمنْهزم يصيح خلفه مَن يهزِمه، كما جعله المُتنبّي قتيلاً في قوله: [الطويل]

لقيتُ بدربِ القُلَّةِ الليلَ لَقْيةً ... شفَتْ كبدِي والليلُ فيه قتيلُ

وأحسن من قولُ ابن هانيّ المغرِبيّ: [الطويل]

خليليَّ هُبَّا فانْصراها على الدجى ... كتائب حتى يهزمَ الليلَ هازِمُ
وحتى نَرَى الجوزاءَ تنْثُر عِقْدَها ... وتسقطَ من كفِّ الثُّريَّا الخواتمُ

وسَهَّله سَبْقُ الشّمَّاخ في قوله: [الطويل]

ولاقتْ بأرجاءِ البسيطةِ أبْلَقاً ... من الصبح لمَّا صاح بالليل نَفَّرَا

قوله: «كأنما على رؤوسهم الطير»، تمثيل لسُكونهم بمَن على رأسه طائر يريد أن يأخذه.

وقيل: إنهم شُبِّهوا بأصحاب نبيِّ الله سليمان الذين كانوا معهُ يظلُّهم الطيرُ.

قوله: «لو أنصفوه لقاموا» إلى آخره، هو معنى بديع، من قول البُحْتُرِيّ: [الكامل]

قل للإمام أبي محمدِ الرِّضَا ... قولَ امرئٍ أبْلاهُ حُسْنَ بَلاءِ
مِن حول بِرْكتِك الشهيَّةِ سادةُ الـ ... ـعلماءِ والفضلاءِ والرؤساءِ
لو أنْصفوك وهمْ قيامٌ أشبهَتْ ... أشخاصُهم أمثالَها في الماءِ

ومنه أخذ الأَرَّجانِيّ قوله:

Marfat.com

هذا الزمانُ على ما فيه من كَدَرٍ يَحْكي انْقلابُ لياليه بأهْليهِ
غديرَ ماءٍ تراءَى في أسافلِه خيالُ قومٍ تمشَّوْا في أعالِيه
فالرِّجلُ ينظَر مرفوعاً أسافلُها والرأسُ ينظَر منكوساً أعاليهِ

قوله: «ولم تنثر دُرر المدامع، إلاّ من دُرّ مودع في صدف المسامع»، معنىً بديع، أصله قول الزَّمَخْشَرِيّ يرثي شيخه أبا مُضَر: [الطويل]

وقائلةٍ ما هذه الدُّرَرُ التي تساقَطها عيْناكَ سِمْطَين سِمْطَين
فقلتُ لها: الدرُّ الذي كان قد حَشا أبو مُضَرٍ أُذْني تساقَط من عَيْني

وتواردَ معه الأَرَّجانِيّ في قوله: [الكامل]

لم يُبْكِني إلا حديثُ فراقِهمْ لما أسرَّ به إليَّ مُودِّعي
هو ذلك الدرُّ الذي أوْدَعتمُ في مَسْمعي ألقيْتُه من مَدْمعِي

ومما قلتُه مما نسجْتُه على هذا المِنْوال: [البسيط]

ما أنْسَ لا أنْسَ روضَ الأُنْسِ والسَّمَرِ فعن حديثي به سَلْ نَسْمةَ السَّحَرِ
وقائلٍ قال ما للشهبِ قد غَرُبتْ أمِن حياءٍ لما في الحيِّ من غُرَرِ
فقلتُ غاصَتْ بنهرِ الفجر حين جرَى حتى طَلَعْنَ برَوْض الأُنس فى الزَّهَر

ولما قلتُ هذا رأيتُ في شعر ابن اللَّبَّانَة الأَنْدَلُسِيّ ما يناسبه، وهو قوله: [الوافر]

أدِيرَاها على الروضِ المُنَدَّى وحُكْمُ الصبحِ في الظلماءِ مَاضِ
وكأسُ الراح تنظُر عن حَبابٍ تنُوب به عن الْحَدَقِ المِراضِ
وما غرُبتْ نجومُ الأفْقِ لكن نُقِلْنَ من السماءِ إلى الرياضِ

وقد وقع مثلُه في الشعر الفارسيّ، إلا أني لم أرَ أحداً من علماء الأدب بَيَّن وَجْهَ لطافتِه، مع أنه من المعاني البديعة.

فلما أمْعنتُ النظر فيه رأيتُه مبنياً على تشبيه بليغ، أو استعارة؛ لأنه جعل ما سمعه من أبي مُضَر دُرَراً ذاتَ نظْمٍ فائق، وجعل ما جرَى من دموعه أيضاً دُرّاً في نسقٍ رائق.

وهو كثير في كلامهم، مشهور، إلا أنه بنى عليه ما صيّره بديعاً مستغرباً، حيث صيَّر الدرّ الذي كان مُودَعاً في صَدَف الآذان، لرِقّته دمعاً جرى من العيون والأجْفان، وتصرّف فيه تصرفاً آخر أخرجه من باب آخر، وهذا هو المُحتاج للبيان.

فالظاهرُ أنه من قلب الأعيان الجوهريَّة، كقلْبِ عصا موسى حَيَّة، فَلْنَسَمْه سحر الشعراء وقلبَ أعيان المعاني.

ومنه قولي في بعض الفتُوحات العُمَرية:

Marfat.com

فصل

لما أتى عمرَ كنوزُ كسرى وجواهر النوبهار، لم يَعْبأْ بما فيها من زخارِف الكفار، فكأن دُرَّها حَنَّ لأوطانه فأتاه لأنه أعظمُ البحار، بل مدائحه والثناء عليه في سائر الأقطار، صارت مُجسَّمة فصيَّرها نِثاراً على خرائد الحصون والأمْصار، فتمثَّلتْ لتُقبِّل ثَرَى أقدامِه بتلك الديار: [البسيط]

مُخلِّد فخرها إذ تلك قد فنِيتْ ... لا الدُّرُّ درٌّ ولا الأحْجار أحجارُ

وفي معناه، ما قلت فيمن أُهدِيَ له سُبْحة مَرْجان ودُرّ: [البسيط]

أخْبِبْ بسُبْحةِ مَرْجانٍ مُفصَّلةٍ ... بالدُرِّ تلْثِمُ بحرَ الجود أَخْيانَا

كانت جواهرَ مدْحٍ فيك قد نُظمتْ ... والآن قد جُسِّمتْ دُرّاً ومَرْجانَا

كَيْما تُقبِّل كفّاً فيه بحرُ نَدَى ... والحرُّ يشتاقُ بعد النأيِ أوْطانَا

ومثله وقع في شعر فارسيّ.

المقامة السَّاسانِيَّة

حدّثنا مالك بن دينار، عن مسافر بن يَسار.

قال: كنت والشباب غُرابه لا يُطار، وثمراته الجنيَّة تُجنَى من رياض الأخبار، أهوى السِّياحة والناسُ ناسٌ والديارُ ديار، والدهر غَرٌّ لم يفطِن لتلَوُّن الليل والنهار. [الطويل]

ولم أر يوماً في ظلامِ مَفارِقي ... شِهابَ مَشِيبٍ لاح في الإثْرِ مُنْقَضَّا

لقول اللّه: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١١]، أنظر آثارَ رحمته، وأرى مآثر الطِّراز الأول في أعلام حِلَّته.

فإن مَن جدّ وجَد، ومَن تَوانَى فقد فقَد.

رافعاً عصا التَّسْيار، على كاهِل الاعْتبار.

رافضَ الاستراحةِ في مَهْدِ الدَّعَة، مُشيِّعاً قلباً فارق حبيباً ودَّعَه، فاطماً أمَلاً عن دَرِّ أُنْسٍ ارتضَعه. [م. الرمل]

طالما التفَّتْ إلى الصُّبْـ ... ـحِ لـه ساقٌ بسَاقِ

في نِقابٍ ورداءٍ ... من لِثامٍ وعِناقِ

أضرب كُرَةَ الأرض بصَوْلَجان الهمَّة، لا أعْبَأ بقامةٍ غير قائمة وهِمَّةٍ هِمَّة.

أتدرَّع بُرْدَ الليل، لأنه أخْفَى للويل.

وأشقُّ أديمَ النهار للسير، ولم أقُل ليس للعَصا سير.

كهَشِيم ترفعه أعاصيرُ ريح تدور، ووَرَق جفَّ فألْوَت به الصَّبا والدَّبُور.

Marfat.com

كأنني على غصنِ بانةٍ خَضِل تُثْنيه ريحُ الصَّبا هنا وهنا.

أو قَذى في عيون البلاد، أو عَيْرٌ شَرُود تزْميه الرَّوابي للوِهاد، أو عَذْل وامِقٍ في مسامع صَبٍّ شرِقَتْ بماء الوِداد. [الطويل]

كأني من الوَجْناء في متنِ موجةٍ رمتْني بحارٌ ما لهنَّ سواحلُ

حتى أتيتُ كُورَة خُراسان، فإذا بها قَيْلٌ نصب عِرْضَه لسهام الهوان.

مقلِّداً في ترجيح البخل مذهب سهل بن هارون، كأنه لم يسمعْ قوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

فطويْت حديثَه على غَرِّه، وأتيتهُ لأقف على جَليَّة أمرِه.

فلما جُسْت خلال إيوانه، قرأت عنوان حاله على وجوه غِلْمانِه.

وسمعتُه يقول لمن امْترَى أخْلافَ دَرَّتِه، وشبع من خَلَّته وحَمْضِه برؤية جَرّتِه.

يا هذا، صناعتُنا واحدة، لو لم تدرُج من عُشِّك كانت الراحة فائدة.

ألم تسمعْ نُصْحَ ناصح، ولم تَرَ زجْرَ سانح وبارِح. [السريع]

قال الحكيمُ في قديم العهدِ سواءٌ السلطانُ ثم المُكْدِي

كلاهما يطلبُ أموال الورى لكنَّ ذا بقَهْرِه والجُنْدِ

وذا بألْطافِ الدُّعاء ضارعاً لما يُرجِّيه بمَخْض الزَّبدِ

فلما رأى اليأس أغلق باب الرجا، وسدَّه سدَّ ابن بَيْضٍ بناقتِه مسالك الأزْجا. [الوافر]

أتى بجُفَيْنةٍ لا خير فيها فأجلسها بمائدة الكلام

ثم قال لي: أيّ البلادِ تُهْدِي سلامَها، وأيّ زهرة تحيةٍ فتحتْ لك النسماتُ أكمامَها.

قلت: الكِنانة المُعِزِّية، والخطَّة التي هي في حَضانةِ نِيلِها محميَّة.

رياضُها تحيا بأنهارِه، وأصابعُه تشير لكنوزِ خِصْبٍ تُستخرَج من معادن أقطارِه.

إلا أن أصابعَ الناس في الراحةِ والأيادي، وفي أصابعه أيادٍ وراحةٌ لكل حاضرٍ وبادي.

فإن سألت عن حالي، ففؤادي بها فؤادُ أمِّ موسى فارغٌ من آمالي.

وما حالُ وردةٍ فارقتْ نسماتِ القَبُول، فحداها السَّمومُ وقادها الذُّبول: [م. الرمل]

فتأمّلْ كيف يغْشَى مُقْلةَ المجدِ نُعاسُ

فأما حالُ سُكّانها، ومن ألْقى جِرانَه بأغطانِها

فقد ذهب أربابُ الهمم العالية، ولم يبْقَ إلا من يفتخِر بالرِّمَم البالية.

رُوح الشُّوم، ونتيجة اللُّوم، وخليفة البُوم.

وبعينِ الله ما يصنع الليلُ والنهار، ويسترُ الثوبُ والجدار.

وما يستتِر في ضمائر البيوت، وإن طال التحمُّلُ والسُّكوت.

Marfat.com

فكم بكتِ السماءُ أرضاً فقدتْ حبيباً، وساعدتْها سحبٌ انتحَبتْ بها نحيباً.

[الوافر]

ولـطَّـمـتِ الـخـدودَ بـهـا بـرُوقٌ وشـقَّـقـتِ الـرعـودُ بـهـا جـيـوبَـا

فقل لمن افتخر بالعظام: ما وراءك يا عِصام؟ [المتقارب]

إذا مـا افـتـخـرْت بـفـضـلِ الـجـدودِ وما فـيـك شـيءٌ يـسُـرُّ الـنـفـوسَـا

فـكُـلْ مـا حَـواه كـنِـيـفُ الـكـرام فـقـد كـان أمـسِ طـعـامـاً نـفـيـسَـا

ولْنَعْطِف على هذا النَّسق، لبيان مَن بقي منهم طَبَق على طَبَق.

من أصنافٍ لا تُعَدّ، وأجناس لا تُرسَم ولا تُحَدّ.

كرِعاعِ بني دَرْزَة بن سَاسان، كلابٌ سَلوقيَّة تصيد مِنَحَ كلَّ جَعْد البَنان.

من كلِّ سائلٍ بالإلحاح الْتحَف، أو دارَ بمِزْمارٍ ودُفّ.

أو تغنَّى بأنْكر الأصوات، فنَهق إذ رأَى شيطاناً يدَّعي الكرامات.

يُقِيم به المُعْتَزِليّ، دليلَ إنكار الكرامة، ويقول: هل عليَّ بعد هذا مَلامة.

أو حامل رايةٍ وعلَم، جعل القناعة علَماً لسُقوط الهِمَم.

ومنهم من كبِر وتكسَّرت قَواريرُه، وخبا نورُه حين هبَّت أعاصيرُه.

وأعظمُهم جُرْماً، وأقلُّهم دِيناً وحزماً.

حُمُرٌ مُستنفِرة، يقرؤون القرآن في بقاعٍ مُستقْذَرة.

بين رَهْطٍ لا يتدبَّرون ولا يستمعون، ولا يمتثِلون قول اللّه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وتُجَّارٍ رأسُ مالِهم الإفلاس، يضربون الأخماس في الأسداس.

يُزكُّون كذبَهم بالأيمان الفاجرة، فيربحون خسارة الدنيا والآخرة.

إن خاشَنْتَ أحدَهم في تقَاضِيه، بادر بالحَلِف على دَيْنه فيقْضِيه: [المتقارب]

يـقـول اسـتـمِـعْ حِـلْـفَـتِـي كـاذبـاً إذا ما اضطررتُ وفي الحال ضِيقْ

وهـل مـن جُـنـاح عـلـى مـسـلـمٍ يُـدافِـع بـاللّـهِ مـا لا يُـطـيـقْ

ورؤساءِ الفقهاء والكتَّاب، الرَّاضينَ من الغنيمة بالإياب.

وسَّعوا الأكمامَ وطوّلوا الذيول، ومشَوا في ظلماتِ الجهل والعلمُ مِصباحُ العقول.

قِبابُ عمائمهم على قبورِ الأجسام، دَنِيَّات منكوسةٌ أهْراقت الألْباب والأفهام.

أثقلُ من الأمانة التي أبَى حَمْلَها الجبال، من خوفِ سقوطِها لم يَدْنُ منهم كاتب الشِّمال.

حتى كاد لا يجد لإحْصاء عملِه سبيلاً، ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

اتَّخذوا سَعةَ الأكمام، زَنْبِيلاً للخِزْى والمَلام، وطولَ الذيول، مكانس لطُرق الغلول.

Marfat.com

إذا جلسوا يُلْقون دروساً، رأيتَ عَنْزَ الأخفش تُقابِل تُيوساً.
فيُبْدِي ويُعِيد ثم يقول: مَن يحلِبِ التيْسَ عليه يَبُول.
فإذا كبر وتكسَّرتْ قواريرُه، هبَّت لتخريبِ الأوقاف دَبورُه وأعاصيرُه.
إذا صام عن الخبز أفطرَ بأكْلِ أموالِها، وتهجَّد ببَيْع أحجارِها واسْتِبْدالِها.
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، لا مَن كان ضَبَّ العَشِيَّات وحِرباء الظهائر.
وقُضاةٍ بلغ سَيْلُ الظلم بهم الزُّبى، وشرِقت أفواهُ التِّلاع والرُّبا.
من كلِّ منقوصٍ لا يظهر رفعُه، إذ رَقَّ دِينُه وجفا طبعُه.
أحْولَ عقلُه يرى الواحد مع الرِّشا اثنين، ويبيع دِينه نَسِيئةً بالدَّيْن.
ويستفتي فرعون في قِسْمةِ الأحياء قبل الأموات، يحكي أبا جهل علماً لو كان له بقَلِيب بدر عظامُ رُفات.
ويفوق قاضيَ مُعِزِّ الدولة الملقب بفسوة الكلب في الهوان، وقد أحسن ابن شرَفٍ في هجْوه غاية الإحسان.
فقال: [المنسرح]

إنَّا إلى اللّه راجعون فقدْ ... هان على اللّهِ أهلُ ذا البلدِ
وفَسْوةُ الكلب صار قاضيَنا ... فكيف لو كان ضَرْطةَ الأسدِ

فكم ركبَ بحرَ الأهوال، حتى وصل إلى ساحل الضلال.
وأمْعَن السيرَ في تِيهِه فلم يجد للهداية طُرْقا، والمُنْبَتُّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبْقَى.
وفقيهٍ تحت إبطِه أجزاءٌ رثَّةٌ بها أفطر الجُرْذَان، وتعَشَّتْ العُثَّةُ أعمى العينِ والجَنان، وأبازِيرُ[1] العمى شَمُّ الصُّنان.
له أوراقٌ تفرَّقتْ أيْدي سَبا برّاً وبحراً، ومُنْتِن صُنانِه سمَّاه تأبَّط شرّاً.
لئيمٌ إذا شبع من النِّعمَ، بات غَرْثاناً من الكرم.
فهو ينادِي، بكل حيٍّ ونادي: [الخفيف]

هي كُتْبِي فليس تصلح من بغـ ... ـدِي لغير العطّار والإسْكافِ
هي إما مَزاوِدُ للعقَاقِيـ ... ـرِ وإما بَطائنٌ للخِفَافِ

وقد فُقِد العلمُ لولا نفحةُ أُنْسٍ من نَفَرٍ بقايا، فتح اللّهُ بهم خزائنَ كنوزٍ هي خبايا في الزَّوايا.
من كلِّ نفيِّ العِرْضِ أبيضِ السَّجايا، إذا تدنَّستْ الأعراضُ فأعراضُهم من العار عرايا. [البسيط]

---

(١) الأبازير: توابل لتطييب الطعام. القاموس المحيط، مادة /برز/.

Marfat.com

أبدتْ مآثرُهم نَقْصَ الزمان ففي خدِّ الربيع طلوعُ الورد من خَجَلِ

حَمتْ شوكتُهم رياضاً في رُبا الدِّين العَوالي، وأحيا اللّهُ بأنفاسِهم العِيسَويّة مَواتَ المعالي.

ولمَّا شرح اللّهُ بهم صدرَ الدِّين، وفتح ببصائرهم عينَ اليقين، أيَّدهم بأبناءِ الأعيان من أُمرائها، فقالتِ الخلافةُ تحت أفْياءِ لوائها.

حتى حَمَوْهم من نوائب الحُتوف، وزهَتْ جنةُ مَثْواهم تحت ظِلال السيوف.

فصارت بهم الأطْراف، من مَنازِه منازلِ الأشراف.

ولهذا يشير البديع، بقوله في معنى بديع: [الخفيف]

قيل لي لِمْ جلستَ في طرَفِ القو م وأنت البديعُ ربُّ القوافِي

قلتُ آثَرْتُه لأن المنادِيـ ـلَ يُرى طَرْزُها على الأطرافِ

وكَفاني من المفاخِرِ أني نازِلٌ في منازل الأشرافِ

فأَوَوا من ذلك الظلِّ لرُكنٍ مُعتمَد، ونزلوا فيه بين العَلْياء والسَّنَد.

متَّعنا اللّهُ بهذه الدولة وجعلها أطولَ الدُّوَل عُمْراً، وأرفعَها مناراً وأعظمَها قدراً.

سماءُ مجدهم مُكلَّلةٌ بنجُوم تهتْدي بها الأماني، ويستقرُّ رجاءُ كلِّ قلبٍ عاني.

والدهرُ لسَعْدِهم من الخدَم، وفَيْضُ أياديهم يُغْنِي عن الدِّيَم، وسُحْبُهم مُغدِقةٌ على الرَّاجين بالكرم. [الخفيف]

قلتُ للبرقِ إذ تألَّق فيها يا زِنادَ السماء مَن أوْراكَا

إن تشبَّهْتَ بالكرام وما قد كان من جُودِهم فلست هُناكَا

ومذ عَيِيَ لسانُ بَرْقِهم الخُلَّب وقال: لا خَلابة، وكلَّتْ دُهْمُ الأقلام من المشي في الكتابة.

شكرتُ مَشْيَها على الرُّؤُوس، وقلت: لا عِطْرَ بعد عَروس.

فقد جفَّ القلم، وكلُّ شيءٍ بلَغ الحد انتهى وتمّ.

مقامة عارضت بها مقامة الوَطْواط

وهي هذه:

حدّثنا مُبارك بن سعد العشِيرة، وكان حسَنَ السِّيرة سليمَ السَّريرة.

قال: لما هزَّتْني الأريحيَّة، ودعتْني دواعِي الهمم والحَميَّة.

إلى تقلُّدِ صوارِم الأعمال، وجَّهتُ وجهَ الطلبِ إلى قِبْلة الآمال.

سُدَّةِ الوزارة، ومِسْنَدِ ظهور الصَّدارة.

فأتيت المآربَ من بابها، وقبَّلْت الحجَر المكرّم من أعتابِها.

فلم أجِد المقاليد، بيدِ حُرٍّ رشيد.

Marfat.com

فزاغ البَصر، وقال: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١]. [البسيط]

مِن آلَةِ الدَّسْتِ ما عند الوزير سِوَى تخريك لِخيته في حال إيماءِ
فهْوَ الوزيرُ ولا أزْرٌ يُشَدُّ به مثل العروضِ له بحرٌ بلا ماءِ

ثم حَلَلْت عُقْدةً من لساني، ومدَدْت حبلَ بَياني.

قائلاً: لِمَ لمْ تُؤدِّ الأماناتِ إلى أهاليها، وتَرْمِ سِهام الأغراض نحو مَراميها.

ألم تدرِ أن زوالَ الدُّوَل، باصْطِناع السَّفَل.

هلاّ ولّيْت قارَّها، من تَولَّى حارّها.

فاعتذر بإبرام الشفيع، ودَعْوَى استحاق من قلَّده الصَّنِيع.

وإن كانوا أنعاماً بلا أذْناب، لم يُعرف أنهم من الناس حتى عَلاهم التُّراب. [الخفيف]

ومِن الجَدِّ كيمياءٌ إذا ما مَسَّ كلباً أحالَه إنْسانا

ثم احتجَّ في المحافل لمن قدَّمه من الأراذل، بأن قَصَب السُّكّر أحلاه كعوبُ الأسافل.

وما على المُحْسِنِين من سَبِيل، قلت: لابسُ ثَوْبيْ زُورٍ مكشوفُ السبيل.

وما مَثلي ومثَلُك إلا كمثل فاتكِ أمير الحرَم، والنعمانِ هاتك الحُرَم.

لجمْعِه بين الرجال والنساء، في عُكاظِ الفجورِ صباحاً ومَساء.

فلما سمع ما وَشَوْا به أحضرَه، ونفاه بعد ما هدَّده وزجَره.

فذهب لوادي الأراك، وأقام مَلِيّاً هناك.

ثم أتى لزيارةِ البيت والمَقام، فلقيَ من كان يرضع معه ثَدْيَ المُدام.

فتذاكَر مع ذلك النديم، عهدَ أُنسِه القديم.

ثم قال: إن أردتَ أعَدْتُها جَذَعةً بدِرهمَيْن، في أحسنِ نزهةٍ وقرّةِ عيْن.

كما قلت: [الكامل]

يا صاحِ قد زار الربيعُ فقمْ إلى صَفْوِ المُدام ونزهةِ الأبْصار
فلقد دعاك إلى الرياضِ وطِيبِها سَجْعُ البلابَلِ دَعْوةَ الأسحارِ

فاستحسَن ذلك المَقال، وأجاب دعوةَ اللهوِ في الحال.

مُقيماً لسُوقِ الفُسوق، قائلاً: من فُرَص اللصوص ضَجّة السوق.

فأُعلِم به الأميرُ ثانياً، فحمَله على الأذْهم بخَلاخيل الرجالِ حالِياً.

وأبرَق له وأرْعَد، وأنذرَه صواعقَ عقابِه الأشَدّ.

فأنكَر وطلب منه بيِّنَة، أو حُجّة على ماقالوا بَيِّنة.

وقال: الإنْكار، من حُصون الفُجّار.

ثم قال قائلٌ للأمير: أرْسِل بوادِيه الحمير.

فإن أتتْ دارَه، لم تسمعْ إنكارَه.

Marfat.com

فلما أسْمَعوا ذلك فاتِكًا، تبسَّم ثَغْرُ القَبول ضاحِكًا.

فقلتُ للوزير: قَبولُ هذه الشفاعةِ كقَبول الأميرِ شهادَة الحمير، فترك دقيقَ الآراءِ لرأْي فَطِير.

وأراق ماءَ سِقائِه لما رأى السَّراب، وأطفأ السِّراج لما رأَى بوارقَ السحاب.

ومن كان كذلك لا أقبلُ له عمَلا، ولا أُوَجِّه نحوَ سُدَّتِه أمَلا.

فقد اسْتراحِ الأمل، وملَّ اليأسُ من المَلَل.

ونام العملُ في مَهْدِ البَطالة، واهْتَدى سارِي الطلب بالضَّلالة. [البسيط]

لا خيلَ عندك تُهْدِيها ولا مالُ . فلْيُسْعدِ النُّطقُ إن لم يُسْعدِ الحالُ

وهذا مما نسجتُه على مِنْوالِ رسالة رَشِيد الدين محمد بن محمد العُمَرِيّ، المعروف بالوَطْوَاط التي عمِلها لكاتبٍ كان يزاحمه في أَداتِه ودَواتِه. وهي هذه:

عذَلْتني أدام اللّه بهْجتَك، وحرس مُهجتَك.

على اعْتكافي في الزاوية، والْتحافي بالعافية.

وقلتَ: لم تركتَ الأعمال وفوائدَها، والأشغال وعوائدَها.

فاعلم أدام اللّه سعادتك، وزيَّن بالكرَم عادتك، أنِّي ما طلَّقتُ منافعَ الدِّيوان، ولا ودَّعتُ مجامعَ الإخوان.

إلاَّ هرَبا من إلْحافِك في الاسْتِماحة، وضجَراً من إسْرافِك في الوَقاحة.

كم أصبرُ على نَهْبِك دَواتِي وقلَمي، واسْتِهزائِك بحاشِيَتي وخَدَمِي.

أيها الكاتبُ، أين دواتُك وقَلمُك، بل أيها الغاصِب أين حَياؤُك وكرمُك.

لا شيءَ أقبحُ من ذي صناعةٍ لا تكون معه أَداتُه، ولا خِزْيَ أفضحُ من ذي كتابةٍ لا يصحَبه قلمُه ودَواتُه.

سمعتُ فيما بلغني من النوادِر المُطربة، والحكاياتِ المضحِكة.

أنه كان بنَيْسابور مُكَارٍ يعرَف بأبي سعيد-المعتوه، كثيرُ الجنون، قليلُ السكون.

يغضب من الذباب إذ يطير، ويضْجَر من الشرارِ المُسْتطير.

وله حمار كحمارِ قَبَّان بل أضعفُ قوّة، وأنحفُ بْنيَة.

أضْناه مَسُّ الآفات، وأفْناه قَطْعُ المسافات.

لم يبْقَ من لحمِه إلا اليسير، ومن عظمِه إلا الكسير.

فاتَّفَق أنه اكْتَرى حمارَه هذا بعضُ التجار القاسِية قلوبُهم، والفاشِيةِ عُيوبُهم إلى بغداد.

وحمَّله من أصناف بضائعِه، وأنواع بدائعِه.

حِمْلاً ثقيلاً تَفْرَق الجمالُ من ثِقْلِه، وتُشفِق الجبال من حَمْلِه.

ثم علَّق على أحدِ جانبيه مَطْهَرةً مملوءةً بالماء، ومن الجانب الآخر سُفْرةً محشُوَّة بالخبز والحَلْواء.

Marfat.com

وألْقَى عليه فَرْوةً ولُبَّادة، وحَشِيَّةً ووِسادة.
ولا تسَلْ عن القِدْر والمِغْرَفة، والفأسِ والمِجْرفَة.
والنَّخِّ الذي يفرِشه إذا نام، والخُفّ الذي يلبَسه إذا قام.
وغير ذلك مما يحتاج إليه التاجرُ لِمَرمَّة أحواله، ويفتقِر إليه المسافرُ في حِلّه وتَرْحالِه.
ثم بعد هذا كلِّه اسْتَوى التاجرُ عليه، وأدلَى منه رجليْه.
كأنه أصاب مُلْك تَفْلِيس، أو اسْتَوى على عرش بَلْقِيس.
والحمار تحت هذه الأثقال لا يمكِنُه السَّيْر، ولا يُرْجَى منه الخير.
إذا ضُرِب ضرَط، وإذا حُرِّك سقَط.
والمُكارِيّ يبكي طولَ الطريق دما، ويتنفَّس الصُّعَداء ندَما.
ويقاسِي من وَعْثاء السفر، ولأْواء الخطر.
وجَوْرِ المُكْتري وجفائِه، وتكدُّرِ العيشِ بعد صفائِه.
ما يُطيل العَنا، ويزيل الهَنا.
إلى أن وصل بمهُجَتِه الحزينة، وحُشاشته المِسْكينة.
بعد اللَّتيَّا والتي إلى بغداد، دخلَها وقت السحر.
وطلَب مَحَلَّة يسكنها طوائفُ التجار، وينزلها الواردون من الأقطار.
تُحَط فيها الرِّحال، وتُطرَح الأحْمال.
وشدَّ الحمار، ونفَض عن عِطْفيْه الغُبار.
وتوضَّأ في الساعة، وصلّى مع الجماعة.
وما أرْغبَ الملهوفَ في الصلوات، وأحرصَ المظلومَ على الدَّعَوات.
فلما فرغ من صلاتِه ودعائِه، وهَدأ من تضرُّعِه وبكائه.
وهمَّ بالخروج من المسجد سمع صَيْحةً هائلة من ناحية دَرب المحلَّة كادت تنْعَطُ لهَوْلها الجيوب، وتنشَقُّ من فزعِها القلوب.
فعمَد إلى الدرب ليسأل عن المُهِمّ، والأمر المُلِمّ.
فإذا المحتسِب عند باب الدرب بدِرَّتِه، وصاحبُ الشرطة لابسٌ ثوبَ شِرَّتِه.
والعامّة أكثرُ من أن يُحصَى عددُهم، والنَّظّارةُ أزْيَد من أن يُستقْصَى مَددُهم.
فقال المُكارِيّ: ماذا حدث؟ فقالوا: في هذه المَحَلَّة تاجرٌ قد أخِذ البارحةَ مع غلام للخطيب، كالغُصْن الرطيب.
يشرب المُدام، ويَنِيك الغلام.
وانتزعوا التاجرَ من دارِه، واستخرجُوه من وَجارِه[1].

---

(١) الوجار: جحر الضبع. القاموس المحيط، مادة /وجر/.

Marfat.com

وتضاعفَتْ عليه الصَّفَعات الْمُعمِية، والجَلداتُ المُذْمِية.
وسوَّدُا مُحَيَّاه، وطلبوا حماراً يُركِبونه إيَّاه.
ليُطاف به حول البلدة، للنَّكال والعِبْرة.
وكان حِمار المُكارِيّ بمرَأَى من عيون العامّة فتعَادَوا إليه، وأجلسُوا التاجرَ عليه.
والمُكارِيّ يغدُو ويصيح حيث لا ينفع الصياح.
وقامت القيامةُ في السوق، واللعنُ على أهل الفُسوق.
والعامّة يرْمُون التاجرَ بالبَعْرة، ويُشَيِّعونه بالنَّعْرة.
إلى أن طِيف به في جميع محالّ البلد، والبلد بلد بغداد.
فلما حان وقتُ المساء، وانْسَدل سُجْفُ الظَّلماء.
خُلِّيَ عن التاجر ورُدَّ الحِمار إلى المُكارِيّ، ساغِباً لاغباً، جائعاً.
يكاد يُسْلِمه الطَّوَى، إلى التَّوَى.
ويسُوقه الصَّدَى، إلى الرَّدى.
فأخذه المُكارِيّ أخْذَ المُترحِّم ومَدَّ أُذنيْه، ومسَح عيْنيه، وقرأ فاتحةَ الكتاب وتفَل عليه.
وزاد في علَفِه، خوفاً من تلَفِه.
وبات تلك الليلة كما قال النَّابغة: [الطويل]

فبتُّ كأنّي ساوَرتْنِي ضَئيلةٌ من الرُّقْشِ في أنيابها السَّمُّ ناقِعُ

فلم يفْرَغ سحَابةَ الليل، من الحَرَب والوَيْل.
فلما نعرَ ديكُ الصباح وصاح، وزهرَ كوكبُ الصباح ولاح.
قام المُكارِيُّ من مَهْجَعِه، ووثَب من مَضْجَعِه.
وكاد يشتغِل بالوضوء، إذ قرعَتْ سمعَه صيحةٌ أشدُّ من الصيحة الأمْسِيّة.
فترك الوضوءَ وأسرع إلى الدرب ليُفتِّش عن الأمر الحادث، والخَطْب الكارِث.
فإذا المحتسِب بالباب، وصاحبُ الشرطة كاشِرُ الأنْياب.
والعامّة أشدُّ هَجْمة وأكثر وَجْمَة، مما كانوا بالأمس.
فقال المُكارِيّ: ماذا وقع؟ قالوا: ذلك التاجر أُخِذ كرَّةً أخرى مع غلامٍ للقاضي، كالسيف الماضي. يشرب القهوة، ويصعَد الجَهْوة.
فقال المُكَارِيّ: إنا للّه وإنا إليه راجعون قطع اللّه أيْرَه، وأزال خيرَه، ورزقَنا جاراً غيرَه.
ثم عدَا إلى حماره، ليُوارِيَه في بيت جارِه.
فسبَقه بعضُ العامّةِ إليه، وأجلسوا التاجر عليه.
فشقَّ المُكَارِيُّ جَيْبَه، ولطَم وجهَه، وشَجَّ رأسَه.
وتمرَّغ في التراب، من فَرْط الحزن والاكْتئاب.

Marfat.com

وقال: لا مرحباً بهذه السَّفْرة المنحوسة، والحركة المعكوسة.
فما أشدّ عَجْمَها للعُود، وأبعَد نَجْمَها عن السُّعود.
وكان على هذه الصفة إلى أن مدَّ الليل رُواقَه، وضرب الظلام طراقَه.
فخُلِّيَ عن التاجِر، ورُدَّ الحِمار إلى المُكَارِيّ.
وقد تمزَّق إهابُه، واسْتَرْختْ أعصابُه.
وصار لا يقدِر على الحِراك، وأنى وقد أنْشَبت به أظفارُ الهلاك.
فأخذه المُكَارِيُّ كالمجنون، ونَحَّى بَرْذعته وإكافَه، ومرَخ أعضاءه وأطْرافه.
وسقاه الماء، وترك بين يديْه الإناء.
وكان من صدرِ الليل إلى عَجُزِه مُستَلَب القَرار، في مُداواةِ الحمار.
فلما انتشرتْ أعلامُ الضوء في أقطارِ الجوّ، أصاب أذنَه صيحةٌ أهْولُ من الصيْحتين الأُوليَيْن.
فوثَب من مَرقدِه ليتفحَّص عن الحال، والداءِ العُضال.
فإذا المحتسِب عند الدَّرْب، وصاحبُ الشرطة مُشمِّر للضَّرْب.
والعامة مجتمِعة، والأصوات مرتفِعة.
فقال المُكارِيّ: ماذا طَرى؟ قالوا: ذلك التاجر أُخِذ كَرَّةً ثالثة مع غلام للرئيس، كالدُّرِّ النفيس. يشرب الخمر، ويفعل ذلك الأمر.
فقال المُكَارِيّ: اسْتأصل اللّه شَأفَتَه، ودفع عنا آفتَه.
وقفز إليه، وعضَّ الأُنْمُلةَ عليه.
وأخذ بإحْدَى يديْه فَلبَّبَه، ولكَمَه بالأخرى لَكْمةً ضعْضَعت أركانَه، وقَعْقَعت أسنانه.
وقال بقلبٍ حَنِق، وصوتٍ مختنِق:
يا خبيثَ الفَرْج، إن كنت لا تتوب من هذه الحالة القبيحة، ولا ترجع عن هذِه الخَصْلة الشَّنيعة الفضيحة.
فاشتَرِ حماراً تركبه أوقات النَّكال، وساعَة الوَبال، في هذه الأفعال.
فقد أهلكتَ حماري، وأزلت قَرارِي.
فها أنا أقول لسيدنا قولَ المُكَاريّ للتاجر الفاجر:
إن كنت كاتبَ المُلْك فهيِّئ الطِّرْس والنِّقْس، وإلا فالْزمِ البيتَ والعُرْس.
فقد أفسدتَ دَواتي وقلمي، وأطلْتَ عنائي وألمِي.

المقامة المغربيّة

حدّثنا مؤنس عن زعيم تُونُس، بأحاديث تُسَلّي الكئيبَ وتُونِس.
وتهزّاً بالمقامة المغربيّة، وتدَعُها لا شرقيّة ولا غربيّة.

Marfat.com

لركاكة مَبانيها، وغُؤُورِ مَعِين معانيها.

فمنها قولُه: تعاطَيْنا كأس المُنافَثة، وقدَحْنا زَنْدَ المُباحثة.

كقولي: نازعْناه كأسَ الحِوار، فأسكَرتْنا بلا صُداع ولا خُمار، وقدَحْنا زَنْدَ الأفكار، فأضاءت أنوارُها بغير نار.

وظَنَنَّا أن الفضلَ والأدب المُعْجِب، شالَتْ نَعامتُه وطارت به عَنْقاءُ مُغْرِب، وحَنْظلةُ بن صَفْوان لم يُرَ له عقاب عزم مُنْجِب.

وشمسُ الهدى طلَعت من مغارِبها، وبابُ التوبة أُغْلِق وقد ضاعت مفاتيحُ مَطالبها.

حتى لاحتْ من جانب الغرب قافِلة، وفيها فتية لباب التوبةِ غيرُ قافِلة.

صدَّقتْ حديثَ: لا تزال طائفةٌ من أهلِ الغرب، تُصْدِر الرِّعاء بعد ما اسْتَقَوا بكل سِجالٍ وغَرْب.

وفيهم عِيسى الجزَرِيّ، أتى بكل وَشْي عَبْقَرِيّ.

إلا أنه لمَّا أطال توهُّم الملال، فإنه كان كما يُقال: [م. الرمل]

كلما نَذْكرُ شَيّا ... قال أمْلُوه عليّا

فلما بلَغه تلك الأخبار، بادر إلى الاسْتعطاف والاعِتذار.

وكتب: دام سعد المولى في صُعودِه، وجَدُّه في شرَف سُعوده.

وشهابُه في إشْراق أضوائِه، وسحابُه في إغْزَارِ أنْوائه.

وإن مما رَوى أبو سعيد الخُدْرِيّ في الوصيَّة بطالب العلم حديثَه المشهور في بابِه، وأنتم أهلُه وأَوْلَى به.

ثم قال: [الطويل]

عِياذاً بصَفْوِ الحِلْم من كَدَرِ العَتْب ... وغَوْثاً بأَنواء الشهابِ من الجَدْبِ

لقد قرَع الآذانَ منا مُلِمَّةٌ ... تضاعَف من مأثُورها ألمُ الكرْبِ

مَقالةُ أن العبدَ فُرِّق جمْعه ... ونُكرٌ من عُرْفٍ وأُبْعِد من قُربِ

فيا أيها البحرُ الخِضَمُّ ومَن غدا ... يَتيه به الشرق المُنير على الغربِ

حَناناً ورفقاً بالخُويْدِم إنه ... لَيضْعُف عما حمَّلتْه يدُ العَتْبِ

فإن أكُ قد قارفْتُ ذنباً فذمَّتي ... بمولايَ ما تنفكُّ تمحو قَذَى الذَّنبِ

فما زال ضوءٌ للشهاب مُجلِّياً ... وما برِحتْ أنْواءُ نَعْماهُ في سَكْبِ

وحديثُ: «نضَّر اللّهُ امرءً» لا يعزُب عن ذكْر المولى، وهو بتَبْليغ الوافِد الغريب أحقُّ وأوْلَى.

ففهمتُ مَقالَهُ وقبلتُ عُذرَه، وقلت: للّه دَرُّه: [البسيط]

تلك المكارمُ لاقَعْبانِ من لبنِ ... شِيبا بماءٍ فصارا بعدُ أبْوالا

Marfat.com

ولو سمع الحرِيرِيُّ قول شامَةِ الشام، فيما أتى به في الغَرْب من الجِناس التَّامّ.

ما حَوْقَل واسْتَزْجع، وأنشد من قلْبٍ مُوجَع: [م. الكامل]

سَـلَّ الـزمـانُ عـلـيَّ عَـضْـبَـهْ لـيَـرُوعَـنِـي وأحَـدَّ غَـرْبَـهْ

: حدّه

واسْـتَـلَّ مـن جَـفْـنِـي كـرا هُ مُـراغِـمـا وأسَـال غَـرْبَـهْ

: مجرَى الدَّمع

وأجـالـنِـي فـي الأفْـق أطْ وِي شَـرْقَـه وأجـوبُ غَـرْبَـهْ

: مَغرِبه

فـبـكـلِّ جَـوٍّ طَـلْـعَـةٌ فـي كـلِّ يـومٍ لـي وغَـرْبَـهْ

: غروب

وكـذا الـمُـغـرِّب شَـخْـصُـه مُـتـغـرِّبٌ ونَـواه غَـرْبَـهْ

: بَعِيدة

وسيأتي من معاني الغَرْب، ما تعلم أن بينَه وبين هذا كما بين الشرق والغرب.

وأنه قنَع من الكثير بقليلِ ما قلَّله، عملاً بالمثل: لم يُحرم من فُزْدَ لَه.

ولولا أن الحظَّ لَبَّى دعاءَه، ومَرِيَ من أخْلاف المُزْن أنْواءَه.

ما تهادَتْه الرُّكْبان، ولا شكر صنيعةَ صَنْعتِه الزمان.

ولكنَّ النظمَ والنثر توْءمان، قد تَراضَعا بلِبان، وتربَّيا في حَضانة الْحُسْنِ والإحسان.

فإنهما ديوانُ العرب، الذي لم يزل يُحفظ به الحسَب والنَّسَب.

وتُؤثَر به القبائحُ والمحاسن، وتُرَفْرِف أهدابُ رَيحانِه على ماءٍ غير آسِن.

وله طبقاتٌ على مرّ السنين، جاهليَّة ومُخَضْرَمين وإسلاميّين، ومُولَّدين، ومُحْدَثين متأخرين، لحقوا حَلْبَة المُجلِّين والمُصلِّين، وكلهم استَقَوا بماء الكرم الْمَعِين.

ممن المكارمُ ضالَّتُه التي تُنْشَد، والمحامدُ غنيمةٌ تُجْبَى له ممن أتهم وأنجد، ولم يُكثِّر بنَكْهة ذي قربى ولا بحَقَلَّد.

والآن قد انْدَرس النَّسب، وذُبحت الدجاجةُ التي كانت تبيضُ الذهب.

والليالي التي كانت حَبالَى تُزْجَى ولادتُها عَقِيم، ولا أرض مُنْبِتَة حتى يُزْعَى الهَشيم.

وقد صَمَّ النَّدَا، وخرِس الصَّدى.

ومن عرف ما بين الصحابة جَرَى، وذهب به دَمُ الفاروق هَدَرا.

ولم يَر تَناطُحَ عَنْزَيْن، إذ طُلَّ دمُ ذِي النُّورَيْن.

فمن يسمَعْ شِكايةَ الزمان، وقولَ بديع الزمان:

Marfat.com

الخلقُ النفِيس، لا يساعده الكِيس.

ولا قرابةَ بين الذهبِ والأدب، وقد قامت الأيامُ بين جُمادَى ورجَب، فصارت كلها عجائبَ فلا يُسمَع من يقول لها عجَب، وقالوا: إذا ظهر السببُ بطَل العجَب.

وأنا أقول: إذا دام العجَب، صار عينَ السَّبب.

ومن أتى بعد الطبقةِ العالية، شرِب من عَيْنٍ صافية.

واستعار منهم حُلَلَ المباني، والْحَليُ شغَل أهله أن يُعار، وصاغ من نضارِهم زُخْرُفَ المعاني فصار عِجْلاً له خُوَار.

وأغار عليهم فسَبا ما سَبا، وساق سائمةً قالتْ في كِناس الظِّبَا.

ألم تسمعْ بقصَّة الحاتِميّ مع أبي الطيِّب، وظُلامةِ أبي تمام التي تُميِّز الخبيثَ من الطيِّب.

وللّه دَرُّ أبي إسحاق، فيما شنَّع به على السُّرّاق: [الكامل]

قالوا تركْتَ الشعرَ قلتُ ضرورةٌ ... بابُ الدواعي والبواعثِ مُغْلَقُ
خلَتِ الديارُ فلا كريمٌ يُرتجَى ... منه النَّوالُ ولا مليحٌ يُعشَقُ
ومن العجائبِ أنه لا يُشترَى ... ويُخانُ فيه مع الكسادِ ويُسْرَقُ

على أنا نقول: إن خابت الظُّنون، ففي المثل: الحديثُ شُجون، والمطامعَ لا تَمَلُّ خائِنةُ العُيون.

ولنا في الغَيْب آمال، لا تمَلُّ الانْتِظار والسؤال.

والسلام.

فصل

في بيان ما في هذه المقامة من الفوائد

قوله: «حنظلة بن صفوان» هو نبي الرَّسِّ، الذي أهلك عَنْقاء مُغْرِب، لما اختطفت الصِّبيان.

قوله: «روى أبو سعيد الخُدْرِيّ» هو الصحابي المشهور، وما ذكر إشارة إلى الحديث الذي رواه السِّلَفِيّ في «معجمه» مُسَنداً لأبي سعيد الخُدْرِيّ، أنه قال: قال لنا رسول اللّه ﷺ: «إنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ وَإِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ رِجَالٌ مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً». رواه عنه أبو هارون العَبْدِيّ، وقال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخُدْرِيّ، يقول لنا مرحباً بوصيَّة رسولِ اللّه ﷺ، سَلُوا ما شئتم، انتهى.

قوله: «شامة الشام»، هو صاحبنا أبو المعالي درويش محمد الطَّالُوِيّ، أديب الشام.

والأبيات المذكورة هي للحَرِيرِيّ في «مقاماته»، أتى فيها بمعاني الغَرْب، وأظهر فيها اطِّلاعَه على اللغة، وهي قطرة من غَدِير، وزهرة من روض نَضِير.

Marfat.com

عارضها صاحبنا الطَّالُوِيّ بقصيدة أبدَع فيها، وهي قوله: [الطويل]

أمن رَسْمِ دارٍ كاد يُشْجيك غَرْبُهُ نزحْتَ زَكيَّ الدمعِ إذ فاض غَرْبُهُ
: مُوق العين

عفا آيَهُ نَسْجُ الشمائِلِ والصَّبا وكلُّ هَزِيم الوَدْق إذ فاض غَرْبُهُ
: ذَهابُه ومَجِيئه

به النَّوْءُ عفّى شِطْرَه فكأنه هلالٌ خلال الدارِ يجْلوه غَرْبُهُ
: مَحَلّ الغروب

وقفتُ بها صَحْبي أُسائِل رسمَه بحاجةِ صَبٍّ طال بالدار غَرْبُهُ
: التَّمادِي

على طَلَلٍ يحكي وقوفاً برَسْمِه على مثلها والجَفْنُ يذرُف غَرْبُهُ
: الدمع

أقول وقد أرْسَى الفَنا بِعراصِه وأنْزَف أهليه البِعادُ وغَرْبُهُ
: النَّوَى

سقَى ربعَك المعهودَ رَيْعانُ عارضٍ يسِحُّ على سُحْمِ الأثافِيِّ غَرْبُهُ
: دره

وليلٍ كيوم البَيْن مُلْتِ رُواقَه عليَّ وقد جَلّى الكواكبَ غَرْبُهُ
: أوّله

أُراعِي به زُهْرَ النجوم سوابحاً ببحرٍ من الظلماءِ قد جاش غَرْبُهُ
: أعالي الماء

يراقبُ طَرْفي السائراتِ كأنما لطولِ دوامٍ نيطَ بالشُّهْب غَرْبُهُ
: مُقدَّم العين

كأنَّ جناحَيْ نَسْرِه قُصَّ منهما قوادِمُ حتى ما تزايل غَرْبُهُ
: التنحّي

ذكرتُ به لُقْيَا الحبيبِ وبيننا أهاضِيبُ أعلامِ الحجاز وغَرْبُهُ
: سجره

فهاج لي التَّذْكارُ نارَ صَبابةٍ لها الجَفْنُ أضحى يقذِف الدمعَ غَرْبُهُ
: مَسِيل الدمع

إلى أن نَضَا كفُّ الصباح حُسامَه وأغمِد من سيفِ المجَرَّة غَرْبُهُ
: حدّه

وولَّتْ نجومُ الليل صَرْعَى كأنما أُرِيق عليها من فم الكأس غَرْبُهُ
: خمره

Marfat.com

وأقبل جيشُ الليل يغمد سيفَه بنَحْرِ الدجى والليلُ يركُض غَرْبُهُ

: الفرس الكثير الجَرْي

وزَمْزَم فوق الأيْكِ قُمْرِيُّ بَانَةٍ بروضٍ كَفاه عن ندَى السُّحْبِ غَرْبُهُ

: يوم السَّقْي

فهَبَّ يُدير الراحَ بدرٌ يزَيُنه إذا قام يجْلوها على الشَّربِ غَرْبُهُ

: ساقه

من الروم خُوطِيُّ القَوام بثَغْرِه سلاسِلُ راحٍ يُبرئ السَّقْمَ غَرْبُهُ

: سُلافة الرِّيق

بخدٍّ أسيلٍ يجرح اللُّبَّ طرفُه وطرفٍ كحِيلٍ ينفُث السحرَ غَرْبُهُ

: عينه

يُريك نَظِيمَ الدُّرِّ منه مُنضدا كمنطِق داودٍ إذا صال غَرْبُهُ

: الزَّبُور

فتىً قد كساه الفضلُ ثوبَ بَهائِه إذا خَصْمه قد شَنَّ بالفم غَرْبُهُ(١)

: كثرة الرِّيق

فيا مَن رقَى هامَ المعالي وفكرُه لدى البحْثِ أمضى من شَبا الليثِ غَرْبُهُ

: المدى

إليك أتتْ تَفْلِي الفَلا بدويَّةٌ ولم يُنْضِها طولُ المسِير وغَرْبُهُ

: بُعْده

أرَقُّ من الصهباءِ فاعْجَبْ بسَبْيها وأعذَبُ من ثَغْرٍ حوَى الشّهدَ غَرْبُهُ

: منقع الرِّيق

إذا ما جرتْ في حَلْبة الشعر لم يَكُنْ كُمَيْتُ يُدانيها وإن زاد غَرْبُهُ

: حِدَّة الجرْي

ولو عرضَتْ يوماً لغَيْلانَ لم يكن بأطْلالِ مَيٍّ يُغرِق الجَفْنَ غَرْبُهُ

: انْهلال الدمع

فدونَكها لا زلتَ تسمو إلى العلا مدى الدهرِ ما صَبٌّ سقى الدارَ غَرْبُهُ

: الفَيْضة من الدمع

وما غرَّدتْ وُرْقُ الحمائم بالضحى وأشرق وجهُ الكونِ وانْجابَ غَرْبُهُ

: المغرب

---

(١) شَنَّ: صبّ الماء متفرقاً. القاموس المحيط، مادة /شنن/.

Marfat.com

قوله: «لم يُحرَم من فُزْدَلَهُ»، هذا مثل يُضرَب لمن طلب شيئاً لم يتيسَّر له، وقيل له: اقْنَع بما تيسَّر من القليل.

وأصله أن الضيفَ في زمن القَحْط يُؤمِّل أن مَن نزل عليه ينحرَ له، فيفصِد ربُّ الدار راحلتَه، ويجعل الدمَ في المصارِين، وتُشْوَى، وتُقدَّم للضيف، ويقال: اقنَعْ بهذا؛ فإني لا أقدر على أكثر منه.

وأصله فُصِد بضمّ الفاء وكسر الصاد، فسُكِّنت للتخفيف، وحينئذ يجوز إبقاؤه على أصله، وإبدال صادِه زاياً، أو يُشَم، وهي لغة فصيحة في الصاد، بشرْط سكونها سكوناً أصليّاً، أو عارضاً، كما هنا.

وفي كتب العربية أن هناك شرطاً ثانياً، وهو أن يكون بعدها دال، وبه قُرِئ في نحو: ﴿فَٱصْدَعْ﴾ [الحجر: ٩٤].

وفيه نَظَر؛ لأنه قُرِئ به في ﴿صِرَٰطَ﴾ [الفاتحة: ٧]، ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، ولا دالَ فيه، فلعله شَرط لما هو مُطَّرد مَقِيس.

قوله: «بنهكة ذي قربى ولا بحقلّد»، هذا إشارة إلى قول زُهَير، في قصيدة له، أوّلها:

غَشِيتُ الديارَ بالبَقِيعِ فثَهْمَدِ ... دَوارِسَ قد أقْوَيْنَ من أُمِّ مَعْبَدِ

ومنها: [الطويل]

إذا ابْتدرَتْ قيْسُ بنُ عَيْلانَ غايةً ... من المجد مَن يسْبِق إليها يُسوَّد

سبقْتَ إليها كلَّ طَلْقٍ مُبرِّزٍ ... سَبوقٍ إلى الغايات غيرِ مُجَلَّدِ

كفَضْلِ جَوادِ الخيل يسبِق عَفْوُه السِّـ ... ـراعَ وإن يجْهَدْنَ يَجْهَدْ فيُبْعِدِ

تَقِيٌّ نَقِيٌّ لم يُكثِّرْ غنيمةً ... بِنَهْكةِ ذي قُرْبَى ولا بَحقَلَّدِ

سِوى رِبَعٍ لم يأتِ فيها مخانةً ... ولا رَهَقاً من عائذٍ مُتَهوِّدِ

ومعنى قوله: «تقي نقي» إلى آخره، أنه تقيٌّ في ذاته نقيٌّ في عِرْضِه، لم يُكثِر مالَ الغنائم بجَوْر وغارة على من يقرُب منه من القبائل.

وقوله: «حَقَلّد» بفتح الحاء المهملة والقاف وفتح اللام المشدّدة، ورواه أبو عُبَيدة بفاء بدل القاف، والمشهور الأول.

ومعناه: السيّئ الخُلق، لا يُؤمَن شرُّه.

والطَّلْق: السَّخِي المُطلق كفَّه بالعطايا.

وغير مُجلَّد، أي يسبق من غير جَلْد بسَوْط، ولا زَجْر.

والنَّهْكة: الجَوْر بما ينْهَك ويضعف.

والرِّبَع: جمع رِبْعة، وهو مَن يُعطَى ربعَ الغنيمة، كما كانوا يعطُون الرئيس الربع، أو هو مفرَد بزنة خَمْس.

Marfat.com

ومُتهوِّد، بمعنى متخشِّع.

والمخَانة: الخيانة، والظلم.

وبحَقَلّد، عطف على مُتوهَّم، أي ليس بمتكثِّر ولا بحَقَلَّد، فهو معطوف على مجرور بباء زائدة متوهَّم، كما ذهبو إليه.

والمعنى أنه بَراء من النقص، ولم يكْتفِ بما يغنمه ممن يُغير عليه، وينْهكه، ويضعفه بأخْذ مالِه، وإنما يأخذ ما كانت الملوك تأخذه في الجاهلية.

ولك أن تقول: إنه معطوف على بنَهْكة، من غير تأويل بما قالوه، والمعنى أنه لم يكثِّر مال غنائمه بجَوْره على أقربائه، ومَن بجِواره، ولا بأخلاقه السيئة من الشُّحّ، وجَوْره على من بجواره.

فتدبَّرْ واخْتَر لنفسك ما يحلو.

قوله: «الدجاجة التي كانت تبيض الذهب» تلْميح لمثل عامّيّ في قِصّة، وهو أن بعضَهم كان يرسل لإنسان في كلّ سنةٍ ذهباً، على هيئة بيضة، ثم قطعه عنه، فلما طلبه منه، قال له: الدجاجة التي كانت تبيض الذهبَ بِعْناها.

يُضرَب لكلّ من طلب شيئاً بعد فَوات زمنِه.

ونظَمه الثَّعالبيّ بقوله: [م. الكامل]

مَن كان ينفعُه الأدبْ ... ويُجِلُّه أعْلَى الرُّتَبْ
فلقد خسِرتُ عليه ما ... وُرِّثْتُ من أُمٍّ وأبْ
كم ضَيْعةٍ كانت تصو ... ن الوجْهَ عن ذُلِّ الطَّلَبْ
أتْلفْتُها لا في القِيا ... ن ولا هوَى بنتِ العِنَبْ
بل في الحوادثِ والحوا ... ئج والشوائبِ والنُّوَبْ
كم قلتُ لما بِغْتُها ... وحَصُلْتُ في أسْرِ الكُرَبْ
ذهبتْ دَجاجتُنا التي ... كانت تبيضُ لنا الذَّهَبْ

قوله: «بين جمادى ورجب» إشارة إلى الكلام المشهور، وهو «بين جُمادى ورجَب ترَى العجب». وهذا مثل ذكره الجاحظ في كتاب «الأضداد».

فقال: أوّل مَن قال: كلُّ العجب بين جمادى ورجَب، عاصمُ بن المُقْشَعِرّ الضَبِّيّ. وذلك أن الخُنَيْفِس بن الخَشْرَم كان أغْيَر أهل زمانه، وأشجعَهم، وكان لعاصم أخ اسمه عُبَيدة، عزيز في قومه، فهَوِيَ امرأةً عند الخُنَيْفِس، فلما بلغه ذلك ركب إليه، فرآه راجعاً من عندها، فقتله.

فلما بلغ أخاه عاصماً خرج إليه في أواخر جُمادى، قُبَيل رجب؛ لأنهم كانوا لا يقاتلون فيه، فانطلق حتى أتَى باب خُنَيْفِس ليلاً، وناداه: أجِب المَرْهُوق.

فقال: لماذا؟ فقال: إني دَخِيل من ضَبَّة، والعجب كل العَجَب بين جُمادى ورجَب، غصب أخٌ لي امرأة فذهبْتُ أستنقِذها، فقُتِل، وقد عجزتُ عن قاتله. فخرج

Marfat.com

الخُنَيْفِس له راكباً فرسه، مُعتقِلاً رمحَه، وهو مغضَب. فلما دَنا منه قنَّعه السيفَ، فأبان رأسَه. وفي معناه المثل الآخرَ، وهو «سبَق السيفُ العَذَل»، وقائله ضَمْضَم بن عمرو اللَّخْمِيّ، انتهى.

قوله: «بقصة الحاتِمِيّ مع أبي الطيِّب» إلى آخره، أما قصة الحاتِمِيّ فهو كما قال: إن المتنبِّيّ لما دخل بغداد صَعَّر خدَّه، ونأى بجانبه يرفُل في بُرْد التيه، ولا يلْقَى أحداً إلا يزْدَرِيه.

يخيَّل له أن العلم مقصور عليه، والشعر بحْرٌ لا يغترف إلا منه، ونَوْرُ روض لم يجْنِه غيرُه.

فتوخَّيْت أن يجمعني وإياه مجلس، يعرَف فيه منا السابق مِن المسبوق، فلما لم يتفِق لي ذلك قصدْته، فإذ هو على فُرُش باليَة، قد أكلها الدهرُ فهي رسوم خافية.

فلما رآني نهَض إلى بيت بإزائِه، حتى جلست، فأقبل وعليه سبعة أقْبِيَة، كلٌّ منها بلَوْن في أشدّ ما يكون من الْحُسْن، يحفُّها فضلُ اللباس.

فوفَّيتُه حَقَّ السلام غيرَ مُشاحٍّ له في القيام، مع علمي أنه لم يدخل المُخْدَع إلا لئلا ينهض عند مُوافاتي.

فلما جلس أعرض عني ساعةً طويلة، لا يُعِيرني طَرْفه، ولا يسألني عما قصدت له فكدت أحْمَرُّ من الغيظ، ولُمْت نفسي على قَصْده، واستخفَّيْتُ رأيي في زيارة مثله.

وهو مقبل على جماعة يقرؤون عليه شيئاً من شعره، وكلّ منهم يُوقِظه ويغمِزه، ويومي إليه بما يجب عليه أن يفعله، ويعرّفه مَكاني، وهو لا يزْداد إلاّ ازوراراً وإنفاراً. ثم ثَنَى بصرَه إليّ وقال: أيُّ شيء خبرُك؟ فقلت: خير، لولا ما جنيْتُه من قَصْد مثلِك، وكلَّفْت قدمِي في المشي إليك.

ثم تحدَّرتُ عليه تحدُّر السَّيْل، وقلت: أبِنْ لي، عافاك اللّه، ما الذي أوْجَب ما أنت عليه؟ هل لك نسَب في الأبْطَح تبَخْبَخْتَ بهِ بَخْبُوحَة الشرف، وتوسَّطْتَ به واسِطة السَّلف.

أو علْم أصبحتَ به علَماً يُومَى إليه، وتقف الهِمَم عليه؟

هل أنتَ إلاَّ وَتِد بِقَاع، وإني لأسمع جَعْجعة ولا أرى طِحْناً.

فسُقِط في يديه، وقال لي: لم أعرفْكَ. فقلت له: هَب الأمرَ كذلك، أما رأيتَ تحتي بغلةً رائعة، وبين يديّ غِلمان عِدَّة أما شمَمْت نَشْرِي؟ أما شاهدتَ لباسي؟ أما رَاعَك من أمري ما أتميَّز به عندك عن غيري؟ فقال لي: خفِّضْ عليك. فأعرضت عنه ساعة ثم قلت له: عندي أشياء تختلج في صدري من شعرِك، أحبَبْت أن أراجعك فيها. فقال: ما هي؟ قلتُ أخْبِرْني عن قولك: [الطويل]

إذا كان بعضُ الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بُوقاتٌ لها وطُبولُ

أهكذا تمدَح الملوك؟ وأخبِرْني عن قولك: [الوافر]

Marfat.com

ولا مَـن فـي جـنـازتـهـا تِـجَـارٌ يـكـون وَداعُـهـا نَـفْـضَ الـنِّـعـالِ

أهكذا ترْثِي أمَّ ملِك؟ أما واللّه لو قلتَ هذا في أدْنَى عبيدِها لكان قبيحاً!

وأخبرْني عن قولك، في صفة كلب: [الرجز]

فـصـارتـا فـي جـلـده لـلـمِـرْجَـلِ ولـم يِـضـرْنـا بـعـدُ قـصـدُ الأجْـدلِ

أترى أعجبَك من هذا عُذوبةُ لفظِه، أم لطفُ معناه. وأخبرْني عن قولك في هِجاء ابن كَيْغَلَغ: [الكامل]

وإذا أشـارَ مـحـدِّثـاً فـكـأنـه قِـرْدٌ يُـقَـهْـقـه أو عـجـوزٌ تَـلْـطِـمُ

أما في أفانين الهجاء التي أبدعها الشعراءُ مَنْدوحةٌ عن هذا الكلام الرَّذْل، الذي يمُجُّه كلُّ سمْعٍ ويَعافه كل طبع؟

أما قرأتَ رجَز الحسن بن هانئ، وطَرْديات ابن المعتز؟

أما في غُرَر الألفاظ ما تتشَاغل به عن بُنَيَّات صَدْرِك؟

فأقبل عليَّ، وقال: أين أنَت من قولي في وصف جيش: [البسيط]

في فَيْلَقٍ من حديدٍ لو قذفْتَ به صَـرْفَ الـزمـانِ لـمـا دارتْ دَوائِـرُهُ

ومن قولي: [الوافر]

كـأنَّ الْـهَـامَ فـي الـهَـيْـجـا عُـيـونٌ وقـد طُـبِـعـتْ سـيـوفُـك مـن رُقـادِ

وقـد صُـغْـتَ الأسِـنَّـة مـن هُـمـومٍ فـمـا يـخْـطُـرْنَ إلا فـي فُـؤادِ

وقولي: [الكامل]

مـا كـنـتُ آمُـل قـبـل نـعْـشِـكَ أن أرى رَضْـوَى عـلـى أيـدي الـرجـالِ تَـسِـيـرُ

أما يكْفيك إحْساني في هذه عن إساءَتي في تلك؟

فقلت: ما أعرفُ لك إحساناً فيما ذكرتَ، وإنما أنت سارقٌ مُتَّبع، وآخِذ مُقصِّر.

أما قولك: «كأن الهام» إلخ، فمأخوذ من قول منصور النَّمَرِيّ: [الكامل]

وكـأنّ مـوقـعَـه بـجُـمْـجُـمـة الـفـتـى حـذَرُ الـمـنـيّـة أو نُـعـاسُ الـهـاجـعِ

وأمّا قولك: «في فيلق من حديد»، فمأخوذ من قول أرسطو في آخر مقالِته: قد تكلمتُ بكلام لو مدحتُ به الدهر لما دارتْ عليّ صُروفه.

وأما قولُك: «ما كنت آمل» البيت، فمأخوذ من قول ابن المُعْتزّ: [السريع]

قـد ذهـب الـنـاسُ ومـات الـكـمـالْ وصـاح صَـرْفُ الـدهـر أيـن الـرِّجـالْ

هـذا أبـو الـعـبـاسِ فـي نَـعْـشِـه قـومُـوا انْـظـروا كـيـف تـسـيرُ الـجـبـالْ

فقال أحدُ من حضَر: ما أحسَن قوله: «قوموا انظروا» إلخ! فقال المُتَنبيُّ: اسكُتْ ما فيه حُسن، إنما أخذَه من قول النابغة الذُّبْيَانيّ: [الطويل]

يـقـولـون حِـضْـنٌ ثـم تـأبَـى نـفـوسُـهُـمْ فـكـيـف بـحـضْـنٍ والـجـبـالُ جُـنـوحُ

Marfat.com

فقلتُ: إن أخذَه فقد أحسَن المأْخَذ وأخْفاه، وأما قولك أنتَ فمأخوذٌ من قول أبي تمَّام. فقال: مَن أبو تمام؟ فقلت: الذي سرقْتَ منه، ونجَّسْته بقولك: [الخفيف]

شَرَفٌ ينطِحُ السماءَ برَوْقيـ ـه وعِزٌّ يُقَلْقِل الأجْبالاَ

فجعلت شرفَه قَرْنَه، لأن الرّوق: القرن.

فقال: إنها استعارة. فقلت: لكنها خَبِيثة. فقال: أقسِم باللّه ما رأيت شعرَه، أليس هو القائل: [البسيط]

سَبْعون ألفاً من الأتْراكِ قد نضِجتْ جلودُهم قبل نُضْجِ التِّينِ والعِنَبِ

والقائل: [الكامل]

كانوا رِداءَ زمانهمْ فتصدَّعُوا فكأنما لبسَ الزمان الصُّوفَا

فقلت له: مِن الدليل على قِراءتك شعرَه تَتبُّعك مَساوِيَه. فقال: أكثرْتَ عليَّ من ذكر أبي تمام، لا قدَّس اللّه رُوحَه. فقلتُ: لا قدَّس اللّه رُوحَ السارقِ منه، والواقع فيه، ولكن ما الفرق في كلام العرب بين التَّقْديس، والقَدَّاس، والقادِس؟ فقال: وأيُّ شيء غرضك؟ فقلت: المذاكرة. فقال: لا، بل المُهاتَرة.

ثم فكر ساعة، وقال: التقديس: التطهير، وكل هذه الألفاظ تَؤول إليه.

فقلت له: ما أحسَبك أمْعَنْت النظر في اللغة، ولو عرفتَها ما جمعتَ بين هذه المعاني مع بُعْد ما بينها.

القَدَّاس: حجَر يُلْقَى في البئر؛ ليُعلَم كثرةُ مائها من قِلَّته.

والقادس: السفينة.

فلما علوتُه بالكلام، قال: يا هذا أنا أسْلم لك أمرَ اللغة. فقلت: أتسلْمها وأنت ابن بَجْدتها. ثم سكَتُّ عنه لما علمتُ أن الزيادة على هذا ضَرْبٌ من الأشَر. وكان في نفسي شيءٌ بلَغْتُه. ثم قمتُ فقام معِي مُشيّعاً، فأقسمت عليه حتى رجَع. ثم وفدت عليه بعد ذلك، فرأيتُ من فَصاحته، وحسن عبارتِه ما حَداني على عمل «الحاتِميّة».

وأما «ظُلامة أبي تمام» التي صنَّفها الخَالِدِيّ، فهي:

قال: إني مُخبِركم عن سُرىً سَرَيْتُها ومَنام رأيْته، وكلام حفظْته فيه فحضرْته.

طال به الليلُ حتى تجانَف عن قِصَره، ومَال به القولُ عَن مواقِف حَصره.

فبتُّ في عِثاره غالياً، وقد تغتري الأحلامُ مَن كان نائياً.

ومن حق تأويله أن يقال: خيراً رأيتَ، وخيراً يكون.

وهو أني رأيتُ فيما يراه الحالم الرّائي، أبا تمام بن أوس الطّائي.

في صورة رجلٍ كَهْلٍ كاسٍ من الفضل، عارٍ عن الجهل.

العربيةُ تُعرِب عن شَمائله، والأَلْمَعيَّة تلمع من مَخائله.

فجعل يرمُقني في إغراض، ويسْتَتِبّ لِمَقْتي عن اعتراض.

Marfat.com

ثم سعى إليَّ بأقدام الإقْدام على معرفتي بنفسِه، بعد أن عرَفنِي بثاقبِ حَدْسِه. [البسيط]

فقمتُ للزَّورِ مُرْتاعاً فأرَّقنِي حقاً أرى شخصَه أم عادني حُلُمُ

فلما سلَّم عليَّ وحَيَّا، وجاورتُ منه كريمَ المُحَيَّا.

قال: ألستَ ابنَ نَصْر، شاعرَ العَصْر؟

وغار ماءُ وجهِه ونَضُب، وأثارَ حِقْدُه عليَّ الغضب.

وقال: يا معشر الأدباء، الفضلاء الألبَّاء.

متى أُهمِلتْ بينكم الحقوق، وحدَث فيكم هذا العُقوق!

وأُضِيعتْ عندكم حُرْمةُ السلف، وخلَف فيكم هذا الخلَف!

أأُنْهَب وتَغضُّون، ويُغار عليّ وتَرْضون!

ألستُ أوّل من شرع لكم البَديع، وأنْبَع لكم عيونَ التَّقْسِيم والتَّصريع والتَّرْصيع!

وعلَّمكم شَنَّ الغارات، على ما سنَّ من سُنَن عجائب الاسْتعارات!

وأراكم دون الناس، غرائبَ أنْواع الجِناس!

وكلُّ شاعرٍ بعدي وإن أغْرَب، وزيَّن أبْكارَه فأعرب.

فلا بُدَّ له من الاعْتراف بأساليبي، والاغْتراف من يَنابيع قَلِيبي.

وهذا حقٌّ لي على مَن بَعْدِي، لا يُسِقطه مَوْتِي ولا بُعْدِي. [الكامل]

ومِن الحَزامةِ لو تكونُ حَزامةٌ أن لا تُؤخِّر مَن به تتقدَّمُ

قال: فلما ملكتْني سَوْرةُ دَعْواه، وحرَّكتْني فَوْرَةُ شَكْواه.

قلت: أيها الشيخ الأجلّ، سُلِبْتَ المهَل وأُلْبِسْت الخجل. فما ذاك، ومَن ذاك؟

قال: كنت بحضرة القُدْس، ومستقَرّ الأنس.

إذ جاءني عَبْدان، لم يكن لي بهِما يَدان.

فأزْلَفاني إلى مقرّ الخلفاء، وأوْقفاني بين يَدَي الأئمة الأكْفاء.

فإذا لديهم جماعةُ الوزراء والقُضاة، ومَن كنتُ أمتدحُهم أيامَ الحياة.

فأوْفُوا بالدعوَى عليَّ إلى ابن أبي دُؤَاد وكان عليَّ شديدَ الأنْقاد، سَدِيدَ سِهام الأحْقاد.

فحكَم عليَّ بردِّ صِلاتي، والفِدْيةِ لجميع صَوْمي وصَلاتي.

فقلت قول المُدِلّ الواثِق، عائذاً بالمأمون والمعتصِم والواثِق:

يا أميرَ المؤمنين، ما هذه المؤاخذَة بعد الرِّضا، وقد مضَى لي في خِدْمتكم ما مضَى؟

فقال المأمون، وقد صمت الباقون:

يا ابن أوْس، إنك مدحْتَنا والناسَ بأشعارٍ منْحولة، وقصائدَ مَقُولة منْقولة.

وكلام مُختلَق، سرقْتَه من قائِله قبل أن يُخْلَق.

فلما آن أوانُه، وانْتسَق زمانُه.

Marfat.com

استردَّ ودائعَه منك، وهو غيرُ راضٍ عنك.
فقلت: ومن الذي أعْدَمني بعد الوجود، وعاضَنِي العدمَ بالجُود؟
وملَك عليَّ فَنِّي، وأصبح أحقَّ به منِّي؟
فقال: كأنك لا تعرف الواعظَ المَوْصِليَّ البلاد، الحَوْصَلِيّ الولاد!
الغريبَ العِمَّة، القريبَ الهِمَّة!
البَعْبَعِيّ الإيراد، اللَّوْذَعِيّ الإنْشاد! [السريع]

كأنما بين خياشِيمِه مُفكِّرٌ يضرِبُ بالطَّبْلِ

الذي انْتزعَك مدائحَه، وارْتجعَك مَنائِحَه!
واستقبلَك بقلائدِه، واجْتلبَك بقصائده!
بعد ما كنتَ تُغيِّر أسْماها، وتُحلِّي بغير نجومِها سَماها.
فأصبح يتقرَّب إلى ملوكِ عصرِه بما كنتَ تَدَّعِيه، ويَعِي منك ما لم تكن تَعِيه.
نازعاً عن وجهها سُتورَ النُّقُب، واضعاً هِناهَا مواضِعَ النُّقَب.
قد جعل إليه عَقْدَها وحَلَّها، وكان أحقَّ بها وأهَلها.
فقلت: خاب السَّاعون، إنا للّه وإنا إليه راجعون.
قد كان عهْدي بهذا الرجل فارِضاً، فمتي أصبح قارِضاً.
وأعرفه يتستَّر بالحَشْويَّة، فمتى ارْتبك بين البَدِيهة والرَّويَّة.
وكان ذا طبعٍ جافي، عن التعرُّض لنظْمِ القوافي.
وقد كان أُخرِج من المَوْصِل، وليس معه قُوتٌ يُوصِّل.
فاشتغل بتُرَّهات القُصَّاص، نَصْباً على ذواتِ الأعْيُن من وراء الخِصاص. [الوافر]

وعاش يظُنُّ نَشْر الإفْكِ وَعْظاً وينصِب مُحرِماً شَرَّ الشِّباكِ

وأين مُنابَذة الوُعَّاظ، من جَهابِذة الألْفاظ!
بل أين أشعار الكُرَّاس، من قولي: [الكامل]

ما فِي وقوفِك ساعةً من بَاس!

والعبدُ يسأل الأمراءَ عنه، ليتلطَّفوا في ارْتِجاع ما انْتَزع منه.
فقال: اذهبْ وائْتنِي بيَقين، وادفعْ عنك بوادرَ الظُّنون.
وبادِرْ في النُّصرة وانْتصِح، واستعِنْ بقومِك وصِحْ: [الكامل]

يا آل جُلْهُمَةٍ تدارك إنما أشعارُ عَتْبِك ذَابِلٌ ومُهَنَّدْ

قلت: قد بدَتْ بيني وبين قومي جراح، فأتيتهم شاكّي السِّلاح.
جادِّين في إلْحاق الحُكَيْك، بصاحب الشُّوَيْك[1].
وقد بدؤوا بكَسْرِ رِجْلِه. [الطويل]

---

(١) الشويكة: نوع من الإبل. القاموس المحيط، مادة /شوك/.

Marfat.com

وكنتُ إذا قومي غَزَوْني غزوتُهم فهل أنا في ذا آلَ هَمْدانَ ظالمُ

وقد كان بلغني أنه امتدح في ذا العام، شكراً لبعض سوابغِ الإنعام.

بعضَ الرؤساء بقصيدةٍ تلِيق بالحال، وتأنف من تَلْفِيق المُحَال.

أنشدْتُ من امْتداحها، بعد الثناء على افْتِتاحها: [الخفيف]

كيف لا آمَنُ العِدا وكريمُ الْمُـــــلك لي من نوائبِ الدَّهْرِ جارُ
ماجدٌ حلَّ في سماء المعالي غايةً لا تنالُها الأبْصارُ
فإذا رامت الجِيادُ مَداهُ صدَّها عنه عِثْيَرٌ وعِثارُ
أرْيَحيٌّ إذا اجْتداه الأماني صَغُرتْ عن نَداه وهْي كبارُ
تَتغادى من فيْضِ راحتِه السُّحْـ ـبُ وتَمْتارُ من يديْه البحارُ
ويرى ما له بعينِ جوادٍ لم يفُتْها نزاهةٌ واخْتِقارُ
عجب الناسُ إذا رأوا لكَ صَدْراً يسَع الأرضَ كيف تخْوِيه دارُ
أيُّ دار تعْتَزُّ فيها المعالي حَلْبَةٌ فهْي للعُلا مِضْمارُ
كلُّ يوم بحافَتيْها من العلْـ ـم بحارٌ لفَيْضها تيَّارُ
وربيعٌ من رَبْعِه زهَراتُ الرَّ وضِ فيها البَهاء والإعْتِبارُ
ولآي القرآن فيها مَجالٌ يقْتضِيه الإعْذارُ والإنْذارُ
والتُّقى والأناةُ والمجدُ والسُّؤْ دُدُ والمالُ والنُّهَى والوقارُ
مجلسٌ فيه من مناقِبك الغُرِّ جَلالٌ عن عِزَّةٍ واقْتِدارُ
منزلُ الفضلِ منك مَنْزِلةُ الأهـ ـل تَحامى برَبْعِه وتغارُ
قد غرسْتَ المعروف في كلِّ كَفٍّ فاجْتَنِ الحمدَ يا هَناك الثِّمارُ

ومن بنَى بهذه الأبْكار، ملَّ سمعُه غيرَها من الأذْكار. [البسيط]

والحمدُ لا يُشتَرى إلاَّ له ثمنٌ مما يضِنُّ به الأقْوامُ معلومُ

فقلت: يا أبا تمام، إن سيدنا الرئيس قد أصبح له محاسنُ جعلها مَوْسِماً لأعلاق الثَّنا، ومِيسَماً له بأعْناق المُنَى.

وسوقاً لكل شاكرٍ وحامد، محفوفاً ببَيْع المناقب فيه والمحامد.

مجلوباً إليه نفائس الأفهام، مجلوّاً عليه عرائس الأقلام.

وليس بهذا المجلس ولا فِيه، إلاَّ مَن أوجب الشكر لصاحبه على فِيه.

فكلهم قد أغْناه عن الدهر، وأفْقَرَه إلى الشكر.

وما كان المنظوم أنْبَه ذِكْراً، والموزونُ أنْبَلَ شُكْراً.

وما كل أحدٍ يسلُك النَّظَر سبيلَه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يسّ: ٦٩].

عدَل المُقِلُّ إلى المُكثِر، وعوَّل المحتاجُ على المُوسر.

ورجع إليك في النفَّقة، وما ينقُص مالٌ مِن صدَقة. [الذويل]

وإن امْرءً قد ضَنَّ عني بمنطقٍ يسُدّ به فقْرَ امْرِئٍ لضَنِينُ

Marfat.com

فقال: اسمع، ما لا يُدْفَع.
إذا كان الأمرُ على ما ذكرت، ووقع اعترافُك على ما أنكرت.
فلِمَ وقع هذا الذنبُ على بَخْتِي؟ وكيف لم يسكن غيرَ ملابس تَخْتِي؟
ولم خَصَّني بإزالة مَصُوني؟ وحفَّني بنَحِيف غصوني؟
وهلا قصَد في النَّهْب، لمدائح ابْنَيْ وَهْب!
وهما غَماما الزمن الجَدِيب، وهُمامَا اليوم العَصِيب.
وما هذا الانْفراد ببَناتي، والانْخِضاد لناضِرَ حياتي؟
والانْقضاض على قصائدي، والاقتِناص من حبائل مَصائدِي: [الخفيف]

سَرِقاتٌ مني خصوصاً فهلاَّ ... من عدوٍّ أو صاحبٍ أو جارِ

ولِمَ لم يعدِلْ عن شعري، إلى شعر ابن الرُّومي؟
وهلاَّ كان يجترِي، في مثل هذا على البُحْتُري!
وكيف آثر قُربي، على قرب المُتنبِّي؟
ولَيْتَه قنَع ورَضِي، بشعر الشريف الرَّضِي!
أو استدرَك ما فاته من شعر أبي تمام، أو انتحل المُختار، من شعر مِهْيار.
على أنَّ مثلَ هؤلاء الفضلاء لا تجبُ عليهم الزكاة، وليس في الشعر نِصاب، حتى تجب فيه الزكاة، وليس على فكرتي اغْتِصاب: [المتقارب]

وإن أتصدَّقْ به جِسْبةً ... فإن المساكين أولى بهِ

فقلت له: إن هذا الرجلَ لم يكن للقرِيض بأَصّ، ولكنه قريبُ عهدٍ بحِمْص.
وكان أقام بها جامح العِنان، طامح العَيْنان.
ولو أضاف قلائدَ النُّحور إليه، لم يجد مَن يُنكِر عليه.
فهو يقول ما شَا، من غير أن يتحَاشى. [البسيط]

لأنهم أهلُ حِمْصٍ لا عقولَ لهم ... بهائمٌ أُفرِغوا في قالَبِ الناسِ

ولم يزل حتى انْتدَب له من سُراةِ جُندِها من بَحَث عنه ونَقَّب، فخرج منها خائفاً يترقَّب. ولما ورَد دِمَشْق، رَمَى في أغْراضِها بذلك الرَّشَق. [الطويل]

وما يستوي المِصْران حِمْصٌ وجِلَّقٌ ... ولا حصنُ جَيْرونٍ بها والْخَوَرْنَقُ

وكانت قادةُ حِمْص وسادة دِمَشْق ترُوعه حتى كُوشِف وقُوشِف[1]، ورُجِع به القَهْقَرَى، ودُفِع في صدرِه إلى وَرَا.
وقيل: أين يُذْهَب بك، وما هذه الشَّقْشِقة في مُحبِّك.
أفي مجلس هذا الشريف، المُنِيف قدرُه، العالِي ذكْرُه، الغالي شكرُه.
تُبَهْرِج لِباسَ الأيام، وتُبرِّج عوانِسَ الغُلام.

---

(١) القشف: ضيق المعيشة. القاموس المحيط، مادة /قشف/.

Marfat.com

وتطْوِي من القوافي ما خلَق ورَثّ، وتُورِّي فيما أنْهَكه العُثّ.
ولم تزل تضْطَرُّه كثرةُ التوبيخ، وقلةُ الناصِر والصَّريخ.
إلى أن أشهدَ على نفسِه منذ ليالي، بالبَراءة من أناشِيده الخوالِي والتَّوالي.
وأذعن بالإقرار، بما دافعَتْ عنه يدُ الإنْكار: [السريع]

ومـذهـبٌ مـا زال مُـسـتـهـجَـنـا فـي الـحـربِ أن يُـقـتَـل مُـسـتـسْـلِـمُ

وأَزِيدك، فيما أُفِيدك.
إن هذا الرجل من الانْحراف عن شِعْرك على شَفَا، وكأنك به عنك قد انْكَفا.
لِعلْمه أنه أخْلَق منه ما جَدّ، وإلى متى ينْتحل هذا اللُّكَعُ المُردَّد.
وقد كان طالَبني منذ أيام بإعارة شعْر ابن المُعْتزّ، مطالبةَ مُضْطرٍّ إليه مُلْتَزْ.
وقد استرحتَ من شَرِّه وضَيْرِه، والسعيدُ مَن كُفِيَ بغيره: [الخفيف]

رُبَّ أمـرٍ أتـاك لا تـحْـمَـد الـ ـفِـعـال فـيـه وتـحْـمَـد الأفـعـالا

فقال: إن كان الأمرُ على ما شرحْت، فقد أشرْتَ بالرأي ونصَحْت.
ولكن متى إنْجازُ هذا الوعد، والخُلْف مَنُوطٌ بخُلُق هذا الوَغْد.
فإنه يقول ويحوُل، وأنت تعرف ما تلي: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].
ولو أمكن إقامةُ هذا الأمر المُنْآد، بحْضرة ابن أبي دُؤَاد.
أبْرأتُ عند الجمهور ساحتي، وعدتُ من أمرِ اللّه تعالى إلى مستقَرٍّ بَاحَتِي.
ولكن دون الوُصول إلى الحاكم عَقَبةٌ كَؤُود، ولا حاجة بنا إلى الإضرار بالشُّهود.
وإذ قد ضمِنْتَ عنه ما ضمِنْت، وأمِنْتَ منه على ما أمِنْت.
فلا حاجةَ إليك، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [القصص: ٢٧].
وهو أن تعدِل بيننا في القضيَّة، والحالةِ المرْضيَّة.
وتتفضَّل عليّ، بيَدٍ تُسْديها إليّ.
وتأْذَن لي في إنْشاد أبياتٍ مدحْتُ بها هذا الرئيس قلتُها خدمة له وقُرْبة إليه، لعلّ أن تكون الجائزةُ خروجَ الأمر العالي بإخراج الخَصْم، إلى مجلسِ الحُكْم.
وأن يوُكَل به من أجْلاد السَّاهرة، من يُسَيِّره معي إلى الدار الآخرة.
لأبْرَأ بإقْراره لي عند قاضي القضاة، بما شَهِدَتْ به هذه المقاضَاة.
وليسلم عند الخلفاء الراشدين عِرْضي، ويحسُن على الرَّبِّ الكريم عَرْضِي.
﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].
فضمِنْت له عن سيِّدنا ما اشْتهَى، وانتهيْتُ من اقْتراحِه إلى حيث انتهى، ولم يزل يكرِّر عليَّ أبياتَه حتى وعَيْتُها.
فرُبَّ قائلٍ ما هي؟ وقائلٍ ها هي: [المنسرح]

يـا مُـغْـمِـلَ الـيَـعْـمُـلاتِ فـي ظَـعَـنِـهْ سُـرىً وسـيْـراً مُـقـارِنَـيْ قَـرَنِـهْ

Marfat.com

يـجـوز جـوْزَ الـفـلا بـه أمَـلٌ جافَى جُفونَ الوَسْنانِ عن وَسَنِهْ[1]
لا يـمـتْطِي ساكـنَ الـمَـطِـيِّ ولا يـبِيتُ طَيْفُ الخيالِ من سكَنِهْ
إذا اسْـتـكَـنَّ الـسَّـرابُ خـادَعـه عـاد بـفـيض الـنَّدى عـلـى سَـنَنِهْ
وإن أجـنَّ الـظـلامُ مُـقْـلـتَـهُ أمْسَى صباحُ النَّجاحِ من جَنَنِهْ[2]
يـبـيـتُ عَـرْفُ الـكـرام فـي يـدِه يُـنْسِـيـه عَـرْفَ الـجِـنَـان فـي أُذُنِـهْ
إن بـاعـدَتْـهُ الأرْزاقُ قَـرَّبَـه جـودُ ابـن عـبـد الـرزَّاق مـن سُـنَنِهْ
ففُزْ بنَحْلِ العلا وقُـل كَرَمَ الْـمُـلْكِ مَقالَ البديعِ فـي لَسَنِهْ
يا مشترِي الفاخرِ النَّفيس من الْـحمدِ بأغْلى العَطاءِ مـن ثمنِهْ
عـمـرتَ رَبْـعَ الـنَّـدَى لـرائِـده بـعـد وُقـوفِ الـرجـاء فـي دِمَـنِـهْ
يُـثْـنـي لـسـانُ الـثَّـنـاء نـحـوك مـا أخْـيَـيْـتَ مـن فَـرْضِـه ومـن سُـنَـنِـهْ
خَـلْـقـاً وخُـلْـقـاً قـد أتْـعـبَـا فِـكَـرِي مـا بـيـن إحْـسـانِـه إلـى حـسَـنِـهْ
يـحـكـي مَـعَـدَّ الـنَّـدَى لـوارِدِه لا يُـخْـوِجُ الـمُـسْـتَـقِـي إلـى شَـطَـنِـهْ
فـرعُ سـمـاءٍ تـبـيـتُ أنـجـمُـهـا تـلـوحُ لَـوْحَ الـثـمـارِ فـي غُـضُـنِـهْ
إذا جَـنَـتْـه أيْـدي الـعُـفـاةِ رأَتْ أقـربَ مِـن ظِـلِّـه إلـى فَـنَـنِـهْ
يـنـافـسُ الـوَشْـيَ فـي جـلالـتِـه مـنـه ثـيـابُ الـتُّـقَـى عـلـى بَـدَنِـهْ
يـرى بـعـيْـنَـيْ قـلـبٍ لـه يـقِـظٍ مُـسـتـقـبَـل الـكـائـنـاتِ فـي زَمَـنِـهْ
أرْوَعُ بِـيَـدٍ مـنـه مُـهَـذَّبـةٍ مـا تـعِـب الأَلْـمَـعِـيُّ مـن فِـطَـنِـهْ
مُـقـتـبـلُ الـوالـديـن بُـورِك فـي مِـيـلادِه والـصَّـرِيـح مـن لـبـنِـهْ
فـاخْـتَـلَّ هَـدْءَ الـريـاسـتـيْـن وقـد أفـصـحَ فـيـه الـقـريـضُ عـن لَـقـنِـهْ
واسـتـغْـنِ مـن لُـبِّـه بـغـانـيـةٍ تُـغْـنِـيـك عـن لَـهْـوِه وعـن وَدِنـهْ
والْـبَـس لـبـاسَ الـثـنـاءِ مـقـتـبـلاً يـسـحـبُ مـن ذيْـلـهِ ومـن رُدِنـهْ
بُـزْدَ عُـلاً لـيـس مـن مَـعـادِنـه صَـنـاعُ صَـنْـعـائِـه ولا عَـدَنـهْ
تـأنُـف أن تـنْـتـمـي إلـى يَـمَـنِ الْـ أرض وإن كـان مـن ذَوِي يُـمـنِـهْ
وافاك ضاحِي الجِلْباب من دَنَس الظِّـ ـنَّـةِ صـافـي الأدِيـم مـن دَرَنِـهْ
فـاسـلـم لـدار الـعَـلاء تـعُـمـرهـا مـا حَـنَّ ذو غُـرْبَـةٍ إلـى وطـنِـهْ

وشعر الغَزِّيّ في معنى المذكور في «الأغاني»، قال: لما أُسِر الشَّنْفَرَى، قالوا له: أنشدْنا. فقال: إنما النشيد على المسَرّة. فذهبتْ مثلاً. انتهى.

---

(١) الجوز: وسط الشيء. القاموس المحيط، مادة /جوز/.
(٢) الجنن: القبر، أو الميت. القاموس المحيط، مادة /جنن/.

Marfat.com

خاتمة

لما تمسَّكت بذيل التَّمام، أردت أن أعطِّره بمِسك الختام.

من فوائد سنِيّة، ومسائل علمية وأدبية.

منها أنا تجاذبْنا في بعض الأيام أرْدان المذاكرة، وتنازعنا قُضُبَ رَيْحانِ المُحاورَة.

في اخْتلاف وجُوه القراءات، وما وقع فيها من محاسن التَّوجيهات.

فذكر لنا أن قَالُون همَز النبيَّ حيث وقع، إلا في موضعين من سورة الأحزاب: في قوله عز وجل: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] فأبدَلها ياءً في الوصل، وهمزَها في الوقف، كما ذكره الشَّاطبيّ، إلا أن الشاطبيّ لم يصرِّح باخْتصاصه بحال الوصل، وكان عليه أن يذكره، وبذلك اعترض عليه النُّوَيْرِيّ، في شرحه للطَّيِّبة.

وسلم له جماعة، فظنوه وارداً عليه.

فقلتُ: إنه لم يهمله، إلا أن المعترض لم ينتبهْ له؛ فإنه يُعلم من قوله: «مبدلاً»، فإن إبدال الهمزة إما لسُكونها وتحرُّك ما قبلها، فتُبْدَل من جنس حركة ما قبلها لزوماً، كما في آدم، أو جوازاً كما في «يُومِنُونَ» ونحوه، أو لاجتماع همزتين كما في «أيمَّة» على الأصح.

ففُهِم من ذكره الإبدال أَنه اجتمع فيه هَمْزتان، وذلك لا يكون إلا في الوصل، فلذلك رجع إلى أصله في الوقف، لعدم السبب فيه، وهو أظهر من الشمس.

فإن قلتَ: فلِم لم يسهِّلْها كما سهَّل غيرها؟

قلت: لما رأى الإبدال هنا جارياً على القياس فيه رجَّحه لموافقتِه لغيره؛ ولأنه أفصحُ من التسهيل، ولذلك أُنْكِر على من قال: يا نَبيءَ اللّه بالهمزة، وهذا مما لا غبار عليه.

وقد نظمتُ ذلك، فقلت: [البسيط]

هَمْزُ النبيِّ لقَالُونٍ كما نُقِلا ... في غير موضِعَيِ الأحزاب إن وصلاَ

لا الوقفُ إذ لم يكن فيه له سبَبٌ ... بجَمْع هَمْزيْن حتى يُوجِب البدَلا

مُوافِقاً لسِواه فهْو أرجحُ من ... تسهيلها ولهذا عنه قد عدلاَ

فلله دَرُّ التنزيل، وما فيه من دقائق التأويل.

فإن الحسنَ وَقْفٌ عليها، والسحرَ إذا شاهدها آمن بها ورمى حِبالَه لديْها.

فنادتْه: حَيَّ على الفلاح، فما لساحرٍ لدَيّ فَلاح ولا نجاح.

Marfat.com

فإن كلَّ رسولٍ أُرسِل إلى قومه بما لَه في سُوقهم رَواج، ورعَى سائمتهم ليظفر منها بالنّتاج.

ألا ترى أن عيسى لما بُعِث لقوم فيهم الحكمة، أحيى الموتى وأبْرأ الأبرَص والأكْمه.

ونبينا ﷺ لما ظهر من العرب، وهم فازوا من البَسالة والبلاغة بأعْلى الرُّتَب، وقاموا بين أظْهُرِهم بالشعر والخُطَب.

كان أعظم مُعجزاتِه الفرقان، الذي أخْرَس شَقاشِقَ البيان.

فتحدَّاهم بإعْجازه، فضَلُّوا في تِيهِ الحَيْرة ولم يهتدوا لحقيقةِ مَجازه.

فرَأوْا حَنِين الجِذْع وهم خُشُب مُسنَّدة، لم تُورِق ولم تُثْمِر فهم حَطَبُ النارِ المُوقدة.

فسُحْقاً لأصحاب السعير، الذين رجَع بَصَرُ بَصِيرتهم خاسئاً وهو حَسِير.

فصل

اعلم أن البلغاءَ طبقاتُهم العليّة، الجاهلية الأوّلون، ثم المُخَضْرَمُون، ثم الإسلاميون، ثم المُولَّدون، ثم المُحْدثون، ثم المتأخرون والعصريون.

فهذه الطبقات السِّتّ، ثلاث منها حازوا قَصَبَ السَّبْق في حَلْبة الرِّهان.

معرفةُ كلامهم فرضُ كفايةٍ في الإسلام، لأنه يُستَدل به على الكلام العربي، الذي يُستَنْبَط منه أحكامُ الحلال والحرام.

وألحقَ به بعضُهم ما بعده كإثبات لطائفِ المعاني، دون الألفاظِ المحكمَة المباني.

ومَن حقَّقه، لم يكن منه على ثِقَة.

وإذ أصَخْت لما تلوْناه عليك، فاعلم أن في الشعر دقائقَ لم يُكشف عنها الغطا، وها أنا أُلْقِي إليك ما لم تهْتَدِ له لَها القَطا.

مقلِّداً جيدَ الذهن منها فرائد تُؤَاما: [الوافر]

ولـو تُـرك الـقـطَـا لـيـلاً لـنـامـا

فمنها أن أهل المعاني قالوا: إن التّعقيد المعنويّ واللفظيّ يُنافي الفصاحة، فقال بعضُ المتأخرين: إن الألغاز كلها غيرُ صحيحة، لما فيها من التعقيد المعنويّ.

وليس كما قال، لأن أبا هِلال العَسْكَرِيّ قال في «كتاب الصناعتين»: إنها فصيحة، وإن التعقيد إنما يُكره إذا لم يُقصَد، فإن قُصد فهو فصيح.

ومما يؤيّده أن الإسْنَوِيّ قال في كتابه «طراز المحافل»: إن من السُّنّة أن يُلْقي الألغازَ على من في مجلسه لتشْحيذ الأذهان، لما رواه البخاريّ، عن ابن عمر عن

Marfat.com

رسول اللّه ﷺ، قال: «إنَّ مِنَ الأَشْجَارِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا صِنْوُ المُسْلِم، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ»؟

فوقع الناسُ في شجر البوادي.

قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، واستحييْت. فقالوا: ما هي يا رسول اللّه؟ قال: «النَّخْلَةُ» انتهى.

قال أبو هلال: ومنه نوع بديع سميَّتْه شِبْهَ الإلغاز، وهو أن يُوصَف شيءٌ بصفاتٍ تُساق على نهج اللغز، وليس المقصود الإلغاز، كقول القاضي ناصح الدِّين الأرّجانيّ لبعض الوزراء يطلب منه خَيْمة: [الطويل]

فيا شمسُ بل يا وَبْلُ هل أنت منقذِي ... ومنقذُ صَحْبي من يدِ الشمس والوبْلِ
بحَذْباءَ إن نَوَّرْتُ خَرَّت لوجهِها ... صريعاً وإن نَوَّخْتُ قامت على رِجْلِ
من البُلْق يعلو ظهرَها هامُ أهلها ... وفي السيرِ تعلو أظْهُرَ الخيلِ والإبْلِ
وتصلح عند الناس للضرب وحدَه ... فتضربُها ما دمتَ في الحَزْن والسَّهلِ
ومن عجبٍ أن لم تقُمْ قطُّ قَوْمةً ... إذا هي لم تُرْبَط بشيءٍ من الشكلِ

وهذا وإن كان فارسيَّ الأصل له طبيعة عربيَّة، ورَوِيَّةٌ من ماء الفصاحة رَوِيَّة.

ووِرْد من الفصاحة عَذْبُ المَشْرَب، ومَذهبٌ بزُخْرُف البراعة مُذْهَب.

كقوله من قصيدة، أوّلها: [المتقارب]

رأيتُ الطريقَ إلى الوصل وَعْرَا ... فقدَّمْتُ رِجْلاً وأَخَّرْتُ أخرَى

ومنها:

عليك بتفريغ قلبِ الوَدُودِ ... لكيْ يجدَ الوُدُّ فيه مَقَرَّا
وسِرْ غيرَ مُلْتِفتٍ إنما ... إلى اللّه تَخْطُو من العمر جِسْرَا
لك الشُهْبُ والدُّهْمُ مخلوقةٌ ... فأخْسِنْ بهِنَّ إليه المفَرَّا

وله أيضاً: [الطويل]

تذُمُّ زمانَ السوءِ يا صدرَ أهلِه ... ولو زمانُ السوءِ لم تتَصَدَّرِ

طبقات الشعراء

اعلم أن معجزة كل نبيٍّ على وَفْق زمانه وقومه، ولما كان أشرفُ الخلق العرب، وأعظم ما عندهم الشجاعة والفصاحة والكرم، كان أعظمُ معجزات نبيِّنا القرآنَ المعجز بفصاحته وبلاغته.

ولما كان خاتم الرسل ولا نبيَّ بعدَه جُعِل له معجزةً باقية إلى القيامة، لا تزال تُتْلَى، وجديدةً على كثرة التَّرْداد لا تَخلق ولا تَبْلَى.

وقال ابن دُرَيد: بَيْنما رسول اللّه ﷺ جالسٌ مع الصحابة، إذ نشأتْ سحابة،

Marfat.com

فقالوا: يا رسول اللّه هذه سحابة.

فقال: «كَيْفَ ترَوْنَ قَوَاعِدَهَا». قالوا: ما أحسنَها، وأشدّ تمكُّنها!

قال: «كَيْف تَرَوْنَ رَحَاهَا». قالوا: ما أحسنَها وأشدّ اسْتدارتَها!

قال: «كَيْفَ تَرَوْنَ بَوَاسِقَهَا»؟ قالوا: ما أحسنها وأشدّ اسْتقامتها!

قال: «كَيْفَ تَرَوْنَ بَرْقَهَا أوَمِيضاً، أَمْ خَفْياً أَمْ يَشُقُّ شَقّاً». قالوا: بل يشقُّ شَقّاً.

قال: «كَيْفَ تَرَوْنَ جَوْنَهَا»؟ قالوا: ما أحسنَه وأشدَّ سوادَه!

فقال: «الْحَيَا». فقالوا: يا رسولَ اللّه، ما رأينا أفصح منك.

قال: «ما يَمْنَعنِي، وَإنما أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيّ بلسانٍ عَرَبيٍّ مُبِينٍ»!

قال القالِيّ: القواعد: الأسافل، جمع قاعِدة، والقواعد من النساء: التي لا تلِد جمع قاعدة.

ورَحاها: وسَطها، ومعظمها، كرحَا الحرب.

وبواسقها: ما علاَ وارتفع، ومنه بَسَق إذا شَرُف وكرُم.

ووَمِيض البرق: لَمْعُه الخفِيّ، ومنه أوْمَض، إذا غمز.

والْخَفْيُ: البرق الضعيف.

والجَوْن: الأسود والأبيض، وهو من الأضداد.

والحَيا، بالقصر: الغيث، وجمعه أحْياء بالمدّ.

وبلغاء العرب في الشعر والخطب على سِتّ طبقات:

الجاهلية الأولى من قوم عاد وقَحْطان.

والمُخَضْرَمون، وهم من أدرك الجاهلية والإسلام.

والإسلاميون، والمُولّدون، والمُحدَثون والمتأخّرون، ومن أُلْحِق بهم من العصريِّين.

والثلاث الأُوَل هم ما هم في البلاغة والجَزالة، ومعرفةُ شعرِهم روايةً ودرايةً عند فقهاء الإسلام فرضُ كفاية؛ لأنه به تثبُت قواعدُ العربية، التي بها يُعلَم الكتاب والسُّنَّة المتوقّف على معرفتهما الأحكام، التي يتميَّز بها الحلالُ والحرام.

وكلامُهم وإن جاز فيه الخطأُ في المعاني، لا يجوز فيه الخطأُ في الألفاظ، وتركيبِ المباني.

إذا عرفتَ هذا، فاعلم أن الطبقاتِ الثلاث الأُوَل جمعوا أشعارَهم في كُتُب كثيرة، غيرِ الدَّواوين، «كالحماسة» و«المفضليات» و«أشعار هذيل»، وغيرها من الكتب المفيدة.

وها أنا أُورِد منها ما تقَرّ به عيونُ الأدب، وتنْشرِح به صدورُ الطَّلَب، من كلّ ما يدخل الأُذُنَ بغير إذْن.

Marfat.com

وأُورِد من نثْرهم ما يكون نِثاراً على عرائس الأفكار، وعِقْداً في جِيد البصائر والأبصار.

من عهد عادٍ وقحطان وملوكِ حِمْيَر وعَبْدِ مَدان، إلى فوارِس الأزْباع، إلى ذِي فايش الحِمْيَرِيّ.

قال القالِيّ: كان ذُو فائِش يحب اصْطناع ساداتِ العرب، ويقرّب مجالسَهم، ويُكرِم مُجالِسَهم.

فجاءه عُلْبَة، وكان شاعراً حَدُثا، فقال له: ألا تحدّثني عن أبيك وأعمامِك؟ فقال: بلى، أيها الملك، هم أربعة: زياد، ومالك، وعمرو، ومُسْهِر، ولذلك قيل لهم الأزْباع.

فأما زياد فما اسْتَلَّ سيفَه مذ ملكَتْ يدُه قائمَه إلا أغْمده في جثمان بطَل، أو شَوامِت جَمَل.

وكان إذا حَمْلَق[1] النَّجِيد، وصَلْصَل الحديد، وبلغت النفسُ الوَرِيد.

اعتصمتْ بحَقْويْه الأبطال، اعْتِصامَ العُصْم بذُرَا القِلال، قد ذادتْهم الأبطال، ذِيادَ القُروم عن الأشْوال.

وأما مالك، فكان عِصْمةَ الهوالِك، إذا شُبِّهت الأعْجازُ بالحَوارِك.

يَفْرِي الرَّعِيل، فَرْيَ الأدِيم بالإزْمِيل.

ويَخْبِط البُهْمَ خَبْطَ الذئب نِقَادَ الغنم.

وأما عمرو، فكان إذا عَصَبت الأفْواه، وذَبَلت الشِّفاه، وتفادَت الكُماة.

خاض ظَلام العَجاج، وأطفأ نارَ الهِياج، وألْوَى بالأعْراج، وأرْدَف كلَّ طَفْلةٍ مِغْنَاج، ذاتِ بَدَن رَجْراج.

ثم قال لأصحابه: عليكم النِّهاب، والأموالَ. الرِّغاب.

مِعْطاء لا ضَيِّقٌ شَكِس، ولا حَقَلَّدٌ عُكِس.

وأما مُسْهِر فكان الذُّعاف المُمْقِر، والليثَ المُخْدِر، يجيءُ الحربَ فيُسْعِر، ويُبِيح النَّهْبَ فيُكْثِر، ولا يحْتجِز فيسْتأْثِر.

فقال له: للّه أبوك، مِثْلُك من يصِف أسرته!

وهنا فوائد:

قال أبو عليّ: الحَدُث، بالضم: الحسَنُ الحديث.

والحِدِّيث: بكسر فتشديد: الكثير الحديث.

والحدَث: الشاب.

والجُثْمان: الشخص.

---

(١) الحملق: باطن الجفن. القاموس المحيط، مادة /حملق/.

Marfat.com

والجُسْمان: جماعة الجسم.
والنَّجِيد: الحمائل.
وصَلْصَل: بمعنى صوَّت.
والوَرِيد: حَبْلُ العاتِق.
والأشْوال: جمع شَوْل، وهو جمع شائِلة، بمعنى ناقة ارتفع لَبَنُها.
والرَّعِيل: جماعة الخيل.
والإزْميل: بزاي معجمة: الشَّفْرة.
والعَيْهَمة: التامّة الخَلْق، أو السريعة.
وينْتحي: بمعنى يعْتمد.
والصِّرْف: صِبْغ أحمر.
والبُهم: جمع بُهْمَة، وهو الشجاع الذي لا يُدْرَى من أين يُؤْتى، والمُضْمَت الذي لا صَدْع فيه.
والنِّقاد: جمع نَقْد، وهي صِغر الغنم.
وعَصَب: بمعنى غَلُظ ريقهُ، ولصِق بفمِه.
وتفادت: استتَر بعضُهم ببعْضٍ.
وألْوَى: بمعنى ذهب.
والأعْراج: جمع عَرْج، من الإبل نحو خمسمائة.
والطَّفْلةَ: الناعمة.
والحَقَلَّد: السِّيئ الخُلُق، كما قاله يعقوب.
والعَكِس والعَكِص، بالسين والصاد: العَسِر الأخلاق.
والذُّعاف: سَمٌّ سريع القتل.
والمُمْقِر: الشديد المَرارة أو الحُموضة.
ويحْتجِز: بمعنى يخْتفي.
والحَقَلَّد لغة يَمانيَّة، وقعت في شعر زهير بن أبي سُلْمَى في قصيدته التي مدح بها هَرِم بن سِنان.

أوّلها: [الطويل]

غشِيتُ الديارَ بالْبَقيع فثَهْمَدِ ... دَوارِسَ قد أقْوَيْنَ من أمّ مَعْبَدِ
أرَبَّتْ بها الأرْواحُ كلَّ عَشِيَّةٍ ... فلم يَبْقَ إلا آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدِ

ومنها:

إذا ابْتدرَتْ قيسُ بنُ عَيْلَان غايةً ... من المجدِ لم تُسْبَقْ إليها بسُؤْددِ
أليس بفَيّاضٍ نَداهُ غَمَامةٌ ... بِمالِ اليَتامَى في السِّنِينِ مُحَمَّدِ
سَبقْتَ إليها كلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ ... سَبُوقٍ إلى الغاياتِ غيرِ مُجَلَّدِ

Marfat.com

ومنها:

تَـقِـيٌّ نَـقـيٌّ لـم يُـكـثِّـرْ غَـنِـيـمـةً بـنَـهْـكَـةِ ذي قُـرْبَـى ولا بـحَـقَـلَّـدِ

وهذا مما يُسأل عنه، وعن إعرابه، ومعناه تقدّم.

وقد قيل: إنه من عطْف التَّوهُّم، وتقديرُه ليس بمُكثِرٍ غنائمَه بالغارة على أقاربه، أو من هو بجواره، فعطف بحَقَلَّد على بمُكَثِّر المُتوَهَّم.

ولو قيل: إنه معطوف على قوله «بنَهْكَة»، وفسِّر بالخُلُق السّيئ، والمراد: أنه لم يُكثِّر غنائمَه بجَوْره على أقربائه وجِيرانه، ولا بسُوء خُلُق يحملُه على التعَسُّف والشُّحِّ لم يَبْعُد، من غير تكلُّف.

وفي «لسان العرب»: بحفَلَّد بالفاء، والمشهور خلافه.

ومن قصيدةٍ لعمرو بن حسان، أخي بني الحارث بن هَمَّام، ذكر فيها الأكاسِرة وآل المنذِر: [الوافر]

ألا يـا أُمَّ قـيـسٍ لا تـلـومـي وأبْـقـي إنـمـا ذَا الـنـاسُ هَـامُ

أجَـدَّك هـل رأيـتِ أبـا قُـبَـيْـسٍ أطـال حـيـاتَـهُ الـنَّـعَـمُ الـرُّكـامُ

وكـسـرى إذ تـقـسَّـمـه بـنـوهُ بـأسْـيـافٍ كـمـا اقـتُسِـم الـلُّـحـامُ

تـمـخَّـضـتِ الـمَـنُـونُ لـه بـيَـوْمٍ أنَـي ولـكـلِّ حـامِـلـةٍ تـمـامُ

قال التِّبْرِيزِيّ في «تهذيب الإصلاح»: يقول لعاذلته: لا تلومي، فإن المصيرَ إلى الموت.

وهام بمعنى: موتَى، يقال فلانٌ هامَة اليوم أو غد.

والرُّكام: الكثير

وقُبَيْس: تصغير قابُوس تصغيرَ تزْخيم، وهو النُّعمان.

وقوله: و«كسرى» إلخ، يشير إلى قتْل ابنه شِيرَوَيْه له.

وقوله: «تمخضت» من المَخاض، وهو الطَّلْق، والماخض: الحامل.

جعل المَنون حاملةً على التشبيه، وجعل يوم موته وَلَدَ المنيَّة، وكلُّ حاملٍ تنتهي إلى وقتٍ تضَع فيه حَمْلَها، فكذلك المنيَّة تنتظِره كانْتظار وضْعِ الحامل.

والمَنون: مفرد وجمع.

قال: [الخفيف]

مَـن رأيْـتَ الـمَـنُـونَ غَـرَّيْـنَ أم مَـن ذا عـلـيـه مـن أن يُـضـام خَـفِـيـرُ

وأنَي، وآن: بمعنى حان.

وقال بعضُ الأعراب: [م. الكامل]

قـومٌ إذا اشْـتَـجَـر الـقَـنـا جـعـلـوا الـقـلـوبَ لـهـا مَـسـالِـكْ

الـلَّابـسـيـن قـلـوبَـهـم فـوقَ الـدروعِ لـدَفْـعِ ذلـكْ

Marfat.com

انظُر لُبْسَ القلوب على الدروع، وما فيه من المبالغة التي لا يُوجَد مثلها.

وفي معناه قلت: [الطويل]

إذا لـم تـكـنْ فـوق الـدروع قـلـوبُـنـا ... فما الدِّرعُ إلا سِجْنُ مَن هو حامِلُهْ

لها أعْيُنٌ إن حدَّقتْ في الوغَى ترى ... بِمِخْنَقِها الخَطِّيَّ هزَّتْ مَفاصِلُهْ

وقال أدباءُ الكوفة: لا مُروءة لمن لم يَرْوِ قولَ الكِلابيّ: [الطويل]

سقى اللّهُ دهراً قد تولَّتْ غَياطِلُهْ ... وفارقَنا إلا الحُشاشَةَ باطلُهْ

ليالِيَ خِذْني كلُّ أبيضَ ماجدٍ ... يطيعُ هوَى الصَّابي وتُعصَى عواذلُهْ

وفي دهرِنا إذ ذاك والعيشِ غِرَّةٌ ... ألا ليت ذاك الدهرَ تُثْنَى أوائلُهْ

بما قد غَنِينا والصِّبا جلَّ هَمُّنا ... يُمايِلُنا رَيْعانُه ونُمايِلُهْ

وجَرَّ لنا أذْيالَه الدهرُ حِقْبة ... يُطاوِلنا في غَيِّهِ ونُطاوِلُهْ

فسَقْياً له من صاحبٍ خذلت بنا ... مطيّتنا عنه ووَلَّتْ رواحِلُهْ

أصُدُّ عن البيتِ الذي فيه قاتلي ... وأهْجُره حتى كأنِّيَ قاتِلُهْ

والغياطِل: جمع غَيْطلة، وهي الظلمة، والأصوات المختلطة، والشجر المْلتَف.

وأنشد المُبرِّد في «الكامل»، وثعلب في «أماليه» لسُلْمِيّ بن غُوَيَّة: [المتقارب]

عَرِيتُ من الشبابِ وكان غَضّاً ... كما يعْرَى من الورقِ القضيبُ

ونُحْتُ على الشبابِ بدمعِ عيني ... ومُنتحِباً فما أغنَى النحيبُ

فيا أسفَا أسِفْتُ على شبابٍ ... نَعاه الشَّيْبُ والرأسُ الخَضيبُ

فيا ليتَ الشبابَ يعود يوماً ... فأُخْبِرَه بما فعل المَشِيبُ

وفي الشَّيْب أشعار كثيرة، ومعان بديعة.

وأشعار المُولَّدِين فيها عقودُ دُرَر، وأوْضاحُ غُرَر.

كقول الأشْجع في قصيدة مدَح بها الرشيد: [الكامل]

قَصْرٌ عليه تحيةٌ وسَلامُ ... ألْقَتْ عليه جمَالَها الأيامُ

قصرٌ سُقوفُ المُزْن حولَ سُقوفِه ... فيه لأعلامِ الهدى أعلامُ

منها:

يُثْنِي على آبائِك الإسلامُ ... والشاهدان الحِلُّ والإحرامُ

وعلى عدوّك يا ابنَ عمّ محمدٍ ... رَصَدانِ ضوءُ الصبح والإظلامُ

فإذا تنَبَّه رُعْتَه وإذا غفَا ... سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحلامُ

وهذا معنى بديع، أخْذُه من كلام الأخْطل مشهور.

ومن فصيح كلامهم قولُ بعض شعراء المغاربة، يمدح مَن جاءه من البحر: [الكامل]

Marfat.com

إن امْـرَءً قـذَفـتْ إلـيـك بـهِ ... في البحر بعضُ مراكبِ البحرِ
تـجـري الـريـاحُ بـه فـتـحـمـلُـه ... وتـكـفُّ أخـيـانـاً فـلا تـجـرِي
ويـرى الـمَـنـيَّـةَ كـلـمـا عـصَـفـتْ ... ريـحٌ بـه لـلـهَـوْلِ والـذُّعْـرِ
لَـلْـمُـسْـتـحِـقّ بـأن تُـزوِّدَه ... كُـتُـبَ الأمـانِ لـه مـن الـفَـقْـرِ

ونحوه ما كتبه الحُصْرِيّ لابن عبَّاد: [البسيط]

أمـرْتـنِـي بـركـوبِ الـبـحـر مـغـتـرِبـاً ... عـلـيـك غـيـرِيَ فـأُمْـرْه بـذا الـدَّاءِ
مـا أنـت نـوحٌ فـتُـنْـجِـيـنـي سـفـيـنـتـهُ ... ولستُ عيسى أنا أمشي على الماءِ

ومن أمثال المُولَّدين: «المورِد العذبُ كثيرُ الزِّحام».

وهو من قول بعض بني تميم: [الرجز]

إن الـنَّـدى حـيـثُ تـرى الـضِّـغـاطَـا

ومنه أخذَ بشَّار قوله: [الطويل]

يسقُط الطيرُ حيثُ يلتقَط الحبُّ ... وتُـغْـشَـى مـنـازلُ الـكُـرمـاءِ

وفي معناه قولي: [السريع]

وفـودُ الـكـريـم الـخِـيـمِ حُـجَّـابُ بـابِـهِ ... وهُـمْ منعوا منه دخولَ المعَائبِ
ولـيـس عـلـيـه حـاجِـبٌ يـحـجُـب الـورَى ... سـوى أنـه أغْـنـاهُـمُ بـالـمـواهِـبِ

وقال أبو العتاهية:

مَـن سـابَـق الـدهـرَ كَـبـا كَـبْـوةً ... لـم يُـسْـتَـقـلْـهـا مـن خُـطَـا الـدهـرِ
فـاخْـطُ مـع الـدهِـر إذا مـا خـطَـا ... واجـرِ مـع الـدهـر كـمـا يـجْـرِي
لـيـس لـمـن لـيـس لـه حـيـلـةٌ ... مـوجـودة خـيـر مـن الـصـبـرِ

ومن شعراء الجاهلية: زياد بن زيد. فمن شعره قوله من قصيدة: [الطويل]

رأيتُك من لَيْلَى كذي الداءِ لم يجِدْ ... طـبـيـبـاً يُـداوِي مـا بـه فـتـطـبَّـبَـا
فـلـمـا اشْـتَـفَـى مـن دائِـه كَـرَّ طـبـعُـه ... على نفسِه من طولِ ما كان جَرَّبَا

وقال المُبَرِّد في الكامل: «كان العباس أجهرَ الناس وأشدَّهم صوتاً، ولذا قال له رسولُ اللّه ﷺ يوم حُنَين لما وَلَّوا عن القتال: «اصْرُخْ بالنَّاس». وصاح مرَّة فأُسقِطت الحواملُ.

وقد طعن الناسُ في قول النابغة: [المنسرح]

زَجْـرَ أبـي عُـرْوةَ الـسِّـبـاعَ إذا ... أشْـفَـق أن يـخـتـلِـطْـنَ بـالـغـنـمِ

بأنه إذا كان هذا في السِّباع مع شدّتها، فما حال الغنم!

وأجِيب بأنها أنِسَت بصوته، لكثْرة سماعِها له، بخلاف السّباع.

وقيل: إنه من أكاذيب العرب. انتهى.

قلتُ: أبو عُرْوَة هذا ليس كنية العباس، كما في «شرح الكشاف للطِّيبِيّ» فاعرفه.

Marfat.com

وقال الجاحظ: إن أبا عطيّة عُفَيفاً النَّصْرِيّ كانت الحبالى تُسْقِط من صوته، وفيه يقول رَبيعة: [الطويل]

فأسْقَط أحْبالَ النِّساءِ بصوْتِه ... عُفَيْفٌ وقد نادى بصوتٍ فطَرَّبا

وكتب الأبِيوَرْدِيّ للطُّغْرَائيّ: [الطويل]

ألا يا صَفِيَّ المُلْكِ هل أنتَ سامعٌ ... نداءً عليه للحفيظةِ مِيسَمُ
أتاك غلامٌ من أُميَّةَ يرتدِي ... بظِلِّك فانظُر مَن أتاك ومَن هُمُ
وقد لفَّتِ الشُّمُّ الغَطاريفُ عِرْقَه ... بعِرْقِك فالأرحامُ تُرْعَى وتُكْرَمُ
أيُنْبَذ مثْلِي بالعَراءِ ومَارِني ... بما أتوقَّاه من الذُّلّ يُخْطَمُ
ومن يحتلبْ دَرَّ الغنى بضراعةٍ ... فللمجد أسعَى حيث يُحْتَلب الدَّمُ
فهل لك في شكرٍ تُحدِّث مُقْرِفاً ... بما راق من ألْفاظه الغُرِّ يبسَمُ
ولولا ارتفاعُ الصيت لم يُطْلَب الغنى ... وأنت بما يُبْقِي لك الذكر أعْلَمُ

فأجابه بقوله: [الطويل]

فديْتُك قد أسمعتني مُتحرِّجاً ... نداءً عليه للحَفِيظةِ مِيسَمُ
وإن هُماماً من أُميَّة ضامِني ... لِتعفُو عن الجاني المسيءِ وتحلُمُ
فمالِيَ في جودٍ بجُرْمٍ مُحجَّبٍ ... على بابه الأمْلاكُ لولا التَّجرُّمُ
أُعِدْ نظراً فيما أقولَ ولم أكن ... كذي العُرِّ يُكْوَى غيرُه وهو يبسَمُ
أعِيذُك بالْحِلم الذي أنت أهلُه ... وأنك أولى بالجميل وأكرمُ
فهبْ ليَ ما لم أجْنِه متكرِّماً ... فأنت بعُذْري إن تأمَّلتَ أعلَمُ
فثِقْ في اعتقادي في ولائِك وارْعَ لي ... إمامَ العُلا إني بحبْلِك مُعْصِمُ

ومن البديع: التَّضمين.

ولابن تمِيم فيه طريقٌ لم يُسبَق إليها، كتضمينه قولَ المتنبّيّ في الناقة: [الكامل]

ويُغِيرُني جَذْبُ الزِّمام لقلْبِها ... فمَها إليكِ كطالبٍ تقْبيلا

فقال: وقد استعارة عَباءةً فردّها دِيباجة، في وردة أهدِيتْ إليه قبل أوانها: [الكامل]

سبقتْ إليك من الحدائِق وردةٌ ... وأتتْك قبل أوانِها تطْفيلا
طمِعتْ بلَثْمِك إذ رأتْك فجمَّعتْ ... فمَها إليك كطالبٍ تقبيلا

ولو قال: «طمِعت بلَثْم يديْك حتى جمَّعت»، كما لا يخفى علَى مَن له إلْمام بالأدب، كان أحسن.

ومما يشبه هذا المعنى ما حُكِيَ أن أبا العلاء صاعدَ بن الحسن، إمامَ أهل اللغة في عصره، كان ينادم المنصورَ بن أبي عامر، سلطان المغرب، فجيء إليه بوردة في مجلسٍ من مجالس أُنسِه، في أوّل ظهور الورد، فقال أبو العلاء صاعد بديهةً: [المتقارب]

Marfat.com

أتـــتْـــك أبـــا عـــامـــرٍ وردةٌ يُـحـاكِـي شَـذَا الـمـسـك أنـفـاسَـهـا
كـــعـــذراء أبَـــصـــرهـــا مُـــبْـــصِـــرٌ فـغـطَّـتْ بـأكـمـامِـهـا رأسَـهـا

فاستحسنه المنصور، وكلُّ أهل مجلسه.

فحسده أبو القاسم بن العَرِيف، وكان حاضراً، فقال: إنهما من شعر العباس بن الأحنف، وقد أنشدنيهما بعضُ البغداديِّين بمصر، وهما عندي على ظهر كتاب بخطِّه.

فقال المنصور: أرِنيه.

فخرج ابن العَرِيف، وركب، وجعل يحُثُّ حتى أتى مجلسَ ابن بَدْر، وكان أحسنَ أهل وقته بَدِيهة، فوصف له ما جرى، فقال أبياتاً، ودَسّ فيها بيتَيْ صاعد، وأتى قبل انقضاء المجلس، وهي: [المتقارب]

عَـشَـوْتُ إلـى قـصـر عـبَّـاسـةٍ وقـد جـدَّل الـنـومُ حُـرّاسَـهـا
فـألـفـيْـتُـهـا وهْـيَ فـي خـدرِهـا وقـد صـرّع الـسـكـرُ أُنَّـاسَـهـا
فـقـالـتْ أَسـارِ عـلـى هَـجْـعَـةٍ فـقـلـتُ بـلـى فـرَمـتْ كـاسَـهـا
ومـــدَّتْ إلـــى وردةٍ كـــفَّـــهـــا يُـحـاكِـي شـذا الـمـسـكِ أنـفـاسـهـا
كـــعـــذراءَ أبـــصـــرهـــا مُـــبْـــصِـــرٌ فـغـطَّـت بـأكـمـامـهـا رأسـهـا
وقـالـت خـفِ الـلّـه لا تـفـضـحَـنَّ فـي ابْـنـةِ عـمِّـك عـبَّـاسـهـا
فـولَّـيْـت عـنـهـا عـلـى غـفـلـةٍ ومـا خُـنْـتُ نـاسِـي ولا نـاسـهـا

فحلف صاعد أنه ما رآها، فلم يصدِّقوه، وانصرفوا وهم على اعتقاد أنه سرقها.

فطار ابنُ العريف، وتحيَّل على أن علَّقها على ظهر كتاب بخطِّ مِصْريّ ووَرَّى وتحيَّل حتى غيَّر المِداد، ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتدَّ غيظُه على صاعد، وقال للحاضرين: غدا أمتحنه، فإن فضَحه الامتحان لم يبْقَ في موضعٍ لي فيه سلطان.

فلما أصبح وجَّه إليه فحضر، وأُحضِر جمعِ الندماء، فدخل بهم وبه إلى مجلسٍ حَفْل، وقد أَعَدّ فيه طَبَقاً عظيماً جعل فيه سقائف مصنوعة من جميع النَّواوِير، ووُضِع على السقائف لُعَبٌ من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركةُ ماء قد ألقى فيها لؤلؤاً مثلَ الحصْباء، وفي البركة حيَّة تسبح.

فلما دخل صاعد، ورأى الطبق، قال له المنصور: هذا يومٌ إما أن تسعدَ فيه معنا، وإما أن تشقى بالضدّ عندنا، لأنه قد زعم قومٌ أن كلما تأتي به دعوى، وقد وقفتُ على حقيقةٍ من ذلك، وهذا طبق ما توهمتُ أنه حضر بين يَدَيْ ملكٍ قبلي شكلُه، فصِفْه بجميع ما فيه.

فقال صاعد بديهةً: [الطويل]

أبـا عـامـرٍ هـل غـيـرُ جَـدْواكَ واكِـفٌ وهل غيرُ من عاداك في الناس خائفُ
يـسـوقُ إلَـيـك الـدهـرُ كـلَّ غـريـبـةٍ وأغـربُ مـا يَـلْـقـاه عـنـدك واصِـفُ
وشـايـعُ نَـوْرٍ صـاغـهـا صَـيِّـبُ الـحـيـا عـلـيـهـا فـمـنـهـا عَـبْـقَـرٌ ورفـارِفُ

Marfat.com

ولمَّا تناهى الحسنُ فيها تقابلتْ عليها بأنواع الملاهي الوَصائِفُ
كمثلِ الظِّباء المستكِنَّة كُنَّساً يُظلِّلُها بالياسَمِين السَّقائفُ
وأعجبُ منها أنَّهُنَّ نواظرٌ إلى بِزكةٍ ضُمَّت إليها الطرائفُ
حَصاها اللآلي سابحٌ في عُبابِها من الرُّقْش مسمومُ الرَّعانين راجِفُ
ترى ما تشاء العينُ في جنباتِها من الوَحْش حتى بينهنَّ السلاحِفُ

فاسْتُغرِبت له يومئذ تلك البديهة، في مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه.

وكان إلى ناحية تلك السقائف سفينةٌ فيها جارية من النُّوَّار، تُجَدِّف بمجَادِيف من ذهَب، لم يرَها صاعد، فقال له المنصور: أجدْتَ، إلا أنك لم تصِف هذه الجارية.

فقال للوقت: [الطويل]

وأعجبُ منها غادةٌ في سفينةٍ مُكلَّلةٌ يهفُو إليها المُهاتِفُ
إذا راعَها موجٌ من الماء تتَّقي بسُكّانِها ما أنذَرَتْه العواصفُ
متى كانت الحسناءُ ربَّانَ مركبٍ تصرَّف في يُمْنَى يديْها المجادفُ
ولم تَرَعيني في البلاد حديقةً يُثقِّلها في الراحتيْن الوصائفُ
ولا غَرْوَ أن ساقتْ معاليك روضةً وشَتْها أزاهيرُ الربا والزخارفُ
فأنت امرُؤٌ لو رُمْتَ نَقْلَ مُتالعٍ ورَضْوَى ذَرَتْها من سُطاكَ العواصفُ
إذا قلتَ قولاً أو بدَهْت بديهةً فكِلْني لها إني لمجْدِك واصفُ

فأمر له المنصور بألف دينار، ومائة ثوب، وأجرَى عليه في كل شهر ثلاثين ديناراً، وألحقه بديوان الندماء.

واعلم أن المتأخرين وإن تأخَّر زمانُهم عن المتقدمين فقد زاحموهم بالرُّكَب، وكادوا أن يرقُوا إلى أعلى الرُّتب.

لا سيَّما شعراءُ المغرب، فقد أتَوْا بمعَانٍ بديعة، وارتَقَوْا إلى مرتبةٍ رفيعة.

كيزيد بن خالد الإشْبِيليّ، له في وصف السفن معانٍ لم يُسْبَق إليها.

كقوله: [الطويل]

إذا نُشِرتْ في الجوّ أجنحةٌ لها رأيت بها روضاً ونَوْراً مُكمَّمَا
وإن لم تهِجْه الريحُ جاء مصافحاً فمَدَّ له كفّاً خَضِيباً ومِعْصَمَا
مجاديفُ كالحيَّاتِ مدَّتْ رؤُوسَها على وَجَلٍ في الماء كي تزوِيَ الظَّمَا
كما أسْرَعتْ عَدّاً أناملُ حاسبٍ بقَبْضٍ وبَسْطٍ يقبِض العينَ والفمَا
هي الهُدْبُ في أجفانِ أكْحلَ أوْطفٍ فهل صُبِغتْ من عَنْدَمٍ أو بكتْ دَمَا

وفي معناه قول أبي الحسن بن حَرِيق: [الكامل]

وكأنما سكَن الأراقِم جَوْفَها من عهد نوحٍ خَشْيةَ الطُّوفانِ

Marfat.com

فإذا رأيْن الماءَ يطفَح نَضْنَضتْ من كلِّ خَرْقٍ حيَّةٌ بلسانِ

ومن شعرائهم ابنُ خفاجة. وقرأت في «ديوانه» قصيدة رائيَّة، لم يطِنَّ على آذان الدهر مثلُها، وهي: [الطويل]

أما والْتفاتِ الروض عن أزرقِ النهرِ وإشْراقِ جِيد الغصْن في حِلْية الزَّهْرِ
وقي نسَمتْ ريحُ النُّعامَى فنبَّهتْ عيونَ النُّدامى تحت ريحانةِ الفجْرِ
وخدرِ فتاةٍ قد طرقتُ وإنما أبَحْتُ به وَكْر الحمامةِ للصَّقْرِ
وقَدٍّ خَلَعْتُ البُرْدَ عنه وإنما نشَرْتُ به طَيَّ الصحيفةِ عن سطرِ
لقد جُبْتُ دون الحيِّ كلَّ تَنُوفةٍ يحوم بها نَسْرُ السماءِ على وَكْرِ
وخُضْتُ ظلامَ الليل يسْودُّ فَحْمةً ودُسْتُ عَرِين الليث ينظُر عن جَمْرِ
وجئتُ ديارَ الحيِّ والليلُ مِطْرَفٌ مُنَمْنَمُ ثوب الأُفْقِ بالأنْجُم الزُّهْرِ
أشِيمُ به برقَ الحديدِ وربما عثرتُ بأطْرف الرُّدَيْنِيَّة السُّمْرِ
فلم ألْقَ إلاَّ صَعْدةً فوق لامةٍ فقلتُ قضيبٌ قد أطلَّ على نهرِ
ولا شِمْتُ إلاَّ غُرّةً فوق أشْقرٍ فقلتُ حَبابٌ يستديرُ على خمرِ
ودون طُروقِ الحيِّ خَوْضةُ فَتْكةٍ مُوَرَّسةِ السِّرْبال داميةِ الظُّفْرِ
تطَلَّع في فرعٍ من النَّقْع أسودٍ وتُسِفر عن خدٍّ من السيفِ مُحْمَرِّ
فسرتُ وقلبُ الليل يخفِقُ غَيْرةً هنالك وعينُ النجم تنظُر عن شَزْرِ
فطار إليها بي جَناحُ صَبابةٍ فطار بها عنِّي جناحٌ من الذُّعْرِ
فقلتُ رُوَيْداً لا تُراعي فإننا لَنَطْوِي ضلوعَ الليل منا على سِرِّ
وسكَّنْتُ من نفسٍ تجِيشُ مَرُوعةٍ ومسَّحْتُ عن عِطْفٍ تمايل مُزْوَرِّ
ومزَّقْتُ جَيْبَ الليل عنها وإنما رفعتُ جَناحَ النَّسْرِ عن بَيْضةِ الخِدْرِ
وقبَّلْتُ ما بين المُحَيَّا إلى الطُّلَى وعاقْتُ ما بين التَّراقِي إلى الخَصْرِ
وأطْرَبَ سَجْعُ الحَلْيِ من خَيْزُرانةٍ تميلُ بها ريحُ الشَّبيبةِ والسُّكْرِ
غَزاليَّةُ الألْحاظِ ريميَّةُ الطُّلَى مُداميَّةُ الألْمَى حَبابِيَّةُ الثَّغْرِ
ترجَّحُ في مُوشِيَّةٍ ذهبيَّةٍ كما اشْتَبكتْ زُهْرُ النجومِ على البدرِ
تلاقَى نسيبي في هواها وأدمعي فمِن لُؤْلؤٍ نَظْم ومن لؤلؤٍ نَثْرِ
وقد خلعتْ ليلاً علينا يدُ الهوى رداءَ عِناقٍ مزَّقَتْه يدُ الفجرِ
ولما تجلَّى ضوءُ صبحٍ كأنه مَشِيبٌ بفَوْدِ الليل طالَعَ مِن قطرِ
وحطَّ رداءُ الغيم عن مَنْكِبِ الصبا ونَمَّ على ذيل الدجى نَفَسُ الزَّهْرِ
صَدَرْتُ ودون الحيِّ سِتْرُ غَمَامةٍ يشِفُّ كما شفَّ الرَّمادُ عن الجْمرِ
ولا ليلَ إلا بالثَّوِيَّةِ أقْمَرٌ تنفَّسَ فيه السكرُ عن نَفْحةِ الشكرِ

Marfat.com

ولا كـفَّ إلاَّ لـلأمـيـر كَـرِيـمـةٌ تبَسَّم فيها النصلُ عن مَبْسَم النصرِ

ولَعمْري إن هذا سحر يُصلَب له هاروت وماروت، وبلاغة قُسِّيَّة تتبعهَا الأوصافُ وتنْقِطع دونها النُّعوت.

تهُزُّ المرءَ هزَّ أرْيحيَّة الصِّبا، وهزَّ قدود الغصون بيدِ الشَّمال والصَّبا.

فتَتعثَّر الأفهام، بأذيال لوعةٍ وغرام.

كما قال: [الطويل]

وعِـقْـدِ جُـمـانٍ فـي حـديـثِ عَـلاقـةٍ يـهُـزُّ إلـيـه الـشـيـخُ عِـطْـفَ غـلامِ

إذا مـا اسـتـحَـثَّـتْـنـي لـهـا أريـحـيَّـةٌ عـثَـرْتُ بـذيْـلَـيْ لـوعـةٍ وغـرامِ

لـقـد هـزَّنـي فـي رَيْـطـةِ الـشَّـيـبِ هَـزَّةً أرتْـنـي ورائِـي فـي الـشـبـاب أمـامـي

وفي «تذكِرة العلامة أحمد بن مَكْتوم» تلميذ أبي حيَّان، قال:

أنشدني أبو جعفر بن الزُّبَيْر، قال: أنشدني القاضي الأديب أبو العباس بن خليل، قال: أنشدني أبو جعفر عمر بن عبد الله الحَكَمِيّ، قال: أُهدِيتْ لي جارية، فتبين لي أني قد ملَكت أُمَّها ووطِئْتُها، فرددتُها لمن أهداها، وكتبت معها أبياتاً ضمنَّت فيها بيتَ عَنْترة في معلَّقته، وهي: [الكامل]

يـا مُـهْـدِيَ الـرَّشـاءِ الـذي أَلْـحـاظُـه تركـتْ فؤادِي نَصْبَ تلك الأسـهُـمِ

رَيْـحـانـةٌ كـلُّ الـمُـنَـى فـي شَـمِّـهـا لـولا الـمُـهَـيْـمـنُ فـي اجْـتـنـابِ الـمَـحْـرَمِ

مـا عـن قِـلـىً صُـرِفـتْ إلـيـك وإنـمـا صَـيْـدُ الـغـزالـةِ لـم تُـبَـحْ لـلـمُـحْـرِمِ

يـا وَيْـحَ عَـنـتـرةٍ يـقـول وشَـفَّـه مـا شـفَّـنـي وجـرى وإن لـم أكْـلَـمِ

يـا شـاةَ مـا قَـنَـصٍ لـمَـن حَـلَّـتْ لـه حـرُمـتْ عـلـيَّ ولـيـتَـهـا لـم تـحْـرُمِ

وعلى ذكر الهديَّة، نُهْدِي إليك فائدة سِنيَّة.

كان ﷺ يقبل الهديَّة، ولا يقبل الصدقَة.

وأهدي إليه أعرابيّ هدية فقبلها، فجاءه وقال: يا رسول الله، إني كنتُ أهديْتُ هديَّةً، فأعطاه عطِيَّة فذهب. ثم أتاه مرَّة، فأعطاه. ثم أتاه مرَّة أخرى، فقال رسول الله ﷺ: «إنِّي عَزَمْتُ أنْ لاَ أقْبَلَ هَدِيَّةً إلاَّ مِنْ قُرَشِيٍّ أو ثَقَفِيٍّ».

فقال حسَّان رضي الله عنه: [البسيط]

إن الـهـدايـا تـجـاراتُ الـلِّـئـام ومـا يرجُو الكرامُ لـمـا يـهْـدونَ من ثَمَنِ

وكان عمر رضي الله عنه لاَ يقبَل هديَّةَ العُمَّال، وإذا قبلها وضَعها في بيت المال. فقيل له: إن رسول الله ﷺ كان يقبَل الهديَّة. فقال: إنها كانت هديَّة، وهي الآن رِشْوة.

ولذا قال الزَّاهد بن عِمْرَان: [الطويل]

تـوَقَّ وحـاذِرْ مـن قَـبُـولِ هـديَّـةٍ وإن جـاءنـا فـيـهـا حـديـثٌ مُـرغِّـبُ

Marfat.com

فقد حدَثتْ بعد الرسولِ حوادثٌ تُحذِّرنا عنها وعنها تُرغِّبُ
وكانت هدايا في الأوائلِ قبلنا تُؤلِّف فيما بينهم وتُحبِّبُ
فعادتْ بَلايَا يُسْرِع المَنُّ بعدها تُفَرِّق فيما بيننا وتُجَنِّبُ

ولم تزل بحورُ الشعر تقذِف عَنْبراً، وتُعْطِي مَن غاص فيها دُرَراً.

ومن كان ذا فطرةٍ سليمة، علم أن أُمَّ المعاني غيرُ عقيمة.

ألا ترى قولَ ابن الصَّفَّار في مَرثيَّة غريق: [البسيط]

يا أيُّها الرَّشأُ المكحولُ ناظرُه بالسحِر حَسْبُك قد أحرقْتَ أحْشائي
إنَّ انْغِماسَك في التَّيارِ حقق أنَّ الشمسَ تغرُب في عين من الماءِ

وقوله في غريق أيضاً: [الطويل]

غريقٌ كأن الموتَ رَقَّ لِحُسْنِه ولان له في صفحةِ الماءِ جانبُهْ
أبَى اللّهُ أن ينْساهُ قلبي فإنه تَوفَّاه في الماءِ الذي أنا شاربُهْ

وقال عمران الطَّوْلَقِيّ: [الطويل]

ألا أيُّها الشخصُ المُغيَّبُ شَكْلُه بمثْلِك هذا الدهرُ يبخلُ عن مِثْلِي
كأنَّ صَفاءَ الماءِ شاكَل جسمَه فجاذَبُه فانْقادَ شِكْلٌ إلى شِكْلِ
نأَى عن ترابِ الأرضِ نُورُ بهائِه ولو كان من تُرْبٍ لَعادَ إلى الأصْلِ

ولما أنشد في «الدمية» قول أبي جعفر البَحَّائِيّ في غريق: [الوافر]

ولما لم يسَعْهُ البرُّ قبْراً غدا البحرُ المحيطُ له ضريحَا

قال: أما أنا فقد عجِبْتُ، إذ سمعتُ أن بحراً قد أغرق بحراً، فقلت أنا في معناه: [المجتث]

لا تعجَبَنَّ لبحرٍ إذ كان أغرق مثْلَهْ
لأنه غارَ لَمَّا لم يخْكِ في الناسِ فضْلَهْ

ومما أبدع فيه ابنُ تَميم قوله في غريق: [الكامل]

قالوا أيُلْبِسُه الغدِيرُ مُفاضةً منه ويُهْلِكُه مَقالاً باطلاَ
فأجبْتُهم إن الحِمامَ إذا أتى طبَع الدُّروعَ أسِنَّةً ومَناصِلاَ

وأجاد الوزير أبو القاسم، في قوله في مليح يسبَح في الخليج: [م. الكامل]

إنِّي رضِيتُ من الحَيَا ةِ بأسْرِها نَظَرِي إلَيْهْ
وعرفْتُ أسبابَ النَّعيـ ـم بقُبْلةٍ في عارضَيْهْ
ولقد أراه في الخلـ ـيج يشُقّهُ من جانبَيْهْ
والماءُ مثلُ السيفِ وهْـ ـو فِرِنْدُه في صفْحتَيْهْ
وكأنَّه في الماءِ قلـ ـبي بين أشْواقٍ إلَيْهْ

Marfat.com

لا تشرَبوا من مائِه أبداً ولا تَرِدُوا علَيْهْ
قد ذاب فيه السِّحرُ مِن حَرَكاتِه أو مُقْلتَيْهْ
صبَغتْ بياضَ الماءِ صِبْـ ـغةُ حُمْرةٍ في وَجْنتَيْهْ

وقال الأدباء: بُدِئ الشعر بمَلِك وخُتِم بملك.

والأوّل امرُؤ القيس، فإنه أوّل من هَلْهَل الشعر وهَذَّبه، ونسج نَسِيبه ورتَّبه.

والثاني ابنُ المعتَزّ، فإنه ممن أُوتِيَ جوامعَ الكَلِم نظماً ونثراً، وإنشاءً وشعراً.

والعامة تقول: كلامُ الملوك ملوك الكلام.

وقيل: أبو فِراس، والأوّل أقربُ إلى القياس.

أما ابنُ المعتَزّ فهو كما في كتاب «الورقة» للصُّولِيّ: شاعرٌ مُفْلِق، واسع الفكر في العلم والنظم والنثر، من شعراء بني هاشم وعلمائهم. وكان إمامَ العلماء في الأدب، ومعرفة كلام العرب.

وكان المُبرِّد يُجلّه، ويسعى إليه، ويستفيد منه، إلا أنه كان له هَنات في حبِّ بني هاشم، والغُلوِّ في تقْديمهم على غيرهم، وله في ذلك قصائد، ثم رجع عن ذلك، وقال ما يناقضه. وكان ثَعْلب يقدِّمه، ويقول: هو أشعرُ أهل عصره.

وكان يحب لقاءَ أحمد بن يحيى، فكتب إليه عن تَرْك إتْيانِه أبياتاً منها: [الكامل]

ما وَجْدُ صادٍ في الحبالِ مُوثَقِ بماءِ مُزْنٍ باردٍ مُصفَّقِ
بالرِّيح لم يطْرُقْ ولم يُزلَّقِ جادَ به أخْلافُ دَجْنٍ مُطْبِقِ
صريحُ غَيْثٍ خالص لم يُمْذَقِ إلاَّ كَوَجْدِي بك لكن أتَّقِي
يا فاتحاً لكلِّ علم مُغْلَقِ وصَيْرَفيّاً ناقداً للمَنْطِقِ
إنَّا على البِعادِ والتَّفرُّقِ لنَلْتقي بالذِّكر إن لم نَلْتقِ

وله: [الكامل]

يا رُبَّ إخْوانٍ صحِبْتُهمُ لا يملكونَ لسَلْوةٍ قَلْبَا
لو تستطيعُ نفوسُهم فقَدتْ أجْسادَها وتعانَقتْ حُبَّا

وله: [المديد]

عرَف الدارَ فحيَّا وباحَا بعد ما كان صَحا واستراحَا
ظلَّ يَلْحاهُ العَذولُ ويأبَى في عِنانِ العَذْلِ إلا جِماحَا

ومنها:

مَن رأى بَرْقاً يُضِيء السَّماحَا ثقَبَ الليلَ سَناهُ فَلاحَا
وكأنَّ البرقَ مُصْحفُ قارٍ فانْطِباقاً مَرّةً وانْفِتاحَا

وله من أخرى: [البسيط]

قد دُسْتَ كيداً له يُخْفِي مَسالِكَه يقْظانَ يسْرِي إذا كَيْدُ العِدى هَجَعَا

Marfat.com

وكتب لابن وَهْب: [م.الرجز]

يـــا جـــوهـــرَ الإخْـــوانِ وحِـــلْـــيـــةَ الـــزَّمـــانِ
ودَوْلـــةَ الـــمـــعـــالِـــي وروضـــةَ الأمـــانِـــي
عِـــشْ لـــي كـــعُـــمْـــرِ شُـــكْـــرِي فـــيـــك فـــقـــد كَـــفـــانِـــي
أريـــتَ عـــيـــنَ وُدِّي مَـــعـــاتِـــبَ الإخْـــوانِ

وله: [الطويل]

كـمـاءِ طـريـقِ الـحـجِّ فـي كـلِّ مَـنْـهـلِ يُـذَمُّ عـلـى مـا كـان مـنـه ويُـشْـرَبُ

وله: [الكامل]

كـم حـاسـدٍ حَـنِـقٍ عـلـيَّ بـلا جُـرْمٍ ولـيـس يـضُـرّنـي الـحَـنَـقُ
متضاحكٍ نـخـوِي كـمـا ضـحِـكـتْ نـارُ الـذُّبـالـةِ وهْـيَ تـخـتـرِقُ

وله من مَعانِيه الغريبة: [الرمل]

يـا بـخـيـلاً لـيـس يـدْرِي مـا الـكـرمْ حـرَّم الـيـومَ عـلـى فِـيـهِ نـعَـمْ
حـدَّثـونـي عـنـه فـي الـعِـيـد بـمـا سـرَّنـي مـن لـفـظِـه حـيـن حَـكَـمْ
قـال لاقَـرَّبْـتُ إلاَّ بَـدَنـي ذاك خـيـرٌ مـن أضـاحِـيِّ الـغـنَـمْ
فـاسْـتـخـار الـلّـهَ فـي كُـرْبِـتـه ثـم ضَـحَّـى بـفَـتـاهُ واحْـتـجَـمْ

وله: [السريع]

لـي صـاحـبٌ مـخـتـلِـفُ الألْـوانِ مُـتّـهَـم الـغـيـب عـلـى الإخْـوانِ
مُـنْـقَـلِـبُ الـوُدِّ مـع الـزمـانِ يـسـرقُ عِـرْضِـي حـيـث لا يَـلْـقـانـي
حـتـى إذا لـقِـيـتُـه أرْضـانـي فـلـيْـتَـه دام عـلـى الـهِـجْـرانِ

وله من قصيدته المشهورة: [المتقارب]

ألا ربّ ألْـسـنـةٍ كـالـسـيـوفِ تُـقـطِّـع أعـنـاقَ أصـحـابِـهـا

ومنها:

ومـا يُـنْـتَـقَـصْ مـن شـبـاب الـرجـالِ يَـزِدْ فـي نُـهـاهَـا وألْـبـابِـهَـا

ومنها:

دَعُـوا الأُسْـدَ تَـفْـرِس ثـم اشْـبَـعـوا بـمـا يـتـرُك الأُسْـدُ فـي غـابِـهَـا

وله من قصيدة: [الطويل]

شـجَـتْـكَ لـهـنـدٍ دِمْـنـةٌ فـديـارُ خَـلاءٌ كـمـا شـاء الـفِـراقُ قِـفـارُ
ولـو شـئـتُ أوْقَـرْتُ الـبـلادَ حـوافـراً وسـالـتْ ورائـي هـاشـمٌ ونِـزارُ
وعـمَّ الـسـمـاءَ الـنَّـقْـعُ حـتـى كـأنـه دُخـانٌ وأطـرافُ الـرمـاحِ شَـرارُ

وله من أخرى: [الطويل]

Marfat.com

أيـا وَيْـحَـه مـا ذنـبُـه أن تـذكّـرا ... سـوالِـفَ أيـامٍ سَـبَـقْـنَ أواخِـرَا

ومنها:

وقالوا كبرتَ وانتضيت من الصِّبا ... فقلتُ لهم ما عشْتُ إلاّ لأَكْبَرَا
لبسْتُ أخِلاّءَ الهوى فنزغْتُهم ... وما كنتُ أهْوَى بعدهم أن أُعَمَّرَا
فأخْلَوا هُمومي من سواهم وأطْبقوا ... جُفوني فما أهْوَى من العينِ مَنْظَرَا

ومنها:

كأن الصَّبا تُهْدِي إليها إذا سرَتْ ... على تُرْبِها مِسْكاً فَتِيتاً وعَنْبرَا
سقَتْها الغَوادِي والسَّوارِي قِطارَها ... فجاء كما شاء القطارُ ونوَّرَا

ومن أخرى له: [البسيط]

ومَهْمَهٍ كرداءِ الوَشْيِ مُشْتبِهٍ ... قطعتُه والدجى والفجرُ خَيْطانِ
والريحُ تجذِبُ أطْرافَ الرداءِ كما ... أفْضى الشقيقُ إلى تنْبِيه وَسْنانِ

ومن أخرى له: [الكامل]

شَفِّعْ يدَ الساقِي وطيبَ زمانِهِ ... في السكرِ كلَّ عشِيَّةٍ وغَداةِ
فالريحُ قد نَمَّتْ بأسرارِ الرُّبَا ... وتنفَّس الرَّيْحانُ في الجَنَّاتِ

وله فى الأرَضَة: [الرجز]

لم أبْكِ رَبْعاً مُقْفِراً ولا طَلَلْ ... ولا شباباً خان وُدِّي وارْتَحلْ
بل دَفْتراً فيه حديثٌ وغَزَلْ ... ما عابني ولا رأى مِنِّي زَلَلْ
قد دبَّ فيهنَّ دَبِيباً مَن أكَلْ ... عَصا سُليمانَ وظلّ منجدلْ
يأكُل أثْمارَ العُقولِ لا أكَلْ

ومن قصيدة له: [المديد]

ومليح الدَّلِّ ذِي غَنَجٍ ... لابسٍ للحُسْنِ جِلْبابَا
أثْمَرتْ أغصانُ راحتِهِ ... لجنانِ الحسن عِنَّابَا

ومنها: [الوافر]

خضَبتْ رأسي فقلتُ لها ... فاخْضِبي قلبي فقد شابَا

قلت: عَدَّى «أثمرت» وقد أنكره صاحب «الدُّمية».

وله:

ودُونَكَهُ مُوَشّىً نَمْنَمَتْهُ ... وحاكَتْه الأناملُ أيّ حَوْكِ
بشكْلٍ يأخذ القِدْح المُعَلَّى ... كأن سُطورَه أغصانُ شوكِ

وله: [البسيط]

يا نفسُ صبراً لعل الخيرَ عُقْباكِ ... خانَتْك بعد لذيذِ العيش دُنْياكِ

Marfat.com

مرَّتْ بنا سحَراً طيرٌ فقلتُ لها طُوبَاكِ يا ليتنا إياكِ طُوباكِ
لكن هو الدهرُ فالْقِيه على حذَرٍ فرب مسْكٍ به والحب أشْراكِ

ومن نثره قوله: قلبي نَجِيُّ ذِكْرك، ولساني خادمُ شكرك.

وله في مريض: أَذِن اللّه في شفائك، وتتلقَّى ذلك ببقائِك، ومسَحك بيد العافية، ووَجَّه إليك وافِدَ السَّلامة، وجعل عِلَّتك ماحِيةً لذنوبك، ومُضاعِفةً في ثوابِك.

وله في العفو: لا تشِنْ حسنَ الظَّفَر بقُبْح الانتقام، وتجاوَزْ عن مُذنبٍ لم يسلُك بإقْراره طريقًا، حتى اتخذ من رجائِك رفيقا، ولم يسِرْ مِيلا، حتى اتَّخذ حسنَ الظنِّ دليلا.

ومن فِقَره: المعروف رِقّ، والمكافأة عِتْق.

الحاسد مُغْتاظ على مَن لا ذنب له، بخيلٌ بما لا يملك، طالبٌ لما لا يجد.

خاتمة

تشبيه ابن المعتزّ السطورَ بالأغصان، والشّكل بالشّوْك صحيح، لكنه قبيح، وعجيبٌ من مثله كيف خفِيَ عليه رَكاكتهُ، فانظرْه بعين الإنصاف، مع قولي في معناه: [البسيط]

بعثْتُ كُتْبي إلى الأحباب نائبةً عن العيون إذا اشْتاقتْ إلى النَّظرِ
فالخطُّ في الطِّرْسِ والألحاظُ ناظِرةٌ صِنْوانِ في شَبَهِ المعنى وفي الصُّوَرِ
فإنَّ هذا سَوادٌ في البياضِ له شكلٌ كأهْدابِ أجفان من الشّعَرِ

وانظر موقعَ الشوك في قولي: [الطويل]

إذا نَكَباتُ الدهر وافَتْكَ فاصطَبرْ تراها تجلَّتْ فالزمانُ أبو الغِيَرْ
إذا مزَّق الوردَ النسيمُ سُحَيْرةً ترى في أيادِي القُضْبِ من شَوْكِهِ إبَرْ

ومما عابوه عليه قوله «طوباك» قالوا: صوابه طُوبى لك.

وفيه نظرٌ عندي؛ فإنه إذا استُعْمل لفظٌ في كلامهم على وجهٍ من وجوه الكلام، ثم استعمِل على وجهٍ آخر، جارٍ على قواعد العربيَّة، مُؤَدٍّ لذلك المعنى، كيف يُعَد خطأً! فإن اللام هنا مُقدَّرة، والمقدَّر في حكم الملفوظ، فما الفرق بين طوبى لك، وطوباك، حتى يُقال إن الثاني لحنٌ؟

وهذا كما قيل إن «كافَّة» لا تكون إلا نكرةً منصوبةً حالاً، كما ذكره الحرِيرِيّ، وقال: إن غيرَه لَحْنٌ، كقول الزَّمَخْشَرِيّ «بكافة الأبواب»، وهو غيرُ مسلَّم، ولم أرَ من تعرَّض له من المتقدِّمين.

وأما الأمير أبو فِراس بن حَمْدان، فهو فارس الهيجاء، وواحد البلغاء والفصحاء. وهو من الذين هم في الفصاحة والشجاعة والصَّباحة لا يُدانيهم مُداني، ولا يبارِزُهم مداني.

Marfat.com

ومن طالع «ديوانه»، عرف في البلاغة مكانه.

ألا ترى قوله: [الوافر]

عـلَـوْنـا جَـوْشَـنـاً بـأشـدَّ مـنـه ... وأثْـبـتَ عـنـد مُـشْـتَـجَـرِ الـرمـاحِ
بـحـيـشٍ جـاش بـالـفُـرسـانِ حـتـى ... ظـنـنـتَ الـبـرّ بـحـراً مـن سـلاحِ
وألْـسـنـةٍ مـن الـعَـذبـاتِ حُـمْـرٍ ... تـخـاطـبُـنـا بـأفْـواهِ الـرمـاحِ

وقوله: [الكامل]

غَـيْـرِي يُـغـيِّـره الـفِـعـالُ الـجـافِـي ... ويـحُـول عـن شِـيـمَ الـكـريـم الـوافِـي
لا أرْتِـضـي وُدّاً إذا هـو لـم يـدُمْ ... عـنـد الـجـفـاءِ وقِـلَّـةِ الإنْـصـافِ
تـعِـسَ الـحـريـصُ وقـلَّـمـا يـأتـي بـه ... عِـوَضـاً عـن الإلْـحـاحِ والإلْـحـافِ
إن الـغـنـيَّ هـو الـغـنـيُّ بـنـفـسِـه ... ولَـوَ انّـه عـارِي الـمـنـاكـب حـافِـي
مـا كـلُّ مـا فـوق الـبـسـيـطـةِ كـافـيـاً ... وإذا قـنِـعْـتَ فـكـلُّ شـيءٍ كـافِـي
وتـعـافُ لـي طـمـعَ الـحـريـصِ أبُـوَّتِـي ... ومُـروءتـي وقَـنـاعـتـي وكَـفـافِـي
ومـكـارِمِـي عَـدَدُ الـنـجـومِ ومـنـزلـي ... مَـأوَى الـكـرام ومـنـزلُ الأضْـيـافِ
لا أقْـتـنِـي لـصـروفِ دهـرِي عُـدَّةً ... حـتـى كـأن صُـروفَـه أخْـلافِـي
شِـيَـمٌ عُـرِفـتُ بـهـنَّ إذْ أنـا يـافـعٌ ... ولـقـد عـرفـتُ بـمـثـلِـهـا أسْـلافِـي

وسمع وهو أسيرٌ سَجْعَ حمامة، فقال: [الطويل]

أقـول وقـد نـاحَـتْ بـقُـرْبـي حـمـامـةٌ ... أيـا جـارتـي هـل بـات حـالُـكِ حـالِـي
مَـعـاذَ الـهـوى مـا ذُقْـتِ طـارِقـةَ الـنَّـوَى ... ولا خـطَـرتْ مـنـكِ الـهـمـومُ بـبـالِـي
أتـحـمِـلُ مَـخـزونَ الـفـؤادِ قـوادمٌ ... عـلـى غـصُـنٍ نـائِـي الـمـسـافـةِ عـالِـي
أيـا جـارتـي مـا أنـصـفَ الـدهـرُ بـيـنـنـا ... تـعـالِـي أقـاسِـمْـكِ الـهـمـومَ تـعـالِـي
تـعـالَـيْ تـرَيْ رُوحـاً لـدَيَّ ضـعـيـفـةً ... تَـرَدَّدُ فـي جـسـم يـعـذَّبُ بـالِـي
أيـضـحـكُ مَـأسُـورٌ وتـبـكـي طَـلِـيـقـةٌ ... ويـسـكـتُ مـحـزونٌ ويـنـدُب سـالِـي
لـقـد صـرتُ أوْلَـى مـنـك بـالـدمـع مُـقْـلـةً ... ولـكـنَّ دمـعِـي فـي الـحـوادثِ غـالِـي

وقد لَحن في قوله «تعالِى» إذ كان حقُّه فتحَ اللام، لأن أصلَه تعالَيي بيائين: ياء مفتوحة، وياء ساكنة، فأُعِلَّت الأولى، وحذِفت لالْتقاء الساكنيْن.

وممن ذكر هذا ابن هشام في «شرح الشذور» من غير خلاف فيه بين أهل العربية.

أقول: هذا هو المعروف بين أهل العربية، وعندي أنه غير مُسَلَّم؛ فإن قَتادة روَى عن الحسن البَصْرِيّ، أنه قرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ [الأنعام: ١٥١] بضمّ اللام، كما ذكره ابن جِنّي في «المحتَسَب».

Marfat.com

وقال: وجهُه أنه حذَف لام تعالَيْت استحساناً، وتخفيفاً، فلما زالت لامُ الكلمة ضُمَّت اللام؛ لوقوع الواو بعدها، كقولك «تقدّموا وتأخروا»، ونظيره: ما باليْت به بالة، وأصله بالية، كالعافية والعاقبة، ثم حذفتْ كما تقول: اسْعُوا، أمراً من سعَى.

ونظيرُ ما نحن فيه ما قاله الكِسائيّ، في آية على أن أصله أيِيَة زنة فاعِلة.

ونظيرُ ما نحن فيه قراءة الحسن أيضاً في قوله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]، بضمّ اللام، حدثنا بذلك أبو علي، وذهب إلى ما ذكرناه من حذْف اللام استخفافاً، وإلى أنه يجوز أن يكون أراد «صالُون الجحيم» فحذف النون للإضافة، وحذف الواوَ التي هي علَم الجمع لفظاً؛ لالْتقاء الساكنيْن، واستعمل لفظاً حملاً على المعنى، كقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢].

وأما حديث «تعال»، والقول على ماضِيه وتَصْرِيفه، ومن أين جاز استعمال لفظِ العلُوّ في التقدُّم، فأمرٌ يحتاجُ إلى فَضْلِ قولٍ، كما ذكرناه في غير هذا الموضع.

إلا أن من جملته أنهم استعملوا لفظ التقدّم والارتفاع، على طريق واحد، من ذلك قولهم: قدَّمْتُه إلى الحاكم، وهو كقولك: ترافَعنا إلى الحاكم، فكذلك قولُك للرجل: تعال. كقولك له: تقدّم، وأصله أن التقدّم تَعالٍ، والتأخّر انْخفاضٌ وتراخٍ، فافهم.

أقول: إن «تعال» استعملوه على وجهين:

أحدهما: وهو الفصيح المشهور، أن تحذَف الياءُ التي هي لام الكلمة؛ لالتقاء الساكنيْن، بعد قلبها ألِفاً فتبقى اللامُ التي قبلها على فَتْحها؛ لأن المحذوفَ لِعلَّة كالموجود.

والثاني: أن تحذَف ابتداءً، للتخفيف نِسْياً منْسيّاً، فيبقى ما قبلها آخر الكلمة، فيُحرَّك بحركةٍ تُجانِس الضميرَ المتَّصِل بها، فيقال: «تعالِ» بكسر اللام كقَطام، وبه قُرِئَ في الشَّوَاذّ، إلا أن الظاهرَ أنه غيرُ مَقِيس، فهل يُقال إن التكلمَ بمثله في تَركيبٍ آخر لحنٌ وخطأٌ، أو لا؟ مَحَلُّ نظر.

وهذا جارٍ فيما قاله أبو فِراس، ثم إنه أشار إلى أن «تعال» أمرٌ بالعلوّ، أُريد به الحضور والتقدّم، وشاع حتى صار حقيقةً فيه.

وهو تحقيقٌ نفيس ينبغي حفظُه في خزائن الأذهان.

وفي «الدرّ المَصُون» استُثْقِلت الضمةُ على الياء فحُذِفت، ثم حذِفت الياء؛ لالْتقاء الساكنين، أو قُلِبتْ لتحرُّكِها، وانْفِتاح ما قبلها ألفاً، وحذِفتْ لالْتقاء الساكنين، وقرأ الحسنُ وأبو واقِد بضَمِّ اللام، ووُجِّهت بأن الضَّمة استُثْقِلت على الياء، فنُقِلت إلى اللام بعد حَذْف حركتها.

وعندي أنهم تناسَوُا المحذوف، حتى توهَّموا أنها بُنِيت كذلك، وأنَّ اللامَ آخرُها حقيقةً، حتَ ضُمَّت مع الواو، وكُسِرت مع الياء، كما قالوا: «لم أُبَل».

Marfat.com

وقال الزَّمَخْشَرِيّ: وعلى هذا قول الحَمْدانِيّ، وعاب هذا عليه مَن قال إنه مُولَّد، لا يُستَشْهَد بكلامه، وليس بعَيْب؛ فإنه إنما ذكرَه استئناساً به، ولا يُعاب عليه ما عرَفه ونبَّه عليه. انتهى.

وكان هذا الشعرُ مما قاله لما أسَره الروم، وله في ذلك أشعار كثيرة بليغة، هي في «ديوانه».

وأحسن ما قِيل في السجن قولُ علي بن الْجَهْم: [الكامل]

قالوا حُبِسْتَ فقلت ليس بضائري ... حَبْسِي وأيُّ مُهنَّدٍ لا يُغْمَدُ
أوَ ما رأيتَ الليثَ يألَفُ غِيلَهُ ... كِبْراً وأوْباشُ السِّباعِ تَردَّدُ
والبدرُ يدركُه السِّرارُ فينجلي ... أيَّامَه وكأنه مُتجدِّدُ
والشمسُ لولا أنها مَحْجوبةٌ ... عن ناظِرَيْكَ لما أضاء الفَرْقَدُ
والنارُ في أحجارِها مَخْبوءةٌ ... لا تَصْطَلي إن لم تُثِرْها الأزْنُدُ
والزَّاعِبِيَّةُ لا يقوم كُعوبَها ... إلا الثِّقافُ وجَذْوةٌ تتَوقَّدُ
ولكلِّ حالٍ مُعْقِبٌ ولربَّما ... أجْلَى لك المكْروه عما يُحْمَدُ
والحَبْسُ إن لم تغْشَهُ لِدَنِيَّةٍ ... شَنْعاءَ نِعْمَ المنزلُ المُتودَّدُ
بيتٌ يجدِّد للكريم كَرامةً ... ويُزارُ فيه ولا يزورُ ويُحْمَدُ
لو لم يكنْ في الحَبْسِ إلاَّ أنَّه ... لا يستذِلُّك بالحجابِ الأعبُدُ
كم من عليل قد تخطَّاه الرَّدَى ... فنَجا ومات طبِيبُه والعُوَّدُ

وكانوا يقولون: القيودُ خَلاخِيل الرجال.

ومن بديع قوله في السحاب: [المتقارب]

وساريةٍ لا تَمَلُّ البُكا ... جرى دمْعها في خدودِ الثَّرَى
سرَتْ تقْدَحُ الصبحَ في ليلِها ... ببَرْقٍ كهِنْدِيَّةٍ تُنْتضَى
فلما دنَتْ جَلْجَلتْ في السما ... ءِ رغْداً أجَشَّ كصوتِ الرَّحَا
ضَمَانٌ عليها ارتداغُ البقاع ... بأنوائِها واغْتِجارُ الرُّبَا
فما زال مَدْمَعُها باكياً ... على التُّرْبِ حتى اكْتسى ما اكْتسَى
فأضْحتْ سَواءً وجوهُ البلادِ ... وجُنَّ النباتُ بها والْتقَى
وكأسٍ سبقْتُ إلى شُرْبها ... عَذولِي كذَوْبِ عَقِيقٍ جرَى
يُشِير بها غُصُنٌ ناعِمٌ ... من الْبانِ مَغْرِسُه في نَقَا
إذا شئتُ علَّمني بالجفُو ... ن من مُقْلةٍ كُحِّلتْ بالهوَى
له شَعَرٌ مثلُ نسْجِ الدروعِ ... وجَفْنٌ سقيمٌ إذا ما رَنَا
ويضْحك عن أقْحوانِ الرياضِ ... يغَسِّلُه بالعَشِيِّ النَّدَى

Marfat.com

ومِـضْـبـاحُـنـا قـمَـرٌ مـشـرِقٌ كـتُـرْسِ الـلُّـجَـيْـنِ يـشـقُّ الـدُّجَـى

وأشعارُه كلها أوْضاح وغُرَر، وعقودُ فرائد ودُرَر.

لم نورِدْ منها ما فيه إغراق، لأنّ أكثرَها في طُرق الفصاحة مُهْراق.

ألم ترَهم عابُوا قول أبي نُوَاس: [الكامل]

لـقـد اتَّـقَـيْـتَ الـلّـه حَـقَّ تُـقـاتِـه وجَهَدْتَ نفسَك فوقَ جُهْدِ المتَّقِي

وأخَـفْـتَ أهـلَ الـشـركِ حـتـى إنـه لَـتـخـافُـك الـنُّـطَـفُ الـتـي لـم تُـخْـلَـقِ

كما ذكره أهلُ المعاني، وإن اعتذروا عنه بما لا يُجْدِي؛ لأنه إنما يحسُن مثلُه إذا اقترن بكاد، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [النور: ٣٥] الآية.

ومما عِيب منه قولُ مُهَلْهِل بن ربيعة، من قصيدة يرثي بها كُلَيْباً: [الوافر]

ولـولاَ الـريـحُ أسْـمَـعَ مَـنْ بـحَـجْـرٍ صـلـيـلُ الـبَـيـض تُـقـرَعُ بـالـذُّكـورِ

والبيض جمع بَيْضَة، وهي المِغْفَر.

والذكور: السيوف.

وضمنَّه المهديُّ بن محمد العُكْبَرِيّ يهجو ابنَ وَهْب، ونقله لمعنىً آخر فقال: [الوافر]

وسـائـلـةٍ عـن الـحـسـنِ بـن وَهْـبٍ وعـمَّـا فـيـه مـن كَـرَمٍ وخِـيـرِ

فـقـلـتُ هـو الـمُـهـذَّبُ غـيـرَ أنِّـي أراه كـثـيـر إسْـبـالِ الـسُّـتـورِ

وأكـثـرُ مـا يُـغَـنِّـيـه فَـتـاهُ حُـسَـيـنٌ حـيـن يـخْـلُـو لـلـسُّـرورِ

فـلـولا الـريـحُ أسَـمَـعَ مَـن بـحَـجْـرٍ صَـلِـيـلُ الـبـيـضِ تُـقْـرَعُ بـالـذُّكـورِ

تتمَّة، وفائدة مهمَّة

قد عرفت مما ذكره أهلُ المعاني أن الإغْراق غيرُ مقبول، ما لم يقُارِن «كاد» ونحوها، وهذا مما شهِد به الذوقُ السليم، وزكَّى شهادتَه الطبعُ المستقيم.

وهذا وإن سلَّمه علماءُ المعاني والبيان، إلا أنه محتاجٌ إلى الإيضاح والبيان.

فإنه قد يعْترض عليه بما يُعارِضه، ويكدِّرُه وُرُودُ ما يناقضه.

كقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، فإنه بمعناه، إذ إخْراج الذُّرِّيَّة من الظهور، قبل الخَلْق والظُّهور، وأخْذُ المواثيق والعهود مما يقتضي التَّرغيب والتَّرهيب، وهذا أشدُّ مما في البيت، لأنه على سبيل التَّخْييل والتقدير، وهذا على سبيل التَّحْقيق.

وقد ذُكِر هذا في حديث «الصحيحيْن» المعلوم عند علماء الحديث، ولهم فيه طريقان، مشهوران، وهو مما خفِيَ على كثيرٍ من العلماء.

Marfat.com

ولهم فيه كلامٌ محتاج للإيضاح، فأقول:

لعلماء التفسير فيه طريقان:

الأول: أنه من المتشابه الذي استأثرَ اللّه تعالى بعلمه، وعلى هذا لا يبقى فيه إشْكال، ولا للبحث عنه مجال.

الثاني: أن له معنىً جليلاً، قام عليه أقوى برهان ودِليل.

فمنهم مَن ذهب إلى أنه اسْتعارة وتَمْثيل، نُزِّل فيه وضوحُ الأدلَّة القائمة على توحيدِه تعالى، وصحة أحكام الشريعةِ المرْكوزة في الفطرة السَّليمة، منزلةَ بُروزِهم في الخارج، وأخْذ العهود مَنزلةَ اتِّباع ما ذكر وتسليمه، والعمل بمقْتَضاه، فلا يَرِد عليه شيءٌ مما ذُكِر في الشِّعر.

ونحن نقول: إن الأمرَ الذي وقَع فيه المبالغة لا يخلو؛ إما أن يقع بعد زمانٍ بعيد، كالساعة، أو لا يقع، وهو إما مُحال مُتعذِّر الوقوع، له نظائر ومَشابه أو لا.

الأوّل: مقبول التنزيل المُتحقِّق الوقوع منزلة الواقع.

وكذا الثاني؛ لإمْكان أن يُراد، مجازاً أو كناية.

والأخير هو محلُّ الكلام.

والذي عليه أهلُ المعاني أنه مردودٌ ما لم يقْترِن به مُسَوِّغ، مثل «كاد» ونحوها، والآية ليست من هذا القبيل؛ لإسنادِها للّهِ الذي أبرز المعدومات من أرْحام العَدَم، ولا يقتضي قدرتَهُ شيء في القِدَم، فما علينا إلا الإيمان بذلك، وما لم تصل له أفهامُنا نكِلُه إليه، ونسأله أن يهدِيَنا للوقوف عليه.

وكفّى هذا الاحتمالُ في مثل هذه الحال، وما بعد الهُدَى إلا الضَّلال.

فإن قلتَ: كيف أنكروا على أبي نُوَاس هذا، واستحسنوا قولَه، وقد عشِق بعضَ أولاد الخليفة: [المنسرح]

إنـــي صَـــبٌّ ولا أقـــول بـــمَـــنْ ... أخـافُ مَـن لا يـخـاف مـن أحَـدِ

إذا تـــفـــكَّـــرتُ فـــي هـــوَايَ لـــه ... أجُسُّ رأسِي هل طار عن جسَدِي

ومع أنه مثلُه في المبالغة والإغراق؛ لأنّ الأمر الذي خطر ببالِه، ولم يخطُرْ على لسانِ مقالِه.

كيف يخافُه ويخْشاه، وهو ما تعدَّى خاطرَه وتخطَّاه؟

ولا فَرْقَ بين هذا وذاك، لمن له أدنى إدراك.

قلت: الفرقُ مثلُ الصبح ظاهر، لمن نَوَّر اللّهُ منه البصَر والبصائر.

فإن النُّطْفَة لا إدراك لها أصلا، وهي قبل خلقِها أبعدُ عقلا.

فركاكتُه أظهرُ من الشمس، وأبعدُ من أمْسِ

أما ما في فكرِه من الأمر المَهُول، فقد تهْتدِي إليه العقُول.

لشدّة اضطرابه، وقد يظهرُ على سِحنَتِه آثارُ أوْصابِه.

Marfat.com

وقد تُدرِك الفراسة ما ينطق به لسانُ الحال، وربما نَمَّ عليه لسانُ المَقال.

وقد قلتُ في معناه ما هو أحسن منه: [الكامل]

صار الأعادِي من مَهابةِ بَطْشِه عَقْمَى بلا نَسْلٍ ولا أعْقابِ
فكأنما النُّطَفُ التي قرَّتْ ثَوَتْ من خوفِها بمفَازةِ الأضْلابِ

وقد تلطَّف وأغرب في قوله: [المنسرح]

أجُسّ رأسي، هل طار عن جسَدِي

لجعْله ما يترَقَّبُه واقعاً به، حتى فَتَّش عن رأسه، وجسَّها بيده، ليعلم هل قُطِعت أو لا.

وهذا نوعٌ من البديع بديع، كقول المَنَازِيّ في وصف نهر: [الوافر]

يَرُوعُ حَصاهُ حَالِيةَ العَذارَى فتَلْمَسُ جانبَ العِقْدِ النَّظيمِ

وفيه التعبيرُ عن المقَال بالفعال، كقوله: [الطويل]

وتشْتُم بالأفْعالِ قبلَ التَّكَلُّمِ

ومثله قول ابن رَشِيق: [السريع]

قبّلنِي مُختشِماً شادِنٌ أخْوَجَ ما كنتُ لتَقْبيلِهِ
أوْمَأتُ إذ جاء بأُتْرُجَّةٍ عرَفْتُ فيها كُنْهَ تأويلِهِ
لمَّا تطَيَّرْتُ بمعْكوسِها ضَمَّتْ بَناناً نحو تَقْبيلِهِ

وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب «المجالس»، وهذا لم أرَ مَن ذكرَه، وهو مما استخرجْتُه، وسمَّيتُه «نطق الأفعال».

ومنه قولي: [الكامل]

ومُعَذَّرٍ كتبَ الجمالُ بوجهِهِ هذا طِرازُ اللّهِ لاح بطُرَّتِهْ
لمَّا بدا في الوردِ منه بَنَفْسَجٌ في الخدِّ أطرق رأسُه من خَجْلَتِهْ

ولما بلغ عبدَ الملك أن الحجاجَ لا يُراعِي الشعراءَ نقم ذلك عليه، وكتب إليه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من عبد اللّه عبدِ الملك، إلى الحجَّاج بن يوسف.

أما بعد، فقد بلغني عنك أمرٌ كذَّب فِرَاستِي فيك، وأخلف ظنِّي بك، عن إغْراضِك عن الشعر والشعراء، فكأنك لا تعرفُ فضيلةَ الشعر الشعراء، ومواقعَ سِهامِهم.

أوَ ما علمتَ يا أخا ثَقِيف أن بقاء الشِّعر بقَاءُ الذِّكر، ونَماءُ الفخر، وأن الشعرَ طِراز المُلْك، وحَلْيُ الدولة، وعنوان النِّعَم، وتمام المجد، ودلائلُ الكرم.

وأنهم يحُضُّون على الأفعال الجميلة، وينْهَوْن عن الأخلاق الذَّميمة.

وأنهم سَنُّوا سبلَ المكارم لطُلاَّبها، ودَلُّوا العُفاةَ على أبوابها.

Marfat.com

وأن الإحسانَ إليهم كَرَم، والإعْراض عنهم لُؤْمٌ ونَدَم.
فاسْتَدْرِك فَرَطَ تفْرِيطك، وامْحُ بصَوابك وَحْيَ أغاليطك.
والسلام.
وبهذا علمتَ وَقْعَ الشعر عند الملوك، وأنه سبيلٌ إلى المكارم مَسْلوك.
وأن الشعراءَ قافلةٌ تحمِل الذِّكْرَ الجميل، وأن بضائعَهم نافِقةٌ عند الكِرام، كاسِدةٌ عند اللِّئام.
والسلطانُ سُوقٌ تُجلَب لها الرَّغائب، وتُجْبَى لها محامد تمْتلِي بها الحقائب.
ولأبي إسحاق الغَزِّيّ، من قصيدة: [الوافر]

جُحودُ فضيلةِ الشُّعراءِ غَيٌّ ... وتفْخِيمُ المديحِ من الرَّشادِ
مَحَتْ بانَتْ سعادُ ذُنوبَ كَعْبٍ ... وأغْلَتْ كعبَه في كلِّ نادِ
وما افتقر النبيُّ إلى قَصِيدٍ ... مُشَبَّبةٍ ببَيْنٍ من سعادِ
ولكن سنَّ إسْداءَ الأيادِي ... وكان إلى المكارمِ خيرَ هَادِ

هذا تمام ريحانة الألباء، المشتملة على أحاسن الأدباء.
وصلَّى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله والأصحاب، الطَّيِّبين الطاهرين الأنْجاب.
ما هبَّتْ نَسْمةٌ وَهْنانَة، وفاح شَذا رَيْحانَة.
آمين.

Marfat.com

Marfat.com

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	الجزء والصفحة
سورة الفاتحة		
﴿صِرَٰطَ﴾	٧	١٩٣/٢
سورة البقرة		
﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾	١٠	١٣٢/٢
﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾	٣٠	١٤١/٢
﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	٧٤	١٣٠/٢
﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾	١٢٦	٢٢٨/١
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾	١٣٤	١٢٦/٢
سورة النساء		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾	٥٨	١٦١/٢
﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	٥٩	٢٢٥/١
﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	٥٩	٢٠٢/٢
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾	٦٩	٩٠/١
سورة المائدة		
﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾	٩٥	٢٠٢/٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾	١٠١	٦٤/٢
سورة الأنعام		
﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١١	١٧٨/٢
﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾	١١٤	١٦١/٢
﴿رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾	١٢٤	٢١/٢
﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾	١٥١	٢٢٣/٢
سورة الأعراف		
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾	١٧٢	٢٢٦/٢
﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	٢٠٤	١٨٠/٢
سورة التوبة		
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	١٨	١٨١/٢

Marfat.com

الآيـــة	رقمها	الجزء والصفحة
سورة يونس		
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾	٤٢	٢/ ٢٢٤
سورة هود		
﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾	٧٩	١/ ٢٢٢
سورة يوسف		
﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾	٨٢	٢/ ٥٠
سورة إبراهيم		
﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾	٣٧	١/ ٢١٦
سورة الحجر		
﴿فَٱصْدَعْ﴾	٩٤	٢/ ١٩٣
سورة النحل		
﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾	٦٢	١/ ١٠٦
﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾	٨١	٢/ ٥٠
سورة الإسراء		
﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾	١٦	١/ ٢١٤
﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾	٢٧	٢/ ١٦٥
سورة الكهف		
﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾	٤٦	٢/ ١٢٧
سورة مريم		
﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾	١٨	١/ ٩٤
سورة الأنبياء		
﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾	٦٩	١/ ١٩٤
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾	٩٠	٢/ ١١٤
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾	١٠٥	١/ ٢٢٥
سورة الحج		
﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٢٥	١/ ٢٢٨
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	٤٦	٢/ ٥٤

Marfat.com

الآيـــة	رقمها	الجزء والصفحة
سورة المؤمنون		
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾	٨	٢/ ٦٢
سورة النور		
﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾	٣٥	٢/ ٢٢٦
﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾	٣٥	٢/ ٩٦
﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	٢/ ٨٥
﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾	٥٤	١/ ٢٢٧
سورة النمل		
﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ﴾	٢٩	١/ ١٩٥
سورة القصص		
﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾	٢٧	٢/ ٢٠٢
سورة العنكبوت		
﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾	٥٦	٢/ ١٧٣
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾	١-٣	٢/ ١٢٧
سورة لقمان		
﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ﴾	٢٧	٢/ ١١٧
سورة الأحزاب		
﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾	٥٠	٢/ ٢٠٤
﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾	٥٣	٢/ ٢٠٤
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾	٥٩	٢/ ١٣٧
﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾	٧٢	٢/ ١٨٠
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	١/ ٧
سورة فاطر		
﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾	١١	١/ ٢٣
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٨	٢/ ٧٣
سورة يس		
﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾	٦٩	٢/ ٢٠٠

Marfat.com

الآيـــة	رقمها	الجزء والصفحة
سورة الصافات		
﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾	١٦٣	٢/ ٢٢٤
سورة الشورى		
﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٢٣	١/ ٢٢٦
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾	٢٨	١/ ١٩٩
سورة الطور		
﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾	١-٢	٢/ ٧٠
﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾	١-٣	٢/ ١١٧
﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾	٢١	٢/ ٧٣
سورة النجم		
﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾	١-٢	١/ ١١٩
﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾	٣٢	٢/ ١٧
سورة الرحمن		
﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾	٩	٢/ ٥٨
سورة الواقعة		
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾	١٠و١١	١/ ١٥٢
سورة التغابن		
﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	١٦	٢/ ١٧٩
سورة التحريم		
﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾	١١	٢/ ١٥٥
سورة الجن		
﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾	١٠	١/ ٩٤
سورة القيامة		
﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾	١١	٢/ ١٨٣
سورة النازعات		
﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٢٤	٢/ ١٤٥
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾	١-٢	٢/ ٣٩

Marfat.com

الآيـــة	رقمها	الجزء والصفحة
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾	٥	٢/ ٦٧
سورة الطارق		
﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾	١-٢	١/ ١٠٢
سورة الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ الآيات	١٧-٢٠	٢/ ٤
﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾	٢٢	٢/ ١٩٣
سورة الشمس		
﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾	١-٢	٢/ ١٠٣

Marfat.com

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	رقم الجزء والصفحة
(أ)	
«إذا كتب أحدكم كتابا فلتربه. . .»	١/ ٥٨
«أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر. . .»	١/ ١٨٥
«أمتي كالمطر لا يدرى الخير في أوله أم في آخره»	١/ ٩
أن رجلاً أتى الرسول ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنت أحب إلي من نفسي وأهلي. . .	١/ ٩٠
أن رجلاً قبّل امرأة فشكته للنبي ﷺ. . .	٢/ ٦٠
أنه عليه الصلاة والسلام أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة. . .	٢/ ١٤٣
أنه ﷺ كان يحب الفأل الحسن	٢/ ١٧١
أنه ﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة	١/ ٩٧
«إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة»	٢/ ٦٢
«إن من الأشجار شجرة لا يسقط ورقها. . .»	٢/ ٢٠٦
«إن الناس لكم تبع، وإنه سيأتيكم رجال. .»	٢/ ١٩٠
«إني عزمت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي»	٢/ ٢١٧
(ح)	
«حتى يؤخذ للجماء من القرناء»	٢/ ٦٧
«الحَيَا»	٢/ ٢٠٧
(ض)	
«ضع قدمك موضع قدمي. .»	١/ ٣٦
(ع)	
«عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر. . .»	١/ ٩٥
(ف)	
«فرخ الزنا لا يدخل الجنة»	٢/ ٧٢
(ك)	
«كفى بالسيف شا»	٢/ ٥١
«كيف ترون قواعدها». . الحديث	٢/ ٢٠٧
(ل)	
«لا تزكوا أنفسكم»	١/ ٩٦

Marfat.com

الحديث	رقم الجزء والصفحة
«لا تعد» نهيا عن قبلة الأجنبية	٢/ ٦٠
«لا يدخل الجنة ابن زانية»	٢/ ٧٢
«لا يدخل الجنة ولد زنا، ولا ولده. . .»	٢/ ٧٢
«لا يدخل الجنة ولد الزنا . . .»	٢/ ٧٢
«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء. .»	٢/ ٦٧
«لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»	٢/ ١٤٣
«ليعذبان»	٢/ ١٤٣
(م)	
«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»	١/ ٢٢٦
«ما تقول؟» في سؤل رجل شكته امرأة قبَّلها	٢/ ٦٠
«ما خلا يهودي بمسلم إلا هم بقتله»	٢/ ٥٨
«ما يمنعني، وإنما أنزل القرآن علي بلسان عربي مبين»	٢/ ٢٠٧
«المرء مع من أحب»	١/ ٩٠
«من ابتلى منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر»	١/ ٩٥
(ن)	
«الناس مجزيون بأعمالهم. . .»	١/ ٢٣٥
«النخلة» في الجواب عن الشجرة التي لا يسقط ورقها	٢/ ٢٠٦
(ي)	
«يؤخذ للجمّاء من القرناء»	٢/ ٦٧

Marfat.com

فهرس القوافي وأنصاف الأبيات

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
القوافي				
(ءُ)				
ورفاءُ	-	الخفيف	١	١/ ١٤
والضياءُ	البوصيري	الخفيف	٣	١/ ٣٥
الدقعاءُ	البوصيري	الخفيف	١	١/ ٣٥
الثراءُ	حسين بن أحمد الجزري	الخفيف	٢	١/ ٧٧
والقرناءُ	حسين بن أحمد الجزري	الكامل	٢	١/ ٧٨
صَدَاءُ	الأمير منجك الْجركسي	الكامل	٢	١/ ١٤٦
بهاءُ	-	الكامل	١	١/ ١٦٥
الجوزاءُ		الكامل	١	١/ ١٦٥
اللحاءُ	أبو تمام	الوافر	١	١/ ١٩٨
داءُ	أبو فراس	البسيط	١	٢/ ٦٣
شيئاءُ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٦	٢/ ٦٤
رجاؤُهُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٢/ ٧٥
(ءَ)				
والبصراءَ	مهيار	الكامل	٢	١/ ١١٨
الكِيمياءَ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	١/ ١١٩
وسناءَ	المَقَّرِيّ	الطويل	٥	٢/ ٨١
(ءِ)				
حمراءِ	محمد الصالحي الهلالي	الكامل	٢	١/ ٢٣
والإمساءِ	حسن بن محمد البوريني	الكامل	٣	١/ ٣٢
ناءِ	محمد بن قاسم الحلبي	الدوبيت	٢	١/ ٦٣
رقبائي	حسين بن أحمد الجزري	الكامل	٢	١/ ٧٩
الأبناءِ	-	الكامل	٧	١/ ٧٩
والورقاءِ	-	البسيط	٣	١/ ١٠٢
بالشعناءِ	محمد بن الأكفاني	الكامل	٢	١/ ١١٩
وعناءِ	الأمير منجك الجركسي	الكامل	٣١	١/ ١٣٨

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
وإيماءِ	أبو إسحاق الغزي	البسيط	٢	١/ ١٨٩
أحشائي	الشهاب الخفاجي	البسيط	١	١/ ١٨٩
بالخليصاءِ	ابن الخازي، أو عبد الله بن أحمد بن الحارث	البسيط	١	١/ ١٩٩
بالداءِ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	١/ ٢٠١
بلاءِ	أحمد المعري	الكامل	٣	١/ ٢٢١
والخلفاءِ	-	الطويل	٢	١/ ٢٥٣
للقضاءِ	-	الخفيف	١	٢/ ١٤
السفهاءِ	تقي الدين التميمي	الكامل	٢	٢/ ١٤
والمساءِ	-	الخفيف	١	٢/ ٤٠
السماءِ	-	مخلع البسيط	١	٢/ ٤٩
أسمائي	-	السريع	١	٢/ ٦٢
بالماءِ	-	البسيط	١	٢/ ٦٣
وأعدائي	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	٢/ ٦٣
ماءِ	سري الدين ابن الصائغ الحنفي	المجتث	٢	٢/ ٦٥
بالماءِ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٤	٢/ ٧١
وأهواءِ	-	البسيط	٢	٢/ ٨٣
الجرعاءِ	محمد بن أبي الحسن البكري	الخفيف	٧	٢/ ١٠٧
العقلاءِ	-	الكامل	١	٢/ ١٢٨
ماءِ	أبو إسحاق الغزي	البسيط	١	١/ ١٩٠ و٢/ ١٥١
الماءِ	-	السريع	١	٢/ ١٨٥
الكسائى	-	الخفيف	١	٢/ ١٥٩
الفقهاءِ	-	الخفيف	٢	٢/ ١٦١
الماءِ	-	البسيط	١	٢/ ١٧٢
بلاءِ	البحتري	الكامل	٣	٢/ ١٧٦
الداءِ	الحصري	البسيط	٢	٢/ ٢١٢
الكرماءِ	بشار بن برد	الخفيف	١	٢/ ٢١٢
أحشائي	ابن الصفار	البسيط	٢	٢/ ٢١٨
نعمائِهِ	بديع الزمان	الكامل	٢	١/ ٦٣
آلائِهِ	الأمير منجك الجركسي	الكامل	١١	١/ ١٣٦
حوبائِه	الأرجاني	الرجز	٢	١/ ١٦٧
نظرائِهِ	-	الكامل	١	٢/ ٧٩

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		(بُ)		
جنوبُ	ابن شبيب	الطويل	٢	١/ ٣٠
قلوبُ	حسن بن محمد البوريني	الطويل	٤	١/ ٣١
واجبُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ٣٢
المشيبُ	العماد الأصفهاني	الخفيف	٢	١/ ٥٧
تتريبُ	الطغرائي	الطويل	١	١/ ٥٧
ارتيابُ	-	م.الكامل	٢	١/ ٦٣
مذهبُ	إبراهيم بن أحمد الحلبي	الكامل	٩	١/ ٦٥
سغبُ	حسين بن أحمد الجزري	البسيط	٢	١/ ٧٥
الرحابُ	عبد اللطيف بن المنقار	الوافر	٢٠	١/ ٨٢
كوكبُ	ابن الرومي	م. الكامل	٢	١/ ١٠٦
السواربُ	عبد الحق الشامي	الطويل	١٩	١/ ١٥٣
حواجبُ	ابن نباتة السعدي	الطويل	١	١/ ١٥٤
وتجاذبُ	ابن نباتة السعدي	الطويل	١	١/ ١٥٣
حواجبُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	١	١/ ١٥٤
وخُلَّبُ	محمد بن عمر العرضي	الطويل	٢	١/ ١٦٠
هاربُ	الأرجاني	الكامل	١	١/ ١٨٩
الطلَبُ	-	البسيط	١	١/ ٢١٦
لقريبُ	-	الطويل	١	١/ ٢٢١
الألبابُ	جمال الدين العصامي	البسيط	٢	١/ ٢٣٦
ضبابُ	الشهاب الخفاجي	البسيط	١	١/ ٢٣٦
التغرُّبُ	-	الطويل	٢	٢/ ٤
جانبُ	-	الطويل	١	٢/ ٢٠ و٢/ ٨٥
مواكبُ	يحيى الأصيلي	م.الكامل	٢	٢/ ٢١
يكتبُ	ابن سناء الملك	الطويل	١	٢/ ٢٢
ضَرَبْ	عبد الرحيم العباسي	البسيط	٢	٢/ ٣٠
يُستطابُ	-	الوافر	٢	٢/ ٣١
المصائبُ	عمر الفارسكوري	الطويل	٢	٢/ ٣٤
يذهبُ	أحمد بن علي العلقمي	المتقارب	٦	٢/ ٣٨
ويُشرَبُ	-	الكامل	١	٢/ ٤١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
منيبُ	محمد بن أبي الحسن البكري	الطويل	٣	٢/ ١٠٧
النجيبُ	-	المتقارب	١٢	٢/ ١٠٧
طَيِّبُ	المتنبي	الطويل	١	٢/ ١٥٥
القضيبُ	سلمى بن غوية	المتقارب	٤	٢/ ٢١١
ويُشرَبُ	ابن المعتز	الطويل	١	٢/ ٢٢٠
وتشربُهُ	-	الرجز	١	١/ ١٠٧
شرابُها	أحمد المدني اليتيم	الكامل	٢	١/ ٢٤١
ترابُها	-	الطويل	١	٢/ ٣
غياهبُهُ	-	الطويل	١	١/ ٢٢٧
غربُهْ	درويش محمد الطالوي	الطويل	٢٩	٢/ ١٩١
جانبُهْ	ابن الصفار، أو أبو إسحاق الشيرازي	الطويل	٢	٢/ ٢١٨
	(بَ)			
الكذبَا	-	البسيط	١	١/ ٦
ومغاربا	-	الكامل	١	١/ ٨١
قُرْبَا	بدر الدين الغزي، أو رضى الدين الغزي	الخفيف	٢	١/ ٨٩
طِبًّا	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	١/ ٩٠
ذابَا	العقيلي	الكامل	٢	١/ ٩٩
وأصلابَا	الوليد	البسيط	١	١/ ١١٥
تحجَّبَا	الأمير منجك الجركسي	الكامل	١٥	١/ ١٣٧
قُلْبَا	أبو الطيب الغزي	الكامل	٣	١/ ١٥٠
يتلهبَا	ابن هاني الأندلسي	البسيط	٣	١/ ١٥٢
وحاجبَا	أبو إسحاق الغزي	الطويل	١	١/ ١٥٤
شهابا	أبو الوفاء العرضي	الوافر	٢٩	١/ ١٥٦
الشهبا	صلاح الدين الكوراني الحلبي	البسيط	٢٩	١/ ١٦٢
الصَّبَا	أبو بكر بن إسماعيل الشنواني	الطويل	٩	١/ ١٧٣
تكذيبا	الأديب الأصفهاني	الدوبيت	٢	١/ ٢٠١
الصَّبَا	شهاب الدين أحمد الفيومي	الكامل	١	١/ ٢١٨
مخلبَا	شهاب الدين أحمد الفيومي	الكامل	١	١/ ٢١٨
المناقبَا	-	الطويل	١	١/ ٢٢٠
الرُّبَا	يحيى الأصيلي	السريع	٢	٢/ ٢٢
مستعذَبَا	الشهاب الخفاجي	السريع	٣	٢/ ٢٣
وَنبًا	أحمد بن علي العلقمي	الرمل	٦	٢/ ٣٩
الأبوابا	-	الكامل	١	٢/ ٧١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الرُّبى	عبد العزيز الفشتالي	الكامل	٥	٢/ ٨١
الهبا	–	م.الرجز	١	٢/ ٨٥
الهبَا	محمد بن أبي الحسن البكري	الكامل	٢	٢/ ١٠٧
عقابَا	أعرابي	الطويل	١	٢/ ١٥٢
جيوبَا	–	الوافر	١	٢/ ١٨٠
فتطبَّبا	يزيد بن الطثرية، أو هدبة بن خشرم	الطويل	٢	٢/ ٢١٢
فطرَّبَا	ربيعة بن مسعود	الطويل	١	٢/ ٢١٣
قلبا	ابن المعتز	الكامل	٢	٢/ ٢١٩
جلبابا	–	المديد	٣	٢/ ٢٢١
أبوابَها	ابن جلنك	الرجز	٢	١/ ١١١
أذنابها	–	الكامل	٢	٢/ ٣١
أدَبَهْ	–	السريع	١	١/ ٦٧
خَرِبَهْ	أبو محمد الحكيم	البسيط	٢	١/ ١٨٨
والإصابهْ	ابن الرومي	م.الكامل	١	٢/ ٤
معائبَهْ	عبد الواحد الرشيدي	م.الخفيف	٢	٢/ ٤٢
عصابَهْ	–	الخفيف	١	٢/ ١٥٣
والحدَبهْ	–	المنسرح	١	٢/ ١٦٧
غرَبهْ	الحريري	م.الكامل	٥	٢/ ١٨٩
	(بِ)			
مغربِ	–	الطويل	١	١/ ٨
لوثوبِ	–	الطويل	١	١/ ٢٦
أديبِ	صالح الشنتريني	الطويل	٣	١/ ٢٨
حبِّي	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	١/ ٣١
ورقيبِ	حسن بن محمد البوريني	الطويل	٢	١/ ٣١
الصبِّ	حسن بن محمد البوريني	الطويل	١٠	١/ ٣٢
والأحبابِ	محمد بن قاسم الحلبي	الخفيف	١٣	١/ ٥٥
المشيبِ	العماد الأصفهاني	الكامل	٢	١/ ٥٧
شائبِ	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	٢	١/ ٧٥
المتغابي	أبو تمام	البسيط	١	١/ ٧٥
لَغَبِي	الشهاب الخفاجي	الرجز	٢	١/ ٧٥
مريبِ	حسين بن أحمد الجزري	الوافر	٢	١/ ٧٩
الغربِ	ماماي	الطويل	٢	١/ ٩٨
واجبِ	–	الطويل	١	١/ ١٠١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الأحدبِ	أبو الفتح المالكي	البسيط	٢	١/ ١١١
والنصبِ	ابن مليك الحموي	البسيط	٢	١/ ١١٤
عجبِ	-	البسيط	٢	١/ ١١٤
التصابِي	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	١/ ١٤٩
العيوبِ	محمد بن عمر العرضي	الخفيف	٢	١/ ١٦٠
صحبي	الشهاب الخفاجي	الطويل	١٦	١/ ١٨٥
كتابِ	-	الوافر	٢	١/ ١٩٠
المشيبِ	محمد بن إبراهيم الفاسي	الوافر	٣	١/ ١٩٣
صبِيبِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ١٩٣
بضريبِ	المتنبي	الطويل	١	١/ ١٩٧
الثعالبِي	الطالوي	الطويل	٣٤	١/ ٢٠٣
الإيابِ	السيد عبد الخالق الفاسي	الوافر	٢	١/ ٢١١
المناقبِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٣	١/ ٢٢١
برقيبِ	-	الخفيف	١	١/ ٢٢٤
السحب	-	البسيطِ	٣	١/ ٢٢٥
حبيبِ	قطب الدين المكي النهرواني	المنسرح	٤	١/ ٢٣٣
الغياهبِ	ابن سنان الخفاجي	الطويِل	١	١/ ٢٣٧
الرقابِ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٤	١/ ٢٣٩
العواقبِ	-	الطويل	٢	١/ ٢٥٣
تحجَّبِي	عبد اللّه بن شمس الدين بن مطهر اليمني	الكامل	١٧	١/ ٢٥٣
عجبِ	ابن النبيه	البسيط	١	١/ ٢٥٤
بِي	مهيار	السريع	٢	١/ ٢٥٦
العربِ	الصدر	السريع	١	١/ ٢٥٨
الكتُبِ	عبد الوهاب المحلي المالكي	الرجز	١٧	٢/ ٩
يعتبِ	يوسف المغربي	السريع	٣	٢/ ١٧
الترابِ	مهيار	الوافر	١	٢/ ٢٢
بالحبيبِ	أبو تمام	الخفيف	١	٢/ ٢٨
يتائبِ	تقي الدين الفارسكوري	الطويل	٣	٢/ ٣٥
الرطيبِ	محمد بن أحمد الحتاتي	الوافر	٥	٢/ ٣٦
سَبْي	-	الوافر	٢	٢/ ٤٢
حسابي	بدر الدين الأزهري	الوافر	٢	٢/ ٥٧
ذنْبِ	شهاب الدين السنفي	الخفيف	٢	٢/ ٦١
نصيبي	-	مختل الوزن	١	٢/ ٦٦

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
مُجابِ	-	الطويل	٣	٢/ ٧١
للترب	شهاب الدين المالكي	الدوبيت	٢	٢/ ٨١
القربِ	شهاب الدين المالكي	الدوبيت	٢	٢/ ٨١
شيْبي	نور الدين العسيلي	الوافر	٢	٢/ ٩١
الغضبِ	ابن حمديس	البسيط	٢	٢/ ١٠٤
الحبيبِ	محمد أبي الحسن البكري	الخفيف	١١	٢/ ١٠٧
الآدابِ	-	الخفيف	١	٢/ ١٢٥
الشبابِ	-	م.الكامل	٤	٢/ ١٢٦
الكلابِ	-	الوافر	١	٢/ ١٣١
العربِ	بشار بن برد	المنسرح	٣	٢/ ١٣٦
الأجربِ	لبيد بن ربيعة	الكامل	١	٢/ ١٤١
الأطائبِ	-	الطويل	١	٢/ ١٥٢
النُوَبِ	-	م.الرجز	٣	٢/ ١٥٤
والمناصبِ	-	الطويل	٣	٢/ ١٥٥
للمتطبِّبِ	-	الطويل	١	٢/ ١٦٠
بالصاحبِ	-	السريع	١	٢/ ١٦٨
الجذْبِ	-	الطويل	٧	٢/ ١٨٨
والعنبِ	أبو تمام	البسيط	١	٢/ ١٩٧
المعائبِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٢/ ٢١٢
مرغِّبِ	الزاهد بن عمران	الطويل	٤	٢/ ٢١٧
أعقابِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	٢/ ٢٢٨
بِها	ماماي	الكامل	٥	١/ ٩٨
بحبِّهَا	ابن عبد الظاهر	م.الرجز	٢	٢/ ١٢٥
أصحابِها	ابن المعتز	المتقارب	٣	٢/ ٢٢٠
جوانِبِهِ	الثعالبي	البسيط	٢	١/ ٩٩
عَيْبِهِ	عبد الرحيم العباسي	م.الرجز	٢	٢/ ٣١
أولى بِه	-	المتقارب	١	٢/ ٢٠١
وحاجبِهْ	أبو المواهب البكري	م.الرجز	٢	٢/ ١٠٢
لقبِهْ	-	البسيط	١	٢/ ١٦٢

(بْ)

السحابْ	-	م.الكامل	١	١/ ١٩
لمرتقبْ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ٧٠
القُرَبْ	بدر الدين الغزي	السريع	٢	١/ ٨٧

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الكُرَبْ	ابن حجر العسقلاني	السريع	٢	١/ ٩٠
الأعتابْ	بهاء الدين العاملي	البسيط	٢	١/ ١٢٥
للغروبْ	أبو الطيب الغزي	م. الكامل	١٠	١/ ١٥١
الذهبْ	-	الرجز	١	١/ ٢٤٧
احتجبْ	يحيى الأصيلي	م.الرجز	٢	٢/ ٢١
الصوابْ	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	٢/ ٤١
نائبْ	الأرجاني	م.الكامل	٢	٢/ ٤٢
ذهَبْ		م.الرجز	١	٢/ ٤٤
وَحَبْ	صفي الدين بن محمد الغزي	البسيط	٢	٢/ ٤٦
تَعَبْ	محمد الأسيوطي	البسيط	٢	٢/ ٦٣
يجبْ	محمد الفارضي	السريع	٢	٢/ ٧٧
الأعذبْ	محمد بن أبي الحسن البكري	م.الهزج	١٨	٢/ ١٠٨
الرُّتَبْ	الثعالبي	م.الكامل	٧	٢/ ١٩٤
	(تُ)			
البراعاتُ	محمد الصالحي الهلالي	البسيط	٣٥	١/ ٢١
المشكاةُ	علي الكيزواني	الكامل	٢	١/ ٢٤٨
وارتويتُ	القيراطي	الوافر	٢	٢/ ٧٥
همَّاتُ	-	البسيط	٢	٢/ ١٠١
بيتُهُ	يحيى الأصيلي	الكامل	٢	٢/ ٢٠
غرتُهُ	-	البسيط	٢	٢/ ١٢٠
قضيْتُها	السراج الوراق	السريع	٢	٢/ ٢٠
	(تَ)			
وطالعةً		م.الوافر	١	١/ ٢٣
وبهْتَا	عامر بن هارون الموزعي	الوافر	١٣	١/ ٢٥٩
نَحْتَا	شهاب الدين النسفي	الوافر	٤	٢/ ٦٢
مواقيتَا	أبو إسحاق الغزي	البسيط	٢	٢/ ٨٢
	(تِ)			
لمزيَّةِ	التقي السبكي	الطويل	٢	١/ ٣٦
أحبَّتِي	درويش الطالوي	الطويل	٤	١/ ٤٩
أشتاتِ	محمد بن قاسم الحلبي	البسيط	٣	١/ ٦١
حسراتِي	البهاء زهير	الكامل	١	١/ ٧٣
ليْتِ	السيد أحمد بن النقيب الحلبي	الطويل	٣	١/ ١٦٤

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
المماتِ	محمد بن عمر بن الأنباري	الوافر	٢	٢/ ٧
والرقَّةِ	ابن سارة	الكامل	٣	٢/ ٧٦
بشتات	-	الكاملِ	٢	٢/ ٨٣
فلبَّتِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٤	٢/ ٩٨
أمَرْتِ	محمد بن محمد الطبلاوي	المجتث	٢	٢/ ١٠٠
ميقاتِي	محمد بن أبي الحسن البكري	مختل	١	٢/ ١٠٩
اللذاتِ	-	الخفيف	٢٤	٢/ ١٠٩
قيامةِ	-	الطويل	٢	٢/ ١١٤
تمنَّتِ	-	الطويل	١	٢/ ١٥٢
وآياتِ	-	الطويل	٢	٢/ ١٦٠
أضلَّتِ	زهير بن أبي سلمى	الكامل	١	٢/ ١٧٥
وغداةِ	ابن المعتز	الكامل	٢	٢/ ٢٢١
نباتِها	ابن مليك الحموي	المديد	٣	١/ ١١٤
وجنتِهِ	محمد بن قاسم الحلبي	المنسرح	١	١/ ٥٥
شاماتِهِ	حسين بن أحمد الجزري	السريع	٤	١/ ٧٨
وصفاتِهِ	الزغاري	م.الكامل	٢	١/ ١١٨
ذاتِهِ	يحيى الأصيلي	م.الكامل	٢	٢/ ٢١
شهوتِهْ	علي بن كثير المكي	المتقارب	٥	١/ ٢٤٤
هِمَّتِهْ	ابن رشيق	المتقارب	٢	٢/ ١٢٤
لحيتِهْ	-	السريع	١	٢/ ١٣٩
بطرَّتِهْ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	٢/ ٢٢٨
	(ثْ)			
جمعتْ	يوسف بن عمران الحلبي	البسيط	٢	١/ ٧٠
أثمرتْ	معين الدين بن البكاء	المديد	٤	١/ ٢٥٠
	(ثِ)			
اكتراثِ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	١/ ٢٠١
	(ثْ)			
استغاثْ	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	١/ ١٨٥
	(جُ)			
متبلجُ	شهاب الدين المغربي	الكامل	٤	٢/ ٨١
خروجُهَا	صلاح الدين الكوراني الحلبي	الطويل	٢	١/ ١٦٣

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		(جَ)		
ابتهاجَا	السراج الوراق	المتقارب	٢	١/ ٢٤٢
أترجَّهْ	الباخرزي	السريع	١	١/ ١١١
		(جِ)		
بانبلاج	أحمد بن شاهين	الخفيف	٣٣	١/ ١٣٤
لَهِجِ	محمد بن عمر العرضي	البسيط	٢	١/ ١٦٠
والمداجِي	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	١/ ١٨٠
مُنتَسِجِ	محمد بن إبراهيم الفاسي	البسيط	٣	١/ ١٩٢
بالبَلَجِ	ابن أبي حجلة	البسيط	٢	١/ ١٩٢
الوَهَجِ	شمس الدين البصير	المنسرح	٥	٢/ ٣٩
بالخليجِ	يحيى بن الخطيب القباني	الوافر	٢	٢/ ٥٩
عِوجِ	نور الدين العسيلي	البسيط	٢	٢/ ٩٢
زجاجِ	بشار بن برد	الرمل	٢	٢/ ١٣٦
		(خْ)		
وأبهَجْ	حسين بن أحمد الجزري	الوافر	٢	١/ ٧٨
دَرَجْ	فتح الله البيلوني	الطويل	٢	١/ ١٢٠
		(حُ)		
صبحُ	حسن بن محمد البوريني	الطويل	٥	١/ ٣٠
المزحُ	البوريني	الدوبيت	٢	١/ ٣٤
الرماحُ	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	١/ ٥٨
تروحُ	حسين بن أحمد الجزري	م. البسيط	٢	١/ ٨٠
سفَّاحُ	الأمير منجك الجركسي	الخفيف	٧	١/ ١٤٤
فارحُ	أشجع السلمي	الطويل	١	١/ ١٧٥
فمُسبحُ	-	الكامل	١	١/ ٢٠٦
يمزحُ	قطب الدين المكي النهرواني	الطويل	٢	١/ ٢٣٤
ويمرحُ	مجير الدين بن تميم	الطويل	٢	١/ ٢٣٤
أبطحُ	ابن الصيفي، الحيص بيص	الطويل	٣	١/ ٢٣٤
يُمْدَحُ	كشاجم	الطويل	٢	١/ ٢٣٥
سينطحُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ٢٣٥
مريحُ	العناياتي	الخفيف	٣	١/ ٢٣٧
السُّحُ	بعض شعراء الأندلس	الكامل	٣	٢/ ٧١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
لرامحُ	أبو العلاء المعري	الطويل	١	٢/ ٩٤
قبيحُ	أبو التداني الوفائي	الخفيف	٣	٢/ ٩٦
صبوحُ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٣	٢/ ١٠٤
قبيحُ	ينسب لآدم عليه السلام	الوافر	١	٢/ ١٤١
رابحُ	-	الطويل	٢	٢/ ١٧١
جنوحُ	النابغة الذبياني	الطويل	١	٢/ ١٩٦
	(حَ)			
يُلْحَى	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ٣١
السلاحَا	حسن بن محمد البوريني	الوافر	٢	١/ ٣٤
ضريحَا	البحتري	الوافر	١	٢/ ٢١٨
سَمَحَا	عبد الواحد الرشيدي	البسيط	٢	٢/ ٤٢
روحَا	-	المجتث	١	٢/ ٦٨
ضريحَا	أبو جعفر البحاثي	الوافر	١	٢/ ٧
واستراحَا	ابن المعتز	المديد	٤	٢/ ٢١٩
مليحَهْ	الصنوبري	الخفيف	٢	٢/ ١٠١
	(حِ)			
الصالحِ	-	الكامل	١	١/ ٢٦
صلاحِ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	١/ ٢٩
والمدْحِ	ابن حيوس	المنسرح	٢	١/ ٨٨
الأفراحِ	الأمير منجك الجركسي	الكامل	٦	١/ ١٤٤
الرَّاحِ	ابن الرومي	الكامل	٢	١/ ١٩٢
الاقتداحِ	أبي محمد بن سفيان	الطويل	١	١/ ٢٠٠
بالمدحِ	ابن القيم	الطويل	٣	١/ ٢٣٧
الرياحِ	محمد بن يس المنوفي	الخفيف	٢	٢/ ٧
تربحِ	-	الكامل	٢	٢/ ٢٥
الرياحِ	ابن الزقاق	الخفيف	٢	٢/ ٤٥
روحِي	-	الكامل	١	٢/ ٨٤
الرماحِ	أبو فراس	الوافر	٣	٢/ ٢٢٣
مسحِها	محمد بن يس المنوفي	الطويل	٢	٢/ ٦
	(خ)			
الأقاخْ	-	السريع	١	١/ ٤
الملاخْ	محمد بن عمر العرضي	السريع	٣	١/ ١٥٩

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الرِّياخْ	القاضي عياض	السريع	٢	١/ ٢٠٥ و٢/ ٤٥
الرياخْ	ابن الزقاق الأندلسي	السريع	٢	١/ ٢٠٥
يُزاخْ	سراج الدين الأشهل	م.الرمل	٢	١/ ٢٤٢
وسَبَّخْ	ابن الوردي	م.الرمل	٢	٢/ ١٠١
فطفَخْ	القيراطي	الرمل	٢	٢/ ١٠٤
	(خُ)			
يُنتَسَخُ	-	البسيط	١	١/ ٥٢
	(دُ)			
يلبدُ	-	الطويل	١	١/ ٢٩
يُستفادُ	بدر الدين الغزي	مخلع البسيط	٢	١/ ٨٧
الغيدُ	ابن لؤلؤ	الكامل	٢	١/ ١٠١
والتسهيدُ	الملك الناصر	الكامل	٢	١/ ١٠١
مُورَّدُ	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	الطويل	٢	١/ ١٠٤
مجنَّدُ	مولاي أحمد بن الرومي	الطويل	١	١/ ١٦٩
العقدُ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٣	١/ ١٧٣
قلائدُ	-	الطويل	١	١/ ١٨٢
واحدُ	ابن نباتة السعدي	الكامل	١	١/ ٢٥٠
المتردِّدُ	السيد حسين بن مطهر اليمني	البسيط	٥	١/ ٢٥٦
الوفودُ	-	الخفيف	١	١/ ٢٥٧
يُولَدُ	ابن الرومي	الطويل	٣	٢/ ٣
فوائدُ	المتنبي	الطويل	١	٢/ ٢٤
مُورَّدُ	محمد الوفائي	الكامل	٨	٢/ ٩٧
تريدُ	المصيصي	الوافر	١	٢/ ١٢٤
جُدُدُ	-	المنسرح	٥	٢/ ١٥٤
ومهندُ	-	الكامل	١	٢/ ١٩٩
يغمَدُ	علي بن الجهم	الكامل	١١	٢/ ٢٥
أستجدُّهُ	المتنبي	الطويل	١	٢/ ١٦٣
جنودُهُ	الشهاب الخفاجي	م.الكامل	٣٠	١/ ٥٢
خدودُهُ	محمد بن قاسم الحلبي	م.الكامل	٢٩	١/ ٥٣
رودُهُ	محمد بن يس المنوفي	الخفيف	٤	٢/ ٧

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		(دَ)		
الندَى		الكامل	١	١/ ١١
أرقدَا	البهاء زهير	الكامل	١	١/ ٣٠
مساجدَا	-	الكامل	١	١/ ٣٧
حديدَا	ابن فضل اللّه	الخفيف	٢	١/ ٦٠
عودَا	حسين بن أحمد الجزري	م. الرمل	٢	١/ ٧٨
أسودَا	-	الطويل	٢	١/ ٧٩
البَيْدَا	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	الطويل	٢	١/ ١٠٣
عهودَا	أبو العباس المنصور باللّه	الكامل	٣	١/ ١٦٧
فَقْدَا	عبيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر	البسيط	١	١/ ١٧٦
مورَّدَا	-	البسيط	١	١/ ٢٠١
خدودَا	يوسف المغربي	الكامل	٤	٢/ ١٧
مسعودَا	أحمد بن عبد السلام	الكامل	٣	٢/ ٤٤
والندَى	رجب الشنواني	الطويل	٤	٢/ ٤٨
ومحتدَا	زين الدين محمد الأنصاري الخزرجي الحنبلي	الطويل	٨	٢/ ٧٤
أسودَا	-	المتقارب	١	٢/ ٨٤
عبدَا	-	الخفيف	١	٢/ ٨٧
الوردَا	-	الطويل	٢	٢/ ١٢٤
وُدَّهُ	عبد الرحيم العباسي	الرمل	٢	٢/ ٣٠
قدَّهْ	ابن خفاجة الأندلسي	المجتث	٤	١/ ١٠٧
المودَّهْ	الشهاب الخفاجي	المجتث	٤	١/ ١١٠
صَدَّهْ	محمد بن يس المنوفي، أو لشاعر مكيّ عصري	م.الكامل	٤	٢/ ٨
		(دِ)		
مهادِي	-	الخفيف	١	١/ ٨
يستجدِي	-	الطويل	١	١/ ٢١
بادِي	الباخرزي	الكامل	٢	١/ ٣٠
التوحيدِ	حسن بن محمد البوريني	الكامل	١	١/ ٣٢
وبلادِي	البوريني	الخفيف	٢	١/ ٣٤
المعتادِ	محمد بن قاسم الحلبي	الدوبيت	٢	١/ ٥٨
فؤادِي	-	الكامل	١	١/ ٦١
يدِي	محمد بن أحمد الحصكفي	الدوبيت	٢	١/ ٦٥
سهادِي	يوسف بن عمران الحلبي	الكامل	٢	١/ ٦٩

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
بالوردِ	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	١/ ٦٩
المقاصدِ	سرور بن سنين الحلبي	الطويل	٦	١/ ٧١
مُسهَّدِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ٧٢
للعبدِ	بدر الدين الغزي	الطويل	٢	١/ ٨٦
والحمدِ	تقي الدين بن معروف	الطويل	٢	١/ ٩٤
ممدودِ	-	البسيط	٢	١/ ١٠١
بَرُودِ	البحتري	الكامل	١	١/ ١٠٩
والخدِّ	أبو الفتح المالكي	الطويل	٢	١/ ١٠٩
المجدِ	أبو العتاهية	السريع	٢	١/ ١١٢
المجدِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٤	١/ ١١٦
حادِي	بهاء الدين العاملي	البسيط	٢	١/ ١٢٥
التوحيدِ	حسن البوريني	الكامل	١	١/ ١٢٧
الشَّدِّ	-	الطويل	١	١/ ١٢٨
العمادِ	-	الخفيف	٢	١/ ١٣٠
لودادِي	الشهاب الخفاجي	الكامل	١٠	١/ ١٣٠
ونجادِ	ابن عباد	الخفيف	٢	١/ ١٣١
الأضدادِ	عبد الرحمن العمادي	الخفيف	١١	١/ ١٣١
ميعادِ	-	الكامل	٥	١/ ١٣٢
المنضَّدِ	الأمير منجك الجركسي	الطويل	٨	١/ ١٤٣
بالبلادِ	ابن نباتة المصري	م.الرمل	٢	١/ ١٤٩
الأعادِي	-	م. الرمل	١	١/ ١٤٩
الفؤادِ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٣	١/ ١٤٩
الوِرْدِ	أبو الطيب الغزي	الطويل	٢	١/ ١٥٢
بفرصادِ	الهذلي، أو عبيد بن الأبرص	البسيط	١	١/ ١٥٥
القدودِ	عبد الله بن المعتز	م.الرمل	٥	١/ ١٦٨
بإثمدِ	الأرجاني	الكامل	١	١/ ١٨٠
جُنْدِي	-	الطويل	٢	١/ ١٩١
الجسدِ	ابن عبد ربه	البسيط	٢	١/ ٢٠٠
الزنادِ	ابن الفارض	الخفيف	٢	١/ ٢٠٠
الواحدِ	الشهاب الخفاجي	السريع	١	١/ ٢٠٦
العوادِي	عبد العزيز الفشتالي	الخفيف	٢	١/ ٢٠٩
محمَّدِ	-	الكامل	٣	١/ ٢٢٠
للسؤددِ	-	الكامل	١	١/ ٢٢٧

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
باليَدِ	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	٢٤١/١
كَمَدِ	الشافعي	البسيط	٢	٢٤١/١
للقرودِ	أبو تمام	م.الرمل	١	٢٤٤/١
الوَرْدِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٩	٢٨/٢
والعقْدِ	محمد الدمياطي الحنفي	الطويل	١١	٢٨/٢
والسَّعْدِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٦	٢٨/٢
وجْدِي	سراج الدين عمر الفارسكوري	الرجز	٧	٣٣/٢
المجتدِي	محمد بن أحمد الحتاتي	الكامل	٢	٣٦/٢
يهتدِي	الأمير أسامة بن منقذ	الكامل	٣	٣٦/٢
الواحدِ	-	الكامل	١	٤٢/٢
قَيْدِ	الصاحب بن عباد	السريع	٢	٤٣/٢
للجسدِ	بدر الدين الأزهري	م.الرجز	٢	٥٧/٢
الوجودِ	-	الخفيف	٢	٥٨/٢
بالحَدِّ	عبد الوهاب المالكي البغدادي	الطويل	٢	٦٠/٢
وساعدِي	أبو فراس	الكامل	٢	٦٣/٢
بالنَّكدِ	الشهاب الخفاجي	المنسرح	٢	٩٣/٢
بالبعدِ	ابن أبي حجلة	الطويل	٢	٧٥/٢
الجِيدِ	-	الكامل	١	٧٩/٢
بتنكيدِ	نور الدين العسيلي	الطويل	٢	٩٢/٢
صائدِ	محمد بن محمد الطبلاوي	الكامل	٢	١٠٠/٢
الملْدِ	محمد بن أبي الحسن البكري	الطويل	١٣	١٠٩/٢
الخدودِ	-	الخفيف	٨	١١٠/٢
توكيدِ	ابن نباتة المصري	البسيط	١	١١٦/٢
مقصدِي	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١٢٨/٢
الأوتادِ	-	الكامل	١	١٣٢/٢
نَدِي	النابغة الذبياني	الكامل	١	١٣٤/٢
يزيدِ	-	الوافر	١	١٣٧/٢
الحمدِ	محمد بن المعدل	الرجز	١	١٤٢/٢
واحدِ	أبو نواس	السريع	١	١٤٦/٢
لبيدِ	-	الوافر	١	١٥٠/٢
المُكْدِي	-	السريع	٣	١٧٩/٢
البلدِ	ابن شرف	المنسرح	٢	١٨١/٢
معبدِ	زهير بن أبي سلمى	الطويل	٦	١٩٣/٢

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
			٥	٢٠٩و
رقادِ	المتنبي	الوافر	٢	٢/ ١٩٦
أحدِ	أبو نواس	المنسرح	٢	٢/ ٢٢٧
الرشادِ	أبو إسحاق الغزي	الوافر	٤	٢/ ٢٢٩
عقدِها	ابن نباتة المصري	السريع	٢	١/ ١٠٩
بجيدِهَا	-	الطويل	١	١/ ٢٣١
عبدِهِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	١/ ٦٩
رفدِهِ	أبو الفتح المالكي	السريع	٣٣	١/ ١٠٧
لجُرْدِهِ	ابن الساعاتي	البسيط	٢	١/ ٢٥٦
		(ذْ)		
الشواهذْ	بدر الدين الغزي، أو أبو عامر الجرجاني	م.الكامل	٢	١/ ٨٨
أبْعَذْ	أبو الفتح المالكي	الخفيف	٣	١/ ١١٢
أبْعَذْ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٣	١/ ١١٢
مَيَذْ	أبو العباس المنصور بالله	السريع	٤	١/ ١٦٧
محمَّذْ	شيخ الشيوخ الأنصاري	الرجز	١	١/ ٢٥٤
زابِذْ	عبد الله الدنوشري	الوافر	٥	٢/ ٤١
تصعَّذْ	الصنوبري	م.الكامل	٢	٢/ ٤٤
		(رُ)		
الخضرُ	-	الطويل	١	١/ ٦
صبرُ	العرجي	الكامل	١	١/ ٣٠
الدهرُ	-	الطويل	١	١/ ٥٢
سترُ	محمد بن قاسم الحلبي	م.البسيط	٢	١/ ٥٥
الأميرُ	حسين بن أحمد الجزري	الكامل	٢	١/ ٧٣
أمورُ	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	٢	١/ ٧٨
نصيرُ	الفضل بن سهل	الطويل	٣	١/ ٩٥
سُكْرُ	الأرجاني	م.الرجز	٢	١/ ٩٨
الغفورُ	ماماي، أو ابن عربي	الوافر	٢	١/ ١٠٠
يتبصّرُ	ابن الوردي	الطويل	٢	١/ ١٠٠
أمرُ	أبو فراس	الطويل	١	١/ ١١٠
القطْرُ	أبو فراس	الطويل	١	١/ ١١٠
سهرُوا	أبو الفتح المالكي	البسيط	٣	١/ ١١١
قبرُ	ابن مليك الحموي	الطويل	١	١/ ١١٥

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
مقابرُ	ابن حجة الحموي	الكامل	١	١/ ١١٥
عصرُ	ابن نباتة المصري	الطويل	٢	١/ ١١٥
عسيرُ	أبو نواس	الطويل	١	١/ ١١٥
قبورُ	-	الطويل	١	١/ ١١٥
تغوّرُ	ابن عنين	الكامل	٤	١/ ١١٨
مدارِدُ	الأمير منجك الجركسي	البسيط	١٥	١/ ١٤٣
أنوارُ	-	الكامل	١	١/ ١٧٢
وناظرُ	الصولي	م.الكامل	٢	١/ ١٧٥
والسرورُ	-	م.الكامل	٣	١/ ١٧٥
السَّفرُ	-	البسيط	١	١/ ١٨٩
القفرُ	أبو تمام	الطويل	١	١/ ١٨٩
أطوارُ	الحظيري	الطويل	١	١/ ١٩٠
أبْصَرُ	الباخرزي	الطويل	٢	١/ ١٩١
تدورُ	-	الطويل	٢	١/ ١٩٨
الصُّوَرُ	-	البسيط	١	١/ ٢٢٦
نميرُ	قطب الدين المكي النهرواني	الوافر	٢	١/ ٢٣٣
كِبْرُ	-	الطويل	١	١/ ٢٣٦
تُكفَرُ	السراج الوراق	الطويل	٣	١/ ٢٤٢
الأمرُ	الصاحب بن عباد	الكامل	٢	١/ ٢٤٨
أمطارُ	معين الدين بن البكاء	البسيط	٥	١/ ٢٥٠
جعفرُ	علي بن الجهم	البسيط	١	١/ ٢٥٤
مثمرُ	عبد المنعم المحلي الطريني	الطويل	٢٢	٢/ ١١
مُنْكِرُ	-	الطويل	٢	٢/ ١٢
تُدَّخَرُ	علي بن غانم المقدسي	البسيط	٣	٢/ ٢٦
عمرُ	تقي الدين الفارسكوري	البسيط	٤	٢/ ٣٥
السرورُ	أبو فراس	الرجز	١	٢/ ٣٧
تغييرُ	أحمد بن علي العزي	الكامل	٢	٢/ ٤٦
الفرارُ	-	الخفيف	١	٢/ ٦٣
الأكبرُ	منصور البلبيسي	الخفيف	٢	٢/ ٥
منتشرُ	أحمد بن محيي الدين الغزي	البسيط	٣	٢/ ٧٠
الخُبْرُ	محمد الفارضي	الطويل	٢	٢/ ٧٦
يُنثَرُ	-	الطويل	٢	٢/ ٨٦
تستعرُ	الصابي	البسيط	٤	٢/ ٩٠

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
سُوَرُ	نور الدين العسيلي	م.الرجز	٢	٢/ ٩٢
يعتذرُ	الشهاب الخفاجي	الدوبيت	٢	٢/ ٩٢
يسافرُ	معقِّر بن الحارث البارقي	الطويل	٢	٢/ ٩٣
الصُّوَرُ	أبو اليقظان الوفائي	البسيط	١	٢/ ٩٦
الخضْرُ	مجنون بني عامر	الطويل	١	٢/ ١٠٠
وثبيرُ	محمد بن أبي الحسن البكري	الطويل	٧	٢/ ١١١
الدهرُ	–	الطويل	١	٢/ ١١٤
ذكورُ	–	الكامل	١	٢/ ١٢٥
افتخارُ	باهل	الوافر	١	٢/ ١٥٥
ثغرُ	–	الطويل	٢	٢/ ١٦٢
كِبْرُ	الخوارزمي	الطويل	٣	٢/ ١٦٩
عمرُو	أبو فراس	الطويل	١	٢/ ١٧٣
نهارُ	الفرزدق	الكامل	١	٢/ ١٧٦
أحجارُ	–	البسيط	١	٢/ ١٧٨
تسيرُ	المتنبي	الكامل	١	٢/ ١٩٦
جارُ	–	الخفيف	١٦	٢/ ٢٠٠
خفيرُ	عدي بن زيد	الخفيف	١	٢/ ٢١٠
قفارُ	ابن المعتز	الطويل	٣	٢/ ٢٢٠
مآزرُهُ	المتنبي	البسيط	١	١/ ١٤
نضارُهُ	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	١	١/ ٧٦
بحورُها	حسين الجزري	الطويل	٢	١/ ٧٦
صدورُهَا	أبو تمام	الطويل	١	١/ ١٥٥
تستعيرُهَا	–	الطويل	١	٢/ ٢٩
عمرُهَا	–	الكامل	٣	٢/ ٨٧
كِبَرُهْ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	١/ ٢٣٠
دوائرُهْ	المتنبي	البسيط	١	٢/ ١٩٦

(رَ)

فاترًا	ابن نباتة المصري	الكامل	٢	١/ ١٤
السرَى	محمد الصالحي الهلالي	الكامل	٣	١/ ٢٤
أسارَى	حسين بن محمد البوريني	المتقارب	٩	١/ ٣٢
جَرَى	أبو الحكم	الكامل	٢	١/ ٤٩
خضرًا	–	البسيط	١	١/ ٥٢
غبارًا	الغزي	الخفيف	١	١/ ٥٦

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
العشْيرَا	محمد القيسراني	الكامل	١	١/ ٥٧
عسكرَا	المهذب الموصلي	الكامل	٢	١/ ٥٧
تفجَّرَا	الشهاب الخفاجي	الطويل	٣	١/ ٦٢
الأقمارَا	محمد بن قاسم الحلبي	الرمل	٢	١/ ٦٢
فقرَا	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	٣	١/ ٧٧
يَطْرَا	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	١/ ١٠٢
شِطْرَا	أبو الفتح المالكي	الخفيف	٣	١/ ١٠٩
والنَّحْرَا	ابن مليك الحموي	الطويل	٢	١/ ١١٣
وشكْرَا	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٤	١/ ١٢٧
وما أرَى	محمد بن إبراهيم الفاسي	الكامل	٨	١/ ١٩٣
أسْرَا	أبو فراس	السريع	٣	١/ ١٩٩
سرَى	الشهاب الخفاجي	الكامل	٣	١/ ٢٢١
النُّحورَا	السراج الوراق	المنسرح	٢	١/ ٢٤٣
احتقارَا	الثعالبي	الوافر	٥	١/ ٢٤٤
العذرَا	تقي الدين التميمي	الطويل	٢	١/ ١٤
والحَمْرَا	ابن نباتة المصري	الطويل	٤	٢/ ٢٣
جرَى	-	الكامل	١	٢/ ٣٤
خَضْرَا	-	الطويل	١	٢/ ٣٨
عَبْرَى	ابن حجر العسقلاني	الطويل	٢	٢/ ٧٥
مدرارَا	-	الكامل	٢	٢/ ٨٥
بدرَا	محمد بن أبي الحسن البكري	الخفيف	٩	٢/ ١١٠
القِرَى	-	المتقارب	١	٢/ ١٦٧
تغبَّرَا	الشهاب الخفاجي	الكامل	٣	٢/ ١٧٠
نفَّرَا	الشماخ	الطويل	١	٢/ ١٧٦
أخرَى	الأرجاني	المتقارب	٤	٢/ ٢٠٦
أواخرَا	ابن المعتز	الطويل	٦	٢/ ٢٢١
غبارَهَا	عبد الرحمن العمادي	الطويل	٢١	١/ ١٣١
والمسرَّهْ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	١/ ٩٩
شكْرَهْ	فتح الله البيلوني	الطويل	٢	١/ ١٢٠
سَكْرَهْ	محمد بن عمر العرضي	الخفيف	٨	١/ ١٦٠
معطرَهْ	الشهاب الخفاجي	الرجز	٢	١/ ٢٣٦
سحَّارَهْ	شمس الدين البصير	الرمل	٢	٢/ ٣٩
غزيرَهْ	عبد القادر الطوري	الوافر	٢	٢/ ٧١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
مَرَّهْ	الفارضي	م.الرمل	٢	٢/ ٧٥
عِبْرَهْ	محمد بن أبي الحسن البكري	م.الرمل	٢	٢/ ١١١
نَظْرَهْ	-	الطويل	٢	٢/ ١١١

(رِ)

الأخضرِ	ابن هانئ الأندلسي	الكامل	١	١/ ٤
		الكامل	١	و٢/ ٤٤
الدهرِ	-	الطويل	٣	١/ ٥
كالأُكَرِ	محمد الصالحي الهلالي	البسيط	١	١/ ٢٣
الضارِي	-	البسيط	١	١/ ٢٩
فاستترِ	ابن أذينة	البسيط	٢	١/ ٣٠
السرورِ	درويش الطالوي	م.الكامل	٨٧	١/ ٤٤
الصدورِ	الشريف الرضي	م . الكامل	١	١/ ٤٨
والصدورِ	أبو بكر الخوارزمي	م . الكامل	٥	١/ ٤٨
فِكرِي	درويش الطالوي	الكامل	٧	١/ ٤٩
الغدرِ	ابن المعتز	الكامل	٢	١/ ٥٧
والظفرِ	الغزي	الطويل	١	١/ ٦٠
سهرِي	الأرجاني	البسيط	٢	١/ ٦٥
باهرِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٣	١/ ٦٩
بالتقديرِ	حسين بن أحمد الجزري	الرجز	٢	١/ ٧٥
ديارِي	-	الطويل	١	١/ ٨٢
منحدِرِ	درويش الطالوي	البسيط	٣٢	١/ ٨٣
الزَّهَرِ	عماد الدين الحنفي الشامي	البسيط	٢٩	١/ ٨٥
سارِ	الشهاب الخفاجي	الدوبيت	٢	١/ ٩٠
أخبارِ	ماماي	الطويل	٣	١/ ٩٨
ظفْرِ	أبو نواس	الخفيف	٢	١/ ١٠٢
الأخبارِ	الحلي	الكامل	١	١/ ١٠٣
النظرِ	القاضي الفاضل	البسيط	١	١/ ١٠٧
شعرِي	ابن حجة الحموي	الطويل	١	١/ ١١٤
المخبرِ	معروف الشامي	الكامل	٩	١/ ١١٧
الخَضْرِ	-	الطويل	١	١/ ١٢٦
النحورِ	-	الرجز	٣	١/ ١٣٤
عُقارِ	الأمير منجك الجركسي	الطويل	١٤	١/ ١٤٢
الصغارِ	-	الوافر	٢	١/ ١٤٤

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
أسكدار	-	م.الكامل	٩	١/ ١٤٤
الخطرِ	-	م.الرجز	٥	١/ ١٤٥
الغِيَرِ	-	م. الوافر	٢	١/ ١٤٩
جَمْرِ	محمد بن عمر العرضي	السريع	٣	١/ ١٥٩
البارِي	-	الرمل	٢	١/ ١٦٠
الآثارِ	-	الخفيف	١	١/ ١٧٢
شِبْرِ	-	الوافر	١	١/ ١٧٤
وقارِ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	١/ ١٧٩
الأمورِ	أبو العلاء المعري	الخفيف	١	١/ ١٨٠
الحريرِ	-	الكامل	٣	١/ ١٨٠
الفتورِ	محمد الفشتالي	الخفيف	٢٠	١/ ١٨٠
مأجورِ	-	البسيط	١	١/ ١٨٢
وفقيرِ	أعرابي	الطويل	١	١/ ١٨٥
غيْرِي	-	الوافر	١	١/ ١٩١
الأثَرِ	-	البسيط	٢	١/ ٢١٤
جَمْرِ	-	الطويل	١	١/ ٢٢٠
البدرِ	-	السريع	٣	١/ ٢٢٤
الكدَرِ	أبو العلاء المعري	البسيط	١	١/ ٢٢١
والنصرِ	قطب الدين المكي النهرواني	الطويل	١٣	١/ ٢٣٢
والسيرِ	أبو العلاء المعري	البسيط	١	١/ ٢٣٦
بالكفرِ	دعبل بن علي الخزاعي	الطويل	٣	١/ ٢٣٩
بالبشْرِ	أبو دلف	الطويل	٤	١/ ٢٣٩
الخَصَرِ	أبو العلاء المعري	البسيط	١	١/ ٢٣٩
الطيورِ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	١/ ٢٤٢
الكبارِ	عبد الرحمن بن كثير المكي	الوافر	٢	١/ ٢٤٣
أدرِي	-	الطويل	١	١/ ٢٤٩
البدرِ	معين الدين بن البكاء	الطويل	٢	١/ ٢٥٠
والعرارِ	الشهاب الخفاجي	المديد	١٤	١/ ٢٥١
الديارِ	عبد الرحمن الخياري	الخفيف	٨	١/ ٢٥٢
الأبرار	-	السريع	١	١/ ٢٥٣
السِّرِّ	-	السريع	١	٢/ ٢٥٣
بَصَرِي	عبد الهادي السودي	المديد	٣	١/ ٢٥٧
الأكثرِ	-	الكامل	١	١/ ٢٥٨

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
جوارِي	محمد بن يس المنوفي	الخفيف	٣	٢/ ٦
الزُّهْرِ	عبد الوهاب المحلي الحنفي	الطويل	١٣	٢/ ٩
بالمنثورِ	يحيى الأصيلي	الخفيف	٥	٢/ ٢٣
الشِّعرِ	-	السريع	١	٢/ ٣٢
الشَّعَرِ	ابن زيدون	البسيط	٥	٢/ ٣٢
القمرِ	محمد بن أحمد الحتاتي	البسيط	٢	٢/ ٣٦
واليُسْرِ	-	السريع	٢	٢/ ٣٦
قَبْرِ	-	الطويل	١	٢/ ٣٨
الصُّورِ	الفيومي	البسيط	٢	٢/ ٤٠
وبالجَوْرِ	عبد الله الدنوشري	السريع	٢	٢/ ٤١
يُعصرِ	الشهاب الخفاجي	م.الرجز	٣	٢/ ٤٥
سارِي	بدر الدين القرافي	البسيط	٢	٢/ ٤٩
أبرارِ	-	البسيط	٢	٢/ ٤٩
المثمرِ	أحمد بن عواد	الكامل	٢	٢/ ٥٠
السمهرِي	-	الكامل	٢	٢/ ٥٠
طَرِي	النواجي	الكامل	٢	٢/ ٥٠
زَهْرِ	البدر الدماميني	الوافر	٢	٢/ ٥١
المقدارِ	-	الكامل	٢	٢/ ٥٩
خطرِ	بعض أدباء الشام	البسيط	٣	٢/ ٥٩
اعتصارِي	عدي بن زيد	الرمل	١	٢/ ٦٣
تجرِي	القطب المكي	الطويل	٦	٢/ ٧٤
الغبارِ	-	الرجز	١	٢/ ٧٩
عمرِي	-	الطويل	١	٢/ ٨٣
الشَّعَرِ	الشريشي	البسيط	٢	٢/ ٩٥
والسَّهَرِ	محمد بن محمد الطبلاوي	البسيط	٢	٢/ ١٠٠
أخضرِ	محمد بن أبي الحسن البكري	الكامل	٢	٢/ ١١١
قواريرِ	بشار بن برد	البسيط	٢	٢/ ١٣٦
يُشهَرِ	أبو عبد الله بن جابر الأندلسي	الكامل	٢	٢/ ١٣٧
القبورِ	العتبي	م.الرمل	٢	٢/ ١٤٣
كسيرِ	عبد المحسن الصوري	الوافر	٦	٢/ ١٤٤
الأخيرِ	أحمد الفخري	الوافر	٣	٢/ ١٤٤
الصغارِ	-	الوافر	١	٢/ ١٥٩
يُقدَرِ	-	الكامل	١	٢/ ١٦٣

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
البشرِ	-	البسيط	١	٢/ ١٧٣
أدرِي	الشهاب الخفاجي	الطويل	١٩	٢/ ١٧٤
السَّحَرِ	-	البسيط	٣	٢/ ١٧٧
الأبصارِ	-	الكامل	٢	٢/ ١٨٣
جارِ	-	الخفيف	١	٢/ ٢٠١
تتصدَّرِ	الأرجاني	الطويل	١	٢/ ٢٠٦
البحرِ	بعض شعراء المغاربة	الكامل	٤	٢/ ٢١١
الدهرِ	أبو العتاهية	السريع	٣	٢/ ٢١٢
الزَّهْرِ	ابن خفاجة الأندلسي	الطويل	٢٨	٢/ ٢١٦
النَّظَرِ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٣	٢/ ٢٢٢
بالذكورِ	مهلهل بن ربيعة	الوافر	١	٢/ ٢٢٦
وخِيرِ	المهدي بن محمد العكبري	الوافر	٤	٢/ ٢٢٦
غيرِهِ	الشهاب الخفاجي	الرجز	٢	١/ ٦٢
آثارِهِ	حسين بن أحمد الجزري	السريع	٢	١/ ٧٨
خَيْرِهِ	معين الدين بن البكّاء	الكامل	٢	١/ ٢٥٠
ضُرِّهِ	علي بن الخزرجي	السريع	٣	٢/ ٧٢
بِشْرِهِ	الشهاب الخفاجي	الرمل	٢	٢/ ٨٦
بَدْرِهِ	ابن نباتة	الكامل	٤	٢/ ١٠٦
وثغرِهِ	علي بن الحنائي	الكامل	٢	٢/ ١١٦
عَوَرِهْ	محمد بن إبراهيم الفاسي	م.الرجز	٢	١/ ١٩١
سَمَرِهْ	عبد الهادي السودي	المديد	٤	١/ ٢٥٧
ولا سَمَرِهْ	أبو نواس	المديد	٣	١/ ٢٥٨

(ز)

الدفاترْ	البهاء زهير	م.الكامل	١	١/ ٢٣
المحاجزْ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	١/ ٦٩
العِبَرْ	-	الرمل	٢	١/ ١٠٠
يقدِّرْ	-	الوافر	٢	١/ ١٠٠
المسافرْ	القاضي الفاضل	م.الكامل	٢	١/ ١١٦
مَقَرْ	بهاء الدين العاملي	الوافر	٢	١/ ١٢٥
نُسَرْ	النمر بن تولب	المتقارب	١	١/ ١٩٨
فشَرْ	-	م.الرجز	١	١/ ٢٣٥
السَّهَرْ	محمد بن يس المنوفي	المتقارب	٣	٢/ ٧
وتكبَّرْ	يحيى الأصيلي	م.الرمل	٢	٢/ ٢٢ و١٠٠

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
منهمرْ	-	م.الرجز	٢	٢/ ٢٢
تُنْشَرْ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	٢/ ٢٧
للخطرْ	ابن مكانس	السريع	٢	٢/ ٥١
كالأساريرْ	محمد الأبياري القباني	الرمل	٢	٢/ ٥٩
حَضَرْ	محمد الفارضي	الطويل	٢	٢/ ٧٧
وَتَرْ	-	م.الخفيف	١	٢/ ٩٤
والعِبَرْ	أسامة بن منقذ	م.الرجز	٣	٢/ ٩٥
تعسَّرْ	محمد بن محمد الطبلاوي	مخلع البسيط	٢	٢/ ١٠٠
الغِيَرْ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٢/ ٢٢٢
	(زُ)			
وحِرْزُ	أحمد العناياتي	المتقارب	٥	١/ ١٣
	(زَ)			
كنزًا	عبد الرحيم العباسي	الخفيف	٩	١/ ٨٧
كنزًا	بدر الدين الغزي	الخفيف	١١	١/ ٨٧
	(زِ)			
جائزِ	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	الطويل	٢	١/ ١٠٣
والكنزِ	محمد بن بدر الدين الزيات	الطويل	٢	٢/ ٤٦
	(زْ)			
الخَزْ	قطب الدين المكي النهرواني	الطويل	١٢	١/ ٢٣١
الخَزْ	الشهاب الخفاجي	المنسرح	٢٥	١/ ٢٣١
	(سُ)			
آسُ	الشهاب الخفاجي	الدوبيت	٢	١/ ٣٢
يغرسُ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٣	١/ ٦٩
أملسُ	-	الطويل	١	١/ ١٥٥
الغرانسُ	-	الطويل	١	١/ ٢١١
الدوامِسُ	-	الطويل	١	١/ ٢١١
أمْيَسُ	الشهاب المنصوري	السريع	٢	٢/ ٧٧
نُعاسُ	-	م.الرمل	١	٢/ ١٧٩
	(سَ)			
مهندسَا	حسين بن أحمد الجزري	الكامل	٢	١/ ٨٠
شَمْسَا	الأمير منجك الجركسي	الخفيف	١١	١/ ١٤٦

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
طرسَا	الأستاذ البكري	الوافر	١	٢/ ٧
موسَى	عبد الله الدنوشري	الطويل	٢	٢/ ٤١
يُوسَى	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	٢/ ٤١
النرجسَا	الباخرزي	الرجز	٢	٢/ ٤٤
ياسَا	-	الخفيف	٢	٢/ ٧٢
الفلسا	-	الطويل	١	٢/ ١٣٧
النفوسَا	-	المتقارب	٢	٢/ ١٨٠
راسَهَا	ابن مكانس	الطويل	٢	٢/ ٥٩
أنفاسَها	أبو العلاء صاعد بن الحسن	المتقارب	٢	٢/ ٢١٣
حراسَهَا	ابن بدر	المتقارب	٧	٢/ ٢١٤
معرسَهْ	ابن خفاجة الأندلسي	السريع	٣	١/ ٢٨
	(سِ)			
ألعسِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢٨	١/ ٣٧
ألعسِ	درويش الطالوي	الكامل	٢٩	١/ ٣٨
النَّحْسِ	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	٢	١/ ٧٥
أنَاسِي	أبو بكر تقي الدين التاجر الجوهري	م. الكامل	٤	١/ ٨
كاسِ	-	الخفيف	١	١/ ٩٠
ناسِي	بهاء الدين العاملي	البسيط	٢	١/ ١٢٤
والباسِ	الأمير منجك الجركسي	الطويل	٣	١/ ١٤٧
المجلسِ	أبو الطيب الغزي	الكامل	٣	١/ ١٥٢
عَبُوسِ	الأشتر النخعي	الكامل	٢	١/ ١٦٨
قَبَسِ	ابن قلاقس	الرمل	٣	١/ ١٨٥
الأُنسِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ١٩١
بناسِ	-	الكامل	١٣	١/ ١٩٤
الكاسِ	محمد بن إبراهيم الفاسي	الكامل	٣٠	١/ ١٩٦
باسِي	-	الطويل	٣	٢/ ١٠
للناسِ	-	الكامل	١	٢/ ٢٠
العباسِ	-	الكامل	١	٢/ ٣٠
الكاسِ	عبد الرحيم العباسي	الكامل	٣	١/ ٣٠
النواقيسِ	شمس الدين البصير	البسيط	٢	٢/ ٤٠
النفوسِ	محمد بن بدر الدين القوصوني	الوافر	١١	٢/ ٥٥
المجلسِ	-	الكامل	١	٢/ ٨٣
الموائسِ	محمد بن أبي الحسن البكري	الطويل	٤	٢/ ١١٣

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الراسِي	-	الطويل	٢	٢/ ١٢٤
ملتبسِ	-	المنسرح	٢	٢/ ١٥٩
الناسِ	-	البسيط	١	٢/ ٢٠١
ناسِهَا	حسن بن الشامي	الكامل	٢	٢/ ٦٩
أُسَّهَا	علي بن محمد بن بسام	السريع	٣	٢/ ١٤٥
	(سْ)			
المدارسْ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	١/ ١٢٨
ويونسْ	محمد الفارضي	الوافر	٢	٢/ ٧٧
	(شَ)			
مشَى	البدر الدماميني	الكامل	٢	٢/ ٥١
	(شِ)			
أطروشِ	حسين بن أحمد الجزري	البسيط	٣	١/ ٧٩
وبَطْشِ	عبد الرحيم العباسي	مخلع البسيط	٢	٢/ ٣٠
أرْشِ	محمد الأبياري القباني	الطويل	٢	٢/ ٥٩
الفراشِ	البرقعي	المتقارب	٣	٢/ ١٤٤
	(صُ)			
اقتناصُ	ابن نباتة	المجتث	٢	٢/ ٦٠
خلاصُ	أبو عامر الجرجاني القاضي	الطويل	٢	٢/ ٦٠
	(صَ)			
لاختصَى		السريع	١	٢/ ١٣٢
	(صِ)			
والقلوصِ	محيي الدين الغزي	مخلع البسيط	٤	٢/ ٧٠
قرصِها	علي بن كثير المكي	السريع	٢	١/ ٢٤٤
	(ضُ)			
معضوضُ	البحتري	البسيط	١	١/ ١٠٦
	(ضَ)			
وَمْضَى	عبد الرحيم العباسي	السريع	٢	٢/ ٣٠
أرضَى	رجب الشنواني	الطويل	٥	٢/ ٤٨
الأرْضَا	التنوخي	الطويل	٢	٢/ ٧١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الأعضَا	–	الطويل	١	١٣٣/٢
منقضًّا	–	الطويل	١	١٧٨/٢
غائضَهْ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٦٢/١
	(ضِ)			
رافضِي	–	الكامل	١	١٢٣/١
فارضِي	علي بن الحنائي	الكامل	٣	١١٦/٢
رائضِ	أبو حيان	السريع	٢	١١٦/٢
ماضِ	ابن اللبانة الأندلسي	الوافر	٣	١٧٧/٢
أمراضِها	إبراهيم بن المبلط	الكامل	٢	٥٧/٢
	(ضْ)			
والحياضْ	أبو عبد اللّه محمد بن أحمد المكلاتي	السريع	٦	٨٢/٢
	(طُ)			
تعطُو	محمد الصالحي الهلالي	الطويل	٥	٢٤/١
شَطُّهُ	–	السريع	٢	١١٩/٢
	(طَ)			
أخْطَا	درويش الطالوي	الطويل	٢	١٠٦/١
غَلِطَا	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	٢٤٣/١
	(طِ)			
الربطِ	أبو الفتح المالكي	الطويل	١	١١٠/١
وَطِي	شهاب الدين الكنعاني	السريع	٢	١١٧/١
نشاطِي	التعاويذي	م.الرمل	٢	١٨٠/١
	(طْ)			
نَمَطْ	الشهاب الخفاجي	م.الرجز	٢	٢٥/٢
نَشِطْ	ابن لؤلؤ	م.الرجز	٢	٢٥/٢
وانْبَسَطْ	الشهاب الحجازي	م.الرجز	٢	٢٥/٢
نشطْ	الشهاب الخفاجي	م.الرجز	٢	٢٥/٢
والْتقطْ	–	الرمل	٢	٢٧/٢
المحيطْ	ابن لؤلؤ الذهبي	الرمل	٢	٤٣/٢
السَّخَطْ	–	المتقارب	١	١٦٦/٢
	(ظِ)			
الحفَّاظِ	أبو الفتح المالكي	الرجز	١	١٠٦/١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		(عُ)		
يدمعُ	محمد الصالحي الهلالي	الطويل	١٧	١/ ٢٥
موضعُ	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	٢٤	١/ ٧٦
أستطيعُ	أبو الوفاء العرضي	الوافر	٢	١/ ١٥٨
جزعُ	-	البسيط	١	١/ ١٧٥
البرقعُ	محمد بن أبي الحسن البكري	السريع	٤	٢/ ١١١
يتوجَّعُ	-	الطويل	١	٢/ ١٥٠
يتطلَّعُ	-	الكامل	١	٢/ ١٧٥
ناقعُ	النابغة الذبياني	الطويل	١	٢/ ١٨٦
ويطيعُهُ	ابن الوكيل	الكامل	٣	١/ ٣٣
دموعُهُ	-	الكامل	٢	٢/ ٨٦
طباعُهْ	محمد بن قاسم الحلبي	م.الرجز	٢	١/ ٥٥
		(عَ)		
أجمعَا	الشريف الرضي	الطويل	٢	١/ ١٧
يصفعَا	عبد الله بن النطاح، أو ابن الرومي	الكامل	٢	١/ ٢٨
وأينعَا	حسن بن محمد البوريني	الطويل	٤	١/ ٣١
الدموعَا	درويش الطالوي	الرمل	٣٠	١/ ٥٠
سريعَا	محمد بن قاسم الحلبي	م.الكامل	٢	١/ ٦١
الدموعَا	ابن الرومي	م.الكامل	١	١/ ٦٥
مَعَا	ابن مليك الحموي	المديد	٣	١/ ١١٤
وَطبْعَا	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٤	١/ ١٧٨
تسعَى	محمد الفشتالي	الخفيف	٩	١/ ١٧٨
وطوعَا	-	الخفيف	١	١/ ١٩٧
يُسَبَّعَا	-	الطويل	١	٢/ ١٩
مَعَا	ذو الأصبع العدواني	الخفيف	٢	٢/ ٩٤
جُمِعَا	محمد بن محمد الطبلاوي	المنسرح	٢	٢/ ١٠٠
جُمِعَا	-	البسيط	١	٢/ ١٣٢
ربيعَا	الشهاب الخفاجي	م.الكامل	٣	٢/ ١٣٥
هجعَا	ابن المعتز	البسيط	١	٢/ ٢١٩
سُمْعَهْ	الشهاب الخفاجي	المجتث	٢	٢/ ٨٤
		(عِ)		
طامعِ	-	الطويل	١	١/ ٧

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
وأوجاعِي	بكر بن حارثة	السريع	٢	١/ ١٧ و٢/ ٣
بالمدامعِ	يزيد بن معاوية	الطويل	٢	١/ ١٩
بالصنيعِ	حسين بن أحمد الجزري		٣	١/ ٧٧
بسمعِي	الشريف الرضي	الخفيف	١	١/ ١٠٧
			١	و٢/ ١٧٠
أدمعِي	ابن مليك الحموي	الكامل	٤	١/ ١١٣
البديعِ	الأمير منجك الجركسي	الوافر	٥	١/ ١٤٧
بمَرُوعِ	الأرجاني	الكامل	٢	١/ ١٩٠
بتضْريعِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ١٩٠
الطباعِ	أبو تمام	الوافر	١	١/ ١٩٥
ووُلوعِي	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٣	١/ ٢٠٠
جازعِ	بدر الدين الأزهري	الرجز	٢	٢/ ٥٧
المرُوعِ	نور الدين العسيلي	الوافر	٢٠	٢/ ٩٢
صانعِي	ظافر الحداد	الكامل	٢	٢/ ١٢٤
دُعِي	-	الكامل	١	٢/ ١٥٦
مَعِي	-	السريع	١	٢/ ١٦٨
مودِّعِي	الأرجاني	الكامل	٢	٢/ ١٧٧
الهاجعِ	منصور النمري	الكامل	١	٢/ ١٩٦
ارتجاعِهِ	-	الطويل	١	١/ ١٢٦
	(غ)			
مَقْنَغْ	محمد بن عمر العرضي	الخفيف	٣	١/ ١٥٩
والهَلغْ	-	البسيط	٢	١/ ١٧٦
وضِيغْ	عبد النافع الطرابلسي	السريع	٢	٢/ ٦٦
مَطْمَغْ	نور الدين العسيلي	المجتث	٢	٢/ ٩٢
	(فُ)			
يُعرفُ	-	الرجز	١	١/ ١٢
تعنفُ	محمد الصالحي الهلالي	الطويل	٣	١/ ٢٦
يضعفُ	يوسف بن عمران الحلبي	الطويل	٦	١/ ٦٨
يشنفُ	الأمير منجك الجركسي	الطويل	٣	١/ ١٤٨
الرجَّافُ	-	البسيط	١	١/ ١٥٤
والمصحفُ	قطب الدين المكي النهرواني	السريع	٦	١/ ٢٣٣

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
وأكتافُ	محمد بن يس المنوفي	البسيط	٢	٢/ ٦
مكشوفُ	ابن عربي	السريع	٥	٢/ ١٤٣
خائفُ	صاعد بن العلاء	الطويل	٨	٢/ ٢١٤
المُهاتفُ	-	الطويل	٧	٢/ ٢١٥
جيفُهْ	ابن الرومي	الكامل	١	٢/ ١٣١
	(فَ)			
نحيفَا	الشهاب الخفاجي	الوافر	٤	١/ ٦١
ضعيفَا	محمد بن قاسم الحلبي	الوافر	٦	١/ ٦٢
العلفَا	فتح اللّه البيلوني	البسيط	١	١/ ١٢١
خَلْفَا	بهاء الدين العاملي	البسيط	٢	١/ ١٢٥
الصَّفَا	محمد بن أبي الخير ابن العلامة ابن حجر الهيتمي	السريع	٢	١/ ٢٤٥
ضَعْفَا	أحمد بن عبد السلام	الوافر	٢	٢/ ٤٥
كفًّا	محمد بن يوسف التاولي	الطويل	٣	٢/ ٨٠
الأصْفَى	المَقَّرِيّ	الطويل	٢٣	٢/ ٨٠
العَلَفَا	-	البسيط	١	٢/ ١٣٤
الصَّفَا	الشهاب الخفاجي	السريع	٣	٢/ ١٤٣
المصطفَى	-	السريع	١	٢/ ١٦١
الصوفَا	أبو تمام	الكامل	١	٢/ ١٩٧
موصوفَهْ	كشاجم	المنسرح	٢	٢/ ١٤٢
شريفَهْ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٣	٢/ ١٥١
	(فِ)			
الألفِ	أحمد العناياتي	البسيط	٢١	١/ ١٣
مدنفِ	ابن مطروح	الكامل	١	١/ ١٤
توصَفِ	جمال الدين العصامي	الرجز	٢	١/ ٢٣٧
الأشرفِ	القطب المكي	الرجز	٢	١/ ٢٣٧
تتوقَّفِ	تقي الدين التميمي	الكامل	٢	٢/ ١٥
الضعيفِ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٣	٢/ ٣٧
تَلافِي	صفي الدين بن محمد العِزّي	المجتث	٢	٢/ ٤٦
منصفِ	داود الأنطاكي	الكامل	٣	٢/ ٥٥
السَّلَفِ	يحيى الأصيلي	البسيط	٢	٢/ ٦١
تعرفِ	ابن الفارض	الكامل	١	٢/ ٧٦
كشَّافِ	علي الحنائي	الطويل	٢	٢/ ١١٧

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الأشرافِ	شمس الدين بن المزين	الكامل	٢	٢/ ١٣٧
خَفِي	-	المتقارب	١	٢/ ١٦٦
والإسكافِ	-	الخفيف	٢	٢/ ١٨١
القوافِي	بديع الزمان	الخفيف	٣	٢/ ١٨٢
الوافِي	أبو فراس	الكامل	٩	٢/ ٢٢٣
وكفِهِ	سرور بن سنين الحلبي	الطويل	٧	١/ ٧٢
خلفِهِ	نور الدين العسيلي	م.الرجز	٢	٢/ ٩١

(فْ)

التلفْ	الذهبي	المتقارب	٢	١/ ١٤
وأُضْعِفْ	الصنوبري	الوافر	١	١/ ٢٣٨
يجْحَفْ	عمر العِزّي	مخلع البسيط	٢	٢/ ٤٧

(قُ)

تورقُ	-	الكامل	١	١/ ٢٤٧
المشرقُ	المتنبي	البسيط	١	١/ ٢٥٥
الأحداقُ	-	الكامل	١	٢/ ٢٤
ويُسرَقُ	أبو إسحاق الغزي	الكامل	١	٢/ ٤٥
حُرَقُ	-	البسيط	١	٢/ ٨٤
عائقُ	السيد علي وفاء	الطويل	٢	٢/ ٩٦
والأطواقُ	محمد بن أبي الحسن البكري	الكامل	٣	٢/ ١١٢
يُعشَقُ	أبو إسحاق الغزي	الكامل	١	٢/ ١٥٧
مُغلَقُ	-	الكامل	٣	٢/ ١٩٠
والخورنقُ	-	الطويل	١	٢/ ٢٠١
الحَنَقُ	ابن المعتز	الكامل	٢	٢/ ٢٢٠
إشراقُهَا	ابن هانئ الأندلسي	الكامل	٣	١/ ١٥٢
نصادقُهْ	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	١	١/ ٧٥

(قَ)

صَدَقَا	ابن عنين	م.الكامل	١	١/ ٩ و٢/ ١٥٣
يُراقَا	درويش الطالوي	الوافر	٣	١/ ٥٠
اتفقَا	يوسف بن عمران الحلبي	البسيط	٢	١/ ٦٩
علقَا	مصطفى بن العجمي أبو الصفاء	البسيط	٢١	١/ ٩٢
عبقَا	درويش الطالوي	البسيط	٢٣	١/ ٩٢
وراقَا	الشهاب الخفاجي	الوافر	٤	١/ ١٩٤

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الزَّرْقَا	-	البسيط	١	١/ ٢١٥
لِقَا	شهاب الدين أحمد الفيومي	السريع	٢	١/ ٢١٨
حقًّا	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ٢٤٤
طَرَّاقَا	تقي الدين التميمي	البسيط	٢	٢/ ١٥
عاقَا	ابن نباتة المصري	البسيط	٢	٢/ ١٥
ساقَا	أبو دؤاد الإيادي	البسيط	١	٢/ ١٥

(قِ)

راقِي	-	الطويل	٢	١/ ١٠٠
ممزَّقِ	زين الدين الإشعافي	الطويل	٣	١/ ١٠١
بالأحداقِ	القاضي الفاضل	الخفيف	١	١/ ١٠٧
للطَّرَّاقِ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	١/ ١٠٧
مغلقِ	نجم الدين بن معروف	الكامل	٥	١/ ١١٩
بجلّقِ	أبو الفتح القاضي	الكامل	٨	١/ ١١٩
أشواقِي	بهاء الدين العاملي	الدوبيت	٢	١/ ١٢٤
باتّفاقِ	الأمير منجك الجركسي	م.الرمل	٦	١/ ١٤٩
النَّسِيق	-	الوافر	١	١/ ١٩٥
الأُفُقِ	عبد العزيز الثعالبي	البسيط	١٢	١/ ٢٠٤
الورقِ	الحلي	البسيط	١	١/ ٢٠٤
يَتَّقِي	عبد السلام بن سنوس المغربي	السريع	١٩	١/ ٢١٠
بَقِي	ابن مطروح	الكامل	١	٢/ ١٢
مفترِقِ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	٢/ ١٥
بالرحيقِ	أحمد بن عبد السلام	الخفيف	١	٢/ ٤٤
الواقِي	النور ابن حجر العسقلاني	الكامل	٢	٢/ ٤٩
ساقِي	-	الطويل	١	٢/ ٥٣
مخلوقِ	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	٢/ ٥٤
أشواقِي	ابن لؤلؤ الذهبي	الكامل	٥	٢/ ٥٧
بالتلاقِي	بعض المتأخرين	مخلع البسيط	٢	٢/ ٨٢
الحدقِ	ابن رشيق	الرمل	٢	٢/ ١٢٤
رفيق	-	الكامل	١	٢/ ١٥٨
بساقِ	ابن الرومي	م.الرمل	٢	٢/ ١٧٨
مصفقِ	ابن المعتز	الكامل	٥	٢/ ٢١٩
المتَّقِي	أبو نواس	الكامل	٢	٢/ ٢٢٦
وثاقِه	أبو الفتح المالكي	الكامل	٤	١/ ١٠٦

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		(قْ)		
تألّقْ	العماد الأصفهاني	م.الكامل	٢	٥٧/١
الشقيقْ	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	٦٩/١
حَلَقْ	-	الطويل	١	١٣٦/١
الفَلَقْ	القطب المكي	السريع	٤	١٦٨/١
وَرَقْ	الشهاب الخفاجي	السريع	٥	١٦٨/١
مُذِقْ	-	البسيط	٢	٢٠٠/١
الشَّفَقْ	-	الرجز	١٧	٢٠٢/١
شواهقْ	-	الوافر	٨	٣٤/٢
تغْتبِقْ	علي بن الحنائي	الطويل	٢	١١٦/٢
ورِقَ	الشهاب المنصوري	م.الكامل	٤	١١٦/٢
فمرقْ	-	الرمل	١	١٥٦/٢
ضِيقْ	-	المتقارب	٢	١٨٠/٢
		(كُ)		
ولا مَلِكُ	الشريف الرضي	البسيط	٥	٣٤/٢
		(كَ)		
حبكَا	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	٧١/١
عنْكَا	بدر الدين الغزي	م. الرمل	٢	٨٨/١
بثانيكَا	الأمير منجك الجركسي	البسيط	١٥	١٣٦/١
البُكَا	ابن مرج الكحل الأندلسي	الطويل	٣	١٤٨/١
أعطاكَا	تمام بن أبي تمام	السريع	٣	٢٣٨/١
أخطاكَا	-	السريع	٣	٢٣٨/١
بِكَا	يوسف المغربي	م.الرجز	٢	١٧/٢
أوراكَا	-	الخفيف	٢	١٨٢/٢
والحركَهْ	ابن الرومي	البسيط	٦	١٣٥/٢
		(كِ)		
السمكِ	المحار	الوافر	٢	٧١/١
الأفلاكِ	بهاء الدين العاملي	الدوبيت	٢	١٢٥/١
لَكِ	-	الطويل	١	٢٢٩/١
زاكِي	يحيى الأصيلي	الوافر	٤	١٩/٢

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الضحكِ	-	الطويل	١	٢/ ٨٥
بالفَتْكِ	نور الدين العسيلي	الطويل	٤	٢/ ٩٢
مالكِي	-	السريع	٢	٢/ ٩٢
الشباكِ	-	الوافر	١	٢/ ١٩٩
حَوْكِ	ابن المعتز	الوافر	٢	٢/ ٢٢١
دناك	-	البسيط	٣	٢/ ٢٢١

(كْ)

يعجبُكْ	-	المتقارب	٢	١/ ٣٦
السِّماكْ	الشهاب الخفاجي	م.الرجز	٢	١/ ٦٤
هاتيكْ	بهاء الدين العاملي	الخفيف	٢٠	١/ ١٢٣
عليكْ	-	البسيط	٢	١/ ١٢٥
فِداكْ	الأرجاني	الدوبيت	٢	١/ ١٢٦
بكاسِكْ	الأمير منجك الجركسي	م.الكامل	٥	١/ ١٤٦
مثالِكْ	محمد بن عمر العرضي	الخفيف	٢	١/ ١٥٩
الفَلَكْ	الشهاب الخفاجي	م.الرجز	٢	١/ ٢٤١
تملَّكْ	يحيى الأصيلي	م.الرمل	٢	٢/ ٢٢
شكْ	عبد الواحد الرشيدي	الرمل	٢	٢/ ٤٢
مَاسَفَتَكْ	رجب الشنواني	م.الرجز	٢	٢/ ٤٨
ترجمانِكْ	محمد الفارضي	الوافر	٢	٢/ ٧٦
مباركْ	محمد بن أبي الحسن البكري	الخفيف	٥	١/ ١٠٥
حَدِّكْ	-	المجتث	٥	٢/ ١١٠
كرامتِكْ	-	م.الكامل	٢	٢/ ١١٢
سحائبكْ	-	م.الخفيف	٢	٢/ ١١٢
خالِكْ	علي بن الحنائي	الوافر	٢	٢/ ١١٥
ذلِكْ	أبو بكر الحنائي	المجتث	٢	٢/ ١١٦
أتاكْ	-	السريع	٢	٢/ ١٤٥
مسالِكْ	بعض الأعراب	م.الكامل	٢	٢/ ٢١٠

(لُ)

هُطْلُ	ابن هندو	الطويل	٢	١/ ١٨
محمولُ	كعب بن زهير	البسيط	١	١/ ٢٦
مقبلُ	البحتري	الكامل	١	١/ ٣١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ظليلُ	حسن بن محمد البوريني	الطويل	٢١	١/ ٣٣
قالُوا	الشهاب الخفاجي	الدوبيت	٢	١/ ٣٥
ظِلُّ	-	الخفيف	١	١/ ٣٦
يزولُ	محمد بن قاسم الحلبي	م.الرجز	٢	١/ ٦١
والفعائلُ	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	٢	١/ ٧٥
أفضلُ	حسين بن أحمد الجزري	الكامل	٢	١/ ٧٧
نعلُ	زين الدين الإشعافي	البسيط	٧	١/ ١٨٤
يقتلُ	الغزي	الرجز	٢	١/ ١٠٦
وجاهلُ	خضر الموصلي	الطويل	٢	١/ ١٢٦
وشمائلُ	الأسعد بن مماتي	الطويل	٣	١/ ١٢٧
زائلُ	لبيد بن ربيعة	الطويل	٢	١/ ١٢٧
رسائلُ	زكي الدين بن قريع	الطويل	٢	١/ ١٢٧
المخْلُ	مسلم بن الوليد	الطويل	٣	١/ ١٢٨
العَذَلُ	الأمير منجك الجركسي	م.الوافر	١٥	١/ ١٤٧
المُقَلُ	أبو الطيب الغزي	م. الوافر	١١	١/ ١٥١
الأناملُ	-	الطويل	١	١/ ١٦٩
تعلُو	الشهاب الخفاجي	م.الرمل	٦	١/ ١٧٨
أصلُ	محمد الفشتالي	م.الرمل	٦	١/ ١٧٨
القُبَلُ	-	السريع	١	١/ ١٨٣
نَعْلُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	١٣	١/ ١٨٣
شُغْلُ	محمد الفشتالي	البسيط	١٠	١/ ١٨٤
فجميلُ	-	الطويل	١	١/ ١٩٨
هطَّالُ	أبو نمي بن بركات	البسيط	٥	١/ ٢١٨
فَضْلُ	شهاب الدين أحمد الفيومي	م.الكامل	٢	١/ ٢١٩
قَبْلُ	البحتري	الرمل	٤	١/ ٢٣٨
وأهلُ	طاهر بن إسماعيل الهاشمي	الرمل	٣	١/ ٢٣٨
يستقلُّ	أبو القاسم الداودي	الرمل	٣	١/ ٢٣٨
المَطْلُ	ابن الفارض	الطويل	١	١/ ٢٥٦
محتملُ	الصفي الحلي	البسيط	٢	٢/ ١٢
ويحاولُ	تقي الدين التميمي	الكامل	٢	٢/ ١٥
حالُ	يحيى الأصيلي	الطويل	٢	٢/ ٢١
انجاهلُ	عبد الرحيم العباسي	المتقارب	٢	٢/ ٣١
الفاضلُ	البدر الغزي	المتقارب	٢	٢/ ٣١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الحالُ	أبو العلاء المعري	الطويل	٢	٢/ ٥٥
ضئيلُ	-	الطويل	٣	٢/ ٧٤
يحولُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٢/ ٩٤
وأطْوَلُ	الفرزدق	الكامل	١	٢/ ١٠١
تنزلُ	محمد بن أبي الحسن البكري	السريع	١٨	٢/ ١٠٤
المقالُ	-	الخفيف	١٥	٢/ ١١٢
مدخلُ	-	الرجز	٢	٢/ ١٢٢
العواذلُ	-	الطويل	١	٢/ ١٥٦
قتيلُ	-	الطويل	١	٢/ ١٧٦
سواحلُ	-	الطويل	١	٢/ ١٧٩
الحالُ	المتنبي	البسيط	١	٢/ ١٨٤
وطبولُ	-	الطويل	١	٢/ ١٩٥
حملُهُ	-	الطويل	٣	٢/ ٩٠
يُعَلِّلُهَا	الأمير منجك الجركسي	المنسرح	٥	١/ ١٤٨
سافُلهَا	-	المنسرح	٢	٢/ ١٦٠
وأسائلُهْ	محمد الوفائي	الطويل	٨	٢/ ٩٦
سائلُهْ	زهير بن أبي سلمى	الطويل	١	٢/ ١٧٢
حاملُهْ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٢/ ٢١١
باطلُهْ	الكلابي	الطويل	٧	٢/ ٢١١

(لَ)

الدخالا	أبو العلاء المعري	الوافر	١	١/ ٢٤
عذَلا	درويش الطالوي	البسيط	٢٣	١/ ٤٠
خجلا	محمد بن قاسم الحلبي	البسيط	٢	١/ ٥٥
البِلَى	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ٥٦
الوصالا	المتنبي	الوافر	١	١/ ٧٢
اتصالا	أبو العلاء المعري	الوافر	١	١/ ٧٢
العلا	بدر الدين الغزي	السريع	٢	١/ ٨٧
جهلا	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ٨٩
التحولا	ابن الوردي	م.الكامل	٤	١/ ٨٩
جهلا	ابن الرومي	المنسرح	٣	١/ ٩٤
منهلا	ابن مليك الحموي	الكامل	٢	١/ ١١٤
عليلا	الشهاب الخفاجي	الكامل	٣	١/ ١٧٢
تطوُّلا	ابن مكانس	م.الرجز	٢	٢/ ٢١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
عاقلا	مجير الدين بن تميم	الكامل	٢	٢/ ٣٢
طولا	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٢/ ٣٧
شَكْلا	ابن نباتة المصري	الطويل	٢	٢/ ٥١
والقالا	محمد الفارضي	م.الوافر	٢	٢/ ٧٧
توالَى	الشهاب الخفاجي	الكامل	٥	٢/ ٨١
البِلَى	الباخرزي	م.الكامل	٣	٢/ ٩٤
وَجَلا	محمد بن أبي الحسن البكري	البسيط	٥	٢/ ١١٣
نزلا	الشهاب الخفاجي	المنسرح	١٤	٢/ ١٣٩
الكُلَى	-	م.الكامل	١	٢/ ١٤٠
وما بالَى	-	الهزج	١	٢/ ١٧٣
أبوالا	النابغة الجعدي	البسيط	١	٢/ ١٨٨
الأجبالا	أبو تمام	الخفيف	١	٢/ ١٩٧
الأفعالا	-	الخفيف	١	٢/ ٢٠٢
وصلا	الشهاب الخفاجي	البسيط	٣	٢/ ٢٠٤
تقبيلا	المتنبي	الكامل	١	٢/ ٢١٣
تطفيلا	مجير الدين بن تميم	الكامل	٢	٢/ ٢١٣
باطلا	-	الكامل	٢	٢/ ٢١٨
وَبْلَهُ	الباخرزي	الرمل	٢	٢/ ٣٢
مُقفلَهَا	أبو أحمد العسكري	البسيط	٢	١/ ١٨٧
مَلالَهَا	محمد الأبياري القباني	الطويل	٢	٢/ ٥٩
الجهالَهْ	-	الوافر	٢	١/ ٧٠
مُزالَهْ	الشهاب محمود	المتقارب	٢	١/ ٧١
بَدَلَهْ	التقي السبكي	الدوبيت	٢	١/ ٨٩
علَّهْ	الشهاب الخفاجي	السريع	١	١/ ١١٠
للنخالَهْ	فتح الله البيلوني	الخفيف	١	١/ ١٢١
مَحالَهْ	الشهاب الخفاجي	م . الكامل	٢	١/ ١٢١
غُلَّهْ	عرقلة	الطويل	٢	١/ ٢٥٤
المبقلَهْ	-	المتقارب	١	٢/ ٣١
المختالَهْ	ابن نباتة المصري	الرمل	٢	٢/ ٤٠
قليلَهْ	الشهاب الخفاجي	م.الرمل	٢	٢/ ٦٥
مثلَهْ	الباخرزي	المجتث	٢	٢/ ٢١٨
	(لِ)			
مرسلِ	-	الكامل	١	١/ ٦

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
بالمحالِ	ابن المنجم	الخفيف	١٦	١/ ٢٦
حالِي	الأمير العاصمي	م.البسيط	٣	١/ ٥٦
والكمالِ	محمد بن قاسم الحلبي	المتقارب	١٠	١/ ٥٩
شعلِ	محمد بن القاسم الحلبي	البسيط	٢	١/ ٦١
والكمالِ	العمادي (العماد)	الخفيف	١٢	١/ ٦٦
الكمالِ	أحمد بن محمد الحلبي الحصكفي	الخفيف	٣٢	١/ ٦٦
الثملِ	-	البسيط	١	١/ ٧٣
كليلِ	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	٢	١/ ٧٩
السافلِ	بدر الدين الغزي	السريع	٢	١/ ٨٨
الأُوَلِ	ماماي	البسيط	٢	١/ ٩٨
المقلِ	مجير الدين بن تميم	البسيط	٢	١/ ٩٨
الوصلِ	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	الطويل	٢	١/ ١٠٣
بالتفضيلِ	أبو الفتح المالكي	الرجز	٣	١/ ١١٠
الحُلَلِ	ابن نباتة المصري	البسيط	٢	١/ ١١١
معتزلِي	محمد بن محمد الحكيم بن المشنوق	البسيط	٢	١/ ١٢٠
عاملِ	-	السريع	١	١/ ١٢٢
آمالِي	بهاء الدين العاملي	الدوبيت	٢	١/ ١٢٦
وَلِي	أبو الطيب الغزي	المنسرح	٥	١/ ١٥٠
عويلِي	محمد بن عمر العرضي	المتقارب	٢	١/ ١٥٩
بالسؤالِ	الأبيوردي	الوافر	١	١/ ١٦٩
بالنوالِ	أبو العباس المنصور باللّه	الوافر	١	١/ ١٦٩
حالِي	الشهاب الخفاجي	الرمل	٢	١/ ١٧٥
يرحلِ	محمد الفشتالي	الرجز	٧	١/ ١٧٩
الظليلِ	-	الوافر	١	١/ ١٨١
وُلْي	-	الطويل	١	١/ ١٩٢
عَلِ	محمد بن إبراهيم الفاسي	الطويل	٢	١/ ١٩٣
والخجلِ	-	البسيط	٣	١/ ١٩٣
العَذَلِ	شهاب الدين أحمد الفيومي	الكامل	٢	١/ ٢١٩
المحالِ	السراج الوراق	الوافر	٢	١/ ٢٣٩
الكسلِ	سراج الدين الأشهل	المنسرح	٢	١/ ٢٤٢
خَجَلِ	-	البسيط	١	١/ ٢٥١
الماطلِ	الشريف الرضي	السريع	١	١/ ٢٥٦
المطالِ	الطغرائى	السريع	١	١/ ٢٥٦

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
سبيلِ	-	الخفيف	١	٢/ ٥
خَجَلِ	محمد بن يس المنوفي	م.الوافر	٢	٢/ ٧
عاقلِ	-	الطويل	١	٢/ ١٠
السؤالِ	الصفي الحلي	الوافر	٢	٢/ ١٢
وبالباطلِ	يوسف المغربي	السريع	٢	٢/ ١٧
وبالدلالِ	-	الوافر	٢	٢/ ١٧
الجليلِ	يوسف المغربي	الوافر	٢	٢/ ١٨
ينجلِي	يحيى الأصيلي	الطويل	٢	٢/ ٢١
الأصيلِي	-	المتقارب	٢	٢/ ٢٢
القبولِ	محمد الصالحي	المتقارب	٢	٢/ ٢٢
خمولِ	أبو الحسين الجزار	المتقارب	٢	٢/ ٢٢
والنَّصْلِ	يحيى الأصيلي	المنسرح	٢	٢/ ٢٣
بالأسافلِ	الزمخشري	الطويل	٢	٢/ ٣٢
بالفضائلِ	-	السريع	٢	٢/ ٣٢
بالإسهالِ	الجاحظ	الخفيف	٢	٢/ ٣٣
ونَذْلِ	عبد الله الدنوشري	الوافر	٢	٢/ ٤٠
تذبُلِ	البحتري	الكامل	١	٢/ ٤٤
الدلالِ	رجب الشنواني	الوافر	٢	٢/ ٤٨
الحالِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	٢/ ٥٢
والغاسلِ	-	الطويل	١	٢/ ٥٣
عالِي	امرؤ القيس	الطويل	١	٢/ ٧١
بالمالِ	محمد الفارضي	السريع	٢	٢/ ٧٧
الليالِي	-	الوافر	١	٢/ ٩١
ساحلِ	-	الكامل	١	٢/ ١٠٣
جليلِ	محمد بن أبي الحسن البكري	السريع	٢	٢/ ١٠٥
أُبالِي	-	مخلع البسيط	٢	٢/ ١١٢
خالِي	الخوارزمي	الكامل	٢	٢/ ١١٥
جَهْلِ	المتنبي	الطويل	١	٢/ ١٢٤
المقالِ	محمد بن المعدل	الوافر	٢	٢/ ١٤٢
الأهلِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٣	٢/ ١٤٤
فَضْلِ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٢/ ١٥٠
تحوَّلِ	-	الطويل	٢	١/ ١٥٢
قُبُلِ	-	المنسرح	٢	٢/ ١٥٧

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
خَجَلِ	-	البسيط	١	٢/ ١٨٢
النعالِ	المتنبي	الوافر	١	٢/ ١٩٦
الأجدلِ	المتنبي	الرجز	١	٢/ ١٩٦
بالطبلِ	-	السريع	١	٢/ ١٩٩
والوبلِ	ناصح الدين الأرجاني	الطويل	٥	٢/ ٢٠٦
مثلِي	عمران الطولقي	الطويل	٣	٢/ ٢١٨
حالِي	أبو فراس	الطويل	٧	٢/ ٢٢٣
تأويلِها	الأمير منجك الجركسي	الرجز	٢	١/ ١٤٩
بمطلِهِ	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	٢	١/ ٧٥
نَحْلِهِ	الحريري	المتقارب	١	٢/ ٣١
وجدالِهِ	عبد الرحمن بن محمد الحميدي	الكامل	١	٢/ ٥٣
لتقبيلِهِ	ابن رشيق	السريع	٣	٢/ ٢٢٨
مَيَلِهْ	-	المنسرح	١	١/ ١٥٩
مثْلِهْ	المعمار	السريع	٢	١/ ٢٤٣

(لْ)

مشتغلْ	الثعالبي	م.الرجز	٤	١/ ١٨
الزوالْ	-	السريع	١	١/ ٨٣
جَلَلْ	أبو منصور الدمياطي	الدوبيت	٤	١/ ٩٥
عليلْ	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	الدوبيت	٢	١/ ١٠٤
الكَفَلْ	ابن مليك الحموي	المتقارب	٢	١/ ١١٤
وَصَلْ	ابن حجر	المتقارب	٢	١/ ١١٥
الحِيَلْ	-	الطويل	١	١/ ١٦٦
والحِيَلْ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٤	١/ ١٧٥
الأمَلْ	ابن خفاجة	المتقارب	٢	١/ ١٨١
المِطالْ	الشهاب الخفاجي	السريع	٣	١/ ١٨٨
كاملْ	يحيى الأصيلي	م.الكامل	٢	٢/ ٢١
كَمُلْ	-	المتقارب	٢	٢/ ٢١
يُقتلْ	-	المجتث	٢	٢/ ٦٠
الهلالْ	محمد بن أبي الحسن البكري	السريع	٩	٢/ ١٠٣
المنازلْ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٢	٢/ ١٢٧
الرجالْ	ابن المعتز	السريع	٢	٢/ ١٩٦
وارْتحلْ	-	الرجز	٣	٢/ ٢٢١

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		(مُ)		
دمُ	مهيار	الطويل	١	١/ ٢٤
دمُ	الأبيوردي	الطويل	١	١/ ٢٤
حمامُ	-	الكامل	١	١/ ٣٧
كلِمُ	درويش الطالوي	الكامل	٤	١/ ٤٩
أيامُ	أبو تمام	الكامل	٣	١/ ٨٠
القائمُ	الخوارزمي	الكامل	٢	١/ ٨٨
مُناكُمُ	الخوارزمي	الطويل	٢	١/ ٨٩
مقيمُ	مصطفى بن العجمي أبو الصفاء	الطويل	٦	١/ ٩١
ينكتمُ	ماماي	البسيط	٢	١/ ٩٩
حرامُ	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	الكامل	١	١/ ١٠٤
محرَّمُ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	١/ ١٠٧
ملامُ	الأمير منجك الجركسي	الخفيف	٢	١/ ١٤٤
العلومُ	محمد بن عمر العرضي	الخفيف	٢	١/ ١٦٠
سقامُ	أبو العباس المنصور بالله	الطويل	٣	١/ ١٦٧
مباسمُ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٤	١/ ١٧٧
عظائمُ	محمد الفشتالي	الخفيف	٣	١/ ١٧٧
رميمُ	أبو حية النميري	البسيط	٢	١/ ١٧٩
المقدَّمُ	-	الطويل	١	١/ ١٨١
هُمُ	-	البسيط	١	١/ ١٨٩
يتضرَّمُ	أبو الحسن المنجم	الطويل	٣	١/ ٢١٤
حرامُ	أبو نواس	الكامل	٢	١/ ٢١٦
اللئامُ	المتنبي	الوافر	١	١/ ٢٢٠
القَتامُ	-	الوافر	١	١/ ٢٢١
القِمَمُ	-	البسيط	١	١/ ٢٢١
عادمُ	أبو القاسم الدبوسي	الطويل	٣	١/ ٢٣٥
وانتظمُوا	-	البسيط	١	١/ ٢٤١
تبسمُ	يوسف المغربي	الكامل	٢	٢/ ١٦
فَمُ	-	الكامل	١	٢/ ٢٦
لثامُ	عبد الرحيم العباسي	الوافر	٢	٢/ ٣١
عالمُ	أبو تمام	الطويل	٢	٢/ ٣٢
تترنَّمُ	بدر الدين الأزهري	الكامل	٢	٢/ ٥٨

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
تترنَّمُ	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	٢/ ٥٨
وتترجمُ	مجير الدين بن تميم	الطويل	٢	٢/ ٥٨
مقامُ	نور الدين بن الجزار الشافعي	الطويل	٤	٢/ ٧٥
مقامُ	القطب المكي	الطويل	٢	٢/ ٧٥
الظلامُ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	٢/ ٨٣
كالمُ	بعض المعمرين	الطويل	١	٢/ ٩٤
لامُ	ابن رشيق	م.الرمل	١	٢/ ١١٦
مُدامُ	علي الحنائي	الطويل	٣	٢/ ١١٧
وغرامُ	أبو السعود العمادي	الطويل	٩٢	٢/ ١٤٦
هازمُ	ابن هانئ المغربي	الطويل	٢	٢/ ١٧٦
تلطمُ	المتنبي	الكامل	١	٢/ ١٩٦
حُلُمُ	-	البسيط	١	٢/ ١٩٨
تتقدَّمُ	أبو تمام	الكامل	١	٢/ ١٩٨
ظالمُ	ابن براقة الهمداني	الطويل	١	٢/ ١٩٩
معلومُ	-	البسيط	١	٢/ ٢٠٠
مستسلمُ	-	السريع	١	٢/ ٢٠٢
هامُ	عمرو بن حسان	الوافر	٤	٢/ ٢١٠
الأيامُ	أشجع السلمي	الكامل	٥	٢/ ٢١١
مِيسمُ	الأبيوردي	الطويل	٧	٢/ ٢١٣
سَقامُهَا	-	الطويل	١	٢/ ١٦١

(مَ)

دمَا	السراج الوراق	البسيط	٢	١/ ١٩
يُكتمَا	حسين بن أحمد الجزري	الكامل	٢٩	١/ ٧٣
عظِيمَا	حسين بن أحمد الجزري	الخفيف	٢	١/ ٧٧
عَمَى	حسين بن أحمد الجزري	الطويل	٣	١/ ٧٧
نَسَمَا	مصطفى بن العجمي أبو الصفاء	البسيط	١٢	١/ ٩١
العَمَى	الشهاب الخفاجي	الطويل	٦	١/ ٢١٤
وصامَا	-	المديد	١	١/ ٢٢٧
والإقدامَا	النابغة الذبياني	الرجز	١	١/ ٢٤٠
نجومَا	عبد الرحيم العباسي	الخفيف	٢	٢/ ٣١
نَسَمَا	تقي الدين الفارسكوري	البسيط	٣	٢/ ٣٥
مُغرَمَا	ابن مكانس	الخفيف	٢	٢/ ٦١
مقيمَا	إسماعيل بن الحسين الخزرجي	المتقارب	٢	٢/ ٦٩

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
تقومَا	–	الوافر	٢	٢/ ٦٩
تزاحُما	محمد الوفائى	الطويل	٢	٢/ ٩٧
أحرمَا	–	الكامل	١	٢/ ١١٥
لامَا	علي بن الحنائي	البسيط	٢	٢/ ١١٦
مُضامَا	الشهاب الخفاجي	الخفيف	١٤	٢/ ١٣٤
يتعامَى	بعض الظرفاء	م.الرمل	٢	٢/ ١٣٥
أظلمَا	الشهاب الخفاجي	الطويل	٦	٢/ ١٣٥
لأُخْدَمَا	أبو تمام	الطويل	١	٢/ ١٦٣
مَكمَّمَا	يزيد بن خالد الإشبيلي	الطويل	٥	٣/ ٢١٥
كلامَهَا	البدر الدماميني	الطويل	٢	٢/ ٥٩
المدامَهْ	الصنوبري	الوافر	٢	١/ ٦٠
السلامَهْ	القاضي الفاضل	الوافر	١	١/ ٦٨
الندامَهْ	يوسف بن عمران الحلبي	الوافر	٣	١/ ٧٠
نظمَهْ	ابن مليك الحموي	السريع	٤	١/ ١١٤
الندامَهْ	–	م.الكامل	١	٢/ ١٠٢
المدلهمَّهْ	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	٢/ ١٥٠

(مِ)

الذميمِ	ابن رشيق	الخفيف	٢	١/ ٧
حرامِ	المتنبي	الوافر	١	١/ ١٨
المباسِمِ	درويش الطالوي	الطويل	٦	١/ ٤٠
كَلِمِ	–	البسيط	٢٨	١/ ٤١
لئيمِ	حسين بن أحمد الجزري	الخفيف	٢	١/ ٧٧
ظلاَمِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٣	١/ ٨٠
بمنامِ	شمس الدين بن المنقار	الكامل	١٤	١/ ٨١
واللثَمِ	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	الطويل	٢	١/ ١٠٣
النعيمِ	–	السريع	٢	١/ ١١١
الحمامِ	ابن هانئ الأندلسي	الخفيف	٢	١/ ١١٢
النسيمِ	–	الكامل	١	١/ ١٢٩
النعيمِ	–	الكامل	١	١/ ١٢٩
ومُتْهِمِ	الأمير منجك الجركسي	الطويل	٤٦	١/ ١٤٠
والكرمِ	–	البسيط	٢	١/ ١٤٨
وتكرُّمِ	ابن رشيق	الكامل	٣	١/ ١٤٨
الدمِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	١	١/ ١٤٨

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
المدامِ	محمد بن عمر العرضي	الخفيف	٢	١/ ١٦٠
السَّامِي	عمر بن عبد الوهاب العرضي	البسيط	٢	١/ ١٦١
الجامِي	محمد بن الحنبلي	الطويل	٢	١/ ١٦١
أكْمامِ	عبد اللّه الدنوشري	البسيط	٢	١/ ١٦٢
الكلاَمِ	-	الكامل	١	١/ ١٦٤
سهمِي	الحارث بن وعلة الذهبي	الكامل	١	١/ ١٦٧
توهَّمِ	المتنبي	الطويل	١	١/ ١٨٦
حرمِ	-	البسيط	١	١/ ٢١٥
لُم	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	١/ ٢١٦
للأنام	شهاب الدين أحمد الفيومي	م.الرمل	٢	١/ ٢١٩
المتكَلِّمِ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٤	١/ ٢٢٣
بهمومِ	محمد بن يس المنوفي	الكامل	٢	٢/ ٧
النظيمِ	المنازي	الوافر	١	٢/ ٢٥ و٢٢٨
وهْمِي	-	الخفيف	٢	٢/ ٢٩
النجومِ	عبد الرحيم العباسي	الخفيف	٢	٢/ ٣٢
الأقلامِ	-	الخفيف	١	٢/ ٣٤
والغلامِ	-	الخفيف	١	٢/ ٤٣
كالعَلَمِ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	٢/ ٤٩
واللحمِ	-	السريع	٢	٢/ ٥٤
مكارمِي	شهاب الدين السنفي	الطويل	٢	٢/ ٦١
قدمِي	عمر بن أبي جبلة الدمشقي	البسيط	٣	٢/ ٩٤
هاشمِ	محمد بن أبي الحسن البكري	الطويل	٣	٢/ ١١٣
أسقامِي	ابن رشيق	البسيط	٢	٢/ ١١٦
الدمِ	-	الكامل	١	٢/ ١٢٩
الجسمِ	-	الطويل	١	٢/ ١٦٩
الكلامِ	-	الوافر	١	٢/ ١٧٩
بالغنمِ	النابغة الجعدي	المنسرح	١	٢/ ٢١٢
غلامِ	ابن خفاجة الأندلسي	الطويل	٣	٢/ ٢١٧
الأسهمِ	عمر بن عبد اللّه الحكمي، أبو جعفر	الكامل	٥	٢/ ٢١٧
بقدومِهِ	محمد بن قاسم الحلبي	الكامل	٣	١/ ٦٢
أعصُمِهِ	حسين بن أحمد الجزري	م.البسيط	٣	١/ ٧٥
	(م)			
الكرمْ	-	المتقارب	١	١/ ٥

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الهممْ	-	المتقارب	١	١/ ٦ و٢/ ٤
بسقمْ	ابن مطروح	الرمل	١	١/ ١٤
السقامْ	حسين بن أحمد الجزري	السريع	٢	١/ ٧٨
إمامْ	بهاء الدين العاملي	الوافر	٢	١/ ١٢٥
كظيمْ	محمد بن عمر العرضي	الرمل	٢	١/ ١٦٠
انهدمْ	الشهاب الخفاجي	المتقارب	٢	١/ ١٦٩
دَرِمْ	الأعشى	المتقارب	١	١/ ١٨٨
سَلِمْ	الشهاب الخفاجي	المتقارب	٢	١/ ١٨٨
سلاهُمْ	عبد السلام بن سنوس المغربي	الوافر	٢	١/ ٢٠٩
المعظَّمْ	الشهاب الخفاجي	الوافر	١	١/ ٢١٥
يندمْ	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	١/ ٢٤٣
وسَلَّمْ	-	السريع	٢	١/ ٢٥٤
العَلَمْ	بدر الدين القرافي	الطويل	٢	٢/ ٤٩
أوْلَمْ	الصلاح الصفدي	المجتث	٢	٢/ ٦٢
الكمامْ	محمد بن أبي الحسن البكري	السريع	٧	٢/ ١١٣
بالقلَمْ	علي بن الحنائي	الطويل	٤	٢/ ١١٧
السلامْ	الخوارزمي	السريع	٣	٢/ ١٥٤
نَعَمْ	ابن المعتز	الرمل	٤	٢/ ٢٢٠

(نُ)

يكونُ	ظافر الحداد	الطويل	١	١/ ١٤
عيونُ	أبو تمام	الكامل	١	١/ ٣١
إنسانُ	حسين بن أحمد الجزري	الدوبيت	٢	١/ ٨٨
أمانُ	الأمير منجك الجركسي	الخفيف	١٣	١/ ١٤٥
إنسانُ	السيد يحيى القرطبي	البسيط	٦١	١/ ٢١١
أغصانُ	-	الطويل	١	١/ ٢٢٦ و٢٤٨
الزمانُ	الصنوبري	الرجز	٣	١/ ٢٣٦
رصينُ	محمد بن يس المنوفي	الكامل	٨	٢/ ٥
العيونُ	-	مخلع البسيط	١	٢/ ٣٩
المرجانُ	-	الكامل	٢	٢/ ٨٦
غزلانُ	نور الدين العسيلي	البسيط	١٣	٢/ ٩١
زمانُ	-	الطويل	١	٢/ ١٤١
جنونُ	الشهاب الخفاجي	مخلع البسيط	١	٢/ ١٦٥

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
لَضنينُ	-	الطويل	١	٢/ ٢٠٠
سكانُهَا	الشهاب الخفاجي	المتقارب	٢	١/ ٣٥
	(نَ)			
الخَنَا	أبو العلاء المعري	الطويل	٢	١/ ٩ و٢/ ٧٣
دنَا	الحسن بن أبي عقامة	الطويل	٢	١/ ٩ و٢/ ٩٣
إنسانَا	حسن بن محمد البوريني	الطويل	١	١/ ٣٥
وريحانَا	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	١/ ٦٨
كانا	ابن المعتز	السريع	٢	١/ ٧٠
راحمونَا	ماماي	الوافر	٢	١/ ٩٩
وأحيانَا	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	البسيط	٢	١/ ١٠٣
وحيَّانَا	القاضي محب الدين الحموي	الطويل	٤	١/ ١١٦
وعرفانَا	الأمير منجك الجركسي	البسيط	٢١	١/ ١٣٩
دُعِينا	الشهاب الخفاجي	المتقارب	٣	١/ ١٥٠
الغنَى	-	الطويل	٢	١/ ١٩٠
فأذَّنَا	مروان بن أبي الجنوب	الطويل	٢	١/ ٢٥٥
مثلنَا	تقي الدين التميمي	م.الكامل	٣	٢/ ١٤
الأذُنَا	-	الرمل	١	٢/ ٣٨
سنانَا	-	المتقارب	٢	٢/ ٨٧
فتحانَى	بعض العرب	الكامل	٤	٢/ ٩٥
ألوانَا	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	٢/ ١١٧
سافلينَا	-	الوافر	٢	٢/ ١٦٠
ألوانَا	-	الكامل	٣	٢/ ١٧٦
أحيانَا	الشهاب الخفاجي	البسيط	٣	٢/ ١٧٨
إنسانَا	-	الخفيف	١	٢/ ١٨٣
بينَهَا	حسين بن أحمد الجزري	الكامل	٢	١/ ٧٨
	(نِ)			
المفتونِ	أحمد العناياتي	الكامل	٢٠	١/ ١٥
العينِ	صردر	الكامل	٢٧	١/ ٥
يعصيني	البحتري	البسيط	٢	١/ ١٧
الحدبانِ	ابن دانيال	الكامل	١٣	١/ ٢٧
الجفونِ	الشاب الظريف ابن العفيف	الوافر	٢	١/ ٣٣
وجانِ	ابن مطروح	الوافر	١٠	١/ ٦٠

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
حنينِي	الشهاب الخفاجي	الرمل	٢	١/ ٦٢
تعدونِي	محمد القاسمي	الدوبيت	٢	١/ ٦٥
جفنِ	يوسف بن عمران الحلبي	الطويل	٦	١/ ٦٨
عينِ	ابن الخيمي	الوافر	٢	١/ ٧٠
زيْنِ	اليعموري	الوافر	٢	١/ ٧٠
حيْنِي	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	١/ ٧٠
وسنانِ	-	البسيط	١	١/ ١٠٥
سحنونِ	-	البسيط	١	١/ ١٠٥
الأجفانِ	أبو الفتح المالكي	الخفيف	٥	١/ ١٠٥
بإيقانِ	ابن هند	م. الوافر	٢	١/ ١٠٦
بالآذانِ	ناصح الدين الأرجاني	الخفيف	١	١/ ١٠٧
نيرانِي	أبو الفتح المالكي	الطويل	٨	١/ ١١٢
الأغصانِ	-	الكامل	١	١/ ١٥٥
الأحزانِ	الشهاب الخفاجي	الخفيف	٣	١/ ١٦٣
بأوطانِ	-	الطويل	١	١/ ١٨١
وسنانِ	-	البسيط	١	١/ ١٨٣
الوخَدانِ	الصاحب بن عباد	الطويل	٣	١/ ١٨٦
الرَّجَفانِ	أبو أحمد العسكري	الطويل	٣	١/ ١٨٦
العانِي	محمد بن إبراهيم الفاسي	الكامل	٢	١/ ١٩٢
المغانِي	محمد بن إبراهيم الفاسي	الوافر	٣	١/ ١٩٢
المنونِ	الأرجاني	الوافر	٢	١/ ١٩٣
بالإحسانِ	-	الخفيف	١	١/ ١٩٦
إخوانِي	أبو تمام	البسيط	١	١/ ١٩٩
وعَيانِ	حسام الدين الدرعي	الطويل	٤	١/ ٢٠٨
اليدْينِ	صفي الدين الحلي	الوافر	١	١/ ٢١٨
عيْنِي	شهاب الدين أحمد الفيومي	الوافر	١	١/ ٢١٩
عيْنِي	الشهاب المنصوري	الوافر	١	١/ ٢١٩
بحرانِ	-	الطويل	١	١/ ٢٢٠
الفناجينِ	محمد البكري، أو محمد ماماي الرومي	م.الوافر	٢	١/ ٢٣٧
أوانِ	الببغاء	الرجز	٣	١/ ٢٣٧
الخيلانِ	-	السريع	٢	١/ ٢٤٦
بأذانِ	مروان بن أبي الجنوب	البسيط	١	١/ ٢٥٤
الدخانِ	محمد بن يس المنوفي	الوافر	٢	٢/ ٧

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
الأجفانِ	ابن قلاقس	الكامل	٣	٢/ ١٧
الحسانِ	يوسف المغربي	الخفيف	٢	٢/ ١٧
بإيقانِ	يحيى الأصيلي	الهزج	٢	٢/ ٢٠
حيَّانِي	يحيى الأصيلي	السريع	٢	٢/ ٢١
وإتْقانِ	علي بن أمر اللّه الحنائي	الطويل	٢	٢/ ٢٧
بالجُبْنِ	-	الطويل	١	٢/ ٤١
الزمانِ	-	الوافر	٢	٢/ ٤٧
الأمانِ	بدر الدين الأزهري	الرجز	١	٢/ ٥٧
نيسانِ	محمد البليني	البسيط	٤	٢/ ٦٢
دَنِي	الشهاب الخفاجي	الرمل	٣	٢/ ٦٨
اثنتانِ	-	الوافر	٢	٢/ ٩٤
بالرقمتيْنِ	-	الوافر	٢	٢/ ١١٨
فانِي	-	الكامل	٢	٢/ ١٢٠
الفرسانِ	ابن عمار	الكامل	١	٢/ ١٢٤
توانِي	الشهاب الخفاجي	الوافر	٢	٢/ ١٢٩
الزمانِ	محمد بن برهان الدين الحميدي	الوافر	٢	٢/ ١٣٠
مِنِّي	-	المجتث	١	٢/ ١٣٢
يرديني	الشهاب الخفاجي	السريع	٤	٢/ ١٤٦
الخيزران	-	الخفيف	١	٢/ ١٧٢
سمطْينِ	الزمخشري	الطويل	٢	٢/ ١٧٧
الطوفانِ	أبو الحسن بن حريق	الكامل	٢	٢/ ٢١٥
ثَمَنِ	حسان بن ثابت	البسيط	١	٢/ ٢١٧
الزمانِ	ابن المعتز	م.الرجز	٤	٢/ ٢٢٠
الإخوانِ	-	السريع	٣	٢/ ٢٢٠
أغصانِهِ	البحتري	الكامل	١	١/ ٢٠
سكانِهِ	درويش الطالوي	م.الكامل	٢١	١/ ٤٨
شانِهِ	عفيف الدين	البسيط	٣	١/ ٢٥٩
لحسنِهِ	عبد المنعم الماطي	الوافر	٢	٢/ ٦٦
بشانِهْ	الأهوازي	م.الرمل	٣	١/ ٢٤٤
ترجمانِهْ	الميكالي	الخفيف	٢	٢/ ٧٧
لِنِسيانِهْ	ابن التنبيه	المنسرح	١	٢/ ٩٢
قرنِهْ	-	المنسرح	٢٦	٢/ ٢٠٢

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
	(نْ)			
الوسَنْ	الشهاب الخفاجي	الرمل	٢	١/ ٧٣
مَنْ	عبد الرحمن العمادي	م.الكامل	١١	١/ ١٣٩
الزمانْ	عبد الرحيم العباسي	السريع	٢	٢/ ٣٠
	(هُ)			
أفواهُ	يوسف بن عمران الحلبي	الكامل	١	١/ ٦٨
منهُ	رضي الدين الغزي	م. الرمل	٢	١/ ٨٩
ثناياهُ	ماماي	الطويل	٢	١/ ٩٩
لمعناهُ	-	السريع	١	١/ ٢٠٩
مُشْبِهُ	محمد بن أبي الخير بن العلامة ابن حجر الهيثمي	م.الكامل	٢	١/ ٢٤٥
وعارضاهُ	شهاب الدين النسفي	مخلع البسيط	٤	٢/ ٦١
وَلَهُ	محمد الفارضي	الدوبيت	٢	٢/ ٧٦
سواهُ	-	الرمل	١	٢/ ١٢٦
	(هَ)			
ذكراهَا	-	الكامل	١	١/ ١٠
مرعاهَا	ابن الوردي	م.الوافر	٣	١/ ٢٣
مسراهَا	-	البسيط	٢	١/ ١٠١
تنتحيهَا	-	م.الكامل	١١	١/ ١٢٩
لَهَا	أبو العتاهية	السريع	١	١/ ٢٢٩
تثنّيهَا	محمد بن يس المنوفي	المنسرح	١٨	٢/ ٦
ذكرناهَا	-	المنسرح	١	٢/ ٢٦
صفاهَا	إبراهيم بن المبلط	الخفيف	١٩	٢/ ٥٦
والدَّهَا	شهاب الدين السنفي	السريع	٢	٢/ ٦٢
نَدَّهَا	القيراطي	السريع	٢	٢/ ٦٢
تُحاكيهَا	الأرجاني	البسيط	١	٢/ ٨٤
تثنّيهَا	-	البسيط	١	٢/ ٨٥
فِيهَا	-	البسيط	٤٢	٢/ ٨٨
بَدِيهَا	ابن برد	مخلع البسيط	١	٢/ ١٢٤
	(هِ)			
إليْهِ	أسامة بن منقذ	الكامل	٢	٢/ ٣٧
خدَّيْهِ	الحظيري	المنسرح	٢	١/ ٥٥
لديْهِ	الأمير أبو بكر الحلبي	الوافر	٢	١/ ٦٣
إليْهِ	-	الطويل	٢	١/ ٧٣

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
التِّيهِ	ماماي	الطويل	٢	١/ ٩٨
صياصيهِ	القاضي ظهير الدين الحلبي	الطويل	١٠	١/ ١٢١
زَاهِي	الشهاب الخفاجي	الكامل	٢	١/ ٢١٨
بأهليهِ	الأرجاني	البسيط	٣	١/ ٢٢١
			١	و٢/ ١٧٧
الوجوهِ	-	الخفيف	١	٢/ ٨
التِّيهِ	الأردبيلي	السريع	٢	٢/ ١٣
إليْهِ	بدر الدين الأزهري	م.الرجز	٢	٢/ ٥٨
يُرْدِيهِ	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	٢/ ٦٣
	(هْ)			
والوشاهْ	محمد بن قاسم الحلبي	م.الرجز	٢	١/ ٦١
دانيَهْ	بهاء الدين العاملي	السريع	١٦	١/ ١٢٤
العافيَهْ	-	المتقارب	١	١/ ١٨٢
رشَاهْ	-	السريع	١	٢/ ٤٩
وتَاهْ	نور الدين العسيلي	السريع	٢	٢/ ٩١
إليْهْ	أبو القاسم المغربي الوزير	م.الكامل	٨	٢/ ٢١٨
	(وَ)			
حَوَى	بدر الدين الغزي	البسيط	٢	١/ ٨٧
سَلْوَى	الشهاب الخفاجي	الدوبيت	٢	١/ ١٢٥
سَلْوَى	بهاء الدين العاملي	البسيط	٢	١/ ١٢٥
سروَا	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١/ ٢٣٧
يَسْوَى	محمد بن الخياط المحلي	الطويل	٢	٢/ ١٣
القُصْوَى	التلمساني	الطويل	١	٢/ ١٣
نَقْوَى	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	٢/ ١٣
والهوَى	نور الدين العسيلي	الطويل	٣	٢/ ٩٣
	(يُ)			
ندِيُّ	الشهاب الخفاجي	الرجز	٢	٢/ ٧٢
	(يَ)			
وناعيًا	-	الطويل	١	١/ ٥
والقوافيًا	مجنون بني عامر	الطويل	٢	١/ ١٠

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
ولا ليَا	-	الطويل	١	١٠/١
مكتليَا	الأرجاني	الطويل	٢	٥٦/١
باكيَا	المتنبي	الطويل	١	٧٣/١
حَالِيَا	الشهاب الخفاجي	الطويل	٢	١٥/٢
شُفِيَا	النواجي	البسيط	٢	٥٠/٢
إلَيَّا	عبد المنعم الماطي	الوافر	٢	٦٦/٢
مواليَا	الفرزدق	الطويل	١	١٤٥/٢
عَلَيَّا	-	م.الرمل	١	١٨٨/٢
أمانيَهْ	البدر الدماميني	الطويل	٢	٩٥/٢
ماضيَهْ	-	المتقارب	٢	٤٢/٢
راضيَهْ	الحسين بن مصدق الواسطي	م.الرجز	٢	٩٥/٢
ثمانيَهْ	الشهاب الخفاجي	م.الرجز	٢	٩٥/٢
باديَهْ	الحارث بن النضر السهمي	الطويل	٨	١٧٣/٢
	(يِ)			
الغَرِيِّ	درويش الطالوي	م.الكامل	٢٧	٤٣/١
الحيِّ	-	الطويل	٢	٩٩/١
	(ا)			
انكفَا	-	م.الكامل	١	٧٣/١
المنتهَى	تقي الدين بن معروف	الرجز	٦	٩٤/١
وعَى	-	الكامل	١	٢٢٠/١
البُرَا	محمد الفارضي	الرجز	١٩	٧٧/٢
انطوَى	-	م.الكامل	٢	٧٩/٢
الخُصَى	المتنبي	المتقارب	١	١٣١/٢
الثَّرَى	ابن المعتز	المتقارب	١٢	٢٢٥/٢

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
أنصاف الأبيات			
(ء)			
رب داءٍ أضرُّ منه الدواءُ	فتح اللّه البيلوني، أو شاعر قديم	الخفيف	١/ ١٢٠
مثل العروض له بحرٌ بلا ماءِ	أبو إسحاق الغزي	البسيط	١/ ٢٠٦
(ب)			
تخبِّر أن المانوية تكذبُ	–	الرجز	١/ ٩٤
يا ليت أن شهوري كلها رجبُ	–	البسيط	٢/ ٤٧
والدم في النصل شاهد عجبُ	ابن الرومي	المنسرح	٢/ ٥٢
وللناس فيما يعشقون مذاهبُ	–	الطويل	٢/ ٧٤
أي الرجال المهذبِ	–	الطويل	١/ ١٨
(ت)			
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقةٌ	بشار بن برد	البسيط	١/ ١٠٣
أخت الغزالة إشراقا وملتفتاً	–	البسيط	١/ ٢٣
قد وعدتني أم عمرٍ وأنتَ	–	الرجز	٢/ ٥١
ومات من لا عمره ماتَا	–	السريع	٢/ ١٦١
رب خير يجيء في الخاتماتِ	–	الخفيف	٢/ ١٢٧
فهو مثل السلام في الصواتِ	–	الخفيف	٢/ ١٢٧
(ح)			
فما أكثر القتلى وما أرخص الجرحَى	–	الطويل	١/ ١٦٦
وسالتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ	–	الطويل	٢/ ٩٦
(د)			
والموتُ للإنسان بالمرصادِ	–	الرجز	١/ ٩٤
أجس رأسي هل طار عن جسدِي	–	المنسرح	٢/ ٢٢٨
وآفة التبر ضعف منتقدِهْ	–	الكامل	١/ ٧١
(ر)			
وبأحسنت لا يُباع الشعيرُ	–	الكامل	١/ ٦
وأي صفاءٍ لا يكدره الدهرُ	–	الطويل	١/ ٩١
وكذاك أيام السرور قصارُ	–	الكامل	١/ ١٣٤
رأي العقيق فأجرى ذاك ناظرُهُ	–	البسيط	١/ ٢٣
نثرت فقلنا الدر في الأفق ينثرُ	–	الطويل	٢/ ١٢

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
نظرت إليهم والعين شَكْرَى	المتنبي	الوافر	١/ ٥٠
فحكي النسيم لطافةً لما سرَى	-	الكامل	٢/ ٣٤
أكلتُ كتبي كأنني أرضَهْ	-	المنسرح	٢/ ١٦١
إذا نشرتْ كانت ممسَّكة النشرِ	-	الطويل	١/ ١٦٣
يظل بها مستعبد النظم والنثْرِ	-	الطويل	١/ ١٦٤
جلبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدْرِي	علي بن الجهم	الطويل	٢/ ٥٣
لا تكسع الشَّوْلَ بأغْبَارِهَا	الحارث بن حلزة	السريع	٢/ ١٤٠
فثوباً نَسيت وثوباً أجُرّ	امرؤ القيس	المتقارب	١/ ١٧٤
(س)			
ما في وقوفك ساعةً من باسِ	أبو تمام	الكامل	٢/ ١٩٩
(ص)			
بجيرانها تغلو الديارُ وترخصُ	-	الكامل	٢/ ١٥٢
(ض)			
وثناياكِ إنها إغْريضُ	أبو تمام	الكامل	١/ ١٦٩
(طَ)			
إن الندى حيث ترى الضغاطا	بعض بني تميم	الرجز	٢/ ٢١٢
(ع)			
إن الطيور على أجناسها تقعُ	-	البسيط	١/ ١٠٤
وسهم الرزايا بالنفائس مولَعُ	الخريمي	الطويل	١/ ٢٠٦
ولا بُدَّ يوما أن تردَّ الودائعُ	-	الطويل	٢/ ٥٣
أمن ريحانةَ الداعي السميعُ	عمرو بن معديكرب	الوافر	٢/ ١٤٢
إذا كان خَصمي حاكمي كيف أصنعُ		الطويل	٢/ ١٦١
(ف)			
ولا عجب للبدر أن يتكلَّفَا	-	الطويل	١/ ٨٦
إن غاب عن إنسان عيني فهو فِي		الكامل	٢/ ٥٢
قلنا لها قفي قالت قافْ	الوليد بن عقبة بن أبي معيط	الرجز	٢/ ٥١
(ق)			
مجرّ العوالي ومجرى السوابقْ	-	المتقارب	٢/ ١٦٢
(ل)			
وفاخرت الشهب الحصا والجنادلُ	-		١/ ٢١٦

Marfat.com

القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
عياء به مات المحبون من قبلُ	المتنبي	الطويل	١/ ٢٢٣
كأنك تعطيه الذي أنت سائلُهْ	زهير بن أبي سلمى	الطويل	٢/ ١٧٢
فلولا الغمدُ (البُرْدُ) يمسكه لسالا	أبو العلاء المعري	المتقارب	١/ ١٥٥
فأرشفنا على ظمإٍ زلالاَ	المنازي	المتقارب	١/ ١٥٦
إن محلاً وإن مرتحلاَ	الأعشى	المديد	١/ ١٨٧
إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلاَ	-	البسيط	٢/ ٦٤
أعلَى الممالك ما يُبنى على الأسَلِ	المتنبي	البسيط	١/ ٢١٧
بقراط حسنك لا يرنو إلى عللي	-	البسيط	٢/ ١٢٤
وأين الثريا من يد المتناولِ	-	الطويل	٢/ ١٢٨
يا سلسلة الصدغ من لواك على الخالْ	عبد الله بن محمد الطبلاوي	السلسلة	٢/ ١٠٠
(م)			
مُفَدَّمُ بسَبا الكتاب مختومُ	علقمة الفحل	البسيط	٢/ ٥١
أبعد سليمى مطلبٌ ومرامُ	أبو السعود العمادي	الطويل	٢/ ١٢٨
ولو ترك القطا ليلا لنامَا	حذام بنت الريان	الوافر	٢/ ٢٠٥
ونشتم بالأفعال لا بالتكلمِ	-	الطويل	٢/ ٢٢٨
ومن يشابِهْ أبه فما ظلَمْ	-	الرجز	٢/ ٢٤
(ن)			
وما محاسن شيء كله حسنُ	-		١/ ٢١٩
هزوا القدود وأرهفوا الأجفانَا	-	الكامل	٢/ ١٥٧
فاطلبْ لنفسك إن قدرت أمانَا	-	الكامل	٢/ ١٥٧
درس المنا بمتالع فأبانِ	لبيد بن ربيعة	الكامل	٢/ ٥١
أصمَّ أم يسمعُ غطريف اليمنْ	-	الرجز	٢/ ١٦٢
(هـ)			
وشبه الشيء منجذبٌ إليْهِ	-	الوافر	١/ ١٠٤
(ا)			
طرة صبحٍ تحت أذيالِ الدُّجَى	ابن دريد	الرجز	٢/ ٨٤

Marfat.com

فهرس محتويات الجزء الثاني

القسم الثالث: في مصر وأحوالها،
وسبب العَوْد لرسُومها وأطلالها ٣
٨١- محمد بن يس الْمُنُوفي ٤
٨٢- عبد الوهَّاب المحَلِّيّ الحَنفِيّ ٨
٨٣- عبد المنعم المحَلِّيّ الطرينيّ ١١
٨٤- محمد بن الخيَّاط المَحَلِّيّ ١٢
٨٥- القاضي تقيّ الدين التَّميميّ ١٣
٨٦- يوسف المَغْرِبِيّ ١٦
٨٧- يحيى الأصِيلِيّ ١٩
٨٨- شمس الدين محمد النَّخْرِيرِيّ
الحَنفِي البَصِير ٢٣
٨٩- محمد الحنفيّ المفتي المعروف
بالذِّئب ٢٤
٩٠- شيخ الإسلام عليّ بن غانم
المقْدِسِيّ ٢٥
٩١- محمد الدِّمْياطيّ الحنفيّ ٢٧
٩٢- شيخ الإسلام سراج الدين
الحانوتيّ الحنفيّ المفتي ٢٩
٩٣- عبد الرحيم العبَّاسِيّ ٢٩
٩٤- سراج الدين عمر الفارسْكُورِيّ ... ٣٣
٩٥- تقي الدين بن عمر الفارسْكُورِيّ . ٣٤
٩٦- محمد بن أحمد الحَتَاتِيّ ٣٥
٩٧، ٩٨- شيخنا العلامة إبراهيم
العَلْقَمِيّ ٣٧
١٠٠- شمس الدين البَصير ٣٩
١٠١- عبد الله الدَّنُوشَرِيّ ٤٠
١٠٢- عبد الواحد الرَّشِيدِيّ ٤١
١٠٣- رمضان الهُوّيّ ٤٣
١٠٤- أحمد بن عبد السلام ٤٣
١٠٥- محمد بن بدر الدين الزَّيَّات ٤٥
١٠٦- صفيُّ الدِّين بن محمد العِزِّيّ .. ٤٦
١٠٧- أحمد بن علي العِزِّيّ ٤٦
١٠٨- عمر العِزِّي ٤٧
١٠٩- رجب الشَّنَوَانِيّ ٤٧
١١٠- القاضي بدر الدين القَرافيّ
المالِكيّ ٤٨
١١١- أحمد بن عوَّاد ٥٠
١١٢- عبد الرحمن بن محمد
الحُمَيْدِيّ ٥٣
١١٣- الرئيس داود الحكيم ٥٤
١١٤- محمد بن بدر الدين القُوصُوني
الطبيب ٥٥
١١٥- إبراهيم بن المبَلِّط ٥٦
١١٦- بدر الدين الأزْهَرِي ٥٧
١١٧- محمد الأَبْيارِيّ القَبَّانيّ ٥٨
١١٨- يحيى بن الخطيب القَبَّانِي ٥٩
١١٩- شِهاب الدين أحمد السَّنَفِيّ
المعروف بقَعُود ٦٠
١٢٠- محمد البُلْيَنِي ٦٢
١٢١- محمد الأسيُوطي التاجر ٦٣
١٢٢- القاضي أحمد المَحَلِّي المالكي ٦٤
١٢٣- سَرِيُّ الدين بن الصّائغ الحنفي ٦٤

Marfat.com

١٢٤- منصور البلبيسيّ ٦٥
١٢٥- عبد النافع الطَّرابُلُسيّ ٦٥
١٢٦- صاحبنا عبد المنعم الماطي ٦٦
١٢٧- حسن بن الشَّاميّ ٦٨
١٢٨- إسماعيل بن الحسين ٦٩
١٢٩- فمنهم محيي الدين الغَزِّيّ ٦٩
١٣٠- أحمد الغَزِّي ٧٠
١٣١- عبد القادر الطُّورِيّ ٧٠
١٣٢- علي بن الخَزْرَجِيّ شيخ الشيوخ بالسُّيوفيَّة، الضرير ٧٢
١٣٣- زينُ الدين محمد الأنصاريّ الخَزْرَجِيّ الحَنْبَلِيّ ٧٣
١٣٤- نور الدين بن الجزَّار الشافِعيّ .. ٧٤
١٣٥- محمد الفَارِضِيّ ٧٦
١٣٦- العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المَقَّرِيّ المغربيّ المالكيّ نزيل مصر ٧٨
١٣٧- القاضي أحمد بن الجنيعان ٨٢
١٣٨- نور الدين علي العُسَيلِيّ ٩٠
١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢- السيد علي وفاء، وأولاده ٩٦
١٤٣- شيخنا أبو المكارم، وأبو الإسعاد ٩٨
١٤٤- العلامة ناصر الدين ٩٨
١٤٥- العلامة منصور ٩٨
١٤٦، ١٤٧- السيد محمد، وأخوه عبد الله ٩٩
١٤٨- الأستاذ أبو الحسن البَكْرِيّ ١٠١
١٤٩- الأستاذ محمد بن أبي الحسن ..١٠١
١٥٠- والأستاذ زين العابدين ١٠٢
١٥١- الأستاذ الإمام أبو المواهب البكريّ ١٠٢
القسم الرابع ١١٤
١٥٢- علي بن الْحِنَّائيّ بن أمر اللّه الحميديّ ١١٥
تتمة ١٢٤
١٥٣- عبد الباقي ١٢٥
١٥٤- فخر الزمان سعد الدين بن حسن جان ١٢٧
١٥٥- عبد الكريم بن سِنان ١٢٨
١٥٦- السيد محمد بن برهان الحُمَيْدِيّ ١٢٩
بيان أحوال الروم، وانقراض علمائها ونشر الظلم والعُدوان بين أمرائها ١٣٠
فصل ١٣٣
عجيبة ١٣٤
فصل ١٣٦
تنبيه ١٣٨
فصل ١٣٨
تنبيه ١٤١
سانحة ١٤٢
تتمة ١٤٣
فصل ١٤٤
فصل ١٤٥
بيان حالي في خبر المبتدأ، وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وما عَدا فيما بَدَا ١٥٠
المقامة الروميّة ١٥٦
الفصول القصار ١٦٣
فصل ١٦٨
فصل ١٦٨
فصل ١٦٩

Marfat.com

فصل ١٦٩
فصل ١٧٠
مقامة الغربة ١٧٠
فصل ١٧٥
في فوائد تتعلق بهذه المقامة ١٧٥
فصل ١٧٨
المقامة السَّاسانِيَّة ١٧٨
مقامة عارضت بها مقامة الوَطْواط ١٨٢
المقامة المغربيّة ١٨٧
فصل ١٩٠
خاتمة ٢٠٤
فصل ٢٠٥
طبقات الشعراء ٢٠٦
خاتمة ٢٢٢
تتمَّة، وفائدة مهمَّة ٢٢٦
فهرس الآيات القرآنية ٢٣١
فهرس الأحاديث النبوية ٢٣٦
فهرس القوافي وأنصاف الأبيات ٢٣٨
فهرس تراجم الجزء الثاني ٢٩٢

Marfat.com

Marfat.com

RAYḤĀNATUL- ALIPĀ
WA ZAHRATUL- ḤAYATID-DUNYA

(Authors, Writers, and Poets' biographies)

by

Ṣahābud-Dīn Aḥmad Ben Muḥammad Al-Ḫafāji

Edited by

Aḥmad ᶜ Ināyah

volume II

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon

Marfat.com